العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

ج ١، ٢ س ٢٢ رجب - شعبان ١٤٠٧هـ - آذار/ نيسان (مارس/ أبريل) ١٩٨٧م

في بلاد الأحبة :

-٣-

بين صنعـاء ومـأرب

وسَدّ مأرِب من أهم مايطمح القادم إلى اليمن ويتوق إلى مشاهدته من آثار هذه البلاد القديمة، ولكن كيف يتسنَّى ذالك، والموضع يقع في شرق اليمن على مسافة ١٧٠ كيلاً من صنعاء، وتجتاز مناطق قَبَلِيَّة ليس من السهل اجتيازها لمن لا يملك تصريحاً من الدولة ورعاية منها.

ولي في صنعاء إخوة كثيرون، منهم من يتولى رفيع المناصب، ولكنني أبديت الرغبة بأن تكون جميع أموري في هذه الرحلة تسير وفق الطريقة التي رسمتها، لا أثْقِلُ على أحدٍ من إخواني، ولا أكلِّفُ نفسي تَحَمُّلَ إفضالِ المُفْضِل عليَّ ولو كان عن كرم وسماحة نفسٍ.

وكان أن أبديت للصديق الكريم الأستاذ محمد أنعم غالب تلك الرغبة على ماأوضحتها، فحاول هو والصديق الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله أن يرتبا أمر الرحلة إلى موقع السد، باعتبارنا أنا وأخي الأستاذ عبدالكريم من ضيوف هذه البلاد، إلاَّ أننا رفضنا هذا وأوضحنا أن الغاية تنحصر فيما يكفل لنا الوصول إلى الموضع والعودة منه بحيث لا نكون عرضة لعرقلة أو تعب.

قرر الأخَوَانِ الكريمان أن نَذْهَبَ مَعاً في سيارتيهما ومعهما من يطمئنّانِ إليه.

وفي الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الاربعاء (١٦/١١/١٤٠٦ -

٢٣/٧/١٩٨٦) كان المسير من الفندق، والاتجاه شرقاً إلى مأرب، والطريق معبد، ومنذ أن خرجنا من صنعاء والأرض في انحدار حتى بلغنا مأرب.

وقد مررنا بمواضع مسكونة منها بلدة الْغِرَاس ـ على لفظ جمع غَرْسٍ ـ وهذه تبعد عن صنعاء ٢٣ كيلاً، وتقع في سفح جبل يدعى غَضْرَانَ ـ بالغين المعجمة مفتوحة والضاد المعجمة ساكنة فراء فألف فنون ـ وهو طرف من سلسلة من الجبال تمتد نحو الجنوب الشرقي، قيل لنا: إنها جبل (ذي مَرْمَر) على أن ياقوتا ذكر في «معجم البلدان» أنَّ (ذَمَرْمَر) من حصون صنعاء، وقال القاضي إسماعيل بن علي الأكوع معلقاً على كلام ياقوت: (ذي مَرْمر حصن مشهور شمال صنعاء على مسافة ٢٠ كيلاً كان عامراً إلى نحو مئة سنة، وقد لحقه الخرآب. كذا وردت كتابة الاسم بصورتين (ذَمَرْمَر) و(ذي مَرْمَر). وفي كتاب «البرق اليماني» ـ ٢٨٩ ـ : من جملة الحصون التي بقرب صنعاء حصن ذَمَرمر، وهو للمطف الله بن مطهر، وحوله قرى كثيرة، في وادٍ عظيم، يقال له وادي السِّــرِّ، فيها خلقٌ كثير من الزيدية أتباع مطهر ـ ثم ذكر استيلاء الأتراك عليه، وعلى بلدة شبام، ومن شعر السيد صلاح الوزير:

لله أيَّـامِـي بِـذِي مَـرْمَـرٍ وطِيْبُ أَوْقَاتِي بِـرَبْـعِ الْغِـرَاسْ
والجِنْسُ مُنْضَـمٌ إلَى جِـنْسِـهِ وأحْسَنُ النَّظْمِ نِظَامُ الْجِنَاسْ
والشَّكْــلُ مَقْــرُونَ بــأَشْكَــالِـهِ والسِّرُّ فِيْهِ السِّرُّ والنَّاسُ نَـاسْ

والسِّــرُّ هذا هو الذي ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وسماه سِرَّ آل الرويَّة.

ويقارب سكان الغراس ٥٠٠ نسمة، ومنها يجلب الجُصُّ إلى صنعاء ومن جبل يدعى ذُباب قبلي وادي السِّرّ، وعلى مقربة من بلدة الغِراس بلدة (شَبَام سَخِيم) سكانها يقاربون ٤٠٠ نسمة، وهي من البلدان الأثرية، ولعل اسم الجبل (ذي مرمر) ذو صلة باستخراج حجر المرمر منه على ماذكر بعض مؤرخي اليمن، ومنذ أن خرجنا من صنعاء إلى هذا الموضع ونحن نسير في بلاد بني حشَيْش ـ الشين

مفتوحة والياء المثناة ساكنة، أما الحاء فاليمنيون ينطقونها مكسورة، ولعل الصواب ضَمُّها ــ وهاؤلاء من خولان العالية، وتمتد بلادهم من صنعاء إلى بلاد نِهْمٍ على مقربة من منطقة مارب.

ثم مررنا بقرية فيها مركز حكومي تدعى (فَرْضَة نِهْمٍ) وهو يفتحون الفاء ــ تقع شرق صنعاء بنحو ٥٨ كيلاً، وهذه المنطقة التي تقع فيها هذه القرية تحلُّها قبيلة نِهْمٍ من بكيل أحد فرعي قبيلة همدان المشهورة، وهذه بلادها منذ العصور القديمة كما أوضح ذالك الهمداني في «صفة جزيرة العرب»، وشيخ نِهْمٍ في العهد الحاضر أبو لُحُومٍ.

وبعد اجتياز هذه القرية اتجه السير نحو الجنوب الشرقي لأن هذا الطريق روعي في تعبيده أن يَمُرَّ بهذه المنطقة، ومع تعهد هذا الطريق بالصيانة فقد تراكم التراب في جوانب منه إلا أننا أثناء مرورنا به كان حديث عهد بالمطر.

ثم نزلنا في سهل فسيح تكثر فيه الأودية، وتنتشر كثبانُ الرمال، وهو متصل بسهل مأرب، وكنا نسير في انحدارٍ منذ خروجنا من صنعاء حتى بلغنا هذا السهل الذي قيل لنا: إن ارتفاعه عن سطح البحر نحو ١٦٠٠ متر، بينما ارتفاع صنعاء نحو ٢٢٠٠ متر، وهناك فندق يدعى (فندق أرض الجنتين) كانت الاستراحة فيه جزءاً من الوقت، وأثناء الاستراحة كان التعرف على الأستاذ الشاعر المصري أحمد عبد المعطي حجازي الذي قدم إلى هذه البلاد بدعوة من مدير الجامعة الدكتور عبدالعزيز مقالح، وقيل لنا: إنه كان مقيماً في فرنسا منذ عشر سنوات إثر خلاف بينه وبين الرئيس أنور السادات.

لا يبعد السَّدُّ عن القرية الحديثة التي يقع فيها الفندق، ولكن الطريق غير معبد، وتكثر فيه الرمال.

وقد قامت دولة الإمارات العربية المتحدة بإنشاء سَدٍّ حديث على مقربة من موقع السد القديم قيل لنا: إنَّ إنشاءه كلف سبعين مليوناً من الدولارات، وقد تم إنشاؤه، وشاهدنا المياه محجوزة به في مساحة مَدِّ البصر.

وقد أُعِدَّتْ منه قناة لتصريف المياه التي يحجزها، ولكن المجاري التي توزع الماء في الأراضي التي ستزرع لم تُهَيَّأ بعد، وقيل لنا: إن المياه التي يختزنها هذا السد تكفي لري عشرة آلاف هكتار، وأنَّ الفائدة لا تنحصر فيما يحجزه من المياه التي سيجري تصريفها بقنوات الصرف في المزارع القريبة من السد، وإنما في اختزان المياه في الطبقات الجوفية من الأرض، بحيث تتسرب فتمد الآبار التي ستحفر في الأراضي الزراعية الواقعة شمال السد بالماء . ولعل من أسباب عدم الاستفادة الآن منه مايتعلق بحالة سكانه.

وهذا السَّدُّ الذي شاهدناه يقع فوق السد القديم وهو أقصر منه، فلقد لوحظ في إنشائه أن يكون في مضيق الوادي، أما السدُّ القديم كما يبدو من آثاره فإنه أطول ويختزن كمية من المياه أكثر، لوقوعه في متسع من الوادي وادي ذَنَة (أَذَنَة) وكان ممتداً بين جانبي جبل بَلَق، وهما الصَّدَفَانِ، ولاتزال آثار ذالك السدِّ القديم قائمة تدل على عظمته وقوته ـ على أن مشاهدة ماحول السَّدِّ من الأرض الصالحة للزراعة في الوقت الحاضر تحمل المرء على أن يتصور أن ماقيل عن القبائل التي كانت تسكن حوله بحاجة إلى التثبت، فالأرض ليست واسعة للدرجة التي تجعلها كافية لاستقرار قبائل كثيرة.

وبعد العودة من مشاهدة السدِّ مررنا بمعبد بِلقِيسَ الذي لاتزال بعض أعمدته قائمة وقد قام بإبراز آثاره (وندل فلبس) مؤلف كتاب «كنوز بلقيس» سنة ١٣٦٩ (١٩٥٠م) كما شاهدنا آثار مدينة (سَلْحِينَ) غير بعيدة عن آثار السَّدِّ القديم، وكانت القيلولة قد اشتدت بحيث أنَّ بعضنا وأنا أحدهم أسرع إلى الجلوس في داخل السيارة، بينما هناك من كان يسير في تلك الرمضاء المحرقة وقت اشتداد حرارة الشمس يسير على مهل، ويجمع بعض الأحجار الأثرية الصغيرة كما شاهدت السيدة سهير زوجة الأستاذ الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي فأعجبت من تحملها لشدة الحر مع أن من عاش في هذه الأَجْواء أو مايشابهها لم يطق حرها.

إن منطقة مأرب أشبه ماتكون بمنخفض من الأرض تحيط به الجبال من جهات الجنوب والغرب، وتنتشر في شرقيه الرمال المتصلة بصحراء صَيْهد (الربع الخالي

تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية :

ـ ٢ ـ

الحرم المكي وحدوده

وهذا تحديد للحرم المكي الشريف يكتب لأول مرة في التاريخ فيما أعلم. ذالك أني اشتركت في تحديده مع هيئتين من أهل العلم، ومن أهل الخبرة، ومن سكان كل جهة من جهات الحرم.

الهيئة الأولى قامت بالعمل في عام ١٣٨٥هـ واستمر عملها عدة أشهر. والهيئة الثانية عملت فيه سنتين في فترات هما عام ١٣٩٨هـ وعام ١٤٠٠هـ وقد كُوِّنَتِ الهيئتان بأوامر سامية تصدر على رئاسة القضاة ثم على وزارة العدل وعلى وِزارة الحج والأوقاف وعلى رئاسة شؤون الحرمين، والهيئتان مكونتان من:

١ ـ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر ـ رئيس هيئة التمييز بمكة المكرمة.

٢ ـ محرر هذه الأسطر عبدالله بن عبدالرحمن البسام في الأولى قاضي المحكمة المستعجلة الثانية بمكة المكرمة، وفي الثانية قاضي محكمة التمييز بمكة المكرمة.

٣ ـ الشيخ عبدالله بن سليمان بن مَنِيع قاضي محكمة التمييز بمكة المكرمة.

٤ ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن سُبَيِّل أحد أئمة المسجد الحرام ونائب رئيس رئاسة شؤون الحرمين.

الغربي) ولهذا فإن جَوَّهُ يختلف اختلافاً كبيراً عن جَوِّ صنعاء وما حولها من حيث ارتفاع الحرارة، يضاف إلى ذالك اشتداد الزوابع فيه بدرجة لا تطاق وخاصة في آخر النهار.

كان العود إلى الفندق وتناول طعام الغداء، ثم الاستراحة وقتاً قصيراً والعودة إلى صنعاء.

حمد الجاسر

٥ ــ الشيخ حسن بابصيل أحد قضاة المحكمة الكبرى بمكة ومندوب عن وزارة الحج والأوقاف.

٦ ــ الشريف شاكر بن هزاع أبو بطين قائم مقام مكة المكرمة.

٧ ــ الشريف محمد بن فوزان الحارثي عضو هيئة النظر بالمحكمة الكبرى.

٨ ــ عدد كبير من سكان تلك المناطق، تستعين الهيئة بخبرتهم بالمسميات لكل جهة ممن عرفوا بالخبرة والمعرفة والثقة رافقونا في هذه المهمة، فعمدة بحثي هذا ومصدره الأمور الآتية:

الأول ــ الاطلاع على مصادر النصوص من كتب معاجم البلدان وتواريخ مكة وكتب المناسك وكتب الأحكام والتفاسير وشروح الأحاديث وغير ذالك.

الثاني ــ استصحاب أهل الخبرة والمعرفة وثقات سكان كل منطقة من جهات الحرم، ومناقشتهم ومعرفة المسميات والجبال والشعاب والأودية والبقاع وتطبيقها على ما ورد في المصادر العلمية.

الثالث ــ الوقوف على الحدود مع أهل الخبرة، والصعود إلى قمم الجبال وسفوحها للبحث عن الاعلام القديمة وآثارها، ومعرفة المسافة فيما بين حَدٍّ وآخر، وصعودنا تارة طلوعاً على الأقدام، والأخرى بالطائرة العمودية.

والذي يقوم بمعرفة ثقات السكان ويُحْضِرُهُمْ هو أميرهم الشريف شاكر بن هزاع قائم مقام العاصمة المقدسة. وكان أغلب عملنا في فصلي الشتاء والربيع.

فالهيئتان ابتدأتا عملهما بالبحث عن حدود الحرم من (نَمِرَة) وهي بفتح النون وكسر الميم بعدها تاء مربوطة، وهي المنتهى الشرقي لسلسلة جبال فاصلةٍ بين طريق ٱلْمَأْزِمَيْنِ وطريق ضَبٍّ، ويذكر الفقهاء أنَّ على جبالها أنصاب الحرم إلاَّ أننا لم نجد الأنصاب إلا في السهل الواقع على الضفة الغربية لوادي (عُرَنَةَ) بالنون، ففي سهل (نَمِرَةَ) المذكورة وجدنا أربعة أعلام: علمين قَدِيمين متهدمين، لم يبق منهما إلا أنصافهما، وعلمين أَجَدَّ منهما، ومن المتفق عليه بين المسلمين أن هذه

الأعلام هي أعلام الحرم الفاصلة بينه وبين الحل، فما عنهن شرق فهو عُرَنَة، من الحلّ، وما عنهن غَرْب فهو من الحرم.

ويذكر مؤرخو مكة في كتبهم أن المظفر صاحب إرْبِل أمر بعمارة علمين للحرم من جهة عرفة ــ بالفاء الموحدة ــ وذالك سنة ست عشرة وست مئة بعد الهجرة.

ثم اتجهنا نحو الشمال الشرقي نسير على الضفة الغربية لوادي (عُرَنَة) ــ بالنون ــ فوصلنا إلى مكان يسمى (الْخَطْم) عنده قرية لآل أبي سمن من قريش، ففي الوقوف الأول الذي هو في صباح عشرين شعبان عام ١٣٨٥هـ وجدنا عَلَماً قديماً متهدماً، لم يبق منه إلا نحو نصف المتر، اسطواني التصميم، مبنياً بالحجارة والنورة، وهو مُسامِتٌ لأعلام (نَمِرَة) المتقدم ذكرها ويبعد عنها بنحو كِيْلَيْن. أما في وقوفنا المرة الثانية في ٢٤ محرم عام ١٣٩٩هـ فلم نجد من العلم المذكور إلا أساسه، وأخبرنا المرافقون أنهم أدركوه بطول القامة.

ثم اتجهنا شمالاً حتى وصلنا جبلاً يسمى (سِتْر) وقال لنا المرافقون أن سبب التسمية أنه ستر مايليه من الحرم عن الحل، لأنه حَدُّ الحرم من الحل، فما سال منه غرباً فهو في الحرم وماسال منه شرقاً فهو في الحِلِّ. ووجدنا في جانبيه عَلَمين مصممين تصميماً أسطوانياً بُعْدُ أحدهما عن الآخر نحو عشرة أمتار، والعلمان واقعان في عرض الجبل المذكور، كما وجدنا فوق قمة الجبل علماً قائماً على شكل اسطواني أيضاً، يبعد عن هذين العلمين نحو خمسة عشر متراً، ثم وجدنا في سفح جبل (ستر) مما يلي الشمال بمسافة تبعد عن الأعلام الثلاثة مئة متر عَلَماً في شكل وتصميم الأعلام الثلاثة، قد تهدم بعضه وبقي منه نحو ثلاثة أرباع المتر.

ثم اتجهنا نحو الشمال حتى وصلنا إلى ثَنِيَّة يقال: إنها تسمى ثَنِيّة عبدالله بن كريز، وهي واقعة في سفح جبل الطارقي فوجدنا فيها علماً على شكل الذي تقدم قبله، لم يبق منه إلا أساسه، ويبعد هذا العلم عن أعلام ــ جبل (سِتْر) نحو خمسة أكيال وهو واقع عنها شمالاً.

قال الأزرقيُّ: النبعة بعضها في الحل وبعضها في الحرم، فما سال منها شمالاً

فهو في الحرم وماسال منها جنوباً فهو حِلٌ .

ثم صعدنا جبل الطارقيّ فوجدنا في شرقيه علماً، ثم اتجهنا في أرض مستوية حتى وصلنا إلى علمي طريق نجد والعراق المارّ بالشرائع، وهما علمان كبيران، يمرهما الطريق العام متجهاً إلى السيل والطائف والْحَوِيَّة ونجد والعراق وبلاد الشرق، وتقدر المسافة بين هذين العلمين وبين ثنية عبدالله بن كريز بنحو أربعة أكيال.

ثم اتجهنا إلى جبل (السّتار) قال الأزرقي: سُمِّيَ السِّتَار لأنه سِتْرٌ مابين الحل والحرم. فوجدنا فيه علماً أسطوانياً باقياً لم يندثر إلا قليل من رأسه، وهو في الجانب الشمالي من الجبل، ويبعد جبل الستار عن علمي طريق الشرائع المتجه إلى نجد نحو كيلٍ ونصف الكيل. وجبل الستار يقابله شرقاً جبل الْمَقْطَع ويمرُّ من بينهما خل المستنفرة. ثم اتجهنا إلى ثنيَّة هي سفح جبلِ المقطع وهذه الثنيَّة منتهي الحرم من طريق العراق وسماها الفاكهي: ثَنِيَّة خَلِّ الصَّفاح فقال: ثنية خَلِّ الصفاح بطرف المقطع منتهى الحرم من طريق العراق.

ثم اتجهنا شمالاً مع السفح الغربي لجبل المقطع حتى وصلنا إلى شعب بين السفح الغربي لجبل المقطع والسفح الغربي لجبل الستار، فوجدنا ثلاثة جبال صغار سُود، يقال لهن الغِرْبَان، وتقع شمال جبلي الستار والمقطع، وفي الوسط من هذه الجبال الثلاثة علم قد بُنِيَ بالحجارة والنورة وهو الآن متهدم.

ثم اتجهنا شمالاً إلى ثَنِيَّةٍ بيضاء هي الفاصلة بين وادي ثُرَيْر وشعب عبدالله بن خالد بن أسيد، فماسال منها شرقاً نزل على ملعب لحيان، وهو رأس وادي ثُرَيْر وهو حِلٌ ، ومانزل منها غرباً فهو على شعب عبدالله بن خالد بن أسيد وهو حرم وتسمى هذه الثنيّة البيضاء ــ المستنفرة ــ .

قال الأزرقيُّ : المستنفرة ثنيّة تظهر على حائط ثُرَير، على رأسها أنصاب الحرم، فماسال منها على ثُرير فهو حِلٌ وماسال منها على الشِّعْبِ فهو حرم.

ثم اتجهنا نحو الغرب فوصلنا إلى ثنية يقال لها ــ النَّقْوَى ـ ونزلنا من هذه الثنية

على شعب عبدالله بن خالد بن أسيد، ونحن في هذا السير متجهون نحو الغرب، وعلى يميننا سلسلة جبال تحد الشعب المذكور من ضفته الشمالية، فبحثنا في قمم هذه السلسلة، فوجدنا فيها أعلاماً كثيرة متهدمة، مما يؤكد أن ماسال من هذه السلسلة على شعب عبدالله بن أسيد وهو السفوح الجنوبية فهو حرم، وماسال على السفوح الشمالية فهو حِلٌّ ، فَقِمَمُ هذه السلسلة سائرة نحو الغرب حتى تصل إلى التَّنعِيم ، وسنفصلها فيما يلي :

بَشْم : ـــ بالباء الموحدة ثم شين معجمة ثم آخره ميم ـــ : ريعٌ ينزل على شعب عبدالله بن أسيد وجد في القمة التي في الثنية علما كالأعلام السابقة، وقد أكد لنا المرافقون أنهم أدركوه علما قائما. كما أكدوا أنَّ ماسال من هذه القمة شمالاً فهو حلٌّ وماسال منها جنوباً فهو حرم. وبين ريع بشم وبين النُّقْوَى المتقدمة نحو أربعة أكيال.

بَغْبَغَة : ـــ باء موحدة بعدها غين معجمة ثم باء موحدة ثم غين معجمة ثم تاء مربوطة : ـــ قمة حمراء بينها وبين بشم ـــ نحو أربعة أكيال وفي قمة بغبغة علم كالأعلام السابقة.

حجلى: شعب فيه علم كالعلمين السابقين في بشم وبغبغة وبين حجلى وقمة بغبغة نحو ـــ خمسة أكيال.

جبال اليسر: قمم جبال متصل بعضها ببعض تبعد عن قمة حجلى ـــ بنحو نصف كيل، وجدنا فيها ثلاثة أعلام مشابهات للأعلام السابقة.

الشرفة : ثنية تنفذ على وادي ياج ـــ بالياء المثناة التحتية بعدها ألف فجيم ـــ قال لنا المرافقون من السكان وأهل الخبرة: ماسال من هذه الشرفة شمالاً فهو على وادي ياج فهو حِلٌّ وماسال منها جنوباً فهو حرم ومن جبال اليسر ـــ إلى بشم ـــ نحو ثلاثة أكيال.

ثم اتجهنا إلى التَّنعِيم، والتنعيم يمره الطريق العام المتجه إلى وادي الجَمُوم ـــ وادي مَرِّ الظهران ـــ وهو طريق المدينة المنورة، وتسميه الناس مساجد عائشة لأن

عائشة رضي الله عنها أحرمت منه لعمرتها عام حجة الوداع لأنه أقرب الحل إلى المسجد الحرام.

قال مؤرخو مكة ومنهم الفاسي وابراهيم رفعت وطاهر الكردي وغيرهم: إنَّ العلمين الكبيرين اللذين في التنعيم أمر بعمارتهما الخليفة العباسي الراضي وذالك في عام خمسة وعشرين وثلاث مئة.

قال الفاسي في «شفاء الغرام» واسمه مكتوب عليهما. وقال في «مجموع المنقور» نقلاً عن «جمع الجوامع» لابن عبد الهادي: الأعلام المنصوبة عند مساجد عائشة هما علمان كبيران وأعلام صغار متصلة بالجبلين من الجانبين يسميها العامة خطوات النبي، أو خطوات علي.

شرفة شَيْق: ثم اتجهنا من التنعيم غرباً مع شعب يقال له ملحة ـــ يمتد إلى شرفة شيق، وقد وجدنا علمين مندثرين أحدهما فوق ربوة يبعد عن أعلام التنعيم نحو ثلاثة أكيال والعلم الثاني إلى الشمال بنحو نصف كيل. ثم يتصل الحد إلى شعب شيق.

ذات الحنظل: قال الأزرقي: شيق طرف بَلْدَح الذي يُسلك إلى ذات الحنظل، من يمين طريق جدة، وذات الحنظل ثنية في مؤخر هذا الشعب وأنصاب الحرم على رأس الثنية. انتهى كلام الأزرقي. قلت: ذات الحنظل هي ما يسمى الآن (أم الجود) فماسال من رأس الثنية المذكورة جنوباً فهو حرم، وكان رأس الثنية هو أحد مدخلي مكة من المدينة المنورة ووادي الجموم. قال الأزرقي: هو طريق المدينة الغربي، والأنصاب على هذه الطريق على رأس الثنيَّة تسمى ذات الحنظل.

والمسافة بين التنعيم وبين ذات الحنظل تقدر بنحو خمسة أكيال.

الرحَا: ثم يتجه الحد غرباً ليتصل بالرَّحَا، والرحا رِيْعٌ يُصبّ من جهته الجنوبية بذات الحنظل وهو حرم ويصب بجهته الشمالية في وادي سَرِف، وهو حل، ووجدنا في رأس هذا الرِّيع علمين على يمين الريع وعلى يساره كقبضتي

الباب .

قال الأزرقيُّ: الرحا في الحرم وهو مابين أنصاب المصانع إلى ذات الجيش. انتهى. والرحا ثنَّية ينفذ منها من بين جبال شاهقة وهذه الثنيَّة هي كانت طريق المدينة المنورة الغربي كما تقدم ذكر ذالك عند ذات الحنظل. أما الطريق الشرقي فهو الطريق العامر الآن والمار بالتنعيم كما تقدم وصفه.

وبناء على أنَّ هذا أحد مدخلي مكة المكرمة من المدينة ومن وادي الجموم فقد وجدنا أعلاماً كثيرة تزيد عن العشرة على قمم تلك الجبال، فكونها طريقاً رئيساً حظيت بالعناية بكثرة الأعلام لتمييز الحل فيها عن الحرم، فسيل هذه الجبال من الجنوب في الحرم، وسيلها من الشمال في الحل.

المُرَيْر : ومن ثنية الرَّحَا يتجه الحرم غرباً بسلسلة جبال حتى يصل إلى ثنيّة المُرَيْر ـ تصغير مُرّ ـ وعلى قمم هذه السلسلة أعلام كثيرة تزيد عن العشرين مُنْدَثِرَةٌ وباقي مؤنتها من الحجارة والنورة عندها. وماسال من هذه الجبال شمالاً فهو في الحل وماسال منها جنوباً فهو في الحرم.

ثم بعد ثَنِيَّة المرير تستمر سلسلة جبال متجهة إلى الغرب تطل على وادي الجوف، ووجدنا في قِمَمِها أعلاماً كثيرة بين كل علم عن الآخر نحو خمسين متراً وهي مهدمة وآخر علم منها يبعد عن ثنيَّة المرير بنحو كيل ونصف كيل.

قال ابن اسحاق في السيرة: وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المُرار بركت ناقته فقال الناس: خَلأَتْ ناقته فقال: «ماخلأت وماهو لها بِخُلُقٍ ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطَّةٍ يسألونني فيها صلةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها» قال ياقوت: وثنية المُرَار مهبط الحديْبِيَةِ.

وبعد سلسلة تلك الجبال تستمر حدود الحرم على الأمكنة الآتية:

الراحة: على يمين الذاهب إلى جدة.

الجُحْفَة: ردهة يجتمع فيها الماء يقال لها: النحاير: وبعض النحائر في الحل

وبعضها في الحرم، وهي على يمين الذاهب إلى جدة.

الأعشاش: ردهة تتصل من الشرق بالنحائر ومن الغرب بالحديبية وتسمَّى الآن الشميسي ــ بعض الأعشاش في الحرم وبعضها في الحل فما أقبل من الأعشاش شمالاً فهو حل وسيله يتجه إلى مر الظهران وما أقبل منه جنوباً فهو حرم لأن سيله يصب في المرير من الحرم.

الحديبية: ثم اتجهنا إلى ــ أعلام الشميسي ـ الحديبية ـ وفيها العلمان الكبيران اللذان يمرُّ بهما طريق مكة إلى جدة القديم المار بِحَدَّة ثم بحرة ثم أم السلم.

ولم أعثر على تاريخ هذين العلمين ولا من بناهما. وإنما الذي وجدته للشيخ طاهر الكردي قوله: يوجد علمان عند الشميسي المسمى قديماً بالحديبية بطريق جدة وهما يقابلان الكيلو ــ ١٩ ــ يعني من مكة.

وهذان العلمان قديمان يقعان في الطريق القديم لقافلة الجمال ثم إنه في جمادى الأولى من سنة (١٣٧٦هـ) ست وسبعين وثلاث مئة وألف بُني علمان آخران في مقابلة العلمين القديمين، وبنيا في طريق السيارات المزفلت عند الكيلو ــ ١٩ ــ وكان ذلك بأمر صاحب الجلالة الملك المعظم سعود بن عبدالعزيز آل سعود وفقه الله تعالى لكل خير. انتهى.

قال ياقوت الحموى وغيره: الحُديبية قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عندها مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ أصحابه تحتها، وبعض الحديبية في الحلِّ وبعضها في الحرم، وهي أبعد الحلِّ من البيت، وليست في طول الحرم ولا في عرضه بل هي في مثل زاوية الحرم فلذالك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم ــ انتهى. وتسمى الآن ــ الشميسي ــ بسبب أحجار فيها حمر تعمل منها الرُّحيّ.

وبئرها المذكورة تسمى الهديبة ــ وأخبرني الشيخ محمد حسين نصيف رحمه الله أنه كان يسكن عندها رجل ليس بعربي وكان يسقي الناس منها ويسميها بلغته ــ الهديبة ــ فنسي الاسم الصحيح وبقي الاسم المحرف.

فتحقق لنا أن في الشميسي أربعة أعلام اثنان قديمان على الطريق الحالي وكان طريق الإبل وغيرها في القديم، والعلمان الآخران بِحَذْوِهِمَا من الجنوب، أمر ببنائهما الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله.

وبعد أعلام الشميسي اتجهنا جنوباً إلى (أظلم) جبل يمتد من الشمال إلى الجنوب ويقطعه طريق جدة إلى مكة الجديد السريع وبين طرفه الشمالي وبين الشميسي نحو ثلاثة أكيال أما جبل أظلم فيمتد إلى طريق الليث بطول بنحو سبعة أكيال، ووجدنا عليه سبعة أعلام متهدمة.

وفي الوقوف الأول عام (١٣٨٥هـ) لم يكن عند الهيئة تردد في أنه حَـدٌّ للحرم.

أما في هذه المرة عام (١٤٠٠هـ) فصار عند الشيخ عبدالله بن مَنِيع والشيخ محمد بن سُبَيِّل بعضُ التردد، في كونه حـداً إلاَّ أن المرافقين من السكان وأهل الخبرة لم يترددُوا في صحة الحد، واعتبارهم إياه حَداً يتوارثونه مع وجود الأعلام فيه، ومحاذاته لأعلام الشميسي.

الدومة: ومن سلسلة جبل ـ أظلم ـ اتجهنا نحو الشرق مع سهل ممتد قال المرافقون: إن هذه بلدان لجماعة من الأشراف يقال لهم العرامطة يسمَّى ذالك السهل أم هشيم، حتى وصلنا هضبة تسمى الدومة الجنوبية ـ ووجدنا فيها علماً مندثراً.

البشائم: ثم في نفس الاتجاه ذهبنا إلى البشائم ـ قال الأزرقي: البشائم ردهة تمسك الماء فيما بين أضاة لُبْن بعضها في الحل وبعضها في الحرم.

اضاة لبن: وبالقرب من البشائم في نفس الاتجاه أضاة لبن ـ قال الأزرقي: أضاة لبن في طريق اليمن من جهة تهامة وأنصاب الحرم على رأس جبل غراب، بعضه في الحل وبعضه في الحرم.

وقال ياقوت: أضاة لبن من حدود الحرم على طريق اليمن. انتهى.

وقال الفاكهي: وأما لبن فهو في طرف أضاة لبن، والأضاة هي الأرض ولبن

هو جبل طويل له رأسان والأضاة من أسفله.

غُرَّاب: بضم الغين المعجمة وتشديد الراء ــ: جبل يلي أضاة لبن بعضه في الحل وبعضه في الحرم. قال الأزرقيُّ: غراب جبل بأسفل قرية بعضه في الحل وبعضه في الحرم.

البيبان: على نفس طريق اليمن فيها أكمات بينها منافذ تشبه البيبان، وعلى تلك الأكمات أعلام واضحة هي حدود الحرم.

مهجرة: ويليها من الشرق جبل أسمر يقال له مهجرة، وفيه علم قديم. ووضعنا عليه مسمار حديد في الوقوف الأول عام ــ ١٣٨٥هـ . ووجدناه في الوقوف الثاني عام ١٤٠٠هـ .

صيفي: وفي شرق جبل مهجرة قرن صغير أبيض يقال له صيفي عليه علم وهو في سمت مهجرة نحو الشرق.

عارض الحصن: ثم يمتد حد الحرم من القرن المسمى صيفي إلى سلسلة جبال تمتد من الغرب إلى الشرق يقال لها عارض الحصن، فماسال من سلسلة تلك الجبال شمالاً فهو حرم، وماسال منها جنوباً فهو في الحل.

والحدود الثلاثة مهجرة وصيفي وعارض الحصن في بلدان زراعية تسمى الحُسَيْنية.

قرن العميرية: ومن عارض الحصن يتصل الحدُّ بضفةً وادي عُرَنَة الغربية وهي نهاية حَـدِّ الحرم من هذه الناحية، وعلى ضفة الوادي جبل يقال له ــ قرن العميرية. نسبة إلى بلاد زراعية تحته.

نمرة: ومن قرن العُميرية يُسامِته على ضفة الوادي المذكور جبال نَمِرَةَ التي هي حَـدُّ الحرم والتي كان منها ابتداء التحديد. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

مكة المكرمة: عبدالله بن عبدالرحمن البسام

أحوال شبه الجزيرة العربية
قبل قيام الدولة السعودية الأولى

أولاً : الحالة السياسية : ـ لقد كانت الحياةُ السياسية في شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى ـ وبالتحديد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري الموافق للثامن عشر الميلادي ـ مضطربة يسودها الانقسام، وتعمُّها الفرقة وعدم الاستقرار، وتكثر فيها الإمارات والمشيخات .

فَبِالنِّسْبَةِ للحالة السياسية في منطقة نجد فإنها اتسمت بالتفكك السياسي، والصراع الدائم حول السلطة بين حكام المنطقة من أمراء مدن وشيوخ قبائل، فلم يكن فيها عند قيام الدولة السعودية وظهور الدعوة الإصلاحية دولة قوية توحدها بكاملها وتلمُّ شملها، لها نظمها وأوضاعها الثابتة المستمدة من الشريعة الإسلامية، تعمل على تحقيق كل مافيه الخير لسكانها، ورعاية مصالحهم، والسهر على أمنهم وسلامتهم، فتقوم مثلا بجبي الزكاة من سكانها، وتمنع عنهم العدوانَ بكل أنواعه وأشكاله وأهدافه، وتعاقب الفسقة والجناة والظلمة، على ما اقترفوه من ذنب على حسب أحكام الشريعة الإسلامية، وتنصر المظلوم على الظالم، وتهتم بكل مافيه خير البلاد والعباد، بشكل عام يغطي كامل منطقة نجد وليس جُزْءاً صغيراً منها. بل كان أمراء المدن وشيوخ القبائل هم المسيطرون كل منهم في دائرته أو مدينته أو قبيلته، لهم الحكم المطلق على مدنهم أو مناطقهم أو قبائلهم، والسلطة العليا فيها. وغالباً ماكانت أحكامهم تسير على حسب رغباتهم الشخصية وليس على حسب أحكام الشريعة الإسلامية.

ومما زاد الحالة سُوْءاً أنَّ معظم هذه الإمارات والمشيخات كانت في حالة تناحر وتصارع مع بعضها، والحروب مستمرة فيما بينها، مما جعل كل إمارة تعيش في حالة خوف ورعب مستمر.

وأهم تلك الإمارات في نجد في تلك الفترة هي : ـ

١ ــ إمـارة آل سعود في الدّرعية، وهي أقدم الإمارات في نجد حيث تأسست على يد كل من مانع الـمُرَيْدِي وعلي بن دِرْع حوالي عام ٨٥٠ هـ. كما أنها أكثر الإمارات استقراراً، وخاصة عندما تولى الإمام محمد بن سعود الإمارة فيها عام ١١٣٩هـ/ ١٧٤٤م، والذي عمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وعدم الاعتداء على جيرانه، فعاشت إمارته في أمن ورخاء وسلام[١].

٢ ــ إمارة آل مُعَمَّرٍ في العُيَيْنَةِ: وهي من أقدم وأقوى الإمارات في نجد أيضاً، وخاصة في عهد أميرها عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن مُعَمَّرٍ، الذي تولى الإمارة خلال الفترة ١٠٩٦هـ ــ ١١٣٨هـ.[٢] ولكن بالرغم من قوة العُيَيْنَةِ فإنَّ هذه القوة لم تصل بها إلى درجة الاخلال بميزان القوى السياسي والعسكري لصالحها[٣].

٣ ــ إمارة دِهَامِ بن دَوَّاس في الرياض.

٤ ــ إمارة آل زامل في الخرج واليمامة.

٥ ــ إمارة آل حُجَيْلَان في القصيم.

٦ ــ إمارة آل عليٍّ وآل شَبِيب في حائل.

أما بالنسبة للقبائل في نجد فإنه كان لكل شيخ قبيلة السلطة المطلقة على قبيلته وأماكن سكناها. ومؤهلات الزعامة السياسية في بادية نجد آنذاك هي المؤهلات التي كان توفرها ضرورياً للوصول إلى مركز القيادة لدى القبائل العربية في العصور المختلفة. وإذا كان من المسلم به أنَّ أصالة النسب كانت متوافرة لدى أسرة القبيلة كلها فإنَّ التفاوت بين الأفراد كان نتيجة لأمور أخرى كالكرم والشجاعة والحلم وسداد الرأي. ومتى ازداد توافر هذه الصفات في أحد رجال القبيلة ازدادت فرص تقلده مركز قيادتها.

ومع أن زعيم القبيلة كان يختار حسب مؤهلاته القيادية الذاتية من قبل رؤساء العشائر والبطون ــ ومن وراءِ هؤلاء وأولئك بقية الأفراد ــ فإنَّ قرب الفرد نسبياً من الزعيم السابق كان من بين مرجحات زعامة من سيخلفه. ولهذا نلاحظ أن

الزعامة لا تخرج في غالب الأحيان عن أسرة الزعيم السابق نفسها، حتى أصبحت لدى كثير من القبائل وراثية أسرية تقليدية[٤].

هذا ويجب أن نعلم أن الصراع حول السلطة كان أمراً مألوفاً في تاريخ جميع الأُسَرِ في مختلف بلاد العالم، وعلى مر عصور التاريخ، وأن نسبة ذالك الصراع كانت تتأثر عادة باختلاف الظروف والأحداث التي تمر بها المنطقة. وبذالك فإنه ليس غريباً أن تكون تلك الإمارات في نجد في حالة صراع شديد فيما بينها، ذالك لأن المنطقة كانت في تلك الفترة تمر بظروف وأحداث سياسية كان لها دورها في خلق ذالك المناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وعلى ضَوْءِ ذالك أصبح التفكك السياسي في نجد نتيجة طبيعية، فغدت كل بلدة تشكل إمارة مستقلة بذاتها، لها علاقتها الودية أو العدائية مع جيرانها. وتحتم على كل أمير أن يجمع قواته وأعوانه ويصبح في حالة استعداد عسكري دائم للدفاع عن إمارته، وربما تستدعيه الظروف إلى مهاجمة خصمه، والحصول منه على ما أمكن من غنائم، وبذالك كانت القوة هي الحل الوحيد لكثير من المشاكل[٥].

ويؤيد ذالك ماذكره عثمان بن بشر في وصفه للحالة السياسية في نجد في تلك الفترة، فيذكر أن بلاد نجد كانت (موضع الاختلاف والفتن، ومأوى الشرور والمحن، والقتل والنهب والعدوان، بين أهل القرى والبلدان، ونخوة الجاهلية بين القبائل والعربان، يتقاتلون في وسط البيوت والأسواق، والحروب بينهم قائمة على قدم وساق، وتعذرت الأسفار من قديم وحديث، والطيب فيها مغلوب تحت يد الخبيث، فقام الشيخ رحمه الله تعالى بهذا النور، وزالت هذه الشرور، وقام ملوك (آل سعود) بالجهاد فملكوها، وجهزوا الجيوش لأقصى نواحيها وسلوكها)[٦].

أما بالنسبة للأحساء فإنها انضمت إلى الدولة العثمانية في عام ٩٦٠هـ الموافق ١٥٥٢م[٧]، وذالك عندما وجه السلطان سليمان خان بن السلطان سليم جيشاً كبيراً من العراق إلى الأحساء، وجعل قيادته بيد القائد محمد باشا الملقب بـ (فروخ) وقد تمكن هذا الجيش من ضم الأحساءِ للدولة العثمانية في العام نفسه. وكان هذا الجيش يضم أعداداً كبيرة من أبناء القبائل القاطنة في جنوب العراق،

ومن أهمها قبيلتا المُنتفق والظَّفير.

وقد أقامت الدولة العثمانية حكماً عسكرياً عثمانياً في الأحساء، واتخذت من الهفوف عاصمة للمنطقة، واعتبرت منطقة الأحساء الخطُّ الدفاعي الشرقي عن الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أنها أسست في الْعُقَير والقطيف قواعدَ بحرية ثابتة للدفاع عن المنطقة من أيِّ تدخل أجنبي. وقد استمر الحكم العثماني فِي الأحساءِ حتى عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م[٨]، تعاقب على الحكم فيها عدد من الولاة العثمانيين. ففي ذالك العام تمكن بَرَّاكُ بن عبدالعزيز بن عثمان بن سعود بن ربيعة آل حميد، من قبيلة بني خالد من الاستيلاء على السلطة في الأحساء وإخراج الولاة الأتراك منها. ولم تستطع الدولة العثمانية مقاومته، وذالك لانشغالها في منازعات وحروب في جهات متعددة من الدولة، ولالتفاف القبائل في المنطقة حول بَرَّاكٍ وتأييدهم له.

وقد اهتم براك بتأسيس حكم بني خالد في الأحساء، وجعل من مدينة الْـمُبَرَّزِ عاصمة ومركزاً لحكمه، كما أنهى الحكم العثمانيَّ في الأحساء وحارب قبائل الظَّفير الواقعة جنوب العراق وذالك لأنها ناصبته الْـعِدَاء، وحاولت الاستيلاء على القطيف، أحد المنافذ البحرية الهامة لمنطقة الأحساء بعد ميناء الْـعُقَيْر. ولايستبعد أن يكون للوالي العثماني في العراق يَـدٌ في هذا الصراع، لأنه كان يشق عليه أن تخرجَ الأحساء من يده. ولذلك نجده يُشجع القبائل المتاخمة حدودها لمساكن بني خالد، مثل قبيلتي الظفير والمنتفق على محاربة بني خالد، ومحاولة اخراجهم من الأحساء، لكن بَرَّاكاً تصدَّى لهذا التحرك واستطاع أن يتصدى لقبيلة الظفير ويبعدهم عن المنطقة. وقد استمر حكم براك حتى عام ١٠٩٣هـ الموافق ١٦٨٢م، وجاء من بعده أخوه محمد، وكان حسن السيرة والسلوك، كريماً متواضعاً. وعندما تولى الحكم خصص لكل طائفة من بني خالد منزلاً، وعين عليهم شيوخاً منهم، ومنحهم الأراضي لرعي مواشيهم وإبلهم، وسعى إلى استمرار قبيلته في السلطة.

وقد حاول محمد مَـدَّ سلطته إلى نجد لكنه فشل في ذلك. وقد توفي محمد في

عام ١١٠٣هـ الموافق ١٦٩١م، فتولى من بعده ابنه سعدون، فسار على نهج أبيه. كما أنه حارب قبيلتي الظفير والفضول لموقفهما العدائي ضد قبيلته، واستمر حكمه حتى وفاته عام ١١٣٥هـ الموافق ١٧٢٢م. وبعد وفاته انقسم الحكم في بني خالد، واستمر هذا الانقسام والصراع الداخلي بين أسرة بَرَّاكٍ والأسر الأخرى مدة من الزمن، حتى جاء علي بن محمد بن عريعر وتسلم زمام السلطة في بني خالد، بعد صراع عنيف مع أبناء عمومته، وقد استمر حكمه حتى عام ١١٤٣هـ الموافق ١٧٣٠م، حيث قتل في ذالك العام. وقد تولى من بعده أخوه سليمان، الذي في عهده اتسع حكم بني خالد حتى شمل منطقة نجد بكاملها، وفي عهده نشطت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، فعمل على محاربتها وإجبار عثمان بن مُعَمَّرٍ على إخراج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العُيَيْنَةِ في أواخر عام ١١٥٧هـ الموافق ١٧٤٤م، لأنه أحسَّ أن تطبيق أحكام الشريعة سوف يزعزع حكمه وزعامته، لأنه لا يسير في أحكامه حسب الشريعة الإسلامية بل حسب أعراف وتقاليد قبيلته. ولذالك أعلن العداء لهذه الدعوة، وأخذ يعمل لمحاربتها. وحيث أنه كانت له بعض السيطرة المادية على عثمان بن معمر أمير العيينة في تلك الفترة، فإنه طلب منه قتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو بعثه إليه، أو على الأقل إخراجه من العُيينة. وقد أنذره إن لم يفعل ذالك بِأنه سوف يقطع عنه جميع المعونات المادية التي كان يرسلها إليه، كما سيقطع عنه ريع مزارعه التي يملكها في الأحساء، والتي يقدر ريعها بنحو ستين ألف جنيه عثماني من الذهب[٩]. ويظهر أن عثمان بن معمر فضل الناحية المادية على الناحية الدينية، ولذالك أبلغ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأن عليه ترك العيينة، والاتّجاه إلى أية إمارة أخرى، وذالك لأنه كان يخشى من بطش سليمان الحميدي، وقطعه للمعونات المادية وريع مزارعه بالأحساء التي كان يرسلها له وبخاصة أن تلك الموارد كان لها أثرها الكبير على الناحية الاقتصادية في العيينة، فإذا ما انقطعت فإنَّ العيينة ربما تعيش أزمة اقتصادية كبيرة. وقد حاول الشيخ محمد بن عبد الوهاب صرف عثمان بن معمر عن موقفه ضده، وأن الله سوف يجعل له نصراً قريباً، لأن الله ينصر من ينصره لكن الأمير عثمان بن معمر استمر على موقفه، فلما وجد الشيخ محمد بن عبد

الوهاب أنه لابد له من الرحيل، فكر مليًا في الأمر، فوجد أن أحسن مكان لهذه الدعوة هو مدينة الدرعية، وذالك للأسباب التالية: ـ

١ ـ معرفته التامة بأميرها الأمير محمد بن سعود وحسن سيرته.

٢ ـ حرص الأمير محمد بن سعود على تطبيق الشريعة الإسلامية بين رعيته.

٣ ـ أن الأمير محمد بن سعود يعتبر أميراً مستقلاً في إمارته ولايعتمد على مساعدات خارجية أيًا كان نوعها من أيّة إمارة أو قبيلة في نجد أو غيرها.

٤ ـ قوة الدرعية ومناعتها إذا قورنت بقوة الإمارات الأخرى المحيطة بها، فلقد استطاعت صَدَّ غزوة سعدون رئيس الأحساء التي وجهها إليها عام ١١٣٢هـ.

٥ ـ قرب الدرعية لمدينة العيينة.

٦ ـ استقرار الحكم فيها.

٧ ـ وجود عدد كبير من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أسرة آل سُوَيلم أو غيرهم ممن رحلوا من الدرعية. ولذالك خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة في أواخر عام ١١٥٧هـ الموافق ١٧٤٤م واتجه إلى الدرعية. وعندما علم الأمير محمد بن سعود بوصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية استقبله خير استقبال هو وإخوته وأكرم وفادته وناصر دعوته(١٠).

استمر سليمان في حكم الأحساء فترة من الزمن حتى أبعدته أسرته، نظراً لسلوكه السيِّءِ ففرَّ إلى الخرج، ومكث بها بعض الوقت وتوفي بعد ذالك في عام ١١٦٦هـ الموافق ١٧٥٢م، فتولى من بعده عريعر بن دُجَيْن بن سعدون بن محمد ابن غُرير الحميدي، فاستمر في مواصلة الحرب ضد آل سعود في الدرعية، فقاد ثلاث حملاتٍ كانت نتائجها جميعها الفشل. ويمكن دراسة تلك الحملات ضمن دراسة تاريخ الدولة السعودية والتي استطاعت محاربة بني خالد في الأحساء وضم الأحساء نهائياً للدولة السعودية في عام ١٢٠٨هـ الموافق ١٧٩٣م.

وقد أصبح الأحساء بعد ذالك جزءاً من الدولة السعودية فنشر فيه آل سعود العدل والأمن والاستقرار.

أما إقليم الحجاز فكان تابعاً للدولة المملوكية حتى عام ٩٢٣هـ الموافق ١٥١٧م[١١] حيث انضم تلقائيا وبدون قتال في ذالك العام إلى الدولة العثمانية، وذالك عندما أوفد الشريف بركات الثاني حاكمُ الحجاز ابْنَهُ أبا نُمَيٍّ إلى السلطان سليم الأول ومعه خطاب يعلن فيه ولاءه وانضمامه إلى الدولة العثمانية.

وقد كانت الحالة السياسية في الحجاز بعد دخوله تحت النفوذ العثماني (ضرباً من الفوضى والفتن والاضطرابات والاستبداد مما لا مزيد عليه)[١٢]. وذالك لتنازع الحكام المحليين على السلطة في البلاد، مما أغرق البلاد في حروب دامية جرت ويلاتها على السكان الأبرياء. وللحد من تلك الصراعات الأُسَرِيَّةِ على الحكم فإنَّ العثمانيين سعوا أخيراً إلى الْـحَدِّ من سلطة الأشراف، حيث أنهم كانوا يرسلون إلى مكة والياً يمثل السلطان، ومحافظاً في المدينة المنورة، وعدداً من القادة العسكريين برتبة قائد لقيادة الفرق العسكرية في كل من مدينة جـدَّةَ وميناء ينبع والطائف.

وبانضمام الحرمين الشريفين للدولة العثمانية أصبح السلطان العثماني يعتز بأن يلقب بخادم الحرمين الشريفين، كما أصبح لزاماً على الخطباء في الحجاز كما في غيرها من ولايات الدولة العثمانية، الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة والأعياد.

ولقد أصبح تعيين شريف مكة خاضعاً لموافقة السلطان العثماني، ولمدة لاتزيد عن عام واحد فقط، يتم تجديد ها بإرادة سلطانية، بعد موافقة السلطان في بداية كل عام.

أما بادية الحجاز فَحَدِّثْ ولا حرج، من قطعهم للطرق وإخافَةِ السبل، وغدر بعضهم البعض، وجهلهم الواسع بأمور الدنيا والدين، وبعدهم عن تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم[١٣].

وهكذا نجد أن السلطة في المدن الكبيرة في الحجاز كانت بيد القادة الأتراك.

أما البوادي فتركوا أمرها الكامل إلى شريف مكة، يقوم على إدارتها وفَضّ منازعاتها، إلاأنه على الرغم من كل ذالك فإن الصراع بين البادية فيها بينهم وبين السلطة الحاكمة لم يتوقف. ذالك لأن البادية كانت تتدخل بين الحين والآخر في شؤون الأقليم، فيحدث نتيجة لذالك صراع مرير بين البادية وبين القوات التركية المرابطة في الحجاز مما يغرق المنطقة في حروب دامية واضطرابات واسعة لفترة طويلة.

ومنذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري بدأ الضعف يدب في كيان الدولة العثمانية، نتيجة لفساد الكثير من نظمها الداخلية، والتي كان بعضها بعيداً عن الروح الإسلامية قلباً وقالباً، ولكثرة الحروب التي شنتها كل من روسيا والنمسا ضدُها، بغية تصفية ممتلكاتها في أوربا أولاً، ثم القضاء عليها ثانية. وقد انعكس هذا الضعف بصور متفاوتة على البلاد العربية الخاضعة للحكم العثماني. ولقد كان الحجاز بصورة عامة، ونجد والأحساء بصورة خاصة من جملة تلك المناطق التي لم تجد من الدولة العثمانية العناية المطلوبة والحماية القوية، حتى كادت تقع فريسة للاستعمار الأوربي المتربص بها والطامع في موقعها وثروتها(١٤).

أما منطقة عَسِير فقد كانت في بداية القرن الثاني عشر الهجري تعيش في عزلة تامة عن سائر أجزاء شبه الجزيرة العربية وذالك بحكم صعوبة مسالكها، ووجود قمم جبالها العالية، وكانت الفوضى والمنازعات تعمُّ جميع مدنها، وذالك لأن السلطة فيها كانت غير قوية(١٥).

وفي عام ١٢١٥هـ قام محمد بن عامر أبو نُقطة أحدُ رؤساء عسير آنذاك بزيارة للدرعية، والاتصال بالإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود. وقد رحب به الإمام عبد العزيز وأحسن إكرامه، واتفق الاثنان على محاربة البدع والخرافات، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. كما قام الامام عبد العزيز بإرسال قوة عسكرية كبيرة لمساندة محمد بن عامر في تحركاته. وبعد ضم الحجاز للدولة السعودية الأولى عام

١٢٢١هـ، تم ضم عسير بكامله وأصبح جُزْءاً من الدولة السعودية الأولى حتى سقوطها عام ١٢٣٣هـ.

أما بالنسبة لليمن فلقد خضع للسيادة العثمانية منذ أن تَمَّ للعثمانيين ضم مصر والحجاز للدولة العثمانية بعد سقوط الدولة المملوكية. ولقد اتبع السلطان العثماني نفس السياسة التي اتبعها في إخضاع الحجاز، وذالك بأن أرسل بعثة إلى اليمن تحمل أمره للقائد المملوكي إسكندر الجركسي والي زبيد وما حولها، ودعاه بأن يكون والياً على اليمن من قبل الدولة العثمانية. فقبل اسكندر هذه الدعوة وقام بإكرام وفادة البعثة، وكان ذالك في عام ٩٢٥هـ الموافق ١٥١٩م. لكن هذا الخضوع كان بداية صراع داخلي عنيف بين القادة في اليمن، مما اضطر الدولة العثمانية إلى إرسال أول حملة حربية بقيادة سليمان باشا الخادم في عام ٩٤٥هـ الموافق ١٥٣٩م، وذالك للقضاء على الاضطرابات والفتن هناك، وكان سليمان هذا قد تجاوز الثمانين من عمره، سفّاكا، ضعيف العقل عديم الرأى، فأنزل باليمن القتل والدمار. ثم إن الدولة العثمانية أرسلتْ والياً آخر هو مصطفى باشا، فكتب له النجاح في استقرار اليمن لمدة سبع سنوات، عادت بعدها الاضطرابات من جديد، فتم إرسال والٍ آخر هو سنان باشا في عام ٩٧٤هـ الموافق ١٥٦٨م، فاستطاع أن يعيد الاستقرار والأمن إلى بلاد اليمن لفترة قصيرة سرعان مانشب الصراع بعدها بين زعماء الطوائف ورؤساء العشائر والقادة، واستمر مدة طويلة من الزمن، وتأسست خلال تلك الفترة عدة دول صغيرة في اليمن، عاشت في صراع طويل فيما بينها وصراع مع قوة الأتراك العثمانيين.

ففي عام ١٠٠٦هـ الموافق ١٥٩٨م بدأ القاسم بن محمد في الدعوة له بالإمامة وأخذ في الظهور حتى استولى على مناطق كبيرة من اليمن، مما أرغم الدولة العثمانية على إبرام صلح معه، والاعتراف به كإمام على الجزء الأعلى من اليمن، وذالك في عام ١٠٢٨هـ الموافق ١٦١٠م. وكان القاسم بن محمد يأمل أن تتسع دولته وتشمل كافة بلاد اليمن، لكنه توفي في ربيع الأول عام ١٠٢٩هـ الموافق ١٦١٩م. فخلفه ابنه محمد الملقب بالمؤيد، وبقي على الصلح مع الدولة العثمانية

فترة قليلة انتقض بعدها الصلح، ونشبت الحرب في المنطقة حتى عام ١٠٤٥هـ الموافق ١٦٤٤م، حيث تم إخراج الجنود الأتراك من اليمن. وفي ذالك العام توفي محمد بن القاسم، فخلفه أخوه المتوكل الذي بلغت إمامته الذروة، وشمل سلطانه عدن وحضرموت بجانب اليمن الشمالي، وقد استمر حكمه حتى عام ١٠٨٧هـ الموافق ١٦٧٦م.

ومن بعد عهد المتوكل بدأ الضعف والاختلاف والتنافس يعمُّ كُلَّ أرجاء بلاد اليمن، وذالك لمعارضة حكام اليمن بعضهم البعض مما أشعل نار الفتنة والفرقة وأسال الدماء غزيرة في كل مدينة وقرية، ونتيجة لذالك انفصلت عدن ولَحْجُ ومعظمُ المناطق الجنوبية عن شمال اليمن، وانقسم شمال اليمن أيضاً إلى عدة مناطق.

وفي عام ١١٨٨هـ الموافق ١٧٧٤م تولى الإمامة علي بن المنصور بن العباس، وفي عهده دخلت تهامة ومعظم أرجاء اليمن تحت طاعة الدولة السعودية الأولى وأخذت الفتن تختفي تماماً وحل محلها الاستقرار والأمن(١٦).

أما عن بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية فقد كانت موزعة إلى عدة إمارات صغيرة كإمارة آل هذّال (؟) والمكرمي في نجران، وإمارات أخرى متعددة في الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية، وفي بِيْشَةَ ووادي الدواسر وعَسير، وكانت جميعها في حالة اضطرابات ومنازعات مستمرة.

وعلى أية حال يمكن أن نقول: إن الحالة السياسية في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدولة السعودية الأولى وبالتحديد خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري ـ الموافق للثامن عشر الميلادي ـ كانت مضطربة وتعيش مناطقها وإماراتها وقبائلها في حالة مليئة بالصراعات السياسية والاضطرابات الداخلية، وتسودها فوضى حكام المناطق وأمراء المدن وشيوخ القبائل، ويخيم عليها الرعب والخوف الذي لا ينقطع، وكانت الحروب التي تدور فيها تتلف الأخضر واليابس، وتقتل الأبناء وتدمر المدن وتتلف الزرع.

ثانياً: **الحالة الاقتصادية**: كانت موارد الرزق في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية محدودة جداً، ففي بعض الأودية والواحات نَجِدُ أنَّ معظم السكان يزاولون حرفة الزراعة على نطاق واسع، أما في المناطق الصحراوية فيزاول سكانها حرفة الرعي.

ويعتبر المطر من أهم العوامل الاقتصادية المؤثرة على حياة السكان في معظم مناطق شبه الجزيرة العربية، فالبادية تعيش على مراعيها التي تتأثر بعوامل الجدب والخصب في المنطقة، أما الحاضرة وهم سكان المدن والواحات فيعيشون على الزراعة في الأودية والواحات وحول المدن، وهم أيضاً يتأثرون بكمية المطر النازلة، حيث أن نزول الأمطار توفر لهم المياه في الآبار والعيون طوال العام، فيعيشون حياة مستقرة، كما أن زيادة مياه الآبار والعيون تساعد سكان تلك المناطق على الزراعة وتحسين المحصول الزراعي.

وتتحكم عوامل الجدب والخصب في استقرار وأمن وسلامة الحياة في المنطقة. ذالك لأن حالة الجدب تجعل اْلبَدْوَ يغير بعضهم على بعض، أو على من حولهم من الحاضرة في المدن والقرى، رغبة في الحصول من تلك المناطق على مايحتاجونه من مواد غذائية أساسية لحياتهم كالتمور والحبوب، مما يسبب أضراراً كبيرة لتلك الجهات. وفي الوقت نفسه نجد أن المناطق التي تتوفر فيها الخيرات تأخذ حذرها الشديد من أيِّ اعتداء مفاجيء، فتعمل على الوقوف بعنف لِصَدِّ أَيِّ تحرك يهدف إلى سلبها خيراتها، وخَاصَّة محصولها الزراعي. كما أن الخصب وانتشار المراعي في منطقة دون أخرى عادة مايكون مجالاً لقيام صراع عنيف بين القبائل وذالك عندما تحاول إحدى القبائل الرعي في مناطق غير تابعة لها، أو بعيدة عن مواطنها، فتنشب الصراعات الدامية بين القبيلتين، صاحبة تلك المناطق التي أكرمها الله بالمطر، وبين القبيلة المعتدية، فلا تهدأ حتى تنتصر إحداهما على الأخرى، وتزهق نتيجة لذالك أرواح بريئة.

كذالك فإنَّ غنى البادية ينعكس عادة على الحاضرة في كثير من الأحيان فالخصب والخيرات التي تكون في البادية تنصب على مدن وقرى الحاضرة، وذالك

حينها تجلب البادية للمدن المواشي ومنتجات الألبان من سمن وأقط (لبن مجفف) وأصواف وغيرها، وفي مقابل ذالك يأخذون من منتجات المدينة أو الواحة مايحتاجونه من حبوب وتمور ومنسوجات ومصنوعات خفيفة وغيرها. وهذا بدوره جعل من حواضر البلدان مراكز تجارية ممتازة، وخصصت كل مدينة يوماً خاصاً لاستقبال منتجات البادية وتسويق منتجاتها، وبذالك قامت أسواق تجارية حول المدن الرئيسة سميت بأسماء الأيام والأماكن التي تقام فيها، مثل سوق الخميس، أو سوق الإثنين ونحو ذالك.

أما في المناطق المطلة على البحار من شبه الجزيرة العربية فنجد أن معظم سكانها يشتغلون بصيد الأسماك، ويمتاز سكان السواحل الشرقية من شبه الجزيرة العربية باشتغالهم باستخراج اللؤلؤ من الخليج العربي، والاتِّجَارِ به على نطاق محلي أو خارجي، مما سهل إقامة علاقات تجارية بين تلك المدن الساحلية ومعظم دول العالم، وجعل أهلها ينعمون برخاء اقتصادي كبير، وفرص عمل كثيرة، مما ميزهم عن غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، ولذالك فلا غرابة أن تصبح الأحساء منطقةَ اجتذابٍ سكانيٍّ وبخاصة من سكان المناطق الداخلية في شبه الجزيرة العربية. كما أن هطول الأمطار الموسمية على منطقة عسير وبعض مناطق الحجاز جعلها مناطق رخاء اقتصادي، فكثرت فيها المحاصيل الزراعية وذالك نتيجة لغزارة الأمطار وخصوبة التربة.

كما قامت في معظم مدن شبه الجزيرة العربية صناعات محلية بسيطة كصناعة الخزف والفخار والجلود والمجوهرات والأواني النحاسية وغيرها.

واستفاد سكان الحجاز من الحج، فكان مورداً اقتصادياً هاماً لسكان المنطقة أو المناطق التي تمر بها قوافل الحجاج.

ثالثاً: الحيــاة الدينيـة: يصف لنا ابن بشر حالة نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى فيقول: (وكان الشرك إذْ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور)[١٧].

أما ابن غنام فيصف الحالة الدينية في نجد في تلك الفترة فيقول: (وكان غالب الناس في زمانه ــ أي في زمن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ مُتَضَمِّخِينَ بالأرجاس، متلطخين بوخم الأنجاس، حتى انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس، أُطْفِيءَ نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوى الأبصار والبصيرة، والألباب المضيئة المنيرة، وغلبة الجهل والجهال، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال، حتى نهجوا في تلك الطرائق منهجاً وعراً، ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرياً زوراً وبهتاناً، وزين لهم الشيطان أنهم بذالك ينالون أجراً .. فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فَجَدُّوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث، والخطوب المعضلة والكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات، وتفريج الشدائد والكربات، من الأحياء منهم والأموات، وكثير يعتقد النفع والإضرار في الجمادات، كالأحجار والأشجار، ويناجون ذالك في أغلب الأزمان والأوقات)[١٨].

ومعنى ذالك أن الضلالات والبدع والخرافات والأساطير حلت محل القيم الإسلامية الصحيحة، واضمحلت من نفوس معظم الناس تعاليم الإسلام، وتنظيماته الحكيمة، حتى أصبحت نَسْياً مَنْسِياً. ولم يكن هذا خاصاً بمنطقة نجد وإنما شمل معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية بل البلاد الإسلامية بكاملها.

على أنه من المؤكد أن التعميم الصادر من حسين بن غنام ثم عثمان بن بشر عن سُوْء الحالة الدينية في تلك الفترة مبالغ فيه إلى درجة كبيرة، لأن الكثير من المصادر التاريخية تثبت أن شبه الجزيرة العربية كانت خلال القرن الثاني عشر تعجُّ بالعلماء الذين تَحَلَّوْا بالصفات الحميدة والعلم الوفير، وكانت لهم مؤلفاتهم في كثير من العلوم، وبخاصة في علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد واللغة العربية وآدابها والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي[١٩].

وكانت المساجد تُؤَدِّي دورها في التعليم والإرشاد والتثقيف، وبخاصة في المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف في المدينة المنورة، وكذالك بعض المساجد في المدن الرئيسة في نجد والقصيم وحائل وغيرها. وكان

هؤلاء العلماء يقومون بواجبهم بشتى الوسائل لحث الناس على اتباع الطريق المستقيم، وترك المعاصي والبدع وعبادة الله وحده لاشريك له. فاهتدى على يدهم من اهتدى، ومن ضل وانحرف عن طريق الإسلام المستقيم فإنهم لم تكن لديهم القوة لقتاله، وإذا شَمَّرَ أحدهم عن ساعِدَيْهِ ووقف أمام الفئات الخارجة عن الدين الإسلامي، فإنه يجد أحياناً معارضة شديدة ليس من عامة الناس فقط، بل من أمراء المدن ورؤساء العشائر، تصل في كثير من الأحيان إلى القتل أو الإبعاد عن البلاد. وأكبر مُثَلٍ على ذالك موقف سليمان الحميدي حاكم الأحساء من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وطَلَبُهُ من أمير العيينة عثمان بن معمر اخراجُ الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة، عندما أعلن الشيخ معارضته للخارجين عن الدين الإسلامي، وأخذ في تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية.

لقد كانت الأمة في نجد وغيرها في حاجة إلى من يوحدها، وإلى مصلح ديني ينقذها من براثن الجهل وشوائب الشرك، ويوضح للخارجين عن طاعة الله طريقهم المستقيم وإلى حكومة قوية تعاقب الفسقه وتعمل على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ونشر الأمن والاستقرار والطمأنينة بين شعوب المنطقة. فتأخذهم إلى مدارج الخير والفلاح، ولذالك قامت الدولة السعودية بقيادة الإمام محمد بن سعود، وقامت معها دعوة الإصلاح ووجدت الدولة والدعوة التأييد والمناصرة من سكان المنطقة.

وهكذا أقام الإمام محمد بن سعود الدولة السعودية الأولى، وناصر آلُ سعودٍ الشَّيْخَ محمدَ بن عبد الوهاب ودعوته الاصلاحية، وذالك إيماناً منهم بالمسؤولية، ورغبة في العودة بالمجتمع إلى الطريق الإسلامي الصحيح، وإقامة شرائع الله بالعدل والإنصاف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يستقيم المجتمع ويعم فيه العدل والأمن والسلام والاستقرار، وبذالك قامت دولة قوية ذاتُ كيانٍ إسلامي، ودعائم إسلامية راسخة، وحَّدَتْ معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية في وحدة سياسية واحدة تسير على هدى الشريعة الإسلامية، وتشجب كل ماسوى ذالك.

رابعاً: **الحالة الاجتماعية**: ــ كان السكان في شبه الجزيرة العربية ينقسمون إلى قسمين رئيسين هما: البدو. والحضر. فالبدْوُ هم القبائل الرُحَّلُ، الذين ينتقلون من منطقة إلى أخرى طلباً للمرعى لأغنامهم وإبلهم ومواشيهم، ويعيشون في بيوت من الشعر، وهم بطبيعتهم أَلِفُوا حياة التنقل، ولا يميلون إلى الاستقرار، ويمتازون بالخشونة والصبر على تحمل المشقة. وكانت الصراعات بينهم لاتتوقف خاصة على الأماكن الغنية بالعشب من أجل رعي مواشيهم.

أما الحضر: فهم سكان المدن والواحات والقرى، ويتمتعون بصفة الاستقرار، ويعملون عادة بالزراعة والتجارة والصناعة اليدوية المحدودة. وكانت لهم صلاتٌ وثيقة مع البادية تجاريةً واجتماعية. والحضر: هم معظمهم في الأصل من البادية، لكن استقرارهم في المدن والواحات والقرى أعطاهم صفة التحضر والاستقرار ومعظم الحضر ينتمون إلى قبائل عريقة.

ويخضع البَدْو لِتنظيمات قبلية وأعراف وتقاليد بعضها تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وينقسم البدْوُ إلى عدة قبائل تحتل مناطق محدودة ولكل قبيلة شيخ له السلطة الكاملة على أفراد قبيلته، وهو المسؤول عن كل مايحدث في القبيلة، وعليه يترتب الدفاع عن أفراد قبيلته عندما تتعرض لأي أخطار من قريب أو بعيد، وعليه أيضاً تقوم مسؤولية تنظيم أمور القبيلة سواء ما يتعلق منها بالقبيلة نفسها أو بعلاقتها بالقبائل المجاورة له. وعليه أيضاً المحافظة على سمعة القبيلة ومكانتها بين القبائل، وقد يلجأ بعض شيوخ القبائل إلى تحكيم بعض الأعراف والتقاليد في الأمور الخاصة بالقبيلة جهلاً منه بأحكام الشريعة الإسلامية.

أما سكان المدن والواحات والقرى فإنهم يخضعون لأمير أو حاكم، ويعتبر هذا الأمير أو الحاكم صاحب السلطة العليا في إدارة شؤون المدينة أو الواحة أو القرية. ومن أهم مسؤولياته العمل على نشر الأمن والعدل في مدينته أو قريته، وَصدُّ الأخطار عن السكان الذين هم تحت حكمه وذالك بقدر المستطاع.

وسكان المدن أكثر التزاماً للأحكام الشرعية من البادية، ويعتمدون في تطبيق

هذه الأحكام على بعض العلماء كمدرسين وقضاة ودعاة.

والحياة في المدينة مستقرة وثابتة وتحيط بكل مدينة أسوار منيعة عليها بوابات تفتح نهاراً فقط، وذالك لحماية المدينة من أي اعتداء خارجي.

الدكتور عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش

الحواشي:

(١) عثمان بن بشر: «عنوان المجد في تاريخ نجد» جـ ١، ص: ٢٣١.

(٢) ابن غنام، روضة الأفكار، جـ ٢، ص: ٣٢.

(٣) د. عبدالله صالح العثيمين: «نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، الدارة، العدد الأول، السنة الرابعة، ربيع ثاني ١٣٩٨هـ. مارس ١٩٧٨م، ص: ٢٥.

(٤) نفس المصدر السابق ـ ص: ٢٦.

(٥) د. عبدالله العثيمين: المرجع السابق، ص: ٢٣ ـ ٢٤.

(٦) «عنوان المجد في تاريخ نجد» جـ ٢، ص: ٣.

(٧) Mandaville, J. The Ottoman Province of "Al-Hasa in the sixteenth and seventeenth centuries," Journal of the American Oriental Society, 1970: 90/488.

انظر أيضا تعليق الدكتور عبدالله العثيمين على هذا التاريخ في كتابه تاريخ المملكة العربية السعودية، جـ ١، هامش، ص: ٣٠.

(٨) عثمان بن بشر: «عنوان المجد» جـ ٢، ص: ٢١١. بينما يرى محمد بن عبد القادر في كتابه «تحفة المستفيد» جـ ١، ص: ١٢٣. أن نهاية الحكم العثماني كان في عام ١٠٨١هـ الموافق ١٦٧٠م.

(٩) أبو حاكمه: «تاريخ الكويت»، جـ ١، ق ١، ص: ٧٦.

(١٠) حسين بن غنام: «روضة الأفكار والأفهام» (مخطوط في المكتبة المركزية بجامعة أم القرى بمكة تحت رقم ١٤٦٣) ورقة ٨٩. أنظر أيضا مؤلف مجهول، «كيف كان ظهور شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب» تحقيق الدكتور عبد الله الصالح العثيمين، (الرياض: ١٤٠٣هـ)، ص: ٥٦ ـ ٥٧.

(١١) للمزيد من المعلومات حول أحوال الحجاز تحت حكم المماليك أنظر: علي بن حسين السليمان: «العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك» القاهرة ١٣٩٣هـ.

(١٢) عبد الرحمن البهكلي: «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود»، تحقيق: محمد أحمد العقيلي، ص: ٣٠.

(١٣) عبد الرحمن البهكلي: المصدر السابق، ص: ٣٠ ـ ٣١.

(١٤) للمزيد من المعلومات أنظر: محمد كمال الدسوقي: «الدولة العثمانية والمسألة الشرقية»، ص: ٢٨٤ ومابعدها، ومحمد أنيس: «الدولة العثمانية والشرق العربي» ص: ٢١٤ ومابعدها.

(١٥) عبد الرحمن البهكلي: المصدر السابق، ص: ٣٦.

(١٦) عبد الرحمن البهكلي: المصدر السابق، ص: ٣٣ ـ ٣٦.

(١٧) عنوان المجد: (الطبعة الأولى: ١٣٤٩هـ)، ج ١، ص: ٦.

(١٨) روضة الأفكار (الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ) جـ ١، ص: ٧ ـ ٨.

(١٩) انظر الكتب التالية: عبد الله البسام، «علماء نجد في ستة قرون»، وعبد الرحمن آل الشيخ: «مشاهير علماء نجد»، وكتاب «علماء الدعوة» وعمر عبد الجبار: «دروس من ماضي التعليم في المسجد الحرام» ومحمد آل عبد القادر: «تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء في القديم والجديد».

٢ ـ «الأمثال والحكم»

للإمام أبي الحسن الماوردي المتوفى ٤٥٠ هـ .

تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الحرمين للطباعة والنشر ، الدوحة قطر ١٤٠٣/١٩٨٣ ـ ٢٣٣ صفحة + ٣، مطابع الباكر ، سلسلة (من ذخائر تراثنا الإسلامي) .

١ ـ المؤلف : علي بن محمد بن حبيب الماوَرْدي .

٢ ـ للمحقق صلة سابقة بالمؤلف ، فقد صدر له بالاشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود «أبو الحسن الماوردي ، من أعلام الإسلام» ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٣٩٨/١٩٧٨ .

وحقق له بالإشتراك مع الدكتور محمد سليمان داود «قوانين الوزارة» صدرت طبعته الثانية بالاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ١٣٩٨/١٩٧٨ .

ويَعِدُ بأعمال أُخْرَى منها «نصيحة الملوك» و«الأحكام السلطانية» .

٣ ـ يقع الكتاب في عشرة فصول يتألف الفصل منها من ثلاثة مطالب : آداب رسول الله ﷺ ـ يقصد الأحاديث ـ ، أمثال الحكماء ، الشعر .

٤ ـ ولاتَسْتَغْرِبْ ـ ولك أَنْ تَسْتغْرِبَ ـ أنَّ الماورديَّ لم يذكر بيتاً واحداً للمتنبي ـ وهو مَنْ هُوَ في الحكمة ، بل أنه لم يَكَدْ في (مختاراته) يتعدَّى العصر الأمويَّ ، إن تعداه قليلاً ؟

ولو كان الماورديُّ لغوياً من أبناء القرن الثاني لفهمناه أو فسرنا موقفه؟! ولكنه يمثل ـ على أية حال ـ عقليةً معينةً لاتريد أن تعيش في أدب عصرها .

٥ ـ اعتمد المحقق على نسختين ، وبذل جهداً ملحوظاً في الحواشي لدى

٤ ـ وترد أعلامٌ يمكن أنْ يُعرِّفَها ولكنه يقول : (لم أقف على ترجمته) أو (لم أعثر على ترجمته) . ومن أولئك : ناصح الدين الأَرَّجَاني ـ ص ٣٠ ـ ، شهاب الدين التلعفري ـ ص ٤٩ ـ ، شهاب الدين الحاجري ـ ص ٥٢ ـ ، جمال الدين بن الْعَديم ـ ص ٦١ ـ ، شهاب الدين الحلبي ـ ص ٩٣ ـ ، شمس الدين الهيثمي ـ ص ٩٨ ـ ، أبو الفتح الكاتب ـ ص ٥٠ ـ !!! أبو الفتح قابوس ـ ص ٣٩ ـ . . !! ولو رجع إلى زيدان أو الزركلي لاستطاع (العثور) على الضالة ـ والكتابان من مراجعه !!

٥ ـ وليس من منهجه شرح الكلمات (الصعبة) ، ولكنه شرح (الفلاة) : الصحراء ـ ص ٦٥ ـ .

٦ ـ عرف ـ ص ٦٠ ـ بابراهيم بن العباس الصولي فقال : (ذكره الجراح) يريد ابن الجراح ، ولم يرجع إليه لأن مصدره «معجم الأدباء» ١/ ٢، ١٦٣ .

٧ ـ وورد ـ ص ٧٩ ـ في «المتن» : «أبو بكر بن حجة مضمناً !. .

. . . أنا ما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي

فقال في الحاشية : «من قول عنترة بن شداد العبسي :

فَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وكَمَا عَلِمْتِ فَضَائِلِي وشَمَائِلِي»

مع أنَّ البيت مشهور من معلقة مشهورة (ميمية) . . . وكما علمت فَضَائِلِي وتَكَرُّمِي .

٨ ـ وأخيراً تأتي (المراجع) : الوساطة ، الموازنة ، أسرار البلاغة ، . . . وفيات الأعيان ، المفتاح . فلم يتبع أي نظام مقبول : حروف الهجاء للمراجع ، حروف الهجاء للمؤلفين .

٩ ـ ص ٢٣ : (في حدوده ورسمه ، عرفه ابن رشيق القيرواني ، قال : الاكتفاء هو أن يدخل موجود الكلام على محذوفة . . .) وعرف بالحاشية بابن رشيق ، ولكنه لم يبحث عن القول في كتبه ، ولم ينتبه إلى الخطإ في المخطوطة حين

بلاد القصيم في عهد الدولة السعودية الأولى[١]

أولاً: مراحل دخول القصيم في حظيرة الدولة السعودية الأولى: كان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) نقطة تحول مهمة في تاريخ نجد خاصة وتاريخ الجزيرة العربية بشكل عام. فبعد اتفاق الدرعية الديني والسياسي بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود أمير الدرعية عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م)[٢] مكث الشيخ محمد سنتين في مرحلة الدعوة السلمية وهي مرحلة (الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة) منذ وصوله إلى الدرعية. وذالك عن طريق رسائل بينه وبين أهل البلدان المختلفة وعن طريق مناظراته مع علماء تلك البلدان ثم عن طريق أسلوب تأليف الكتب التي تبحث في حقيقة دعوته[٣]، ثم في عام ١١٥٩هـ (١٧٤٦م) انتقل الشيخ بدعوته إلى مرحلة (الجهاد والقتال) دفاعاً عن الدعوة وأتباعها من أعدائها المتربصين بها من ناحية، ولحمل الناس على الحق وتهيئة الجو الصالح لنشر الدعوة وتطبيقها من ناحية أخرى. وكانت تلك المرحلة (مرحلة الجهاد والقتال) تسير جنباً إلى جنب مع المرحلة الأولى (الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة) ولهذا نرى أن رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المُبيِّنَة

ورد فيها: (. . . أن يدخل موجود الكلام على محذوفة) والصحيح المعقول أن تكون: . . . أن يدل موجود الكلام على محذوفه.

١٠ ـ اعتمد (المحقق) على نسخة واحدة هي مخطوطة (الاسكوريال)، ويفخر أنَّهُ قام بتصويرها بنفسه، وأنه قام بكتابة المخطوطة بخط واضح استعداداً لطباعتها !! وكان من الممكن جداً أَنْ يحصل على مخطوطة ـ أو مخطوطات ـ أُخرى، فزيدان وحده ـ وهو من مراجعه ـ يذكر غوطا ودار الكتب المصرية غير الاسكوريال، وكان المفروض بالمحقق أن يرجع إلى بروكلمان.

بغداد: **د. علي جواد الطاهر**

لحقيقة دعوته كانت تسبق غزو الجيوش. وهذا مانراه في منطقة القصيم التي أرسل الشيخ لأهلها رسالة شرح فيها حقيقة دعوته[٤]، كما أرسل رسالة أخرى وجهها إلى مطاوعة القصيم وسدير والوشم[٥] وعدّد بعضهم وحثهم على ارشاد الناس إلى دين الإسلام الحق الخالص من شوائب الشرك والبدع والخرافات المنتشرة في مجتمعاتهم. مذكراً لهم واجبهم كعلماء في هذا الصدد. ويظهر أن هذه الرسالة كانت متقدمة بدليل أنه ذكر من هؤلاء المطاوعة الشيخ (عبدالله بن عضيب)[٦] المتوفي عام ١١٦٠هـ[٧]، ومعنى ذالك أن تاريخ الرسالة قد يكون ابان (الدعوة السلمية).

لقد استطاعت حكومة الدرعية في فترة حكم الإمام محمد بن سعود (١١٥٧ ــ ١١٧٩هـ/ ١٧٤٤ ــ ١٧٦٥م) أن تمد نفوذها إلى كل من سدير والوشم والمحمل والشعيب والخرج والحائر، إضافة إلى بلدان العارض ــ باستثناء الرياض وأميره (دهام بن دواس) ــ وفي عهد حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩ ــ ١٢١٨هـ/ ١٧٦٥ ــ ١٨٠٣م) تمكنت حكومة الدرعية من الاستيلاء على الرياض عام (١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م)[٨].

ومن الغريب أن تتجه أنظار حكومة الدرعية إلى منطقة القصيم قبل استيلائها على الرياض ونستطيع أن نعلل هذه الظاهرة بأمرين:ــ

أولهما: أنَّ دِهَامَ بن دَوَّاس أمير الرياض كان موقفه في ذالك الوقت ضعيفاً، وتحول من موقف الهجوم إلى موقف الدفاع، فكان قاب قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى من السقوط.

وثانيهما: رأتْ حكومة الدرعية أن الفرصة مواتية لها لتمد نفوذها على منطقة القصيم بسبب الصراع الأُسْرِيِّ على الحكم في بعض إماراتها خصوصاً إمارة (بُرَيْدة)[٩] ويذكر مقبل الذكير في تاريخه أنَّ راشد الدريبيَّ بعد أن أسس بريدة بَقِيَتْ إمارتها في ذريته وانقسمت إلى قسمين: أحدهما بقي على اسم (الدُّريبي) والثاني يعرفون بـ (آل أبو عُلَيَّان) فأخذ هذان القسمان يتنازعان الإمارة على البلد

ويفتك بعضهم ببعض[١٠]، ففي عام (١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) استولى حمود الدريبي على إمارة بُريدة بعد أن أزاح منها بني عمه (آل حسن آل أبو عُلَيَّان) بعد أن قتل منهم ثمانية رجال. ولم يلبث حمود أنْ قُتِلَ في السنة التي بعدها، قتله بنو عمه المذكورون أخذاً بثأرهم منه[١١]، فتولى إمارة بريدة بعده أخوه راشد الدريبي. ثم شهد عام (١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م) تَدَخُّلَ آل شْمَاسٍ أُمراء بلدة (الشِّماس) و (رَشِيد بن محمد) أمير عنيزة وعربان الظفير في الصراع الأسْرِيٍّ ببريدة ــ وقد يكون ذالك بطلب من آل حسن آل عُلَيَّان ــ حيث حاصروا بريدة ونهبوا جنوبي البلد. ثم رجعوا[١٢]. ويظهر أن أمير بريدة (راشد الدُّريبي) استنجد بحكومة الدرعية ضد تلك القوى[١٣]. فرأت حكومة الدرعية أن الفرصة مواتية لِأنْ تَمُدَّ نفوذها في القصيم. وهذا ماأبرزته الأحداث التالية وأهمها:ــ

١ ــ في عام (١١٨٢هـ/١٧٦٨م) غزا الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ومعه راشد الدريبي أمير بريدة وقصدوا عنيزة ونزلوا عند باب شارخ في عنيزة، وحصل بينهم وبين أهل عنيزة قتال. ثم في عام (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) سطا آل (أبو عُلَيَّان) على الحكم في بريدة وأخرجوا منها أميرها (راشد الدريبي) واستولوا عليها[١٤].

٢ ــ في عام (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م) استنفر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود جنده لمهاجمة الْمَجْمَعَةِ فهاجمها واستولى عليها ثم واصل سيره إلى بلدة (الهِلالِيَّةِ) في القصيم فاستولى عليها. وتختلف رواية ابن غنام عن ابن بشر في نتيجة هذه الغزوة فابن غنام يذكر أن (أهل القصيم كافة) انقادوا للإمام عبدالعزيز وبايعوه وأما ابن بشر فيذكر أن (أكثر أهل القصيم)[١٥] بايعوا على السمع والطاعة وعبارة ابن بشر تدل على وجود بعض بلدان لم تبايع.

٣ ــ في عام (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م) سار عُرَيعْرِ بن دُجَيْنٍ آل حُمَيد الخالدي زعيم الأحساء إلى بريدة ومعه أميرها السابق راشد الدريبي، فحاصر البلد بجنوده، وطلب مقابلة أميرها عبدالله الحسن آل (أبو عليان) فلما خرج إليه قبض عليه ودخل البلدة ونهبها. ثم ارتحل عنها فمات في الطريق، وانطلق (عبدالله بن

حسن) من أسْره واتجه إلى الدرعية مع بعض أسرته[١٦].

ومجيء عُرَيْعِر ومعه راشد الدريبي دليل على أنَّ الأخير استنجد بالأول ضد خصومه، ويعلل مقبل الذُّكَير ذالك بأن عريعرَ كان يَدَّعِي الولاية على القصيم[١٧] مستدِلاًّ بهذه الحادثة ومابعدها. وهو احتمال بعيدٌ جدًّا ولم يذكره غيره. وكون راشد استنجد بعريعر لايدل على تلك التبعيَّة، وإنما من باب مقابلة الضد بالضد، فإذا كانت علاقة عدوه عبدالله بن حسن طيبةً مع حكومة الدرعية فمن السياسة أن يستنجد بقوة أخرى معادية لها لترجعه إلى إمارة بريدة، وهذا ماحصل .

٤ ــ عام (١١٨٩هـ/ ١٧٧٥) فيها قصد سعود بن عبدالعزيز بجنوده بُرَيدَةَ ومعه أميرها السابق عبدالله بن حسن فحاصروا البلدة وأميرها راشد الدريبي، فامتنعت عليهم فبنى سعود قصراً تجاه بريدة، ووضع فيه جنوداً ورئيسهم عبدالله بن حسن ثم رجع سعود إلى وطنه. واستمر حصار أهل القصر بريدةَ حتى طلب راشد الأمان من عبدالله بن حسن آل (أبو عليان) فأعطاه الأمان فخرج منها ودخل عبدالله مع جنوده بريدة وملكوها[١٨]. واستمر عبدالله بن حسن أميراً في بُريدة حتى قتل عام ١١٩٠هـ وكان مع الإمام عبدالعزيز بن محمد في غزوة أغار فيها على عربان (بني مُرَّةَ) في الْخَرْجِ[١٩].

ويظهر أن الذي تولى إمارة بريدة بعده هو حُجيلان بن حمد آل (أبو عليان) وإن كانت رواية تدل على أن (حجيلان) تولى الإمارة بعد (راشد الدريبي) بعد أن قتله في قصة طويلة متداولة[٢٠].

نقض البيعــة :

١ ــ عام (١١٩٦هـ/ ١٧٨١م) أجمع أهل القصيم على نقض البيعة والطاعة لحكومة الدرعية سوى أهل بريدة والرَّس والتَّنُّومَة[٢١] فقتلوا من عندهم من المعلمين التابعين لحكومة الدرعية وكانوا قبل ذالك أرسلوا يستنجدون برئيس الأحساء والقطيف سعدون بن عُريعر، فأقبل بجنوده ونزل بُريدة، فأرسل له أهل

عنيزة عبدالله القاضي، وناصر الشُّبيلي، وهما من معلّمي حكومة الدرعية فقتلهما سعدون، وحاصر بريدة، وأميرها حينئذ حُجَيلان بن حمد آل أبو عليان وطال الحصار دون فائدة، وقتل حجيلانُ ابْنَ عَمِّهِ سليمان الحجيلان بعد أن تحقق له أنه يحاول مصالحةَ العدو، فلما علم سعدون بذالك وعلم بزواج حجيلان وهو محاصَرٌ تحقق أنهم في منعة ففكَّ حِصاره الذي استمر أربعة أو خمسة أشهر ورجع إلى وطنه. فطلب أهل القصيم الأمان من حجيلان بن حمد، ووفدوا يبايعونه[٢٢] ومع ذالك سار سعود بجنوده إلى عنيزة عام ١١٩٨هـ فأغار عليها وقتل من الفريقين عدةَ رجال، ثم رجع سعود إلى وطنه[٢٣].

هذا ملخص حادثةِ نقض البيعة ــ والتي يسميها ابن غنام رِدَّةَ أَهْلِ القصيم ــ وهي حادثة غامضة يحار فيها الباحث لعدم وجود سبب حقيقي فيما ساقه مؤرخو نجد ــ ابن غنام وابن بشر وابن عيسى ــ لهذا العمل. وقد شكك بعض الباحثين في سياق الحادثة. يقول الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع: أنا في ريب من ذالك، إلا أن يكون له سبب لم يُذْكَرْ لاسيما وهذه الواقعة في القصيم، وأهله معروفون بالرزانة والعقل. فليت شعري ماالسبب لهذا الفعل القبيح؟[٢٤].

أما مقبل الذكير فيشكك أيضاً في سياق الحادثة، ويرى أنَّ آل عُرَيْعِر كان لهم شيء من النفوذ والولاية في القصيم ــ كما سبق ــ فخاف زعيمهم أن يفقده بعد أن رأى خضوع القصيم لحكومة الدرعية وانتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيه. لهذا أرسل إلى بعض رؤساء القصيم يتهددهم ويتوعدهم بأنه سيسير إليهم إذا لم يقتلوا علماء الدعوة ومرشيديها الذين عندهم، فاستعجل بعضهم وقتل ماعنده ــ كما فعل أهل الخَبْرَا وأهل الْجَنَاح ــ ثم لما وصل خاف أهل عنيزة وأرسلوا معلميهم إلى سعدون فقتلهم. ثم يقول (إذَنْ فما لهذا التهويل والتشنيع على أهل القصيم من معنى، ولم يرتدوا عن الإسلام، فعدم دخولهم تحت طاعة أمير أو اتِّباعه لايخرجهم عن دائرة الإسلام، على أن أهل القصيم لم يلبثوا بعد ذالك إلاَّ مدة قليلة حتى دخلوا طاعة ابن سعود حينما تغلب على ابن عُرَيْعر[٢٥] ا. هـ.

٢ ــ عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م فيها سار ثُوَيني بن عبدالله زعيم المنتفق فاتجه إلى القصيم وحاصر (التَّنُّوْمَةَ) ثم دخلها بخديعة الأمان، فقتل منهم ١٧٠ رجلاً وتشرد أهلها، ثم اتجه إلى بريدة وحاصرها. وحصل بين الفريقين قتال، ثم فك حصاره ورجع إلى وطنه(٢٦).

أما سبب حملة ثويني تلك فيرى مقبل الذكير أنها معاونة لابن عُرَيعر لاسترجاع بريدة بعد فشله في ذالك(٢٧) وبعض الباحثين يَرَى أنها انتقام من الدولة السعودية بسبب إيوائها سعدون بن عريعر. بعد هزيمة ثُويني له مناصرة لخصوم سعدون بن عريعر عام ١٢٠٠هـ(٢٨)، ولعل السبب الحقيقيَّ في اتجاه ثويني(٢٩) للقصيم دون بلاد نجد الأخرى، أنه انتقام من حُجَيلان بن حمد ــ أمير القصيم ــ الذي أغار على قافلة قادمةٍ من البصرة وسوق الشيوخ إلى جبل شَمَّر عام (١٢٠٠هـ/١٩٨٥م) فسلبها وقتل بعض رجالها(٣٠).

أما (داوتي) فيذكر أنه كان لثويني نفوذ في القصيم ــ خاصة عنيزة ــ قبل دخولها في طاعة الدرعية(٣١). فإذا سلمنا بهذا القول فإنَّ ثويني أراد بحملته إرجاع هذا النفوذ. وقد يؤيد هذا القول ماقام به عبدالله بن رَشيد أمير عنيزة من هدم للجناح ــ في الجهة الشمالية من عنيزة ــ بسبب مكاتبتهم لثويني(٣٢). كما ذهب بعض المؤرخين إلى أن ثويني كان مدفوعاً بحملته تلك من الدولة العثمانية(٣٣)، وقيل مدفوعاً من نفسه لإحراج الدولة العثمانية أمام حكومة الدرعية(٣٤). أما سبب رجوع ثويني فجأة من بريدة وفكه الحصار عنها . . . فيذكر ابن غنام أن اضطراباً وقع في بلاده(٣٥) وذهب بعض الباحثين إلى أن الدولة العثمانية أبعدته من زعامة المنتفق وولّت بدله (حمود السعدون)(٣٦). ويبدو أن الاضطراب كان بسبب ابعاد ثويني عن الزعامة. وذالك للجمع بين الرأيين.

عنيزة والموقف الجديد:

نتوقف الآن عند موقف جديد طرأ على عنيزة من الحكومة المركزية في الدرعية ــ كما يقول ابن غنام وابن بشر ــ اللذين أتيا برواية مختصرة عن الموضوع لاتشفي غليل الباحث. ولم يذكرا أسباب هذا الموقف وحقيقته ــ فهما يذكران أنه في عام

١٢٠٢هـ علم سعود بن عبدالعزيز بأن أناساً من عنيزة ومنهم رؤساؤها (آل رشيد) يريدون نقض العهد. فسار إليهم وأمرهم بالجلاء عن عنيزة وولى عليها علي بن يحيي في رواية ابن غنام(٣٧)، وعبدالله بن يحيي في رواية ابن بشر(٣٨)، ولم نجد من فصّل هذه الحادثة بدقة سوى المؤرخ مقبل الذكير سواء في تاريخه أو في معجمه وملخص ماذكره: أنه كان بين (حجيلان بن حمد) أمير بريدة وسائر القصيم ــ عدا عنيزة ــ وبين (عبدالله بن رشيد) أمير عنيزة عداء قديم أرجعه مقبل الذكير إلى عدم دخول عنيزة في إمارته وزاد من هذا العداء مافعله حجيلان بن حمد حينما قتل ابن أخي عبدالله بن رشيد وهو في طريقه إلى الشماسية ليتزوج ابنة أميرها. كما أن حجيلان أخذ يحوك الدسائسَ ويبث الدعاية ضد عَبدالله بن رَشِيد في الدرعية مدعياً عدم إخلاصه في ولائه لحكومة الدرعية(٣٩). ولهذا عندما قدم عبدالله بن رَشِيد إلى الدرعية شاكياً مافعله حُجيلان بابن أخيه، وتدبير قتله لم يجِدْ أذُناً صاغية. وزاد من ذالك أن حجيلان قدم ــ بعد ذالك ــ الدرعية. وأخذ يَجْتَرُّ دسائسه وأقواله ضِدَّ ابن رشيد حتى أثر على الامام عبدالعزيز بن محمد فوكل إليه مهمة مهاجمة عُنيزةَ واحتلالها بالاشتراك مع سعود بن عبدالعزيز ــ وكان معسكراً في جيشه بشقراء. فاتجه حُجيلان وسعود إلى عُنيزةَ بجنودهما، وتقدم حجيلان بقوة صغيرة ودخل باب السُّور بخدعة أنه بَشِيْرٌ أميرهم عبدالله بن رَشيد ــ بعد أن قتل حارس البوابة، ثم دخل القصر بنفس الخدعة أيضاً وبذلك فتح باب المدينة للجيش الكبير. وتم الإستيلاء على المدينة كلها بين صلاة الفجر وطلوع الشمس. وقد حصل نهب لبيوت آل رَشِيد ــ رؤساء البلد ــ من جند حُجَيْلان، فنهبوها حتى ماعلى النساء وماعندهن من ذهب. ثم بعد ذالك أمر سعود أُسْرَةَ آل رشيد ــ بالجلاء عن البلد والتوجه إلى الدرعية عند أميرهم هناك عبدالله بن رشيد، الذي كان قد أُمِرَ بالبقاء في الدرعية(٤٠).

هذا ملخص ماذكره مقبل الذكير في تاريخه ومعجمه (المخطوطين) مع مابينهما من اختلاف بسيط في سرد القصة. ولكن في المعجم يركز مقبل الذكير على أن تاريخ الحادثة لم يكن عام ١٢٠٢هـ ــ كما يذكر ابن غنام وابن بشر ــ ولكنه كان

في وقت متأخر حتى أنه يقول: إنه كان في أوَاخِر عهد الإمام سعود، أي مايقارب عام ١٢٢٧هـ وأن الذي باشر الإستيلاءَ على عنيزة مع حجيلان ـ هو عبدالله بن سعود بأمر من أبيه[٤١]، ويضعف هذا الرأي أن قصيدة (العُرْف) ـ الآتية ـ صرحت بأن سعوداً وحجيلان هما اللذان أخذا البلد بالخديعة دون الحرب. وهي قوله بالشعر العامي (النبطي).

وآدِيرِتي أَخَذْهَا حْجَيْلانْ وِسْعُودْ بالْبَوْقْ وِآلاّ بالنَّقَا ماَقوَاهَا[٤٢]

والأقرب أنها قبل ذالك بفترة. وقد يكون عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م هو العام الذى يمكن للباحث أن يستشفه من بين مصادر الحادثة. وهو العام الذي ذكره الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ولكنه يذكر أن سعوداً هو الذي طلب من عبدالله بن رشيد الشخوص إلى الدرعية. وأن أمير المِذْنَبِ أشار عليه بالاعتذار عن الذهاب لعدم وجود أخيه دخيل في عنيزة ليخلفه في الإمارة، وذالك خوفاً من أن يحبس سعود عبدَالله بنَ رشيد في الدرعية ويستولي على بلده وهذا ماحصل[٤٣].

أما مصادر مقبل الذكير في قصة الحادثة فلم يذكر أيَّ مصدر. والذي يظهر أنه اعتمد على الرواية المحلية المتداولة بين المعمّرين. ولهذا أشار إلى الحادثة بعض الكتاب والمؤرخين على أنها (قصة معروفة) وإن لم يسوقوها وذالك مثل عبدالله البسام في كتابه «علماء نجد»[٤٤]. ومحمد بن عبدالعزيز المانع[٤٥]، في نبذته عن تاريخ عنيزة، ومحمد العلي العُبَيِّد في مخطوطته التاريخية «النجم اللامع»[٤٦]. وضاري بن رَشِيد في نبذته التاريخية[٤٧]. كما أن قصيدة (العُرْف) ـ مولى عبدالله آل رَشيد أمير عنيزة السابق مما يُؤيَد رواية مقبل الذكير، وهي مشهورة ومتداولة. وقد صور فيها الشاعر الحادثة وماجرى فيها «وهي قصيدة مؤثرة قليلة النظير في الشعر العامي في بكاء أهل الدار التي أُخِذَتْ منهم»[٤٨] حيث يقول:

جَوْنَا صبَاح وجُمْلَةَ النَّاس بِرْقُودْ وَاهْلَ الْقَهَاوِي مِشْعِلِينْ ضُوَاهَا
مَاثَارْبَهْ رَمْيَهْ وَلاَ زِرْقِ بَهْ عُودْ وَلاَ ثَارْ مَثْلُوثَ الدَّخنْ مِنْ وَرَاهَا

(مِزْنَةْ) تِصِيْح ومِقْدِمَ الرّاسْ مَشْدُوْدْ   يَـالَيْتَهُمْ مَـافَكَّـرُوا فِي ضَبـاهَـا
رْبَـاعْتِي وَالـلِّيْ هَقَيْنَـا بْـهَ الْجُـوْدْ   عِزْلَوْا كَمَا عَزْلَ الْغَنَمْ عَنْ ضَناهَا
لَوْ أَنّ (اخو طَرْفَهْ) حَضَرْ يافتى الْجُوْدْ   ماكَـانْ صَـرَتْ بَالْمَحَامِـلِ نْسَـاهَـا
اَلْقَوْلْ قَوْلَ (الْعُرْفْ) مَاهُـوبَ مَجْحُودَ   وَالنَّـارْ تَاكِـلْ وَالْدَ اللِّيْ كَمَاهَـا(٤٩)

ومن الذين ذكروا الحادثة عبدالعزيز المحمد القاضي في قصيدته عن تاريخ عنيزة أسماها «العنيزية».

وقد ساق بعض فصول الحادثة في قصيدته ومنها:

وكـانَ حُـجَـيْـلانٌ أَمِـيرُ بُـرَيْـدَةٍ   يُـكِـنُّ لِـعَـبْـدِ الـلّهِ شَـرَّعِـدَاءِ
فَـآلَ بِـهِ الْكَيْـدُ الَـدفِـيْنُ لِقَتْلِهِ   حَـفِـيْـدِ رَشِـيْـدٍ قِـتْـلَةَ الْجُـبَـنَـاءِ

إلى أن قال:

وأقبَـلَ جَيْشُ ابْنَ السُّعُـودِ يَقُـودُهُ   حـجيـلان يحـكي مشيـة الخيـلاء
أيـاَ (عُرفُ) جَـادَ الْغيْثُ قَبْرَكَ إنما   رَأَيْتَ عَـظِـيْـمـاً نَكْبَـةَ الْعُـظَمَاءِ(٥٠)
وَفيْتَ وَهَـاجَتْكَ الشُّجُـونُ فَـأَذْرَفَتْ   جُفُونُكَ دَمْعـاً فِيْهِ بَعْضُ عَـزَاءِ(٥١)

ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ عبدالله بن رَشيد بقي في الدرعية حتى حملة ابراهيم باشا على الدرعية ــ عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م حيث رجع لإمارته ــ كما سيأتي ــ وقد خلفه في إمارة عنيزة ــ إبَّان جلوسه في الدرعية ــ عبدالله المحمد اليحيي أبا الشحم، بتعيين من حكومة الدرعية، واستمر حتى عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م حيث عين الإمام سعود ابراهيمَ بنَ سليمان بن عُفَيْصَان، الذي توفي عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م فخلفه (خيرالله) مملوك سعود فترة وجيزة. ثم عزله الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بعد مجيء الحملات المصرية على الدولة السعودية وولى مكانه ابراهيم بن حسن بن مشارى بن سعود، عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م(٥٢).

القصيم في ظل التبعية السعودية: رأينا فيما سبق الجهود الحربية التي بذلتها حكومة الدرعية في سبيل ضم القصيم إلى حضيرتها وهي جهود مضنية استمرت

مايقارب ثلاثين سنة من عام ١١٨٢ ــ ١٢١٢هـ/ ١٧٦٨ ــ ١٧٩٧م وهي وان لم تكن مستمرة بل متقطعة إلاَّ أن هذا يدل على أن حكومة الدرعية لقيت عناء شديداً. صحيح أنها لقيت كثيراً من المؤيدين من أول أمرها وعلى رأسهم حُجيلان بن حمد، إلا أنها في المقابل لقيت بعض المعارضين.

ومهما يكن من أمر فقد نجحت حكومة الدرعية في فرض سيطرتها التامة على القصيم وجعلت حُجَيلان بن حمد أميراً على بريدةَ وسائر القصيم ــ ماعدا عُنيزةَ ــ فقد جعلت ولايتها لشخص آخر(٥٣) يتصل مباشرة بالدرعية. وهذا مالاحظناه عند تتبعنا لغزوات حكومة الدرعية في القصيم، فقد كان لعنيزة نهج وطريق، ولبريدة نهج آخر، ويبدو أنَّ هذا راجع إلى الأسرة الحاكمة في المدينتين أكثر من الأهالي.

والحق أن حجيلان بن حمد قد أثبتت أعماله تحمسه الكامل لحكومة الدرعية، وقويت شوكة القصيم في زمنه حتى كان يغزو نقرة الشام وفي مشارق المدينة المنورة(٥٤). بل إن ضم جبل شمر إلى حظيرة الدولة كان على يديه(٥٥). وقد لقي هناك بعض الترحيب يدل على هذا أنه لم يرد أنه قتل أحداً ضمن الجهة المغزوة فيما عدا رجلاً ساحراً قتله هناك عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م ثم رجع إلى القصيم بعد أن نصب محمد بن علي آل علي والياً على جبل شمر(٥٦). كما كان لحجيلان ــ بجانب نشاطه الحربي ــ دور في النشاط الاقتصادي الذي ظهر في بريدة في زمنه. ومن آثاره العمرانية السور الذي شيده حول بريدة والمعروف باسمه، ولاتزال بقاياه موجودة(٥٧).

ولقد ازدهرت في القصيم عدة قرى ــ فبجانب بريدة وعنيزة ــ توجد في تلك الفترة البكيرية والشبيبة والشباكية والحجناوي والهلالية، والخبرا والمذْنَب والقُويع والرس والتَّنُّومة(٥٨). وصار لرجال تلك القرى دور في النشاط الحربي والسياسي في الدولة حتى وصل بعضهم إلى عمان(٥٩).

وكانت حكومة الدرعية لما أكملت احتلال نجد بضم القصيم وحايل إليها قد

اتجهت إلى الأحساء فاستولت عليه، ثم استولت على الحجاز وواصلت اتساعها داخل شبه الجزيرة العربية، ووصل أقصى اتِّسَاع لها قبيل مجيء الحملات المصرية ما مقداره ٢٥٠٠كم وعرضه ١٥٠٠كم ــ كما ذكر موزل[٦٠] ــ ومعنى ذالك أن مساحتها وصلت إلى (٣,٧٥٠,٠٠٠) كيلومتر مربع تقريباً.

وهكذا كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أهم عوامل وحدة تنظيم الجزيرة العربية وقد أشار لذالك نيبور ــ في رحلته عام[٦١] ١١٧٨هـ/ ١٧٦٥م إلى بعض أجزاء الجزيرة العربية ــ والدعوة مع الدولة السعودية لا زالتا في بدايتها.

ثانياً: موقف القصيم من الحملات المصرية على الدولة السعودية

أسباب الحملات: لقد ترتب على استيلاء الدرعية للحجاز وخضوع الحرمين الشريفين للسعوديين أن بدأت الدولة العثمانية تدرك قوة الدرعية وخطرها عليها دينياً وسياسياً[٦٢]. ويكفي أنها أفقدت السلطان العثماني لقب (خادم الحرمين الشريفين) الذي يعتز به وتقوم عليه مكانته الدينية[٦٣]. زِدْ على ذالك أن الإمام سعوداً منع مجيء الحجاج المصريين والشاميين إلى الحجاز إذا اصطحبوا معهم (المحمل) لأنه بدعة محدثة في الدين يجب محاربتها[٦٤]. لهذا بدأت الدولة العثمانية تخطط بصدق للقضاء على الدولة السعودية الأولى، فأوعزت إلى ولاتها في العراق والشام بمهمة القضاء عليها حربياً، وزاد ذالك قيام أعداء حكومة الدرعية الآخرين بالدعاية السيئة ضدها دينياً وسياسياً، فشوهوا مبادىء دعوتها الدينية واتجاهاتها السياسية. حتى أنهم أشاعوا أن لزعماء حكومة الدرعية اتصال مع (نابليون) وحملته الاستعمارية على مصر عام[٦٥] (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م) كما رموا دعوتها (دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) بالزندقة[٦٦].

وبعد فشل ولاة العراق والشام في مهمة القضاء على الدولة السعودية اتجه السلطان العثماني إلى واليه على مصر (محمد علي باشا) ليقوم بهذه المهمة فالحجاز قريب من مصر وكان تابعاً لمصر قبل استقلال الأشراف به[٦٧]. كما أن قسماً من

ضرائب الدولة العثمانية على مصر يذهب لتمويل الأماكن المقدسة في الحجاز[٦٨] ويذكربوركهاردتأنه اشتركت قوات مصرية ضعيفة في الدفاع عن الحجاز حينما دخله السعوديون[٦٩] قبل ذالك حوالي عام ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م.

وكان من المنتظر أن يرحب محمد علي بهذا التكليف، وبهذه الثقة من الباب العالي. ولكن الوثائق[٧٠] تشير إلى محاولة محمد علي الاعتذار من الباب العالى مُبْدِياً كثيراً من الأعذار ليعفى من هذه المهمة[٧١]. ولعل ذالك راجع إلى أنَّ حكمه الداخلي في مصرلم يَقْو بعد. فالمماليك في مصر يشكلون خطراً على حكمه، كما أن اطماع دول أوربا ــ خاصة انجلترا وفرنسا ــ بمصر تزيد من خوفه. ولكن بعد أن ألح عليه الباب العالي (السلطان العثماني) قبل، ولعله رأى في قبوله عدة مكاسب منها:

١ ــ كسبه رضا الدولة العثمانية. خصوصاً وأن الباب العالي كان قد فكر في عزل محمد علي عن مصر لأنه قصر في تأمين الحج إلى مكة[٧٢].

٢ ــ رفع مكانته في العالم الاسلامي باعتباره منقذاً للحرمين الشريفين[٧٣].

٣ ــ الحصول على أكبر حجم ممكن من المعدات والنفقات من الدولة. وتشير المصادر أنه لم يفلح في هذا الجانب كثيراً. بل لم ينجح في إلغاء الضرائب على مصر من قبل الدولة ولكنه نجح في تخفيضها[٧٤].

٤ ــ رأى في ذالك فرصة للقضاء على العناصر المشاغبة في جنده من ترك ومغاربة وألبان (الأرناؤط) حتى يستطيع أن يكوّن جيشاً جديداً منظماً حسب الطرق الحديثة[٧٥].

٥ ــ وأخيراً. فهي فرصة للبدء في تحقيق أحلامه وتطلعاته التوسعية. ولهذا كانت الدولة العثمانية تخشى من اتساع نفوذه، فهدفت إلى إضعافه بهذه المهمة. فإذا لم تصب كلتا الحسنيين (القضاء على السعوديين وإضعاف محمد علي) فلا تعدم إحداهما[٧٦].

وعلى هذا الاساس أعدَّ (محمد علي) حملة حربية بقيادة ابنه (أحمد طوسون)

عام ١٢٢٦هـ/ ١١٨١م قوامها أربعة عشر ألف جندي[٧٧] وأمرها بالتوجه إلى الأراضي الحجازية.

حملة طوسون: خرجت الحمة من السويس إلى (ينبع) فاحتلتها فأعدَّ لها الإمام سعود جيشاً قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل، بقيادة ابنه عبدالله[٧٨]. فالتقى الطرفان في (وادي الصفراء) فهزم جيشُ طوسون في نهاية الأمر. وغنم الجيش السعودي غنائم كبيرة (ذي القعدة عام ١٢٢٦هـ)[٧٩]. فطلب طوسون من أبيه مدداً فأمدَّهُ بحملة يقودها (أحمد بونابرت) ولم تلبث أن انضمت قبيلة جُهينة إلى طوسون أيضاً فازداد بذالك قوة، بعد أن ترك السعوديون فرصة ملاحقته بعد هزيمة (الصفراء)[٨٠] ولهذا سار طوسون بقوته فاحتل (ينبع النخل) ثم وادي الصفراء ومنه وصل المدينة فحاصرها حتى استولى عليها، وقضى على حاميتها السعودية. وكان رَدُ الفعل السعودي على ذالك أَنْ أَعَدَّ الإمام سعود جيشاً قاده بنفسه وتوجه به إلى (الحناكية) ـ شرق المدينة ـ وكان من آثار استيلاء طوسون على (المدينة) أن أقدم شريف مكة (غالب بن مساعد) على تسليم مكة لطوسون الذي كان جيشه قد ازداد قوةً بانضمام قبيلة حَرْبٍ أيضاً إليه، بعد انضمام (جهينة) السابق وذالك حسب مايبذله طوسون للقبائل ورؤسائها من الهدايا والخلع حتى استمال بها قلوبهم[٨١].

أما الإمام سعود فقد اصطدم بالحامية التركية المصرية المرابطة في (الحناكية) فطلبت منه الأمان فأجابهم بشرط اتجاههم نحو العراق ولعل ذالك بهدف عدم تقوِّي العدوِ بها. أما طوسون فقد أعدَّ حملة اتجهت نحو (تُرَبَة) فهزمها السعوديون. مما جعل طوسون يطلب مدداً آخر من أبيه فأمده بجيش كان على رأسه محمد علي نفسه فوصل إلى الحجاز في ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م فاعتقل الشريف غالباً لشكه في إخلاصه ثم بعثه إلى مصر، ثم مُنِيَتْ قُوَّاتُهُ بهزيمةٍ في (تُربة والقنفذة) أمام السعوديين[٨٢]. وكاد الصلح أن يتم بين الطرفين في هذه الفترة لولا شروط محمد علي القاسية وصلابة الإمام سعود[٨٣]، الذي لم يلبث أن توفي في جمادى الأولى عام ١٢٢٩هـ/ ١٨١٣م فخسرت الدولة السعودية بموته

قائداً بطلاً وشجاعاً قوياً حكيماً. وتولى بعده ابنه عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز ولم يكن في مستوى والده من حيث الكفاءة في القيادة والإدارة(٨٤).

ومما زاد في ضعف موقف القوات السعودية الخلاف الأسريّ على الحكم. حيث ظهر عبدالله بن محمد بن سعود كَمُنَافِسٍ له على السلطة، إضافة إلى خلاف عبدالله بن سعود مع أخيه فيصل(٨٥). وبعد وفاة سعود زاد تصميم (محمد علي) في القضاء على الدولة السعودية، فبعث يطلب مدداً، استطاع به أن يهزم قوات فيصل بن سعود في (وادي بِسْل) ـ شرق الطائف ـ في مطلع عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م ثم قرر محمد علي فَجْأَةً أن يعود إلى مصر لسماعه عن مؤامرة داخلية وخارجية تحاك ضِدَّهُ في مصر(٨٦).

أما طوسون فكان حينذاك في (المدينة)(٨٧) يبعث بالجيوش إلى منطقة (القصيم). وفي هذه الأثناء برز دَوْرُ القصيم ورجاله في التَّصَدِّي لِلْعَدُوِّ ومنعه من بلادهم. وهنا يعجب الباحث من الموقف اللينِ الذي وقفته بعض القرى في القصيم من طوسون وجيشه. فبالرغم من وجود بعض المقاومة التي لقيها طوسون حين تَقَدُّمه في القصيم خاصة من قبيلة عَنزة وشيخها هَذَّال ـ كما يقول بوركهاردت(٨٨)، إلا أنها مقاومة ضعيفة لم تُجْدِ ـ وهنا يذكر لنا ابن بشر أن (طوسون) كاتب أهل الرَّسِّ والخبرا يدعوهم للدخول في طاعته فأطاعوه، فجاء واحتل بلادهم. ثم يذكر أنَّ بعضهم ندم واتجه إلى قلعة (الشِّنَانَة) ـ قرب الرس ـ وتمركز فيها. فحاصرهم (طوسون) فثبتوا بل قتلوا من جيشه عدة قتلى فرحل عنهم(٨٩). وبالرغم من ذالك فإنه لابُدَّ أن يكون هناك أسباب دفعتْ أهل الرس والخبرا إلى الوقوف موقف المرحب من احتلال طوسون لبلادهم. وقد عزا البعض ذالك إلى كراهيتهم لحكم الدرعية(٩٠). ولكن هذا الرأي يُعْوِزُهُ المنطق، والأدلة ولعل ذالك يعود إلى مابذله (طوسون) ـ كعادته ـ لبعض زعماء البلدين من عطايا وخُلَعٍ، جلب به قلوبهم واستطاعوا التأثير على البقية. ومع ذالك فقد كان موقف أهل هاتين المدينتين مثار استياءٍ وتهكم من باقي أهالي القصيم(٩١) بسبب ذلهم وخنوعهم للعدو الأجنبي. ولعل هذا الموقف كافٍ في الرد على من قالوا: إن

موقفهم دليل على كراهية المنطقة لحكومة الدرعية. زد على هذا موقف من تحصنوا بقلعة (الشنانة) كما سبق.

ومهما يكن من شيء فقد استطاع طوسون احتلال الرس والخبرا، سلمياً. أما عبدالله بن سعود فكان قد سار من الدرعية حتى وصل القصيم، وعسكر في (الحجناوي) ــ بين عنيزة والرَّسّ ــ حيث حصلت مناوشات بين الجانبين لم تسفر عن نتائج حاسمة.

ويذكر ــ بوركهاردت ــ أن عبدالله بن سعود ركز على محاولة قطع مواصلات طوسون ومهاجمة رجاله[٩٢] ــ وهذا ماجعل طوسون يميل إلى عقد صلح مع عبدالله بن سعود. ويقرر اللحاق بأبيه، ولكي يضمن ماحصل عليه من مكاسب ــ ولو على الأقل في الحجاز ــ فقد أرسل لعبد الله بن سعود للتفاوض في الصلح. واختلف الباحثون في نظرتهم لصلح الرس. فبَعضهم ذكر أنه كان بطلب من محمد علي نفسه[٩٣]. وآخر يرى بأنه تصرف من طوسون دون أن يستأذن والده[٩٤]. والبعض الآخر يضع في بنود صلح الرس شروطاً قاسية[٩٥] على عبدالله لايمكن أن يتصور قبول عبدالله لها خصوصاً وأن كفة الجانبين مُتَعادِلَةً على أَقلِّ تقدير.

وعلى كل فإن أهم بنود صلح الرَّسّ التي اتفق الجانبان عليها هي: —

١ ــ أن تضع الحربُ أوزارها بين الجانبين.

٢ ــ انسحاب الجيوش الغازية من نجد وتوابعها، واستقلال عبدالله بن سعود بحكمها.

٣ ــ يبقى الحجاز تحت نفوذ (محمد علي) يحكمه باسم السلطان العثماني.

٤ ــ تسير السبل آمنةً بين الفريقين، وعدم اعتراض أي حاج منهما[٩٦].

وهكذا عُقِدَ صلح الرس في أواخر عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م ولكنه لم يلبث أن نقض لتعود الحرب بين الجانبين ولكن بشكل أكثر جدية وقوة بالنسبة لجانب محمد

علي. وهنا يختلف الباحثون أيضاً ــ في سبب نقض الصلح:

١ ــ فابن بشر ومن نقل عنه يرى أن سبب نقض الصلح أن رجالاً من (أهل القصيم والبوادي) سافروا واجتمعوا إلى (محمد علي باشا) مزخرفين له القول، ومزينين له غزو الدولة السعودية من جديد. وكان ذالك بعد غزو عبدالله بن سعود لبلادهم، وتأديبه لهم، حيث هدم سور البكيرية والخبرا، وأمسك بعض رؤسائهم، وأرسلهم إلى الدرعية، كما غزا بوادي حَرْبٍ ومُطَيْر، ووصل إلى قرب (الحِنَاكِيَّةِ)[٩٧].

٢ ــ وبعض المؤرخين يرى أن صلح الرس لم يوافق عليه (محمد علي) أصلاً، ولذلك رد الوفد الذي أرسله (عبدالله بن سعود) إلى مصر لتقرير الصلح. وممن رأى ذالك المؤرخ (مقبل الذكير) الذي رَدَّ رَأْيَ ابنِ بشر السابق. وأرجعه إلى (تحامله) على أهل القصيم دائماً[٩٨].

٣ ــ وذهب آخرون إلى أن نقض الصلح كان بسبب أن (محمد علي) أرسل بعد وفاة ابنه طوسون عام ١٢٣١هـ ــ مطالب جديدةً إلى (عبدالله بن سعود) اعتذر عنها عبدالله، وأرسل إلى (محمد علي) هديةً فاخرةً فردها محمد علي وأوسعه تهديداً وجهز إليه حملة ابنه (ابراهيم باشا)[٩٩].

٤ ــ ويرى الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مقاماته أن سبب نقض الصلح أن (عبدالله بن سعود) أرسل خطابات إلى مناطق غامد وزهران ــ جنوب الحجاز ــ مضمونها أنهم تابعون لدولته. فأرسلوا خطاباته إلى (محمد علي) في مصر. فغضب وقال: إنها من جملة ماوقع عليه الصلح. فكان ذالك سبباً لنقضه الصلح وإعداده حملةً جديدة على الدرعية[١٠٠].

هذه مختلف الآراء في أسباب نقض الصلح. وفي رأينا أنه لم يكن في نية (محمد علي) استمرار الصلح. وإنما جعله فرصةً لإعداد جيشهِ وتنظيمه، تمهيداً لعودته لمحاربة حكومة الدرعية وإسقاطها. وهذا ماتؤيده الوثائق في هذا الموضوع، ففي رسالة من (محمد علي) إلى السلطان العثماني يذكر فيها ارسال ابنه (أحمد طوسون)

إلى القصيم لمحاربة السعوديين، ثم العودة إلى القاهرة لإعادة التنظيم والإعداد للجند تمهيداً لمهاجمة الدرعية(١٠١).

على أيٍّ حال فإنَّ (محمد علي) عزم على القضاء على الدولة السعودية دون مراجعة ــ وكان يوصف بأنه (دكتاتوري) مستبدٌّ برأيه(١٠٢) ــ فجهز حملة كبيرة بقيادة ابنه (ابراهيم باشا).

حملة ابراهيم باشا وسقوط الدرعية: سار إبراهيم باشا بحملته من مصر وسلك الطريق البحري من (القُصَيْر) إلى (ينبع) ودخل الجزيرة بجيوش لا عهد لها بها من حيث عددها وعدتها، واتصال خطوط تموينها من القاهرة إلى مراكز القيادة في ساحات المعارك، داخل الجزيرة العربية، واصطحب معه خبراء عسكريين فرنسيين، وعدداً من الأطباء والصيادلة. ومدافع ضخمة منها مدافع فرنسية(١٠٣). ثم وصل إلى المدينة وهناك أقسم ألا يرجع حتى يفرق شمل أعدائه(١٠٤). ثم اتجه إلى (الحناكية) أواخر عام ١٢٣١هـ.

أما (عبدالله بن سعود) فقد أَعْلَنَ النفير العام في دولته. وسار بجيشه والتقى الفريقان في (مَاوِيَّة) ــ غرب القصيم قرب الحناكية ــ وكان على رأس قوات القصيم أميره حُجَيلان بن حمد آل بن عليان(١٠٥).

وقامت هناك معركة بين الطرفين هزم فيها عبدالله بن سعود وجنوده، ومُنِيَ بخسائرَ فادحة، فكانت هذه المعركة بداية أفول نجم الدولة السعودية الأولى وصعود نجم إبراهيم باشا. ويصفها ابن بشر بقوله: (وهذا أول وهن يقع في المسلمين) ويورد منير العجلاني في كتابه (عبدالله بن سعود) وثيقة تذكر أن من بين قتلى معركة (ماوية) حجيلان بن حمد (١٠٦) أمير القصيم وهو خطأ، إذْ أنَّ حجيلان توفي في المدينة عام ١٢٣٤هـ بعد أن نقله إبراهيم باشا إليها بعد سقوط الدرعية ــ كما سيأتي ــ ولعل (حجيلان) جرح في معركة (ماوية) واعتقد موته ولكنه سلم.

وقد اضطر الإمام عبدالله بن سعود بعد هزيمته تلك أن يتراجع إلى داخل

القصيم. وتذكر بعض المراجع أنَّ من أسباب هزيمة عبدالله كشف العدو لخطته الحربية قبل بَدْءِ المعركة(١٠٧). وقد يكون لأسلوب الرشوة المالية التي سار عليها إبراهيم دور في الوصول إلى هذا الكشف، ذالك أن ابراهيم اتخذ أسلوب الرشوة بجانب التهديد في استمالته القبائل إلى صفه(١٠٨). كما فعل (طوسون) قبل ذالك ــ وتذكر الوثائق أن عدد قتلى عبدالله بن سعود في معركة (ماوية) ثلاث مئة رجل(١٠٩).

سار عبدالله بن سعود إلى القصيم فنزل (الخبرا) ثم تركها إلى (عنيزة) حيث عسكر فيها. أما ابراهيم باشا فزحف بجيوشه إلى الرس ووصلها في ٢٥ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م فألقي الحصار عليها، وأراد أهل الرس التكفير عن ذنبهم الأول مع طوسون فقاوموا الحصار مقاومة عنيفة، وصبروا صبراً ليس له مثال ــ كما يقول(١١٠) ابن بشر ــ وضربوا أروع الأمثلة في الدفاع عن الأوطان وكان على رأسهم أمير الرس (منصور العساف) وقاضيها المشهور الشيخ (قرناس بن عبدالرحمن القرناس) الذي باشر القتال بنفسه، وقاد عدة معارك ضِدَّ العدو، وأخذ يحرض الأهالي على الصبر والاستبسال، فسقط من العدو في الحصار ١٥٠٠ قتيل(١١١). واستمر حصار الرس قرابة أربعة أشهر. وفي ذالك يقول الشيخ أحمد بن علي بن دعيج:

وشبَّ نار الحرب فوق الرَّسِّ ... ثلث السنة يضربهم بِالْقُبْسِ
وصبروا وصبرهم قربانا ... أصبر في الهيجاء من أبانا(١١٢)
رجال صدقٍ في اللقا والبأس ... أعيانهم وشيخهم قرناس(١١٣)

وتشير الوثائق إلى وقوع معارك في حصار الرس انهزم فيها ابراهيم، مما جعله يطلب الإمدادات من القاهرة(١١٤). كما تشير الوثائق إلى اتجاه (ابراهيم باشا) نحو الخبرا ومقاومته بعنف أيضاً(١١٥). ورغم الاستعداد العسكري الكبير لإبراهيم، وطول حصاره للرس، فإنه لم يستطع الاستيلاء عليها إلا صلحاً(١١٦) وقد اهتم بها لأنها مفتاح الطريق إلى الدرعية(١١٧). وكان من أهم شروط الصلح مع أهل الرس:

١ ــ رفع الحصار عن الرس. ٢ ــ يضع أهلها السلاح ويكونون على الحياد. ٣ ــ لايجوز لجنود ابراهيم وضباطه دخول الرس. ٤ ــ عدم اجبار أهل الرس على تقديم شيء من المؤن والميرة للجيش. ٥ ــ لايدفع اهل الرس ضريبة أو غرامة لابراهيم باشا. ٦ ــ اذا تم استيلاء ابراهيم باشا على عنيزه تسلم له الرس. واذا لم ينجح في ذالك يعتبر القتال متجددا بين الطرفين[١١٨].

وبمقتضى ذالك فك الحصار عن الرس في ١٢ ذي الحجة في عام ١٢٣٢هـ بعد أن استمر ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً، والمدينة صامدة، ومع ذالك فإن شروط الصلح تلك تدل على أن أهل الرس كانوا في موقف القوة نسبياً، ويكفي أنها صمدت تلك المدة الطويلة أمام جيش ابراهيم باشا وعدته وعديده.

كان عبدالله بن مسعود حين تسليم الرس ــ في (عنيزة) وحينما علم بذالك ترك حامية في (قصر الصفا) بعنيزة وغادرها إلى (بريدة). فواصل ابراهيم باشا زحفه إلى (عنيزة) وبعد منازلةٍ سلمت وامتنعت الحامية. وتشير الوثائق إلى مناوشة عبدالله بن سعود لجيش ابراهيم وهو في طريقه إلى عنيزة أدَّى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين[١١٩]. ولكنها على أي حال لم تُجْدِ نفعاً. ففي اليوم السادس اضطرت حامية عنيزة إلى طلب الصلح بعد احتراق مالديها من مؤن وذخيرة، وكان أمير البلد ابراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود وأخوه محمد أمير الحامية التي استسلمت بشرطين:

١ ــ عدم أسر الحامية والسماح لها بالذهاب أنَّى شاءت.

٢ ــ تسلم الحامية مالديها من الأسلحة والذخائر والمؤن لجيش ابراهيم باشا[١٢٠].

وعلم عبدالله بن سعود باستسلام حامية عنيزة فلم يبق لديه أملٌ في المقاومة فرحل من بريدة وأذن لمن معه من أهل البلدان بالرجوع إلى أوطانهم، ومعنى ذالك أنه ترك كل بلد يدافع عن نفسه ــ حسب قدرته ــ وهذا يدل على عمق الانهزام النفسي لدى حكومة الدرعية بسبب مالحقها من هزائم متوالية. وكان لهذا

الموقف أثره السيء على بقية البلدان. لهذا لما اتجه ابراهيم باشا إلى (بريدة) طلب أميرها حجيلان بن حمد الأمان دون مقاومة تذكر[١٢٢]. كما أن القبائل وباقي بلدان منطقة القصيم أذعنت إلى التسليم خوفاً من بطش ابراهيم، وقسوة أعماله الحربية، خاصة وأنها رأت تدهور نفوذ آل سعود واندحاره سريعاً نحو الزوال. وهكذا ضاعت كل منطقة القصيم من آل سعود. وصارت في قبضة ابراهيم باشا[١٢٣].

وقد يكون موقف عبدالله بن سعود وانسحابه إلى الدرعية اتباعاً أو استمراراً لخطة حربية تقوم على أساس توزيع قوات ابراهيم باشا، وارهاقها بعمليات الحصار المتعبة عند كل قرية يمر بها مع اتباع أسلوب حرب العصابات التقليدية المعروفة، إمعاناً في إرهاق قوات العدو[١٢٤].

على أية حال ففي مطلع عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م واصل ابراهيم باشا زحفه على القرى والمدن النجدية للوصول إلى (الدرعية) هدفه الأول والأخير، والتي كان يشبهها بتفاحه في سجادة ويقول: علينا أن ندحرج السجادة شيئاً فشيئاً حتى تصبح التفاحة في أيدينا، وذالك بأن نحصل على محالفة القبائل وعدم التقدم إلاّ بعد التأكد من امتلاك البلاد[١٢٥].

والواقع أن إبراهيم باشا طبق نظريته تلك بدقّة متناهية. أوصلتـه إلى مطلوبه فقد كان يطوي المدن والقرى النجدية طي البساط (أو السجادة) بعضها يقاوم ثم يستسلم ــ مثل شقراء وضرمى ــ وبعضها يستسلم دون مقاومة. حتى وصل في الثالث من شهر جمادى الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م. إلى (الدرعية) ــ عاصمة الدولة ــ ليبدأ حصاره وهجومه العنيف عليها والذي استمر مدة تزيد عن ستة أشهر[١٢٦]. ورغم مابذله عبدالله بن سعود وأتباعه من بسالة في الدفاع عن عاصمة دولتهم إلا أنَّ الهزائم كانت تحل به وبأتباعه. وقد أحصى (الفاخري) عدد الوقائع بين الفريقين فبلغت ثماني عشرة موقعة[١٢٧]. أشهرها موقعة (غُبَيْراء) التي أظهرت خيانةً في صفوف عبدالله عرف العدوبها عورات البلد[١٢٨]. مما اضطر

عبدالله بعد اجهاده بالحصار والحرب إلى طلب الصلح من إبراهيم باشا. فتم الاتفاق على ثلاثة شروط:

١ ـ تسليم الدرعية لجيش ابراهيم.

٢ ـ يتعهد إبراهيم الابقاء عليها وعلى سكانها.

٣ ـ يسافر عبدالله إلى القاهرة ومنها إلى (الاستانه) عملاً برغبة السلطان(١٢٩).

وهكذا تم استسلام الدرعية ـ آخر الحصون ـ في ٩ ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ. ونقل عبدالله بن سعود إلى مصر ثم الاستانة، حيث أعدم شنقاً هناك في ساحة مسجد (أيا صوفيا)(١٣٠).

وتذكر بعض المراجع أن (محمد علي) طلب من السلطان عدم إعدامه. ولكن لم يلتفت إليه(١٣١). كما أمر ابراهيم باشا بأسرتي آل سعود وآل الشيخ بالرحيل إلى مصر إلا من اختفى منهم أو هرب. ويظهر أن (محمد علي) لم يوافق على البند الثاني من الاتفاقية(١٣٢). لذالك أمر ابنه بتدمير الدرعية تدميراً كاملاً. ويذكر (سادلير) أنَّ ذالك كان بأمر من السلطان إلى محمد علي(١٣٣). وبهذا تم (لمحمد علي باشا) القضاء على الدولة السعودية الأولى.

ومن المهم أن نشير هنا أن الدفاع عن عاصمة الدولة لم يقم به أهلها فحسب وإنما شاركهم رجالٌ من أقاليم الدولة المختلفة. ومنها القصيم ـ الذي يذكر ابن بشر ما تعرض له بعضهم من قتل وتعذيب على يد ابراهيم باشا وذالك مثل صالح بن رشيد الحربي، من أهل الرس، حيث جعله ابراهيم باشا ـ مع غيره ـ في ملفظ مدافعه فتمزقوا إرَباً إرَباً(١٣٤) وبالمقابل كان موقف أمير الرياض أثناء حصار الدرعية غير مشرف وهو ناصر بن حمد العائذي، الذي انضم إلى (ابراهيم باشا) ومعه عدة رجال من أهل الرياض(١٣٥).

المصادر والمراجع للموضوع

أولاً : مصادر ومراجع غير منشورة :

أ ــ الوثائق (من دار الوثائق القومية بالقاهرة).

١ ــ وثيقة من محمد علي إلى الباب العالي دفتر (١) معية تركي رقم ٤ ، ٧، ٤٣ عام ١٢٢٢هـ و١٢٢٣هـ .

٢ ــ وثيقة من محمد علي إلى الباب العالي دفتر (١) معية تركي رقم ٧٣، ٧٥، ٧٨ عام ١٢٢٦هـ.

٣ ــ وثيقة من محمد علي إلى طوسون محفظة (١) ذوات رقم (٢) عام ١٢٢٦هـ

الوثائق (من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض)

٤ ــ وثيقة رقم ٥/١ ـ ٢٢٢ عام ١٢٣٠هـ من محمد علي إلى السلطان العثماني.

٥ ــ وثيقة رقم ٥/١ ـ ٥٤ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان العثماني.

٦ ــ وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٩٧ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان العثماني.

٧ ــ وثيقة رقم ٥/١ ـ ١٢٤ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى الصدر الأعظم.

٨ ــ وثيقة رقم ٥/١ ـ ٥٩ عام ١٢٣٢هـ من محمد علي إلى السلطان.

٩ ــ وثيقة رقم ٥/١/ ـ ٤٥ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي.

١٠ــ وثيقة رقم ٢/١ ـ ٦٦ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى رئيس الكتاب.

١١ــ وثيقة رقم ٢/١ ـ ٤٣ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي.

ب ــ المخطوطات :

١٢ــ البسام، عبدالله المحمد، تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق بخط نورالدين شريبة.

١٣ــ الذكير، مقبل: تاريخ البلاد العربية السعودية (مخطوط بجامعة بغداد)، ومعجم البلاد السعودية.

١٤ــ ابن ضويان، ابراهيم، رسالة مختصرة في التاريخ بخط منصور الرشيد.

١٥ــ العبيد، محمد العلي: النجم اللامع للنوادر جامع في أخبار العرب المتأخرين..

١٦ــ ابن عضيب: تاريخ الشيخ ابن عضيب من عام ١٠٥٩هـ في ٤ ورقات.

١٧ــ مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب المكتبة الوطنية بباريس.

١٨ــ ابن ناصر، عبدالرحمن: عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد. مكتبة أرامكو بالظهران.

جـ ــ رسائل جامعية لم تنشر :

١٩ـ الخضيري، محمد بن سليمان: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والعراق. كلية العلوم الإجتماعية بالرياض.
٢٠ـ درويش، مديحة: العلاقات السعودية المصرية. كلية الآداب جامعة القاهرة.
٢١ـ رشوان، محمد أحمد: سياسة محمد علي في شبه الجزيرة العربية. كلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

ثانياً: مصادر ومراجع منشورة:

أ ـ المصادر والمراجع العربية والمصرية:

١ ـ البسام: عبدالله بن عبدالرحمن: علماء نجد خلال ستة قرون (ط الأولى ١٣٩٨هـ) ٣ أجزاء.
٢ ـ ابن بشر: عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد (ط وزارة المعارف الثانية).
٣ ـ ابن بشر: عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد (ط الأولى تعليق محمد بن مانع عام ١٣٢٨هـ).
٤ ـ البطريق، عبدالحميد، ابراهيم باشا في بلاد العرب ضمن كتاب ذكرى ابراهيم باشا ط القاهرة ١٩٤٨.
٥ ـ بيربي، جاكلين: اكتشاف جزيرة العرب ترجمة قدري قلعجي ط بيروت (بدون تاريخ).
٦ ـ الجاسر حمد: مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ نشر دار اليمامة بالرياض ١٣٨٦هـ.
٧ ـ الجبرتي، عبدالرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار (ط بولاق بالقاهرة، ودار الفارسي بيروت).
٨ ـ حراز السيد رجب (الدكتور): الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (القاهرة ١٩٧٠).
٩ ـ حمزة: فؤاد: البلاد العربية السعودية (ط الثانية مكتبة النصر بالرياض).
١٠ـ الحنبلي، راشد بن علي: مثير الوجد في أنساب ملوك نجد المطبعة السلفية بالقاهرة.
١١ـ خزعل: حسين خلف الشيخ: تاريخ الجزيرة العربية في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ط الأولى ١٩٦٨ بيروت).
١٢ـ خميس، عبدالله بن محمد: أهازيج الحرب أو شعر العرضة (ط الأولى ١٤٠٢هـ).
١٣ـ خميس، عبدالله بن محمد: الدرعية العاصمة الأولى (ط الأولى ١٤٠٢هـ).
١٤ـ درويش: مديحة (الدكتورة) تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين (ط الأولى ١٤٠٠هـ).
١٥ ـ الرافعي، عبدالرحمن: تاريخ الحركة القومية.. عصر محمد علي (ط الأولى ١٣٤٩هـ).
١٦ـ الريحاني، أمين: نجد وملحقاته (بيروت بدون تاريخ).
١٧ـ الزركلي: خيرالدين: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز (ط الثانية ١٣٩٧هـ بيروت).

١٨ــ بن زريق، حميد: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين (ط عُمان ١٣٩٧هـ).
١٩ــ زكي، عبدالرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي (ط القاهرة ١٩٥٠م).
٢٠ــ ستو دارد: لوثروب: حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب ارسلان (ط الرابعة ١٣٩٤هـ).
٢١ــ السروجي، محمد محمود (الدكتور) الجيش المصري في القرن التاسع عشر (ط دار المعارف ١٩٦٧م).
٢٢ــ سعيد، أمين: تاريخ الدولة السعودية (نشر دارة الملك عبدالعزيز).
٢٣ــ سعيد، أمين: الخليج العربي (بيروت بدون تاريخ).
٢٤ــ السلمان، محمد بن عبدالله: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ط الأولى ١٤٠١هـ).
٢٥ــ سيديو. ملخص تاريخ العالم (مترجم) (ط دار المعارف بالقاهرة ١٤٠١هـ).
٢٦ــ الشبل، عبدالله بن يوسف (الدكتور) محاضرات في تاريخ الدولة السعودية (كلية اللغة العربية بالرياض ١٣٩٣هـ).
٢٧ــ شريف، محمد بديع، دراسات في النهضة العربية الحديثة (ط القاهرة بدون تاريخ).
٢٨ــ الشعفي، محمد سعيد (الدكتور) كتاب بركارت كمصدر لتاريخ الدولة السعودية، ضمن مصادر تاريخ الجزيرة (ط جامعة الملك سعود).
٢٩ــ العابد، صالح محمد (الدكتور): دور القواسم في الخليج العربي (ط بغداد ١٩٧٦).
٣٠ــ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن: الدولة السعودية الأولى (ط الثانية ١٩٧٦م).
٣١ــ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن: محمد علي وشبه الجزيرة العربية (ط الأولى ١٩٨١م).
٣٢ ــ آل عبدالقادر، محمد بن عبدالله تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد (ط الأولى ١٣٧٩هـ)
٣٣ ــ آل عبدالمحسن، ابراهيم بن عبيد: تذكرة أولى النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان (نشر مؤسسة النور)
٣٤ ــ العبودي، محمد بن ناصر: معجم البلاد السعودية ــ بلاد القصيم ٦ أجزاء نشر دار اليمامة ط الأولى ١٣٩٩هـ
٣٥ ــ العجلاني، منير (الدكتور): تاريخ البلاد السعودية عهد عبدالله بن سعود (بيروت وتاريخ)
٣٦ ــ عسه، أحمد: معجزة فوق الرمال (ط الأولى ١٩٦٥م)
٣٧ ــ ابن عيسى، ابراهيم بن صالح: كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث (ط المعارف ١٣٩١هـ ملحق بابن بشر)

٣٨ ـ ابن عيسى، ابراهيم بن صالح: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (نشر دار اليمامة ط الأولى)

٣٩ ـ ابن غنام، حسين: روضة الأفكار والأفهام (ط ابابطن)

٤٠ ـ ابن غنام، حسين: تاريخ نجد تحقيق د. ناصرالدين الأسد ط الأولى ١٣٨١هـ)

٤١ ـ الغنام: سليمان بن محمد (الدكتور) قراءة جديد لسياسة محمد علي (ط الأولى ١٤٠٠هـ)

٤٢ ـ الفاخري، محمد بن عمر: الأخبار النجدية تحقيق د. عبدالله الشبل نشر جامعة الإمام محمد بن سعود

٤٣ ـ فلبي، سانت جون: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب ترجمة عمر الد يراوي (بيروت بدون تاريخ)

٤٤ ـ ابن قاسم، عبدالرحمن: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ط الأولى ١٣٥٦هـ)

٤٥ ـ القاضي، عبدالعزيز المحمد: العنيزية (ط الأولى بغداد ١٣٦٧هـ)

٤٦ ـ القاضي: محمد بن عثمان: روضة الناظرين (ط الأولى ١٤٠٠هـ)

٤٧ ـ كشك، محمد جلال: السعوديون والحل الإسلامي (ط الثانية ١٤٠٢هـ)

٤٨ ـ لوريمر، ج ـ ج: دليل الخليج ١٤٠ جزء طب دولة قطر ـ مكتب الأمير

٤٩ ـ بن مانع، محمد بن عبدالعزيز: نبذة تاريخية في تاريخ عنيزة ضمن تاريخ بعض الحوادث لابن عيسى نشر دار اليمامة

٥٠ ـ المانع، محمد: توحيد المملكة العربية السعودية ترجمة د. عبدالله العثيمين (ط الأولى ١٤٠٢هـ)

٥١ ـ محمد، حسن سليمان (الدكتور): المملكة العربية السعودية (ط القاهرة بدون تاريخ)

٥٢ ـ المختار، صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها (ط الأولى بيروت ١٣٧٦هـ)

٥٣ ـ مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب. (نشر دارة الملك عبدالعزيز بالرياض)

٥٤ ـ النبهاني، محمد بن خليفة: التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (ج ١٠ ط الثانية ١٣٤٢هـ)

٥٥ ـ نوار، عبدالعزيز سليمان (الدكتور) تاريخ العراق الحديث (القاهرة ١٣٨٨هـ)

٥٦ ـ نوار، عبدالعزيز سليمان (الدكتور) مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما (ط القاهرة ١٩٦٨م)

٥٧ ــ نوار، عبدالعزيز سليمان (الدكتور) رؤية بعض كبار مؤرخي القرن ١٣هـ لشبه الجزيرة ضمن مصادر الجزيرة (ج ١ ط جامعة الملك سعود)
٥٨ ــ وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين (ط الخامسة ١٣٨٧هـ)

ب ــ الدوريات:

٥٩ ــ البطريق، عبدالحميد (الدكتور): الوهابية دين ودولة مجلة كلية البنات جامعة عين شمس عدد ٤ يوليو ١٩٦٤م
٦٠ ــ الرشيد، منصور عبدالعزيز: قضاة نجد أثناء العهد السعودي مجلة الدارة عدد ٣ س ٤ ١٣٩٨هـ
٦١ ــ الشعفي، محمد سعيد (الدكتور): دراسات في تاريخ البلاد السعودية العدد الأول س ١ ربيع أول ١٣٩٥هـ
٦٢ ــ العقاد، صلاح (الدكتور): الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب مجلة دراسات الخليج عدد ٦ س ٢ ١٩٧٦هـ
٦٣ ــ الشبل: عبدالله بن يوسف (الدكتور): تاريخ عنيزة السياسي مجلة معهد عنيزة العلمي عدد ١٥ علم ١٣٨٥هـ

جـ ــ المراجع الأجنبية:

1- Burkhart (G), Travels in Arabia, London 1829.
2- Burkhart (G), Notes on the Bedoninsand Wahabys, London 1831.
3- Dickson (H.R.P.), Kuwait and her neighbours, London 1956.
4- Doughty (Charles), Travels in Arabia Desenta, London 1936.
5- Musil (Alios), Northern Nejd, New York 1928.
6- Niehbur (C.), Travels Through Arabia and other Countries in the East, Edinburgh 1972 Vol. 2.
7- Palgrave (W.G), Narrative of a Year Journey through Central and Eastern Arabia, London 1865.
8- Philby (H.st J.B), A Pilgrim in Arabia, London 1946.
9- Sadlier (C.G.F), Diary of a Journey across Arabia, Bombay 1866.
10- Winder (R. Boyly), Saudi Arabia in the Nineteenth Century, New York 1965.

د. محمد بن عبدالله السلمان
كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

الحواشي :

(١) القصيم: منطقة واسعة ذات قرى ومدن كثيرة وموارد للمياه ومساحتها حوالي ٦٠ ألف كم٢ تقع بين منطقتي الرياض الإدارية الحالية جنوباً ومنطقة حائل شمالاً ، ولها أهمية في صدر الإسلام لوقوعها على طريق الحج العراقي. كما أن لمرور وادي الرمة في وسطها جعل لها أهمية زراعية كبيرة. وحينما أخذت مدنها وقراها الحالية تنشأ منذ القرن السابع الهجري بقيت المنطقة مجزأه إلى إمارات عديدة حتى تم توحيدها في ظل الدولة السعودية وهو ما سيبرزه هذا البحث.

(٢) عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد جـ١ ص ٢٤ و ٢٥.

(٣) محمد بن عبدالله السلمان: «دعوة الشيخ محمد عبدالوهاب» ص ٣٢ و ٦١.

(٤) عبدالرحمن بن قاسم: الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ١ ص ١٤ ــ ١٧ ط أم القرى.

(٥) حسين بن غنام: تاريخ نجد تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٢٥٥ ــ ٢٥٨.

(٦) ولد عام ١٠٧٠هـ وتولى قضاء عنيزة عام ١١١٠هـ وتوفي بعنيزة عام ١١٦١هـ أو ١١٦٠هـ أو ١١٦٤هـ انظر عبدالله البسام علماء نجد جـ٢ ص ٥١٧ وعبدالعزيز بن عضيب: تاريخ بن عضيب (مخطوط) ورقة ٢ والمطوع معناه المعلم والمرشد.

(٧) منصور العبد العزيز الرشيد. قضاة نجد أثناء العهد السعودي ــ مجلة، الدارة السنة الرابعة العدد الثالث ص ١٢١.

(٨) عبدالله الشبل: دراسة وتحقيق الأخبار النجدية تأليف محمد بن عمر الفاخري ص ١٦.

(٩) مديحة درويش: تاريخ الدولة السعودية ص ٣١.

(١٠) مقبل الذكير: تاريخ نجد (مخطوط) ورقه ٣٠.

(١١) عبدالله البسام: تحفة المشتاق (مخطوط) ورقة ٧٦. وابراهيم بن عيسى تاريخ بعض الحوادث في نجد ص ١٠٥، والدريبي وآل أبو عليان من بني تميم. انظر حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ٢/٦١٩، ٦٢٠.

(١٢) ابن عيسى المصدر نفسه ص ١٠٨.

(١٣) مقبل الذكير: معجم البلاد السعودية (مخطوط) ورقة ١٢٣ وعثمان بن بشر عنوان المجد جـ١ ص ٦٧ ويذكر أن الذي مع سعود (حمود الدريبي) وهو خطأ لأنه قتل قبل ذالك. وابن عيسى ص ١١٣ مع ملاحظة أن مقبل الذكير يشك في وقوع الحادثة ويناقشها.

(١٤) ابن عيسى ص ١١٤ وابن بسام ورقة ٨٥. وانظر ابن بشر جـ١ ص ٧٤.

(١٥) حسين بن غنام «روضة الأفكار» جـ٢ ص ٩٠ وابن بشر جـ١ ص ٧٣ وانظر تاريخ ابن عضيب (مخطوط) ورقة ٢.

(١٦) ابن غنام جـ٢ ص ١٠١ والبسام ورقة ٨٧ وابن عيسى ص ١١٥ و ١١٦.

(١٧) تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٠..

(١٨) ابن غنام جـ٢ ص ١٠٦ و ١٠٧ وابن بشر جـ١ ص ٨١ وابن عيسى ص ١١٦، وعبدالله البسام: ورقه ٨٧.

(١٩) ابن غنام ٢/١١٢ وابن بشر ١/٨٣ ابن عيسى ١١٧.

(٢٠) راجع القصة في محمد العبودي: معجم القصيم ٢/٥٠٩.

(٢١) التنومة قرية في الأسياح شمال شرق بريدة، أنظر محمد العبودي ٢/١٥٧ والذكير المعجم (مخطوط) ورقة ١٠٩.

(٢٢) ابن غنام ٢/١٢٥ ـ ١٣٠ وابن بشر ١/٩٢ وابن عيسى ص ١١٩ . وفي تاريخ نجد لابن غنام تحقيق د. الأسد يذكر في ص ١٥٥ أن أهل عنيزة تخلفوا عن البيعة . وبمقارنته بأصل الكتاب «روضة الأفكار» لم نجد ذالك فيه !!

(٢٣) ابن غنام ٢/١٣٥ وابن بشر ١/٩٦ وابن عيسى ص ١٢٣ .Musil, op, Cit, p. 259

(٢٤) محمد بن مانع: هامش ص ٤٣ من كتاب «عنوان المجد» لابن بشر طبع بغداد عام ١٣٢٨هـ ـ الطبعة الأولى.

(٢٥) تاريخ نجد ورقه ٣٤.

(٢٦) ابن غنام ٢/١٤٣ و ١٤٤ وابن بشر ١/٩٨ وعبدالله البسام تحفة المشتاق (مخطوط) ورقة ٩٢. وانظر عثمان ابن سند: مطالع السعود (مخطوط) ورقة ١١٦.

(٢٧) المرجع السابق ورقة ٣٤.

(٢٨) محمد الخضيرى: العلاقات بين الدولة السعودية الاولى وولاة العراق في العهد العثماني (رسالة ماجستير لم تنشر ـ كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ص ١١٤ و ١١٥، وانظر محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية جـ١٠ ص ٦١ الطبعة الثانية عام ١٣٤٢هـ.

(٢٩) ثويني بن عبدالله من امراء السعد ون على المنتفق في العراق والتي استمرت قرابة ٤٠٠ سنة وتولاها ٢٢ شيخاً وهم يرجعون تسبهمم إلى الأشراف انظر المرجع السابق جـ١٠.

(٣٠) ابن غنام: تاريخ نجد تحقيق ناصر الدين الأسد ص ١٦٢ وابن بشر (ط وزارة المعارف الثانية) ص ٩٨ وعبد الرحيم عبدالرحمن: الدولة السعودية الأولى ص ٧٢.

(٣١) Doughty, op. cit. p. 381.

(٣٢) ابن عيسى: تاريخ بعض الحوادث في نجد ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

(٣٣) أمين سعيد، الخليج العربي ص ٥٨

(٣٤) عبدالكريم غرايبة: مقدمة في تاريخ العرب الحديث جـ١ ص ٣٥٨.

(٣٥) المصدر السابق ص ١٦٤.

(٣٦) حسين خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٣٣١.

(٣٧) روضة الأفكار والأفهام جـ٢ ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٣٨) عنوان المجد (ط وزارة المعارف) ١/١٠٠.

(٣٩) لعل مما يؤيد اخلاص عبدالله بن رشيد لحكومة الدرعية أنه هدم (الجناح) وأخرج أهلها بعد مكاتبتهم لثويني كما سبق انظر ابن عيسى ١٢٢ .

(٤٠) مقبل الذكير: تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٣ و٣٤، معجم البلاد السعودية (مخطوط) ورقة ١٢٤ ـ ١٢٦ .

(٤١) المرجع السابق ورقة ١٢٤.

(٤٢) مقبل الذكير: تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٤. والمعجم ورقة ١٢٦. ومحمد العبودي: معجم القصيم ج ٤ ص ١٧٠١.

(*) المعنى أن ديرته وهي عنيزة دخلها سعود وحجيلان بالخديعة ولم يكن بالحرب.

(٤٣) عبدالله البسام: علماء نجد خلال ستة قرون ج ١ ص ٢٥٦.

(٤٤) المرجع السابق جـ١ ص ٢٥٣.

(٤٥) محمد المانع: نبذة في تاريخ عنيزة ملحقة بتاريخ بعض الحوادث في نجد لابن عيسى ص ٢٣٥.

(٤٦) محمد العلي العبيد: «النجم اللامع للنوادر جامع» (مخطوط) ورقة ٣٧٨.

(٤٧) ضاري بن فهيد الرشيد: «نبذة تاريخية عن نجد» ص ٨٣.
(٤٨) محمد العبودي: «معجم القصيم» ١٧٠١/٤.
(٤٩) مقبل الذكير: «تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٤» و«معجم البلاد السعودية» (مخطوط) ورقة ٢٦ ومحمد العبودي: المرجع السابق جـ ٤ ص ١٧٠١.
(*) يشير إلى طريقة دخول سعود وحجيلان إلى عنيزة عن طريق الخديعة والناس لاهون بأعمالهم. ومافعلوه من أعمال بعضها يتصل بالنهب والسلب كما فعلوا بـ (مزنة بنت عبدالله بن رشيد) عندما نهب بعض جنود سعود وحجيلان ذهبها. ويقصد بـ (أخو طرفة) عبدالله بن رشيد.
(٥٠) يقصد بقوله (أباعُرف) الشاعر الشعبي الذي قال القصيدة السابقة.
(٥١) عبد العزيز المحمد القاضي: «العنيزية» ص ١٤ و ١٥. والعبودي: «معجم القصيم» ١٧٠٧/٤، ١٧٠٨.
(٥٢) مقبل الذكير: معجم البلاد السعودية (مخطوط) ورقة ١٢٦، ١٢٧. وعبدالله الشبل: تاريخ عنيزة السياسي مجلة معهد عنيزة العلمي العدد ١٥ عام ١٣٨٥هـ ص ٢ ومن الخطأ الواضح ماذكره حسين خزعل في «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٢٩٦ من أن (عبدالله بن رشيد) توفي عام ١٢٠١هـ.
(٥٣) مقبل الذكير: تاريخ نجد (مخطوط) ورقة ٣٣ و٣٤.
(٥٤) محمد العبودي: معجم القصيم ج ٢ ص ٥١١ و٥١٢.
(٥٥) ابن غنام: روضة الأفكار والافهام ج ٢ ص ١٣٠. وابن بشر: «عنوان المجد» (طبع وزارة المعارف) ج ١ ص ٩٩ و ١٠٠.
(٥٦) مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (مخطوط) ورقة ٢٢.
(٥٧) محمد العبودي: المرجع السابق ص ٥١٢.
(٥٨) Mengin, Histoire de l'Egypte p. 601.
ومنير العجلاني: عهد عبدالله بن سعود ص ٢٨٣.
(٥٩) حميد بن زريق: الفتح المبين ص ٤٩٦ و٥١٥ (طبع عمان)
(٦٠) Musil, op, cit, p. 267.
(٦١) Neibuhr, Travels through Arabia, Vol. 2, p. 131 - 132.
وانظر عبد الحميد البطريق «الوهابية دين ودولة» مجلة كلية البنات العدد الرابع يوليو ١٩٦٤ ص ٤٧.
(٦٢) محمد سعيد الشعفي: دراسات في تاريخ الدولة السعودية مجلة الدارة السنة الأولى العدد الأول ص ٢٥.
(٦٣) عبد العزيز نوار مصر والعراق ص ٩٩.
(٦٤) عبدالرحمن الجبرتي: «عجائب الآثار» جـ ١ ص ٢٨٧ (طبع بولاق) و(المحمل) جمل ينصب عليه هودج يزين بأنواع الزينة ويتقدم ركب قافلة الحج في موكب من الطبول والزمور. انظر محمد بن عبدالله السلمان: المرجع السابق ص ٥٦.
(٦٥) عبدالعزيز نوار: ضمن مصادر تاريخ الجزيرة ج ١ ص ٢٧١ و٢٧٢ وسيدو: ملخص تاريخ العالم (مترجم) ص ٢٨٨ (طبع دار المعارف بمصر. وبنوا ميشان «عبدالعزيز آل سعود» ص ٣٦.
(٦٦) محمد شريف: «دراسات في النهضة العربية» ص ٢٠.
Nicholson, Lilerary, History of the Arabs p. 467.
(٦٧) حسن محمد، المملكة العربية السعودية ص ٩.
(٦٨) صلاح العقاد: «الحملة المصرية في شبه جزيرة العرب»: مجلة دراسات الخليج السنة الثانية العدد السادس ص ١٠٧.

الاثار في منطقة عرعر

[كنت نشرت في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ــ ص ٦٣، ٦٤، ٦٥، ــ نقوشاً عثر عليها في منطقة عرعر، عرضتها في ذالك الوقت (١٣٩٠هـ/١٩٨٠م) على الأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله، وكان طالباً في الجامعة الأمريكية في بيروت، فقدم لي دراسة موجزة عنها نشرتها في ذالك الكتاب.

ثم بعد ذالك رأيت للأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله دراسةً عن تلك النقوش في «مجلة كلية الآداب» في جامعة صنعاء ــ ع ٢ ص ١٩٧٩ ــ بعنوان (ثلاثة نقوش صفوية من عرعر وبدنة)، فرأيت من إكمال بحث ماأشرت إليه في كتابي المذكور نشر بحث الأستاذ الدكتور يوسف كاملاً لتتم الاستفادة به].

ثلاثة نقوش صفوية من عرعر وبدنة[١]

النقش الأول:

(في ملك عبد الحفيظ كمال بالظهران وينسبه إلى الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية ناحية عرعر[٢].

---

(١٢٠) دارة الملك عبدالعزيز: وثيقة رقم ١/٥ ــ ٦٦ في ٢٧ محرم ١٢٣٣هـ. من محمد علي إلى رئيس الكتاب.

(١٢١) دارة الملك عبدالعزيز وثيقة ١/٢ ــ ٤٥ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي. ويذكر أنه أخذ ولد حجيلان (عبدالله) رهينة عنده.

(١٢٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: المرجع السابق ص ٣٣٥.

(١٢٣) Philby, Apilgrim in Aribia p. 135 London.

(١٢٤) جاكلين بيرين: المرجع السابق ص ٢٤١.

(١٢٥) دارة الملك عبدالعزيز وثيقة رقم ١/٢ ــ ٤٣ عام ١٢٣٣هـ من ابراهيم باشا إلى محمد علي.

(١٢٦) محمد عمر الفاخري: الأخبار النجدية ص ١٤٩.

(١٢٧) ابن بشر ٢٦٥/١.

(١٢٨) أمين سعيد: المرجع السابق ص ١٢٦ وعبدالرحيم عبدالرحمن: ص ٣٤٣.

(١٢٩) رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ص ١٣٤.
Benoist-Mechin J. Arabian Destiny- p. 53.

(١٣٠) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي ج ٤ ص ١٦٦ (من تعليقات شكيب ارسلان).

(١٣١) الرافعي - المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٩.

(١٣٢) Sadlier: Diary of Journy across Arabia p. 83.

(١٣٣) ابن بشر ٢٧٨/١.

(١٣٤) حمد الجاسر، «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» ص ١٠٠.

النص بالحرف العربي :

لوتر فتى أخ بن قدم ذي آل بلقى وتشوق آل اراش بنت أخته وآل حنن ودشر سلم وقبلل ذأل بلقى.

نقل المعنى :

لِوَتَرَ فَتى أَخِ ابن قُدم ذي آل بَلقى وتشوَّق إلى أراش بنت أُخته وإلى حَنان. فيالاتُ ويادُشَرِ سلاماً وقبولاً .

الحاشية: لوتر: اللام المفردة عاملة للجر بمعنى الاختصاص، وتقدير المعنى، هذا الحجر المنقوش لوتر، أو كتبه وتر . . . (أنظر مناقشة «جريمه» في نصوص وأبحاث ٢٦ ــ ٢٩)، وتار بفتح الواو (أنظر الاكليل ج ١ ص ٧٣)، بنو وتار (المصدر نفسه ص ٩)، وتير (المصدر نفسه ج ١ ص ٥٥). وفي اللغة الوتر = الفرد، الوتر = الذحل بمعنى الثأر، والوتر واحد أوتار القوس وفي (جام ١٣٨) يقترح واتر.

فتي: مقابل فتى ومثله بلقى وبلقاء، (أنظر ليتمن ٣٥١ = لسعد آل هفتى): هذا الفتى لسعد ايل أي خادمه. والهاء أداة التعريف في الصفوية. أنظر علماً ١٦١٥ أ، ١٦٤١ أ: لفتي بن روض وبيت بها أرض لفتي بن روض ونصب خيمته على هذه الأرض (هاردنج ــ وينت).

أخ: هنا علم ربما مثل عم وأب في النقوش اليمنية (أنظر هاردنج) و (هاردنج ــ وينت ٣٦٢) .

قدم: علم (أنظر قدم وقدام، ابن دريد ص ٤١٩)، وقدم (ابن الكلبي ص ٤٥٤) وأنظر صفوى: قدم (ليتمن ٢٨ ، وينت ٣٥ ، كوريس ٥٥). نبطى = قدمو . ويقترح جام قدم (جام ٨٥).

وتشوق آل : بمعنى اشتاق إلى. ويرد الفعل مراراً متبوعاً بالى في النقوش الصفوية (أنظر وينت ٣٥٢، ليتمن ٢٥٣).

أرش: علم جديد مؤنث ورد مذكراً (هاردنج ــ وينت ٢٩٨١، ٣٠٥٨). وفي الصفوية وورد مؤنثاً = أرشت (هاردنج). أرش = لحيانى وثمودى (هاردنج). بلميرى = أراش أنظر (شتارك). أراش = علم (أنظر ابن الكلبى ٣٥٨، ابن حزم ٣٨٧) وفي اللغة الأرش الدية.

حنن: أنظر (كوربس ١٧، ليتمن ٥٢، هانى ١٩٦) ويرد العلم مذكوراً (أنظر جام ٧٧، ١٣٤، ١٧١).

عم: العم أخو الأب معروف، والعميون من يُسَمَّى بعم، ورجل عم أي طويل (التاج). صفوى اسم علم مذكر: أنظر (وينت ١١٥، ليتمن ١٨٩، كوربس ٨٣). وورد أيضاً (عمتله) على وزن (عبد له) أي عبد أله/ عبد الله (جام ١٦٦، ٤٨).

فهلت: أنظر (كوربس ٨) الفاء استئنافية، والهاء أداة التعريف، لت هى اللات إلَهٌ عربي شمالي معروف (القرآن، النجم ١٩).

دشر: أنظر (كوربس ٢٩٤٧، ليتمن ٣٤٢). ذشر: كوربس ٥٧، وينت ١٢٧، وهو على الأرجح ذو الشَّرَى. صنم قيل: كان لبني الحارث بن يشكر بن بشر من الأزد «الأصنام» لابن الكلبى ٢٤). دشر، ذشر، ذو الشرى (أنظر معجم الآلهة مادة ذوي الشرى).

سلم: أنظر (كوربس ٨، معجم ليتمن، قائمة هانى). اعتبر اللفظ مصدراً ليعطي معنى الدعاء وليس فعلاً. وفي القرآن الكريم: ﴿سلام على المرسلين﴾ (الصافات ١٨) ﴿وسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم يموت ويوم يبعث حيًا﴾ (مريم ١٥).

قبلل: أنظر (هانى ٤٢ ــ ٤٤) المجموعة) ويبدو أن قبلل مصدر لفعل مزيد لم يذكر في المعاجم. والمعنى قبول: أن تقبل العفو والعافية، وهو اسم للمصدر وقد أُمِيْتَ فِعْلُهُ (التاج). وفي القرآن ﴿فتقبّلها ربُّها بقبول حسن﴾ (آل عمران ١٣٧) أنظر (جام ٧١).

ذال بلقى: ذ هي ذو العربية التي تضاف إلى اسم الجنس مثل رجل ذو مال،

أو الرجل ذو المال. وهي هنا من باب الإضافة إلى المعرفة. ونقل صاحب «التاج» قول الكميت:

إليكم ذي آل النبيِّ تـطلعت نـوازع قلبي من ظـماء والبب

أي إليكم يا أصحاب هذا الأسم. والقضية فيها خلاف إذ أن العادة في العربية أن لاَّ تضاف (ذو) إلى مضمر أو علم؛ وفي النقوش اليمنية القديمة تعتبر الأعلام التي تسبقها (ذو) أسماء بطونٍ وقبائل، وإنْ كان الهمداني يعتبرها أعلاماً. ففي الجزء الثاني من «الاكليل» (ص ٤٥٥) يفرد باباً اسمه باب من غلب عليه الأذوائية من حِمْيَرَ، وفيه يقول مثلاً: ذو ثاتٍ: اسم ملك، وذوبيح: هو ابن قيفان، ثم يفسر ذالك أحياناً فيقول: معنى ذوبيح: ذو خيرة القوم وشرفهم. والواقع أنَّ (ذو) يقصد بها عندما تسبق الأعلام اليمنية معنى الذي يُنْمَى إلى قبيلة كذا. كما يقال اليوم مثلاً هذا من ذِي محمد، وينوب ذالك عن النسب. فذويزن تقابل اليزني، وذو جدن تقابل الجدني، إذْ ليس هناك شخص واحد اسمه ذويزن، أو اسمه ذو جدن، أو ذو محمد وإنما أحد بطن أو قبيلة (أنظر يوسف ص ١٠٠ ــ ١١). بلقي: (أسم قبيلة) يرد المرة الثانية في النقوش الصفوية (أنظر هاردنج). وورد في (المجموعة) زهفي ورهني، يقابل ذلك زهفاء ورهناء. ويجوز أن تكون (بلقي) ذات صلة باسم البلقاء. وجاء في «التاج» وفي السيرة الشامية. أنها مقصورة، أي بلْقَى. ويمكن القول أن ذأل بلقى تعود على صاحب النقش وتر. ويتعذر أن تعود على سلم وقبلل حيث ينتظر أن يكون النص آنذاك لآل بلقِي وليس ذأل بلقي. وفي (جام ١٥٧) ورد العم مذكراً: بلقت بن بجت بن جشم.

النقش الثاني:

(من بيت صالح الحسين الغنام عثر عليه في بدنة).

النص بالحرف العربي:

لوتر بن كم بن برء ذأل تم ووجم على أخه.

نقل المعنى:

لوَتَرَ بن كَيم بن براء ذي آل تيم ووضع حجراً على قبر أخيه.

الحاشية:

كم: أنظر (وينت ٨٢٥) (هاردنج ـ وينت ٨٢٧) والعلم لحياني وثمودي (أنظر ريكمنز ١١٥). والكيم الصاحبُ حِمْيَرِيَّةٌ «التاج». وأنظر كيمة (ابن حزم ١٨٤)، كيوم (ابن دريد ٥١١). وفي اللغة: كام الفرس الحَجْرَ إذا نزا عليها. ويقترح جام كم (أنظر جام ١٢٨).

برء: أنظر (ليتمن ١١٣، كوربس ١٣١). ثمودي (ريكمنز ٥٥). براء علم (ابن الكلبي ٢٢٤، ابن حزم ٣٥١). وفي اللغة: البراء أول ليلة من الشهر. وَبُرؤ نَقَهَ من النقاهة والصحة. برء ـ ثمودي (هاردنج ـ ليتمن ٥٨، ٢٢٥).

تم: (أنظر ريكمنز ٢١٤، هانى ٢١، وينت ٤٣ ـ ٤٥. ليتمن ٨، كوربس ٨٥ ـ ٨٧). وفي اللغة الكيم العبد. أنظر أيضاً (جام ٥٦) ذأل تم.

وجم: دأبَ الدارسون على إعطاء هذا الفعل معنيين الأول: حزن، استناداً إلى معنى وجم الشائع في العربية (أنظر وينت ٥) ومقالاً بهذا الخصوص (جام، أورينت ٣٦ / ٢) و(جام ص ٤٢) حيث يستبعد أن يكون الوجم قبراً.

والثاني: وضع حجراً، أو حجارة على قبر، أو قبور، استناداً إلى معنى الوجم في العربية وهي حجارة مركومة بعضها فوق بعض أو إلى عادة قديمة عرفت عند الأمم القديمة، ولاسيما العرب، وهي وضع حجارة على القبور (أنظر ليتمن ٧٢٠ هاردنج ٥)[٣] ورغم وجاهة الرأي الأول من حيث اعتماده على المعنى المباشر البسيط للفعل (وجم) ومن ثَمَّ توسيع معناه ليشمل البكاء على الأطلال، كما عرف لدى شعراء الجاهلية، إلا أنه يبدو أنَّ وراء الفعل طقساً من الطقوس قد يُذَكِّرُ الباحث بتلك المئات من الحجارة المنقوشة التي عثر عليها في معبد أو أم (محرم بلقيس)[٤] بصرف النظر عن اختلاف الغرض، حيث قدمت تلك النقوش من

باب الحمد والثناء على أن وهبهم الإله النصر والعودة بسلام، والرزق العميم والولد الصالح . . . الخ. وهناك نص ورد في «تاج العروس» (مادة وجم) يدعم بجلاء الرأي الثاني: (الوجم حجارة مركومة بعضها فوق بعض على رؤوس القُور والآكام، هي أغلظ وأطول في السماء من الأروم وحجارتها عظام كحجارة الصبرة والأَمَرَةِ، لو اجتمع على حجر ألف رجل لم يحركوه وهي أيضاً من صنعة عاد[٥] . . . قال رؤبة [ابن العجاج ١٤٥هـ]:

وهامة كالصَّمْدِ بين الأصماد   أو وجَمَ العاديً بين الأجمادْ

وفي نص آخر: وقيل: الأروم قبور عاد «التاج»، مادة أرم.

ويستفاد من النص المذكور ما يلي:

ــ الوجم حجارة مركومة بعضها فوق بعض:

ــ الوجم كالأُروم. وفي (مادة أرم)، الاروم هو الوجم وفق بعض الأقوال، والأروم قبور عاد، وفي معنى الأروم أيضاً يرد: وذوآرام حزم به آرام جمعتها عاد «التاج».

ــ الوجم من صنعة عاد. وقد تضخم الخبر في النص كعادة الاخباريين لدى ذكرهم قوم عاد، ومثال ذلك سَرْدِهِمْ لقصة عاد إرم ذات العماد، التي أخبر بها القرآن الكريم (سورة الفجر). وفي اللغة: أرَم جمع أروم، وأروم كما تقدم، تعنى وجم.

ــ الوجم قيل هي قبور عاد.

ــ الوجم هي أعلام تنصب في المفاوز يهتدَى بها . . . وكان من عادة الجاهلية إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه تركوا عليه حجارة يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه (مادة أرم «التاج»).

واستناداً إلى ما سبق يمكن تقديم التصور التالي:

الوجم عادة قديمة كانت معروفة لدى قوم عاد، وهي حجارة مركومة تنصب ليعرف بها قبورهم، ويكون معنى الفعل وجم ــ وفق ذلك ــ وضع حجراً أو حجارة على قبر أو قبور. وهو المعنى الأرجح فيما نعتقد[٦].

إنَّ ترجيح المعنى السابق بناء على القرينة (صنعة قوم عاد) يقتضي الإشارة إلى التسمية الجارية لأصحاب هذه النقوش. فالنقوش الصفوية كما هو معلوم نسبة إلى جبال الصفا الواقعة على مقربة من منطقة الحرة[٧] إلى الجنوب الشرقي من دمشق حيث شاهد بعضها (سيريل جراهام) ونقل ذكرها إلى المهتمين من العلماء وذلك عام ١٨٥٧. وعرفت من بعد ذالك بالنقوش الصفوية ويطلق البعض على أصحابها (الصفويون). أو عرب الصفا، ويشبه ذالك اصطلاح العلماء على تسمية النقوش الكثيرة التي عثر عليها في أنحاء متفرقة من الجزيرة، وخاصة قرب مدائن صالح في الحجر، شمال غربي العربية السعودية حالياً، حيث أطلق عليها اسم النقوش الثمودية نسبة إلى ما هو معروف في الأخبار أن ثمود هم أصحاب الحجر.

وعاد وثمود في عرف أكثر أهل الأخبار من العرب البائدة، واعتبروا من نسل عوص بن أرم، وذلك موافق لأخبار التوراة (سفر التكوين الاصحاح العاشر)، وثمود من نسل غاثر بن إرم (راجع جواد علي جـ ١ ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦). وقد ذهب العلماء مذاهب في تفسير المراد من قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَر كيف فعل ربُّك بعادٍ إرَمَ ذاتِ العماد، التي لم يُخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصّخر بالواد﴾ سورة الفجر الآيات ٦، ٨ فما بعدها ــ كما تباينت آراؤهم في تفسير الاحقاف في قوله تعالى ﴿واذكر أَخَا عادٍ إذْ أَنذر قومه بالأحقاف﴾ سورة الأحقاف أية ٢١. فمنهم من قال: إنها الرمل بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر (الربع الخالي) وذهب بعضهم إلى أن إرم ذات العماد مدينة في تيه أبين بين عدن وحضرموت، وذهب آخرون إلى أنها دمشق أو الاسكندرية (جواد علي جـ ١/ ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣)، ومنهم من قال: إنها جبل بالشام (راجع «الاتقان» ص ١٤٣) و («ومعجم البلدان» مادة الأحقاف) والقول الأخير يذكرنا بجبل الصفا والحرات

حوله. ولما كانت الأحقاف في اللغة جمع حقف وهو الكثيب من الرمل. يعوجّ ويتقوس، وكل شيء اعوج فقد احقوقف («الجمهرة» مادة حقف) فإن أكثر الاخباريين اندفعوا يلتمسون مواضع قوم عاد في الصحاري، ووضعوا من أجل ذالك قصصاً كثيراً في البحث عن مواطن عاد وقبور عاد (جواد علي حـ ١ ص ٣٠٥) و «معجم البلدان» مادة الأحقاف:

ولقد جاء اسم عاد مقترناً باسم ثمود في مواضع عديدة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ (سورة العنكبوت آية ٣٨). ويظهر من الآيات أن مواضع ثمود كانت في مناطق جبلية أو في هضاب ذات صخور، وهذا ما ذهب إليه المفسرون في معنى ﴿جابوا الصخر بالواد﴾ و أصحاب الحجر في قوله تعالى ﴿ولقد كذّب أصحابُ الحجر المرسلين﴾ إلى قوله تعالى ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ سورة الحجر الآيات ٨٠ ــ ٨٢. وإذا ما أخذنا بالقول أن الأحقاف جبل بالشام كما أشار أهل الأخبار في جملة ما قالوه عن مواطن عاد، أو ما ورد في «معجم البلدان» مادة (جش أرم) انه جبل عند أجا أحد جبلي طيء في ذروته مساكن لعاد وإرم فيه صور منحوتة من الصخر، وكذلك ما يظهر من جغرافية بطليموس أن ديار ثمود كانت غير بعيدة من ديار عاد وذلك في اشارته إلى Oaditae على أنهم قوم عاد في رأي بعض العلماء (انظر «دائرة المعارف الإسلامية» مادة عاد، وأنظر أيضاً (شبرنجر ص١٩٩)، أي في أعالي الحجاز في المنطقة الجبلية التي يخترقها الطريق التجاري الذي يوصل الشام ومصر بالحجاز واليمن حيث بئر إرم بِحِسْمَى، وهي من مناهل العرب («الصفة» ص ٢٧٢)، وإذا كانت الحجر في وادي القرى واسمها باق إلى اليوم هناك، وأن مساكن عوص بن إرم أبي عاد وعمّ ثمود على رأي بعض العلماء ينبغي أن تكون في تخوم العربية الشمالية أو منطقة حوران أنظر (خارطة بطليموس في كتاب شبرنجر). (وراجع جواد علي جـ ١ ص ٢٩٧ ــ ٣٢٧) وهي مناطق الجوف حالياً في السعودية وجنوب سوريا أي جنوب صحراء النفود وشمالها من الحرّات، واستناداً إلى كون النقوش الصفوية التي عثر عليها إلى الآن في تلك المناطق ممتدة

من حوران إلى بَدَنَة وعرعر فإنه بالإمكان أن يستدل أن ما يطلق عليه اصطلاحاً (الصفويون) هم قوم عاد أو بعض من عاد[٨] وكما أطلق على النقوش التي عثر على معظمها في مناطق وادي القرى في الحجر أو مدائن صالح اسم النقوش الثمودية يمكن أن يقترح اسم النقوش العادية بدلاً من مصطلح النقوش الصفوية، والذي كما سلف نسبة إلى المكان الذي عثر فيه على النقوش، وليس نسبة إلى القوم الذين كتبوها، وبذالك يكون مصدر تاريخ العرب السائدة عاد الأولى أو الثانية وثمود هي تلك الآلاف من النقوش العادية والثمودية، ولا يضير في ذلك أن تكون النقوش الثمودية والعادية منتشرة في بقاع أخرى من الجزيرة، فهناك كانت مساكنهم إذ كان من بينهم البدو الرحل كما يظهر جلياً من طبيعة نقوشهم مصداقاً لقوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التى لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخرة بالواد﴾ وعلى رأي من فسر عاد إرم على الإضافة، وذات العماد وصف بمعنى أعمدة الخيام (راجع كتب التفسير). أما تفسيرها الشائع بمعنى المدينة المفقودة فيجوز حمله على بعض عاد الأولى أو الثانية ويتضح من قراءة محتوى النقوش الصفوية ومراجعة الرسوم الصخرية في تلك المنطقة أن أصحابها كانوا بدوًا أو شبه بَدْوٍ، وخير دليل على ذالك هو ذكر المضارب ثم تكرار رسم الجمل ثم وُرُود عادات قص الأثر، والشوق إلى الخلان، ووضع الحجر على القبور وكلها تذكر بالصور الشائعة في الشعر الجاهلي وهي البكاء على الأطلال الخ (هوفنر ص ٥٦). كما أن انتشارهم بين حرات الشام ومناطق الجوف قرب بدنة يعكس حبهم للتنقل أهمّ خاصة لدى البدو. على أن زمن الصفويين أو قوم عاد أقدم من زمن شعراء الشعر الجاهلي، بل وأقدم من زمن نقش النمارة (٣٢٨م) الذي يعتبر عادة حلقة الوصل بين الخط النبطي والخط العربي، حيث كان (الصفويون) يكتبون بخط قريب من الخط اليمني القديم (خط المسند) مثلهم في ذالك مثل الثموديين والديدانيين.

إنَّ علماء النقوش الصفوية يرجعون تاريخ هذه الكتابات إلى فترة تمتد ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرون الثلاثة بعده. وهذه فترة تلي استيطان المعينين لمنطقة ددان (العلا اليوم) وعلى مقربة من ديار ثمود الأصلية (١). كما أنها فترة

تعاصر في بعضها ازدهار الأنباط في منطقة وادي موسى جنوب الأردن البتراء، والذين امتدت دولتهم إلى الحجر.

وقد أثبتَ بعضُ الدارسين استناداً إلى بعض النقوش الصفوية المؤرخة معاصرة بعض أصحاب النقوش الصفوية لدولة الأنباط في القرن الأول الميلادي ـ أنظر مقال وينت وانظر أوكستبى نقش ٥٧ ـ ، وبعضها معاصرة للفترة الرومانية في بلاد الشام أيام تراجان وهدريان، أي في القرن الثاني بعد الميلاد (أنظر ثمود وصفا ١٠٤)[٩]. وفي نقشين نشراً حديثاً وهما (هاردنج ـ وينت ٣٧٩٢ أ، ٣٧٩٢ ج) ما قد يشير إلى معاصرة أصحاب النقوش الصفوية للثموديين، وكذالك إلى تجاورهما. ونص النقش الأول: (لنتن بن أدم بن أقدم بن قعصن وورد ثلثت أشهر سنت حرب جشم أل ثمد) أي لانتان بن آدم بن أقدم بن قعصان وورد فترة ثلاثة أشهر سنة حاربت جشم ثمودا. ونص النقش الثاني يؤكد الحادثة نفسها. فإذا كان كاتب النقش الصفوي هذا من الصفويين واشترك في حرب جشم ضد ثمود فإن ذاك يدل على معاصرة الصفويين لزمن الثموديين. كما أن الحرب ربما كانت على غرار ما عُرِف بأيام العرب وتحدث عادة بين قبائل متجاورة، فيجوز الافتراض أيضاً أن الصفويين والثموديين كانوا متجاورين. إن معاصرة (الصفويين) لفترات ازدهار الحضارة اليمنية في جنوب الجزيرة، وازدهار الحضارة العربية في واحات شمالي الجزيرة كالأنباط والتدمرين والثموديين، ووقوع مناطقهم في الحرات والصحراء، جعل منهم واسطة العقد بين القبائل البدوية في جنوب الجزيرة مفازة صَيْهد مثلاً ووسطها (كالدهناء) من ناحية وقبائل شمال الجزيرة من ناحية أخرى ضمن تأثير الحضارة الآرامية التي غلبت على بلاد الشام آنذاك[١٠]. ففي تلك الواحات الحِجْر وتيماء وتدمر والحضر نجدُ نقوشاً مكتوبة بالخط الآرامي وفي الحرَّات والصحراء حيث لا سلطة مباشرة لتلك الدول نجد امتداد خط المسند وهو المسيطر. وربما من هنا انطلق علماء الأنساب في تصنيفهم لقبائل عاد ـ من ارم أو من آرام[١١]. وفي الحالتين هم قبائل مهاجرة من جنوب الجزيرة يكتبون بما يشبه خط المسند، وعلى علاقة بالآراميين غالبية سكان شمال الجزيرة (بلاد الشام)، ومن المفيد أن يذكر هنا أن أرض (الصفويين) وخاصة جنوب صحراء

النفود هي نفسها مناطق قبيلة كَلْبٍ القضاعية بعد ذالك والتي يعتبرها بعض النسابين من حِمْيَرَ، وإليها ينتمي النسابة المشهور ابن الكلبي. وقد عثر على نقوش صفوية من المنطقة نفسها وفيها ذكر للعلم كلب وكذالك اسم لقبيلة[1]. إن هلاك عاد لا يعني انقضاء ذكرهم فقد خلده القرآن الكريم، وربما أيضاً تلك العاديات المنقوشة التي يعثر عليها بين الحين والآخر في أرجاء شمال الجزيرة.

النقش الثالث: من بيت سليمان الرشودي وعثر عليه في بدنة)

النص بالحرف العربي:

لعمر بن كدد ذأل غمت ووجم على تم وعل عيذ وعل كدد أبه ورغم مني

نقل المعنى:

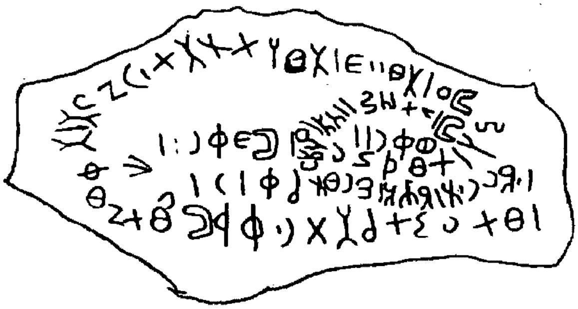
لعمرو بن كَداد ذي آل غمت ووضع حجراً على قبر تيم وعلى قبر عياذ وعلى قبر أبيه كداد والموت غلب.

الحاشيــة:

عمر: أنظر (هاني ٨، وينت ١٧٥، ليتمن ٧٥، كوربس ١٢٩، (ريبرتوار ١٦٧). وورد فعله (أنظر جا ٥٦: لهذمت بن عكم وعمر وتشوق)، أي استقر، وربما كانت هذه من أقدم الإشارات المكتوبة على ورود هذا الفعل. وسمى الرجل عمراً تفاؤلاً أن يبقى. والمراد بالعمر عمارة البدن بالحياة (ابن دريد ١٣ ــ ١٥) ويجوز أن يكون العلم عامراً وعماراً.

كدد: علم جديد في النقوش الصفوية أنظر كددت (هاردنج) كددن (ريبرتوار ٣٠٠). وكداد بطن من مراد. والكداد اسم فحل تنسب إليه الحُمُر، يقال بنات كداد، وأصل الكد الإلحاح في طلب الشيء «التاج»، والكدادي نسبة يمنية حديثة معروفة.

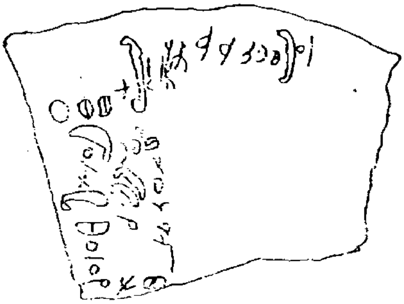
غمت: علم جديد، وأنظر غم (كوربس ٢٠٩٦)، غمت مصدراً (ليتمن ٢٥٧)، وأنظر غمة وغمت، علمان «التاج».



النقش رقم ١



النقش رقم ٢



النقش رقم ٣



صور لحجر عليه نقش صفوي

عيذ: أنظر (ليتمن ١٤٥، كوربس ٢١٩٠، ريبرتوار ١٦٠)، جام ١٥٠: عذ = عوذ وأنظر عائذ (ابن الكلبي ١٤٨، ابن دريد ٣٤) عياذ: «التاج» مادة عود).

رغم مني: ورد هذا التعبير في النقوش الصفوية بالصور التالية:

رغم مني عل (جام ٩٠)، ورغم مني علهم (هاني ٣٤)، رغمت مني (كوربس ٣٠٤) ألم رغم (وينت ٥١٦)، لمن رغم مني (جام ١٧٣). وكان (ليتمن) قد فسر التعبير بمعنى رغماً عنه (ليتمن ٣٥٤) ولكنه عدل عن رأيه واعتمد المعنى: (كاره للموت) (ليتمن. الذيل ص ٢٤٧، ٢٥٥) واقترح (وينت) أن يكون المعنى رغيماً في الموت خاضعاً للموت (وينت ٣١٩). ويعتقد (رودنسون) أن معنى رغم كامن في الأصل السرياني (رعم) ومعناه: حدب على، رحم أي عطفا يا موت (جلكس ٥٣ ــ ٥٦). ويرى (بيستن) أن المعنى يقترب من قولهم باللغة الانجليزية تبعاً للموت (مقالة في أفو).

ومن حيث اشتقاق اللفظ رغم فقد اعتبر إما فعلا أو اسم مفعول (على صيغة فعيل): أو فاعلاً (رغم رغيم راغم) ففي الحال الأولى يكون الفاعل صاحب النقش وفي الثانية يكون اسم المفعول صفة مشبهة للميت وفي الثالثة يكون صاحب النقش هو صاحب الحال (راغماً).

وفي معاجم اللغة يضبط رغم هكذا (رغم) مصدر بمعنى الكره أو القسر أو الذل أو التراب. (رغَم) على وزن فعّل أي قال رغماً رغماً، (راغم) أي غاضب وفي الحديث الشريف: بعثت مرغمة أي هواناً وذلاً للمشركين، وفي حديث السقط أن السقط ليراغم ربه أن أدخل أبويه النار (أي يغاضبه). وفي حديث سجدتي السهو: وإن صلى إتماماً لأربع كانتا ترغيماً للشيطان («معجم الحديث» جـ ٢ ص ٢٧٧).

وبمراجعة نصوص النقوش السالفة الذكر يلاحظ ما يلي:

ــ يرد الفعل وجم (وأحياناً بني أيضاً) مع التعبير رغم منى في النقش نفسه، مما يدل على أن التعبير يتعلق بالقبر (أو قل الموت). وقد يرد معهما اللفظ ترح بمعنى

حزن (فعل) أو حزن (مصدر) (راجع هانى ٥٤).

ـ إنَّ رغم سواء كان اسماً مشتقاً أو فعلاً يؤدي معنى الغلبة (خضوع وذل).

ـ إن منى تعني المنية (الموت) ولا ريب، وصيغة منى (مقصورة) في اللغة ترد مرادفة منية «التاج». وتقابل صيغة منى (منقوصة) في النقوش الصفوية. (أنظر أكستبى ١٥: مني اسم علم أيضاً).

ـ إن الرغم أو الترغيم أو المراغمة كما وردت في اللغة مصادر لفعل متعدٍّ، وفي النقوش الصفوية ما يؤيد ذالك مثل ورغم مني علهم (هانى ٣٤).

ـ إن اللفظ رغم يرد متبوعاً بلفظ مني (وفي حال واحدة فقط ورد مسبوقاً باللفظ (ألم) ويمكن اعتبار ألم في الحال هذه مفعولاً مقدماً).

ـ إن ورود حرف العطف. الواو قبل رغم في النقش الذي هو محور هذا الحديث يفيد بالضرورة نسق العطف لما يليه أي إن التابع فعل.

ـ غير أنه في نقش (كوربس ٣٠٤) ورد اللفظ ملحقاً به تاء التأنيث: ووجم عل أذنت حببته رغمت منى؛ وكذلك في نقش (كوربس ٣٠٥) ووجم على ذعر حببته رغمت منى؛ مما قد يوحي بأن (رغمت) صفة مشبهة أي رغيمة الموت ولكن ذالك قد يكون موافقاً لما في الذهن حيث أنَّ العرب تؤنث معنى الموت في قولهم المنية. وليس بالضرورة أن تعود التاء على الميت، وفي النقشين الميت امرأة.

ـ وخير دليل على أن رغم ينبغي أن تعتبر فعلاً هو النقش (جام ١٧٣): لعقرب بن منعت ووجم على أشيعه (في نسخة غير منشورة مع الدكتور الغول: أشيعن) فهلت غرت (في نسخة الغول المذكورة سعرت) لمن رغم مني، حيث أن اسم الموصول قبل رغم مباشرة يرجح كون اللفظ التالي فعلاً.

ـ وبعد أن أمكن إثبات صيغة الفعل للفظ رغم يجوز الآن سرد النصوص التالية من «الإكليل» الجزء الثامن:

ـ في خبر عن قبر هود في وادي الأحقاف: ورأيت عند رأسه (صاحب القبر)

كتاباً بالعربية: (أنا هود الذي آمنت بالله وأسفت على عاد وكفرها وما كان لأمر الله من مرد) «الإكليـــل» جـ ٨ ص ١٣١ ــ ١٣٣.

ــ وفي لوح بقيلة بن عبد المدان: (عشت خمس مئة عام وقطعت البلاد ظاهرها وباطنها فلم يكن ينجيني من الموت شيء) «الإكليـل» جـ ٨ ص ١٦٤.

وفي لوح مضاض بن عبد المسيح: (عشت ثلاث مئة عام وأخذت مصر، وبيت المقدس وهزمت الروم بالدرب ولم يكن لي بد من الموت) «الإكليل» جـ ٨ ص ١٦٥.

ــ وفي أخبار عن قبور في اصفهان: (أنا رستم ملك هذه المدينة أعطيت بطش الجبابرة ونعمت نعمة لم تجتمع لملك قبلي ودوخت الجنود، وفللت الحديد، ولم أجد للموت دواء) «الاكليل» جـ ٨ ص ١٧١.

ــ أنا بهرام ابن الملك، (الموت حتم) «الإكليل» جـ ٨ ص ١٧١.

ــ ووجد قبر بالقرب من ذالك فإذا فيه رجل ميت وعلى رأسه كتاب لمسند في صفيحة من ذهب فيها اسمه ونسبه وفيها: بسم الله، كل شيء احتلنا له والموت غلبنا: «الاكليل». جـ ٨ ص ١٢٧.

هذه القبوريات كما سماها الهمداني وإن كانت تبدو من صنع الأخباريين إلا أنها تعكس ما كان يكتب قديماً على شواهد القبور، وتشترك جميعها بكونها تنتهي بذكر الموت والاقرار بحتميته وأن لا مهرب منه. وفي النص الأخير تبدو الفكرة جلية ويكاد يكون التعبير (والموت غلبنا) هو نفس التعبير (ورغم منى) رغم تأخير الفعل. ومن معاني (رغم) كما سبقت الإشارة أيضاً: غلب. واستناداً إلى ما تقدم يمكن القول أن (ورغم مني) تعني: والموت غلب وهي كما أزعم وجهة نظر جديدة مؤيَّدة قد تنهي الجدل الطويل الذي دار حول معنى التعبير بين العلماء.

فهرس الاختصارات (الكتب والمقالات)

القرآن الكريم:

ابن حزم: أبو محمد علي «جمهرة أنساب العرب» تحقيق عبد السلام هارون،

دار المعارف القاهرة ١٩٦٢.

ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد. «الاشتقاق» ــ تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٥٨.

ابن الكلبي: هشام بن محمد، «جمهرة النسب». تحقيق كاسكل، ليدن ١٩٦٦ جزآن.

«الاتقان»: جلال الدين السيوطى، «الاتقان في علوم القرآن» توزيع دار الفكر، بيروت لبنان طبعة المطبعة الحجازية المصرية ١٣٦٨ هـ.

«الأصنام»: هشام بن محمد، كتاب الاصنام، تحقيق أحمد زكي، ليبزيج ١٩٣١.

أفـــو:

A.F.L. Beeston, in Archiv fuer orientsforschung 79 (1960) PP. 184 - 5.

«الإكليل»، أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، الإكليل ح ١ تحقيق محمد علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٣. ج ٢ محمد علي الأكوع، القاهرة ١٩٦٧. ج ٨ تحقيق انستاس الكرملي بغداد ١٩٣١ وتحقيق نبيه فارس/ تصوير دار العودة بيروت تاريخ (وأعلم أنه صور عام ١٩٧٩).

أكستبي:

W. G. Oxtoby: Some Inscriptions of the Safaitic Beduin, American Oriental: Series, Vol. 50, New Haven, Connecticut, 1978.

«أنساب الاشراف» أحمد بن يحيي المعروف بالبلاذري، أنساب الأشراف ج ١ تحقيق محمد حيدالله معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، دار المعارف بصر ١٩٥٩ القاهرة.

«التاج»: محمد المرتضى الزبيدي «تاج العروس» ج (١ ــ ١٠). دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي (طبعة مصورة من الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية القاهرة ١٣٠٦ هـ).

ثمـود وصفـاً :

E. Littmann: Thamud und Safia. Abhandlungen Fur die kunde des morgenlandes, Bd. 25 Nr. 1, Leipzig 1940.

جام أورينت:

A. Jamme, the Safaitic verb Wgm, in Orientalia, Institute Biblique Pontifical, Rome, XXXVI, pp. 159ff.

جــــام:

A. Jamme, Safaitic Inscriptions from the Country of ʻAr ʻAr and Ras Al-Ananiyah, in Altheim-Stiehl, Christentum am Roten Meer I und iI Bd., Berlin, 1971 & 1973.

جــــام محرم:

A. Jamme: Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Baltimore, 1962.

جريمه نصوص وأبحاث.

H. Grimme: Texte und Untersuchungen zur safatenisch – arabischen Religion, paderborn, 1929.

جلكس:

M. Rodinson, note sur une expression safaitique, comptes rendus, du groupe: linguistique d'etudes chanito - semitiques, (Paris), VIII (1957-1960).

«الجمهرة»: محمد بن الحسن بن دريد «جمهرة اللغة ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٤٥ هـ (تصوير مكتبة المثنى بغداد).

جواد علي: جواد علي، «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» جـ ١، دار العلم للملايين بيروت مكتبة النهضة بغداد، ط ٢ بيروت ١٩٧٦.

معجم الالهــه:

H.W. Haussing: Worterbuch der Mythologie Gotter und mythen im Vordeven Orient. E. Klett Vertag, Stuttgart 1965.

معجم الحديث:

A.J. Wensinck: concordance et indices de la tradition musulmane, II, Leiden (1943).

«نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» لابن سعيد المغربي، حقق قسماً منه وترجمه إلى الألمانية مانفـرد كرب كرسالة علمية، هايدلبرج ١٩٧٥

«معجم البلدان»: ياقوت الحموي «معجم البلدان» توزيع دار الكتاب العربي. بيروت ــ لبنان (تصوير بدون تاريخ).

هاردنج:

G.L. Harding: An index and concordance of the pre-islamic arabian names and Inscriptions. University of Toronto press. 1971.

هاردنج ــ ليتمن:

G.l. Harding and E. Littman: Some Thamudic Inscriptions from the Hashemite Kingdom of Jordan iden, 1952.

هاردنج ــ وينت:

F.V. Winnett and G.L. H arding: Inscriptions from fifty safaitic cairns. University of Toronto Press. 1978.

هاني:

G.L. Harding, the Cairnn of Hani, in Annual of the Department of Antiquities of Jordan, vol. 2, 1953, pp. 8-56.

هوفنـــر :

Maria Hoefner, die Beduinen in den Vorislanischen arabischen Inschritten (l'antica societa, beduina, studi semitici) University di Roma, 1959.

وينت :

F.V. Winnett: Safaitic Insciptions from Jordan, University of Toronto Press, 1967.

وينت ــ ريد :

F.V. Winnett and W.L. Reed: Ancient Records from north Arabia. University of Toronto Press, 1970.

يوســـــف :

Yusuf Abdallah, die persomennamen in Al-Hamadan 'is, Al-IUklil und Ihre parallelen in den altsudarabischen Inschriften, Tubingen, 1975.

دائرة المعارف الإسلامية :

H.A.R. Gibb and G.H. Kramers: Shorter Encyclopaedia of Islam, E.J. Brill, Leiden 1965.

ريكمنز :

G. Ryskmans: Les Noms Propres sud-semitiques, I-III, Lovrain, 1934-35.

شبر نجـــر :

A. Sprenger: Die alt Geograhic Arabien (Nachdruck der Ausgabe Berlin 1875).

شتارك :

J.K. Start: Personal Names in Palmyrene Inscriptions, Oxford at the Clarendon Press. 1971.

فلهوزن:

J. Wellhausen: Reste Arabischen Heiden-tums, Berlin, 1897.

الكتاب المقدس:

كوربس:

Corpus inscriptionum Semitacarum, Pars V, fasc. I, Paris, 1950.

ليتمن:

E. Littman: Safaitic Inscriptions, Publication of the Princeton University, Archaeological Expeditions to Syria 1904-1905 and 1909, Division IV, Semitic Inscriptions, Section C; Leyden - E.J. Brill 1943.

المجموعة: يوسف محمد عبد الله:

النقوش الصفوية في مجموعة جامعة الرياض عام ١٩٦٦ رسالة ماجستير قدمت إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى كلية الآداب والعلوم، الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٧٠.

مقال وينت:

F.V. Winett, the Revolt of Damasi: Safaitic and Nabatean Evidence. Bulletin of the American Schools of Oriental Research, Number 211. October 1973.

صنعاء: د. يوسف محمد عبدالله

الحواشي:

(١) هذه النقوش الصفوية الثلاثة بعض ثمار رحلة قام بها الأستاذ الدكتور محمود علي الغول نائب رئيس جامعة اليرموك حالياً [توفي رحمه الله سنة ١٩٨٤م] عام ١٩٦٦ إلى الحدود الشمالية من المملكة العربية السعودية بتكليف من جامعة الرياض وإليه وحده يعود فضل اكتشاف هذه النقوش وفضل النشر. وهي أيضاً ثلاثة من مائة وعشرين نقشاً جديداً قمت بقراءتها كجزء من دراستي للحصول على درجة الماجستير من الجامعة

الأميركية في بيروت عام (١٩٧٠). وتنشر النقوش الثلاثة هنا لأول مرة بعد إعادة كتابة المادة واستكمالها واستيفاء مصادرها وتضمينها وجهات نظر جديدة.

وكان الدافع المباشر لنشرها هو نبأ وفاة العالم البريطاني (لانكستر هاردنج) رئيس دائرة الآثار الأردنية سابقاً من خيرة المشتغلين بالآثار العربية والنقوش الصفوية. وكان قد توفي في ١١ فبراير ١٩٧٩م بانجلترا. والسطور التالية في ذكرى (لانكستر هاردنج). اعترافاً بفضله وتجلة لعلمه. (راجع قائمة الكتب في آخر البحث).

(٢) تقع مدينة عرعر في شمال المملكة العربية السعودية (٣٠° - ٥٩َ، شمالاً، ٤٠° - ٢َ شرقاً) قرب محطة ضخ التابلاين. وقد زار المنطقة من العلماء أيضاً (ألبرت جام) في مارس ١٩٦٩ ونشر نصوصاً جديدة تحت عنوان نقوش صفوية من منطقة عرعر، وتقع بدنة على مقربة من عرعر. ومن المواقع الأثرية حول عرعر وبدنة، العويصى، والشاظى شمالاً وغدير بدينة «والموقع الأثري» جنوباً.

(٣) في لهجات اليمن اليوم: وجَّم (بالتضعيف) جمع حزم سيقان الذرة بعد الحصاد وكومها الميجام هو الكومة المكونة من الحزم. وسمعتها بنفسي في مناطق الحجرية.

(٤) جام محرم.

(٥) الحجر هو أهم ما يميز وثنية عرب الجاهلية وهو النصب والجمع أنصاب ويكون رمزاً للمعبود. وحجارتهم ضخمة ولا ينقلونها معهم وبعضها تكون صخوراً كالفلس والجلد والسعد (ص ١٠١ - ١٠٢ فلهوزن).

(٦) كان العرب في القديم يضعون على القبر كومة من الحجارة ثم يأتي آخرون بعد ذالك يقومون بالعمل نفسه ويدعى ذالك الوجم كما هو معلوم في النقوش الصفوية (معجم الآلهة).

(٧) ذكر لي صديقي الدكتور رضوان السيد قول ربيعة بن مكدَّم [العرب: (الصواب قول حسان بن ثابت حين مرَّ بقبر ربيعة بن مكدَّم] نَفَرتْ قلوصي من حجارة حرة وضعت على طلق اليدين وهوب.

[«ديوان حسان»: تحقيق د: وليد عرفات - ٤١٠]

والبيت كما يفهم يشير إلى (صنعة قوم عاد) وهي هنا وضع الحجارة على قبور الكرماء.

(٨) وقد ذهب الأخباريون إلى وجود طبقتين لقوم عاد وهم عاد الأولى وعاد الثانية وهاجرت إحداها من اليمن . . . وفي القرآن الكريم «وانه أهلك عاداً الأولى وثموداً فما أبقى» النجم الآية ٥٠. وفي النقوش الصفوية يتكرر العلم (عد) أي عاد عشرات المرات (انظر هاردنج) و (هاردنج - وينت). مثال ذالك: لجهم بن زهران بن ثملة بن عاد ووجم على أبجر ذال ضيف.

(٩) مزج الأخباريون العرب بين مواطن الآراميين والعرب وإن كانوا يفرقون أحياناً بين إرم وآرام (أنظر «دائرة المعارف الإسلامية مادة ارم. ارم مرادف لعاد وكذالك أطلق ارام على ثمود (م. نفسه) ويذكر بطليموس أرض عادة في منطقة أرميا. كما يقرن القرآن الكريم عاد بإرم في قوله تعالى «ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد» سورة الفجر.

(١٠، ١٢) يذكر صاحب أنساب الاشراف أن عادا كانوا قد ملأوا ما بين الشام واليمن، من دلني على رجل من آل عاد فله ما شاء. راجع القول في حديث البلاذري عن عاد في «أنساب الأشراف».

(١١) أنظر (المجموعة)، راجع «الصفة» ص ٢٧٢. ويذكر صاحب («نشوة الطرب» ٦٠) أن كلب هو ابن وبرة من قضاعة وقضاعة على رأي الهمداني - راجع «الإكليل» ج ١ - هو ابن مالك بن حمير، تديرت في الجاهلية دومة الجندل وتيماء وتبوك وأطراف الشام.

★ ★ ★

ملاحظات على كتاب:

ـ ٤ ـ

الصحاح

تاج اللغة وصحاح العربية

٢٢٢ ـ ص ٤٨٢ : السُخْدُ معرب من الفارسية (سوخته) أي محترق من المصدر (سوختن) أي الاحتراق .

٢٢٣ ـ ص ٤٨٤ : (الاسْرِنْدَاءُ ، والاغْرِنْدَاءُ واحدٌ) . الصحيح : الاغرنداء . بالغين المعجمة قاله الجوهري نفسه في (غرد) وانظر أيضا شرح «شواهد المغني» للسيوطي .

٢٢٤ ـ ص ٤٨٧ : (يدل على ذلك أنه يجمع على سَيَائِدَةٍ). الصحيح : سيائد . كذا في مصدر الجوهري وهو «أدب الكاتب» لابن قتيبة ٥٩٨ ـ ٥٩٩ (ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٢)، وكذا في نقل «اللسان» عن الجوهري .

٢٢٥ ـ ص ٤٨٩ : (السِيد : الذئب . . والجمع : سِيَدان). ضبط المحقق الياء من سيدان بالفتح وهذا خطأ ، والصواب ضبطها بالإسكان .

٢٢٦ ـ ص ٤٩٠ : (قال ابن رُمَيض العنبري) . الصحيح : العنزي ، وهو رشيد بن رميض «الأغاني» ١٤ / ٤٤ ، «النقائض» ٢٠٧ الخ) ويسمى أيضا (رويشد بن رميض) كما في «الكامل» ٣٣٤ . وبذا نعلم خطأ الدكتور عبدالله عسيلان حين قال في تعليقه على «الحماسة» ٢٠٦ (الرياض ، ١٩٨١) : (في الأصل : رويشد ، ومن الواضح أنه تحريف ، ذلك لأن نسخ «الحماسة» والمصادر أجمعت على رشيد ، ولم أجد أصلاً لرويشد) . وقد رأيت فيما سلف أن لرويشد أصلاً .

٢٢٧ ـ ص ٤٩٢ : (الشِيدُ بالكسر : كل شيء طَلَيْتَ به الحائِطَ من جِصٍّ أو

مِلَاطٍ) ، علق المحقق بقوله : (في المطبوعة الأولى : البلاط ، بالباء وهو تحريف). قلت : التحريف هو ما أثبته الأستاذ العطار في مطبوعته ، لأن واجب المحقق أن يترك النص كما كتبه مؤلفه وان كان خطأ ، ونص الجوهري : (البلاط). وقد أخذه من «الغريب المصنف» لأبي عبيد ، وهذا خطأ من أخطاء أبي عبيد أخذه عليه علي بن حمزة («التنبيهات» غ ٤٩) ومن بعده كابن سيده في «المحكم» (شيد) وهو ينقل من علي بن حمزة .

ومما يدل على أن هذا هو نص الجوهري أن صاحب «القاموس» (شيد) أخذه عليه ، وكذلك ابن بري ١ / ٣٠ ، وقد علمت أن الغلط من جهة أبي عبيد والملاط من السريانية Mlata ، أما الشيد فينظر الأنباري ٢٥٧ .

٢٢٨ ـ ص ٤٩٨ : (جاء في الحاشية : عامر بن الصفيل). الصحيح : عامر ابن الطفيل ، وأرجو أن يكون مافي الأصل تطبيعا ، انظر مثلا «جمهرة أنساب العرب» ٢٨٥

٢٢٩ ـ ص ٥٠٣ : (قال عمر رضي الله عنه : اخْشَوْشِنُوا وَتَمَعْدَدُوا . قال أبو عبيدة : فيه قولان).

هذا تحريف ، والصحيح : (أبو عبيد) ؛ فالكلام الذي ذكره الجوهري منقول من كتابه «غريب الحديث» ٣ / ٣٢٧ ـ ٣٢٨ واعتراض صاحب «القاموس» (معه) لا معنى له والرد عليه يخرج من مجال البحث اللغوي .

٢٣٠ ـ ص ٥٠٤ : أنشد الجوهري قول الشاعر :

أُلَاقِي من تَـذَكُّـرِ آلِ لَيْـلَى ... كـما يَلْقَى السَّلِيمُ من العِدَادِ

لم ينسبه المحقق لأن صاحب اللسان لم ينسبه ، وهو لكثير كما في هامش «غريب الحديث» ١ / ٧٣ .

٢٣١ ـ ص ٥٠٥ : في الحاشية (عصده يعصده عصداً : إذا لواه). لا فائدة من ذكر تصريف الفعل مالم يضبط بالشكل أو التنظير ، وهو من باب ضرب كما في

«ديوان الأدب» للفارابي ٢ / ١٥٢.

٢٣٢ ــ ص ٥٠٧ : (واليَعْضِيدُ : بقلةٌ ، وهي الطَّرْخَشْقُوقُ) . علق المحقق بقوله : (تشبه الهندباء البري . اه . . عاصم).

هذا التعليق نقله المحقق من هامش المطبوعة الأولى ٢٤٥ دون إشارة إلى المرجع ، ولزم التنبيه على هذا لأن الطرخشقوق لم يتفق على ماهيتها وكلامهم عنها مجموع في (من القاموس) للين ٢٠٧٣ (USA, 1956) وفيه أن جولينس رأى أنها من اليونانية taraxicon، وهذا الافتراض انتحله الأب انستاس الكرملي ، وردده مرارا كأنه من بنات أفكاره (انظر مجلة «لغة العرب» في مواضع مختلفة من الفهرس العام لها).

٢٣٣ ــ ص ٥٠٨ : (وربما قالوا : جملٌ عُلَنْدَى). ضبط المحقق علندى بضم ففتح ، والصحيح ضبطها بضمتين . أنظر «المقصور والممدود» لابن ولاد ٨٥ (نشرة Bronnle في ليدن ، ١٩٠٠).

٢٣٤ ــ ص ٥٠٩ : قال لبيد . .

فبَاتَ السَّيْلُ يركَبُ جانِبَيْهِ من البَقَّارِ كالعَمِدِ الثَقَالِ

الثقال بالقاف صوابها : (الثفال) بالفاء وهو الجمل البطيء كذا جاء في مصدر الجوهري وهو «الاصلاح» ٤٨ وتهذيبه ١ / ٨٣ وهو كذلك في «ديوان لبيد» ١١ (دار صادر) .

٢٣٥ ــ ص ٥١٤ : (والمَغْرُودُ مثله). الصحيح المُغْرُودُ بضم الميم كما في كتاب «ليس» لابن خالويه ٥ و«اصلاح المنطق» ٢٤٩ وقد جاءت كلمة (المغرود) عند ابن بري ١ / ٤٣ مضبوطة بالفتح وهذا خطأ .

ص ٥١٥ : (والخَشَبَةُ التي يحرَّك بها التنُّور مِفْأَدٌ). ضبطت مفأد بكسر فضم ففتح ، والصحيح أنها على وزن منبر ، لأنها اسم آلة .

٢٣٦ ــ ص ٥١٨ : (أبو زيد : أفَدْتُ المالَ : أعطيته غيري ، وأَفَدْتُهُ :

اسْتَفَدْتُهُ . وأنشد للقَتَّال). العبارة مضطربة ، وترتيبها الصحيح : (الكسائي : أفدت المال . . وأنشد أبو زيد للقتال) كذا في مصدر الجوهري ، وهو «الغريب المصنف»، باب الأضداد («المزهر» ١ / ٣٩١) وكذا جاء في نقل «اللسان» عن الجوهري ، وقد شك أبو حاتم في هذا في أضداده رقم ١٥٢ (بيروت ، ١٩١٣) وعنه وعن التوزي أبو الطيب في أضداده ٥٣٨ ، وكذلك ابن الأنباري في أضداده رقم ١٣١ وأنشد الشاهد ورغم تداول اللغويين له لم يتعرف محقق الكتاب محمد أبو الفضل ابراهيم على قائله .

٢٣٧ ــ ص ٥١٨ : (رَجلٌ قِتْرِدٌ) ضبطها المحقق بكسرتين ، والصواب أن تضبط كعلبط («تهذيب اللغة» ٩ / ٤١٥ . . الخ)، وبكسرتين ــ وهو بالثاء كما في «القاموس» ــ يعني الصوف ونحوه كما في «نوادر أبي زيد» ١٧٥ ، وعنه القالي في «البارع» ٥٤٩ .

٢٣٨ ــ ص ٥١٩ : (بكرةٌ قَحْدَةٌ) وأصله قحدة (بكسر الحاء) فسكنت مثل عشرة وعشرة ضبطت عشرة الأخرى بفتح الشين ، ولو كانت كذلك ماجاز تخفيفها لأن المفتوح أخف الحركات فلا يخفف بالإسكان («رسالة الغفران» ٣١١ ــ ٣١٢) وانما هي عشرة بالكسر ، وهي لغة في عشرة مشهورة ذكرها سيبويه ٢ : ١٧١ وغيره ، وقد نسبها سيبويه إلى بني تميم كعادتهم في اللغات غير القرآنية .

٢٣٩ ــ ص ٥٢٠ : ذكر الجوهري بيتا للفرذدق :

تَقُولُ إذا اقْلَوْلى عليها وأَقْرَدَتْ

فنقل المحقق في تفسيره عن ابن بري كلاما بعيدا من معناه ، ويراجع لمعناه «النقائض» ٧٥٣ (نشرة Bevan في ليدن ١٩٠٨ ــ ١٩٠٩) وانظر أيضا «شواهد العيني» ٢ / ١٣٥ ففيه ذكر لتفسير آخر خطأ .

٢٤٠ ــ ص ٥٢١ : (أنشد الجوهري للأخطل :

فـإنْ كُنْتِ أَقْصَدْتِنِي إذْ رَمَيْتِنِي بِسَهْمَيْكِ فالرَّامِي يَصِيدُ ولايَدْرِي

البيت مكسور ، وصحة انشاده :

فإن كُنتِ قد أقْصَدتني إذ رميتني   بسَهْميك فالرَامِي يريش ولا يَدْرِي

كما في المطبوعة الأولى ، ومثله مصدر الجوهري وهو «اصلاح المنطق» ٢٥٠ ، ونقل اللسان عن الجوهري وكان في المطبوعة الأولى : (بسهمك) فغيرها المحقق متابعة «للسان»، ولكن رواية المطبوعة الأولى توافق رواية «الاصلاح» .

٢٤١ ــ ص ٥٢١ : (القَرْدُودُ من الأرض) ضبط المحقق القاف من القردود بالفتح ، والصحيح ضبطها بالضم للأسباب المذكورة فيمافرط (رقم)، وانظر عن هذه الكلمة مع شاهد عليها «الجيم» ٣ / ١٠٢ وانظر «الوحشيات» رقم ٢٣٥ (نشردار المعارف) و«المجتبى» ٩٩ (حيدر أباد ، ١٣٦٢ هـ).

٢٤٢ ــ ص ٥٢٣ : (فَعِيلُ وفَعُولٌ مما يَستوي فيه الواحد والاثنان والجمع كقوله تعالى : ﴿أنا رَسُولُ ربِّكَ﴾ .

قلت : اشتبه على الناسخ هذه الآية بالآية المكتوبة أصلا كما يفيده نقل «اللسان» و«مختصرات الصحاح» «كالتهذيب» و«المختار») وهي قوله تعالى (٢٦ / ١٦)﴿إنا رسول رب العالمين﴾ .

٢٤٣ ــ ص ٥٢٤ : وقال الأعشى :

طَــرِفُــونَ وَلَاّدُونَ كُــلَّ مُبَــارَكٍ   أمِرُونَ لا يَرِثُــونَ سَهْمَ القُعْدُدِ

صحة البيت :

أمِــرُون ولَاّدُونَ كــل مُـبَــارِكٍ   طَرِفُونَ لا يَرِثُونَ سَهْمَ القُعْدُدِ

كذا جاء في مصدر الجوهري ، وهو «اصـلاح المنطق» ليعقوب ١٠٣ ، ثم ان البيت ليس للأعشى وانما لأبي وجزة كما في «سمط اللآلىء» ٨٠٩ .

٢٤٤ ــ ٥٢٧ : أنشد الجوهري للأعشى :

فــما أجْشِمْتُ مِن إتْيانِ قَــوْمٍ   هُمُ الأعْــداءُ والأكبــادُ سُــودُ

الصحيح : (فالأكباد سود) كما في «المعاني الكبير» لابن قتيبة ٨٥٠ ، ١١٣٥ (نشرة كرنكو ، في حيدر اباد ١٩٤٩)، والديوان ٢١٤ (نشرة جاير) .

٢٤٥ ـ ص ٥٢٨ : أنشد الجوهري :

وعَــيرٌ لهـا من بنـاتِ الكُـدادِ يُـدَهْـمِـجُ بـالـوَطْـبِ والمِـزْوَدِ

قال المحقق : (في التكملة : حمار لهم على الجمع . ويروى حِصَانٌ). قلت : الأجدى في العلم أن يوضح صحيح هذه الروايات ويميزه من سقيمها بدلا من حشدها . فأما الرواية الأولى والثالثة فغلط لأن البيت للفرزدق يهجو به قبيلة جرير (لا امرأة كما في الرواية الأولى) بأنهم أصحاب حمير (لا خيل كما تفيده الرواية الثالثة). انظر «النقائض» ٧٩٤)، وقد أخذ الجوهري هذه الرواية المغلوط فيها من «القلب والابدال» ليعقوب ٢٠ (نشرة هافنر) وقد أخذها عنه كذلك القالي في «أماليه» ٢ / ٩٣ ، فانتقدها البكري في «اللآلي» ٧٢٧ (تحقيق الميمني) ولكن في «بارع القالي» ١٩٢ (تحقيق الطعان): (وعير لهم). ولعلها مصلحة .

٢٤٦ ـ ص ٥٣٢ : في الحاشية : (في اللسان : مُتَلَغَّداً). ضبطه المحقق بفتح التاء ، والصحيح إسكانها كما في أصل «الصحاح».

٢٤٧ ـ ص ٥٣٣ : أنشد الجوهري :

بَطيءٍ عن الدّاعِي سَرِيعٍ إلى الخَنَا ذَلُولٍ بإجماعِ الرجـالِ مُلَهَّـدِ

ضبط المحقق همزة (اجماع) بالكسر كأنها مصدر أجمع ، والصواب فيه (اجماع) بالفتح كذا في ديوان طرفة نشرة ماكس سلغسون M. Seligsohn في باريس ، ١٩٠١ ، ص ٤٢ .

جواد محمد الدخيل

المدارس الاسلامية في اليمن

حينما اطلعت على مجلَّة «الإكليل» العدد الأول، السنة الثالثة الصادر في خريف سنة ١٤٠٦هـ الموافق (١٩٨٥م) أخذتُ أطالعُ عناوينَ محتواها من بحوثٍ ومقالاتٍ ، لأختار للقراءةِ منها ما تتوقُ إليه نفسي، وتميلُ إليه رَغبتي، فوقع نظري على عُنوانٍ: (نظرة عامة إلى المدارس اليمنية؛ تخطيطاتها وعناصرها المعمارية) للدكتور محمد سيف النَّصر ــ أحدِ المدرسين المصريين في جامعة صنعاء ــ فأثار هذا العنوانُ رَغبتي واهتمامي، وأخذتُ أقلبُ صفحاتِه قبلَ أن أقرأه ، وظننتُ أن مَوضوعَه، كما قَدَّرْتُ من ظاهر مَدْلولِ العنوان، ومن الصورِ والرسومِ البيانِيَّة الملحقة به ــ سيكونُ رَدِيفاً ومُتَمِّماً لكتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» الذي نَشرَتْهُ جامعةُ صنعاء سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠) فهذا يتناولُ تاريخَ بناءِ المدارسِ، وذكرَ من بناها، ومَنْ درَّسَ بها، وذالك بتناول وَصْفَ الجوانبِ الفنيةِ لتلك المدارس، وخصائصِها الفريدة، ووصفَ وظائف أقسامها. وهذا هو ما كنتُ أتمنى أن يشملَه كتابي عندَ التأليف له، ولكن أنَّى لي ذالك ؟ وأنا أجهلُ مَعْرِفَةَ فنونِ العمارة الإسلامية ومعرفة أوصافها ومصطلحاتها، فقلت في نفسي: لابدَّ أن يأتي من يكتبُ عن هذا الجانب في يومٍ من الأيام فيكون مُكَمِّلاً لكتابي ولكم كانت فرحتي ــ علم الله ــ حينما تولى كتابةَ هذا البحث عالم عربي، وأنه كما أعتقدتُ باديءَ ذي بدءٍ قد ذهب بنفسِه إلى إبّ وتَعِزّ وذي جِبْلَة وجُبَن والجَنَد ورَداع وزَبِيْد وغيرها من المدن التي اشتهرت بظهور المدارس فيها في العصرَيْن الرَّسُولي والطَّاهِري، وأقامَ في كل بلدةٍ مُدَّةً لمشاهدةِ ما بقي من تلك المدارس على قيد الوجودِ فصوَّرها، ووضعَ لها مخططاتٍ ورسوماً بيانية بعد أن قاسَ أبعادَها ، وقارَنَ بين أنماطِها المتعددة، وأنواعها المختلفة، وشرح مُصْطَلَحاتها العِلْمِيَّة، وطابَقَ

ذالك بما يوجد لبعضِها من أوْصافٍ في الكتب التاريخية، وفي وثائق الأوقاف، وتخيَّل أيضاً كيف كان حالُ المدارسِ الدارسة من أوصافِ بعضها الموجودة في بعض المصادر القديمة، فوضع لها الرسومَ البيانيةَ، ووصفها وصفاً دقيقاً يتمثل القارىءُ كما لو كان يشاهدها ويراها. وبَيَّنَ كذالك وجوهَ الشبه ووجوه الاختلاف بين المدارسِ الرسولية والمدارس الطَّاهرية، ثم بين وجوهَ الشبه بينها وبينَ طِرَازِ المدارس الأخرى في الشامِ والعراق ومِصْرَ وبلادِ فارس، وماوراء النهر، وقارنَ بينَ هذه وتلك، كما يفعلُ ذَوُو الاختصاص بهذا الفنِ من علماءِ الغَرْب، حتى يكونَ بحثُهُ ماتِعاً ومفيداً. ليكون شاهدَ عدلٍ على ما بذله من جُهدٍ علمي صادقٍ خلال وجوده في اليمنِ مُدَرِّساً للتاريخ في جامعة صنعاء. فلما شرعتُ في قراءةِ هذا البحثِ إذْ بِي أُفَاجَأُ مِنذُ الوَهْلَةِ الأولى بما لم يكن في الحُسْبان، ولا خطر لي على البَال؛ فقد اكتشفتُ أن كاتِبَهُ لم يكتبْ ما كَتَبَ عن بَيِّنَةٍ ولا دِرَايَةٍ تامةٍ بهذا الموضوع، ولا وَصَفَ عن مشاهدةٍ، ولا نقلَ ما نقل عن إدراكٍ وبصيرةٍ وفهمٍ وأمانة، وأنَّ بَحْثَهُ ــ إنْ جاز أن يُسمَّى بَحثاً ــ إنما هو كَسَرابٍ بقيْعَة يَحْسَبُه الظَّمْآنُ مَاءً حتى إذا جَاءَه لم يَجِدْه شيئاً.

فلقد تبيَّنَ لي أن كاتِبَه قد أغارَ على أبحاثِ البعثةِ الفرنسية الأثرية التي قامت بوضع دراساتٍ شاملةٍ للعمارة الإسلامية في المدرسة العامرية في رداع، وكذالك في جامع ظَفَارِ ذِي بِيْنْ، ومسجدِ العبَّاس في الضاحية الجنوبية لقرية أَسْنَاف من خَولان، بترخيصٍ من الهيئة العامة للآثار ودور الكتب. وقد تولى المهندسُ المعماري (بِرْنَار مُورْي) عضو الفريقِ الفرنسي رَسْمَ وتصميمَ مخططاتِ هذه المعالِمِ الأثرية، وكان يَكتُب اسمه في كلِّ لوحةٍ يقومُ بتخطيطها ورسمِها، ويجعلُه في مكانٍ خَفِيٍّ لَا يهتدي إليه فُرسانُ السطو على حقوق وممتلكات أصحابها ليُحْبِطَ بذالك محاولةَ من يَسْعى لِادِّعائِها لنفسه فينكشف أمرُه وينهتكَ سترُه ولو بعد حِين.

كذالك فقد أغَار على نتائجِ الدراسةِ التي قام بها الدكتور (رُون لوكوك) لجامع الملك المظفر، الذي كان يُدعى جامع ذِي عُدَيْنَة، ولمدرسةِ الأشرفية

والمدرسةِ المَـعْتَبِية في تَعِزَّ، ووضع لها مخططاتٍ مفصلةً تُبيِّنُ أَقْسامَها ووظائفها، وتحديد ملامح فن العمارةِ الإسلامية الرسولية، ووصفها وصفاً علمياً، وأرفق تلك المخططاتِ بصورٍ شمسية، وتولى الدكتورُ (رِكس سميث) كتابةَ الجانب التاريخي فصدر البحثُ عنهما معاً. وأغار كذالك على المخططاتِ والرسومِ البيانية التي وضعها (المستر جيمس كنوستاد) عضوُ بعثةِ (أونتاريو) الملكي في كندا، التي تقوم بوضع دراسةٍ شاملةٍ للآثار الإسلامية، ولاسيما في عصر الدولة الرسولية في مدينة زَبِيد ونواحيها.

ولا أدري كيف استطاع الدكتور النَّصر أن يستحوذَ على أعمال هؤلاء الباحثين الذين جاؤا من بلادٍ بعيدةٍ، وتجشموا الصِّعابَ، وتعرضوا أثناء قيامهم بالبحثِ والدراسةِ والرَّسْم والتصوير والمقارنة لقسوةِ الحياةِ تحت وهجِ الشمسِ وأشعتها اللاَّفحة، وأحياناً للبرد القارس، حتى خرجوا بتلك الأبحاث. ولئن حصل في بعض ماكتبوا أخطاءٌ من الناحية التاريخية بعد أن اجتهدوا في تَحَرِّي الصواب فإنَّ لهم أجرَ الباحثِ المخلصِ لعمله. وإذا بالدكتور محمد سيف النصر يَدَّعي تلكَ الأعمال لنفسِه وينشرها باسمِه، وهو قابع خلف، مكتبه لم يتحرك من مكانه، ولم تغبر قدمه في ميادين البحث والدراسة ثانية واحدة. ومهما كانت الوسائلُ والأساليبُ التي استعملها حتى تمكنَ من الحصولِ عليها فقد كان عليه من باب الأدب والحرص على الأمانة أنْ يستأذنَ أصحابَها، وإذا لم يستأذن فلْيُبشِر إليهم بكلمة ثناءٍ طيبة أو قولٍ معروف، وهذا أضعف الإيمان، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذالك، مع أنه يجب عليه وهو مدرس في قسم التاريخ بجامعة صنعاء أن يكون قدوةً صالحةً لطلاَّبه الذين يحاضرهم، وأن يلتزم بالأمانة العلمية قولاً وسلوكاً حينما يقومُ بتعريفهم بأساليب البحث العلمي، ويُبَصِّرُهُمْ بالطرق المشروعة للنقل والتوثيق ويُرَسِّخُ في مداركهم أن الأمانة العَلمية تحتمُ على كل باحثٍ عَزْوَ كلِّ فقْرةٍ إلى مَصْدَرِهَا الأصلي الذي نُقَلت منه، مهما كانت القِيمَةُ العلمية لذالك المصدر، فذالك أقربُ للثقةِ بالباحث وببحثِه، وأسرعُ للإطمئنان إلى صدقِه، لأنَّ أقلَّ خطإٍ في سلوك الـمُدَرِّس سيجعلُ طلابَه في حلٍّ إذا ارتكبوا ماهو أسوأُ وأقبحُ على حد

قول أمير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله :

وَإِذَا ٱلْمُعَلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِيْرَةٍ جاءَتْ عَلَى يَدِهِ ٱلْبَصَائِرُ حُوْلاَ

وإذا كان هناك ضرورةٌ ملحة للإشارة إلى المراجعِ الأولى لذالك المصدرِ الذي لم يَرَ الباحثُ الذي اعتمد عليه سواه فإنه يستطيعُ أنْ يذكرَها كمراجعَ لمصدرِه، وليست كمراجعَ لبحثِه.

أمّا إذا تجاهلَ الباحثُ هذه القواعَد الأساسيَّةَ للبحثِ والدراسةِ، ورمى بها عرضَ الحائِط متبعاً هَوَاه، ليوهمَ القُرَّاءَ أنه قد استقَى بَحْثَه من المراجعِ الأولى التي لم يرها. فهذا ليس من أخلاقِ العلماءِ الأثبات، ولا من صفاتهم الحميدة التي يجب أن يَتحلَّوْا بها على أقلِ الأحوال أمامَ طُلاَّبِهم الذي يجعلونهم المثل الأعلى لهم، وكذالك ليست من أخلاقِ المتعلمين، بل هو ــ إنْ شئتَ قولَ الحق ــ الزَّيفُ والتدليسُ بعينه ولقد تذكَّرْت، وأنا أقرأُ مقالَ الدكتورِ النصر ما تنشره مجلة «العرب» من مقالات متتابعة مابين حينٍ وآخر بعنوان «الدكاترةُ والعبثُ بالتراث» ورد فيها ذكرُ أشخاصٍ بعينهم ممن يَحملون هذا اللقبَ العلمي، أساؤُا إلى ما تصدَّوْا له من دراساتٍ وأعمالٍ علمية، وعبثوا بالتراثِ حسبَ أهوائِهم وأمْزِجَتِهم وحرَّفوا وصَحَّفوا وبدَّلوا وغَيَّروا فتمنيْتُ لو أن صاحب المجلة اطلع على ما كتبه الدكتور محمد سيف النصر.

كذالك فقد خطر ببالي وأنا أفكر في عبثِ الدكتور النصر بما تصدَّى له من أعمالٍ كيف كان أسلافُ هذه الأمة التي رفع الله بالإسلامِ شَأْنَها، وأعزَّ به مقامَها وكيانَها، وكيف كان علماؤُها الصادقون في أعمالهم يجتهدون في تحري فعلِ الصوابِ في أعمالهم كلِّها، فيُسنِدون مايَروونه من أحاديثَ، ومن أخبارٍ ورواياتٍ تاريخية إلى من أخذوها عنه من شيوخهم، وكيف كانوا يتأكدون من صدق الراوي وأمانته ونزاهته وصلاحه من سلوكه وشهادات الناس له، كما أنهم إذا صنفوا شيئاً فإنهم يذكرون بالخير والثناءِ من انتفعوا بعمله ممن سبقهم إلى مثلِ عملهم ويشيدون بأعماله، ولا يجحدون له عملاً مهما قلَّ. وأقربُ مثلٍ على ذالك هو

شمسُ الدين علي بن الحسن الخَزْرَجي المؤرخ اليماني المتوفى سنة ٨١٢ وهو عالم كبير ليس له مُؤَهِّلٌ سوى إجازاتِ شيوخهِ الذين أخذَ عنهم له بعد أن تأكدوا أنه أهلٌ لذالك، فقد سمت نفْس هذا العالمِ وأَبَتْ إلَّا أن تَعتَرِفَ ـ وهو يؤلفُ كتابَه الشهير «طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان أهل اليمن» ـ بفضل المؤرخ الكبير محمد بن يَعقوب الجَنَدِي المتوفى لبضعٍ وثلاثين وسبع مئة سنة وفضل كتابه «السلوك في طبقات العلماء والملوك» على كتابه المذكور، فقال مُشِيداً بذالك: (وأعلم أيها الناظر ـ وفقنا الله وإيَّاك ـ أنَّ كتابَنا هذا ـ أي «طراز أعلام الزمن» ـ إنما هو مأخوذٌ في الغالب من كتابِ الفقيه الإمام الفاضلِ وحيد عصره، وفريد دهره، أبي عبدالله محمد بن يعقوب بن يوسف الجَنَدي، الملقب بهاء الدين صاحب التاريخ المعروف «السلوك» فإنه إمامُنا المشهور، وشيخُنا المذكور، وإنما تبعنا أَثَرَهُ وصَدَّقْنَا خَبَرَه، واغترفنا من فُضالته، وشَرِبْنَا بدلائِه، ولولاه ـ تأمل تواضع العلماء!! ـ ماخُضْنا هذا البحرَ العميق، ولا وجدنا إلى هذا المنزلِ من طريق، فرحم الله مثواه، وبلَّ بوابلِ الرحمةِ ثراه، مع مافيه من التسامح في العبارة، والتجوز في اللفظ). وقال فيه أيضاً في ترجمته له: وكتابه ـ أي «السلوك» ـ الذي جمعه في تاريخ فقهاءِ اليمن يدلُ على علمٍ واسعٍ، ومعرفةٍ بالرجال قديماً وحديثاً، ولم يستوعِبْ أحدٌ ممن قصدَ ذالك وتَصدَّى له كَاسْتِيْعَابِهِ. ولولا جُمعه وبحثُه واستقصاؤه ما تَصدَّيْتُ لتصنيفِ كتابي هذا، ولا اهتديتُ ـ تأمل! ـ إلى شيءٍ من ذالك، ولكني هَذَّبْتُ ما جَمَعَهُ، ورتَّبْتُ ما وَضعَهُ، وذَيَّلْتُهُ بمن تَبِعَه، فهو الذي شجعني على ذالك، ودلَّني على الطريق إلى ماهنالك؛ فهو في السِّلْم شيخي وإمامي، وفي الحرب ترسي وحُسَامي، برَّد الله مضجَعَه وأَنَّس مَصْرَعه).

فتأمل ـ أيها القاريء الكريم ـ هذا المثلَ السامي للعالمِ المخلصِ الأمين الصادق في قوله وفعله؛ فلقد كانت هذه الصفاتُ الحميدةُ، والفضائل الشريفة هي السمة الشائعة في أخلاق علماءِ المسلمين بالأمس، وقارن بينهم وبين من تَنَكَّب عن الطريق السَّوِيِّ فزلَّتْ به قدمُه، وضلَّ به علمه. مع أنه كان في استطاعةِ الخزرجي أن يتجاهل جهودَ الـجَنْدِيِّ أو يكتفي بالقليل من الثناءِ عليه، ولن يَجد من يَلومُه أو يَعتِبُ عليه لأنه لم يكن معاصراً له فبين وفاةِ الجَنَدي ووفاةِ الخَزْرَجي

قرابةُ ثمانين عاماً ، ولكن الأمانةَ عِبْءٌ ثقيلٌ على من يُقَدِّرُها حقَّ قدرِها فحملها وأدَّاها كما يجب فكَبُرَ في أعينِ الناسِ وعَظُمَ لَدَيهم واستحق التقدير كلَّه في عصره وبعد عصره، إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها.

هذا هو مجملُ المآخذِ على الدكتور النصرِ فيما يتعلقُ بمدلولِ عنوان مقاله (نَظْرَة عامة إلى المدارس اليمنية؛ تخطيطاتها وعناصِرِها المعمارية).

أمَّا المآخذ التي تتعلقُ بما كتبه عن بعضِ المدارس الإسلامية في اليمن من الناحية التاريخية فهي كثيرة، فهو قد أخذ ماكتبه عنها من كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» جملةً وتفصيلاً ، ولولا كتابي هذا لما عرف أن في اليمن مدارسَ، ولا عرفَ أسماءَها وأسماءَ من بناها، ولا عرف أيضاً أسماءَ مراجِع كتابي التي حشدها في هوامش مقاله تلبيساً وتدليساً وتخليطاً، ولا عرف أن هناك وقفيةً غَسَّانِيَّةً [1] وأنا على يقين أنه لن ينكر هذا لكن مقاله ــ والحق يقال ــ قد تفرد عن كتابي بما وقع فيه من أخطاءٍ تاريخية، وبما وقع فيه من أوهامٍ وأغلاط وتَدْلِيس وتزييف سنأتي على ذكرها قريباً إن شاء الله .

ولقد كان أهونُ على نفسي لو أنه أخذ كتابي كلَّه ، وأزال اسمي من صفحةِ العنوان، واستبدل اسمَه به فنسب الكتاب إلى نفسِه من أن يَعْمَدَ إليه ويعبث بما نَقَلَ عنه، ويُشَوِّهَ ماأخذَ منه سواءً أكان ذالك عن قصدٍ أم عن غير قصد. فقد ذكر مثلاً ــ في صفحة ١٠٠ ــ قولَه: (وقد أُنْشِئَتْ المدارسُ في اليمن مع مجي الأَيوبيين إليها في عام (٥٦٩ ــ ١١٧٣م) حيث قام الملوكُ الأَيوبيون بإنشائها. ثم قال في الصفحة نفسها: (وقد ورد في ثنايا (تأمل) المراجع التاريخية مايزيد عن ثلاثَ عَشْرَةَ مدرسةً في أنحاءِ اليمن قام على إنشائها ملوكُ الأيوبيين وأتباعهم؛ ومن هذه المدارس (المدرسة المعزِّية) في زَبِيد، و(مدرسةُ المِيُلَيْن) التي كانت تقعُ شرق الدار الناصري الكبيرِ في زَبِيد، وقد بناها الملك المعز اسماعيل بن طُغْتُكِين بن أيوب عام ٥٩٤ ــ ١١٩٨).

فهل يتفضل الدكتورُ النصرُ فيذكر للقراءِ أسماءِ الملوكِ الأيوبيين ــ غيرَ الملكِ

الـمُعز اسماعيل بن طُغْتُكِين ـ الذين قاموا بإنشاء المدارس ِ في اليمن ليستفيدوا من علمه الغزير ومعرفته الواسعة، وأستفيد أنا معهم ؟ ! فمبلغ علمي أنه لم يَبْنِ أحَدٌ من ملوكِ بني أيوب مدارسَ سوى الملك الـمُعِزّ وحدَه فقط. وهو أول من أسس المدارس في اليمن من بني أيوب ، كما نَصَّ على ذالك المؤرخُ الخزرجي في ترجمته للملك المعز، ولو أن الدكتور النصر سرّدَ لنا أسماءَ هذه المدارس التي تزيد على ثلاث عَشْرَةَ مدرسةً ، وذكر البانين لها من ملوك بني أيوب وبيَّنَ لقراء مقاله المراجعَ التاريخيةَ التي عثر على هذه الفوائدِ فيها أو في ثناياها على حد تعبيره، وأوضح ما يقصدُ بأنْحاء اليمن، لأنَّ هذا اللفظَ يدلُّ على أنَّ ملوكَ بني أيوب قد بنوا مدارسَ في كل ناحية من نواحي اليمن، لأسْدَى إلى العلم ِ وإلى التاريخ خدمةً عظيمة تذكر له بالتقدير والثناء والعِرفان بالجميل مدى الحياة.

أمّا قوله: (ومن هذه المدارس (المدرسة المُعزِيَّة) في زَبيد و(مدرسة المِيْلَين) التي كانت تقع شرقَ الدار الناصري الكبير، وقد بناهما الملك المعزُ إسماعيلُ بن طُغْتِكين بن أيُّوب سنة ٥٩٤) فهذا الكلامُ لم يَقُل به أحدٌ من المؤرخين، وإنَّما تفرد به الدكتور محمد سيف النصر مدرسُ التاريخ الإسلامي في جامعة صنعاء ، ولو أنه نظر بعين البصيرة وتَدَبَّر بعقلِ الباحث، وتأمل ماورد في كتابي لعرف أن (المدرسة المُعِزية) و(مدرسة المِيْلَيْن) هما اسمان لمدرسةٍ واحدةٍ ، ولتأكَّدَ لَهُ أنه يَخْبطُ خبط عَشْواء وأنه حاطبُ ليل. وهذا نصُ ماقلته: (مدرسةُ المِيْلَين في زَبيد، وكانت تقعُ شرقي الدار الناصري الكبير، ومكانها اليومَ أو قريبٌ منه مدرسةُ الإسكندرية ، بناها الملكُ المعزُ اسماعيلُ بن طُغْتَكِين بن أيوبِ سنة ٥٩٤ ، وكانت ـ أي مدرسة الميلين ـ تُسمى (المُعِزية) أو (مدرسة المُعِز) وهذا الوصفُ الذي أوردتُه لم أقُلْهُ من عندي، ولا أتيتُ به من نَسْجِ الخيال، وإنما نقلتُه من المراجِع التي ذكرتُها في الهامش. وإذا كان عند الدكتور النصرِ مايؤيد دَعْوَاهُ العريضةَ بأن (المدرسةَ المعزية) و(مدرسة الميلين) مدرستان لامدرسة واحدة فليقدم برهانَه، وسأحضرُ إلى كلية الآداب في جامعة صنعاء وأعتذر له علناً أمامَ أساتذة التاريخ ومدرسيه، وأمامَ عميدِ الكلية، وأمامَ طُلابِ قسمِ التاريخ في محفل عام.

وإلا . . . فسامحه الله !!

أورد الدكتور النصر فوائدَ عظيمةً في مقاله المذكور بتحديده لمواقعِ بعضِ المدارس والجهاتِ التي أقيمت فيها مثل قوله ــ في صفحة ١٠٠ ــ : (إن المدرسةَ الأتابكيةَ في المنطقةِ المعروفةِ الآن بِهُزَيْم في جنوبِ غرب مدينة تَعِز) ومثل قوله : (إن مدرسة المسانيفِ تقعُ شمالَ غرب ذِي جِبْلَة) وقوله : (إن المدرسةَ الرشيديةَ في ذي عُدينة ، أحَدِ أحياء مدينة تَعِز) ومثل هذا قوله ــ في صفحة ١٠١ ــ : (إن اسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول بنى مدرستين إحداها في إبِّ ، والأخرى بقرية الخَبالي من عُزْلَةِ وَرَاف من أعمال ذي جبْلَة) وكذالك قوله : (إن السلطان المؤيد أقام مدارسَ عدة منها المؤيدية في مغربة تَعزّ ، كما أقام مدرسةً في حي المحاريبِ في الطرف الشرقي لمدينة تعز عرفت بالمدرسةِ المظفرية باسم ابنهِ المظفرِ حَسَن) . وذكر ــ في صفحة ١٠٢ ــ ما يلي : (إن العباسَ بن علي بن رسول أنشأ المدرسةَ العباسيَّة في تعز) وكذالك قوله : (إن الحرةَ مَرْيَم زوجَ الملكِ المظفرِ أنشأتْ مدرسةً أُخرى في ذي عُقَيبْ من عُزلة وَرَاف شمال غرب جِبلة) وقوله : (إن الحرةَ سَلاَمةَ ابنةَ الملكِ المجاهد بنتْ مدرسةً بمغربة تَعِزّ عرفت بمدرسةِ سَلامة ، كما أُطْلِقَ عليها اسمُ المدرسةِ المؤيدية) .

فهل يتكرم الدكتور النصرُ بالإفادة كيف اكتشف هذه المعلوماتِ العظيمةَ ؟ وأين وَجدها؟ لأن المصادرَ التي ذكر أنه استخرجها منها لا تَذكرها إطلاقاً !! فكيف يُفسِّرُ لنا هذا الأمرَ ؟ وإذَا أُصرَّ على أنه قد استقاها من تلك المراجع التي ذكرها في هوامشها فإني مستعد لحملها كلها من خزانة كتبي وأُضعها أمامه ليستخرج لنا منها تلك النصوص أو بعضها فإذا وجد فيها شيئاً مما ذكره فسأعتذر له علنا. مع أن تلك الفوائدَ مذكورةٌ ومذكورٌ ماهو أكثرُ منها في كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» وأحب أن أؤكد للدكتور النصر أن تحديدي لمواقعِ تلك المدارس لم يكن منقولاً من مراجعَ مكتوبةً ، وإنما هو من مُحَصَّلاتِ مُؤَلِّفه الذي قام بزيارات متكررةٍ لمواقع تلك المدارسِ العامرةِ منها والخاربة فَعَايَنَ وصوَّر ما تمكَّن من تصويره ، وحدَّد موقع كلِ مدرسةٍ من أشهر مدينة أو بلدة معروفةٍ مجاورةٍ لها .

كما أن مدرسة العباس بن علي بن رسول لم تكن في تعز كما ادعا الدكتور النصر. ومع هذا الخلط والخبط فإن هذا الدكتور لم يذكر كتابي المذكورَ ضمنَ المراجعِ التي ادعا أنه استخرج منها تلك الفوائد!!

ذكر الدكتور النصر ـ في صفحة ١٠٣ ـ أن السلطان عامرَ بن عبد الوهاب بنى مدرستَهُ (العامريةَ) في رَدَاع سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م) وأن والدَه المنصورَ عبدَ الوهاب بن داود بنى مدرستَهُ المنصوريةَ في جُبن عام ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢ فهل يتكرمُ الدكتور النصر فيخبرنا من أين نقلَ تاريخَ بناءِ المنصورية والعامرية؟ وليس لهذين التاريخَينِ ذكر في أي مرجعٍ إطلاقاً بينما هما موجودان في كتابي، وقد نقلتُ تاريخ بناءِ العامرية من حامية نسخة خطيةٍ قديمةٍ من «قُرة العيون» للمؤرخ الدَّيبع، وهذه النسخة الفريدة موجودة في خزانة أخي القاضي محمد بن علي الأكوع، كما نقلت من هذه الحامية أيضاً النصَّ المكتوبَ في جدار العامرية بِحذافيره، ولعل كاتبَ هذا النصِ قد نقله من العامرية نفسها بعد بنائها قبلَ أن تُطْمَس وتُغَطَّى هذه الكتابة والزخارف والنقوش بطبقاتٍ سميكة من القُصّ (الجُصّ).

ولما حاولت البعثةُ الفرنسيةُ استخراجَ هذه الكتابةِ المزبورةِ على جدار العامرية بإزالة القُصّ حتى تتمكن من قراءتها استعانت بالنصِ الذي نقلتُه في كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن» كما ذكرتُ آنفاً إلاَّ أنَّ الباحثَة الفرنسيةَ (ماريا كرستين دَنْشُوت) أخبرتني أنها وجدت تاريخ الكتابة والعمارة سنة ٩١٠ وليس سنة ٨٩٤، وأنه ربما يكون تاريخ البناء. وأما تاريخُ بناءِ (المنصورية) في جُبن سنة ٨٨٧ فإني أنا الذي اكتشفت أثناء قراءتي لما هو مكتوب في جدار هذه المدرسةِ نفسها حينما زرتُ جُبن منذ عشرَ سنواتِ خلتْ، وتبين لي خطأُ الناسِ حينما كانوا يعتقدون أنها المدرسة العامريةُ نسبة إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب فلما قرأتُ ماهو مكتوبٌ في الجدار وجدتُ أنها من بناءِ والدِه المنصورِ عبد الوهاب بن داود فأطلقتُ عليها اسمَ المدرسةِ المنصورية، وأَخَذَتْ تشتهر بهذا الاسم، واستعمله الدكتور النصر أيضاً وإن كان قد سماها غلطاً ـ في صفحة ١٠٨ ـ المدرسة العامرية، وسماها مرة أخرى المنصورية إلاَّ أنه قال: إنها لعامر بن عبد الوهاب

وهات من خلط وخبط !! ومع هذا فإنه لم يذكر مصدراً لما كتبه عن هاتين المدرستين المذكورتين، والمصدر الوحيد ــ كما قلت ــ هو كتابي.

ذكر الدكتور النصر ــ في صفحة ١٠٢ ــ أن العباسَ بن علي بن رسول (هكذا) أنشأ (المدرسة العباسيةَ في تعز)، وذكر في الهامش مصدرَ هذا الخبر: (النُّوَيْري ــ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت ٨٣٣هـ/ صبح الأعشى في صناعة الإنشــاج ٥ ص ٣١) أرجو من كل ذي عقلٍ أن يتأملَ ويتدبَّر هذا الخبطَ وهنا الخلطَ وما شاء كلُّ ذي بصيرة وإدراكٍ أن يسمي ما وقع فيه مدرس التاريخ الإسلامي الدكتور محمد سيف النصر؛ فقد خلط بين شهاب الدين النويري المتوفى سنة ٧٣٣ وليس سنة ٨٣٣ كما نص عليه الدكتور النصر، وهو صاحب كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» وليس صاحب كتابِ «صُبْحِ الأعشى في صناعة الإنشا» أحمد بن علي القَلَقْشَنْدِي المتوفي سنة ٨٢١ مع أن بينَ وفاةِ النويري ووفاةِ القَلَقْشَنْدي قرابةَ مئةِ عام. والشيءُ المبكي والمضحكُ ــ وشرُّ الأمورِ ما يضحك ــ أن النويري صاحب «نهاية الأَرب» والقلقشندي صاحب «صبحِ الأعشى» مشهوران شهرةً كبيرةً في تاريخ الأدب العربي وفي العالم الإسلامي وعند المستعربين بسبب كتابَيْهما المذكورين، وهما من مِصْرَ كِنَانةِ الله في أرضه مِصْر الأَزهر الشريف الجامعة الإسلامية التي انتفع بها المسلمون أكثر من ألف عام وهي أيضاً بلد الدكتور محمد سيف النصر مدرس التاريخ الإسلامي الذي لم يُفَرِّقْ بين هاذَين العالمين، ولا بين مؤلفيهما ولا بين وفايتهما. ونتركُ للقاريءِ الكريمِ الحكم عليه. فإذَا كان يجهلُ ــ وهو مدرسُ التاريخِ الإسلامي ــ الفرقَ بين شهابِ الدين النُوَيْري صاحبِ نهايةِ الأَرب وبين القَلْقَشَنْدي صاحبِ صُبحِ الأعشى فكيف به وهو يتصدى للكتابةِ عن تاريخِ المدارسِ الإسلامية في اليمن، وهو موضوعٍ شحيحُ المصادر لم يسبِق لأحدٍ أن تناوَله بالدراسة والتأليفِ قبل كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن». ولا شكَّ أن النتيجةَ ستكونُ ظلماتٍ بعضِها فوقَ بعضٍ ، وأي ظلماتِ أحلكُ من الظلماتِ التي تخَبَّط في دَيَاجِيرِها الدكتورُ النصر سامحه الله .

ومع ما وقع فيه مدرسُ التاريخ الإسلامي الدكتور النصر من الخلط والخبط فإنه لا يوجد في «صُبح الأعشى» ولا في «نهاية الأرب» ذكر للعباس بن علي بن رسول بهذا اللفظ، كما لا يوجد فيهما، ولا في المراجع التي ألحقها الدكتور النصر بـ «صبح الأعشى» وهي «ثغر عدن» ٢/ ١٣٩ و«قرة العيون» ٢/ ٦٧، ٩٤ ذكر لهذه المدرسة التي زعم أنها في تَعِزَّ مطلقاً. والمصدر الوحيد الذي ذكرها هو «المدارسُ الإسلامية في اليمن» نقلاً عن مصدرٍ وحيد وفريد هو «الوقفيةُ الغسّانية» كما ليس في المرجعين ذكرٌ لمكان هذه المدرسة بتاتاً.

ذكر الدكتور النصر ــ في صفحة ١٠٤ ــ عند ذكره للعناصر المكونة للمدارس اليمنية ــ: مدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع، مع أنه لا وجود لها في عصرنا. وذكر بعض التشابه بين بعض المدارس فقال: (نرى ذالك في المدرسة المعتبية، وكما كانت المدرسة الظاهرية في تعزَّ، ونراه أيضاً في المدرسة العامرية في رَداع، والعامرية (وهي المنصورية وليست العامرية) في جُبَن، ومدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع) فتأمل أيها القارىء الكريم ــ أعانك الله وأمدك بالصبر ــ هذا النسيجَ الغريبَ من الكلام المتنافر، فالمدرسة الظاهرية في تعز قد خربتْ منذ نحو مئةِ سنة أو أكثر وبَيَّنتُ في كتابي سبَبَ خرابِها، وأمَّا مدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب في رداع فقد هُدِمَتْ في أعقاب زوال دولة بني طاهر في المئة العاشرة للهجرة أو بعدها فلا وجود لها حتى تكون نمطاً يقاس بها أو تقاس بغيرها. ثم كرر ذكرها ــ في صفحة ١٠٨ ــ فقال: (وإلى هذا النموذج من التخطيط (لا ندري أي نموذج يقصد به الدكتور النصر) تنتمي أيضاً مدرستان: هما المدرسة الأسدية في إبّ، والتي أنشأها الأمير أسد الدين محمد بن الأمير بدر الدين المتوفي عام (٦٧٧هـ ــ ١٢٧٨/ ١٢٧٩م) ومدرسة الشيخ عبد الملك بن عبدالوهاب المتوفي سنة (٨٥٠هـ ــ ١٤٤٦م) فكيف ربط الدكتور النصر بين المدرسة الأسدية وهي من بداية العصر الرسولي وبين مدرسة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب وهي من آخر العهد الطاهري مع أن بين طراز المدارس في عهد بني رسول وطراز المدارس في عهد بني طاهر بَوْناً شاسعاً ومن هو في شَكٍّ مما قلت

فلينظر إلى ما بقي من المدارس الرسولية مثل الأشرفية والمعتبية في تعز وإلى ما بقي من المدارس الطاهرية وهي العامرية في رَدَاع والمنصورية في جُبن يَرَ الفرقَ جلياً واضحاً ، بل ربما يحكم بأنه لا توجد صلة مًّا بين العهدين في مدارسهما.

كذالك فإن الدكتور النصر غلط غلطاً فاحشاً في تاريخ وفاة الشيخ عبد الملك بن عبد الوهاب فذكر أنه سنة (٨٥٠هـ ـ ١٤٤٦م) والصحيح أنه توفي مقتولاً في أحد أبواب مدينة صَنْعاء سنة ٩٢٣ قبل مقتل أخيه السلطان عامر بن عبد الوهاب بيومين أو ثلاثة أيام فقط فأين سنة ٩٢٣ من سنة ٨٥٠ التي لا ندري من أين أتى الدكتور النصر بهذا التاريخ؟ مع أن الشيخ عبد الملك لم يكن قد ولد في هذه السنة سنة ٨٥٠.

تعرض الدكتور النصرُ ـ في صفحة ١١٦ ـ إلى ذكرِ المدرسةِ المنصورية العليا (شكل ٩) فقال: (من المدارس الصُغرى أنشأها السلطانُ المنصور عمرُ بن علي بن رسول حوالي منتصفِ القرنِ السابع هجري، القرن الثالث عشر ميلادي، وقد رمز الدكتور النصرُ للتاريخين بـ (ق٧هـ ـ ١٣م) وهذا غيرُ صحيحٍ على الإطلاق ولو تأمَّلَ وتَدَبَّر وفكَّر ، ثم فَكَّر وقدَّر لعرف أنه وقع في مَأْزِقٍ حَرِجٍ نتيجة عدم الفهمِ لما ينقل مما قراه وما أشبهه بِكَيْسَان مُسْتَمْلِي أبي عبيدة ؛ فقد روى عنه أنه كان يكتُب غيرمَا يسمُع ، ويقرأ غيرَ ما يكتبُ ، ويفهم غيرَ ما يقرأ . فهذه المدرسةُ التي ذكـر الدكتورُ النصر أنها المنصوريةُ العُليا للسلطانِ المنصور عمَر بنِ علي بن رسول هي المدرسةُ العلويةُ لعمر بن علي العلوي الحنفي، وليست المنصوريةَ العُليا، فالمدارسُ التي بناها الملك المنصور عُمر بن علي بن رسول قد خربتْ كُلُّها ولم يَبْقَ منها حجرٌ على حجر منذ وقتٍ طويل، ولا يمكن أن تكونَ المدرسةُ العَلوية رقم ٩ بأي حالٍ من الأحوال هي المدرسةَ المنصوريةَ لعمر بن علي بن رسول، فالمدارسُ المنصورية ربما تُشْبِهُ في الضَّخامة جامع الملك المظفر ابن الملك المنصور في تَعِزّ وتشبهَ أيضاً المدرسةَ الأسديةَ في إبّ ، وقد بُنيتَا في عصرٍ واحد ، وهو المئةُ السابعةُ ، بعدَ مقتلِ الملك المنصور عُمَر بن علي بن رسول في الجند.

ذكر الدكتورُ النصرُ ـ في صفحة ١٠٢ ـ أنَّ السلطانَ الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل (هوآخرُ سلاطين ملوك بني رسول) وهذا من أخطاء الدكتور النَصْرِ، بل هو دَليلٌ ساطعٌ على أنه لم يفهم تاريخ ملوك بني رسول إن كان قد قرأ شيئاً منه ولو كان على دراية به ومعرفة لعلم أن الظّاهر يحيى بن الأشرف، وهو صاحبُ المدرسةِ الظّاهرية في تَعِزّ التي تحدث عنها فيما مضى، وصوّبت ما وقع فيه من خطإٍ حولها. قد خَلَفَ أخاه الملكَ الناصرَ في الحكم ثم خَلَف من بعدِه ملوك صغارٌ من بني رسول.

نشر الدكتور النصرُ في صفحة ١٣٤ صورةً لجامعِ الملكِ المظفر وكتب تحته: (لوحةَ (١) المدرسة المظفرية الواجهة الشمالية تَعِز) وهذا وهمٌ كبير وقع فيه الدكتورُ (رِكْس سمِيث) فَظَنَّه الدكتورُ النصرُ نَصْراً للعلم فنسبه إليه، مع أنه لو تأملَ ما كتبته حولَ المدرسة المظفرية بتَروٍّ وإمْعَانٍ وفَهْمٍ لعرفَ أنها كانت في مَغْرَبة تَعِزّ، وليست في مدينة تَعِزّ نفسها، وأنها قد خربتْ منذ عهدٍ طويل، فحُمِلَ من أنْقاضِها الحَجرُ المزبورُ عليه اسمُ المدرسة المظفرية، وثُبِّتَ في جدارِ الباب الغربي لجامعِ الملك المظفر في تعز، والذي كان يُعْرَفُ أيضاً بجامعِ ذِي عُدَيْنَة، حتى لايتعرضَ ذالك الحجرُ للكسر والضياعِ فظن الدكتورُ (سِمّيث) من قراءته لهذا النقشِ أنَّ هذا الجامعَ هو المدرسةُ المظفرية بعينها.

ومن الأخطاءِ التاريخية التي وقع فيها الدكتورُ النصرُ ما ذكره ـ في صفحة ٩٩ ـ حيث قال: (وتكونت في اليمن دُوَلٌ شيعية قوية (تأمل) استطاع بعضُها أن يسيطرَ على مناطقَ واسعةٍ كان أهمها وأكثرها قوة الدولةُ الصليحية التي دعت إلى المذهب الاسماعيلي، واستطاعت أن تُسَيْطِرَ على اليمنِ كلِّه سهلهِ وجبلهِ بَرِّه وبَحْرِه قرابةَ قرنٍ من الزمان (٤٣٩ ـ ٥٣٢هـ ـ ١٠٤٧ ـ ١١٣٨).

هذه هي عبارةُ الدكتور النصر التي ذكر أن مرجعه فيها كتاب «ظهور خلافةِ الفاطميين وسقوطها في مصر» للدكتور عبد الماجد عبد المنعم بِنَصِّها وفصِّها وأنا لم أطلع على هذا الكتاب حتى أتأكدَ من صحة ما نقله عنه الدكتورُ النصرُ لأن في تلك العبارة تجاوُزاً للحقيقة، وبُعْداً عن الواقع، ولو أن الدكتور النصر رجع إلى

المصادرِ الأصلية التي اعتمد عليها الدكتورُ عبد الماجد عبد المنعم مثل كتاب «المفيد في تاريخ صنعاء وزَبيد» لعمارة اليمني لعرف أن المدةَ التي سيطرتْ فيها الدولةُ الصُلَيْحِيَّة على اليمن كله سهلِهِ وجَلَبه بَرِّه وبَحْرِه لا تتجاوزُ أربعَ سنواتٍ فقط وهي السنواتُ الأخيرةُ من حكمِ الداعي علي بن محمد الصليحي وهذا الكتابُ موجودٌ في المكتبات، وموجودٌ أيضاً في المكتبات الخاصة والعامة؛ فقد قال عمارة اليمني: (ولم تخرج سنةُ خمسٍ وخمسين وما بقي عليه ــ أي على الداعي علي بن محمد الصُلَيْحِي ــ من اليمن سهلٌ ولا وَعْرٌ ولا بَرٌّ ولا بَحر إلا فَتحه، وذالك أمْرٌ لم يُعْهَدْ مِثْلُهُ في جاهليةٍ ولا إسلام) فتأمل أيُها القاري الكريم كيف دِقَّةُ كلامِ العالمِ المؤرخِ عُمارة اليمني، ثم قُتِلَ علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٩ فانتقضت جهاتٌ كثيرةٌ من اليمن على من خلف هذا الحاكم من بني الصليحي وهو ابنه أحمد بن علي الصليحي. وكان على الكاتبِ الحصيف الأمين أياً كان أن يكون تعبيره أدق كأن يقول حكمُ الدولةِ الصُلَيْحِيَّة على اليمن قرابةَ مئةِ عام) بدلاً من عبارة الدكتور التي تَدُلُ على أنَّ الدولةَ الصُلَيْحيَّة حكمت اليَمن كلَّه سهلَّه وجبلَه بَرَّه وبَحْره قرابةَ قرنٍ من الزمان، بينما هي أربعُ سنواتٍ فقط، لكن الوجودَ الصُليحي ظل قائماً قرابة مئة عام، ولكن لا يحكم من اليمن إلا بعضَه.

ذكر الدكتور النصرَ في صفحة ١٠١ أنَّ المظفرَ حسناً تُوفي في حياة والدِه الملك المؤَيَّدِ، وأنه دُفِنَ في مدرسته المظفرية، والصحيح في ذالك أنه دُفِن في المدرسة المؤيَّدِيَّة مدرسةِ والده.

وذكرَ في صفحة ١٠٧ أن الملكَ المُؤَيد دُفِن في المدرسة المظفرية في حي المَحَارِيب. والصحيح في ذالك أنه دُفِنَ في مدرسته المؤيدية، كما بينتُ ذالك في كتابي «المدارس الإسلامية في اليمن».

هذا ما عَنَّ لي ذكْرُه تعقيباً على الدكتور محمد سيف النصر مدرس الآثار أو التاريخ الإسلامي في كلية الآداب في جامعة صنعاء، ولو أردتُ الاستقصاءِ لما جاء في كتابه من أخطاءٍ تاريخية، وما فيه من عباراتٍ وألفاظ استعملها في غير موضعها، ومافيه من اضطراب في ذكر التواريخ لضاق المجال، ولزاد حجمُ

التّعقيبِ على الأصل المعقب عليه، ولكن حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وأما بعد فإنه لما ظهر مقال الدكتور النصر المذكور في مجلة «الاكليل» وقرأته اتصلتُ (بكلية الأداب) أسأل عنه لأني أحببت أن أراه وبعد يومين أو ثلاثة أيام من ذالك الاتصال إذا برجلٍ يدخل إلى مكتبي فسلم ودنا مني ومدّ يده مصافحاً فقمت كعادتي هاشاً باشاً مرحباً بمن أقبل ، فعرفني باسمه، فإذا صاحبُنا الدكتور محمد سيف النصر فأخذتُ أعتُب على ما فَعل، وذكرتُ له بعضَ الأخطاء الجسيمة التي تضمنها مقالُه ، فأخرج من حقيبة يده مجلة «الاكليل» ليطلعني على ما كتبه من إشادة بكتابي في أول هامش من هوامش مقاله، فقلت له ما معناه: إنني وكتابي غيرُ محتاجَيْن لثناءِ الناس وأراد أن يسترسلَ في كلامه ليبرهن على أنه انتفع بكتابي، فقلت له: لقد سطوت على أبحاث العلماء والدارسين ونشرتها باسمك، فقال: لقد زرتك بعد وصولي إلى صنعاء قبل أربع سنوات، ورجوتك مساعدتي بصورٍ من نسخ تقارير بعثات الآثار لأنتفع بها في دراساتي، ولكنك رفضت إعطائي شيئاً من ذالك، وساعَتئِذٍ تَذَّكرته وتذكرتُ أيضاً أنني قلت له: إذهب بنفسك إلى أي مكان تريد زيارته، وعلينا تسهيلُ وصولك إلى ذالك المكان، واعمل مثل عمل هؤلاء الباحثين وجدَّ واجتهد، وأرِنا نتائج أبْحاثك، فربما تنجحُ أكثرَ من هؤلاء الباحثين لأنَّ لسانَك العربي قادر على فهم سكان المناطق التي سترتادها أكثر مما يفهمهم المستعربون أما أن أعطيك نتائج أبحاث قوم ٍ جَدُّوا وكَدُّوا وتعبوا في سبيل المحصول عليها وأعطيكها بيُسرٍ وسُهولة فهذا أمر مستحيل ويظهر أنها لم ترق له هذه النصيحةُ المخلصة فخرج من عندي ولسانُ حاله يقول: سأحصل على ما أريد من أقربِ الطرق وأيسرها. وقبل أن ينصرف أراد أن يستوضح مني أكثرها عما أنكرت من مقاله؟ فقلت له: لا داعي للعتاب والنقاش، فقد سبق السيفُ العَذَلَ، وستقرأ رَدِّي على ما كتبت قريباً وكنت قد كتبت تعقيبي على مقاله وسلمته للأستاذ مظفر تقي وكيل وزارة الإعلام لقطاع الثقافة لنشره في مجلة «اليمن الجديد» التي تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام حتى يُنْشَرَ قبل عودة الدكتور النصر إلى مصر لينتفع به. ←

أبو الطيب المتنبي شاعر المبالغة
في الشعر العربي

١ ــ المبالغة قبل عصر المتنبي : الدارس المتأمل لمبالغات المتنبي يلاحظ أن المبالغة عند المتنبي لم تكن صفة خاصة به، بل انها بلغت على يديه حدها الأعلى في تطور متصاعد بدءاً من أبي نواس وتثنية بأبي تمام وأخيراً إلى أبي الطيب، الذي أصبح الشاعر الأوفر شعراً والأكثر إغراقاً ، فلماذا أصبح أبو الطيب المتنبي شاعر مبالغة وكيف استولت المبالغة على شعره ؟ لاشك أن الجواب على ذالك يمر عبر عرض للمبالغة مروراً بالعصور الأدبية ووقوفاً على اشعار أستاذي المتنبي فيها أبي نواس وأبي تمام .

ومن الحق أن نقرر أن المبالغة لم تكن وليدة العصر العباسي، ولا سمة لأبي الطيب، إنما كانت معروفة في العصور الثلاثة: الجاهلي ــ وصدر الإسلام ــ والأموي ، يقولها الشعراء ويتغنى بها المنشدون، دون أن يبدو استهجاناً صريحاً ، أو استنكاراً شديداً .

وقديماً نقد الأولون قول مُهلهل(١):

← وبعد ظهور تعقيبي زارني أحد الأفاضل من الأساتذة المصريين من قسم الآثار وأبدى لي استياءه مما ارتكبه الدكتور النصر من أخطاءٍ ، وذكرني أن الدكتور يوسف عبدالله قد عاتب الدكتور النَصر وأنه هو أيضاً قد عاتبه.

صنعاء — اسماعيل بن علي الأكوع

الهوامش:

(١) سعى الدكتور محمد سيف النصر عن طريق أحد طلابه للحصول على صورة لهذه الوقفية فصوَّرها له وقد بدأ الدكتور النصر يحققها مستعيناً بأحد الأساتذة في كلية الآداب من أبناء اليمن ليشرح له المصطلحات اليمانية والألفاظ الغريبة. نرجو له التوفيق والنجاح.

وَلَوْلَا الرِّيْحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ صَلِيْلُ ٱلْبَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

وقول الآخر(٢):

ألاَ إنَّما غَادَرْتِ يَا أُمَّ مالِكٍ صَدًى أَيْنَما تَذْهَب بهِ الرِّيْحُ يَذْهَبِ

وقول عنترة(٣):

وَأَنَا ٱلْمَنِيَّةُ فِي ٱلْمَواطَنِ كُلِّهَا وٱلْمَوْتُ مِنِّي سَابِقُ الأجَالِ

وقول الأعشى(٤):

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

ولم تكن المبالغة في العصر الجاهلي وحده، بل جاءت أيضاً في عصر صدر الإسلام، ولكنها كانت قليلة، ومن ذالك قول النَّمر بن تَوْلَب(٥):

يَظَلُّ يَحْفِرُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والْهَادِي

وقول النابغة الجعديِّ(٦):

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وجُدُودُنَا وإنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَالِكَ مَظْهَرَا

وقول تَميم بن مُقْبِل(٧):

وَلَوْ كُحِلَتْ حَوَاجِبُ خَيْلِ قَيْسٍ بِكَلْبٍ بَعْدَ تَغْلِبَ مَا قَذِيْنَا

ووردت أيضاً في عصر بني أُمية ومن ذالك قول هُدْبَةَ بنِ خُشْرُمٍ:

بِإِجَّانَةٍ فَيْحَاءَ لَوْ خَرَّ بَازِلٌ مِنَ ٱلْبُخْتِ فِيهَا ظَلَّ لِلْجَنْبِ يَسْبَحُ

وقول ابن ميادة:

وَلَوْ أَنَّ قَيْساً قَيْسَ عَيْلَانَ أَقْسَمَتْ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهَا حِجَابُها

وقول الطِّرِمَّاح:

وَلَوْ أَنَّ بُرْغُوثاً عَلَى ظَهْرِ نَمْلَةٍ يَكُرُّ عَلَى صَفَّيْ تَمِيمٍ لَوَلَّتِ

وقول الفرزدق[٨]:

لَعَمْرُكَ مَا ٱلْأَرْزَاقُ حِينَ اخْتِفَالُهَا بِأَكْثَرَ خَيْراً مِنْ خِوَانِ ٱلْغُذَافِرِ
وَلَوْ ضَافَهُ الدَّجَّالُ يَلْتَمِسُ ٱلْقِرَى وَحَلَّ عَلَى خَبَّازِهِ بِٱلْعَسَاكِرِ
بِعِدَّةِ يَاجُوجٍ وَمَاجُوجَ كُلِّهِمْ لَأَشْبَعَهُمْ يَوْماً غَذاءُ ٱلْغُذَافِرِ

تلك المبالغات القليلة الفطرية أصبحتْ في العصر العباسي كثيرة، موغلة في الإغراق، ذالك أنَّ المبالغة منذ العصر العباسي استحالت ذوقاً أدبياً عاماً يستحسنه الشاعر، ويعجب به الناقد، ويطرب له الممدوح.

وقصة أبي تمام مع الفيلسوف الكنديّ ، وإنكار الكندي الصدق في الكلام ، ودعوته إلى [عدم] مجانبة القصد مثل معروف في هذا المقام.

وهذه المبالغات القليلة الفطرية، نجدها أصبحت في العهد العباسي، كثيرة معقدة.

٢ ــ المبالغة من أبي نُوَاس إلى أبي تمام : يأتي أبو نُوَاسٍ أولاً في مضمار المبالغة والإغراق ، ولم يشتهر أحد قبل أبي نواس بكثرة المبالغات وبعدها عن الواقع، وهو بذالك يُعَدُّ من أوائل من مَهَّدُوا سبل المبالغة[٩] وعبدوا طرقها، حتى أتى بعده أبو تمام والمتنبي وابن هانيء .

وَعُنِيَ أَبُو نُوَاسٍ بإبراز الممدوحين بصورة الجلال والقداسة، وبالغ في ذالك حتى عَدَا مرحلة المبالغة إلى الكذب الصراح، والكفر البواح، وأتى بما يمجه الطبع، وينفر منه الذوق[١٠]، كقوله الهجين :

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

وقوله[١١]:

تَنَازَعَ ٱلْأَحْمَدَانِ الشِّبْهَ فَاشْتَبَهَا خُلْقاً وخَلْقاً كَمَا قُدَّ الشِّرَاكَانِ
اثْنَانِ لَا فَصْلَ لِلْمَعْقُولِ بَيْنَهُمَا مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَٱلْعِدَّةُ اثْنَانِ

- ومن المديح إلى الوصف بخاصة نعتُ الخمرة[١٢]:

اسْـقِـنِـيْـهَـا سُـلاَفَـةً سَـبَـقَـتْ خَـلْقَ آدَمَـا
فَـهْـيَ كَـانَـتْ وَلَمْ يَـكُـنْ مـا خَـلاَ ٱلأَرْضَ والـسَّـمَا

وقوله في وصف القدر:

يَعَضُّ بِحَيْزُومِ ٱلجَرَادَةِ صَـدْرُهَا وَيُنْضِجُ مَا فِيْهَا بِعُودِ خِـلاَلِ
وَتَغْلِي بِذِكْرِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ قُرْبِهَا وَيُنْـزِلُهَا عَفْـواً بِغَـيْرِ جِعَـالِ

غير خفيٍّ أَنَّ أبا نواس اتَّبَعَ المبالغة لإرضاء عواطف الخلفاء وخاصة الذين كانوا يتهالكون على المديح، ولا يرى بعضهم منكراً أنْ يُمْدَحَ بما تُمدح به الأنبياء، فوجد أبو نُوَاسٍ من طاعة الخليفة ما دفعه إلى عصيان سلطان الفن الخالص والاستخفاف بدينه.

أضِفْ إلى ذالك رقة الدين، وفساد العقيدة، وقد كان عصره عصراً كثرتْ فيه الزندقة والالحاد بالدين.

ولم يُعْنَ شاعر بالمبالغة بعد أبي نواس قدر عناية أبي تمام بها، فقد دخلت المبالغة شعر أبي تمام في كافة فنونه وأغراضه، من مديح إلى غزل، إلى رثاء، فهجاء، ووصف.

فمن المديح قوله(١٦):

سَـأَحْمَدُ نَصْراً مَـا حَيِيْتُ وَإِنَّنِي لأَعْلَمُ أَنْ قَدْ جَلَّ نَصرٌ عَنِ ٱلحَمْدِ

وقولـه:

وَلَـوْ كَـانَتْ يَمِيْنُـكَ أَلْفَ بَحْـرٍ يَفِيضُ لِكُـلِّ بَحْـرٍ أَلْفُ نِيْـلِ

وقولـه:

أَمْطَرْتَهُمْ عَزَمَاتٍ لَوْ رَمَيْتَ بِهَـا يَوْمَ ٱلكَرِيْهَةِ رُكْنَ الدَّهْرِ لاَنْهَدَمَا

ومن غلوه في الرثاء قوله:

لَوْ كَانَ لِلْجَبَلِ ٱلْمُعَظَّمِ رِيْشَـةٌ مَـا شَـكَّ خَلْقٌ أَنَّـهُ سَـيَطِيْرُ

وَأَرَى نَكِيْراً صَدَّ عَنْكَ وَمُنْكَراً ظَنًّا بِأَنَّكَ مُنْكَرٌ ونَكِيرُ

ومن احالته في الغزل قوله :

كَوَائِنُ الْحُبِّ قَبْلَ كَوْنِكَ فِي أَفْئِدَةِ الْعَاشِقِيْنَ لَمْ تَكُنِ

وله في الهجاء :

أَفِيَّ تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّوْرِ والْفَنَدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ (لاَ شَيْءَ) في الْعَدَدِ؟

وله في الشكوى[١٧]:

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ وَوَجْدِيَ مِنْ هَذَا وهذاكَ أَطْوَلُ

وإذا تأملت مبالغات أبي تمام رأيت فيها ظاهرتين: أَنَّ الغرض من المبالغة فني، أدبي، وأَنَّ فيها خروجاً إلى المحال مما لا يمكن تصوره لا عقلا ولا عادة كقوله:

أفِيَّ تَنْظِمُ قَوْلَ الزُّوْرِ والْفَنَدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ (لاشيءَ) في العَدَدِ ؟

وإن تلتمس أسباب هذه المبالغة عند أبي تمام تَبْدُ لك نزعةُ أَبِي تمام إلى التجديد، فقد كان رائد التجديد في الشعر، يحاول زعزعة عمود الشعر الذي تمسك به المحافظون .

وهو حين يجدد يذهب مَذْهَبَ أهل الفكرة والفلسفة في شعره، ويتطلب الألوان ويتصيد المعاني، فإذا لم يظفر بمعنى جيد حاول أن يأتي بصنعة لفظية، وكان البديع والغوص على أنواعه، ووشيه، من دثار هذا المذهب وشعاره، وكانت المبالغة أَهَمَّ أُسُسِهِ ، وهذا ما لاحظه الناقدون الأقدمون عليه فقالوا : إنه يريد البديع، فيخرج إلى المحال[١٨].

ولثقافة أبي تمام العريضة العميقة، واطلاعه على فكر أمم شتى كاليونان وفارس نَمَا عنده هذا الميل وساعَدَهُ على أن يذهب فيه كل مذهب.

٣ ــ مبالغة المتنبي من الكثرة إلى الاغراق : لم يبلغ شاعر من شعراء العرب ما بلغه المتنبي من الإفراط والغلو والمبالغة سواء في الكثرة أم في الإغراق والغلو،

والبعد عن القصد(١٣)، وقد كان بعض الشعراء يقصر مبالغاته على المديح أو الفخر، لكن المتنبي عمم هذه المبالغة في جميع ألوان شعره، فأنت واجدها في المديح، كما تجدها في الغزل والهجاء حتى لتوشك أن تكون طابعاً مميزاً له، وكثير من هذه المبالغات يعتبرها المتنبي نمطاً من التوشية يوشّي بها شعره بطرق ملتوية فيها التصنع والتكلف(١٤).

ومن مبالغاته في المديح السينية التي يقول فيها:

لَوْكَانَ ذُو ٱلقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ   مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيه مُوسَى

وأكثر مبالغاته في المديح، وبعده يأتي الفخر، ومن غلوه فيه قوله:

أيُّ مَحَلٍّ أرتقي ؟   أيُّ عَظِيْمٍ أَتَّقِي ؟
وكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللّـ   ـه وَمَا لَمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقَرٌ في هِمَّتِي   كَشَعْرَةٍ في مَفْرِقي

والغزل أيضاً لم يخل من هذا اللون كقوله:

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ   لَوْلاَ مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

ولأن أبا الطيب لا يجيد الغزل، فإنه يلجأ إلى المبالغة لتغطية ضحالة الشعور وكذب العواطف، وانظر لقوله:

ذِرَاعَاهَا عَدُوَّا دُمْلُجَيْهَا   يَظُنُّ ضَجِيْعَهَا الزَّنْدَ الضَّجِيْعَا

فهل هذه صورة محبوب أم جاموس، وقوله(١٥):

وَلَوْ جَلَمٌ أَلْقَيْتَ فِي شِقِّ رَأْسِهِ   مِنَ السُّقْمِ مَا غَيَّرت فِي خَطِّ كَاتِبِ

وفي الوصف قوله:

وضَاقَتِ ٱلأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ   إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلا
فَبَعْدَهُ وإِلَى ذَا ٱليَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ   بِٱلخَيْلِ فِي لَهَوَاتِ الطِّفْلِ مَا سَعَلا

وليس هذا مجال عرض لمبالغاته إنما هو الإشارة إلى شمولها كافة الأغراض.

٤ ــ **روافد المبالغة في شعره** : والمتنبي يستمد مبالغاته من مؤثرات وطوابع دينية، وأخرى اجتماعية، وثالثة ثقافية، وأثر هذه الروافد في شعره واضح للعيان فأنت واجد في شعره الرافد الديني ممثلاً بألفاظ المتصوفة، وألفاظ أخرى شيعية غالية[١٩].

وانظر المصطلحات والأساليب الصوفية ضمن المبالغة في قوله:

كَـبُرَ ٱلعِيَان عَـلَيَّ حتى أَنَّـهُ ... صَارَ ٱليَقِينُ عَنِ ٱلعِيَـانِ تَوَهُّمَـا

وقولـه :

وَبِـهِ يُضَـنُّ عَـلَى ٱلبَرِيَّـةِ لَا بِهَا ... وَعَلَيْـهِ مِنهَـا لَا عَلَيْهَا يُـوْسَى

وقولـه :

وَلَـوْلَا أَنَّـنِي فِي غَـيْرِ نَـوْمٍ ... لَـكُـنْـتُ أَظُـنُّنِي مِنِّي خَـيَـالَا

وقولـه :

نَحْنُ مَنْ ضَايَقَ الزَّمانُ لَهُ فِيـ ... ـك وخَـانَتْـهُ قُـرْبَـكَ ٱلأَيَّـامُ

يقول الصاحب بن عبَّادٍ في هذا البيت: لو وقع في عبارات الجُنيد والشبلي لتنازعته الصوفية دهراً بعيداً[٢٠].

ومثلما كان المتنبي شديدَ الولوع بألفاظ أهل التصوف، كان شديد التوقان إلى الاستخفاف بأمر الدين، وتناول الموضوعات المقدسة بأسلوب فيه الهزْءُ وفيه رقةُ الدين[٢١]. كقوله :

إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ ... فَبَـرِئْتُ حِيْنَئِـذٍ مِنَ ٱلإِسْـلَامِ

وقولـه :

وأَكْـبَرُ آيَـاتِ التَّهَـامِيِّ أَنَّـهُ ... أَبُوكَ ، وإِحْدَى مَالَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ

وقولــه :

والنَّــاسُ كَــٱلعَــابِــدِيْنَ آلِهَــةً   وعَــبْــدُهُ كَــٱلْمُــوحِّــدِ اللهَ

وقوله :

وُنصِفْي الَّذِي يُكْنَى أَبَا ٱلحَسَنِ ٱلهَوَى   وَنُصْفِي الَّذِي يُسْمَى الإِله وَلاَيُكْنَى

وقولــه :

يَتَــرَشَّفْــنَ مِنْ فَــمِي رَشَــفَــاتٍ   هُنَّ فِيـهِ أَحْلَى مِنَ التَّــوْحِيْـدِ

وفساد الدين ــ كما يقول صاحب «اليتيمة» ــ ليس عيباً فنياً على الشعراء وليس سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، ولكن الإسلام له حقه من الإجلال والإحترام، بحيث لا يسوغ الإخلال به قولاً أو فعلاً[٢٢].

بَلْهَ إنَّ الخروج عن حدِّ الدين أفضى إلى مبالغات ممقوتة ينفر منها الذوق، وتمجها الأسماع، ويبرأ منها الفن، وتنكرها الطباع السليمة، والفطرة العربية.

وكما التجأ الشاعر إلى أهل التصوف يأخذ منهم أساليبهم وتعبيراتهم عرج على غلاة أهل التشيع ليقتبس من منهاجهم حتى ليحس القاريءُ أنَّ الشاعر حين يمدح أحياناً يمدح إماماً من أئمة الشيعة، أو نقيباً من نقبائهم، يذهب في الغلو فيه كل مذهب[٢٣].

والسينية أظهر مثل لتصوير منزع التشيع وأخذه مأخذهم وفيها يقول:

بَشَرٌ تَصَــوَّرَ غَــايَــةً فِي آيَــةٍ   تَنْفِي الــظُّنُونَ وتُفْسِـدُ التَّقْدِيْسَــا
وبِـهِ يُضَــنُّ عــلى ٱلبَـرِيَّـةِ لاَبِهَـا   وَعَلَيْــهِ مِنْهَــا لاَعَلَيْهَــا يُــوسَى

٥ ــ **الأسباب الشخصية لإغراق المتنبي** : كثرت مبالغات المتنبي ، وبلغت كل مذهب في البعد، وامتزجت في كل غرض من أغراض هذا الشعر، وكان لها أسباب دعتْ إلى هذا اللون الذي أُعْجِبَ به الشاعر، وسلك نهجه فيه غير مقتصد، ولا كاف عن بعض مكروهه.

وأول تلك الأسباب تقليد الشاعر لشعراء القرن الثالث، الذين كَلِفُوا بالبديع، وامعنوا في الغوص عليه، متفننين متجاوزين، وقد عُنُوا بالمبالغة خاصة[٢٤]، وكان من أظهرهم أبو تمام.

وأيضاً ما شاع عند بعض النقدة المتقدمين من الدعوة إلى المبالغة، وقد تبنّى هذا التيار قدامةُ بن جعفر وغيره، ممن كانوا مناصرين للمبالغة مؤثرين للغلو على الاقتصاد في القول[٢٥].

ومنها ما يُرْمَى به المتنبي من قِرْمِطِيَّةٍ غالية[٢٦]، وهذا الزعم إنْ لم يَصْدُقْ على عَقِيدَتِه فقد تأثره في شعره، وشعره صورةٌ واضحة لِقِرْمِطِيَّةٍ تغَلْغَلتْ في الأعماق، وشيعية سرت فيه مسرى الدماء ، وإن يكن لم يعتنقها اعتناقاً فقد ارتشف من فلسفاتها رشفَاتٍ .

وسبب رابع، دراسة الشاعر لفلسفة أهل التصوف، وما في أساليبهم من غموض، وما في معانيهم من غلو[٢٧]، ولم يكن المتنبي صوفياً ، ولكنه كان يعرف الصوفية كما يعرفها أهل التصوف ، وما كأنه إلا قطب من أقطابهم.

هذه الأسباب خصوصية في المتنبي ذاته، وهي داخلة في الإطار الشخصي للحديث عن فنه وأدبه، ولكن أسباباً أخرى قد تكون أقرب إلى العموم، وهي أسباب تستمد وجودها من روح العصر والتركيبة الاجتماعية والنزعات الفكرية، والأُطُرِ المعيشية، وسنتحدث عنها فيما يلي :

٦ ــ الأسباب العامة لشيوع المبالغة في عصر المتنبي : هناك أسباب عامة لشيوع المبالغة في شعر المتنبي بصفته نموذج الشاعر العباسي وممثلاً لعصره، بكل مافيه من بساطة وتعقيد، ونزعات، ونحل سياسية واجتماعية.

وأول ذالك الكذب العاطفي عند الشاعر الذي يفضي به إلى مسالك عُوج ، فالشاعر الصادق يقول ويوجز فيصب المحزَّ ، ولا يخطيء المفصل في أسلوب مقتصد ، وفكرة لا تكلف فيها.

أما حين يكذب الشاعر في عواطفه، فيمدح من لا يستحق إلا الذم، ويثني على من الصق به العيب، فشيء آخر ، إنَّ عاطفته لا تمده بروافد وخواطر يسكب فيها قوالبه، لأن ممدوحه ليس بذي خير كاثر، ولاصفات مثلى . بل جسد اشتمل على كثير من العيوب والموبقات، ولذلك فإن الشاعر لا يجد سنداً من الواقع يعضد دعواه، ويؤكد مذهبه، فيلجأ الشاعر إلى الخيال ليكمل الصورة، وإلى الكذب ليوضح الفكرة، فيقع في العيب، ويصل إلى مهلهل من الفكر، وركيك من المعنى، ذالك أنَّ البحث عن سبل التقرب من الحاكمين يُرْكِبُهُ مطيةَ الكذب المهيأة ، ومهرة النفاق المسرجة. .

لذالك كثر الشعراء المنافقون الذين يتمسحون بأولئك الحاكمين ، ويرسمون لهم الصور الخيالية، وكلما ابتعد الممدوح عنها أكثر الشعراء وصفه بها ، حتى صار الشعراء موظفين كغيرهم، عينت لهم أوقاتٌ يدخلون فيها على الخلفاء وفرض لكل واحد عطاء ، يدفع إليه وافداً أو مادحاً[٢٨].

وكانت المنح والجوائز تنثال على الشعراء انثيالاً دون حساب أو تقدير، فكما أن الشعراء يعطون الحاكمين من المعاني والصفات ماهو فوق الواقع، وما لا يملكون الباسهم لبوسه، فكذالك نجد بعض الخلفاء أعطوا الشعراء ما هو فوق الحقوق وما يملكون وما لايملكون من أموال الشعوب[٢٩].

ولسنا بحاجة إلى أن نعلل ميل بعض الخلفاء والحاكمين إلى حض الشعراء ودعوتهم إلى المديح ، فذالك يفضي بنا إلى الاسهاب، حسبنا أن نكرر أن الخلفاء دعوا إلى المديح والإطراء والتعظيم بكل الأساليب ، فأسروا بعطاياهم شعراء الحضر فنادموهم ودعوا شعراء البَدْوِ وأترفوهم، وبعثوا في طلب من لم يفد، فأجزلوا لهم العطايا حتى صنفوهم مراتب، ووضعوا لهم مرتبات سنوية، واختص كل وال كبير بطائفة من الشعراء يعطي فيقولون، لهذا كله أصبح الشاعر عاطلاً ، وعلى الرغم من ذالك فهو ذو قصور ودور وضياع ، وأخيراً رأينا أن الخلفاء كانوا ــ إضافة إلى طربهم للمديح ، واهتزازهم للثناء ــ يطلبون المبالغة، ويحضون عليها،

فما قيمة الكلام العادي المتداول المبتذل، إنهم يريدون معاني وصفات فوق المعقول ليرضوا غرورهم، وكبرياءهم، وليخدعوا شعوبهم، وليقيموا لهم ذكراً حسناً في الناس(٣٠).

ولقد كان العصر العباسي عصر امتزاج مجتمعات، ومن ثم فهو عصر امتزاج ثقافات، وقد جاء العرب بالإسلام إلى أقوام شتى من سريان وفرس وكلدان وصابئة وأقباط ويونان وهنود، وكل أمة لها فلسفة وعقائد وثنية مشركة، فكان أن أسْلمت أقوامٌ شتى منهم: من أسلم صادقاً وهم أكثر الناس، وبقيت فئة كافرة في السر والجهر، وخَفَتَ صوتُ الشك والإلحاد في العصر الأموي، لأن الدولة كانت عربية خالصة.

فلما جاء العصر العباسي وارتفع صوت الفرس واستطاعت العناصر الفاسدة أنْ ترفع أبواقها، فكانت المجوسيةُ والراونديةُ اتباعُ أبي مسلم الخراساني ومن أبرزها حركة المقنع الذي نادى بتناسخ الأرواح، ودعى إلى هدم أركان الإسلام، ووجه المهدي له ضربة قاضية، فقتل كثيراً من أتباعه في المعارك، وأنشأ ديوان الزنادقة لمن خفي واستتر، وبذالك سكنت ريح عقيم طوال عهود المهدي والهادي والرشيد والأمين(٣١).

ومن أجل ذالك وجد بين الشعراء الاستهتار بقيم الدين، وشرائع الإسلام، فتحدث بعض الشعراء عن الدين مستخفين، وبشعائره مستهترين، ورأوا في أنبياء الله مثلاً يشبه بها الخلفاء، وفي عظمة الله وصفاته وأسمائه ميداناً للاقتباس، فألبسوا ممدوحيهم من القداسة كل ملبس ونجد ذالك في شعر المتنبي.

وقد شاع شرب الخمر، وكثر صرعى الكؤوس حتى أن الشاعر الذي لا يشربها يضطر لوصفها ليجاري ذوق العصر، ويتصرف في أغراض الشعر، وكفى بذالك ذوقاً !!

هذا المجون والفسوق دعيا إلى ازدراء كل مُثُلٍ، والغض من كل فضيلة، والتباهي بكل رذيلة، حسب القاريء أن يقرأ «ديوان أبي نواس» أو «يتيمة الدهر»

ليعرف كم فسوق، وكم من استهتار بصلاة وهزء بصوم، وسخرية بعبادة.

تَمَدَّنَ المجتمع في عصر بني العباس، فاقتبس من أمم شتى أنظمة شتى، في المآكل والمشرب والملبس والمسكن، وسائر شؤون الحياة، وتدفقت الأموال فكثر النعيم وعم، وتغلغل الترف وشمل، لكن شموله وعمومه كانا مرتبطين في أحيان كثيرة بظل الحاكمين من كل جانب، وإن كانت فئات من الشعب يعيث فيها الجوع والفقر، وأصبح بعض الخلفاء والولاة والأمراء ينفرون من ذوق البدو الفطري، المبني على الصدق والقصد في المديح والوصف، فلا يريد الخليفة أن يمدح بأنه عظيم فحسب، بل يجب أن يفضل على الناس، ويقرن بالرسل، وذالك حسن الذوق! وسلامة الفطرة!

لا نعجب إن رأينا عبد الملك بن مروان ينتقد عبيد الله بن قيس الرُّقَيَّاتِ في مديحه له:

يَـأْتَلِقُ التَّـاجُ فَـوْقَ مَفْـرِقِـهِ عَـلَى جَبِـينٍ كَـأَنَّـهُ الـذَّهَبُ

لأنه وصفه بالجمال، بينما وصف مصعب بن الزبير بالجلال إذ يقول:

إِنَّمَـا مُصْعَبٌ شِهَـابٌ مِنَ اللهِ تَجَـلَّتْ عَـنْ وَجْـهِـهِ الـظَّلْمَاءُ

إن هذه الصورة من البحث عن الأفضل في المديح عادية جداً، إذا قيست بصورة أبي تمام والمعتصم والكندي الفيلسوف، إنَّ الكندي يمثل الذوق المعقد المترف المتكبر حين يقول لأبي تمام: الأمير فوق من وصفت، مازدت على أن شبهته بأجلاف العرب!! حينما قال أبو تمام في المعتصم بيته الرائع:

إِقْدَامَ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

تعقد الذوق، وانمسخت الفطرة في الناس، فالكندي لا يرضى للخليفة أن يشبه إذَنْ بشجعان العرب، أراد أن يقول بالرسل؟

ولذالك جعل الشعراء الخليفة قَدَراً ينفع ويضر، وأجلاً يقدم ويحجم، واسندوا إليه تصريف الزمان(٣٢).

ولقد اختلط العرب البسطاء بأمم لها وَلَعٌ بمظاهر العظمة والأُبَّهَةِ والإجْلال، وإحاطة أنفُسِهم بالمظاهر البراقة، فلقبوا ملوكهم بأعظم الألقاب ووصفوهم بأسمى الصفات، وأحاطوهم بالإجلال الذي ليس بعده زيادة لمستبد(٣٣) وفي وصفهم للأشياء، وتصويرهم للحقائق، وتحديدهم للمعاني شغف قويٌّ بالإغراق(٣٤).

وتأثر الأدباء بهذا المنزع إلى المبالغة، وارتسمت تلك الصور في قوافي شعرهم.

وكان تأثر الشعراء ناتجاً عن إحدى وسيلتين الأولى: شعراء ورثوا هذا الطبع وراثة الدم والعرق كبشار بن بُرْدٍ، وأبي نُوَاسٍ، والْعَكَوَّكِ، والصَّابِي وآخرون امتزج فيهم هذا الطبع بالمخالطة والمجالسة، في ذالك المجتمع المختلط، وبقراءة ما ترجم من آثار القوم، وباحتذاء من ورث طبائعهم وأمزجتهم وهؤلاء هم الشعراء الذي يَمُتُّون إلى العرب بصريح النسب وصميم الحسب كأبي تمام والمتنبي وابن هانيء.

وقد وُجِدَتْ مذاهبُ إسلامية متأثرة بهذا الامتزاج بالأمم الأخرى، وقد اقترن التشيع منذ كان بالغلو، وبالغ الإسماعيلية والقرامطة ونحوهم مبالغة اقتبسوها من أهل فارس ومن الهنود والنصارى واليهود(٣٥) ونحوهم ممن اتخذ التشيع الغالي ستاراً والمروق من الدين والزندقة دثاراً(٣٦).

وقاسى أهلُ التشيع كُلَّ بؤس الحياة من نكد وضراء، واضطهاد وتقتيل جملة وافراداً، لذالك تَكَوَّنَ لديهم رَدُّ فِعْلٍ لما شعروا به من واقع مرير، فعاشوا على أطياف خيال بعيد، من انتظار إمام غائب، وظهور إمام مختف، وأغْرقوا في تعظيم علي رضي الله عنه، وغَلَوْا في سبِّ بعض صحابة النبي ﷺ ورضي عنهم.

وهذه الصورة لها ظل في الغلو واضح عند المتنبي وابن هانيء الأندلسي ودِيك الجن، ومنصور النميري، والحسين بن مُطير، ودِعْبِلٍ الخزاعي.

وبعد فإن هذه الأسباب العامة، من نقد للحياة، وترف، ومجون وزندقة، واغراق للاعطيات، وطباع أجنبية، وعلوم وثقافات جديدة هي روح العصر،

الذي وجد صداه في مذهب ابتدعه الشعراء، وتشجيعه في مذهب ابتكره النقاد، وعلى رأسهم قدامة بن جعفر الذي صفق للمبالغة، ودعى الشعراء إليها، وآثرها على الاعتدال داعياً إلى اقتفاء نهج اليونان فيها ممثلاً بمذهب أرسطوطاليس، ودعى إلى أن المبالغة هي مذهب أهل الفهم بالشعر، وإن أروع الشعر أكثره مبالغة(٣٧)، وغير خفي ان رأياً خطيراً كهذا له أثر على الأدب، واتجاهه إلى المبالغة.

٧ ــ **المتنبي وشعراء المبالغة**: لهذه الأسباب المذكورة آنفاً كانت المبالغة في العصور الثلاثة الأولِ قليلةً غير متكلفة، أما في عصر المتنبي فنجدها تختلف في أربعة أشياء:

أولها: أنَّ مبالغة الأوائل كانت طبعية دون تكلف وتعمد، لا يقصدها الشاعر، ولا يبحث عنها، بل تأتي بها القريحة، وتوردها البديهة.

الثاني: أنَّ مبالغة العصور الثلاثة قليلة ترى كالوشم في ظاهر اليد وتلتقط في الديوان الواحد بيت أو بويتات.

والثالث: أنَّ هذه المبالغة لم تتجه إلى المدح في أكثرها، ولم تُحِلَّهُ المحلَّ الأولَ فهي تأتي إليه كما تأتي إلى غيره من الفنون، على سواء فهي ليست وليدة النفاق، وعبادة المال وأهله، بل شطحات وسبحات تنفلت من لسان الشاعر لا تدل على ضعف في العاطفة، ولا ملق في التعبير.

ورابعها: أنَّها على قلتها أقربُ إلى الواقعية والقصد والاعتدال فلم يدخلها إلحاد أو شرك، أو استهتار بقداسة أو دين، أو غلو في مجون أو إحالة بعيدةٍ لا تدرك إلا بالخيال.

وحين نحاول أن نميز بين المبالغات عند المتنبي وسابقيه من أبي نُوَاسٍ إلى أبي تمام، فسنجد أن أبا نواس أول من عبَّد طريقها وأكثر منها، ولو وجد قبل أبي نواس من يعبدها لمضى فيها دون توقف أو وازع، وكان من دوافعها لديه رقة في الدين، وفساد في العقيدة، وإيغال في النفاق دفعه إلى الإغراق في المديح، وإلباس

الخلفاء لباس الأنبياء ووصفهم بصفات الباري جَلَّ وعلا .

وكانت المبالغة عند أبي تمام تجديداً أدبياً ، وبحثاً عن البديع والصنعة، وتَصَيُّداً لكل جديد عويص، أملتها ثقافة عريضة، وعقل ثاقب.

وكانت المبالغة عند أبي الطيب إرضاءً لذوق أدبي حكمه أهل العلوم والنحو والفلسفة، وتَحَدِّياً أدبياً وعلمياً لهم، إضافة إلى رشحها من طبع غال، ومذهب غامض، وثقافة واسعة عميقة، وعقل عميق، ونفس معقدة جوالة في الطموح.

وإذا كان المتنبي فارس الشعر في الأدب العربي القديم على امتداده، ورمزاً من رموز البطولة الشخصية والأدبية فيه، فإنه على ذالك شاعر المبالغة في الشعر العربي كله على امتداد عصوره، وكثرة شعرائه ، وإن المبالغة تصل عنده إلى أبعد غاية وأرفع راية، ولابُدَّ من التذكير بأنه لم يأت شاعر بعده بلغ مبلغه، وقد كانت عيباً شائعاً في شعره تصيب بالكلف كثيراً من غرره وقلائده.

وإذا أردنا أن نمر على أشهر أسماء الشعراء الذين عنوا بالمبالغة من بعده فإن سَمِيَّهُ ابن هانيءٍ الأندلسي الذي كان من أكثر الشعراء إغراقاً ، وبعداً عن القصد وتجاوزاً .

وقد كانت مبالغاته نتيجةَ غلو ديني وشيعي، وإفراط ، وحسبك بمثل قوله(٣٨) :

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ ٱلْأَقْدَارُ ‏ ‏ ‏ فَاحْكُمْ فَأَنْتَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ

وابن الفارض شاعر أهل التصوف، نَقَلَ المبالغة إلى الغزل، ومبالغاته تصدر عن عقيدة صوفية كقوله(٣٩) :

خَفِيتُ ضَنىً حَتَّى خَفِيتُ عَنِ الضَّنَى ‏ ‏ ‏ وَعَنْ بُرْءِ أَسْقَامِي وَبَرْدِ أُوَامِي
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ يَدْرِي مَكَانِي سِوَى الْهَوَى ‏ ‏ ‏ وكِتْمَان أَسْرَارِي وَرَعْيِ ذِمَامِي

وَقَدْ وُجِدَ في الشعر العباسي شعراءُ لهم إغراق وغلو، لكنهم لم يبلغوا درجة الفرسان الثلاثة أبي نواس وأبي تمام والمتنبي، منهم الحسين بن مطير الأسدي ، وله

في المدائح خاصة إغراق وغلو.

ومنهم أَبُو إسحاق الصابي، شاعر ناثرٌ ، جنح إلى المبالغة كثيراً في شعره ونثره، ، وشجعه عليها الوارثة والثقافة.

ومنهم ابنُ حجاج، الشاعر الذي جمع إلى المجون إغراقاً وسُخْفَا ، فصار شعره ظلمات بعضها فوق بعض، ويدعوه إلى ذالك تظارف وتماجن ، وتَبَاهٍ بالفسوق وتفاخر.

ومن الشعراء سَلْمٌ ٱلخَاسِرُ ، الذي كانت له مبالغاتٌ في المديح كقوله(٤٠):

لَقَدْ جَعَلَ الله فِي رَاحَتَيْكَ حَيَاةَ النُّفُوسِ وآجَالَهَا
وَجَدْنَاكَ فِي كُتُبِ الأَوَّلِينْ مُحْيِي النُّفُوسِ وقَتَّالَهَا

ومنهم ابنُ سَنَاءِ ٱلْمُلْك ، الذي بالغ في الفخر، وأغرق.

وهناك شاعران فحلان من شعراء العصر العباسي اشتهرا بالشعر وقيل: إنَّ لديهما مبالغة، وهما ابن الرومي وأبو ٱلعَلَاء .

أما ابن الرومي ، فإنَّ ما يبدو له من مبالغة لا يُعَدُّ مبالغة بالمفهوم الفنيِّ لذلك ، ولكن أكثره داخل في أسلوب الهِجاء الساخر كقوله:

يَاثَقِيلاً عَلَى ٱلقُلُوبِ خَفِيفاً في ٱلْمَوَازِيْنِ دُونَ وَزْنِ النَّقِيرِ
طِرْ سَخِيفاً أَوْقَعْ مَقِيْتاً فَطَوْراً كَسَفَاةٍ ، وَتَارَةً كَثَبِيرِ

وهذا الأسلوب فيما يبدُو لي ليس أُسلوبَ مبالغة ، إنما هو أُسلوب هجاء سافر، يعتمد تصوير المتناقضات في الطبائع والعادات، ليخرج القاريءُ والسامع بضحكة ساخرة، وطرفة نادرة، والمبالغة فيه مطلوبة، لأنه هجاء ، (كاريكاتوري).

أما أبو العلاء ، فرجل شغله الواقع عن الخيال، والزهد عن ملذات الحياة عند أعتاب المالكين، ولذالك قلَّ أَنْ تجد له مبالغة، ومن هذا القليل قوله(٤١):

يُــذْيِبُ الـــرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا ٱلغِمْــدُ يُمْسِكُــهُ لَسَـالاَ

وما تحدث عنه طه حسين من مبالغات عند أبي العلاء في طور حداثته وشبابه، وكهولته(٤٢)، إنما هي مبالغة نسبية، إلى مراحل حياة الشاعر الأخرى، أمَّا أنه شاعر مبالغة يصول ويجول فيها فأمْرٌ غير صحيح.

الرياض : د. عبدالله الحامد العلي الحامد

الحواشي :

١ ــ «الوساطة»: ٤٢٢. ٢ ــ الوساطة: ٤٢١.
٣ ــ الوساطة: ٤٢١. ٤ ــ الوساطة: ٤٢١.
٥ ــ الوساطة: ٤٢٢. الهادي: العنق. ٦ ــ الوساطة: ٤٢١. ٧ ــ الوساطة: ٤٢٣.
٨ ــ الوساطة: ٤٢٢. الغذافر: الأول اسم رجل والثاني وصف للجمل.
٩ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ١٦٢، ١٦٣ والعصر العباسي الأول لشوقي ضيف: ٢٢٨.
١٠ ــ «حديث الأربعاء» ١/١٣٠، ١٣١، ١٣٢.
١١ ــ «الموضح»: ٢٦٩. ١٢ ــ «الموشح»: ٢٨٤.
١٣ ــ «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»: ٣٢٣، ٣٢٤.
١٤ ــ انظر الصبح المنبي: ٣٣١، والفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٤.
١٥ ــ أنظر اليتيمة: ١/١٨٠. ١٦ ــ الموازنة: ١/٢٠٧.
١٧ ــ انظر أبو تمام في سلسلة أعيان الشيعة: ١٩٠ ــ ١٩٨ والموازنة: ١/١٥٤ و١/٢٠٧ و١/١٩٦ ــ ١٩٧. والموشح: ٣٢١ و٣٢٤.
١٨ ــ الموازنة: ١/٢٢٩. ١٩ ــ يتيمة الدهر: ١/١٨٧، والصبح المنبي: ٣٨٢، ٣٨٥. والفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢.
٢٠ ــ اليتيمة: ١/١٨٧. ٢١ ــ مع المتنبي: ٢٧٨ و١٥٥ و١٣٠. والصبح المنبي: ٣٨١، ٣٨٣، واليتيمة: ١/١٨٤.
٢٢ ــ اليتيمة: ١/١٨٤. ٢٣ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢، ٣٢٣ ومع المتنبي»: ٧٧.
٢٤ ــ مع المتنبي: ٥١. ٢٥ ــ مع المتنبي: ٥١. والفن ومذاهبه في الشعر العربي ٣٢٣.
٢٦ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢. ٢٧ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي: ٣٢٢. ومع المتنبي: ٧٧.
٢٨ ــ تاريخ التمدن الإسلامي: ٢/٦٧٧.
٢٩ ــ انظر عصر المأمون: ١/١٨٥ وما بعدها.
٣٠ ــ انظر طبقات الشعراء لابن سلام: ١٧١، ١٧٢ والعصر العباسي الأول لشوقي: ضيف ١٩٤. الأدب في ظل بني بوية: ١٤٣، ١٤٥.
٣١ ــ انظر المهدي العباسي: ١٦٠ وما بعدها.
٣٢ ــ انظر المديح في سلسلة فنون الأدب العربي. ←

النّقيـــــــــــر

اختلف المتقدمون في ضبط هذا الاسم ، فجاء في « معجم البلدان » بفتح النون وكسر القاف على صيغة التكبير ــ فعيل ــ بمعنى مفعول أي منقور ــ وأنه موضع بين هَجَر والبصرة ، ثم أورد قول ابن السِّكِّيت في شرح قول عُروة بن الورد :

ذَكَــرْتُ منــازلاً مِنْ أُمِّ وَهْبٍ   مَحَلَّ الْـحَيِّ أسْفَلَ ذِي النَّقِـيرِ

قال : ذو النقير: موضع وماء لبني القين من كلب ، وقيل : موضع نقير فيه الماء ــ كذا ورد في « المعجم » وما أرى عروةَ قصد موضعاً بعيداً عن بلاد قومه بني عبس ، وكانت في عالية نجد في جهات ماوان ، وحدود حِمَى ضَرِيَّةَ وحِمَى الرَّبَذَة ، فإذا كان لبني القين موضع يسمى النقير فهو غير الذي بين هجر والبحرين ، وغير الذي ذكر عروة بن الورد .

وقال البكري(١) : النَّقير : بفتح أوله ، وكسر ثانيه ، بعده ياء وراء مهملة : موضع بين الأحساء والبصرة .

---

٣٣ ــ الأدب في ظل بني بوية: ١٤٤ و٣٠٢.
٣٤ ــ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول لأبي الخشب: ١٨٩، ١٩٠.
٣٥ ــ الأدب في ظل بني بوية: ١٧٠.
٣٦ ــ الأدب في ظل بني بوية: ١٧٠.
٣٧ ــ فن الشعر لأرسطو ــ ترجمة شكري عياد ــ ١٢٠، ١٣٩، ٢٦٧ ومع المتنبي لطه حسين: ٥١ ونقد الشعر لقدامة بن جعفر: ٥٢.
٣٨ ــ انظر «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان: ٢٧٧/٢.
٣٩ ــ انظر «ابن الفارض سلطان العاشقين»: ٢٣.
٤٠ ــ طبقات الشعراء: ١٠٣.
٤١ ــ «تجديد ذكرى أبي العلاء»: ١٨٣.
٤٢ ــ تجديد ذكرى أبي العلاء: ١٨٦، ١٨٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥.

وقال ابن دُريد : النقير لبني القين وكلب ، وأنشد لعروة بن الورد ، ثم أورد بيته المتقدم .

وأضاف وقال العجاج :

دَافَـعَ عَـنِّي بِـنُـقَـيْرٍ مَـوْتَـتِي ... بَعْـد اللَّتِيَّـا والَّلُتَيَّـا واللَّتِي

وقد روي هذا : بنقير ، بضم أوله ، على لفظ التصغير .

ونَصُّ رَجَزِ العَجَّاج[٢] :

أَصْبَحَ قَومِي يَحْفِرُونَ حُفْرَتِي
يَدْعُونَ بِـاسْمِي وتَنَاسَـوْا كُنْيَتِي
فَسُرَّ ودَّادِي وسَـاءَ شُـمَّـتِي
إِذْ ردَّهَـا بَكَيْـدِهِ فَـارْتَـدَّتِ
دافَـع عَـنِّي بِـنُـقَـيْرٍ مَـوْتَـتِي

أي إن الله ردَّ شر تلك الليلة التي أوشك أن يموت فيها وهو في نقير . وورد الاسم مضبوطاً بالحركات بضم النون .

وإذا صح أن اسم الموضع أو الماء الذي بين هَجَر والبصرة نَقِير ــ بفتح النون ــ فإنه غير معروف الآن ، وإنَّما المعروفُ نُقَيْر ــ بالضم ــ وهو منهل فيه آبار قليلة الماء ، قديمة تقع شرق منهل النقيرة بنحو ثلاثة عشر كيلاً . ولا يداخلني شَكٌّ بأنه الموضع الوارد في شعر الْـعَجَّاج ــ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في الكلام على قريته قُصَيْبَة ، وعند ذكر بِعَال ــ وهذا الموضع ذو المنهل يقع في الطريق بين هَجَر والبصرة ، المارّ بوادي المياه ــ وادي الستار قديماً ــ لا الطريق الساحلي .

وقال الهمداني[٣] : وبئر النقير بناحية البحرين أيضاً على عَشْرِ قِيَمٍ

لاتْنَكش ، ويجتمع عليها كثير من وُرَّادِ العرب ، وربما سقى عليها عشرة الآف بعير ، فتضرب عنها جميعاً بِعَطَنٍ ، وهو حَسِيفٌ قَلَيْذَم . انتهى . ووصف الهمداني ينطبق على بئر النَّقِيرة(٤) أكثر من انطباقه على أحد آبار نقير ، فقد وصفها بأنها حَسِيف ، والبئر الحسيف والخسيف هي التي تُحْفر بالحجارة ، فلا ينقطع ماؤها كثرة ، والقَلَيْذَمُ البئر الغزيرة الماء ، وقد يقال : القليزم ــ بالزاي ــ من بحر القلزم .

وآبار نُقَيرٍ ضيقةُ الأفواه محفورة في أرض صلبة .

وكذا بئر النَّقِيرة .

ونقير ــ الموضع ــ من بلاد قبيلة العوازم ، وعلى مَنْهل نُقَير حدثتْ وقعة بينهم وبين مُطَيْرٍ والْـعُجْمان ومعهم غيرهم ذكرها صاحب كتاب « العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين »فقال(٥): بأن فيصلاً الدويش ــ بعد وقعة السَّبَلَةِ ــ بادر إلى نقض العهد ، وسار بمن أطاعه من قبيلةُ مُطَيْرٍ إلى الْـعُجْمان ، وانضم إليهم ابنُ مشهور في جماعته من عَنَزَة ، وعقدوا العزم على احتلال الأَحْساء ، وساروا متجهين لتنفيذ خطتهم ، وفي طريقهم قيل لهم بأنَّ أحياءً من قبيلة العوازم نازلون على ماءِ رِضَا ، فصبحوهم وهم غَارُّونَ فَهَبُّوا مدافعين ، وأنزل الله عليهم النصر ، فقتلوهم بالرصاص والسيوف والسكاكين وعَمَدِ البيوت والحجارة ، وقتلوا حملة الرايات ، وأخذوها ، وهزموهم شَرَّ هزيمة لا ينمحي عارُها ، وكانت هذه أكبر في نفوسهم من كل شيء ، لأنهم يرون أن العوازم لا يكافئونهم في الشرف والشجاعة والعدد والعدة ، وفقدوا بذلك اعتدادهم بأنفسهم ، ومكانتهم الرفيعة عند الناس ، وبعد مدة لا تزيد على شهرين أرادوا أن يستعيدوا شرفهم وحسن سمعتهم ، فجمعوا فلولهم ، وكانت العوازم تترقب غزوهم ، فاجتمعوا على ماء يُسَمَّى نُقَيْر ، فسار العجمان والدويش وابنُ مشهور إليهم في نُقَيْرٍ ، وأغاروا عليهم ، فهزمهم العوازم شر

هزيمة ، وقتلوا كثيراً من رجالهم فعادوا خائبين . انتهى . وكانت وقعة نُقَيْرٍ سنة ١٣٤٧ ــ بعد وقعة السَّبَلَةِ .

وممن قتل العوازم من شيوخ العجمان في وقعة نُقَير حِزَامُ بنُ حِثْلَيْنٍ ، وقال ابن جافور شاعر العوازم في ذلك :

يَا (حْزَام) سَيِّر لـ (هابِسْ) عِنْدِكِ قْرَيِّب   صَيِّفْ وقَيِّظْ وخَاوِ الشَّيْخ في دَارهْ[٦]
عـادَاتِنَا منْ قَـدِيْمٍ نَذْبَحَ الطَّيِّبْ   وهذَا جَزَا اللِّي عَلَيْنا يَنْـثِرَ الْغَارَهْ

ويقع منهل نُقَيْرٍ شمالَ النُّعيرية بنحو أربعين كيلاً ، وأقرب الأعلام منه جبل الْـبِعَال الواقع جنوبه بنحو خمسة عشر كيلاً ، وهو في منطقة السُّودَة في جانبها الشمالي الغربي ، بمنطقة إمارة النُّعَيرية (بقرب خط الطول ٤٨/١٨َ° وخط العرض ٢٧/٥٥َ°) . وقد أُنْشِئ على منهل النُّقير قرية سكانها من العوازم .

النَّقِيْــرَةُ

ــ بفتح النون وكسر القاف ، فعلية بمعنى مفعولة أي منقورة ــ :

هناك في الشمال من آبار النُّعَيْرِيَّةِ الارتوازية وعلى مسافة خمسين كِيْلاً جَوٌّ واسعٌ من الأرض ، فيه آبار قديمة ، ليست غزيرة الماء ، يطلق على واحدة منها تقع في الجنوب من ذلك الجوِّ ومن الآبار ــ اسم النَّقِيرة ، وقد تُسَمَّى مُشاش النقيرة لضعف مائها ، ومعروفٌ أنَّ المياه في البادية جميعها تأثَّرَتْ بما حُفِرَ من الآبار العميقة التي ركبت فوقها الآلات الحديثة لجذب الماء من أعماق الأرض .

هذه البئر الضعيفة الماء كانت ذات شُهْرةٍ عظيمة قديماً ، لوقوعها في طريق من أعظم الطرق الموصلة إلى شرق الجزيرة من الشمال كاظمة (الكويت) والعراق وما حولها من البلاد .

قال الأزهريُّ في كتاب «تهذيب اللغة»[٧] : النَّقِيرة ركية ماؤها رُوَاءٌ ، بين

ثاج وكاظمة ، انتهى .

ومثل هذا في كتاب «التكملة» للصاغاني[٨] .

وقال الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[٩] : النِّقَارُ: نُقَرٌ في الرمل، وكاظمة، ومُسَلَّحَةُ بئر كانت أُجاجا تَذْرِبُ البطون، وعذب ماؤها فصار فُرَاتاً، والنَّقِيرة، وبها البئر العِدُّ، التي ذكرناها، والسُّودَة. انتهى.

وقد أورد ياقوت في «معجم البلدان» نصَّ كلام الأزهري غير منسوب، وأضاف: وأظنها التي قبلها ــ يقصد النَّقير ــ وتقع النقيرة غرب رأس السفَّانية، وشرق الوَرِيعة، بقرب خط الطول ٤٨/١٢° وخط العرض ٢٧/٥٨°.

وهي من مناهل قبيلة العوازم، وعليها حدثَتْ وقعةٌ بينهم وبين مُطَيْرٍ والعُجْمان ومن معهم ــ أثناء الاختلاف الذي وقع في نجد بعد وقعة السبلة سنة ١٣٤٧ انتصرت فيها قبيلة العوازم، فهَزَمَتْ مُطَيراً ومن معهم، وقَتَلَتْ عدداً منهم، من مشاهيرهم هابِس بن عَشْوان شيخ الْعُبَيَّات من قبيلة مُطَير، كما قتلت من مشائخ العُجْمَان حِزَام بن حِثْلَيْنِ، كما تقدم في الكلام على نُقَيْرٍ.

وقال ابن جافور شاعر العوازم في ذالك:

بـ (النَّقِيرة) ذَبَحْنَا طَيْر حَوْرَانِ اقْمَحِي يَالْبُوَيْضَا عُقْبَ رَاعِيها[١٠]
امْتَــلَا الجــوّ دَيْحَــانِي وَبَــرْزَانِي والْعبيَّــاتِ ذَبَّحْنَا نَــدَاوِيْهــا[١١]
مــا قَعَدْ بــالنَّقِيرة كَــوْدْ نِسْوَانِ ما لَقَتْ يَمّ (قَرْيَه) من يُوَدِّيها[١٢]

يقصد بطير حوران هابس بن عشوان.

ولولا أن التاريخ يتطلب تدوين حوادثه كما جرتْ، لما أشرنا إلى تلك الوقعات التي تُؤَثِّر في النفوس، ولكن الله سبحانه وتعالى أعقبها بالألفة بين المسلمين، فأزال الإِحَنَ، وقَوَّى روابطَ الأُخُوَّةِ والمحبة بين جميع سكان هذه

البلاد، فأصبحوا إخوة متحابين، وقد نزع الله الغل والحقد من قلوبهم، والحمد لله رب العالمين.

ولقبيلة العوازم قرية حديثة أنشئت فوق منهل النَّقيرة فسُمِّيت النَّقيرة، وذلك في آخر القرن الماضي وقدر عدد سكانها ــ في كتاب «المسح» بنحو ست وثلاثين ومئتي نسمة.

النَّقِيَّــــــةُ

ــ من النقاء ــ قال في «معجم البلدان»: ــ بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ــ: من قُرَى البحرين، لبني عامر من عبد القيس. وعدَّها الصاغاني في «التكملة»(١٣) من قرى البحرين أيضاً.

ويظهر أنها من القرى التي درست، وأنها تقع في الشمال من المنطقة في نواحي البيضاء والظهران حيث بلاد بني عامر الذين من عبد القيس.

النُّمَيْــــــرَةُ

ــ بضم النون، تصغير نَمِرَة وهي قطعة من القماش مخطَّطة ــ: نقل ياقوت في «معجم البلدان» عن أبي زِيَاد: النُّمَيْرَة هضبة بين نجد والبصرة، بعد الدَّهْنَاء. انتهى.

وكلمة (بَعْد) هنا موهمة، فإن كان هذا القول من أبي زياد وهو في بغداد فهي واقعة غرب الدهناء، وأكثر كلام أبي زياد يتعلق بتحديد المواضع الواقعة في عالية نجد، غرب الدهناء، وإن كان المراد بكلمة (بعد) للمتجه من نجد إلى البصرة، فهي شرق الدهناء.

وعدَّ البكريُّ النُّميرة من بلاد بني تَميم(١٤) وأورد شاهداً على ذالك قول وُجَيْهَةَ الضَّبِّيَّةِ:

فـإنِّي إذَا هَبَّتْ شَمَالاً سَـأَلْتُهَا هَلِ آزدَادَ صَدَّاحُ النُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبِ

وقول الراعي :

لَهَـا بِحَقِيـلٍ فَـالنُّمَيْـرَةِ مَنْــزِلُ تَرَى الوحْشَ عَوْذَاتٍ بِهِ وَمَتَالِيَا

وأضاف إلى هذا: فَدَلَّك أنَّ حقيلاً من ديار بني تميم. انتهى.

ولكن قول البكري أن النُّميرة من بلاد بني تميم، ثم الاستشهاد بقول الراعي وذكر حَقيل في مقام الاستشهاد ـ غير مستقيم، وأخشى أن تكون كلمة (تميم) تصحيف (نُمَير) إذ الراعي من بني نُمَير. وحَقيل من بلاد بني نُمَير في بلادهم، وورد في شعر الراعي :

وَأَفَضْنَ بَعْـدَ كُـظُومِهِنَّ بِجِـرَّةٍ مِنْ ذِي الأَبَارِقِ إِذْرَعَيْنَ حَقِيلاَ

وعَدَّهُ البكري في بلاد بني عامِر، وبنو نُمَير، منهم، فلم يبق سوى قول أبي زياد، وظاهره أن الموضع غرب الدهناء، أما تشوق الشاعرة إلى صدَّاح النُّميرة مما قد يستدل به على أن الموضع في بلاد بني ضَبَّة.

فبلاد هاؤلاء متفرقة شرق الدهناء، وغربها.

وأورد البكري لِدُرَيـدِ بن الصِّمَّة:

ظَوَاعِنُ عَنْ خُرْجِ النُّمَيْرَةِ غُدْوَةً دَوَافِعُ فِي ذَاكَ الْخَلِيطِ الْمُصَعِّدِ

ـ الخُرْج: الوادي الذي لا منفذ له ـ.

وأين دريْدُ وما شرق الدهناء من المواضع؟، وورد ذكر النُّميرة في شعر جرير ذكراً مجرداً من أية صفة توضح موقع المكان إذ قال[١٥]:

يَا نَظْرَةً لَكَ يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةً مِنْ أُمِّ حَـزْرَةَ بِـالنُّمَيْـرَةِ دَارُ

على اختلاف في نسخ الديوان بين اسم (النميرة) و (النحيزة) و (الوريعة).

النُّمَيْــــط

ـ تصغير النَّمط وهو الطريقة ـ: قال في «معجم البلدان»: والنُّمَيط: رملةٌ معروفة بالدهناء. وقيل: بساتين من حَجْر، وقيل: موضع في بلاد بني تميم.

قال ذُو الرِّمة: ثم أورد الشاهد المتقدم في النُّبيط، وقال: ويُرويان معاً. انتهى، والتعاقب بين الباء والميم لهجة لاتزال باقية، فالرَّقم ـ الموضع ـ المعروف ـ يُسمَّى الآن الرقب، ولهذا أمثال كثيرة. وتقدم في الكلام على النُّبيط أنه بقرب نَقَا مُشْرِفٍ، في الدهناء، على ما يفهم من كلام ذي الرِّمَّة، والدهناء من بلاد بني تميم.

أما القول بأنه بساتين من حَجْرٍ ـ وهي قاعدة اليمامة ـ فلعله موضع آخر، إذَا صح هذا القول.

النُّمَيْلَــــةُ

ـ بنُون موحدة مضمومة وميم مفتوحة ثم ياء مثناة فلام مفتوحة ثم هاء ـ: موردٌ لقبيلة آل مُرَّة جنوب شرق يَبْرِيْنَ بنحو مئتي كيل، في الربع الخالي الشرقي الجنوبي.

والاسم يطلق على غير هذا الموضع مما ليس داخلاً في موضوع هذا الكتاب.

النَّــوَاصِــفُ

قال الأصمعيُّ: النواصفُ ما بين كل حَبْل وكُلِّ رَمْلٍ(١٦)، فهي على هذا الشَّقائق من الرمل، ولها معانٍ أُخرى، ذكرها علماء اللغة، واحدتها ناصفة.

وتقدم ـ في الكلام على الحسن ـ قولُ الشاعر:

تَـرَكْنَا بِـالنَّـوَاصِفِ مِنْ حُسَـيْنٍ نِسَـاءَ الْحَيِّ تَلْتَقِطُ الجُـمَـانَـا

والحُسَينُ الحبل العالي[١٧] من الرمل، على ما جاء عن الأزهري في شرح البيت، وإذَنْ فليست النواصف فيه اسمَ مَوْضع بل المراد الشقائق كما في قول الآخر:

ويـوم شَقَـائِقِ الْحَسَنَـيْنِ لاقَتْ بَنُـو شَيْبَـانَ آجـالاً قِصَـارَا

حيث قُتِل بسطامُ بن قيس سيدُ بني شيبان، قتلته بنو ضبَّة يوم نَقَا الحَسَنِ، من أنقية الدهناء ــ على ما تقدم في الكلام على الحسن.

وقد يُسْتعمل الوصف عَلَماً فقد أورد ياقوت في «المعجم»: النواصف موضع أظنه بِعُمان، وأورد شاهدين من الشعر.

النَّـــــوَاعِـصُ

ــ الكلمة مشتقَّةٌ من النَّعَصِ وهو التَّمايُلُ ــ: وتقدم في رسم (نُبَاك) قولُ الأعشى:

وَقَدْ مَلأَتْ بَكرٌ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهَا نُباكاً فَأَحْوَاضَ الرَّجَا فَالنَّوَاعِصَا

وأورد ياقوت في «معجم البلدان»: النواعص موضع عن الأزهري ثم أورد البيت:

وقال الهمدانيُّ في «صفة جزيرة العرب»:[١٨] ومن ديار بكر خاصة نباض[١٩] وقوٌّ والرجا والنواعص والشَّيِّطان. انتهى والهمدانيُّ يعول على ما يرد في الشعر من أسماء المواضع.

وهذا الموضع مما لم أسمع له بذكر، مما يدل على دروسه.

نُوَيْسَة

جاء في كتاب «دليل الخليج» في الكلام على البياض (بيضاء بني جَذِيمة قديماً) ما نصه:[٢٠] توجد في جُعيمة (قعيمة)[٢١] نخيلٌ لبني هاجر، ويمكن أن يذكر هنا ثلاثة أمكنة أخرى فيها ماء تقع إلى الغرب من الحشوم[٢٢] (؟) وهي:

جفين: على بعد عشرة أميال في الجنوب الغربي من تلّ القُرَين.

جرثامة: على بعد ثمانية أميال في الجنوب من تلّ القُرَيْن.

نويسة: على بعد اثني عشر ميلاً جنوب تلّ القُرَيْن.

وقد ورد تحديد موقع القرين في الكتاب المذكور[٢٣] بأنه على بعد نحو ٢٨ ميلاً غربي الآجام في واحة القطيف.

وأكرر القول بأن كثيراً من الأسماء الواردة في ذالك الكتاب لستُ على يقين من صحتها.

حمد الجاسر

الهوامش:

(١) : «معجم ماستعجم» رسم النقير.

(٢) ديوانه تحقيق الدكتور عزة حسن، مع حذف بعض اشطار الرجز.

(٣) «صفة جزيرة العرب» ٣٠٩.

(٤) وقد أوضح هذا كما سيأتي في الكلام على النقيرة.

(٥) ٩٨.

(٦) سَيِّر: زُرْ – من الزيارة. هابس هو ابن عشوان، شيخ العبيات من مطير، وقد قتله العجمان في وقعة النقيرة – في نقير. خاوِ: رافِقْ من الأخوة.

(٧) ١٠١/٩ أورده صاحب «التاج» كلام الأزهري إلا كلمة (رواء) فجعل مكانها (كثيرة الماء) وزاد كلمة (معروفة).

(٨) : ٢١٧/٣.

(٩) : ٣١٧.

(١٠) البويضا: تصغير البيضاء، والمقصود اسم إبله التي يعتزي بها فيقول: خيَّال البويضا: اقمحي: ذلي.

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

— ٤٤ —

٢٢٥ — بَابُ جُوَاثَى وحَوَايا[1]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ: — بِضَمِّ الجيم وبَعْدَ الثَّاءِ المثلَّثَةِ أَلِفٌ لَفْظِيٌّ —: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى ٱلبَحْرَيْنِ يَسْكُنُهَا عَبْدُ ٱلقَيْسِ[2].

وفِي ٱلحَدِيثِ: أنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ فِي ٱلإِسْلَامِ بَعْدَ ٱلمَدِيْنَةِ لَجُمُعَةٌ جُمِّعَتْ بِجُوَاثَا[3].

ويُقال: عَامُ الرِّدَّةِ ارْتَدَّتْ عَرَبُ ٱلأَطْرَافِ كُلُّهَا سِوَى أَهْلِ جُوَاثَا[4].

وأَمَّا الثَّانِي: — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَبَدَلُ الثَّاءِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ: — بِنَاءٌ

---

(١١) دبحاني: من الدياحين فرع من مُطَير وكذا البرزان. النَّداوي: الصقر.

(١٢) كود: سوى. يَمّ قرية: إلى بلدة قرية. يوديها: يؤديها يوصلها. أي قتلنا الرجال ولم يبق سوى النساء اللواتي لم يَجِدْنَ من يوصلهن إلى بلدتهن قريةالمعروفة.

(١٣) : ٥٢٦/٦.

(١٤) «معجم ما استعجم» رسم النميرة.

(١٥) ديوانه: ٨٦٤.

(١٦) : «معجم ما استعجم» رسم ناصفة.

(١٧) تقدم — ص ٥٠٥ — الجبل العالي في النقل عن كتاب «التهذيب»: ٣١٦/٤ بالجيم ولعل الصواب (الحبل) بالحاء المهملة.

(١٨) : ٢٦٣.

(١٩) كذا والصواب (نباك).

(٢٠) : القسم الجغرافي ص ٤٠١ — الطبعة الثانية.

(٢١) تقع جعيمة (قعيمة) على بعد ثمانية أميال في الشمال الشرقي من صفوا مكان فيه ماء.

(٢٢) سيأتي (الهشوم).

(٢٣) ص: ٣٩٩.

مَعْمُولٌ بِالصَّخْرِ يُمْسِكُ ٱلْمَاءَ شِبْهُ ٱلْبِرْكَةِ ، وَهُوَ دُوْنَ ٱلثَّعْلَبِيَّةِ(٥) .

٢٢٦ ــ بَابُ جِوَاءٍ وحَوًّا(٦)

أَمَّا ٱلأَوَّلُ ــ بِكَسْرِ الجيم وتخفيف الواو وَٱلْمَدِّ ــ : وَادٍ في أَسَافِلِ عَدَنَةَ ، وفي شِعْرِ امْرِىءِ ٱلْقَيْس :

كَأَنَّ مَكَاكِيَّ ٱلجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلَافاً مِنْ رَحِيْقٍ مُفَلْفَلِ

قيل: أَرَادَ بِهِ ٱلْمَوْضِعَ ٱلْمَعْرُوفَ ، وقِيْلَ: ٱلجِوَاءُ ٱلْبَطْنُ مِنَ ٱلأَرْضِ ٱلْعَظِيمُ . وقِيلَ: جَمْعُ جَوٍّ(٧).

وأَمَّا الثَّانِي : ــ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ، والواوُ مُشَدَّدَةٌ ــ : مَاءٌ مِنْ نَوَاحِي ٱلْيَمَامَةِ قِيلَ: هُوَ لِضَبَّةَ وعُكْلٍ ، وقِيلَ: ٱلحَاءُ فِيْهِ مَكْسُورَةٌ(٨).

٢٢٧ ــ بَابُ جَوْنَةَ وَجَوْبَةَ(٩)

أَمَّا ٱلأَوَّلُ: ــ بِفَتْحِ الجِيْمِ وبَعْدَ ٱلوَاوِ السَّاكِنَةِ نُونٌ ــ : قَرْيَةٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ يُقَالُ لَهُ ٱلجَوْنَةُ ، وهي لِلأَنْصَارِ(١٠).

وَأَمَّا الثَّانِي: ــ بَعْدَ ٱلوَاوِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَٱلبَاقِي نَحْوَ ٱلأَوَّلِ : مَوْضِعٌ(١١) .

الحواشي :

(١) كما في كتاب نصر.

(٢) في كتاب نَصْرٍ: أمّا بضم الجيم وبثاء مثلّثة: بلدٌ بنجران، هو قَصَبَتُها، وفي الشعر: جُوَاث. انتهى وارى كلمة (بنجران) تصحيف من الناسخ، إذ نصر أجلُّ من أن يَجْهَلَ الموضع.
وقال ياقوت: جُوَاثاءُ ــ بالضم وبين الألفين ثاءٌ مثلثة، يُمَدُّ ويُقْصَرُ ــ: وهو عَلَمٌ مُرْتَجَلٌ، حِصْنٌ لعبد القيس بالبحرين، فتحه العَلاءُ بنُ الحَضْرَمي في أيّام أبي بكرٍ الصِّدِّيق سنة ١٢ عنوة ــ ثم اورد اقوالاً أخرى منها نطقه بالهمزة ــ جُؤَاثا فيكون أصله من جَئِثَ بمعنى فَزِع، وتكلَّف تعليل الاسم على هذا المعنى. واورد خبراً طويلاً فيه أنَّ العلاءَ فكَّ الحِصَارِ عن اهله وانهم بَقُوا على إسلامهم فحاصرهم المرتدُّون، وعلى هذا فالقول بانه فتح عَنْوةً ليس على ظاهره، فقد كان اهله من اول من اسلم ثم استقاموا على إسلامهم فلم يفتح عنوة ولكن فُكَّ عنه حِصَارُ المرتَدِّينَ. وكان سكانه من قبيلة عبد القيس من رَبيعة بن نزار. والموضع لايزال معروفاً باسمه بمنطقة الأحساء (البحرين قديماً) وقد بقي من آثار الحصن بعض اسس الأبنيَة كالمسجد، والعين، وقد أُحيطت الآثار بجدار لصيانتها من التعدِّي عليها، والموقع ليس بعيداً عن مدينة المبرز، وأقرب القرى منه الكِلَابِيَّة ـ وانظر لتفصيل الحديث عن جُوَاثا ما ذكرته عنها في

«المعجم الجغرافي» ــ قسم المنطقة الشرقية (البحرين قديماً).

(٣) الحديث رواه أبو داود بهذا اللفظ، وأصله في «صحيح البخاري».

(٤) فَصَّلَ ابنُ جَرير خبر أهل جواثا ــ انظر «تاريخ الأمم والملوك» ج٣ ص ٣٠٤ طبعة دار المعارف بمصر.

(٥) قال نصرٌ: وَأمَّا بِفَتْحِ الحاءِ المهملة وياءٍ تَحْتَهَا نقطتان: مِنْ دُونِ الثُّعْلَبِيَّةِ بِقُرْبِ أَوْدَ، بِنَاءٌ بِالصَّخْرِ يُمْسِكُ الماءَ كَهَيْئَةِ البِرْكَةِ في مَسِيلِ الأَرْضِ. انتهى. وأَوْرَدَ يَاقُوتُ في «معجم البلدان» كلام نصر بهذا النَّصِّ: حَوَايَا مَوْضِعٌ مِنْ دُون الثَّعْلَبِيَّةِ، بِقُرْبِ أَوْدٍ، وهُو بِنَاءٌ... الخ ــ وقال عن الحوايا: إنها الأمْعَاءُ والحوايا: ماءٌ من نواحي اليَمَامَةِ لِضَبَّةَ وعُكْلٍ، ونقل عن الحازميِّ أنَّ الحاءَ فيه مكسورةٌ، ولا أدري من أَيْنَ أَتَى بهذا. ولا شكَّ أنَّ الماءَ الذي من نواحي اليمامة غير الموضع الذي بقرب الثَّعْلَبِيةِ للتباعد بين الموضعين، ولاختلاف سكانها، فالثَّعْلَبِيَّةُ وماحولها لبني أَسَدٍ، وأود من بلاد بني تميم، وهو على مايفهم من كلام المتقدمين في نواحي التَّيْسِيَّةِ الواقعة جنوب الثَّعْلَبِيَّةِ التي لاتزال معروفة ــ تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي» ــ قسم شمال المملكة ــ والقول بأنه دون الثعلبية لعله بالنسبة لمن كان في العراق، إذْ في الغالب مُؤلِّفُو الكتب المتعلقة بتحديد المواضع ممن عاش في إحدى مدن ذالك الإقليم. ومأأرَى (حَوَايَا) إلاَّ من المصانع التي عُمِلَتْ على مقربة من طريق الحجِّ العراقي الكوفي لسقاية الحجاج حين تَقِلُّ مِيَاهُ المناهِل التي يَرِدُوْنَ، وأنه ليس بعيداً عن الثَّعْلَبِيَّةِ الواقعة على ذالك الطريق في ضفاف الدَّهْنَاءِ شمال عِرْقِ المظهور منها في الطرف الغربي من التَّيْسِيَّة، بقرب خط الطول: ٤٣/١٥° وخط العرض: ٢٨/١٦°.

(٦) عند نصر في (باب الحاء): بابُ حَوَّاء والْجِوَاءُ.

(٧) لَمْ يزِدْ نَصْرٌ على قول: بكسر الجيم وتخفيف الواوَ والْمَدِّ ــ: في دِيَارِ عَبْس أو أَسَدٍ، في أَسَافِل عَدَنَةَ وقال ياقوت في «معجم البلدان»: الجِوَاءُ ــ بالكسر والتَّخفيف ثم الْمَدِّ ــ: في أصل اللغة الواسع من الأَوْدِيَةِ، والجِوَاءُ الفُرْجَةُ التي بَيْنَ مَحَلِّ الْقَوْمِ في وسط البيوت. ثم أورد أقوالاً أربعة لأربعة مواضع متباينة وإنْ لم يُفرِّقْ بينها:

١ ــ الجِوَاءُ موضع بالصَّمَّان.

٢ ــ الجِوَاءُ من قَرْقَرَى من نواحي اليَمَامَةِ.

٣ ــ الجِوَاءُ وادٍ في ديار عَبْس أو أسدٍ في أسافل عَدَنَة ــ والقولُ لِنَصْرٍ.

٤ ــ الجِوَاءُ من مياه الضِّبَاب في حِمَى ضَرِيَّة.

واضاف: وكَانتْ بالجِوَاءِ وَقْعَةٌ بين المسلمين وأهل الرِّدَّة مِنْ غَطَفَانَ وهَوَازِنَ، في أيَّام أبي بَكْرٍ، فقتلهم خالدُ بنُ الوليد شَرَّ قِتْلَةٍ. ولم يذكر أيَّ جِوَاءٍ هذا الذي حدثتْ فيه، وهو الجِواءُ الواقع في ديار عَبْسٍ في أَسْفَلِ عَدَنَةَ، وهو منطقة واسعة ليست وادياً بالمعنى المعروف، ولكنَّها منخفضة عمَّا حولها، وفيها أودية وآكام، وجبال ورياض، وقرى مسكونة قاعدتها تدعى (العيون) ومنطقة الجواء كانت ذات مياه جارية، وكانت قديماً من بلاد عبس، وهي إحدى مناطق بلاد القصيم، الواقعة في الشمال الغربي منه على نحو ٣٥ كيلاً من قاعدته مدينة بُرَيْدَة، وقد ألَّف الأستاذ صالح بن سليمان الوشمي كتاباً عن الجِوَاء تحدث فيه عن أبرز معالمه.

وبيت امرىء القيس من معلقته المعروفة، وقد يكون أراد الجواء الواقع في بلاد القصيم إذ ذكر قبل البيت (أباناً) وهو في تلك الجهة، أو أنه اراد جَمْعَ جَوٍّ ــ بالمعنى اللغوي العام ــ

(٨) قال نَصْرٌ: جِوَّاءُ ــ بكسر الحاء وتَشْدِيد الواوِ والمَدِّ: مَاءٌ لِضَبَّةَ وعُكْلٍ في جِهَةِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْوَشْمِ، في نواحي اليمامة، وقيل: بِبَطْنِ السِّرِّ، قُرْبَ الشُّرَيْفِ، وهُوَ بَيْنَ اليمامةِ وضَرِيَّةَ، ويُقَالُ لإضَاخ: جِوَّاءُ الذِّهَابِ انتهى. وكلام نصرٍ هذا وإنْ فُهِمَ منه تَعَدُّدُ الآراء واخْتِلاَفُهَا إلاَّ انه يكاد يَنْطَبِقُ على موضع واحدٍ واقع غَرْبَ الوشم ببطن السِّرِّ القريب من الشُّرَيْفِ بَيْنَ اليمامَة وضَرِيَّة حَيْثُ يَقَعُ أَضَاخ البلدة المعروفة الآن، ويَبْقَى الاختلاف في ضبط الاسم، وقد ورد في شعر عَوْف بن الخرع التيمي. مشدَّد الواو ــ في

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم :

تداخل أنساب القبائل

ـ ٢ ـ

العنينات من الجبلان في جهينة

بعث الأخ ماجد بن طاهر المطيري مقالاً مطولاً عن انتقال العنينات من عشيرة الجبلان من قبيلة مُطَير إلى وادي العِيص ودخولهم في قبيلة جُهينة ، وملخص ماذكر: أنَّ رجلاً يدعى عايد بن حمود العُنَيني من الجُبْلان من علوا أصَابَ دما في قومه ، فجلا عنهم ، حتى أوى إلى شريف ينبع ، إلا أنه حصل بينه وبين هذا الشريف ما سبَّب أن أمر الشريف بسجنه ، ولكن رؤساء قبيلة جهينة وقد عرفوا العنيني وأعجبوا بما يتحلَّى به من الصفات ، طلبوا من الشريف إخراجه من السجن ، ففعل بعد أن اشترط أن يبتعد عن بلاده مع بادية جهينة ، فكان ذالك

مقطوعة أوردها ياقوت شاهداً على هذا الماء ـ:

شَـرِبْـنَ بِـحَـوْاءَ مِـنْ نـاجِـرٍ وسِـرْنَ ثَـلاثـاً فـأيْـنَ الجِـفَـارَا

والمسافة بين أضاخ (حوّاء الذهاب) وبين الجفَار ـ التي تقدم القول بأنّها مايعرف الآن باسم العُقَل ـ جمع عُقْلَةٍ ـ في نفود الثُوَيْرات ـ هذه المسافة قد تقطعها الخيل في ثلاث ليال. وقد يكون ماءُ الحوْاء من المياه التي غارتْ ، ولكن ينبغي ان يكون في غربيِّ السِّرِّ بناحية الشُرَيف المعروف الآن باسم الشرفة.

(٩) لم أر هذا الباب في كتاب نصر.

(١٠) اول من رأيته ذكر هذه البلدة هو عَرّام بنُ الاصبغ السلمي في رسالته «أسْماءُ جِبَالِ تِهَامَةَ وسُكّانِها» ـ ونَصُّ كلامه: (وبَيْنَ مكّةَ والطّائِفِ قريةٌ يقالُ لَهَا راسِب لِخَثْعَمَ ، والجَوْنَةُ قَرْيَةٌ للانصار، والمَعْدِنُ مَعْدِنُ البُرْمِ). ثم جاء الحازميُّ فقال بقوله، وأتى ياقوت فَلَمْ يزِدْ على: جَوْنَةٌ ـ بالهاء ـ اسم قرية بين مكة والطائف، يقال لها الجَوْنَة ، وهي للانصار. ورسالة عَرّام لم تصل إلينا بطريق الرواية، ولا في أصل متقن الضبط، ولهذا وقع فيها كثير من الأخطاء ، ولم أر ـ فيما اطلعت عليه ممن تعرض لتاريخ الطائف من المتقدمين ـ من ذكر هذه القرية، وهذا ماحملني على المَيْلِ بِأنَّ الاسم مصحف عن (الحَوِيَّة) بالحاء المهملة بعدها واو مكسورة فياء مثناة تحتيّة مفتوحة مشددة فهاء ـ وهي من أشهر القرى الواقعة بين مكة والطائف، وهي في منطقة الطائف.

(١١) قال ياقوت في «المعجم»: جُوَيْقُ ـ بضم أوله قال أبو سعد: موضع بِمَرْوَ، يسمى بالفارسية (جوبة) وبنيسابور يُسَمُّونَ الخانَ الصغير الذي فيه بيوتٌ تُكْتَرَى (جوبه) وبعد كلام طويل قال: جُوبه: هو الذي قبله، وإنّما تُزَاد القاف فيه إذا نُسِبَ إليه. انتهى. ولم يذكر موضعاً عربياً باسم (جوبة) سوى جُوبَةِ صَبْيا قال: من قُرَى عَثَّر. والجُوبَةُ ـ عند أهل نَجْدٍ في عصرنا ـ وَصْفٌ للمكان المتسع الواقع بين جبال أوآكام ، ولهذا الوَصْفِ وَجْهٌ من اللُّغة .

واستقرَّ بوادي العيص، وصاهر فخذ ٱلْمَرَاوِيِّن من جُهَينة، وشاركهم في غزواتهم، وكان على جانب من الشجاعة وأصالة الرأي، ثم انتشر عقب العنيني هذا وكثروا واستوطنوا قريتي ٱلْعَيْنْ وٱلْفَرْع في وادي العِيص، وأصبحوا من الأسر المتحضرة، ويرأسهم اليوم الشيخ سعد بن سالم بن نَزَّاح بن رحمة بن حمدان بن مسيلم بن سليمان بن عائد بن حمود، وعائد هذا هو صاحب القصة. وقبيلة جهينة تقدر لهذه الأسرة وفاءها وشجاعتها وحسن خلالها.

وهناك مساجلات من الشعر بين فرعين من قبيلة جُهينة تتضمن ثناءً على أسرة العُنينات منها قول بشير السناني يرد على نهار القاضي رئيس فرع قُوفة من جُهينة:

هذا للك الجِبْلَانْ صَعْبِينَ الأشوار حَتَّى انت قبلي عَقَّبُوا لك علالَهْ
كم واحدٍ خَلُّوه في (قُوتْ) حَضَّارْ عَدُّوه مجِنْبْ (رَنّ) عَنْ رأس مَالِهْ

قُوت: وادٍ من روافد وادي العيص. رَنّ: موضع في نهاية وادي قوت.

ومعروف أن الجبلان من مطير يرجعون باصلهم إلى بني عمرو من تميم.

آل علويط من الوهبة

كتب الأخ محمد بن عليان بن علويط من النبهانية إلى المجلة يشير إلى أن أسرته آل علويط في قرية النبهانية من قرى الرس يرجعون بنسبهم إلى منيف بن عساكر بن رَيِّس الذي ينتهي نسبه إلى زاخر بن علوي بن وُهَيْب جد ٱلْوُهَبَةِ المنتسبين إلى بني تميم، وقد أرفق كتابه بورقة موقعة من إمام المسجد الجامع الشمالي بالنبهانية ناصر بن ابراهيم بن عماش بإثبات شهادة شاهدين على ماذكر، وبورقة أخرى مختومة بختم عثمان بن عبدالرحمن (أبا حسين) إمام المسجد الشمالي في بلد أُشَيْقر مؤرخة في ١٠/٢/١٤٠٦هـ بأن محمد بن عليان العلويط وبني أخيه سكان النبهانية طلبوا منه مايَعْرِفُ عن جَدٍّ بعض البسام الوهبة وهو مُنيف بن عساكر بن رَيِّس ينتهي نسبه إلى زَاخر بن عَلَوِي بن وُهَيب، جدّ ٱلْوُهَبَةِ على الاطلاق وينتهي نسبهم إلى تميم، قال: وبعد اطلاعي وقراءتي ورقة ملكهم المسمى الجزارية رأيت مذكوراً فيها: منيف بن عساكر. ليكون لدى من يراه معلوماً. ←

*** فضائل بيت المقدس :**

وصدر عن (معهد المخطوطات العربية) في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاب «فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة» تأليف الدكتور محمود إبراهيم في الجامعة الأردنية، وهو دراسة تحليلية ونصوص مختارة محققة من مخطوطات لم تحقق ولم تنشر منها :ـ

١ ـ «فضائل بيت المقدس والخليل عليه الصلاة والسلام» للمشرّف بن المُرَجَّى بن ابراهيم المقدسي من أهل القرن الخامس الهجري، ويقع في ثنايا كتاب «فضائل بيت المقدس» من ص ٢٠٥ إلى ٢٤٦ .

بني رشيد وغطفان

كتب إلى «العرب» الأخ عبدالعزيز بن سعد العبدلي الغطفاني ـ كذا نسب نفسه ـ منكراً ماجاء في المجلة س ٢٠ ص ١٢٥ مما ذكر الأخ عطا الله بن ضيف الرشيدي، حيث أرجع أصل قبيلته إلى قبيلة غطفان. والأخ عبدالعزيز بن سعد لم يَرُق له هذا، فتحدث عن ابن خلدون والقلقشندي وانهما لم يذكرا شيئاً عن صلة بني رشيد بغطفان.

ولقائل أن يقول: ولم يَذْكُرَا أيضاً صلة بني عبدالله الموجودين الآن بِبَني عبدالله الغطفانيين القدماء، والسبب أنَّ ٱلعَالِمَيْن بَعِيدَانِ عن بلاد العرب، ولا يعرفان كل أنساب أهلها، وإنما ينقلان عن الكتب المؤلفة القديمة وعما عرفاه وشاهداه في البلاد التي عاشا فيها.

وبالإجمال: فالناس مأمونون على أنسابهم. ولا يقبل قول إنسان لا ينتسب إلى قبيلة في تلك القبيلة إذا كان فيه مساس أو نيل من أصلها، وصدق الله العظيم ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

٢ ــ «مفتاح المقاصد، ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس» لعبد الرحيم بن شيث القرشي من علماء القرن السابع، وهو في الكتاب المذكور من ص ٢٤٩ إلى ٢٧٠ .

٣ ــ كتاب فيه «فضائل بيت المقدس وفضل الصلاة فيها» (؟) لمحمد بن محمد بن حسين الكنجي من رجال التصوف في القرن السابع الهجري، من ص ٢٧١ إلى ٢٨٢ .

٤ ــ «فضائل الشام وفضائل مدنها وبيت المقدس وعسقلان وغزة والرملة وأريحا ونابلس وبيسان ودمشق وحمص»، لمؤلف مجهول، من ص ٢٨٣ إلى ٢٩٥ .

٥ ــ كتاب فيه «فضائل بيت القدس»، لابراهيم بن يحيي بن أبي الحافظ المكناسي، لعله من أهل القرن السابع الهجري، من ص ٢٩٥ إلى ٣١٣ .

٦ ــ «تحصيل الأنس، لزائر القدس»، لعبد الله بن هشام الأنصاري (٧٦١/٧٠٨) من ص ٣١٥ إلى ٣٢٩ .

٧ ــ «مثير الغرام، إلى زيارة القدس والشام»، لأحمد بن محمد بن سرور المقدسي (٧٦٥/٧١٤) من ص ٣٢٩ إلى ٤٢٠ .

٨ ــ «تسهيل المقاصد، لزوار المساجد» لأحمد بن العماد بن محمد الأقفهسي المصري من علماء القرن السابع، من ص ٤٢١ إلى ٤٣٢ .

٩ ــ «الروض المغرس في فضائل البيت المقدس»، لعبد الوهاب بن عمر بن الحسين الحسيني الشافعي من أهل القرن التاسع الهجري، من ص ٤٣٣ إلى ٤٦٠ .

١٠ ــ «إتحاف الأخِصَّا، بفضل المسجد الأقصى» لعبد الرحمن السيوطي (٨٨٠/٨١٣) من ص ٤٦١ إلى ٤٨٨ .

١١ ــ «المستقصىَ في فضائل المسجد الأقصى»، لمحمد بن محمد العلمي الحنفي، من أهل القرن العاشر الهجري، من ص ٤٨٩ إلى ٥٢١ .

وكل ما تقدم رسائل تناولها الدكتور محمود ابراهيم بالدراسة واختار منها مختارات تلائم منهجاً أوضحه واتبعه في اختيار تلك النصوص، إذ قال في المقدمة ـ ص ١٠ ـ عن تلك المؤلفات ـ : ولكن قراءة لمحتوياتها أقنعتني أن هذه المحتويات اشتملت على ماهو جديد بأن يبذل الجهد في تحقيقه، وماهو غير جدير بذالك، إمَّا لأنه خارج عن موضوعنا لعدم علاقته بمكانة القدس في الإسلام وارتباطه بفترة ماقبل العهد الإسلامي، أو لأنه يرتكز على أقوال وروايات أشبه بالأساطير والقصص الشعبية، وكثيراً ماكان الأمران يجتمعان. . . ولذا فإنَّ انتقاء نصوص معينة من هذه المخطوطات تنحصر في العهد الإسلامي دون غيره، وفي الإطار التاريخي وضمن ماهو متقبل معقول.

وقد صدر الكتاب بمقدمة ضافية فيها استعراض ماورد عن القدس من مؤلفات أو دراسات عربية وغير عربية، ثم قسم الكتاب إلى فصول ثلاثة :ـ

أولها: عن كتب فضائل البلدان قبل القرن الخامس الهجري.

والثاني: عن مخطوطات فضائل القدس منذ القرن الخامس الهجري، وحلل فيه الدراسات المتعلقة به مما سبق نشره.

والثالث: فيه وصف المخطوطات التي اختارها للتحقيق ثم تناول تلك المخطوطات بالتحليل. والواقع أن هذا الكتاب يُعَدُّ من أهم الدراسات الشاملة في موضوعه، وقد جاء في ٦٣٢ صفحة بفهارسه المفصلة وطباعته حسنة في الكويت سنة ١٤٠٦ (١٩٨٥م) بدون ذكر المطبعة.

*** معلمة التراث الأردني** :

وصدر الجزء الخامس من هذا الكتاب الذي قام بتأليفه الباحث المحقق الأستاذ روكس بن زائد العزيزي، وهو آخر أجزاءِ الكتاب، وجُلُّ ما يحويه ـ مع غزارة مافيه من مختلف المباحث ـ عرضٌ لغوي مرتب على الحروف يرتكز أكثر مايرتكز على شرح كثيرمن المفردات اللغوية الفصيحة وباللهجة الأردنية، وفيه ذكر بعض العشائر الأردنية مع محاولة ربط أنسابها الحديثة بالقديمة مما كتبه مهتمون بعلم النسب عن عشائرهم ومما يسترعي النظر في هذا الجزء مقال طريف للأب

انستناس الكرملي عن (الكوفية والعقال) سبق نشره في مجلة «المقتطف». وما أكثر المباحث الطريفة فيه.

ولاشك أن المعنيّ بمواصلة الاطلاع على مؤلفات الأستاذ العزيزي الذي دأب على البحث والتنقيب والدراسة والتأليف في خدمة الثقافة العربية مايقرب من نصف قرن من الزمان يدركه الاشفاق عليه مما يبذله من جُهْدٍ شاقٍّ على كبر سنه، فلا يزال يتجدد نشاطاً فيفيض به من علمه وأدبه ما يُعْجِبُ ويفيد ويملأ النفس تقديراً له وإعجاباً بعمله.

وقد قامت سلطة السياحة في المملكة الأردنية بطبع هذا الجزء من «معلمة التراث» الذي جاء في ٧٣٦ صفحة تتخللها الصور ومشجرات النسب وصدر عن مطابع الإيمان في عَمّان سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦م). — انظر «العرب» س ١٩ ص ٨٦٤ —.

* **غوامض الصحاح:**

ولمعهد المخطوطات العربية في ميدان النشر جُهْدٌ مشكور تجلّى بارزاً في العديد من منشوراته التي كان من بينها كتاب «غوامض الصحاح» لخليل بن أيبك الصفدي — صلاح الدين (٦٩٦/٧٦٤) وهو كتاب في اللغة أبرز مؤلفه الغاية من تأليفه في المقدمة حيث قال — ص ٦١ — عن كتاب الصحاح: (ولكن فيه ألفاظ يتعذر كشفها على مثلي). ثم بين أن السبب جهل أصول الكلمة وماطرأ عليها من الزوائد، وذكر أنه في كتابه هذا وضع مقدمة في التصريف لمعرفة الحروف الزوائد التي تدخل على أصول الكلمة وحروف الإبدال وحروف الحذف. ثم أورد بعد ذالك الكلمات مرتبة على حروف المعجم دون النظر إلى تصريفها، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ عبد الإله نبهان، وصدره بمقدمة ضافية في ترجمة المؤلف، وفي الحديث عن كتابه هذا، وفي وصف المخطوطة التي اتخذها أصلاً للنشر، جاء هذا في نحو ٥٥ صفحة ثم اتبع الكتاب بفهارس مفصلة فوقع في ٣٠٤ والطباعة لابأس بها بدون ذكر اسم المطبعة سوى كلمة (الكويت) وتاريخ الطبع ١٤٠٦ (١٩٨٥م).

* **أدباء من الخليج العربي :**

الأستاذ عبدالله أحمد الشباط من أنشط أدباء المنطقة الشرقية في مجال النشر، فقد سبق أن أصدر جريدة «الخليج العربي» سنة (١٣٧٥ ـ ١٣٨١) في الدمام وأنشأ حديثاً داراً للنشر (الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع) في الخُبر، وكان من بواكير منشوراتها كتاب «أدباء من الخليج العربي» للأستاذ عبدالله، عرض فيه تراجم مشاهير هذا الجزء الحبيب من وطننا ونماذج من نثرهم وشعرهم، اعتماداً على المؤلفات والصحف التي عُنيت بهذا الجانب الثقافي وعلى ما للأستاذ عبدالله من صلة وثيقة ببعضهم، ولهذا يعتبر كتابه من المراجع المفيدة في موضوعه.

وقد جاء في ٣٥٨ صفحة، وصدر عن مطابع الفرزدق التجارية في الرياض سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦م) بطباعة حسنة.

* **قبائل العرب في القرنين السابع والثامن في «مسالك الأبصار» :**

كانت مجلة «العرب» ـ س ١٦ ص ٢٧٤، ٦٠٨، ٧٧٠، ٩٢٤، ـ قد نشرت ماجاء في كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» عن القبائل العربية دون ذكر قبائل البربر التي أورد ابن فضل الله أقوالاً مختلفة عن أصلها، كما فصل بطونها ومنازلها. ثم قامت المستشرقة دوروتيا كرافولسكي بنشر ذالك القسم كاملاً بعد تحقيقه وتقديمه بدراسة وافية، إذ قد عنيت عناية فائقة بكتاب «المسالك» يدل على هذا ماأبرزته بتحقيق هذا القسم من الكتاب الذي قام المركز الإسلامي للبحوث في بيروت بنشره في طباعة حسنة جاءت في ٢٣٩ صفحة.

ومع أن الأصل الذي وصل إلينا من الكتاب ليس على درجة متقنة من حيث الضبط والاتقان وخاصة في الأسماء حيث يرد كثير منها بدون اعجام فتستعجم قراءته، ومع ذالك فقد بذلت المحققة جهداً تجلى في كل صفحة من صفحات الكتاب محاولة ابرازه بصورة صحيحة.

وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٤٠٦ (١٩٨٥م).

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص. ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٣، ٤ س ٢٢ - رمضان/ شوال ١٤٠٧هـ - ايار/حزيران (مايو/ يونيو) ١٩٨٧م

انطباعات مسافر عابر

- ١ -

بين الإمارات العربية وعُمَان

إلى دُبَـــيّ :

ومن مطار الملك خالد في الرياض كان إقلاع الطائرة في الساعة الثانية عشرة إلاَّ ثلثا صباح يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٧ (٧/١١/١٩٨٦م) ثم البقاء في مطار الظهران إلى الساعة الرابعة إلا ثلثاً بعد الوصول في الواحدة. ووقت الانتظار مُمِلٌّ ولو قَصُر ، فكيف إذا كان المرء لايجد خلاله مايريح ذهنه ، وهكذا الحال بالنسبة لي لولا أنَّ أخـاً كريماً من موظفي الخطوط حين سمعني أعتب على أحد موظفيها عدم تهيئة مكان لارتياح المسافرين إلى دُبَـي ، ممن قدم من الرياض ، فلم يجد من يستقبله ، ذالك الأخ هو علي بن صالح آل قُرَيع اليامي من نجران ، فقد اجلسني في المكتب الذي يعمل فيه ، وأكرمني بما يُكْرَم به الضيف عادة فارتحت في الجلوس ، وفي مبادلة الأحاديث مع الإخوة الحاضرين ، وكان علي يعرف أخـاً كريماً من إخوتنا في نجران ، كان قبل سنتين يُمِـدُّ قراء «العرب» من المعلومات عن تلك البلاد بما يفيد ، من أنساب أهلها ووصف بلادهم ، هو محمد المَهَّان ــ بفتح الميم وتشديد الهاء المفتوحة وبعدها ألف فنون ــ وهذا اسم أُسرة كريمة كثيرة الفروع ، عريقة النسب ، بارزة الحسب في قبيلة يام الشهيرة . لم يَدَعْنِي الأخ علي بن صالح حتى أجلسني بين المسافرين حين قرب موعد السفر ، بعدَ أن هَيَّـأَ جميع مُتَطلباته ، فَبِه وبِأمثاله من

ذوي النُّبْلِ وكرم الخلال ، تستقيم الأحوال ، وتحسن سمعة القائمين على المرافق الحيوية في البلاد .

لم تزد مدة الطيران إلى (أبي ظَبي) على الساعتين ، ولكن الانتظار في الطائرة في المطار بلغت ساعةً بحيث كان الوصول إلى مطار دُبَيًّ بعد مضي ما يقرب من ست ساعات بينه وبين مطار الرياض ، ولكنها لم تكن مملة ، فقد كنت متفقاً مع الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخيال ، على القيام بتلك الرحلة ، فكان الاجتماع في الطائرة . وأبو فهد ــ رعاه الله ــ ممن عرف البلاد التي اتجهنا إليها حقَّ المعرفة ، فقد أقام فيها سفيراً أكثر من عامين ، كان أول من افتتح السفارة السعودية في (أبي ظبي) بعد تنقله بين بغداد وواشنطن ومن (أبي ظبي) إلى (فِيَنَّا) حيث طلب الإحالة إلى التقاعد ، بعد أن خدم بلاده ودولته نصف قرن من الزمان ــ من سنة ١٣٥٠ ــ موظفاً في المكتب الخاص لفيصل ــ رحمه الله ــ ثم في (مالية الرياض) حتى ألحق بالبعثة السعودية في القاهرة سنة ١٣٥٥ ــ وتخرج في (دار العلوم) بمصر سنة ١٣٥٩ ــ وتولى إدارة التعليم في الأحساء في المحرم سنة ١٣٦٠ ، وفي المحرم من سنة ١٣٦٢ (١٩٤١م) عمل في وزارة الخارجية ، موظفاً في مفوضية بغداد ، فوزيراً مفوضاً ، فسفيراً ، تنقل في البلاد المذكورة حتى سنة ١٤٠٣ (١٩٨٢م) (بعد أن مضى له في السلك السياسي ٤١ عاماً) .

ومعرفتي الأستاذ الخيال تزيد على نصف قرن من الزمان بعشر سنوات ، فقد تعارفنا وتصادقنا منذ عام ١٣٤٦ ــ حين قدمت مدينة الرياض في رحلتي الثانية إليها ــ لطلب العلم ــ فانضممت إلى الطلبة ، وكان الأستاذ الخيال أحدهم ، وأذكر أن لوالده عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ مدرسة تقع على حافة الصَّفَاة الموالية لمحلة الظهيرة ، على جانب منحدرها من السوق الممتد إلى الجامع ، وكانت تلك المدرسة ــ على ماعلمت من الأستاذ عبدالله ــ قد أوقفها الإمام فيصل ــ رحمه الله ــ وعَيَّن جدَّ الأستاذ عبدالله ــ واسمه عبدالله ــ مدرساً فيها وكانت تعرف بـ (مدرسة فيصل) وآخر من تولى التدريس فيها الأستاذ صالح بن عبدالعزيز بن

عبدالله الخيال ، أخو الشيخ عبدالله ، ومن بعده أحد آل مُدَيْمِيغ ، وقد أُزيلت ، وموقعها بقرب المكان الذي أقيم فيه برج الساعة ـ بقرب (قصر الحكم) .

لأدع الحديث عن الصديق الأستاذ عبدالله الخيال لمناسبة أخرى .

مما أعجبني في مطار دُبَـيٍّ سعته ، وجمال بلاطه ، فقد ذكرت وأنا أسير في بهوه الواسع جدًّا الصَّرْح الذي أعد لاستقبال ملكة سباء : ﴿فلما رَأَتْهُ حَسِبَتْه لُجَّةً وكَشَفَتْ عن ساقيها ، قيل : إنهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيْر﴾ ، ونُورُ ثُرَيات الكهرباء ينْعكس بصفاء الرخام الأملس الصافي الذي بُلِّطَتْ به الأرض ، فيزداد الموضع إشراقاً وحسناً .

أما ترتيب مواضع حقائب القادمين فلم أر له مثيلاً فيما مررت به من المطارات الأخرى وماأكثرها ـ هناك لوحات طويلة معلقة ، كتب في كل لوحة اسم الطائرة والجهة التي قدمت منها ورقم الرحلة ـ كتبتْ بصفة دائمة ـ وتحت تلك اللوحة تَمُرُّ الحقائب أمام الباحثين عن أمتعتهم .

عند النزول من الطائرة استقبلتنا إحدى موظفي الخطوط السعودية .

وكان هذا بإشارة من الاخوة في مطار الظهران ، وَدَعَتنا الفتاة للاستراحة حتى أخرجت حقائبنا ، فأفضل أحد الإخوة الذين عرفتهم في مطار الظهران أثناء جلوسي في مكتب الخطوط بإيصالنا إلى الفندق في سيارة أحضرت له في مطار دبي إنه الأخ يوسف بن عبدالعزيز المنصور من رجال المال من أهل المجمعة ، كان النزول في فندق (انتركنتننتال) ويعد من أفخم فنادق هذه المدينة ، وأجرة الغرفة ـ ٣٣٧,٥٠ درهماً ـ وهي تقارب مئة دولار .

والجو يميل إلى الحرارة ، فدرجة الحرارة المئوية وإن لم تتجاوز الثلاثين إلا أن حرارة الشمس لاتطاق بعد الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة الرابعة مساء ، وفرق التوقيت بين الإمارات وبين المملكة ساعة .

في القنصلية السعودية في دبـي :

كانت زيارة قنصلية بلادنا أول مافكر فيه الأستاذ الشيخ عبدالله ، فقمنا به في صباح يوم السبت (١٤٠٧/٣/٦) والقائم بالعمل فيها هو الشيخ عبدالملك بن الدكتور بشير الرُّومي ، وصلة المعرفة بينه وبين أبي فَهْدٍ على درجة من القوة ، برز أثرها بما أضفاه من لطف وكرم ، حيث هيأ وسيلة التنقل إكراماً بدون طلب ، وكرر الدعوة ، وأحسن الاستقبال والتوديع بعد أن أمر أحد موظفي القنصلية من إخواننا من السودان بالقيام بجولة بنا في سيارته داخل مدينة دبي ، لمشاهدة أبرز معالمها .

هاهو (سوق مُرْشدِ) من أهم أسواق المدينة التجارية لبيع الأغذية بالجملة ، بحيث يُغَذي جميع الإمارات ، وتجاره إيرانيون ، أما سوق الذهب فللهنود والباكستانيين منه أَوْفَرُ نصيب ، بل قُلْ : إن أغلبَ الأعمال التجارية ليست في أيدى أبناء دُبَـي باستثناء المصارف (البنوك) والفنادق ، وما أكثرها في هذه المدينة فلأمراء البلاد وبعض تجارها ، هذا فندق (ريجنسي) الفخم للشيخ مكتوم ، وهذا (انتركنتننتال) و . . و . . للشيخ راشد ـ إلى آخر الأسماء اللامعة .

يظهر أن البلدة أنشئت في أول أمرها على خَوْرٍ من البحر (رأس) ممتد من الخليج ، وكانت ممتدة على شاطيء هذا الخور ، الغربي الجنوبي ، ثم توسعت حتى بلغت الشاطيء الآخر ، الذى كان يعرف باسم (بَرّ دُبَـي) وهاهو نفق تحت هذا الخور يدعى (نفق الشَّنْدغَةَ) بعد الشين المعجمة نون فدال مهملة فغين معجمة فهاء ـ ينفذ إلى جانب الخور المعروف باسم (بَرّ دُبَـيّ) غير الطريق العام المتصل به عند انتهاء الخور ، حيث يقع أوسع جانب من مدينة دُبي في هذا البر ، فهاهو (المركز التجاري) الذي يرتفع بناؤه أكثر من ثلاثين دوراً ، بمعارضه الواسعة ومساكنه الكثيرة التي تحلها أكبر الشركات العالمية ، وبعض قنصليات الدول الشهيرة ، وتدعى المنطقة (زَعْبيل) وفيها قصر الشيخ راشد .

وها هي منطقة (الجُمَّيْرةِ) بعد الجيم ميم مشددة فمثناة تحتية فراء مهملة فهاء ـ حيث منازل الطبقة الراقية ، من قصور أمراء ، ودارات (فلل) أثرياء ومنازل

كبار موظفين ، وهذه المنطقة من السعة بحيث تمتد على الساحل نحو عشرة أكيال أو أكثر ، وبامتداد الساحل من الرأس الواقع في وسط المدينة نحو ثلاثين كيلاً — ماراً بمنطقة (الجُمَّيرة) يقع (ميناء جبل علي) أكبر ميناء على الخليج ، أنشيء في عهد الشيخ راشد المكتوم ، وفيه أحواض لاصلاح السفن الكبيرة .

وفي ميناء الخور الواقع وسط المدينة ترسو السفن الشراعية حيث تصل من موانيء البحر العربي أو البحر الأحمر .

ومن دُبَي تمتد الطرق المعبدة إلى أمهات مدن الخليج ، فالشارقة لاتتجاوز المسافة بينها وبين دبي ١٠ أكيال بحيث أن العمران في المدينتين يوشك أن يتصل ، و(عجمان) نحو ١٧ كيلاً ، وأم القيوين ٤٠ كيلاً ، ورأس الخيمة ١٠٠ كيل ، والفجيرة ١٢٠ مئة وعشرون كيلاً ، والعين ١٣٠ كيلاً ، وأبو ظبي ١٦٧ كيلاً .

أما الحدود بين هذه الإمارات فمتشابكة بدرجة غريبة ، بحيث أنك قد تجد بلدة واحدة تشترك فيها إمارات ثلاث كالحال في بلدة (دَبَا) إذ يُطلق هذا الاسم على (دَبَا الحصن) تابعة لإمارة الشارقة و(دَبَا البيعة) لسلطنة عُمَان ، و(دَبَا) الفجيرة ، وما هذه المسميات سوى بلدة واحدة ، ذات محلات (حلل) متعددة لاتتجاوز المسافة بين أبعدها عشرة أكيال .

ويجر الحديث عن التشابك في الحدود إلى الإشارة أنه كان من أثر ذالك وقوع خلاف بين إمارتي دبي والشارقة — فيما مضى — وقد زال في الأيام القريبة حين قام أحد أبناء الشيخ راشد بزيارة حاكم الشارقة ، فأبدى كل جانب من التساهل وكرم النفس ماكان سبباً في حل هذه المشكلة ، ومثلها خلاف بين إمارة الشارقة وسلطنة عُمَان على الحدود ، زال حين زار حاكم الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي السلطان قابوسا ، وأَظْهَرَا من سماحة النفس وكرم الطباع مادفع السلطان لإزالة ذالك الخلاف ، بالتنازل عن مساحة من الأرض ، ولكن هذا لايزال معلقاً حتى الآن ، إذ لابُـدَّ من أن يتم مثل هذا الأمر بصيغة قانونية بين دولة الإمارات وسلطنة عمان .

لم أر – فيما بين يديَّ من المؤلفات القديمة – ذكراً لمدينة دبي ، وأراها أُنشئت بعد ضعف (دبا) البلدة القديمة الممتدة إلى الساحل ، ومن هنا اشتق اسمها ، ومنازلها تنتشر شرق خَوْر البحر وغربه ، في مساحة واسعة من الأرض ، منبسطة ، خالية من الجبال والآكام والمنخفضات ، ولهذا فالمباني متفرقة ، وليست مرتفعة أكثر من خمس طبقات باستثناء بعض الفنادق والمحلات التجارية ، والمدينة ليست مهملة ، فهي معبدة الشوارع ، وشُجِّـرَ أكثرها ، وتخلل ميادينها حدائق صغيرة ، وفيها حديقة للحيوان واسعة في منطقة الجُمَّيرة ، والشوارع تعرف بالأرقام لا بالأسماء التي قد تسمى بها بعض الشوارع مع ذكر الرقم ، وليست على درجة قوية من النظافة ، باستثناء أطولها الممتد من البلدة القديمة حتى منطقة الجميرة ، والشارع الموازي للخور حيث المرفأ في البلدة القديمة .

ويستغرب المرءُ قِلَّة من يشاهده حين يمر بالأحياء التجارية من أهل البلاد ، حيث يبدو السكان مختلفي الألوان والملابس التي يتميزون بها ، وأكثرهم من الهند وبلاد فارس ، وفيهم من مختلف الأجناس . رأيت جندياً يحرس محلاً تجارياً كبيراً بقرب الفندق الذي أسكنه فسألته عن الطريق الموصل إلى النفق المخترق للخور ، ففهمت من لهجته أنه يمني فبدهته بلهجة يمنية سائلاً عن اسم بلده ، فأجاب بأنه من سنحان من بلدة حمام دمث ، وعلمت منه أن كثيراً من أهل اليمن يعملون في الشرطة ، وقليل منهم يتعاطى الأعمال الأخرى .

وشاهدت كثيراً من الدكاكين والمنازل – في الأحياء القديمة – خالية .

ويلفت النظر كثرة المصارف (البنوك) في هذه المدينة وقلة الحركة حولها .

في (الشارقــــــة):

في هذه الأيام يقام في مدينة الشارقة (المعرض الخامس للكتاب المعاصر) فكانت زيارته من المناسبات الطيبة، ومدينة الشارقة يكاد يتصل عمرانها بعمران مدينة دُبَـيِّ ، أي بامتداد بضعة عشر كيلاً .

لقد أقيم المعرض في مكان خصص له بقرب ديوان الحاكم الذي دعا لإقامته ،

وبذل جهداً كبيراً لتشارك فيه جميع دور النشر والجامعات والهيئات العلمية، في العالم العربي، وهكذا كان .

بعد عصر يوم السبت (١٤٠٧/٣/٦ ـ ١٩٨٦/١١/٨م) كانت جولةً سريعةً داخل المعرض، وكان اللقاءُ ببعض إخواننا وأبنائنا كالأستاذ مبارك بن عبدالله المبارك ـ الملحق التعليمي السعودي في دولة الإمارات العربية ـ وبعض الإخوة من المشرفين على معروضات الجامعات ورعاية الشباب في بلادنا.

لعل حاكم الشارقة الأمير سلطان بن محمد القاسمي أَلْمَعَ شخصية بين حكام الإمارات العربية في ثقافته وعلمه وأدبه ، وقد واصل دراسته حتى نال درجة (الدكتوراه) وقد نشرت سنة ١٩٨٦ باللغة الانجليزية بعنوان:

«THE MYTH OF ARAB PIRACY IN THE GULF»

«خرافة قرصنة العرب في الخليج» ويُعِدُّ هذه الدراسة للنشر باللغة العربية، وهو ذو اطلاع واسع على تاريخ هذه البلاد، لديه خزانة كتب حافلة بمختلف الدراسات الحديثة عنها، وله اهتمام بالاتصال بمراكز البحث خارج البلاد.

وأسرة القواسم الذين ينتمي إليهم الأمير سلطان ذات تاريخ بارز في الخليج، وكانوا من أوائل من ناصر الدعوة الاصلاحية السلفية التي قام آل سعود بنشرها ، واستمروا على التمسك بها حتى في عهد ضعف القائمين عليها، ولما أراد أحد سلاطين تلك الجهة أن يستغلَّ جفوةً وقعتْ بين أحد حكام الشارقة من القواسم وبين أحد ملوك آل سعود ـ رفض الحاكم القاسمي ذالك قائلاً مامعناه: إنَّ ماحدث بيننا هو من قَبيل مايحدث بين الابن وبين أبيه ، ولا تأثير له فيما نعتقده حقاً ، ونتمسك به دائماً .

وللأمير سلطان بن محمد القاسمي اهتمام قويٌّ بنشر التعليم في إمارته لايتسع المجال للإفاضة في تفصيله .

ولقد كان للرفيق الكريم الأستاذ عبدالله الخيال من شؤونه الخاصة مادعاه لمقابلة الأمير سلطان ، فحدثني عنه وعن سعة اطلاعه، وعن محبته للبحث،

ورغبته في مقابلة طلبة العلم، ورآى الأستاذ عبدالله أن نذهب معاً الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين (١٤٠٧/٣/٨ ـ ١٩٨٦/١١/١٠م) حيث حدد هذا الوقت للمقابلة، فكان ذلك. وقد شاهدتُ من حسن استقبال الأمير ماملأ نفسي غبطة وانشراحاً، ورأيت من تواضعه مالم أعهد مثله ممن له مكانة في السلطة والدولة كمكانته، وأدركت أنه على جانب كبير من الفضل والمعرفة بأحوال هذه البلاد، وانصرفنا من عنده بعد أن ودعنا خارج قصره الداخلي ولسان الحال ينشد قول الشاعر:

كَانَتْ محادَثَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ فلاح أَطْيَبَ الْخَبَرِ
ثُمَّ الْتَقَيْنَا فَلاَ والله ماسَمِعَتْ أُذْنِي بِأَبْلَغَ مِمَّا قد رَآى بَصَرِي

لقد كانت جلسة استغرقت ساعة كاملة ـ مرت كلمح البصر بإمتاعها ولطفها ـ والأمير يُفِيضُ في أحاديثه المتعلقة بتاريخ بلاده، بل تتدفق تلك الأحاديث العذبة التي تناولت جوانب مختلفة من ماضي هذه البلاد منذ العهد البرتغالي ـ القرن العاشر الهجري ـ فما بعده مما كان ذا عناية به، وكان له لإتقانه اللغة الانجليزية من الاطلاع على ماأُلِّفَ بها من المؤلفات ـ وماأكثرها !! ـ عن مختلف أحوال هذه البلاد مامكنه من التعمق بمعرفة ماتحتويه تلك المؤلفات، ولعل من أشهرها كتاب: «GAZETEER PERSIAN GULF» تأليف J.G. Lorimer ـ ج.ج. لوريمر الذي عربه (قسم الترجمة في مكتب أمير قطر) باسم «دليل الخليج» في قسمين: تاريخي وجغرافي ـ كل قسم في سبعة مجلدات ـ.

وكان من حديث الدكتور سلطان عن هذا الكتاب أن مؤلفه سرد أسماء مصادره الكثيرة، ولكن مما يصعب تصوره أنه لم يَرْجع إلى كثير منها، أو أنه لم يكن على درجة من التعمق في فهم نصوص ماقرأ ليبنيَ نتائجه على فهم صحيح لتلك النصوص، وفي كتاب الدكتور سلطان مايوضح هذا الأمر المزري حقاً ممن يتصدى لدراسة تاريخ بلادنا، بمثل ذلك الأسلوب، وقد لايعدم من الباحثين من يثق بعلمه فيعتمد على آرائه، وهذا لايمنع من الاعتراف بالفضل لحكومة قطر بنشرها هذا الكتاب الذي كان ولايزال يعد أهم مرجع تاريخي ـ لاعن سكان الخليج

العربي وحدهم ـــ بل عن العرب في قلب جزيرتهم وشرقها في خلال أربعة القرون التي مضت ـــ لكي يكون الدارسون على بينة بما يحوي مما لايتفق مع الحقيقة، وليستفاد بما فيه من معلومات قد لاتوجد في غيره ، فهو من أوسع المراجع وأشملها، وحسناً لو أسندت تلك الحكومة أَمْرَ التعريب إلى علماء ذوي اطلاع ومعرفة تامة بالموضوعات التي طرقها المؤلف ، ليخلو من الهفوات الكثيرة التي غيرت المعاني بدرجة تحول دون الاستفادة منه في مواضع كثيرة ـــ انظر مجلة «العرب» س ١٤ ص ٦٢٨ ـــ .

واسم (الشارقة) يطلق على الإمارة وعلى قاعدتها التي تعد ثالثة مدن الإمارات المتحدة ، ولاذكر لهذا الاسم فيما اطلعت عليه من المؤلفات القديمة، مع أنه كشف في هذه المنطقة عن آثار ترجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، تدل على اهتمام البابليين والأشوريين والفرس واليونانيين والفينيقيين والرومانيين للسيطرة عليها لكونها تحتل مركزاً تجارياً هاماً منذ القدم ـــ كتاب «دولة الإمارات العربية» ـــ ٦٩٧ ـــ .

ويظهر أن اسم (الشارقة) كـ(الباطنة) و(الظاهرة) المنطقتين في عُمان ـ ذو صلة بصفة الموقع، فهي تقع شرق الخليج بامتداد أكثر من عشرة أميال على ساحله، وتتوسط دولة الإمارات وتتصل بها بحدود مشتركة ، وتصل إلى الساحل الشرقي لخليج عُمان: حيث تقع دبا وكلبا وخور فَكَّان التابعة لها .

وقد أنشئت الشارقة قاعدة البلاد على خور ـــ رأس الخليج العربي ـــ ولهذا كانت في الماضي من أهم موانئه، ثم نمت وانتشرت في الأرض البراح، حتى أصبحت المدينة الثالثة في دولة الإمارات ـــ بعد أبي ظبي ودبي ـــ وخططت ضواحيها تخطيطاً حديثاً ، فازدهر فيها العمران، وكثرت الميادين الواسعة، واتسعت الشوارع وامتدت بطول المدينة، ورُصف ساحلها، وأنشيء لها ميناء حديث في عمق البحر، بحيث كانت ترسو فيه السفن الكبيرة.

وفي إحدى ضواحي المدينة يقع المطار، ويظهر أن نزول الطائرات فيه ليس في كل وقت، فقد مررت بقربه في طريقي إلى دبا فشاهدت الحركة فيه ضعيفة.

ومن أبرز ماشاهدته في المدينة الجامع الكبير الذي أمر بإنشائه الملك الشهيد ــ فيصل رحمه الله ــ وكلف تعميره نحو أربعين مليون ريال ، ويبدو بارزاً لمن يمر من أهم شارع في هذه المدينة، على مقربة من ديوان حاكم الشارقة، وبقربه أقيم (المعرض الخامس للكتاب المعاصر) في براح من الأرض، أقيمت فيه خيام واسعة، ونسقت أمكنة العرض تنسيقاً حسناً ، بحيث خصص لكل دار نشر أو جامعة أو هيئة علمية المكان الملائم .

وتبدو مدينة الشارقة ــ لمن يتخلل شوارعها الرئيسة ــ على حالة من الهدوء ، ولا أدري هل يعود هذا لسعة شوارعها، وتباعد مبانيها، أو لحالة الركود الاقتصادي الشاملة .

بين دبـــي ودبــا :

دَبَـا ــ بفتح الدال بعدها باء موحدة مفتوحة فألف ــ كانت قاعدة عُمان في صدر الإسلام وهي (المصر والسوق العظمى) كما وصفها ابن جرير في تاريخه ٣١٥/٣ ، فلماذا لايُبْحَثُ تاريخها ؟

لايزال الاسم يطلق على جهة معروفة، فأين موقع المدينة التاريخية من تلك الجهة ؟

لهـذا كـان الاتجـاه مـن دبي إلى دَبَـا صبـاح يـوم الأحـد (١٤٠٧/٣/٧هـ ــ ١٩٨٦/١١/٩م) مروراً بمدينة الشارقة، ثم الاتجاه غرباً، وبعد مسيرة نحو ٢٠ كيلاً كان المرور بقرب مطار الشارقة .

وبعد مسيرة نحو ٥٠ كيلاً كان الوصول إلى منطقة الذَّيْـد ــ بالذال المعجمة بعدها مثناة تحتية ساكنة فدال مهملة ــ وهي منطقة خصبة تابعة لإمارة رأس الخيمة تنتشر البساتين فيها حيث يمر بها وادٍ يعرف بهذا الاسم، قامتْ عليه قرية الذَّيد ، وفيه تجود زراعة النخيل التي تسقى من فَلَجٍ يبلغ طوله ١٧ كيلاً يتفرع إلى فرعين، وقد ضعف ماؤه كحالة مياه الأفلاجِ في هذه المنطقة، وتبعد منطقة الذَّيد إلى الشرق من مدينة الشارقة بنحو ٥٠ كيلاً ، وسكان المستوطنات في هذه

المنطقة يقال لهم: الطنيج ممن ينضوي تحت لواء القواسم.

وجاء عن وصف هذه المنطقة في كتاب «دولة الإمارات العربية المتحدة» ـ ص ٥٦٤ ـ مانصه: (واحة الذيد تمثل منخفضاً واسعاً من الأرض تنتشر فيه البساتين والمزارع الكبيرة وتتميز الزراعة بأنها منظمة ومزدهرة، وتكشف عن عناية كبيرة، ومعظم المزارع مسيَّجَةٌ بأسلاك حديدية أو بسعف النخل كما أن البعض محاط بأشجار الكينا التي تستخدم كمصدَّاتٍ للرياح. انتهى.

وكانت المسافة التي قطعناها فيها بين الشارقة والذيد أرضاً سهلة تتخللها كثبان رملية.

ومن الذيد كان الاتجاه إلى بلدة ٱلْمَسَافِي وتبعد عن الذيد ٣٢ كيلاً وقد مررنا بقرية صغيرة تركناها يسارنا تدعى (مَرْبض) ـ بالميم المفتوحة بعدها راء ساكنة فباء موحدة فضاد معجمة ـ وذالك بعد أن توغلنا في سلسلة من الجبال المرتفعة قبل أن نصل إلى المسافِي.

والمسافي ـ بالميم بعدها سين مهملة فألف ففاء مكسورة فياء ـ وهي من المراكز الزراعية في هذه المنطقة، تقع على رأس واد يدعى وادي (حام) ينحدر من جبال الحَجْرِ العُمَانية، وفي هذه المنطقة آبار ارتوازية يؤتى بالماء المعدني العذب منها إلى بلدان الإمارات.

وبعد بلدة المسافي اتجه الطريق إلى دبا يساراً شرقياً حيث توغل في سلسلة من الجبال البركانية فيما يبدو من سواد لونها، وتكثر بينها الشعاب الصغيرة التي تنتشر فيها أشجار الطلح والسلم.

ثم اخترقنا ثنية في السلسلة الجبلية فبدأ الطريق بالانحدار الشديد على جانب واد غائر ضيق، حتى بلغنا قرية تدعى (الغُذْنَة) ـ بالغين المعجمة بعدها دال مهملة فنون فهاء ـ تركناها ذات اليسار سائرين على جانب هذا الوادي العميق الغور ونحن نشاهد على يسارنا حدائق ومنازل في شكل قرى صغيرة، وهذا الوادي هو وادي (دَبَا) الذي تقع على ضفافه حلل دبا الثلاث، ثم خرجنا من

هذا الوادي يساراً داخل السلسلة الجبلية، وبعد مسيرة خمسة أكيال انحسرت عنا الجبال وبدا لنا على اليسار سلسلة أخرى من الجبال الشامخة ولكنها ليست سوداء اللون، ثم بلغنا منبسطاً من الأرض يحف به من الجنوب الشرقي طرف من السلسلة التي اجتزناها، ومن الشمال الشرقي سلسلة الجبال الشامخة الحمر التي شاهدناها، وبين هاتين السلسلتين مُنْخَفَضٌ مستطيل من الأرض يدعى (الفج) وهو يمتد إلى البحر، ودبا تقع في هذا الفج، وقبلها بخمسة أكيال مررنا بمصانع اسمنت الفُجيرة، ثم بالراشدية والمُهَلَّب، وهما محلتان من محلات دَبَـا ذات الأقسام الثلاثة، دبا الحصن تابعة للشارقة، ودبا البيعة تابعة لِعُمان، ودبا التابعة للفجيرة، وكلها حلل متقاربة والشرقية الموالية للبحر منها هي التابعة للفجيرة.

هذا الوادي الذي تقع فيه دبا يبلغ امتداده إلى البحر، أما سلسلة الجبال الشامخة اليسرى فقد انقطعت بينما استمرت اليمنى تماشينا في الاتجاه الشرقي نحو الفجيرة حتى بلغت البحر بِقُرْبِ محل يدعى (رول دبا) وهنا برزت أمامنا في البحر صخرة عظيمة كأنها جبل صغير، فسرنا على الساحل بعد مجاوزة شاطيء دبا، وعلى مقربة من هذا الشاطيء تنتشر حدائق النخيل.

وكنا قطعنا في سيرنا من الشارقة حتى بلغنا محلات (دبا) ١٢٦ كيلاً في نحو ساعة وثلث.

كيف الاهتداء إلى الموقع القديم لبلدة دَبَـا، واسم دبا يشمل كل ما نشاهده من هذه القرى في هذا الوادي الذي انحدرنا فيه منذ تجاوزنا بلدة المسافي، والذي يمتد إلى شاطيء البحر، ومواطن الاستقرار والحدائق تنتشر فيه، انه كما جاء وصفه في كتاب «الإمارات العربية» ــ ص ٩٣ ــ يدعى أعلاه (وادي الشمال) ويمتد من شمال (المسافي) ويتجه شمالاً ستة أكيال، ثم ينحرف باتجاه الشمال الشرقي حتى بداية انفراج أرض الوادي، ويستمر في الاتساع حتى دوحة دبا بعرض خمسة أكيال بعد أن يقطع سبعة عشر كيلاً، فيبلغ امتداده ٣٣ كيلاً.

ومن مراكز الاستقرار فيه غير دبا: عجمية وطيبة وطيبان وعينية.

هاهي المحلات المتفرقة التي يطلق عليها اسم (دَبَـا) كلها حديثة العمران ولا

آثار للقدم تبدو على أحدها، فليكن الاتجاه إلى المدرسة فقد لانعدم من بين مدرسيها من يعنى بتاريخ بلاده .

وقفنا عند أقرب مدرسة تقع في أبرز تلك المحلات عمراناً وأكبرها، ولكننا وجدنا نوبة الفتيات في الدراسة قد بدأت ، فسألنا أحد الإخوة عن أكبر مدرسة في هذه البلاد ، فأشار إلى سلسلة الجبال الممتدة على ضفاف الوادي في شماله قائلاً : (في اليبل وانتبه الطريق شَرْشَر) أي إنها تقع في الجبل، والطريق غير معبد، لهذا يحدث الاهتزاز الشديد، بعد أن قطعنا ثمانية أكيال في طريق تكثر فيه الصخور، ويصعب السير فيه، وحيث أوشكنا أن نبلغ الجبال، بعد منحدر من مجرى الوادي بلغنا المدرسة ، وتدعى (مدرسة عقبة بن نافع).

كانت استراحة قصيرة مع تناول (فنجان) من القهوة المُرَّة، وحديث قصير مع ناظر المدرسة الأستاذ عبدالقادر ذياب من غزة، ومع غيره من المدرسين من مصر وفلسطين، ولم نر بينهم أحداً من أهل هذه البلاد، إنَّ الأستاذ عبدالقادر هو مدرس التاريخ في هذه المدرسة الثانوية التي أنشئت في هذا المكان البعيد عن (دبا) لتتوسط بين قرى الوادي في (سيح دبا) أي هذا المتسع الواقع على ضفاف الوادي الطويل، ولهذا فهي تضم طلاباً من مختلف القرى باستثناء (دبا البيعة) التابعة لسلطنة عمان .

كان الحديث مع الأستاذ عبدالقادر عن موقع دَبَا البلدة القديمة، فذكر أنه كتب بحثاً في مجلة يصدرها (نادي دَبَا الرياضي) تدعى (الوعي) تعرض فيه لتاريخ دبا القديم، وأن الموقع هو مايعرف الآن باسم (دبا البيعة) التابعة للسلطنة العمانية، ويستدل على هذا بوجود مقبرة قديمة بقربها، تعرف بـ (مقبرة أمير الجيوش)، وأنه قد يفهم من كلمة (البيعة) قدم القرية، واعتذر عن وجود نسخة من بحثه للاطلاع عليه، ونصح بالاتصال بالأخ عبدالله بن سلطان السلامي ووصفه بأنه خبير بتاريخ هذه البلاد، وهو عضو في المجلس البلدي في دَبَا ــ وقد اتصلت بالهاتف بهذا الأخ فوعد خيراً عند مقابلته، فلم تتم .

إنني ــ وان كانت مشاهدتي للموقع لاتعدو لمحات خاطفة أثناء السير ــ قد

لاحظت أن مواقع المحلات المعمورة الآن مرتفعة عن ضفاف الوادي التي في الغالب تُكَوِنُ أماكن الاستقرار، في الأزمنة الماضية لقربها من المياه، وقد شاهدت في وسط الأرض البراح المعروفة باسم (سيح دبا) فيما بين البلدة وبين المدرسة آثار عمران قديم بقرب مجرى الوادي، لا أستبعد أن يكون موقع البلدة القديمة، ثم رأيت في كتاب «البحث عن دلمون» تأليف جيو فري بيبي تعريب الأستاذ أحمد عبيدلي ــ مايقوي هذا ونصه ــ ٤٥٥ ــ : إن رأيي أن موقع دبا والذي يبعد ميلاً ونصف ميل جنوب غربي دبا نفسها ــ سيدل على أنه موقع استيطان ، فربما كانت هناك مدينة أو قرية، وأن الثلاثة أقدام من الحصا المتراكم فوقها إنما هو تراكم حديث كنتيجة للسيول. انتهى ــ كذا وردت كلمة (جنوب) ولا أدري عن صحتها، والذي انطبع في ذهني أن ذالك الحصا المتراكم يقع في (الشمال) الغربي من دبا، لا في (الجنوب).

ويربط المؤرخون المتأخرون بين (مقبرة أمير الجيوش) التي لاتزال معروفة وبين المعركة التي وقعت في السنة الحادية عشرة من الهجرة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق فيقول صاحب كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات العربية»: ١/٣٦ : وفي دبا حدثت المعركة الأخيرة فكانت مذبحة مات فيها أكثر من عشرة آلاف قتيل بين الطرفين، وانتهت بمصرع رأس الفتنة لقيط ذي التاجين، ومازالت قبور ضحايا تلك المعركة شاهدة إلى يومنا هذا، في مقبرة أمير الجيوش، بالقرب من دَبَا . انتهى . ولكن من أمير الجيوش هذا ؟ وخبر الوقعة قد فصله ابن جرير في «تاريخه»: ٣/٣١٥، وابن الأثير في «الكامل»، وإن كان مؤرخو عُمَان كالشيخ السالمي في «تحفة الأعيان» ممن لا يتفق معه في كل ماذكر، ولي عودة للبحث عن موقع (دَبَا) .

خَـوْرُ فَكَّانَ والفجَيْـرة :

ثم واصلنا السير من مدرسة (عقبة بن نافع) في (دَبَا) فمررنا بمكان ذي بساتين من نخل وأشجار يدعى (رَوْل ضِدْنَة) ــ بالضاد المعجمة والدال بعدها نون فهاء ــ ولعل (رول) بمعنى (دَوْحة) وهذا المكان منبسط مستطيل من الأرض ، ثم كان

المرور بقرية (ضِدْنَة) واجتزنا طرف السلسلة راجعين إلى البحر حيث تبدو فيه صخور بارزة كالروابي . وكان مما مررنا به بعد ذالك من القرى (العقة) و(شرم) و(بادية) وهذه الأخيرة يكثر فيها النخل ، ثم بقرية اللُّجَّة (اللِّيَّة) ومنها يفضي الطريق إلى عقبة ينزل منها إلى خَوْر فَكَّانَ حيث يمتد طرف من السلسلة الجبلية فيبلغ البحر .

وَفكّانُ ــ الذي أُضيفَ إليه الخور ــ بفتح الفاء والكاف المشددة ، بعدها ألف فَنْونُ ــ اسم قديم .

ومع اكتشاف آثارٍ في خَوْر فَكَّانَ يرجع تاريخُها إلى الألف الثاني قبل الميلاد على ماجاء في كتاب «آثار الشارقة» فإن البلدة القائمة الآن بلدة حديثة بمبانيها ، ذات سوق صغير ذي طراز جميل متميز ، وفيها حدائق من النخيل ، وتقع أمام خَوْرٍ واسع شبه مستدير، لإحاطة سلسلة الجبال به من الغرب والشمال وقد وصف صاحب «معجم البلدان» خَوْر فَكَّانَ في أول القرن السابع الهجري بقوله : بُلَيْدٌ على ساحل عُمَان ، يحول بينه وبين البحر الأعظم جبل ، وبه نخل وعيون عذبة . انتهى .

وبلدة خَوْر فَكَّان تبعد عن الفُجيرة ٢٠ كيلاً ، وهانحن قد قطعنا من (المسافي) حتى بلغنا الفُجَيرة نحو أربعين كيلاً ، ومن خَوْر فَكَّان تبدأ حدود الفُجيرة حيث تنتشر حدائق النخيل فتمتد إلى وسط المدينة ، بحيث يصح وصفها بأنها غابة من النخيل تتخللها المنازل والشوارع الواسعة وتنتشر الدور بين الحدائق وتتكون في الغالب من دورين أو ثلاثة ، ماعدا بعض المباني التجارية فقد تبلغ خمسة أدوار .

وموقع البلدة ــ لخصبه وسعته وحسن ساحله ــ مما يحمل على الجزم بأنه من الأماكن المأهولة منذ عصور قديمة ، وإن لم يرد لاسم الفُجَيرة ــ فيما بين يَدَيَّ من المؤلفات ــ مايدل على ذالك سوى قول ياقوت وغيره : الفُجَيرة اسم موضع . ويظهر أن الاسم مشتق من فُجْرة الوادي ــ بضم الفاء ــ وهي متسعه الذي ينفجر إليه الماء ، وهكذا موقع الفجيرة فهو أرض واسعة في امتداد سهل الباطنة الخصيب ، تنفجر نحوها مياه الأودية من الجبال العُمَانية الواقعة غربها ، وأشهرها

وادي حام الذي يقارب طوله ــ مع تعرجه ــ نحو ٤٥ كيلاً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، بحيث يكون حوضين : أحدهما تقع فيه الفُجيرةوأغلبُ قراها ، ومن أشهر قراه المسافي والبثنة ودفنة .

والبلدة في طرف الباطنة الشمالي على شاطيء خليج عُمَان ، وتحيط إمارة الشارقة بحدود إمارة الفجيرة من الغرب ، أما من الشمال فَخْور فَكَّان ، ثم ساحل دَبَا التابع للفجُيَرة ، ثم سلطنة عُمَان ، وفي الجنوب كَلْبَا فبلاد عُمَان .

وتعتبر إمارة الفجيرة من أصغر الإمارات مساحة ، وأقلها سكاناً .

وأغلب سكانها القدماء من الأزد ، يدعون الشرقيين (المساكرة) .

ويظهر أن بلدة الفجيرة نشأت أول مانشأت ميناء صغيراً على الخليج ، ثم انزاحت في اتساعها عن الشاطيء الذي كان عرضة للإغارة ولطغيان البحر ، فانتشرت في أرض خصبة واسعة ، واقعة في مفيض أودية تنحدر من سلسلة من الجبال ، ولها ميناء على البحر حيث تقع الغَرْفة البلدة القديمة ، ومطار صغير بقربه ، دون خَوْر فَكَّان ، وينتشر حولها قرى عديدة ذات مزارع للخضر ، شاهدتُ بعضهم يعرض على المارة مع الطريق العام بعض ثمار مزرعته ، فأردت أن أسمع لهجة أحدهم ، فوقفت عند انسان لفتني سواد سحنته ، وعدم اهتمامه بمظهره أن أسأله عن ثمن قفص ورق (كرتون) مملوءاً بالليمون ، فأشار بأصابعه السبعة مضيفاً كلمة (درهم) فأخرجت من جيبي درهما واحداً ، وقلت : أعطني ليمونة واحدة ــ وفي القفص مايزيد على الثلاثين ، ولكنه أومأ برأسه ، فَتَخَيَّلْتُ أنه لم يفهم كلامي فتقدمت إلى آخر بجواره ، وقد اشترى منه أحد المارة ، فما كان من هذا المشتري إلا أن أخذ حفنة مما اشترى وقدمها لي ، فأفهمته أنني أقصد التخاطب ولست بحاجة إلى الليمون ، فقال : (لاتواخذهم . . مايفهمون) !

ويظهر أن العجمة الدخيلة في هذه البلاد منتشرة بين أهل القرى .

وأهم (شوارع المدينة شارع زايد بن سلطان) حيث المباني الحكومية ، وتبدو المدينة لسعة موقعها وقلة سكانها على جانب كبير من الهدوء ، ساعة دخولها ،

وكانت الواحدة ظهراً ، ولا أدري كيف ساورتني فكرة الاستقرار في هذه البلدة فترة من الزمن ، وأنا أسير في تلك الشوارع التي تخيم عليها البساطة ، وتزهو بخضرة البساتين القريبة منها ، على مرآى من شاطيء البحر الممتد بامتداد النظر .

كانت الاستراحة في فندق (هلتن) حتى الساعة الثانية ، وتقدم فيه أنواع المأكولات على نمط فنادق المدن الكبيرة ، وفيه قليل من النزلاء الغربيين ، ويكثر ارتياد أهل البلاد له ، ومن المناظر غير المألوفة أن يشاهد المرء على المائدة التي بجواره شرطياً ببزته وقد علق بمتنه بندقه .

وفي الساعة الثانية كانت العودة إلى الشارقة حيث استغرقت مسافة الطريق البالغة ١١٥ (خمسة عشر ومئة) من الأكيال ــ ساعةً واحدة من ذالك الفندق ، مروراً ببلدة (المسافي) ٣٨ كيلاً من الفجيرة ، ثم الذَّيد ٦٠ منها ــ بعد أن شاهدنا عن بعد ــ عدداً من القرى بمنطقة إمارة الشارقة ، منها ــ على الترتيب : البَثْنة ، ثم دفنا ، ثم المنامة ، وبعد مجاوزة قرية الذيد انزاحت الجبال ، واتسعت الأرض البراح ، مما يذكر بفيافي نجد ، وطبيعة أرضها وأشجارها وخاصة الدهناء حيث تقل ارتفاع كثبانها ، لولا هذه الأمكنة المنخفضة بين الكثبان ، الشبيهة بأرض الساحل ، إلا أن الرمال تُغَالِبُها فتطغى عليها في كثير من المواضع فتتغير طبيعة الأرض .

ولقد تمنيت أن أجد أحداً من أهل تلك البلدة التي أحسست بانشراح وسرور حين أبصرتها وقد انفرجت عنها الجبال فبدت في ذالك المنبسط الواسع الممتد بين الشاطيء وسفوح تلك الجبال الممتدة غربها ، تنتشر البساتين التي تتخللها الأبنية الحديثة المتفرقة على شوارع مستطيلة هادئة الحركة ــ تمنيت أن ألقى من ازداد منه علماً عن هذه البلاد الطيبة الحبيبة إلى النفس ، ولكن :

استعجمتْ دار نُعْمٍ لاتُكَلِّمُنَا   والدارُ لو كلمتنا ذاتُ أخبارِ

إلى رأس الخيمة (جلفار) :

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين (٨/٣/١٤٠٧هـ ـ ١٠/١١/١٩٨٦م) كان الاتجاهُ من مدينة الشارقة إلى إمارة رأس الخيمة ، فاجتزنا بعد إمارة الشارقة حدود إمارة عجمان المتصلة بعمران مدينة الشارقة . وبعد عشرين كيلاً من الشارقة كنا بمحاذاة بلدة أم الْقَيْوَيْن الواقعة على شاطيء الخليج ، وكان الاتجاه نحو الجنوب، والطريق معبد، يخترق صحراء واسعة ، خالية من الجبال إلا مايشاهد عن بعد على يمين المتجه جنوباً .

وبعد مسيرة مايقرب من مئة وعشرة من الأكيال كان الوصول إلى مدينة رأس الخيمة، وهي مدينة تقع في أرض منبسطة واسعة، وفي غربها تمتد سلسلة جبال عُمَان رأي العين. ومع أنها بقرب الساحل، إلا أن تربتها خصبة وخالية من الأملاح، أشبه ماتكون بتربة أرض نجد، تكثر فيها الأشجار وتنتشر كثبان الرمال .

والمساكن في هذه البلدة متباعدة، قسم منها يقع بقرب البحر، ويظهر أنه بقايا البلدة القديمة، أما القسم الغربي الحديث فينتشر فيه العمران الجديد ويبعد عن الساحل نحو عشرة أكيال. وقصر الحاكم يتوسط القسم الجديد من البلدة. ومن شوارع المدينة شارع الملك فيصل بطول كيل ونصف تقريباً .

وفي مدينة رأس الخيمة معهد تابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فيه عدد من الطلاب من هذه البلدة ومن غيرها من بلاد عمان ومن الإمارات، ويظهر أن الإقبال على الدراسة في هذا المعهد ليست على درجة قوية من النشاط، مع أنه قد أُعِدَّ إعداداً حسناً من حيث البناء وحسن الترتيب، وفيه مكتبة تحوي طائفة من الكتب في مختلف العلوم، وبَهْوٌ واسع (صالة) لإلقاء المحاضرات، وقد خصص لأساتذته بجانب مقرِّ المعهد بناء لسكناهم، وقد اجتمعنا بهم وأنسنا بالحديث معهم .

ويقع المعهد متوسطاً بين قسمي المدينة، وهو أقرب إلى القسم القديم .

وفي المدينة عدد من المدارس من ابتدائية ومتوسطة وثانوية وروضة أطفال، ومستشفيات، وإدارات حكومية للتعليم والأشغال والبريد وغيرها، وفيها فندق حديث كانت الاستراحة فيه في الساعة الواحدة، وتناول طعام الغداء وهو على درجة حسنة من النظافة .

ومع أن موقع هذه المدينة على مقربة من جُلَّفار البلدة التي كان لها ذكر كثير في المؤلفات القديمة، إلا أننا وقد سِرْنَا على الساحل وشاهدنا مابقي من آثار البلدة القديمة لم نر فيها مايلفت النظر من حيث القدم .

ويعلل المتأخرون تسمية رأس الخيمة بأمور منها ماسمعناه من أحد الإخوة في المعهد من أن رأس البحر يشابه الخيمة في استدارته ، وفي كتاب «دولة الإمارات العربية» ــ ص ٢٧ ــ: وكان زعيم القواسم هو الشيخ قاسم الذي نصب خيمته في منطقة على الساحل مقابل جلفار فكانت تراها جميع السفن المارة في الخليج ، ومن ثم أطلَقَ البحَّارةُ على هذا المكان اسم رأس الخيمة، وبعد ذالك نشأت مدينة عربية حملت ذالك الاسم . انتهى . وينبغي أن يكون هذا في عصور متأخرة لم تسبق القرن الحادي عشر الهجري .

ولأهل رأس الخيمة ــ بل للقواسم في هذه البلدة وغيرها ــ مقام محمود في مؤازرة الدعوة الاصلاحية إبَّانَ قيام الدولة السعودية في عهدها الأول .

وقد تعرضت رأس الخيمة في سنة ١٢٢٣ ــ لهجوم الانكليز عليها، وإحراق سفن أهلها، وتدمير البلدة كلها، ثم تَتَبُّع قُرى القواسم في ساحل الخليج شرقاً وغرباً بالإحراق والتخريب ــ وفي كتاب الدكتور سلطان بن محمد القاسمي «خرافة قَرْصَنَةِ العرب في الخليج» مايوضح حقيقة الأسباب .

أم القيـــويـن :

كان الإتجاه من رأس الخيمة إلى أم القيوين ، وقد أعياني الاهتداء إلى أصل التسمية، وأقدم ذكر لها رأيته في كتاب «لمع الشهاب» المؤلف سنة ١٢٣٣هـ

وقائم مقام العاصمة ، ومندوب إمارة مكة ، ومندوب أمانة العاصمة ــ الخاص بالحد الجنوبي الغربي لمزدلفة ، واطلع على المحضر الموقع في ١٤٠٢/١١/٣هـ من فضيلة الشيخ سليمان بن عُبَيْدٍ وفضيلة الشيخ عبدالله بن مَنِيع ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن بسام والخاص بالحدَّيْنِ الشماليِّ الغربي والجنوبي الغربي لمزدلفة ، وانتهى المجلس ـ بالأكثرية ــ على مارأته اللجنة السابقة في محضر ١٣٩٦/١٠/١١هـ أنَّ الحد للجهة الجنوبية الغربية من هذا المشعر يبتديءُ من الجهة الشمالية بالجبل المسمى بـ (قرن) الواقع شرقي وادي مُحَسِّرٍ ، والمقابل لَدَقْم ٱلوَبْر ، فيقع دَقْمُ ٱلوَبْر عنه غرباً شمالاً ، ويمتدُّ الحدُّ من جهة الجنوب من قِمَّة القرن المذكور إلى خشم الجبل الذي يقع في نهاية الجبال الممتدة من مزدلفة جهة الجنوب ، فكل ما وقع شرقيَّ هذا الحدِّ يعتبر من مشعر مزدلفة ، وماكان غربيَّهُ فهو خارجٌ عنها ، وبهذا يَتَّضِحُ أَنَّ جُزْءاً كبيراً من حدائق أمانة العاصمة الموجودة هناك داخلٌ في حدود مزدلفة .

وتقترح اللجنة أنَّ الأعلام الموضوعة في الجانب الشرقي الشمالي من وادي مُحَسِّر توضع أعلامٌ مماثلةٌ لها بمحاذاتها حتى تصل إلى خشم الجبل الجنوبي الموضح أعلاه. انتهى ما يتصل بحدود مزدلفة من هذا القرار .

المعارضون :

توقف عن التحديد جملة وتفصيلاً بعضُ الأعضاءِ ، وبعضهم غائب ، ولكن حصل القرار المذكور بأكثرية المجلس ممن تم بهم النصاب وعارض في الحد الجنوبي الغربي :

١ ــ الشيخ محمد بن جُبير. ٢ ــ الشيخ عبد الله بن منيع . ٣ ــ الشيخ عبدالله بن بسام ــ محرر هذه الأسطر .

ويرون أنه ــ كما نص العلماء ــ جميع الحدّ الغربي لمزدلفة هو وادي مُحَسِّرٍ ، وأَنَّ الحدَّ الجنوبيَّ لمزدلفة هي جبالها الجنوبية ، فإذا انحرفتْ تلك الجبال إلى الغرب فيكون تمام الحد الجنوبي هو مابينها وبين وادي مُحَسِّر وبهذا تَمَّ الحدُّ الجنوبيُّ الغربيُّ

لمزدلفة بمحاذاة الوادي ، وتسمى تلك الجبال الجنوبية لمزدلفة جبال المريخيَّات ، وبهذا تكون حدائق أمانة العاصمة كلها داخلة في حدود مزدلفة .

هذا مانقرره ونعتقده ونرى أن النصوص تدل عليه والله من وراء القصد .

أما الحدُّ الشمالي الغربي لمزدلفة فقد قرر هيئة كبار العلماء عنه قراراً نأخذ منه قدر موضع الحاجة بما يلي :

في الدورة العشرين لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة في الطائف من الخامس والعشرين في شوال حتى السادس من ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ ، نظر المجلس في تحديد مزدلفة من الناحية الشمالية الغربية بناءً على الأمر السامي رقم ١١١٤٨ في ١٤٠٢/٥/١٢هـ . واستمع المجلس إلى نصوص العلماء في تحديد مُزْدَلِفة ، ورجع إلى محاضر اللجان السابقة ، واطلع المجلس على المحضر المؤرخ في ١٤٠٢/١١/٣هـ والموقع من فضيلة الشيخ سليمان بن عُبَيْدٍ وفضيلة الشيخ عبدالله بن مَنيع وفضيلة الشيخ عبدالله بن بسام والخاص بِالْحَدَّيْنِ الشمالي الغربي والجنوبي الغربي . وفي الدورة الواحدة والعشرين أعاد بحث الموضوع فرآى أنَّ البتَّ فيه ينبغي أن يكون بعد وقوف المجلس على الموقع وتطبيق كلام أهل العلم . وفي الدورة الاستثنائية السادسة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم الأربعاء الموافق ١٤٠٣/٥/٣هـ حتى يوم الأحد الموافق ١٤٠٣/٥/٧هـ رجع المجلس إلى كلام أهل العلم مرة أخرى ، وإلى محاضر اللجان السابقة ، ووقف في المكانين المذكورين عدةَ مرَّاتٍ ، واستمع إلى مالدى كل من فضيلة الشيخ عبدالله بن بسام والشريف شاكر بن هزاع والشريف محمد بن فوزان الحارثي وانتهى بعد ذلك إلى مايلي :

نظراً إلى أن العلماء قد نَصُّوا على أنَّ حدَّ مِنَى من الجهة الشرقية وادي مُحَسِّرٍ ، وحَدَّ مزدلفة من الجهة الغربية الوادي نفسه ونَصُّوا أيضاً على أنَّ حَدَّ مزدلفة شمالاً جبل ثَبِير ، وحيث أن جبل ثَبِير ينعطف شمالاً قبل أنْ يصل إلى وادي مُحَسِّرٍ فَإنَّ المجلس ــ بالأكثرية ــ يرى أنَّ الحدَّ يمتدُّ غرباً من منعطف ثَبِير ماراً بجنوبيِّ الجبل

مطالعات في كتاب :

«فصول في فقه العربية»

«فصول في فقه العربية» دكتور رمضان عبد التواب ــ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٤/١٩٨٣. سفنكس للطباعة ــ تاريخ ط ١ سنة ١٩٨٠ ــ ٤٥٩ ص .

١ ــ كتاب قَيِّمٌ وجُهْدٌ مُجْدٍ : في أَوَّلِيَّةِ اللغة العربية ، في العربية الفصحى واللهجات ، بين الشعر والنثر ، الثراء اللغوي في العربية ، من قضايا اللغة ومشكلات العربية .

٢ ــ ص ١٣ : عبد الملك بن قُريب الأصمعي (المتوفي سنة ٢١٦ هـ) . . .

٢١٦هـ تاريخ مقبول يذكر لوفاة الأصمعي ولكنه ليس فذاً قاطعاً . قال ابن خلكان «توفي في صفر ست عشرة وقيل أربع عشرة وقيل سبع عشرة ومائتين» .

المقابل لمنعطف ثَبِير ، إلى وادِي مُحَسِّرٍ ، فما أقبل من الجبال جنوباً فهو من مزدلفة ، وما أدبر شمالاً فهو خارج عنها . وبالله التوفيق . ورقم القرار ــ ١٠٥ ــ وتاريخه ١٤٠٣/٥/٧هـ .

وسبق قرار الحدِّ الغربي الجنوبي بالقرار رقم ١٠٦ في ١٤٠٣/٥/٧هـ وتأكد هذان القراران بالموافقة السامية بخطاب موجه من ــ رئيس مجلس الوزراء ــ إلى وزير الداخلية ــ برقم ٤/٩٨٦٦/م في ١٤٠٥/٤/٣٠هـ وجاء فيه : (نخبركم بموافقتنا على ماقرره مجلس هيئة كبار العلماء بقراريه رقم ١٠٥ ــ ١٠٦/٥ في ١٤٠٣/٥/٧هـ بالأكثرية من حيث تحديد مزدلفة من الناحيتين الشمالية الغربية والجنوبية الغربية ، وعلى وزارتكم إنفاذ مقتضاه وقد زودنا الجهات المعنية بنسخة من أمرنا هذا للاعتماد فأكملوا مايلزم بموجبه) .

مكة المكرمة:

عبدالله بن عبدالرحمن البسام

٣ ـ ص٣٣: (ومن لهجات الآرامية (. . .) ما يسمى «باللغة المنداعية» وهي لهجة طائفة (العارفين) المسيحية، التي لاتزال توجد في جنوبي العراق إلى اليوم. . .» .

أ ـ المنداعية: المندائية.

ب ـ طائفة العارفين: الصابئة.

جـ ـ الصابئة دينٌ قائم برأسه، وهكذا ورد ذكرهم في القرآن الكريم. . . وهكذا هم في جنوبي العراق. . . وامتدوا إلى بغداد. . .

٤ ـ ص ١٠٢: (وأما الطبقة الرابعة) يفهم أن يقصد بهم شعراء العصر العباسي [الأول] ـ فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامهم مطلقاً، وقيل: يستشهد بكلام من يوثق به منهم، واختاره الزمخشري، فاستشهد في تفسير أوائل سورة البقرة، في «الكشّاف» ببيت من شعر أبي تمام. . .).

يحسن استقصاء الزمخشري في كتابه «أساس البلاغة» فقد رأيته مثلاً: (يستشهد بابن الرومي في كلمة (دحو)، واستشهد (بديباجة البحتري) في كلمة (دبج). . . ويستشهد بالمعري في كلمة (نبط).

٥ ـ ص ١٠٣: (ونقل ثعلب عن الأصمعي قال: خُتِمَ الشعر بابراهيم بن هَرْمَة، وهو آخر الحجج).

المؤلف في معرض الرواية ومن يصحُّ أنْ يُسْتشهد بهم، ولا يحسن ـ في هذه الحال ـ الوقوف عند ابن هرْمة وحده بل إن ذكر الأصمعي يحثنا إلى إثبات ما روي عنه ـ هنا كاملاً. قال: (كان ابراهيم من ساقة الشعراء)، وروى عبدالرحمن [ابن أخيه] عنه أنه (قال: ساقة الشعراء: ابن ميادة، وابن هرمة، ورؤبة، وحَكم الخضري، ـ (حي من محارب ـ ومكين العذري، وقد رأيتهم أجمعين) ـ الشعر والشعراء تحـ. شاكر في ترجمة ابن هرمة.

٦ ـ ص ١٠٣: (في القرن الرابع الهجري نجد أبا نصر الفارابي (المتوفي سنة ٣٥٠هـ) يضع قائمة بأسماء قبائل معينة. . .).

(نجد) هذه زائدة ، وهي من الأسلوب الأوربي we find

وتتكرر ص ١٦٤

توفي هذا الفارابي سنة ٣٣٩هـ ـ تنظر المادة (١٧) في أدناه .

٧ ـ ص ١٠٤ : (كما يقول ـ ابن خلدون ـ في مقدمة كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر» ، تحت فصل عنوانه. . .).

أ ـ (تحت فصل عنوانه: (تحت) هذه من الأسلوب الأوربي sous ، ويمكن الاستغناء عنها .

ب ـ لم تَعُدْ حاجةٌ إلى قولنا: (مقدمة. . . «العبر وديوان المتبدإ والخبر» و«المقدمة» وحدها كافية فقد تكرر طبعها مستقلة في كتاب ، والمؤلف إنما يحيل على هذه الطبعة المستقلة في كتاب ويسمّيها في هـ ص ١٠٥ «مقدمة ابن خلدون» إنه حين يذكر مراجعه آخر الكتاب لا يذكر «العبر. . .» وإنما «المقدمة» ـ ص ٤٤٢ .

٨ ـ ص ١٧٦ ـ ١٧٧ : (ولا تقتصر الضررات الشعرية ، على الإعراب وحده ، بل تمتد إلى بنية الكلمة نفسها ، فتصيبها بالتّغير والتحول ، فقد تُقَصَّر الحركات الطويلة في مثل قول (. . .) أبي خِرَاش الهذلي :

وَلَا أدرِ من أَلْقَى عَلَيْـهِ إزارهُ خَلَا أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ ماجِدٍ مَحْضِ

المصدر «ديوان الهذليين»: ٣/١٢٣٠ ، وتكرر ص ٢٢٦ .

جاء في كتاب «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ، نشرة أحمد أمين وعبدالسلام هارون ٢/٧٨٧ :

ولم أَدْرِ مَنْ ألقَى عَليْـهِ رِدَاءَه ولكنَّهُ قَدْ سُلَّ عن ماجِدٍ محضِ

وفي الحاشية: كذا رواية الأصل والديوان. . .».

٩ ـ ص ١٨٧ : (قال ابن منظور. . .) ، ص ٢١١ (ويقول ابن منظور. . .)

لم يقل ابن منظور ، لأنَّ ابن منظور لا يملك قولاً أوْ رأياً ، وإنما هو مؤلف متأخر لَفَّقَ كتابه من مجموعة كتب . ونقول ــ على هذا ــ: جاء في «لسان العرب» .

١٠ ــ ص ١٨٩ : (ويقول القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني (المتوفي سنة ٣٦٦هـ). . . .» .

الصحيح : «المتوفي سنة ٣٩٢هـ» ينظر الزركلي في «الأعلام» ٤/٣٠٠ ، وكتاب الدكتور محمود السمرة عنه .

١١ ــ ص ٢٢٥ : (قولهم: (لم أُبَلْ) (ولا أَدْرِ) فقد كثر استعمالهم لهاتين الكلمتين في النثر بهذه الصورة . والقياس فيهما: (لم أُبالِ) (ولا أَدْرِي). . .) وذكر المؤلف أَمْثِلَةً من الشعر في عصور الاستشهاد .

ولابأس أن أذكر ــ خارج عصور الاستشهاد ــ بيت المعري:

إذَا أَنْتَ أُعْطِيْتَ السَّعَادَةَ لَمْ تُبَلْ وإنْ نَظَرْتَ شَزْراً إلَيكَ ٱلْقَبَائِلُ

١٢ ــ ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ : المعاجم: (ونوع رتَّبَ الكلمات ترتيباً أبجدياً (بحسب الأصل الأخير ، أول الأول للكلمة) مثل «الصحاح» للجوهري ، و«لسان العرب» لابن منظور ، و«القاموس المحيط» للفيروز أبادي و«أساس البلاغة» و«المصباح المنير»).

أ ــ قولنا: أبجدي يذهب به الظن إلى أ ب ج د. . .) على حين المقصود، أ ، ب ، ت ، ث ، ج. . . من حروف الهجاء. . . ، وتتكرر ص ٢٧٩ لدى الكلام على «مجمل اللغة» لابن فارس .

ب ــ كان المناسب أن تتوالى «المعاجم» في سياق تاريخي .

جـ ــ لم يرد «التقفية» للبندنيْجي مع المعجمات . . .

«التقفية في اللغة» لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (المتوفي سنة ٢٨٤هـ) ، حققه الدكتور خليل إبراهيم العطية ، بغداد (وزارة الأوقاف) - الكتاب الرابع عشر) مطبعة العاني ١٩٧٦ ــ ٨٠٠ ص . [وانظر عنه «العرب»

س ١ ص ٥٧٧].

١٣ ـ ص ٢٦٧ : (وأقدم معجم (. . .) هو: «كتاب العين» للخليل. . .) وفي الهامش: «طبعت منه قطعة صغيرة في ١٤٤ صفحة بعناية الأب انستاس ماري الكرملي، في بغداد سنة ١٩١٤م ، ثم ظهر الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور عبدالله درويش ، في بغداد سنة ١٩٦٧م» .

هذا كلام لم يعد مقبولاً ـ بعد اليوم ـ أي بعد أن شرعت طبعة محققة للعين كلـه تصدر في بغداد ـ بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ـ وقد صَـدَرَ الجزء الأول سنة ١٩٨٠ حسب تجزئة المحققين ، وصدر آخرها (الثامن) سنة ١٩٨٥ .

١٤ ـ ص ٢٧٤ : (والمعجم الذي تلا «جمهرة ابن دريد» في الظهور ، هـو: «ديوان الأدب في بيان لغة العرب» لإسحاق بن ابراهيم الفارابي (المتوفى سنة ٣٥٠هـ): وهذا الكتاب لا يَمُتُّ إلى الأدب بصلة ـ كما يوهم عنوانه ـ بل هو معجم لألفاظ اللغة العربية. . .) .

أ ـ من قال: إنَّ معجم ألفاظِ للغة العربية ليس من الأدب ؟

ب ـ يريد المؤلف بالأدب ما يذهب إليه الذهن في أيامنا هذه من (القرن العشرين) . وهذا المعنى متأخر . وإننا لا نفرض متأخراً على متقدم ، ولا نُعَلِّم الفارابي مدلول (الأدب) وإنَّما نَتَعَلَّمُهُ منه .

جـ ـ إذا كان الأنباري قد جعل اللغويين ، (أدباء) في «النزهة» ، وجعلهم ياقوت كذلك في «الإرشاد» فما المانع في أن تكون (اللغة) (أدبا) ، وقد صاروا بها (الأدباء) ؟ المسألة مسألة مصطلح في زمن .

١٥ ـ ص ٢٨٢ : «الزمخشري» ، وهو أبو القاسم محمد بن عمر بن محمد. . .»: محمود

١٦ ـ المراجع العربية. . . . ص ٤٣٠ : «التكملة» لأبي علي الفارسي ـ تحقيق

مصطلحات عربية في المعايير والأوزان
من
كتاب الجوهرتين العتيقتين للهمداني

بقلم : الدكتور كريستوفر تول
ترجمة : الدكتور يوسف محمد عبدالله

تمهيد من المترجم :

عهد إليّ أستاذي الكبير العلامة الشيخ حمد الجاسر بنقل هذا المقال من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية فلعل مافيه يلقي ضوءاً على بعض المصطلحات في المعايير والأوزان التي ذكرها

كاظم بحر المرجان (رسالة ماجستير) مخطوط .

طبع سنة ١٩٨١ .

ــ ص ٤٣٦ : (طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر ــ القاهرة ١٩٥٢م): ط ١٩٧٤ هي الأولى بالمراجعة والبحث .

ــ ص ٣٠٦: «نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات بن الأنباري. . .»: لأبي البركات الأنباري

١٧ ــ فارابيان وليسافاربياً واحداً . وورد ص ١٠٣ «نجد أبا نصر الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠هـ. . .» وفي ص ٢٧٤ «اسحاق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠هـ».

والحقيقة أن الأول غير الثاني ، الأول الفيلسوف والثاني اللغوي ، توفي الأول سنة ٣٣٩هـ والثاني سنة ٣٥٠هـ ! وإذا كان اسم الثاني إسحاق (وكنيته: أبو إبراهيم) فإن الأول (أبا نصر) اسمه محمد بن محمد بن طرخان

د. علي جواد الطاهر .

الحسن بن أحمد الهمداني (القرن الرابع الهجري) في كتاب «الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء» (الذهب والفضة).

وكان الشيخ حمد الجاسر من أوائل من نبَّه إلى أهمية هذا الكتاب ويدين له أهل العلم بكثير من المعارف والتصويبات والاحالات فيما يخص هذا الكتاب ، وفضله في غير هذا ذائع ومشهود ، أطال الله عمره ونفعنا بعلومه .

والدكتور كريستوفر تول هو عالم محقق من السويد وأستاذ للدراسات العربية في إحدى جامعات الدنمرك . وتلميذ نجيب للعالم السويدي المعروف أوسكار لوفجرن الذي قضى سنين طويلة ينقب عن المخطوطات اليمنية ولا سيما آثار الهمداني . ولا يزال يعمل في هذا السبيل إلى اليوم ونتمنى له دوام الصحة والعافية .

وكان الدكتور تول قد حقق كتاب الجوهرتين عام ١٩٦٨ ونقله إلى الألمانية وقدم له بدراسة نقدية جيدة . إلاَّ أنَّ الكتاب نُشِر بنسخ قليلة ، وبخط المحقق في نصه العربي ، وبالآلة الكاتبة في النص الألماني ، ولم يتسَنَّ له أن يُصَفَّ بالمطبعة مما أعاق سهولة تداوله .

وفي عام ١٩٨٢ أصدر الأخ الصديق محمد الشعيبي طبعة جديدة للكتاب اعتماداً على كتاب الدكتور تول ، ولكن طبعة الشعيبي والتي تنمُّ عن جهد طيِّبِ تناولت النصَّ فقط ، وأغفلتْ ماعدا ذالك . وكنت قد التقيت بالدكتور تول خلال فترة حضوره الندوة العلمية العالمية بمناسبة الذكرى الألفية للهمداني في صنعاء ـ ديسمبر عام ١٩٨١ ـ واتفقت معه على إصدار الكتاب ضمنَ منشورات مشروع الكتاب التابع لوزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية . وفعلاً عهدتْ لجنةُ مشروع الكتاب بالوزارة إليَّ بالمهمة ، فكان أن نقَّحتُ النَّصَّ ونقلت الدراسة التي تتصدره من الألمانية إلى العربية ، وأثبتُّ الهوامشَ الأصلية والفهارس الملحقة كما هي خوفاً من مزالق الطبع ، وحِفاظاً على ترقيم صفحات المخطوطة الأصل والنص المحقق . وصدر الكتاب في عام ١٩٨٥ .

وكنت أعلم أنَّ هذه الطبعة لن تغني عن طبعة أخرى ينوي إصدارها أستاذنا العلامة القاضي محمد علي الأكوع ، أو عن طبعة جديدة بتحقيق الشيخ حمد الجاسر الذي تَدِين له الطبعات السابقة بالفضل ، وتحمل الكثير من بصماته ، ولكني كنت أعلم أيضاً أنَّ كتب الهمداني تحتاج دوماً إلى تحقيق جديد . وما ضَرَّ لو تداول الكتاب عالِمان ، فلربما كان الجهد أبلغ في الافادة . وقد حُقِّقَ كتابُ «صفة جزيرة العرب» إلى اليوم ثلاث مرات ، وصدر حسب مبلغ علمي في طبعات أكثر من ذالك . ولا أظن أنَّ أحداً من أهل الشأن لايتمنَّى أنْ يُحَقَّقَ الكتابُ من جديد ، على ضوء المعارف الجغرافية الجديدة ، وأن يُلْحَقَ النص بخرائط دقيقة مفصلة . وتبرُزُ الحاجةُ إلى ذالك كلما أكثر المرءُ من استعماله أو سُلِّطَتْ عليه جهود الباحثين الجدد المتزودين بأدوات صناعة العلم الحديث . راجع مثلاً : أطروحة الدكتور

روبرت ويلسن ـ كامبردج ١٩٨٠ ، وأطروحة الدكتور عبدالله الشيبة ـ ماربورج ١٩٨٢ ـ وكلتاهما تعنيان بجغرافية اليمن التاريخية .

لقد قصدتُ بهذا التمهيد أن أضع مقال الدكتور تول في إطاره العلمي وسياقه التاريخي إذ أنَّ عملَهُ هذا هو تكملة لجهده السابق ، ولربما تكون فيه فائدة لعمل لاحق . ومن يتأمل كتاب الجوهرتين لاريب أنه سيجد ألفاظاً ومصطلحات أخرى تحتاج إلى دراسة وتحقيق ، وفجواتٍ مازالتْ تنتظر مخطوطةً جديدة ، حتى يُعْمَل على سدّها ، وسواء يتفق المرء مع تخريجات الدكتور تول ومناقشاته اللغوية أم يخالفه ، إلا أنه سيغبطه على حسن اطلاعه على المصادر ، وقدرته الفذة على التحليل اللغوي ، وإلمامه بذالك العدد الوافر من اللغات الحديثة والقديمة .

ولقد حرصت على نقل النص دون تصرف ، ولكني حاولت أن أنقل معظم الإحالات إلى اللغة العربية ، وكذالك الألفاظ والتعابير والنصوص التي أثبتها الكاتب بلغاتها أو كتاباتها الأصلية في ثنايا النص الألماني تيسيراً للقارىء العربي ، وتجنباً لمزالق الطبع وهي عندنا كثيرة والحمد لله .

أما ما عَنَّ لِي من ملحوظاتٍ فهي إما موضوعة بين قوسين مربعين في ثنايا النص ، أو موسومة بنجمة في الهامش . وقد نشر مقال الدكتور تول باللغة الألمانية(١) . وهاهو :

* * * *

يورد كتاب «الجوهرتين العتيقتين» والذي نشر في أبسالا ١٩٦٨(٢)، مصطلحات عديدة أصولها غير عربية في مجالي المعايير ، والتعدين . وموضوع هذا المقال هو بحثُ بعض تلك المصطلحات التي وردت في كتاب الهمداني المذكور الذي يُعْنَى بالتعدين وصَنْعة النقد .

١ ـــ القفلـــة :

يرد اللفظ قفلة منصوباً بمعنى دفعة واحدة ، على الجملة ، بالجملة في قوله : وكان لعلّه ينفخ من الصُّرَّة الكبيرة الثلاثة دراهم قفلة (ص ١٣١) وفي قوله : وكان وزنه قفلةً أربعة دراهم (ص ١٦٨) واللفظ بهذا المعنى معروف ، فقد جاء في «اللسان» [والقفلة] إعطاؤك إنساناً شيئاً بِمَرَّةٍ ، يقال : أعطاه ألفاً قفلة . [ابن دريد : ودرهم قفلة أي وازن والهاء أصلية ، قال الأزهري : هذا من كلام أهل اليمن ، قال : ولا أدري ما أراد بقوله الهاء أصلية](٣) .

وقد يرد اللفظ في صيغة «درهم قفلة» في قوله : فكان يقع المَطَوَّقُ من الفضة عشرين درهماً قفلة ، والدينار المطوق يعادل عشرين درهماً قفلة من الفضة (انظر مادة مطوق أدناه) وقوله : يكون وزنه من درهم قفلة إلى مثقال (ص ١٤٥). وقوله : [وهو يحتاج من الإعادة إلى] ماينقص من كل مئة درهم قفلة درهم[٤]. وفي حالة الجمع تكون الصيغة : دراهم قفلة ، كقوله : يخلص منها عشرة دراهم قفلة (ص ١٩٨) وقوله : وإما ربع حبة في جميع العيار الذي هو أربعة دراهم قفلة (ص ١٧٠). ويمكن أن يكون اللفظ قفلة في المثال الأول في حال النصب أيضاً . ولكن الأمر يختلف تماماً عندما يكون اللفظ معرفاً ، كقوله : سعة الدرهم القفلة (ص ١٧٩) وقوله : غلظ الدرهم القفلة الوسط (ص ١٣٤)، أي في سمك درهم قفلة .

إن معنى اللفظ واضح : فصاحب «اللسان» وصاحب «تاج العروس» وابن سيدة في كتاب «المخصَّص» ١٢ / ٢٩ ، ينقلون عن ابن دريد قوله : ودرهم قفلة أي وازِنٌ ، والهاء أصلية ، ويضيف صاحب «اللسان»، قال الأزهري : هذا من كلام أهل اليمن ، قال : ولا أدري ما أراد بقوله : والهاء أصلية . وقوله إن الهاء أصلية يفيد أنها غير تاء التأنيث . وهو قول صحيح ، إذ أَنَّ الاسم درهم مذكر . أي أنَّ اللَّفظ قفلة ليس نعتاً مشتقاً للفظ درهم ، وإنما هو اسم جامدٌ ، ومحلُّه من الإعراب بدلٌ من درهم[٥]، وفيها قرِيء اللفظ : درهمُ قفلةٍ ، وهي قراءة غير ممكنة ، لأن لِلَّفظ استعمالان فيقال درهماً قفلة في حال كون اللفظ نكرة ، ويقال الدرهم القفلة في حال التعريف . والجذْرُ (ق ف ل) من الجذور المألوفة في اللغة العربية . وله ــ كما يبدو ــ معنيان ، الأول : قفل بمعنى رجع ، ومنه اشتق اللفظ المعروف قافلة ، وهو بهذا المعنى يشترك مع الجذر نفسه في اللغة الآرامية والمندائية والحبشية بمعنى تحول ، رد، نَقَل. المعنى الثاني : قفل بمعنى يَبِس ، وهو معنى شواهده ضعيفة في اللغات السامية الأخرى ، ويتناول «فرنكل» الجذر نفسه في كلامه عن الألفاظ الآرامية الدخيلة رقم ١٦ : انكمش النبات = يَبُسَ ، ويبدو أنَّ المعنى الثالث للجذر وهو أَغْلَقَ ، مشتق من الاسم قُفْل ، مِزْلَاج ، عبر اللفظ

الآرامي قفلاً (لم يوردها فرنكل) من اللفظ Copula . وبهذا المعنى يقال الرجل قفلة أي حافظ لكل مايسمع[٦].

ليس فيما سلف من معان مايسعف على تبيان اشتقاق اللفظ الذي نحن بصدده ، غير أن هناك (قفلة) أخرى ، قد تؤدي مناقشة لفظها إلى الوصول إلى المعنى الحقيقي للفظ ، وهو قفا الرأس فربما كان أصل اللفظ آرامي قفايثا من اليونانية قَفَلَيس قَفَلِدوس (وهو تصغير قفلى إمالة ـ بمعنى رأس) بمعنى مؤخرة الرأس[٧]، وفي الآرامية ألفاظ عدة تشتق من قفلى إمالة اليونانية ، ويجد المرءُ واحداً منها في الحبشية كفل = رأس ، وفي بعض اللهجات السريانية العربية : قَفَّل الشجرة أي قطع رأسها . غير أن ما يهمنا في هذا السياق هو اللفظ السرياني قَفَلِيون ، من اليونانية قِفَلَيُون ، ومعناها مبلغ من المال . وقولهم في السريانية : بِكِفَليون من اليونانية ان قِفَلَيو بمعنى بالجملة ، وفي هذه الأخيرة يكمن أصل معنى قفلة في قولهم درهم قفلة ، وفي حالة النصب قفلة بمعنى جملة بالجملة بالكامل ، وفي اللغات الأوربية ألفاظ دخيلة تعبر عن مثل هذه المصطلحات أي مثل : جملة ، وبالجملة ، بكامله .

فدرهم قفلة يعني درهم جملة ، أي درهم كامل دون نقص[٨] ويشبه هذا المعنى ماقرره بيستن[٩]. حيث اعتبر [قوله تعالى]: ﴿دراهم معدودة﴾ من سورة ١٢ الآية ٢٠ ، مأخوذاً من التعبير اليوناني : ارتميا نمرسَمِتيا ، قارن أيضا التعابير المشابهة مثل دينار عدد ، عين معدد[١٠]، فقد كانت النقود المعدودة توزن أيضاً (راجع المصدر السابق نفسه).

وقد ورد في «اللسان» وغيره (أنظر أعلاه): درهم قفلة أي وازن .

أما قيمة درهم واحد قفلة فيمكن أن يستنتج ذالك بالتقريب من خلال إشارة للهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص ١٩٤[١١]: ويكون العسل هنالك ستة أرطال بالبغدادي وسبعة وثمانية بدرهم قفلة . وانظر أيضاً فيما يلي : دينار مطوق .

٢ ــ مطوّق :

يذكر المُقدّسي في كتابه «أحسن التقاسيم» (تحقيق دي خويه ، ليدن ١٨٧٧ ٠٠٠) أن أهل مكة كانوا يستعملون الدنانير المطوقة ، ويشبهها بالدراهم اليمانية ، فهي كالمكية تقبض عداً . (انظر أعلاه : درهم قفلة)، ويساوي الدينار منها ثلثي مثقال . ويؤيد ذالك ماأورده الهمداني في «صفة جزيرة العرب» حيث قال : إن الدرهم المطوق يعادل الدرهم القفلة (ص ١١٤)[١٢] . وفي كتاب «الجوهرتين العتيقتين» أدق في تحديده للقيمة ، حيث يقول : المطوق ثلثا مثقال وحبتان والعشرة المظوقة وُقِيَّة وهي سبعة مثاقيل[١٣] . ومن المعلوم أن قيمة الدرهم إلى الدينار (المثقال) ثلثا مثقال بينها هي في الشريعة سبعة أعشار المثقال[١٤] .

ونعلم من كتاب العلوي نسبة القيمة بين الدينار المطوّق والدرهم الفضة[١٥] ، ففي عام ٢٩٢هـ الموافق ٩٠٥م كان الدينار المطوق يساوي $\frac{1}{6}$ ١٢٠ درهم أي عشرين درهما . وفي «الأعلاق النفيسة» لابن رستة (طبعة دي خويه ، ليدن ١٨٩٢) وهو معاصر تقريباً ، يذكر أنَّ الدينار المطوق يساوى ٦٠ إلى $\frac{1}{6}$ ١٠٠ الدرهم ، أي ١٠ ــ $\frac{2}{3}$ ١٦ من الدرهم ، ويروي الهمداني في «الجوهرتين[١٦] العتيقتين» أنَّ ٢٠ درهماً قفلة من الفضة كان يعطي ديناراً مطوقاً . أما عندما انقطع معدن الرضراض سنة ٨٣٣/٢٧٠ فقد صارت الفضة بصنعاء إلى وقية بدينار مطوق ، أي عشرة دراهم فضة . وفي عام الحطمة (سنة القحط الشديد) سنة ٩٠٣/٢٩٠ عادت النسبة إلى دينار مطوق بعشرين درهم فضة . ويلحظ المرءُ مثلَ هذا التقلب في جداول جروهمان التي أوردها في كتابه السالف الذكر (ص ١٩٠ فما بعدها[١٧]) . ويساوي الدينار المطوق ٢٤ درهماً مُزَبَّقاًعند المقدسي . ويذكر البيروني الزيبق (أو المزبق) إلى جانب الدينار المطوق)، «الجماهر في معرفة الجواهر» تحقيق كرينكوف ، حيدر آباد ١٣٥٥ صفحة ٢٣٠ ، الترجمة الروسية لبليتسكي ، وللملاين لينجراد ١٩٦٣ ص ٢١٦) . ونقله المترجم بمعنى الدينار الزئبق أو المطلي أو المزيف ، وظن أن المطوق كما يفهم من السياق مأخوذ في معناه عن زيبق . على أن نص المقدسي ينبغي أن يقرأ (الدرهم) المزبق . أما معنى

مزبق هنا فلا أعرف غير أنه يصعب علي اعتبار اللفظ بمعنى مزأبق أو مزيبق ، إذ أنّ هذا النوع من النقود مزيف حقاً مثلها مثل المكحلة (قارن سوفير رقم ١٥٣ ، وكتاب «الجوهرتين» ص ٢٣٩ ، وكذالك مرتكية في المصدر نفسه). أما المزبقة التي تساوي المطوقة الذهب فهي عملة متداولة . بل تعد المطوقة من أجود النقود الذهبية التي سكت في الدولة الإسلامية . ومع ذالك فلربما كانت صيغة اللفظ (مزبق) هي في الأصل صيغة اللفظ (مطوق) نفسها كما سيأتي ، ومن الجدير بالذكر أَنَّ أبا مخرمة ذكر المطوقة أيضاً (أَلَّفَ كتابه في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، انظر : «تاريخ ثغر عدن» تأليف بامخرمة ، تحقيق لوفجرن ، أبسالا ١٩٥٠ ص ١٢٩).

لقد عُرِفَ منذُ زمن ليس بالقريب أن اسم المفعول مُطَوَّق مشتق من الفعل (طوق). فقد نقله سوفير إلى الفرنسية بمعنى مدور ، وترجمه دنلوب منذ عهد قريب فقال : يظهر أن معناه دينار بحلة أو طرف[١٨].

أما عن شكل الدينار المطوَّق فنفيد من مصدرَيْن أولاً : وصف الهمداني في كتاب «الجوهرتين» للنقود وصناعتها ، ولكن وصفَ الهمداني في ص ٢٣٤ تتعذر قراءته (في المخطوطة) مع الأسف : والطبع (على طوق على ثلثي طوق وعلى نصف طوق ، ماكان الدينار والدرهم أفسح من الطوق فحزَّ منه جميعاً ، وذو الثلثين ماوقعت حروفه في نصف الطوق فامتدَّ فصار تاماً ، وسمي المردود وذو النصف يكون قصيراً يأخذ حروفه أداني الطوق ، فإذا أمِدَّ في الحديد أخذ الطوق أكثر من نصفه إلى ثلثيه والمدوَّر حفرها). ويبدو أن الختم قد اتسع بغرض ضرب النقود ذات ثلثي الطوق ونصف الطوق ، ووفقاً لذالك فإنَّ مساحة سطح الدينار المطوق اتسعت بحيث صارت تقريباً بشكل الدنانير المعهودة ، رغم أنها أقلَّ وزناً منها بالثلث . ولهذا فإنه من الممكن أن يُفْهَم معنى المصطلح دينار مطوق كالآتي : دينارٌ محلًّى بطوق نتيجة الاتساع لدى الضرب .

وأخيراً نَوَدُّ أن ننقد النقود نفسها ، حيث نَعْرِضُ قائمةً للنقود اليمنية التي ضربت في الفترة بين (٢٢٢ ــ ٣٤٠) ونعرف من كتب النقود أوزانها وأقطارها .

وجميع هذه النقود ضُرِبَتْ في صنعاء باستثناء تلك التي ضربت في صعدة عام (٢٩٨):

السنة	القطر	الوزن	المصدر في كاتلوج النقود
٢٢٢	٢٢ مم	٣,٤٥ جرام	فهمي ٢٠٠٣
٢٢٤	١٩ مم	٣,٢٢٥ جرام	المصدر نفسه
٢٢٤	٢٠,٦ مم	٤,١٥٤ جرام	النقشبندي ١١٤١
٢٢٤	١٩,٤ مم	٣,٤٨ جرام	المصدر نفسه ب
٢٢٤	١٨,٥ مم	٣,٣٤ جرام	جي سي مايلز ، نقود اسلامية نادرة نيويورك ١٩٥٠ ، هوامش وأشكال ١١٨ ، ١٣٩
٢٢٨	١٩ مم	١,٨٧ جرام	فهمي ٢٠٤٧
٢٢٩	٢٠,٥ مم	٣,٤٨ جرام	مايلز ١٤٣
٢٣٧	١٩ مم	٣,١٧٥ جرام	ب م لين ــ بول ٩:٦٢، ٣١٧ ب
٢٣٨	٢٠ مم	٣,١٦ جرام	بولين ، نوتزل ١٤٦٢، مقصوص بشدة
٢٤٩	١٨ مم	٢,٨٧ جرام	ب ن لافوا ٩٧٣
٢٤٩	١٨ مم	٢,٩١ جرام	ب ن ٩٧٤
٢٥٦	١٧,٥ مم	٢,٩٥ جرام	برلين ١٥٢٧
٢٥٦	١٨ مم	٢,٩ جرام	ب ن ٩٩١
٢٥٧	٢٠ مم	٢,٩١ جرام	مايلز ١٥١
٢٥٩	٢٠ مم	٢,٩ جرام	المصدر نفسه ١٥٧
٢٦٥	٢٠ مم	٢,٩١٥ جرام	ب م ٩:٦٩، ٣٥٥ ك
٢٨٠	٢٠ مم	٢,٨٦ جرام	فهمي ٢٣٩٣
٢٨٣	١٨ مم	٢,٩ جرام	ب م ٣٧٨
٢٩٨	٢٠ مم	٢,٧٨٥ جرام	ب م ٣٦٠ ــ ٢٠٠

٢٩٨	٢١ مم	٢,٨٢ جرام	فهمي ٢٤٦٢ مقصوص
٢٩٨	٢١ مم	٢,٨٥ جرام	المصدر نفسه ٢٤٦٣
٢٩٩	٢٠ مم	٢,٨٢ جرام	مايلز ١٧٧
٣٠٤	١٧,٥ مم	١,٩٤٤ جرام	ب م ٩: ٧٥، ٤١١ ومايليه.
٣٠٦	١٧,٥ مم	٢,٩١ جرام	برلين ١٦٤٤
٣٠٧	١٨ مم	١,٩٥ جرام	ب م ٣٦٠ ـ ١٤٠
٣١٣	١٨ مم	١,٨٧٩ جرام	ب م ٣٦٠ ـ ١٤٥
٣١٤	١٨ مم	١,٩ جرام	ب ن ١١٢١
٣١٥	١٨ مم	١,٩٢ جرام	ب ن ١١٢٢
٣٣٥	١٨ مم	١,٨٧٩ جرام	ب م ٣٦٠ ـ ١٦٠
٣٣٨	١٨ مم	١,٨١٤ جرام	ب م ٣٦٠ ـ ١٦٣
٣٣٨	١٨ مم	١,٧٤٩ جرام	ب م ٣٦٠ ـ ١٦٤
٣٤٠	١٩ مم	١,٧٤٩ جرام	ب م ٣٦٠ ـ ١٦٧
٣٤٠	١٨ مم	١,٨١٤ جرام	ب م ٣٦٠ ـ ١٦٨

إن الوزن العادي للدينار (٤,٢٥ جرام) ولم يبلغ هذا الوزن أيٍ من الدنانير المذكورة في القائمة من الفترة ٢٢٢ ـ ٢٣٨، بل إن معظمها تقلُّ عن ذالك كثيراً. وقد استعمل الدينار المطوق بين عامي ٢٣٨ و ٢٤٩ وكانت بوزن الدرهم، أي (٢,٩٨ جرام). وبقي مقدار مساحته دون تغيير يذكر ـ وكان معدل تنقيص القطر (٠,٧٥ مم) وكانت النقود لاتنقص في وزنها عن الدرهم إلا قليلاً. وفي عام ٣٠٧ بدأت تَحلُّ الدنانير محل الدنانير المطوقة التي كانت تقل في وزنها عن جرامين وينقص قطرها ملمتر واحد. (في المتحف البريطاني وضعت النقود في الكاتلوج تحت عنوان «أنصاف الدنانير» ولكن النص على النقود هو: (ضرب هذا الدينار) وليس هذا النصف) ـ أما نقصان الوزن فلا يمكِن الحكم عليه دون أن تفحص النقود نفسها، فقد يكون بسبب الطَّرق الذي يُرِقُّها، كما يفهم من الهمداني، أو قد يكون بسبب تغيير العيار.

وأخيراً ينبغي ذكر ما أورده المقدسي من أن المطُوَّقة مساوية للعَشْرِيَّة «أحسن التقاسيم» ٩٩، قارن ابن حوقل BGA 2, 20 والنصّان ترجمها سوفير رقم ٩٠ ، فإن لوفجرن في دائرة المعارف الإسلامية مادة (عشر وكذالك النصوص العربية نفسها وثبت الألفاظ) ومبلغ العلم أن هناك دينارين عَشْرِيَّيْن فقط ، أحدهما من عام ٣٤٢ ووزنه ٢,٤٧ جرام (ب ن ١٢٦٨) والآخر من عام ٣٤٨ وقطره ١٦,٥ مم ووزنه ١,٣ جرام (ب م ٤٧٨) ولكن ذالك لايخرج عما ذكره المقدسي .

ولكن دي خويه اقتصر على القول أنه : DENARIUS MECCANUS وذالك في «معجم الألفاظ» لكتاب المقدسي (BGA 4:292) . ومعنى طوق عند LANE [أي في قاموسه] كل شيء يحيط بشيء آخر ، والطوق معروف كما قيل في المثل : كَبُرَ عَمْرٌو عن الطوق . أي لقد شبَّ عمرو ولم يعد يلبس طوقاً (راجع كتاب الجوهرتين ص ٢٠٢) . وزاد دوزي فقال : إن معناه حافة كأن يقال حافة الاسطرلاب ، حاشية قماش (دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أسطرلاب) ويشتق من طوق صيغة الفعل طَوَّق ، ومعناه حلي بطوق . وفي كتاب «شذور العقود» للمقريزي (تحقيق تيكسن) TYCHSEN ، روستوك (١٧٩٧ ص : ١٥ ، وتحقيق الكرملي في النقود العربية ، القاهرة ١٩٣٩ ص ٣٦). وَرَدَ مايلي : وطوق الدرهم على وجهه بطوق ، وكتب في الطوق الواحد . . . أي أن طَوْق في النقود تعني إطار يكتب عليه . وهذا المعنى يتكرر في كتاب «الجوهرتين» ص ٢٢٥ ومابعدها وص ٢٣١ ، ومازال يستعمل بهذا المعنى إلى اليوم مقابلاً للفظ مركز ومرادفاً للفظ هامش . راجع (ناصر محمود النقشبندي : الدينار الإسلامي في المتحف العراقي ـ الجزء الأول ـ بغداد ١٩٥٣/١٣٧٢ ص ٥٦ . وعبد الرحمن فهمي : «موسوعة النقود العربية» الجزء الأول ـ القاهرة : ١٩٦٥ عندما وصف النقود في الكاتلوج . وهذا يقودنا إلى السؤال : لماذا سُمِّي الدينار اليمني (المحلى بطوق) بالدينار المطوق؟ فالدنانير الأخرى يكتب عليها أيضاً؟ دعونا إذن ننظر في اشتقاق الكلمة وتطورها ، إذ يبدو أن لاعلاقة للفظ طوق بأيٍّ من الجذور العربية ، ومازالتْ صيغة فَعَّلَ تحمل المعنى المجازيَّ للفظة الأصلية كقولهم طَوَّقَهُ بالصعاب أو الثناء أو العِتَاب أو الطاقة . ويأتي من طوق بمعنى قوة من الفعل طوق وأطوق

(طاق ، أطاق) مامعناه أعطاه القوة أو مكنه ، والمطوق هو الممكن لعمل شيء . وقد جاء في كتاب «الجوهرتين» ص ٢١٩ مُطَوَّق بالنار مقابل صليب على النار ، وفي «الصفة» للهمداني ص ١٢٦ (تحقيق موللر — ي ٠ م) طائق / طاق اسم جبل . . . [؟ — ي ٠ م]

ويبدو أن الجذر طوق غير معروف في بقية اللغات السامية . وتقديري أن اللفظ صيغة مأخوذة عن الايرانية (طبق) من البهلوية «تابك» وهي في الفارسية الحديثة «تاب»(١٩) ومعناه في الأصل وعاءٌ مُدَوَّرٌ . قارن «تابيدن» يدور ويشبهُ إبْدَالَ الباءِ بالواو ، مانعرفه في لفظ كبكب > كوكب ، ويؤيد ذالك في السريانية طوقاً وطبقاً واللفظان في السريانية بمعنى واحد أي طبق .

وجاء في كتاب : GKOHMANN, EINFUEKUNG 183 أن (دينار) في اللغة القبطية أصله من اليونانية ومعناه : (بدائرة كاملة) ولهذا فان اللفظة الايرانية ربما كانت أيضاً نقلاً عن اليونانية .

٣ — سقـوم :

حسب علمي أن اللفظ (سقوم) ورد في كتابين عربيين فقط . جاء في كتاب «الجوهرتين» ١٧٦ مايلي : الوزن يصحُّ على وجهين : إما برأسينِ وإمَّا بسقوم . . وأما السقوم فأن لا يكون المالُ مما ينقسم مثل القطعة الواحدة ، والدينار الواحد ، والدرهم الواحد ، والوجه في ذالك أن تعمدَ إلى تلك القطعة من المال فتصيرها في الكِفَّة اليُمنى وتجعل مثقالها في الكفة الثانية ماتشاء من أوزان أو حديد أو حجارة أو ملح أو غير ذالك من الرصاص والِصُّفْر وما أمكن ، فإذا قام الملسن أو اعتدل عمود الشاهين ، واستوت ووقعت الكفتان منه أخرجت قطعة المال ونَظَرْتَ ما يقوم مقامه في الميزان من الأوزان المعروفة ، فما كان فهو وزنها بالصحة ، لأن قطعةَ المال تصير كأنها تلك الأوزان في كفتها ، والذي في الكفة الأخرى هو السقوم ، وبه شبهت رمانة القرسطون . . .

أما الكتاب الآخر الذي يرد فيه هذا اللفظ فهو «مقالة في الأوزان والمكاييل»

لإيلياء (إلياس بن سنايا) مطران نصيبين . وتوجد مخطوطات من هذا المؤلف في باريس BIBL. NAT. ARABE 206 BL. 164 B. - 184 B غير كاملة) و GOTHA (١٣٣١) والقاهرة (التيمورية، رياضة ٣٤١) وقد ترجم المخطوطة الباريسية هـ . سوفير إلى الفرنسية في مجلة GRAS. N.S. 9/1877, 293-311 وترجمة الفصول الناقصة في المخطوطة الباريسية عن مخطوطة GOTHA في مجلة GRAS. N.S. 12/1880, 110-125 جاء في مخطوطة باريس BL. 182a مايلي : (فإنْ كان السعر أقل من عشرة دراهم للدينار تركنا الكفة التي هي الرُمانة على ذالك المقدار من العمود ، وجعلنا في الكفة اللطيفة التي في الطرف الأطول من السقوم ما يعتدل معه الكفة الكبيرة والعمود . ثم تَجعل الذهب في الكفة التي هي الرمانة وتضع في الكفة الكبيرة من الدراهم ما يستقيم معه الوزن ويوازي العمود للأفق) .

وفي BL, 183a جاء أيضاً ما يلي : (ثم أخرج الدراهم من الكفة واعزلها واجعل الكفة التي هي الرمانة من العمود على علامة تمام مبلغ السعر ، وعَدِّلْها بالسقوم .) ويفهم معنى اللفظ من السياق ، فهو عند الهمداني الوزن الذي يكون في إحدى كفتي الميزان ويعادل تماماً الوزن الذي يكون في الكفة الأخرى من الذهب الموزون . وهو عند إيليا الوزن المقابل الذي يقوم به اعتدالُ الميزان ، أي الذهب الذي يوضع في كفة الميزان المتحركة ليستقيم معه الوزن ويوازي العمود للأفق لوضع عدد من كسر الدرهم على الِكفَّة المقابلة التي يجعل فيها السقوم .

ويبدو من قراءة حروف اللفظ المصوتة أنه لا لبس فيه ولا غموض . على أننا نجد في مخطوطة الهمداني (أبسالا رقم ٥٥١ ، كاتلوج تسترشتين ٢٠٤) أن اللفظ قد ورد مرتين بحروف مهملة سموم وثلاث مرات بأعجام القاف (سقوم). وفي مخطوطة إيليا جاء في المرتين السْقوم . ولي عود للحديث عن الضبط بالحركات ، إذْ أَنَّ قراءة اللفظ برفع السين ممكنة من حيث المبدأ . سَقِم وسَقُم ، والمصدر سَقْم وسُقْم وسقامة وسقام ، تعني في العربية مرض (انظر قاموس لاين و«اللسان») وليس في مصادر الفعل سَقوم . وفي (دوزي) سَقوم يعني جُمِّيز . وهو في (لاين) سوقم وفي ثبت لاندرج للهجة دثينة : سُقُم .

أي أن لفظتنا هذه يبدو وكأنها غير عربية . ولما كانت مصطلحات الأوزان إجمالاً تؤخذ عن اليونانية فإنه من الممكن افتراض أنَّ سقوم لفظ دخيل أُخِذ عن اليونانية وفعلاً يبرز لنا دون عناء لفظ يوناني (سكوما) ومعناه الوزن المعاير ، الوزن المقابل ، ويرد اللفظ في السريانية (سقوما بمعنى مقياس ، ويشتق منه الفعل (سقم) بمعنى قاس . وللفعل نفسه في اللغة المندائية (الصابئة) معنى آخر هو يوفي يتمم . ويتوقع المرء أن يصاغ من اللفظ اليوناني (سكوما) الصيغة العربية (ساقوم) وينبغي أن اللفظ سقوم أصله ساقوم ، وكان سوفير قد اعتبرها جَمْعاً سُقُوم ومفردها سَقْم ، ونقلها إلى الفرنسية بمعنى (أوزان صغيرة[٢٠]).

وكذالك وضع مثله ث . إبل في رسالته : «الميزان في العصور القديمة والوسطى» ، ارلنجن ١٩٠٨ ص ١٠٢ حيث ذكر أن معناها (قطع وزن صغيرة) إلا أن قول الهمداني : هو السقوم وبه شبهت رمانة القرسطون ، يدل على أن اللفظ مفرد وليس جمعاً .

وخلافاً للسريانية يبدُو أنه لم يُشْتَقَّ فعل من سقوم . كما أني لا أعرف الفعل سقم في العربية (في مايخص الفعل سقم في الدارجة انظر أدناه).

ويمكن أن يشتق المصدر (سقوم) من الفعل (سقم) ويكون في هذه الحالة فعلاً مزيداً من قام[٢١] ويؤدي معنى فعل التعدية (أقام) (مثل أقام وزنه) أي وزنه . انظر كتاب «الجوهرتين» ص ١٦٦ وما بعده ، ويتشابه أيضاً الفعلان استقام من سقم واستقام من قام ، وتعتبر بعض المزيدات بالسين هي في الأصل من صيغة استفعل[٢٢].

وتسمى عملية الوزن بالسقوم تقسيم (انظر كتاب «الجوهرتين» ١٦٩ ، ١٧٦ ـــ ويتبادر إلى الذهن أنه اشتق من سقوم المصدر تسقيم من الفعل المشدد سقَّم (كما جرى في السريانية) وهذا المصدر يستعمل عادة في تسمية الأعمال التقنية والفعل سقم موجود في اللهجة المغربية ، وفي اللغة سقم تعني نظَّم ومسقم تعني صحيح مستقيم[٢٣]. ويكون اسم العمل من سقم تسقيم . وإذا ما اعتد المرء أن

قلبا حدث في اللفظ فإن اللفظ (تقسيم) يبدو أقرب وأسهل ، علماً بأن معناه قد يوافق أيضاً المعنى في هذه الحالة .

٤ ــ الزرسيم :

يردُ في كتاب «الجوهرتين» لفظ لم يفهمه الناسخ فكان أن رسمه في مواضع عدة بأشكال مختلفة : ررسّم وررسّم ودرسم ودرسّتم .

وينبغي أن يُقْرَأَ اللفظ زرسيم ، فهو يتألف من كلمتين فارسيتين (زر) ومعناها ذهب و(سيم) ومعناها فضة . ونجد مثل هذا التركيب المزجي في السريانية ولكن يقصد به عادة الأول فيه .

ويتحدّد اللفظ قراءة واشتقاقاً من معرفة معناه . فإذا ما أراد المرء استخلاص المعدن النفيس من خام الذهب ــ الفضة ، يعمد إلى التلغيم بالزئبق . وإذا ما سخن المُلَغَّم هذا يقطرُ الزئبق ويتبقى خليط من الذهب والفضة ، ويسمى الهمداني ذالك بفضة الزرسيم ، وكذالك يحصل المرء على الزرسيم عن طريق عملية (الفصل) بالكبريت (كتاب «الجوهرتين» المقدمة ص ٢٨ ، ٣٠ = ٤٠ ، ٣٢ طبعة ثانية) . والزرسيم يقاوم النارَ ، ولكنه يَلِينُ تحتَ مطرقة الصائغ ، فالأساور والحجول التي تصنع من الزرسيم لاتعمر كثيراً بسبب ليونتها . أما الزرسيم الذهبية (الزرسيم مؤنث) فله درجة انصهار أعلى من فضة المعدن (الخام) ولا يحتاج المرء إلى أَنْ يُجَرِّبَهُ فهو يتنظف خلال عملية الفصل بالكبريت وينتج في الأصل عن فضة خالصة .

على أنني لم أعثر على هذا اللفظ في أيٍّ نص عربي آخر . فهو عند ابن بعرة سرسيم في كتابه «كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية» نشرة عبد الرحمن فهمي في القاهرة ١٣٨٥/١٩٦٦ ــ ص : ث ٥٣ ــ وهو عنده نتيجة لعملية الفصل بالملح . ولعل خليط الفضة هذا هو ماعناه ابن بعرة بقوله (فضة ذهبية) . الفضة التي تأتي من الذهب وتعود إليه . وإذا مابقي في معدنه فإنه حسب نظريته ليس إلا ذهباً غير ناضج (ابن بعرة ص ٥٤) .

ولكن الإِبْدَالَ بين الزاي والسين لا يحول دون تبين كل من اللفظين إذْ أنَّ مثل هذا الإبدال شائع في اللغة العربية . ونجد في كتاب «الجوهرتين» نفسه مثالين على ذالك . زحق (في ص ١٨٤) = سحق (في ص ٢٠٨ و ٢١٢) والمعنى (دَقَّهُ حتى صار ذرات) والتزاق (في ص ١٣٤) = التصق (راجع المصدر نفسه[٢٤]) .

ويزعم ايرين كروتيز في تحليله لكتاب ابن بعرة[٢٥]، وفي صفحة ٤٢٨ ، أن سرسيم (هكذا يقرأها) مصحفة من سر السيم أي جوهر الذهب أو لُبُّه ، واستشهد بما أورده ابن سيده في كتاب «المخصص» ٢٢/١٢ : سيم تعني ذهب . ومبلغ العلم أن ماأورده ابن سيده هو لفظ سِيَم جمع سامَةٍ وليس اللفظ سِيْم .

الحواشي :

١ ــ نشر هذا المقال بعنوان بعض المصطلحات العربية في المعايير والأوزان في مجلة ORIENTALIA SUECANA VOL. XVIII, UPPSALA (1970) .

٢ ــ نشر منقحاً في طبعته الثانية ضمن منشورات مشروع الكتاب ، بوزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ، باشراف د. يوسف محمد عبدالله (١٩٨٥) وسيكون المعول على هذه الطبعة في الاحالات الواردة في المقال ــ المترجم ــ .

٣ ــ مابين معقوفين من زيادة المترجم .

٤ ــ في الطبعة المنقحة : ماينقص : في كل مئة درهم قفلة درهم ، انظر ص(١٦٣).

٥ ــ H.L. FLEISCHER KLEIMERE SCHRIFTEN 2:1, LEIPZIG 1888, 44FF).
- FI GROHMAMM (SUDARABIEN ALS WIRTSCHAFLSGEBEIT, I, WIEN, 1922, 201 FUSSN. 1.
- SIFAT AL ARAB, HOSG. VAN D. H. MULLE, LEIDEN 1884, 1:194.

٦ ــ انظر اللسان وراجع الصيغة في (BROCHELMANN, GRUMDAIS I: 352)
(J. LEVY, NEUHEBR. UNEL CHALD. WORTERBUCH)٧

٨ ــ وقريب مما يرمي إليه الكاتب مايقال عادة في سجلات العقود والبيع والشراء : اشتراه بثمن قدره خمسون ريالاً حجراً أو صحيحاً . وقد لفت انتباهي الأخ المقدم علي المؤيد إلى أن اللفظ مستعمل في كتب الفقه ولا يزال يستعمل في أسواق الذهب بصنعاء إلى اليوم وفي الحالين يدل اللفظ على معيار وزن وليس مايراه الكاتب .

٩ ــ ARABIC AND ISLAMIC STUDIES IN HONOR OF H.A.R. GIBB, LEIDEN, 1965, 103).

١٠ ــ GROHMANN, EINFUHRUNG UND CHRESTOMATHIE ZUR ARABISCHER PAPYRUSKURDE, I, PRAHA 1952, 187.

١١ ــ هذا في طبعة ليدن ، وفي طبعة دار اليمامة ص ٣٥٠ .

من أعلام الدعوة الاصلاحية السلفية :

الشيخ محمد بن أحمد الحفظي

(١١٧٦/ ١٢٣٧ هـ)

محمد بن أحمد الحفظي :

نسبه : هو محمد بن أحمد بن عبدالقادر [الحفظي][١] بن بكري[٢]، يتصل نسبه بالشيخ العلامة . . . المشهور في البراري والبحور أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عُجَيْل[٣]، كانت أسرته تسكن بيت الفقيه بتهامة اليمن ، ثم نزحت (إلى قرية رُجال البلدة المعروفة في بلاد رجال ألمع)[٤]، (سنة واحدة بعد الألف)[٥].

---

١٢ ــ هذا في طبعة ليدن ، وفي طبعة دار اليمامة ص ٣٥٠ .

١٣ ــ كتاب «الجوهرتين العتيقتين» طبعة مشروع الكتاب ص ١٢٧ .

١٤ ــ (W. HINZ, ISLAMISCHE MASSE UND GEWICHTE, LEIDEN 1955, HO ERG. BD. 1: 1,1).

١٥ ــ (GALS 1:230, SIRAT IL. HADI), (VAN ARENDONK, DE OPKORNST VAN HET, ZRIDIETISCHE IMAMART IN YEMEN, LEIDEN 1919, 215 FUSSN. 10).

١٦ ــ المصدر نفسه ص ١٢٧ .

١٧ ــ مصدر سابق .

١٨ ــ الهامش رقم ٣ في STUDIA ISLAMICA 8/1957).

١٩ ــ راجع : (P. HORN, GRUNDIS NR 372, H. HUEBSCHMANN, PERSISCHE STUDIEN 46)

٢٠ ــ GRAS 9/1877, 311

٢١ ــ يتعدى الفعل في اللغات العربية القديمة (السامية) إما بزيادة الألف أو الهاء أو السين كقولك : أُحدث وهَحدث وسَحدث .

٢٢ ــ راجع BROCKELMANN, GRUNDRIS 1:522.

٢٣ ــ راجع M. BEAUSSIER, DIET. PRATIGUE ARABE – FRANC, AIS, ALGER, 1887 .

٢٤ ــ وانظر أيضاً /لزق /لسق/ لصق A. FISSHER IN WZKM 29: 433FF. وهناك أمثلة عديدة في BROCKELMANN, GRUNDRIS 1:156, H. FLEISCH, TRAITE, DE PHILOLOGIE ARABE 1:80, LANDBERG, GLOSSIARE DATINOIS 401, 1815, 1833 LANE سندوق /زندوق /صندوق .

٢٥ ــ BSOAS 15/1953, 423-447.

مولده : ولد سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م[٦]، وقيل سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م[٧] على اختلاف فيهما[٨]، ومع ذالك يمكن أن تُعَدَّ سنة ١١٧٦هـ هي السنة الحقيقية لمولد هذا العالم، لأنه تمَّ العثور على ورقة خطية تدل على مولده وأن أباه أحمد بن عبدالقادر الحفظي[٩] قد أرخ له فيها بسنة ١١٧٦هـ، إذ قال: (ولد الولدِ المبارك محمد بن أحمد بن بكري . . . ليلة الأربعاء لأربع وعشرين خلون من ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائة وألف)[١٠].

تعليمه : طلب العلم في صغره على يد والده أحمد بن عبدالقادر الحفظي[١١]، ثم ارتحل في سبيله إلى: صَبْيا، والقنفذة، والرجيع، وزَبِيد، وحضرموت[١٢]، وقد لبث في رحلته العلمية عشر سنوات[١٣]، (قضاها في الدرس والتحصيل العلمي)[١٤].

أعماله : اشغل بعد عودته إلى وطنه بالتعليم[١٥]، إذْ (أسس هو وأخوه إبراهيم بن أحمد الحفظي الزمزي مدرستين في قريتي: رُجَال وعثالف)[١٦]، وقد تولَّى من بعد ذالك القضاء في بلاد عسير، وكان ــ كما قال زبارة ــ: (المرجع لأهل جِهَته)[١٧].

شعره : يُعَدُّ محمد بن أحمد الحفظي من أبرز شعراء رجال ألمع، إذْ حفلت مصادر الفكر والأدب لتلك المنطقة بشيء من نتاجه الشعري. وكان كثير المشاركة بشعره في قضايا مجتمعه، وأحداثه السياسية، فقد ناصر حينذاك دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١٨] (١١١٥ ــ ١٢٠٦هـ)، وأيد القائمين عليها، وله في الدعوة إليها قصيدة، طالعها:

هَامَ الشَّجِيُّ وهَاجَ شَوْقُ المُمتلى   وَبَدَتْ صَبَابَاتُ ٱلغَرامِ الأَوَّلِ[١٩]

وكان كثير التأييد للقائمين على تلك الدعوة من أئمة آل سعود الأوائل، مثل: الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٢٠] (١١٦٥ ــ ١٢٢٩هـ) الذي قال فيه:

وَهَـذَا سُعُودٌ ذُو السَّعَـادةِ سَـاعِيـاً   يُجَـاهِـدُ لَمْ يَـرْدَعْـهُ بَـادٍ وحَـاضِرُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ   عَلَى صَهَواتِ الصَّافِنَاتِ يُغَامِرُ
ودانتْ لَهُ الأعْرَابُ بَعْدَ جَفَائِهَا   ودَالَتْ عَلَى الأمْصَارِ مِنْهُ عَسَاكِرُ
وطَهَّرَ سَاحَاتِ المحجَّةِ بَعْدَمَا   عَرَاهَا الأذَى وَهْيَ الطُّهُورُ الطواهر[٢١]

مؤلفاته: له عدد من المؤلفات المختلفة، أهمها: «تكملة الظل الممدود في الحوادث والوقائع في عهد آل سعود»[٢٢] و«اللجام المكين والزمام المتين»[٢٣] و«ذوق الطلاب في علم الإعراب»[٢٤] و«درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين»[٢٥] و«النفحات العنبرية في الخطب المنبرية»[٢٦]، وغيرها (من الرسائل والأجوبة المفيدة)[٢٧].

وفاته: توفي ـ رحمه الله ـ سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة بقرية رُجَال[٢٨] من أعمال تهامة عسير، وقد رثاه عدد من الشعراء[٢٩].

توثيق رسالتيه الآتيتين ووصفهما:

أولاً: توثيقهما: عُرف محمد بن أحمد الحفظي بِتأييده لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونصرته للقائمين عليها، فقد اعتاد مكاتبة الإمام سعود بن عبدالعزيز وأبيه وولده عبدالله بن سعود، خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وذالك قد يُطَمْئِنُ إلى وجود شيء من تلك الرسائل الإخوانية المخطوطة التي تم تبادلها بين الحفظي وولاة الأمر السعوديين، ولقد حفلَ كتاب: «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية»[٣٠] بشيء من تلك الآثار الأدبية التي تبين مدى ارتباط أولئك العلماء بأمراء الدولة السعودية في نَجْد.

ولعل مما يؤكد هذا القول، ويثبت نسبة هاتين الرسالتين لمحمد بن أحمد الحفظي قول مفهرس كتب آل الحفظي الموقوفة[٣١]: (ثم رسالة الوالد محمد[٣٢] إلى سعود[٣٣])، هذا إلى جانب ماورد في رسالة الحفظي نفسه إلى الإمام سعود، إذ قال: (سبق إليكم كتب صحبة الإخوان: رشيد، ومسفر)[٣٤]، وهذا كله يزيد في صحة نسبة هاتين الرسالتين للحفظي.

ثانياً: وصفها: يوجد أصل رسالة الحفظي إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز لدى المحقق، كما توجد صورة خطية لديه أيضاً من رسالة الحفظي إلى الأمير عبدالله ابن سعود ، وهذا يشير إلى أن الاعتماد في تحقيق هاتين الرسالتين يتمثل في أصل الرسالة الأولى ، وصورة الثانية ، وهما متشابهتان في رسم الحروف، وطريقة الكتابة ، إلى جانب تماثلهما في أسلوب التعبير، لولا اختلاف المقام بين الإمام سعود، وولده الأمير عبدالله ، فالحق أن الحفظيّ قد راعى هذا الجانب عند مخاطبتهما .

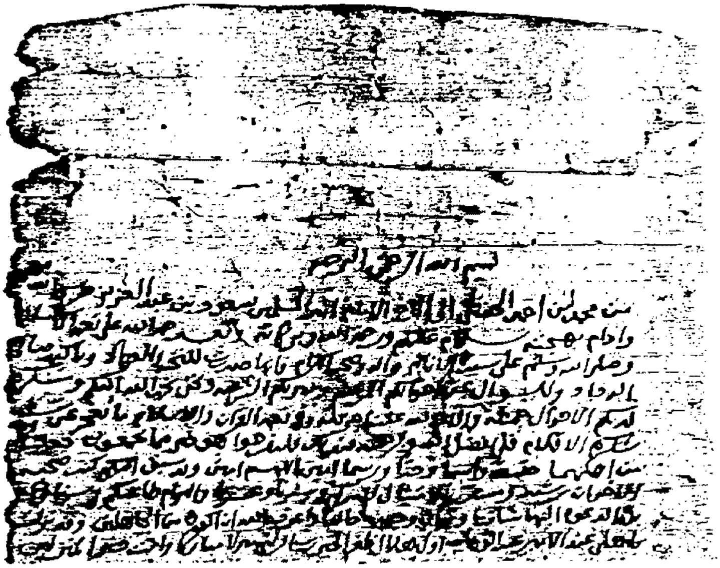
وتقع الرسالة الأولى في ١٩ سطراً ، في كل سطر ١٥ كلمة تقريباً ، وكانت مكتوبة بخط نسخي معتاد ، كما أنها تامة في كلماتها غير ناقصة فيها، وغير مسهبة في مضمونها، ولكنها لم تؤرخ ، ولم تختم بخاتم مرسلها، وإنما هي بالفعل مكتوبة بخط الحفظي نفسه ، نظراً لتشابه خطها بخطوط مؤلفات مرسلها ورسائله الأخرى .

أما الرسالة الثانية فتقع في ٢٣ سطراً ، في كل سطر ١٧ كلمة تقريباً ، ولم تسلم هذه الرسالة من التلف ، وبخاصة في آخرها ، إذْ طُمِسَتْ بعضُ كلماتها ، وكانت غير مؤرخة وغير مختومة بخاتم مرسلها ، ولكنها مكتوبة بخط نسخي معتاد، وتشبه إلى حد كبير الرسالة الأولى في طريقة الكتابة ورسم الحروف ، بالإضافة إلى أنها تضمنت معلومات مهمة لم ترد في الرسالة الأولى، وقد أفاد كاتبها من حاشيتها حيث كتب فيها بعض العبارات، نظراً لسعة مضمونها .

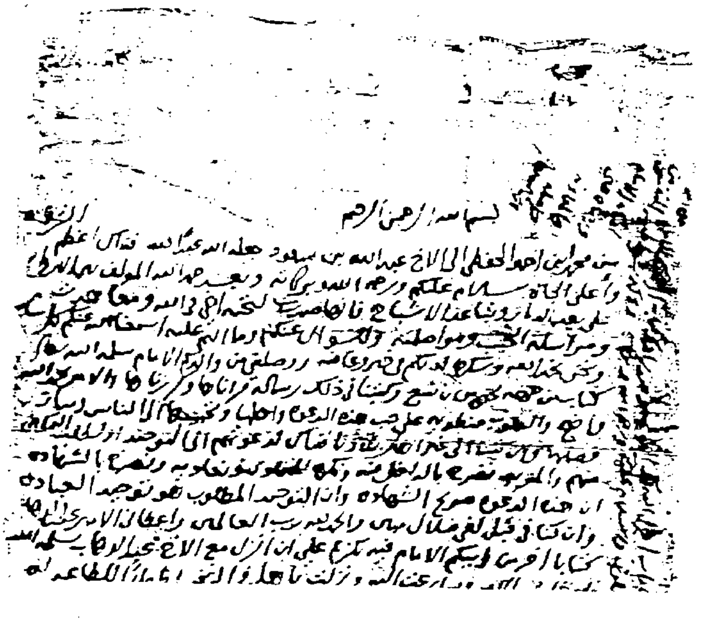
أولاً : رسالته إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١١٦٥ ــ ١٢٢٩هـ):

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أحمد الحفظي(٣٥) إلى الأخ الإمام أمير المسلمين سعود بن عبدالعزيز(٣٦) حرس الله مهجته ، وأدام بهجته ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: حمد الله على نعمته الإسلام ، وصلى الله وسلم على سيد الأنام، وآله وصحبه الكرام .


بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن احمد الحفظي الى الاخ الامام ... سعود بن عبد العزيز

من رسالة الحفظي إلى الإمام سعود بن عبدالعزيز


بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن احمد الحفظي الى الاخ عبدالله بن سعود

من رسالة الحفظي إلى الأمير عبدالله بن سعود .

فأنَّها صدرت للتحية والعهاد ، وتأكيد صافي الوداد ، وللسؤال[٣٧] عن أحوالكم المرعية، وسيرتكم الشرعية، ونحن نحمد الله إليكم ونشكره[٣٨] لديكم ، الأحوال جميلة ، وآلاء الله علينا جزيلة ، وفي نعمة القرآن[٣٩] والإسلام ما تعجز عن تسطير شكره الأقلام : ﴿قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٤٠]، جعلنا الله من أهلها حقيقةً واسماً وحـداً ورسماً آمين ، اللهم آمين .

وقد سبق إليكم كتب[٤١] صحبة الإخوان رشيد[٤٢]، ومسفر[٤٣] بالامتثال لأمركم في يسرنا وعسرنا ، والتزام طاعتكم في سِرِّنا وجهرنا ، بل الدعوة إليها شأننا، وبيان وجوبها حالنا ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وقد نزلتُ بأهلي عند الأمير عبدالوهاب[٤٤] أول هلال ظفر[٤٥] الخير: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزِلاً مُبَارَكاً وأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِين﴾[٤٦].

وبعد الإذْعان باللسان والأركان ، أرجو[٤٧] من الله اللطف في القضاء ، والسلامة من القضاء[٤٨]. وقد خلفت أبي شيخاً كبيراً[٤٩] وأولادي صغيراً وكبيراً ، مع ضعف الحال عن السكنى في تلك المحال[٥٠]، لعظم ضررها على الحلال ، وهذا أمر يشق علينا جداً ، فارفق بنا جزاك الله خيراً ، ومثلك لا يحسن لديه التطويل ، لمعرفتكم بما دلت عليه السنة ، وندب إليه التنزيل .

فارحم يرحمك الله ، واغفر يغفر الله لك ، وجوابك مطلوب عجِّل به جزاك الله خيراً ، وسابقْ إلى الخيرات بجمع الشتات ، ووالدنا الشيخ أحمد[٥١] وإخواني وأولادي يسلمون عليكم ، وسلم لنا على أولادكم الفضلاء[٥٢]، وآل الشيخ النبلاء[٥٣] ولازلتم في حفظ الله وحمايته ، وحسن رعايته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثانياً : رسالته إلى الأمير عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن[٥٤] أحمد الحفظي إلى الأخ عبدالله بن سعود[٥٥] جعله الله عبداً

لله ، فذاك أعظم الشرف وأعلى الجاه ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد: حمداً لله المؤلف[٥٦] بين الأرواح ، على بعد الديار ، وتباعد الأشباح :

فأنها صدرت لتحية أخي في الله ، ومعاهدته، ومراسلة[٥٧] الحبيب ومواصلته، وللسؤال عنكم ، وما أنتم عليه ، أسمعنا الله عنكم كل سارٍّ ، ونحن نحمد الله ونشكره[٥٨] لديكم في خير وعافية ، ووصلني من والدكم الإمام سلمه الله تعالى كتاب من جهة يحيي بن ناشع[٥٩]، وكتبنا في ذالك رسالة : قرأناها[٦٠] وكررناها والأمر بحمد الله واضح ، والقلوب منطوية على حب هذه الدعوة[٦١]، وأهلها، وتحبيبها إلى الناس، وبيان فضلها، وإن كتبنا إلى غير أهل بلادنا[٦٢] فذاك لدعوتهم إلى التوحيد ، أو لطلب التمكين منهم والمزيد ، نفرح بالداخل فيه ، ونكره المتمادي ونعاديه ، ونصرح بالشهادة أن هذه الدعوة صريح الشهادة ، وأن التوحيد المطلوب هو توحيد العبادة: وإن كنا ﴿مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٦٣]، والحمد لله رب العالمين .

وأعطاني الأمير عبدالوهاب[٦٤] كتاباً آخر من أبيكم الإمام فيه تلزيم عليَّ أن أنزل مع الأخ عبدالوهاب سلمه الله ، فامتثلت الأمر ، وسارعت إليه ، ونزلت بأهلي في الثغر ، اظهاراً للطاعة له والموالاة ، وإرغاماً لمن نابذه وعاداه ، ولكن أعلم ياأخي أن تلك البلاد غير مناسبة لنا ، بل يحصل منها ضرر نخشى منه الهلاك[٦٥] مع مفارقة الأهل والوطن ، ثم أبي شيخ كبير[٦٦]، وبِرُّهُ واجبٌ مقدم على الجهاد والنفير[٦٧]، ويلحقه بهذا ضرر بين ، وإلحاق الضرر به مني لأجل سفري عنه محرم إجْمَاعاً ، والأحاديث في فضل الرفق والشفقة كثيرة جداً ، وأنتم أهلها ومحلها ، وماجزاء مَنْ يُحِبُّ ألاَّ يُحب ، وأنتم أحبابنا وإخواننا ، وخيرتنا من أخلائنا[٦٨] ، ولم يحصل لنا منكم إلا الخير الكثير ، والحشمة والتوقير ، جزاكم الله خيراً آمين .

والحاصل إني أتوجه بك على أبيك أن يعاملني بالرفق ، وأن يَرُدَّنِي إلى وطني سالماً مسلماً ، فأنت تفضل اشفع لي عنده ، وادَّخِرْ هذا عند الله سبحانه ، وبالغ في هذا فإني . . .[٦٩] بصحبتك ، مغبوط بمحبتك ، وهذا أوان المنفعة مع طيبة

النفس ، وتفضل عليَّ بالجواب ، مقروناً بالبشارة بالعودة والإياب ، أجزل الله لك الثواب ، وصدر إليك كتاب إلى أبيك الإمام(٧٠) أيده الله ، وذالك بشرط طيبة النفس من أبيك الإمام ، ورضاه عني ، والمعاونة حاصلة إن شاء الله تعالى ، والجواب مطلوب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المصادر والمراجع :

أولاً : المخطوطات : ـ الحفظي ، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد . «نسب الفقهاء آل عجيل» ، نسخة مخطوطة ، توجد لدى عبد الخالق بن سليمان الحفظي بأبها .

ـ الحفظي ، محمد بن أحمد . «مجموعة أشعار الحفظي» ، نسخة مخطوطة ، توجد في قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، تحت رقم ٢٣٣٤ .

ـ ابن سعود ، عبدالله . «رسالته الخطية التي بعثها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده» توجد في مكتبة الحسن بن علي الحفظي الخاصة بأبها .

ـ عاكش ، الحسن بن أحمد . «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر» نسخة مخطوطة ، توجد في قسم المخطوطات ، المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود ، الرياض تحت رقم ١٣٣٤ .

ـ عاكش ، الحسن بن أحمد . «قمع المتجري على أولاد الشيخ بكري» ، نسخة مخطوطة توجد بمكتبة الحسن بن علي الحفظي أبها .

ـ مجهول ، بيان كتب آل الحفظي الموقوفة ، يوجد لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي في أبها .

ـ الورقة المخطوطة التي كتبت في تاريخ ولادة محمد بن أحمد الحفظي ، توجد لدى الباحث .

ثانياً : المطبوعات : ـ القرآن الكريم .

ـ ابن بشر ، عثمان . «عنوان المجد في تاريخ نجد» ، توزيع مكتبة الرياض الحديثة .

ـ البهكلي ، عبدالرحمن بن أحمد . «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» ، تحقيق محمد أحمد العقيلي ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز (٢٢) ، مط دار الهلال ، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م .

ـ جمعة ، إبراهيم . «الأطلس التاريخي للدولة السعودية» ، من مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

ـ الحفظي ، محمد بن إبراهيم . «نفحات من عسير» ، مط عسير ، أبها ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م .

ـ الحفظي، محمد بن أحمد. «اللجام المكين والزمام المتين»، تحقيق عبدالله أبو داهش، ط ١، مط مازن بأبها، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ـ أبو داهش، عبدالله. «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية»، ط ١، مط الشريف الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ـ أبو داهش، عبدالله. «الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية» منشورات نادي أبها الأدبي، ط ٢، مط الجنوب، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

ـ ابن زبارة، محمد محمد. «نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر»، مط السبفية، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م.

ـ ابن غنام، حسين. «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام»، ط ١، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، توزيع المكتبة الأهلية بالرياض، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ثالثاً: الدوريات: ـ الحفظي، عبدالرحمن بن إبراهيم. «مؤلفات آل الحفظي»، مجلة العرب، ج ٣، س ٨ (رمضان ١٣٩٣هـ)، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨.

الهوامش:

(١) هذا اللقب خاص بأحمد بن عبدالقادر بن بكري.

(٢) محمد بن أحمد الحفظي «اللجام المكين والزمام المتين» تحقيق عبدالله أبو داهش، ص ٩ ونسبه بعد بكري يتصل بمحمد (بن مهدي بن موسى بن جفشم بن عجيل بن عيسى بن حسن بن محمد بن أسعد بن عبدالله بن أحمد بن موسى بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل بن محمد بن حامد بن زرنوق بن وليد بن زكريا بن محمد بن حامد بن معزّب بن عبيد بن محمد الفارس بن زايد بن ذؤال بن غالب بن عبدالله بن علك بن عدنان) الحسن بن أحمد عاكش «قمع المتجري»، ورقة ٥، ٦.

(٣) الحسن بن أحمد بن عاكش «قمع المتجري» ورقة ٥.

(٤) المصدر نفسه، ورقة ٢.

(٥) «نسب الفقهاء آل عجيل» ورقة ١.

(٦) ورقة خطية، توجد لدى المحقق.

(٧) محمد بن إبراهيم الحفظي: «نفحات من عسير» ص ٤٤.

(٨) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ١١، ١٢.

(٩) ولد سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٧م بقرية رُجَال بتهامة عسير، طلب العلم على يد والده، وعمه عبدالهادي، ثم هاجر في سبيله إلى زبيد، ولما عاد إلى وطنه اشتهر بالتقوى والصلاح، فأقبل عليه طلبة العلم من أرجاء عسير، وبعض بلدان تهامة، توفي سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م، انظر عقود الدرر لعاكش، ونيل الوطر لزبارة.

(١٠) ورقة خطية، توجد لدى المحقق .
(١١) الحسن بن أحمد عاكش «عقود الدرر» ورقة ١٠٤ .
(١٢) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ١٣ .
(١٣) محمد بن إبراهيم الحفظي، كتابه السابق، ص ٤٤ .
(١٤) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ١٣ .
(١٥) الحسن بن أحمد عاكش، كتابه السابق، ورقة ١٠٤ .
(١٦) عبدالله أبو داهش، «الحياة الفكرية والأدبية بجنوبي البلاد السعودية، ص ٦٨، ٦٩ .
(١٧) نيل الوطر، ج ٢، ص ٢٢٥ .
(١٨) من بني تميم، أسرة آل مشرّف ، ولد سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م بالعُيَيْنة بنجد، وتلقى تعلميه فيها، إذ حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من عمره، وقد حَجَّ وهو في الثانية عشرة من عمره، ثم هاجر في سبيل العلم إلى: المدينة المنورة ، والأحساء ، والبصرة، وعاد من بعد ذالك إلى حريملاء ، إذْ أخذ يباشر دعوته الإصلاحية، ناصره أمير العينية في سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م، حيث مال إلى دعوته، ولكنه لم يلبث أن تخلى عنه ، فهاجر إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، حيث ناصره أميرها حينذاك محمد بن سعود، وسعى في نشر هذه الدعوة والدفاع عنها، وظل هذا التأييد مستمراً في الأسرة السعودية بعد وفاة الإمام محمد بن سعود سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م، ولقد أظهر إلله هذه الدعوة ونفع بها الناس فانتشرت خارج الجزيرة العربية وداخلها، وقد توفي صاحبها سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م، انظر تاريخ نجد لعثمان بن بشر، و«روضة الأفكار والأفهام» لحسين بن غنام .
(١٩) الحسن بن أحمد عاكش: «عقود الدرر» ورقة ١٠٥ .
(٢٠) ولد هذا الإمام سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م ، تلقى تعليمه على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيره من مشايخ الدرعية، أولاه والده عبدالعزيز ثقته فباشر المعارك، وقاد السرايا منذ سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م ، تولى الإمامة عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م ، توفى سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٣م ، انظر «الأطلس التاريخي للدولة السعودية» لابراهيم جمعة ، ص ٦٤ .
(٢١) مجموعة أشعار الحفظي، ورقة ٤ .
(٢٢) توجد نسخة منه لدى محمد بن عبدالله آل زلفة .
(٢٣) حققه عبدالله أبو داهش سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
(٢٤) حققه عبدالله أبو داهش سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٢٥) توجد منه نسخة خطية في المكتبة المركزية ، قسم المخطوطات ، جامعة الملك سعود .
(٢٦) عبدالرحمن بن إبراهيم الحفظي ، «مؤلفات آل الحفظي»، مجلة العرب، ج ٣، س ٨، رمضان ١٣٩٣هـ، ص ٢٣٧ .
(٢٧) محمد بن أحمد الحفظي، كتابه السابق، ص ٢٥ .
(٢٨) من قرى رجال ألمع بتهامة عسير .
(٢٩) مثل: يحيي بن علي بن زغدين الزيلعي . انظر: «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» ، ص ٥٦١ .
(٣٠) للمحقق .
(٣١) يوجد هذا الفهرس لكتب آل الحفظي لدى عبدالخالق بن سليمان الحفظي بأبها .
(٣٢) محمد بن أحمد الحفظي (١١٧٦ ــ ١٢٣٧هـ) .
(٣٣) سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٦٥ ــ ١٢٢٩هـ) .
(٣٤) انظر الرسالة نفسها .

(٣٥) لقب أحمد بن عبدالقادر بن بكري .
(٣٦) انظر ترجمته في هامش ٢٠ .
(٣٧) في الأصل: (للسوال) .
(٣٨) في الأصل: (نسكره) .
(٣٩) في الأصل: (القرآن) .
(٤٠) الآية ٥٨ سورة يونس .
(٤١) رسائل .
(٤٢) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر .
(٤٣) لعله الشيخ: مسفر بن عبدالرحمن الدوسري الحنبلي، انظر ترجمته في كتاب «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية»، ص ٩٨ ، ١٥٥ .
(٤٤) عبدالوهاب بن عامر المتحمي أمير عسير في الفترة: (١٢١٥ ـ ١٢٢٤هـ)، من أشهر أمراء عسير موالاة للدولة السعودية الأولى، وتأييداً لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .
(٤٥) أراد شهر صفر .
(٤٦) من آية ٢٩ سورة المؤمنين .
(٤٧) في الأصل: (أرجوا).
(٤٨) كذا في الأصل.
(٤٩) أراد أباه أحمد بن عبد القادر الحفظي المولود سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٧م .
(٥٠) لعله أراد عسير، وعلى وجه الخصوص بلدة طَبَبَ: بيت الإمارة ، ومعقل الدعاة العسيريين .
(٥١) أحمد عبد القادر الحفظي .
(٥٢) في الأصل: (الفضلا) .
(٥٣) في الأصل: (النبلا).
(٥٤) في الأصل: (ابن) .
(٥٥) تولى الإمارة بعد أبيه سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م . وكانت البلاد عندئذ تموج بحملات محمد علي وأبنائه المتكررة ، إذ ظل الحرب سجالاً بينهم وبين أمراء الجزيرة العربية حتى سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م تاريخ سقوط الدرعية ، وقد أسر هذا الأمير ، وأرسل إلى مصر ثم إلى الأستانة حيث قتل فيها ، وكان هذا الأمير على علاقة وطيدة بأمراء عسير، وعلماء رجال ألمع بتهامة ، ويدل على ذالك رسالته إلى الشيخ محمد بن عبدالهادي بن بكري أحد علماء هذه المنطقة المشهورين، ومنها :

(من عبدالله بن سعود إلى الأخ محمد بن عبدالهادي وأولاده سلمهم الله تعالى .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : ـ

وصل الخط وصلكم الله رضوانه، وماذكرتوا من نصر الله للإسلام وأهله ، فإنه المحمود على ذالك . . . [والذي] نوصي به أنفسنا ونوصيكم به بتقوى الله وبالدعوة إلى الله ، قال تعالى: «ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين» ، فأنتم اجهدوا في حث الناس وأمرهم بما يصلح دينهم ودنياهم. و[أرجو] أن يستعملنا وإياكم في طاعته . . .) .
(٥٦) في الأصل: (المؤلف) .
(٥٧) في الأصل: (مراسلة) .
(٥٨) في الأصل: (نسكره) .

أديب أحسائي مغمور :

ـ ١ ـ

عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّرٍ

هذا الأديب الذي سأتحدث عنه لم أجِدْ له فيما بين يديَّ من المؤلفات التي تصدت للحديث عن علماء بلادنا وأدبائها وشعرائها أيَّ ذكرٍ ، بل لم أر اسمه مذكوراً في شيء منها ، مع أن له من المكانة العلمية ماليس لكثير من أدباء أهلِ عصره ، فقد ساجل أشهر شعراء اليمن ، وتصدَّى للرد على عالم ذالك القطر العلامة محمد بن علي الشوكاني ، مما دفع هذا العالمَ إلى أن يُؤَلِّفَ رسالة في الرد عليه ــ في مسألة علمية سيأتِي إيضاحُها ــ ويرجع الفضل في ذكر هذا الرجل وإبْرازِ جوانِبَ من أدبه وعلمه ــ يرجع لعالِمَيْنِ يَمَنِيَّيْنِ كانا معاصِرَيْنِ له .

أحدهما: لطف الله بن أحمد بن لطف الله جَحَّافٍ الصنعاني المولود في شعبان سنة ١١٨٩ والمتوفي فيها سنة ١٢٤٣ وهو من تلاميذ الإمام الشوكاني ، وقد ترجمه في كتابه «البدر الطالع» كما ترجمه السيد محمد محمد زَبَارَة وغيره من علماء اليمن .

---

(٥٩) قال عنه البهكلي في معرض حديثه عن عبدالوهاب بن عامر المتحمي : (وأمر عليهم يحيي بن ناشع أحد قواد قومه وفقهائهم وأهل الرأي فيهم): «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» ٢٠٧ .

(٦٠) في الأصل: (قرناناها) .

(٦١) دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية .

(٦٢) يشير إلى: المخلاف السليماني، واليمن وغيرهما .

(٦٣) من آية ١٦٤ سورة آل عمران .

(٦٤) عبدالوهاب بن عامر المتحمي ، أمير عسير في هذه الفترة .

(٦٥) لعله أراد الظروف المناخية .

(٦٦) والده: أحمد بن عبد القادر الحفظي .

(٦٧) لعله هنا أراد حديث رسول الله ﷺ في هذا المعنى .

(٦٨) في الأصل: أخلابنا .

(٦٩) الكلمة هنا غير واضحة في الأصل .

(٧٠) يشير إلى الرسالة السابقة .

أبها، كلية اللغة العربية والعلوم   د. عبدالله بن محمد أبو داهش

والعالم اليمني الثاني هو يحيى بن المطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد الحسني الصنعاني المولود في جمادى الأولى سنة ١١٩٠ والمتوفي في شوال سنة ١٢٦٨ ، وهو ممن ترجمه الشوكاني وغيره .

أما لطف الله فقد اجتمع بعبدالله بن المبارك حين قدم إلى صنعاء في وفدٍ أرسله الإمام سعود إلى إمام صنعاء المنصور ، ونقل عنه في كتابه «درر نحور الحور العين» كثيراً من أخبار الدعوة السلفية ، وعن ترجمة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، كما نقل عنه من أخبار ذكر أولاد الشيخ محمد مايدل على عُمْقِ مَعْرِفَةٍ بِهِمْ ــ انظر «العرب» س ٧ ص ٤٥ ــ فهو لما تكلم على الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد قال: قال ابن المبارك فيما كتبه إليَّ عنه : هو رجل متضلع من حفظ متون الحديث وعقائد الناس ، وله مشاركة في علم اللغة والنحو والفقه ، وله أخ يسمى علي بن محمد بن عبدالوهاب وهو رجل عالم بتفسير كتاب الله تعالى ، يحفظ أقوال السلف ، وله مشاركة في علم الحديث والفقه والعقائد ، وهو أشدُّهُمْ ورعاً وأقواهم في دينه ، ولهما أخ يسمى ابراهيم بن محمد بن عبدالوهاب هو رجل خرج من ديوان العلم إلى ديوان التجارة ، وله أموال عديدة ، ولا يخلو من مشاركة في العلم قليلة ، وله أخ يسمى حسين بن محمد بن عبدالوهاب رجل ضرير ، مُتَوَلٍّ للقضاء في ذالك المكان ، قرأ في الفقه والنحو وشارك في علم الحديث والتاريخ ، أربعتهم أخذوا عن أبيهم ولا أعلم لهم شيخاً غيره . إلى أن قال عن سليمان بن عبدالله بن محمد: قال ابن المبارك في آخر مكتوبه إليَّ: وبيني وبين سليمان صحبة متأكدة .

فكأن عبدالله بن المبارك كان يكاتب المؤرخ اليمنيَّ بأخبار الشيخ وأبنائه ، كما يفصل له أخبار آل سعود ، كما قال جحاف أيضاً : وكتب إليَّ ابن المبارك مفصلاً لأحوال أولاد عبدالعزيز ، فذكر سعود بن عبدالعزيز وقال : إنه ولد سنة ١١٦٣ ، ثم ذكر لي أولاد سعود فقال :

عبدالله بن سعود وهو أكبر أولاده وأعقلهم والمترشح للخلافة بعده ــ بهذا اللفظ ــ والغالب عليه محبة العلماءِ وأهلِ الصلاح .

ومنهم تركي بن سعود ، رجل لا يخلو من ذكاءٍ ، وخفة ونظرٍ ، وحِدّةٍ ، والغالب عليه محبته للشرف والرئاسة والأدب الجُمْلي .

وذكر ولده مشاري ، وهو رجل يغلب عليه حبُّ الرماية بالبنادق ، وهو صالح في نفسه .

ومنهم فيصل بن سعود ، قال ابن المبارك : ولا أعلم من حاله شيئاً .

ومنهم ناصر بن سعود أبعدهم همة (أنف في السماء . . .) كثير الاصطناع للمعروف .

ومنهم ابراهيم بن سعود ، قال ابن المبارك : وهو قليلُ المخالطة للناس ، ولهم فيه رغبة لذالك .

ومنهم فهد بن سعود ، تخفى عليَّ كثيرٌ من أخلاقه إلا أنه يقال : إنه أحظاهم عند أبيه .

ومنهم سعد بن سعود ، وهو أجملهم خَلْقاً ، وأبهجهم منظراً ، وله همة بعيدة .

ومنهم عبدالرحمن ، قال : وهو صغير لايُدْرَى خيرُهُ من شَرِّهِ .

ومنهم عمر بن سعود : وهو كذالك إلا أنه حظيٌّ عند أبيه ، فهذا خبر ابن مبارك .

أما يحيى بن المطهر فقد أورد في ديوانه «الأسلاك اللؤلؤية والآداب اليحيوية» مساجلاتٍ شعرية بَيْنَه وبين ابن المبارك ، ونماذج من رسائل من إنشائه حين قدم صنعاء في الوفد الذي بعثه سعود إلى إمام صنعاء في ذالك الوقت سنة ١٢٢٢ ووصفه قائلاً : وعبدالله بن المبارك أعرفهم بالآلة ، وله ملكة في الأدب وهو المنشيءُ لما تقدم ، وأصله من الحساء .

ونقل عنه خبر استيلاء سعود على الأحساء ، وأُخْذِ بعض مشاهير البلاد معه إلى الدرعية ومنهم عبدالله بن المبارك هذا .

ومعروف أن استيلاء سعود المرة الأخيرة على الأحساء كان عام ١٢١٠ ، على ماأوضح ذالك ابن بشرٍ وقبله ابن غنام ، ويذكر ابنُ بشر أن سعوداً أمسك رجالاً من رؤساء أهل الأحساء منهم علي بن حمد آل عمران ، ومبارك ، ومحمد العدساني ، القضاة ، ورجال كثير غيرهم ، وأسكنهم الدرعية . ولكن مباركاً ــ ورد في الطبعة الأولى من تاريخ ابن بشر مُحرَّفاً (بريكان) ــ وهو الشيخ مبارك بن علي ، جَدُّ الأسرة المباركية المشهورة بالعلم والفضل إلى عهدنا هذا ــ انظر «العرب» س ٨ ص ٦٦٧ ومابعدها .

وما أرى صاحبنا عبدالله بن المبارك من أولئك الأعيان الذين أحضرهم سعود من الأحساء لإجبارهم على الإقامة في مدينة الدرعية ، ولكنني أرى أنه أُحْضِرَ للاستفادة من علمه وأدبه ــ كشيخه ابن غَنَّام ــ وإلا كيف ساغ لسعود أن تبلغ ثقته به إلى أن يبعثه في الوفد الذي بعثه إلى صاحب صنعاء ، ويؤيد هذا أنه كان المتولي لإنْشاء الرسائل التي بعثها الوفد إلى رجال حكومة صنعاء إبَّانَ تلك الوفَادَة .

وَوَصْفُ المؤرخ اليمني السيد جحاف لابن المبارك حين تحدث عن الوفد بأنه من تلاميذ الشيخ حسين بن غنام يؤيد أن الرجل كان على جانب عظيم من العلم والمعرفة ، وأنه على مشرب شيخه ، وكذا قوله: نقله من الأحساء لمعرفته .

وهاهو ملخص ماذكر من أحواله ، قال في ذكر حوادث سنة ١٢٢٢ : وفي أواخر جمادى الآخرة وصل رُسُلُ مُتَوَلِّي نجد بلاد كوكبان ، واستقروا بحضرة شرف الدين فأكرمهم ، وفيهم رجلان من علمائهم ، أحدهما عبدالعزيز بن أحمد ابن ابراهيم بن عبد الوهاب ــ وساق نسبه وأثنى عليه بالعلم ، ووصفه بأن مادعى إليه ابن عبد الوهاب قد خالط عظامه ودمه ، وذكر أنه اعتنى بنسخ تفسير ابن كثير في صنعاء ، قال: والعالم الآخر هو عبدالله بن مبارك بن عبدالله بن حمد بن راشد بن بُشَيِّر ــ مصغراً مشدَّد الياء التحتانية ــ لايتجاوز في عد نسبه بُشَيِّر ، وهو من بيت وزارة لملوك الأحساء ، ولي الوزارة لثلاثة من كبراء الأحساء ، لسعد بن عريعر ، ولعبد الله بن عبيد الله ، دخل هذا بلاد الهند فَجَابَها ، ورحل إلى ممالك الفرنج فتعلم هنالك صنايع عديدة كالصياغة والخياطة والإسكافة والبناء

وغيرها ، وكان شاعراً ودخل العراق ، فحظي عند ملوكها هذا وهو في الشباب ، ثم عاد إلى الأحساء ، وهي محل ولادته فوزر لمن ذكرنا ، وهم أَهْلُ بيتٍ مَدَنِيُّون ، رمى بهم الزمان من المدينة إلى الأحساء ، وكان هذا المترجم له ممن دخل تحت ولاية سعود عام أخذِهِ للأحساء ، فنقله عنها لمعرفته ، فإنه كما خبرناه له معرفةٌ تامَّةٌ بالتجويد والصرف ، وهو مالكيُّ المذهب ، عارفاً بمذهب مالك ، أتم المعرفة أديباً ظريفاً لطيفاً خفيفاً ، فيه رِقَّةُ أهلِ الحضر وسلاستهم ، مع رصانة وتُؤَدَةٍ وحذْقٍ باهر ، جهير الصوت ، طويل القامة ، بطيء الحركة ، كثير الصمت ، بعينه نُقْطَةُ بياضٍ من الجدري ، له يدٌ في الأدب طولى . وقال أيضاً : وقد أخذ ابن المبارك عن الحسين بن غنام علم الفقه والنحو ، وقليلاً في الحديث وعلم البيان ، وشيئاً من المنطق ، وعن عبدالوهاب بن غنام في «الرسالة» لابن أبي زيد في فقه مالك وفي «شرح الألفية» لابن هشام في النحو عن الحسين بن راجح في «تلخيص المفتاح» وفي «عقود الجمان في المعاني والبيان» وعن عثمان بن خضروه في «التصريح» لخالد بن أبي بكر الأزهري ، ولم ينقل لنا أحدٌ شيئاً من تراجم هاؤلاء المشايخ ، وأكبرهم شهرة الحسين بن غنام وهو الشيخ حسين بن أبي بكر بن عبدالله بن غنام . قال ابن المبارك : هذا النسب محفوظ عنه ، وهو إمام فاضل متضلع من علم الفقه ، يُؤْتَى بالمسألة الفقهية فيسرد فيها أقوالاً وتعليلات لا يتمكن الإنسان من نقلها ، برع في علم اللغة ونبغ في علم النحو ، وملك أَزِمَّةَ عِلْمِ الأصول والحديث ، وتصدَّر للإفتاء والتدريس وهو في ثلاث وعشرين سنة بالأحساء ، مولده عام اثنتين وخمسين بعد مئة وألف ، وله في الإنشاء يدٌ طُوْلَى ، وله القصيدة الطائية التي نقلها الناس .

وأما عبدالوهاب بن غنام فهو أخو الشيخ حسين ونسبه ظاهر ، متضلع من فقه مالك ، وأما الحسين بن أبي بكر بن محمد بن راجح فمتضلع من علم المعاني ، مشارك في النحو والفقه ، وأما ابن خَضْرَوَه فهو علي بن خضروه بن علي بن عثمان . قال ابن المبارك : وهذا النسب محفوظ عنه وهو أحسائي لايُجَارَى ولا يبارى في علم الفقه والنحو ، لَيْسَ إلاَّ وهو في هذا العام قاضي الأحساء .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

حول مقال :

المدارس الإسلامية في اليمن

[بعث إلى «العرب» أحد الاخوة من صنعاء هذا التعليق على المقال الذي نشرته العرب ـ ج ١ ، ٢٠ س ٢٢ ص ٩٣ ـ للصديق العالم الجليل القاضي اسماعيل الأكوع .

وتنشر المجلة تعليق الدكتور سيف النصر إذ ذالك من حقه ليعرف القراء رأيه في الموضوع كما عرفوا رأي القاضي اسماعيل] .

إلى القاضي اسماعيل الاكوع :

فضيلة القاضي رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب حينما صدر بحثنا عن المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية بمجلة «الإكليل» في عددها الأخير الصادر في خريف عام ١٩٨٥ ، علمت أن لكم عليه تعليقاً سينشر في مجلة «اليمن الجديد» وقد أسعدني هذا ، إذ أن من طبيعة البحث العلمي أن يكون موضع حوار يزيده ثراء ويضيف إليه رؤية جديدة أو يصحح ما وقع فيه الباحث من أخطاء وجل من لا يخطىء .

وتوقعت أنه سيثري هذا البحث بمزيد من علمكم وفضلكم ، وصدر عدد مايو ١٩٨٦ من مجلة «اليمن الجديد» وبه تعقيب على ماكتبته عن المدارس اليمنية ، وقرأت تعقيبكم آملاً أن أجد فيه من العلم والمعرفة والتوجيه ما يتناسب مع علمكم وقدركم وموقعكم ، وقد فوجئت بأن ماكتبتموه لا يمت إلى العلم أو النقد العلمي من قريب أو بعيد ، إنما هو حشد من السباب والألفاظ المتدنية التي لا أحسب أنها تتناسب مع علمكم فضلاً عن سنكم وموقعكم على رأس هيئة الآثار اليمنية .

وعذراً ياسيدي إذ لم أستخدم فيما أكتبه ما سبقتم إلى استخدامه من ألفاظ فمازلت أعتقد أننا في حوار علمي له أصوله وقواعده التي لا أظن أنكم تجهلونها ، بالإضافة إلى التزامي كأستاذ جامعي بالموضوعية وعفة القلم واللسان وهي أول ما

ألقنه لأبنائي من الدارسين من أصول وقواعد النقاش والحوار العلمي التي لا يجب أن نحيد عنها تحت كل الظروف .

فالعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الاخفاق وقبل أن أبدأ نقاشي لما أوردتموه حول بحثي من تعقيب (عذراً من شتائم وسباب تمس شخصي أكثر مما تتعلق بالبحث العلمي) أود أن أشير إلى نقطة غفلتم أو تغافلتم عنها وهي أنني مدرس للآثار الإسلامية بقسم الآثار بجامعة صنعاء ولست مدرساً للتاريخ الإسلامي بقسم التاريخ ، وليس في ظني أن تجاهلكم لقسم الآثار مما يضيره أو يسيء إليه ، فقد صار يافعاً تفخر به جامعة صنعاء رغم حداثته كما يثير حسد الحاسدين مما لا يعملون ولا يريدون أن يعمل غيرهم وصار متحفه معلماً من المعالم الحضارية لليمن ، وقد كان لي شرف المساهمة في إنشائه وبنائه وشرف تدريس مادة العمارة الإسلامية في اليمن وفي أنحاء العالم الإسلامي لكل خريجي هذا القسم منذ إنشائه حتى اليوم .

ولما كان قلمكم قد تجاوز حدود النقد العلمي العفيف والبريء عن الهوى فقد كشف عما في النفوس .

ولما كانت غرابة ماكتبتم مثار تساؤل ودهشة للكثيرين فإني أود أن أوضح للقراء بعضاً من الأحداث التي قد تسهم في تقديم تفسير ولابد لي أن أسجل واقعة جرت منذ خمس سنوات حينما بدأت عملي في جامعة صنعاء طلب مني أن أدرس مادة العمارة اليمنية في العصر الإسلامي ، ولما لم تكن هناك أبحاث منشورة أو حتى إشارة إلى العمارة اليمنية في الكتب والمراجع التي تتحدث عن العمارة في العالم الإسلامي ، فقد كان أول الحلول المطروحة هو أن ألجأ إلى هيئة الآثار اليمنية حتى أجد بها من المعلومات والمخططات أو الصور والشرائح ما يمكنني من أداء عملي وافادة طلابي من أبناء اليمن وكانت المقابلة الأولى لي مع فضيلتكم ، وقمت ومن صحبني من الطلاب بتوضيح الأمر لكم، وقد صدمتني إجابتكم القاطعة بأنه ليس لديكم أي شيء من أبحاث أو تخطيطات أو غيره مما يمكن أن أستعين به في مهمتي ولازلت أذكر إجابتكم بنصها: (الهيئة مازالت حديثة عمرها اثنى عشر عاماً

فقط !!! وليس لدينا ما يمكن أن نساعدكم به) .

وقد اضطررت إزاء ذلك إلى أن أطلب تأجيل مادة العمارة اليمنية في العصر الإسلامي إلى الفصل الدراسي الثاني حتى أتمكن من القيام بجولة في بعض أنحاء اليمن تمكنني من الالمام ببعض خصائص العمارة اليمنية . ودهشت بعد ذلك حين رأيت البعثات الأجنبية تلقى كل عون ومساعدة من الهيئة ، وعلمت أن كل جريرتي أني ولدت ببشرة سمراء ولسان عربي وأن المساعدات قاصرة على أصحاب البشرة البيضاء الصافية والشعور الصفراء والعيون الملونة ممن يتحدثون غير العربية ، وأدركت أنه خطأ لا يمكنني تداركه أو إصلاحه ورغم ثقتي بتبنيكم لهذا التوجه فقد كررت المحاولة مرات ومرات كتابة وشفاهة بلا جدوى .

وآخر هذه المحاولات طلب رسمي تقدمت به عن طريق القسم مدعماً برجاء من الجامعة لتصوير مخطوطة من كتاب مقامات الحريري محفوظة بمكتبة الجامع الكبير وهي مزوقة بالتصاوير من عمل مصور يمني صنعاني ، ورغم توضيحي لكم شفاهة وكتابة أننا ندرس لطلبة الآثار مدارس التصوير في كل أنحاء العالم الإسلامي شرقه وغربه عدا اليمن ، إذ أنه ليس لدينا أية أمثلة لتصاوير أو مخطوطات يمنية مصورة ، ولم يرد في أي مرجع من المراجع المتخصصة إشارة إلى وجود تصوير في اليمن ، وربما كان هذا المخطوط هو المثال الوحيد الباقي . ويجب على الأقل أن يعرف أبناء اليمن من المتخصصين هذا الجانب من تراثهم ، فكان أن تفضلتم باصدار أوامركم الشريفة بالتشدد في عدم اطلاعنا أو أي من طلبة الآثار على هذه النسخة وهذا قليل من كثير . .

ونعود إلى مناقشة قائمة اتهاماتكم المغرضة والظالمة وأولها إتهام بالسطو العلمي على أبحاث بعثاتكم الأجنبية ، على مخططات موري ولوكوك وجيميس كونستاد ونشرها دون الإشارة إلى أصحابها والحقيقة انني لم أقصر في ذكر هؤلاء والإشارة إلى أني قد استعنت بمخططاتهم في بحثي كما تقضي بذلك الأمانة العلمية التي درجنا عليها . ولكنك تعلم أن علاقتنا بالمقالات والأبحاث تنقطع بعد تسليم الأصول حتى تنشر وخاصة أن مجلة «الإكليل» لاتطبع في اليمن مما يجعل الاطلاع

على البروفات أمر مستحيل وقد رأى القائمون على إعداد المجلة حذف ثلاث صفحات في نهاية البحث كانت تشتمل على قائمة المراجع والإشارة إلى أصحاب هذه المخططات ومازال بحوزتي نسخة من الأصل المخطوط لهذا البحث .

ورغم تباكيكم ياسيدي على القيم العلمية واتهامكم لنا سامحكم الله بالسطو على أعمال الغير فقد كنتم سباقين في هذا المضمار حيث أوردتم بسفركم الجليل المدارس الإسلامية في اليمن ـ مخططات لوكوك للمدرسة الأشرفية والمعتبية دونما أدنى إشارة إلى صاحبها . وقد زعمتم أنني سطوت على الدراسات الميدانية والصور الفوتوغرافية لأعمال لوكوك وركس سميث وغيرهم وكأني قابع في جامعة صنعاء منتظراً لما تفيض به عبقرية أصحابك لأسطو عليه بعد أن تضعه في خزائنك المغلقة ، ودعني أقول لفضيلتك أني لست في حاجة إلى ذلك فإن أي من أبناء قسم الآثار في جامعة صنعاء الذي أدرِّس لهم وأرافقهم مرات في كل عام في دراسات ميدانية إلى الآثار الإسلامية في أنحاء اليمن كفيل بأن يقدم من الدراسة الميدانية والأثرية ما لا يقل في قيمته العلمية عن جهابذتك من الأجانب ياسيدي .

حتى الصور الفوتوغرافية تنكرها علينا لتشككك في حين أننا قد قمنا بدراسة ميدانية لتلك الآثار التي تحدثنا عنها في بحثنا ، ولا أظنك تنسى معرض الصور الذي يشارك به قسم الآثار في معرض الكتاب الدولي كل عام منذ خمس سنوات وكانت صور الآثار الإسلامية والقديمة لليمن التي عرضت به من عمل طلاب وأساتذة القسم ولنا فيها مشاركة ايجابية وقد نالت إعجاب السيد رئيس الجمهورية عند افتتاحه للمعرض وأشاد بها فكانت ومازالت مدعاة لفخرنا .

ودعني أقول لفضيلتكم أن ما أحنقكم علينا وأخرجكم عن متقضيات الوقار العلمي هو اجترائي على اقتحام موضوع تعتقد أنه قصر على علمكم الغزير لا يستطيع أحد الغوص فيه غيركم ، مما دفعكم إلى التلفيق وقلب الحقائق فادعيتم أني أخذت عن سفركم العظيم الذي هو المصدر الوحيد لهذا الموضوع دون الإشارة إليكم ولو دققتم النظر في الحواشي لوجدتم أني قد أثبت ذلك في الحواشي أرقام ١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

ويبدو أن الجرم في نظركم أني قد أشرت إلى حقيقة علمية لا يستطيع أن ينكرها أحد وهي ان ما جاء بكتابكم المدارس الإسلامية من مقتطفات مأخوذة عن الوثيقة الغسانية وضعتموها كأوصاف لبعض المدارس الرسولية دون تعليق رغم أنها تزخر بالمصطلحات الفنية والألفاظ الغريبة التي تجعلها عسيرة الفهم على غير المتخصصين الدارسين مما يفقدها قيمتها . كما أنكم لم تتكرموا بالإشارة إلى مكان حفظ هذه الوثيقة ولا إلى ترتيب السطور ولا تاريخ هذه الوثيقة ، واكتفيتم بالإشارة إلى أنها من الوثيقة الغسانية رغم أن الوثيقة الغسانية سجل عام أو دفتر يضم عدداً كبيراً من وثائق الوقف (بصائر الوقف) من العصر الرسولي وحتى العصر العثماني ولكل بصيرة منها تسمية وتاريخ تقتضي الأمانة العلمية التعريف بها وتحديد الجزء المنشور بالسطر والكلمة مع شرح المصطلحات إذا كان الهدف هو الإفادة العلمية وليس مجرد التوشية والتزويق — إلى غير ذلك من الأصول العلمية للنشر الوثائقي ولكن من الواضح أنك تعتبر الوثيقة الغسانية والمسودة السنانية أحد الأسرار الخفية التي يجب أن تقتصر معرفتها عليكم أو تبيحون نشره منها بين الفينة والفينة بما لا يكشف عن سرها الدفين .

ولتسمح لي فضيلتكم أن أقول أن عهد المعرفة القائمة على الطقوس والكهانة العلمية قد ولى إلى غير رجعة ، وأن الثورة السبتمبرية قد هدمته ضمن ما هدمت من هياكل وقامت الجامعة صرحاً علمياً ليقضي على احتكار العلم لأسرة أو فئة خاصة يحيطونه بالأسرار ويخلطونه بالدجل والشعوذة .

وانه رغم حرصكم وتفانيكم في حجب كل العلوم والمعارف والمخطوطات والوثائق وتقارير البعثات الأجنبية وامساككم بكل الخيوط فإنه قد فات عليكم أن الزمن قد تغير .

إن وثيقة وقف المدرسة الأشرفية مثلاً التي تظن أنها أحد الأسرار الهامة قد درسها كل خريجي قسم الآثار كاملة يعرفون مكانها ويدركون مصطلحاتها ويعرفون كيف يمكنهم الاستفادة منها في دراسة الأثر ، كما يدركون ماوقع فيه غيرهم من أخطاء كما أنهم يتداولون كل المخططات التي تحرصون على عدم تسربها ←

ملاحظات على كتاب:

ـ ٥ ـ

الصحاح

تاج اللغة وصحاح العربية

٢٤٨ ـ ص ٥٣٥ : (ومراد أبو قبيلة من اليمن وهو مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ).

الصحيح مراد بن مالك (بن أدد) بن زيد بن كهلان ، كما في «المعارف» ٤٧ ، و«الاشتقاق» ٣٩٨ ، و«نسب عدنان وقحطان» ٢٩ . وكلام الجوهري عن مراد منقول من «أدب الكاتب» ٨٢ ، وانظر تعليق ابن السيد في «الاقتضاب» ١٢٦ (بيروت ، ١٩٠)، وفي «الفصول والغايات» ٣٩٢ (القاهرة ، ١٩٧٧) (ومراد بن

حتى لا يفيد منها أحد منهم رغم أنهم ياسيدي هم الدماء الحارة التي سوف تدفع عن الهيئة سباتها العميق ورغم أن مستقبل العمل الآثاري ومسئولية الحفاظ على التراث اليمني صائرة إليهم لا محالة .

ولا أنكر ياسيدي أنكم في محاولتكم للنيل منا وتسقطكم لبعض الأخطاء التاريخية قد أفدتمونا فبعض هذه الهفوات كنا قد تنبهنا إليها ونبهنا إليها أبناءنا من الطلاب قبل طبع المقالة ولم يكن هناك مجال لاصلاحها .

ولكن بعض الأخطاء كما تعلم ويعلم كل من يتعامل مع حرفة الكتابة تقع نتيجة للجمع المطبعي كأن يسقط اسم المدرسة التي جددها أحد السلاطين ويبقى التاريخ أو أن يتغير تاريخ من ٧٣٣ إلى ٨٢٢ أو العكس وهي أخطاء يمكن أن يدركها الجميع ويغتفروها ولكن عين البغض تبدي المساوىء .

وختاماً أقول لفضيلتكم سامحكم الله على ما أسرفتم في حقنا وحق العلم .

د. محمد سيف النصر

يحابر) وهذا غريب لأن مراداً هو يحابر عندهم .

٢٤٩ ــ ص ٥٣٦ : (المَعْدُ : الغَضُّ من البَقْل والثمر).

الصحيح : من البقل والتمر بالمثناة بدليل قول أبي الطيب في «الاتباع» ٨٨ (دمشق ، ١٩٦١): (ورطب ثعد معد) إلخ ، ومثله عند القالي ١/٢١٦ ، و«المخصص» ١٤/٣٦ .

وانظر مثل هذا التصحيف في «المنقوص والممدود» للفراء رقم ٢٩ (دار المعارف ١٩٦٧).

٢٥٠ ــ ص ٥٣٧ : (وقال آخر : نحن بني سُوَاءَةَ بن عامر).

كَان في الأصل : (سؤالة)، فغيرها مصحح المطبوعة الأولى ٢٦٠ إلى (سواءة) لأن هذا هو الصواب «نسب عدنان وقحطان» ٢٣ الخ ، وتابعه المحقق كما أفاد في ذيل الصفحة ، وقد أخطآ جميعاً لأن الخطأ من الجوهري نفسه كما جاء في «التكملة» ٢/٣٤٤ ، فكان على المحقق أن يدع الخطأ كما هو بالأصل ويشير إلى صوابه في الهامش .

٢٥١ ــ ص ٥٣٩ : (قال الشاعر حُمَيد بن أبي شِحَاذٍ الضبّيّ).

قال المحقق في الحاشية : (وقيل خالد بن علقمة الدارمي).

قُلْتُ: خالد هذا شاعر إسلامي من بني عبدالله بن دارم ويعرف بابن الطيفان كذا في «الأغاني» ١٢/٣٤٠ ، ولكن البغدادي نص في «الخزانة» ١/٥٦٣ على أن المقصود خالد بن علقمة بن عبدة ، وهذا سعدي لادَارِمي كما توهم صاحب «اللسان» (وهو المصدر الذي أخذ منه المحقق هذا التعليق).

٢٥٢ ــ ص ٥٤٢ : أنشد الجوهري :

عَـاضَهَـا الله غُـلامـاً بَعْـدَمَـا ... شَـابَتِ الأصدَاغ والضِـرْسُ نَقِدْ

علق المحقق بأن قائل البيت هو : (الهذلي)، وهذا غير مفيد لأن الهذليين

كثير ، وإنما اقتصر المحقق على كلمة : (الهذلي) لأن صاحب «اللسان» اقتصر عليها ، والهذلي هذا هو صخر الغيّ «شرح أشعار الهذليين» ٥٤٤ وجاء البيت في شرح «بانت سعاد» لابن هشام ١/٥١ فعلق المحقق د. محمود حسن أبو ناجي : (القائل غير معروف) !

٢٥٣ ـ ص ٥٤٦ : (وَ(ودٌّ) صنم كان لقوم نُوحٍ عليه السلام ثم صار لكلابٍ).

الصواب ثم صار لكلب لا كلاب كذا في المراجع مثل «الأصنام» لابن الكلبي ١٠ (تحقيق أحمد زكي باشا).

٢٥٤ ـ ص ٥٤٧ : (والعامة تقول بَزْمَاوَرْدْ).

ضبط المحقق بزماورد بالفتح ، والصواب ضبطها بالضم والكسر كما في «الاصلاح» ١٦٧ .

٢٥٥ ـ ص ٥٥١ : (ولدة الرجل تِرْبُهُ . . وهما لِدَانِ).

الصواب : هما لدتان ، فالتثنية لا تحذف علامة التأنيث ، وانظر الأنباري ٦٩٧ .

٢٥٦ ـ ص ٥٥٤ : وأنشد الجوهري :

ما كان إلاّ طَلَقُ الإِهْمَادْ

ضبط المحقق الروي بالسكون ، وهذا خطأ . والصحيح أن رويه مكسور ، انظر «أضداد» يعقوب رقم ٣٠٧ (بيروت ، ١٩١٣)، و«الألفاظ» ٥١٢ ، وأضداد أبي حاتم (رقم ١٧٢) بيروت ، ١٩١٣)، ونوادر أبي زيد ١٤ . وانظر ملحقات ديوان رؤبة).

٢٥٦ ـ ص ٥٥٥ : (يقال غِنَاء مُهَوَّد).

ضبط المحقق (مهود) بالفتح ، والصحيح أن تضبط بالكسر كما جاء في مصدر

الجوهري وهو «غريب الحديث» ٤/٢٨٦ .

٢٥٧ ــ ص ٥٦٠ : أنشد الجوهري قول العباس بن مرداس :

إذْ ما أتَيْتَ على الأمير فقلْ له   حَقاً عليك إذا اطْمَأن المَجْلِسُ

فعلق المحقق بحاشية نقلها بطولها من هامش المطبوعة الأولى ٢٧١ ، وخلاصتها أن الأمير تصحيف (الأمين). وهنا أمران ، أحدهما : أن البيت من شواهد النحو المعروفة ــ على استعمال إذ ما للشرط ــ بل هو من أبيات سيبويه ١/٤٣٢! وعنه تداوله النحاة كالمبرد في «المقتضب» ٢/٤٧ ، وابن جني في «الخصائص» ١/١٣١ إلخ . فما معنى نقل حاشية المطبوعة الأولى ، على أن المحقق لم يذكر أنه نقلها من هناك وإنما تبينّ هذا بالمقارنة ! ثم إن (الأمير) ليست تصحيف (الأمين) لأنها ثابتة كذلك في المراجع المعتمدة مثل حواشي ابن بري ٢/٦٦ ، و«أصل حروف المعاني» للزجاجي ٧٥ (بيروت ، ١٩٨٤)، بل هو كذلك في بعض نسخ كتاب سيبويه (هامش الكتاب ٣/٥٧ بتحقيق هارون)!

٢٥٨ ــ ص ٥٦١ : وردت كلمة (الجُنْبَذَة) مضبوطة بفتح الباء ، وهذا خطأ والصواب ضبطها بالضم كما جاء في مصدر الجوهري وهو «الاصلاح» ١٦٨ ، والغريب أنها بالفتح في اللغة التي اخذت منها فهي من الفارسية (كنبذ) بفتح الباء .

٢٥٩ ــ ص ٥٦٢ :

ورد قول الشاعر : لَتَقْرُبُنَّ قَرَباً جُلْذِيًا .

وضبط المحقق (لتقربن) بضم الباء وهو معتمد في هذا على ضبط «اللسان» ومثله في حواشي ابن بري ٢/٦٧ وهذا خطأ ، والصواب ضبطه بكسر الباء لأن الراجز يخاطب ناقته ومن العجيب أن يخفى هذا على المحقق مع أن هذا الشاهد من أبيات سيبويه ١/٢٧ ، ومثله نوادر أبي زيد ١٩٤ ، والمقتضب ٤/٩١ ، والخزانة ٤/٥٩ .

٢٦٠ ـ ص ٥٦٤ : (وأنشد قول خُفاف من قَيس من البراجم).

الصحيح : (خُفاف بن عبد قيس) كما جاء في مصدر الجوهري وهو كتاب «الفرق» لثابت ١٣ ، وكذا جاء في الكتب التي نقلت عن الجوهري «كالتكملة» ٢/٣٧٧ و«اللسان». هذا هو الصحيح بالنظر إلى ما يجب أن يوضع بالمتن وإلا فالصحيح في اسمه عبد قيس بن خفاف («الأغاني» ٨ : ٢٤٦ ، و«المفضليات» رقم ١١٦ ـ تحقيق شاكر وهارون) وفي «أضداد أبي حاتم» رقم ١١٥ (بتحقيق هافنر) : (خفاف بن عبد شمس) وهذا يجمع بين القلب والتحريف . وقد التبس الأمر على الجاحظ في «الحيوان» ١/٣٣ حين نسب البيت إلى خُفاف بن ندبة ، أما ابن بري ٢/٦٧ فجزم بأن البيت للنابغة الذبياني وليس في ديوانه ولم أر أحدا قال به قبله إلا ابن الأنباري في أضداده ٥٧ ، وقد قلد الجوهري في غلطته في اسم الشاعر كثير من المحققين دون تبصر كهارون في حواشي «البيان والتبيين» ٢/١١ ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم في حواشي «أضداد ابن الأنباري» ٥٧ .

٢٦١ ـ ص ٥٦٥ : (فهو شَقِذ وشَقْذَانٌ بالتحريك).

ضبط المحقق شقذان بإسكان القاف ، والصواب فتحها كما تدل عليه عبارة الجوهري ، وانظر «الجمهرة» لابن دريد (٣/٢١٤).

٢٦٢ ـ ص ٥٦٦ : (عامر بن كبير) كذا كتب المحقق في الحاشية ، وأقول أنا : هذا تصحيف ، والصواب عامر بن كثير (انظر رقم ٢٨٢) فيما يأتي .

٢٦٣ ـ ص ٥٦٧ : (عَائِذَة بن مالك بن ضبة).

الصواب : عَائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة كما في «نهاية الأرب» للنويري ٢/٣٤٧ ، وانظر المعارف ٣٤ . وقد أخل بهذه القبيلة القلقشندي في كتابه «نهاية الأرب»، وفي اللسان (عوذ): «عائذة بن مالك بن ضبة» وهو خطأ .

٢٦٤ ـ ص ٥٦٩ : أنشد الجوهري للكميت :

تـرَامىَ بكَذَّانِ الاكَـام ومَـرْوِهَـا   تَرَامِيَ وِلْدَانِ الأَصَارِمِ بالخَشْلِ

ضبط المحقق (الخَشْلِ) كما ترى بإسكان الشين وجر اللام فيكون روى القصيدة مجروراً وهو في هذا متابع لضبط «اللسان» (كذذ) وهذا خطأ منهما ، والصحيح أن تضبط (الخشل) بفتح الشين وإسكان اللام فيكون روى القصيدة مقيداً بدليل ما قبلُ هذا البيت وهو :

من المعصفات الهوج في عرصاتها زعازع يكسون البلى رسمها جَفَلْ

وانظر «التنبيهات» (غ ٨٠) و«شرح المفضليات» ٤٦٧ .

٢٦٥ ـ ص ٥٧١ : أنشد المحقق في الهامش :

ومَـلَابٍ قـد تـلهّيـتُ بهـا وقصـرتُ اليوم في بيتِ عـذارْ

هذا البيت نقله المحقق من «اللسان» (موذ) باخطائه والصواب في انشاده :

ومـلاءٍ قـد تـلهـيـت بهـا وقصرت اليوم في بيت عذاري

أما الملاب ، وهو نوع من الطيب ، فلا يقال فيه : «تلهيت به» فضلاً عن أنه مذكر كسائر الطيوب كما في «المذكر والمؤنث» للفراء ٩٨ (ط قاصد بالقاهرة ، ١٩٧٥) والقافية مجرورة كما جاء في «ديوان عدي بن زيد» ٩٥ (بغداد ١٩٦٥).

٢٦٦ ـ ص ٥٧٤ : (وأنشدني عيسى بن عمر الثقفي :

جَـلاهَـا الصَّيْقَلُون فـأَخْلصَـوُهَـا خِفَـافًـا كلهـا يَتَقِـي بـأَثِـرْ)

ضبط المحقق (يتقي) بفتح التاء ، وكذا في «الاصلاح» ٢٣ (بتحقيق شاكر وهارون) والصواب إسكان التاء كما في كتب الصرف واللغة انظر مثلاً «الخصائص» ٢ / ٢٣١) ومثله «تهذيب الاصلاح» ١ / ٣٥ . هذا وعند يعقوب ٢٣ ـ وعنه الجوهري ـ إن الأصمعي لا يعرف في الأثر إلا الفتح ، ولكن القالي ٢ / ١٧٦ يروي عن الأصمعي إنه يختار الكسر ، وفي «المخصص» ٦ / ١٨ عن الأصمعي أيضاً (أُثُـر) بضمّتين ! وهذا اختلاف غريب .

٢٦٧ ـ ص ٥٧٨ : (نفيلة الأكبر) في الحاشية .

هذا تصحيف استفاده المحقق من «اللسان»، والصواب (بقيلة) بالباء والقاف كما في تصحيف العسكري ٤٠٠ . وهذا تصحيف شائع في كتب اللغة والأدب مثل «الأغاني» ٥/١٧٥ ، والأنباري ٨٧ ، وحواشي ابن بري ٢/٧٧ .

٢٦٨ ـ ص ٥٨١ : (قال أبو عبيدة : آمَرتُهُ) الخ .

صحته : أبو عبيد بدون هاء وكلامه هذا في كتابه «غريب الحديث» ١/٣٥٠ وهو مصدر الجوهري .

٢٦٩ ـ ص ٥٨٢ :

ورد قول أبي زبيد : (إن كان عثمان أمسى فوقه أمْر) .

ضبط المحقق : (أمر) بإسكان الميم ، وهذا خطأ وصوابه الفتح (انظر مثلاً «تهذيب اللغة» ١٥/٢٩٣) وبضبط المحقق ينكسر البيت لأن عروض البسيط (وهو بحر البيت) لا تقطع . وراجع «السمط» ١٢٨ ، ٩٣١ .

٢٧٠ ـ ص ٥٨٣ : (يقال للشمال . . هِيرٌ ، وهَيرٌ).

ضبط المحقق (هير) بكسر الهاء والصواب فتحها كما في مصدر الجوهري وهو القلب ٢٥ ، وعنه القالي ٢/٧١ . وقد أنشد المحقق شاهداً على هذا صدره :

وإنا مساميح إذا هبت الصبا

وأغفل نسبته وهو لعمرو بن شأس كما في المراجع ، وقد أخل به (شعر عمرو بن شأس) الذي جمعه د. يحيى الجبوري ونشره سنة ١٩٧٨ .

٢٧١ ـ ص ٥٨٤ : (البَبْرُ واحد البُبُورِ ، وهو الفُرانِقُ).

علق المحقق بحاشية فيها : (يقال له البريد لأنه يصيح قدام الأسد ينذر به) الخ . ويلاحظ أن المحقق نقل هذه الحاشية من هامش المطبوعة الأولى ٢٨٥ على أخطائها ، فكون الفرانق ينذر بالأسد شيء لا حقيقة له والعجب أن الجاحظ أشار إلى أنها أسطورة في «الحيوان» ٤/١٣١ ، والجاحظ عاش في القرن الثالث

والكتاب نشره المحقق في الربع الأخير من القرن الرابع عشر.

ثم قوله فيها أن الببر هو الفرانق خطأ آخر فالببر هو الحيوان المخطط الذي يقال له بالانكليزية Tiger وهي كلمة من أصل يوناني، أما الببر فمن أصل هندي، أما الفرانق فهو هربري يقال له بالانكليزية Iynx والكلمة العربية من الفارسية بروانك، أما قوله إن الفرانق يقال له البريد فهو لبس حصل من الكلمة الفارسية لأنها تعني هذا الحيوان ــ وهو يسمى الآن الوشق ــ وتعني أيضاً صاحب البريد، ويستعمل الفرس كلمة أخرى للدلالة على هذا الحيوان هي سياه كوش (انظر «معجم استانيجاس»).

٢٧٢ ــ ص ٥٨٥ : (قال نصيب :

وقد عَادَ مَاءُ الأرضِ بَحْراً فَرَدَّنِي إلى مَرَضي أنْ أَبْحَرَ المَشْرَبُ العَذْبُ)

قوله : (فردني) تحريف، والصواب : (فزادني). كذا في مصدر الجوهري وهو «الغريب المصنف» («التنبيهات» غ ٨٩).

٢٧٣ ــ ص ٥٨٦ : حاشية حول طيء منقولة من هامش المطبوعة الأولى (ص ٢٨٣) وأشرت إلى هذا لأن المحقق نقلها بأخطائها ففيها (طيء بن أردد) والصحيح (أدد) ثم قال: (ابن زيد بن كهلان) والصواب: (ابن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان) (انظر في هذا «الجمهرة» ٣٩٨، و«نهاية الأرب» ٢/٢٩٨ الخ) وفيها نقلاً عن التاج: (سبأ بن حمير) وهو خطأ قديم أول من وقع فيه الجوهري (طوا) وتبعه الصاغاني «التكملة»، وأخيراً صاحب «التاج»، والصواب: (سبأ بن يشجب) المراجع التقليدية «كالجمهرة» ٣٢٩).

٢٧٤ ــ ص ٥٨٧ : (قول الشاعر حاتم :

وجَاءَتِ الخَيْلُ مُحْمَرًّا بَوَادِرُهَا بالماءِ تَسْفَحُ من لَبَّاتِها العَلَقُ)

قوله (تسفح) تحريف واضح، والصحيح (يسفح) كما في «العباب» (بدر) وهذا البيت من «شواهد الغريب المصنف». ونقل المحقق عن «اللسان» أن

خراشة بن عمرو قال :

هلا سألت ابنة العبسي ما حسبي ... عند الطعان إذا ما غص بالريق

والصواب إنه لعنترة بن شداد ، أما بيت خراشة فآخر ، وهذا كله مفصل في مقدمة الجزء الأول من «العباب» تحقيق فير محمد حسن

٢٧٥ ـ ص ٥٩٠ : (وقوله تعالى﴿ يابُشْرَايَ هَذَا غُلَامٌ ﴾كقولك : عصاي . وتقول في التثنية : يابشرتيّ). هذا تصحيف ، والصواب : (يابشريّ» بالياء لا بالتاء بداهة وانظر مع هذا «معاني القرآن» للفراء ٢ / ٣٩ .

٢٧٦ ـ ص ٥٩١ : (الصُفارِيَةُ) وردت الكلمة بتخفيف الفاء ، والصواب تشديدها كما جاء في مصدر الجوهري وهو «أدب الكاتب» ١٩٠ . وهو طائر أصفر ومن هنا جاء اسمه لا من الصفير ، وهذا المعنى موجود في اسمه الانجليزي Oriole فهو من اللاتينية aureus أي ذهبي .

٢٧٧ ـ ص ٥٩٢ : كتب المحقق في الهامش : (الأشعر) يعني الجعفي ، والصواب (الأسعر) بالسين ، وهذا تصحيف عمت البلوى به (نوادر أبي زيد ، مثلا ، في مواضع متفرقة ٣٦ الخ) وانظر عن الأسعر «معجم مقاييس اللغة» ٢ / ٧٦ وقد ورد في «اللسان» (بصر) مصحفاً فنقله المحقق عنه مصحفاً كذلك .

٢٧٨ ـ ص ٥٩٥ : ورد قول الراجز :

يـابِكْرَ بِكْـرَيْن ويـاخِلْبَ الكَبِـدْ ... أصبحت مِنِّي كَذِرَاعٍ في عَضُدْ

لم يعرف المحقق قائل البيتين لأن صاحب «اللسان» لم يعرفه ، وهو الكميت ابن زيد كما في «الجمهرة» ١ / ٢٣٩ ، و«الأمالي» ١ / ٢٤ ، وأضداد ابن الأنباري ٢٤٦ . وهو يشبه شاهداً من الشواهد المجهولة القائل عن سيبويه ١ : ٣٢٩ (ط بولاق) .

٢٧٩ ـ ص ٥٩٩ : ([عن عمرو بن العاص] . . في كل بهار ثلاثة قناطير ذهب) هنا نقص وتمام الخبر (ذهب وفضة) كذا جاء في مصدر الجوهري وهو

«غريب الحديث» ٤/١٦٤ وعنه «الفائق» ١/١٢٢، و«النهاية» ١/١٦٦ وكذا في «اللسان» عن الجوهري (بس).

٢٨٠ ــ ص ٦٠٠ : أنشد الجوهري :

وَنُصْبِحُ بِالغَدَاةِ أَتَرَّ شيءٍ   وَنُمْسِي بِالعَشِيِّ طَلَنْفَحِينَا

قال المحقق إن القائلَ (هو رجل من بني الحرماز) كذا قال المحقق اعتماداً على ما جاء في «اللسان» (شزر) وصاحب «اللسان» قاله اعتماداً على الجوهري (انظر ربتت) وهذا خطأ يعرف بالرجوع إلى مصدر الجوهري ، وهو «نوادر أبي زيد» ١٧٦ ؛ إذ جاء فيه : (وأنشدني رجل من بني الحرماز) ثم ذكر البيت فتبين من هذا أن الحرمازي هذا هو راوي البيت لا قائله وقد وقعت د. عائشة عبدالرحمن في هذا الخطأ في تحقيقها «رسالة الغفران» حيث نسبت البيت إلى الحرمازي خطأ .

٢٨١ ــ ص ٦٠١ : (تَغَرتِ القِدْرُ . . لغة في تُغِرت). تغرت الثانية صوابها نغرت بالنون كما جاء في مصدر الجوهري وهو «العين» ٤/٣٩٦ ، على أن هذه اللغة (تغر بالتاء) مشكوك فيها ، وقد عدها الأزهري ٨/٨١ من تصحيف صاحب «العين».

٢٨٢ ــ ص ٦٠٢ : وأنشد للمحاربي :

لقد غَضِبُوا عَلَيَّ وأَشْقَذُونِي   فَصِرْتُ كأنَّنِي فَرَأٌ يُتَارُ

ويروى (متأر) مقلوب من متار . . ضبط المحقق كلمة (متأر) بفتح الميم ، والصواب ضمها كما شرحه ابن جني في «الخصائص» ٣/١٤٩ (وعنه ابن بري في «اللسان») وانظر أيضاً ، «المنقوص والممدود» للفراء رقم ٧١ ، و«أمالي» اليزيدي ٧٥ (ط. حيدر أباد ١٣٦٩هـ).

٢٨٣ ــ ص ٦٠٦ : (وفي الحديث: «حَرَّم مابين عَيْرٍ إلى ثور». قال أبو عبيدة : أهل المدينة لا يعرفون جبلاً يقال له ثور). قلت : أبو عبيدة تحريف ، والصواب : أبو عبيد . وكلامه هذا في كتابه «غريب الحديث» ١/٣١٥ وعنه

الجوهري ، وعنه أيضاً بالحرف ابن حجر في «فتح الباري» ٤/ ٨٢ . وانظر «التاج» (ثور) فكلامه جامع لأقوال من سبقه . وهذا مبحث لا شأن له باللغة (أعني تحديد موقع جبل ثور).

٢٨٤ ــ ص ٦٠٧ : (الأصمعي : غَيْثٌ جُؤَر مثال نُغَرٍ أي غزيرٌ كثير المطر . وأنشد : لاتسقه صَيِّبَ عَزافٍ جُؤَر). قال المحقق : (قبله : يارب رب المسلمين بالسور) كلام المحقق منقول من اللسان ، وقد أخطأ صاحب «اللسان» فأخطأ المحقق تبعاً له ، ويعرف هذا بالرجوع إلى مصدر الجوهري وهو «إصلاح المنطق» ١٧٦ ، وهو منقول بدوره من «النبات» للأصمعي ٧ ومنه نعلم أن الصواب (المرسلين بالسور) وليس (المسلمين بالسور). وأن الذي قبل البيت الشاهد إنما هو :

يــاربَ ربَّ المـرسلين بــالسـور بحكم القــرآن يتلى بــالـزبــر

لا تسقه الخ . . وليس كما زعم صاحب «اللسان»، والمحقق الكريم .

٢٨٥ ــ ص ٦٠٩ : جاء في الحاشية : (الحجر تغير رائحة اللحم عن ابن فارس اهـ هكذا بالمخطوطة). يلاحظ أن هذا النص ليس من المخطوطة كما ادعى المحقق الكريم ، وإنما هو منقول من هامش المطبوعة الأولى ٢٩٥ ، فلعل المحقق قال هذا سهواً . وقد نبهت على هذا لأنه وقع في حاشية المطبوعة الأولى خطأ فنقل المحقق الحاشية بخطئها ، وأعني بهذا كلمة (الحجر)؛ إذ الصواب فيها «الخجر» بالمعجمة كما جاء في مصدر هذه الحاشية وهو «الجمل» لابن فارس ١ : ١٧٨ (بيروت ١٩٨٤).

٢٨٦ ــ ص ٦١٣ : (قال ابن مقبل هوجاء موضع رَحْلِها جَسْر). لم ينشد المحقق صدره متابعة منه لصاحب «اللسان»، وقد أنشده الصاغاني («التكملة» ٢/ ٤٤٩) وذكر ملاحظات حول قائل البيت وروايته .

٢٨٧ ــ ص ٦١٥ : (والجَعْرُورُ : ضرب من الدَّقَلِ : وهو أردأ التمر).

ضبط المحقق (الجَعرور) بفتح الجيم ، والصواب ضبطها بالضم لأن كل الكلمات التي على وزن (فعلول) يجب أن تكون مضمومة الفاء إلا كلمات معدودة ليس منها الجعرور (مثلاً : «الكتاب» ٢ : ٣٢٩) وكلمة (الجعرور) هذه نقلها الجوهري من «غريب الحديث» لابن قتيبة ٤٤١/٢ ، وهذا فسرها نقلاً عن الأصمعي ولم ترد هذه الكلمة إلا في نص واحد وهو حديث نبوي أورده ابن قتيبة ، ورواه الحاكم في «المستدرك» ٢ : ٢٨٤ (ط حيدر أباد) من طريق سليمان ابن كثير وسفيان بن حسين عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن أبيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال : (صحيح على شرط الشيخين) ووافقه الذهبي في «التلخيص» ٢ : ٢٨٥ («بهامش المستدرك»). وهذا غير صحيح ، لأن رواية سفيان بن حسين وسليمان بن كثير عن الزهري ضعيفة كما جاء في كتب الحديث كالتقريب لابن حجر ١ : ٣١٠ ، ٣٢٩ (ط. دار المعرفة ١٩٧٥) ومما يؤيد هذا أن عبد الجليل بن حميد اليحصبي روى هذا الحديث بعينه عن الزهري عن أبي أمامة مرسلاً . أفاده ابن كثير في تفسيره ٢ : ٤٣ (ط. المنار بمصر ١٣٤٣هـ).

٢٨٨ ـ ص ٦١٧ : (قال امرؤ القيس:

كأن ذُرَى رأسِ المجيمِرِ غُدوةً   من السَّيل والغُثَّاء فُلكةُ مِغْزَلِ)

ضبط المحقق (الغثاء) بتشديد الثاء ، وهذا خطأ؛ فالغثاء بتخفيف الثاء في جميع معجمات اللغة ، والحامل له ، فيما يبدو ، استنكار القبض في البيت (والقبض حذف الخامس الساكن) مع أنه موجود في «أشعار العرب» ولا سيما شعر امرىء القيس ، وهذا مستوفى في «رسالة الغفران» ٣١٣ ـ ٣١٨. وهذا الضبط الخاطىء لبيت امرىء القيس يوجد في كثير من كتب التراث مثل «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري ١٠٨ (تحقيق هارون)، و«الاقتضاب» لابن السيد ٢٧٧ .

٢٨٩ ـ ص ٦١٧ : (والجمهور من الناس : جُلُّهم) .

علق المحقق بقوله : (بضم الجيم ، وحكى الشهاب في شرح الشفا أن قوماً

يفتحونها وهو غريب) .

قلت : نقل هذا المحقق من هامش المطبوعة الأولى دون أن يذكر المرجع ، وذكرت هذا لأن كاتب الحاشية أخطأ فيما كتبه ، وهو منقول من شرح «القاموس»، ولبيان خطئه أسوق عبارة الزبيدي : (والجمهور بالضم . قال شيخنا : هذا هو المشهور وما حكاه ابن التلمساني في شرحه على «الشفا» من أنه يقال بالفتح فغلط . . ولذلك قال شيخ شيوخنا الشهاب في شرح «الشفا» إن ما نقله التلمساني من الفتح غريب) (٤٧٣/١٠). فتبين من هذا أن الذي نقل الفتح التلمساني لا الشهاب كما توهم صاحب الحاشية والمحقق الكريم تبعاً له .

٢٩٠ ــ ص ٦١٨ : (الأخفش : تقول العرب جَهَرْتُ الركيَّة إذا كان ماؤها قد غطَّى الطينَ) .

الصواب : (غُطِّي بالطين) كما في مصدر الجوهري وهو «معاني القرآن» للأخفش ٩٥ ويراجع في هذا «مبادىء اللغة» للأسكافي ٢ : ٨٠ (ط. القاهرة ١٣٢٥هـ) .

٢٩١ ــ ص ٦١٩ : أنشد الجوهري :

وقلْتَ علىَ الفِرْدَوسِ أوّلَ مَشْرَبِ أَجَلْ جَيْرِ إن كانَتْ أُبيحَت دَعَاثِرُهْ

ولم يعرف المحقق قائله لأن صاحب «اللسان» لم يعرفه وهو لطفيل (في ديوانه ١٠ ، ط. دار الكتب) ويروى لمضرس بن ربعي (انظر «شرح الشواهد» للعيني ٩٨/٤) .

٢٩٢ ــ وأنشد الجوهري أيضاً في الصفحة نفسها :

فلما رأيتُ القوم نادَوْا مُقَاعِساً تعرَّضَ لي دونَ التراثب جائِرُ

ولم يعرفه المحقق كصاحب «اللسان» وهو لوعلة بن عبدالله الجرمي كما في «النقائض» ١٥٥ .

٢٩٣ ــ ص ٦٢٠ : (والجَبِرُ : لُغَام البعير) .

أرشدوا أخاكم!!

قبيلة بني مالك

[نشر أحد القراء في مجلة «اقرأ» ع ٦٠٤ تاريخ ١٤٠٧/٥/٢٢ كلمة بعنوان (مالم يذكره الجاسر وابن بليهد وابن خميس عن بني مالك ودورهم في الجاهلية والإسلام) فكان هذا الرد الذي نشر في تلك المجلة ع ٦٠٧ تاريخ ١٤٠٧/٦/١٤]

عَلَّقَ المحقق : (ويقال بالمعجمة وهما لغتان) .

قلت : بالمعجمة ليس لغة ، وإنما هو تصحيف من صاحب «العين» كما في «التهذيب» ٣٣/٥، و«المزهر» ٣٩٢/٢ .

٢٩٤ ــ ص ٦٢١ : في الحاشية : (وقالوا في تصغير الحُبَارَى حُبَيْرَى ففتحوا الراء ، وحبيريات) .

حبيريات جمع حبيري وليست تصغيراً لحُبَارَى وهذا نشأ من الاختصار المخل ، ويجوز أن تصغر حبارى على حبيِّر ــ بالتشديد ــ أيضاً ، حكى هذا سيبويه ١٣/٢ (ط. بولاق) .

٢٩٥ ــ ص ٦٣٢ : (قال [أي الأخفش]: وأحصرني بولي . .)

الصحيح : (قولي) كما في مصدر الجوهري ، وهو «معاني القرآن» للأخفش ١٦٢ أما البول فيقال فيه (حصرني) ثلاثياً كما في «اللسان» (حصر) .

٢٩٦ ــ ص ٦٣٣ (قال الهذلي :

رجالُ حروب يَسْعَرون وحَلْقَةٌ   من الدارِ لا تأتي عليها الحَضَائِرُ

لم يعرف المحقق قائله لأن صاحب «اللسان» لم يعرفه وهو أبو شهاب الهذلي كما في «الاصلاح» ١٦٨ و«المحكم» ٨٦/٣، و«الجمهرة» ١٣٦/٢ ، و«شرح أشعار الهذليين» ٦٩٧ ، وقد نسبه صاحب «اللسان» (حضر) إلى أبي ذؤيب وهذا من أخطائه .

الرياض: جواد محمد الدخيل

يَحْلُو لبعض شُدَاةِ الأدب أن يلُوكوا ألسنتهم بتنقيص من سبقهم زماناً ، وفاقهم معرفةً ، وسعة اطلاع ، وَأَنْ يتجاهلوا لأولئك مالهم من فضل السَّبْقِ ، وتمهيدِ طرق البحث ، وتقريبِ وسائل العلم والمعرفة .

ومن هاؤلاء الشداة الابن الكريم عبدالله بن ساعد بن محمد المالكي (عضو نادي جدة الأدبي) الذي رماني بثالثة الأثَافِي ، وبالثنتين أخويَّ الفاضلين الشيخ محمد بن بُلَيْهِد ــ رحمه الله ــ والأستاذ عبدالله بن خَميس ــ رعاه الله .

لقد وصمني بجهل قبيلة بني مالك وجَهْلِ دورها في الجاهلية والإسلام ، معبراً في كلمة نشرتها مجلة «اقرأ» ــ ع ٦٠٤ في ١٤٠٧/٥/٢٢ ــ بدأها بقوله : (مما لم يذكره حمد الجاسر في المعجم الجغرافي) ثم استرسل في إيراد معلومات مضطربة ، محشوة بالأوهام والأخطاء مما يدل على أنه لايعرف شيئاً عن القبيلة التي ينتسب إليها ، فضلاً عن غيرها من القبائل .

وليس لديَّ من سعة الوقت ، ولا من الرغبة في استيعاب ماكتب مايمكنني من تتبع أوهامه ، إلا أني أخشى أن ينخدع أحد القراء بما كَتب ، فأكتفي بإبْراز مايدل على جهله فيما تصدى للكتابة عنه .

١ ــ زعم أنني لم أذكر في «المعجم الجغرافي» شيئاً عن بني مالك ، وقال عن هذا «المعجم» في مراجعه : معجم البلدان السعودية ــ حمد الجاسر .

والواقع أنني لم أُؤَلِّفْ كتاباً بهذا الاسم ، وإنما ألفت كتابين اثنين باسم مغايرٍ لما ذكر ، أحدهما «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ المختصر ــ وهذا معجم مختصر يقع في ثلاثة مجلدات ويحوي من أسماء المدن والقرى والمواضع المأهولة نحو (١٦١٠٦) اسماً .

وفي هذا المعجم أوردت كلَّ ماعرف من قرى بني مالك اعتماداً على أوثق المصادر في وزارة الداخلية وفي الإدارة العامة للاحصاء في وزارة المالية .

والكتاب الثاني هو «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» المطول وهذا لايزال تحت التأليف ، وقد صدر منه عشرون جزءاً ، منها ما ألفته ، ومنها

ماشاركني في تأليفه إخوة باحثون من مختلف مناطق المملكة ، وهذا «المعجم» لم يكمل بعد ، ولم يصدر منه القسم المتعلق بالمنطقتين الغربية والجنوبية من المملكة التي تقع بلاد بني مالك فيها ، وهاهو بيان ماصدر من هذا «المعجم» : ـ

١ ـ مقاطعة جازان للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في ٤٨٦ صفحة .

٢ ـ بلاد غامد وزهران للأستاذ علي بن صالح الزهراني في ٣١٦ صفحة .

٣ ـ عالية نجد للأستاذ سعد بن جنيدل في ٣ أجزاء في ١٣٩٠ صفحة .

٤ ـ بلاد القصيم للأستاذ محمد العبودي في ٦ أجزاء في ٢٦٣٢ صفحة .

٥ ـ شمال المملكة تأليف حمد الجاسر في ٣ أجزاء في ١٣٦٨ صفحة .

٦ ـ المنطقة الشرقية تأليف حمد الجاسر في ٤ أجزاء في ١٩٩٨ صفحة .

٧ ـ معجم اليمامة للأستاذ عبدالله بن خميس ، جزءان في ١٢٦٢ صفحة .

ولقد نشرت في مجلة «العرب» ـ س ١٣ ص ٤٥١ وس ١٤ ص ٩٥٥/١٥٤ وس ١٥ ص ٧٩١/٣٠٧ مقالات مفصلة عن بني مالك وقراهم للإخوة محمد الهلالي ـ رحمه الله ـ وأحمد بن عبد الرحيم المالكي ، ويحيى بن علي عكُوْر ، فعد الأول من قرى القبيلة ١٧٥ قرية وعدَّ الثالث ٨٩ قرية وتكلم الثاني عن أشهر فروع بني مالك وأشهر قراها .

فكيف أوْصَمُ بأنني لم أذكر شيئاً عنها ؟!

ويظهر أن الابن عبدالله يتلقف أسماء الكتب ومؤلفيها بدون تثبت ، ومن الأدلة على ذالك أنه نسب «مروج الذهب» للهمذاني ، وكل من لديه إلمام بمعرفة الكتب يدرك أنه للمسعودي .

٢ ـ جهله بنسب قبيلته :

ظنَّ صاحبنا الْمُتَصدِّي للحديث عن الأنساب أن اسم بني مالك ينحصر في قبيلته وحْدَهَا ، فعمد إلى ماذكره بعض المؤرخين عن بني مالك القبيلة الثقفية

المعروفة فساقه باعتباره يتعلق بتاريخ قبيلته .

إن بني مالك ــ أيها الباحث الكريم ــ من الأسماء التي تطلق على كثير من فروع القبائل ، مما لا تتسع مجلة محدودة الصفحات للتوسع في ذكره .

أما بنو مالك الذين تحدَّثْتَ عن حروبهم مع إخوتهم الأحلاف ، فإنهم من ثَقِيف ، وهم بنو مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِي ــ وهو ثقيف ــ بن مُنَبِّه بن بكْر بن هوَازِنَ بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عَيْلان بن مُضَر ــ على ماقرره علماء النسب في كتبهم المعروفة ــ فهم من مضربن نِزَار بن مَعَدِّ بن عدنان .

وقبيلتك التي تُنْمَى إليها وهم سكان السراة من بَجِيلة ، وهم بنو مالك بن سعد بن نذير بن قَسْرِ بن عَبْقر بن أَنمار بن إرَاش بن عَمْرِو بن الغوث بن نَبْتِ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ــ على أصح الأقوال ــ فهم من قحطان ، وقد نُسِبُوا إلى أُمِّهم بَجِيْلَةَ بنت صعْبِ بن سَعْدِ الْعَشِيرة .

وبنو مالك هاؤلاء كما أوضحت في كتابي «في سراة غامد وزهران» هم بَيْتُ بَجِيلة ، ومنهم الصحابي الجليل جَرِير بن عبدالله بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن غُوَيْث بن خَزِيمة بن حرب بن عليُّ بن مالك بن سعد ، وفي جرير يقول الراجز :

لَــوْلاَ جَــرِيْــرٌ هَلَكَتْ بَـجِيْـلَهْ نِـعْمَ ألْـفَتَى وَبِئْسَتِ الْـقَـبِيْـلَهْ

ولما سمع عمرَ بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ هذا قال : (مامُدِحَ من هُجِي قومه) . ولقد كذب هذا الراجز فَبَجِيلة قبيلة كريمة ولكن قلَّ أن تسلم قبيلةٌ من الْهَجْوِ حتى قبيلة قُرِيش .

وفي جرير أيضاً يقول النجاشي يخاطب شُرَحْبِيْلَ بن السِّمْطِ الكنديَّ :

شُرَحْبِيْل مَـالِلدِّيْنِ فَارقْتَ أَمْـرَنَا ولكن لِبُغْض ِ الْمَـالِكِيِّ جَـرِيْــرِ

وكان عليٌّ أرسل جَريرا ــ رضي الله عنهما ــ إلى معاوية في طلب بيعة أهل

الشام ــ وانظر طرفاً من أخبار جرير في كتابي «في سراة غامد وزهران».

وليس هذا الصحابي الجليل كما توهمتَ من بني مالك ثقيف ، بل من بني مالك البجليين سكان السراة الآن .

٣ ــ ماكتبته عن بني مالك :

يقول أخونا عني وعن الأستاذ ابن خميس : (لم يذكر أحدهما شيئاً عن بني مالك).

ماهذا الجزم أيها الابن الواسع الاطلاع ؟! هل عرفت أنَّ لي كتابا عنوانه «في سراة غامد وزهران» يقع في ٥٩٥ صفحة ؟! وأنني في هذا الكتاب كتبتُ عن قبيلتك أكثر من ستة عشر صفحة متوالية ــ دون ماتفرق منها ــ أوردت فيها من المعلومات عن أصل القبيلة ومساكنها ومشاهيرها مالا تجده في غير هذا الكتاب ، فإذَا أَضَفْتَ هذا إلى مافي «المعجم الجغرافي» المختصر ، وما نشرته في مجلة «العرب» تَكَوَّنَ لديك عن هذه القبيلة ــ قديمها وحديثها ــ مايُعَدُّ مِنْ أَوْفَي ماكُتِبَ عنها ، إنْ لم يكن أوفاها ــ .

ولقد تَمَنَّيْتُ أن يتصدَّى أَحُد أبنائها لدراسة مختلف أحوالها وكان فيما قلت ص ٤٣٢ : (ولقد عرف من هذه القبيلة عددٌ من الشعراء حبَّذَا لو تصدَّى أَحَدُ الباحثين من أبناء القبيلة أو غيرهم لجمع شعرهم ودراسته وإبراز مميزاته). ثم سميت بعضهم .

وها أنا أُعيد ماتمنيت قبل سبعة عشر عاما لعل الأخ الكاتب يستفيد من هذا الكتاب معرفة جوانب من تاريخ قبيلته القديم يجهلها كُلَّ الجهل ، ويعرفها من وَصَفَهُ بماليس فيه .

٤ ــ الجهل بأسماء المواضع :

ينقل الكاتب نصوصاً من كتب على علاتها مما يَدُلُّ على أنه لايفهم تلك النصوص فهماً تاماً :

(لحب): من ذالك مانقله عن كتاب «الكامل» لابن الأثير من خبر الحرب الواقعة بين الأحلاف وبني مالك من أنَّ الأحلاف أخرجوا بني مالكٍ إلى واد وراء الطائف يقال له (لحب).

لحب ــ هذا أيها الباحث الكريم ــ صوابه : نَخِب ــ بالنون والخاء المعجمة بعدها باء موحدة ــ وهو وادٍ من أشهر الأودية المعروفة في شرق الطائف قديماً وحديثاً ، وشهرته تغني عن الاسترسال في الحديث عنه .

(الابان): قال أخونا : ودارت المعركة في شعب من شعاب جبل يقال له (الابان) .

الأبان ــ ياأخانا هذا الذي ذكرت صوابه : الأُنَانَ ــ بضم الهمزة وبعدها نونان بينها ألف ــ على ما ضبطه العلماء ومنهم صاحب «معجم مااستعجم» الذي قال ــ بعد ضبط الاسم : موضعٌ من وراءِ الطائف قِبَلَ نَخِبٍ ينسب إليه فَجُّ الأُنانِ ، وشِعْبُ الأُنَانِ كان فيه وقعةٌ عظيمة للأحلاف من ثقيف على بني مالك من ثقيف أيضاً ، وعلى حلفائهم من بني يربوع (لا يجربوع) ــ كما ذكر الكاتب ــ فَسُمِّيَ أُنَاناً لكثرة أنِينِ الجَرْحَى فيه .

(بجيلة): وقال : أما عن بَجيلة : فهي إحدى قرى بني مالك حالياً ومنها الصحابي المعروف جرير بن عبدالله البجلي .

تسمية القرية باسم بَجِيلة اسم حادث ، فَبَجِيلة في الأصل هو الاسم الذي عُرِفَتْ به القبيلة ، لِأَنَّ أَنْمَار بنَ إراشٍ تزوج بَجِيْلَةَ بنتَ صعْبِ بن سَعدِ الْعَشِيْرَة ، فولدت له أبناء منهم تفرعت قبيلة بجيلة .

ثم عُرِفَتْ فيما بعدُ إحدى القرى باسم القبيلة ، وهذا شائع بين قبائل العرب ، فَسَدُوس اسم البلدة المعروفة قرب الرياض كانت في الأصل قرية لبني سدوس من بني بكر بن وائل فبقي الاسم في القرية بعد أن جُهِلت القبيلة .

وقول الكاتب : (وقد كانت تدعى بنو مالك باسم بجيلة). ليس صحيحاً بنو مالك أشهر فروع بجيلة القبيلة ولاينحصر اسم بجيلة فيها ، بل يشمل فروعاً

أخرى أوردها علماء النسب في مؤلفاتهم ، وذكرتها في كتابي .

(ذو الخلصة) : ذكر أن جرير بن عبدالله هدم (ذي الخليصة ؟) وهو صنم كان ببلاد دَوْس ، مما يلي اليمن . ثم أعاد القول : وفي بلاد دَوْسٍ ذُو الخلصة الصنم المشهور الذي هدمه جرير .

والواقع أنَّ الصنم الذي هدمه جرير هُوَ ذُو الخلصة الذي كان في بلدة تَبَالَةَ المعروفة بقرب بِيشَةَ .

أما ذُو الخلصة الذي في بلاد دَوْسٍ ـ ويظهر أن الأخ الكاتب يجهل موقعه إذ قال : إنه مما يلي اليمن ـ وهو في فَرْعَةِ دَوْسٍ من بلاد زهران ، على مقربة من بلدة ثَرُوق ، لايزال موقعه معروفاً ، وهذا الصنم لم يهدمه جرير ، وإنما هُدِمَ حين هُدِمَتْ أصنام دَوْسٍ بعد إسلامهم وقبل إحراق جريرٍ لذي الخلصة ـ كما فصلت ذالك في كتابي «في سراة غامد وزهران» ص ٣٣٦ إلى ٣٥٠ .

(جبل بيضان) : قال الأخ الكاتب : إن جبل بيضان يقع في بلاد بني ماللك وليس في بلاد دوس زهران . ثم وصفه ومافيه من الينابيع التي لاتجف ولاتنقص .

وبصرف النظر عن المبالغة في هذا الوصف ، فإن المعروف قديماً أن جبل بيضان كان من جبال غامد ، على ماأوضح أبو علي الهجريُّ ووصفه بأنه المشهور عند العرب والهجري من أهل القرن الرابع .

ومعروف أن القبائل تتنقَّلُ ، وتتغير منازلها ، ووادي بيضان لايزال معروفاً من أودية بلاد زهران ، ينحدر إلى تُرَبَة ، ويبعد عن الباحة نحو عشرة أميال فيما بينها وبين الْمَنْدَقِ ، وفيه عدد من القرى لزهران ، ويظهر أن هذا الوادى أخذ اسمه من اسم (بَيْضَانَ) الجبل الذي تسيل منه فروع أودية مشهورة مثل وادي بَوَاءٍ ووادي ضَرَاءَ ، وهما من روافد وادي تُرَبَة ، ووادي دَوْقَةَ وهو يبدأ من جنوب غربي شفا بيضان ويصب في تهامة .

وهذا الجبل ـ الذي وصفه الكاتب بأن في أعلاه مسجداً وأن ابراهيم بن أدهم

أيام العرب : بواعثها وأسبابها

[كانت جريدة «الشرق الأوسط» قد نشرت في ع ٢٩٤٨ تاريخ ١٤٠٧/٤/٢٣ (١٩٨٦/١٢/٢٢) استيضاحاً من الأستاذ محمد حسين زيدان عن قاتل زهير بن جذيمة موجهاً إليَّ هذا نصه :]

زهير بن جذيمة كان السيد المسود في بني عبس ، ولم يكن إلا السيد على غطفان كلها ، قاد الحلف الأعظم بين أسد وغطفان ، نظموا له الخرزات ، يتوجونه ملكاً على الحلف الأعظم ، كأنما هي العدنانية تسعى إلى أن تنافس القحطانية ليكون منهم ملك كما لقحطان ، وبالأحرى كما لغسان بالشام ، كما للخم بالحيرة .

وقد نال معزة رديفاً مذ أصبح صهراً للنعمان بن المنذر ، تزوج ابنته المتجردة ، تلك التي أرادت أن تكرم ابن عمها النابغة الذبياني ، تقدم الشراب بنفسها للنعمان وللنابغة ، فسقط النصيف (الفوطة أو الجونيلة)، فإذا النابغة لا ينسى ، ولعله أحب أن يفتخر فإذا هو في معلقته يقول :

سقط النصيف ولم تُرِدْ اسقاطه ... فتناولته واتَّقتنا باليد

وبعد هذه المقدمة أسأل أستاذنا الشيخ حمد الجاسر عن السيف الذي اغتال زهير بن جذيمة ، فقد حفظت ولعل ذلك من «الأغاني» أن من اغتاله هو الحارث بن ظالم الفاتك المري من مرة غطفان لا من مرة يام . فلقد قالوا إن الحارث بن

هو الذي بناه ــ لايعرف قديماً باسم بيضان ، وإنما يسمى باسم آخر ذكر في أشهر المعاجم اللغوية ، [يجد القاريء كلمة عنه في هذا الجزء من «العرب»] .

وبعد فما أَيْسَرَ أن يُسيْءَ المرءُ إلى أخيه ثم يبادر بالاعتذار ، أليس خيراً من هذا أن لاتصدر الإساءةُ إلا بعد التثبت من استحقاق من تنسب إليه ؟!

أما كان الأجدرُ بالكاتب الكريم أن يسأل من هو أعلم منه قبل أن يتهم بالجهل غيره ؟!

حمد الجاسر

ظالم قد اغتال خالد بن جعفر ، السيد الغطريف في بني عامر ثم اغتال زهير بن جذيمة وهو ابن عمه ، كلاهما من غطفان .

وسمعت في برنامج «أساطير وملاحم» في صوت العرب أن خالد بن جعفر هو الذي اغتال زهير بن جذيمة ، فإذا أنا بين المفارقة والمقارنة ، فالحارث بن ظالم في خبر الأغاني أنه ترك ديار مضر يخاف لئلا يقتل بخالد بن جعفر وزهير بن جذيمة ، فإذا هو نزيعة عند غسان في الشام ، فتربص به غساني فقتله يسلبه السيف ، يصل الغساني إلى عكاظ ينادي على سيف ابن ظالم ، يعرضه للبيع ، فاذا قيس بن زهير الذي ورث السيادة عن أبيه كما ورث الثأر لأبيه ، يتقدم إلى الغساني يتناول سيف الحارث بن ظالم ، يسله ليعرفه ، فقتل الغساني ، عز عليه أن يقتل قحطاني غطفانياً ابن عم له ولو كان قاتل أبيه ، فقيس لو أمسك بالحارث بن ظالم لقتله بثأر لأبيه ، ولكنه كغطفاني أصبح ولي الدم لغطفاني قتله الغساني . عجب لهؤلاء العرب !

أما الرواية الثانية التي سمعت بها ، فلعلي أكون لها أكثر حفظاً من رواية الأغاني ، فإذا صح أن خالد بن جعفر هو القاتل لزهير بن جذيمة فإن الحارث بن ظالم يقتل خالد بن جعفر حمية يثأر لابن عمه وسيده ، ويصبح ما فعله قيس بن زهير حين قتل الغساني وقد ثأر لمن نصره حين أخذ بثأر أبيه يقتل خالد بن جعفر .

إن هذه الرواية تحيا بها حقيقة وتموت بها أسطورة ، والحارث بن ظالم اشتهر سيفه ، كما اشتهرت الصمصامة ، كما اشتهر ذو الفقار في تراثنا السابق ، وكما اشتهر الأجرب في يد الإمام تركي في ميراثنا الجديد ، حتى أن جريراً وهو يهجو الفرزدق لا يجد سيفاً مثل سيف الحارث بن ظالم فيقول وهو يهجو الفرزدق مع أنه ابن عمه ، كلاهما من تميم قال :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع   ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

أسأل الأستاذ حمد أن يرجح إحدى الروايتين ، أسطورة الأغاني أم حقيقة البرنامج .

محمد حسين زيدان

ويأبى صديقنا الأستاذ محمد حسين زيدان إلا أن ينأى بنا بعيداً عن واقعنا الذي نَعيشُه لنتعمقَ في أغوارٍ سحيقةٍ من ماضي تاريخنا القديم ، ولنسيرَ في مجاهِلَ منه هي كبيداء المتنبيء :

يَتَلَوَّنُ الْخِرِّيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا تَتَلَوَّنُ الْحِرْبَاءُ

إنه يُقْدِمُ على ذَالكَ غيرَ هيَّابٍ ولا وجِلٍ مما سيقابل به شُدَاةُ الأدبِ من أبناء هذا العصر الخوضَ في هذه المباحث في صحيفة قلَّ أن تُعْنَى بما لايرتبط بالحياة المعاصرة ، فينظر هاؤلاء الشُّدَاة — إنْ لم يكن كلُّ جمهرةِ القراء — إلى موقفِ كلِّ من يتصدَّى لنبش الماضي بعين الاستخفاف والسخرية ، ولكنَّ الأستاذ الزيدان — زاده الله قوة وتوفيقاً — يَبْرُزُ في الميدان مُصَاوِلاً مُجاولاً ، مُساجلاً :

مَنْ يُسَاجِلْهُ يُسَاجِلْ مَاجِداً يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الْكَرَبْ

ولابِدْعَ أن ينجليَ عنه غبارُ المعركة منتصراً مفتخراً مسمعاً أؤلئك الشُّدَاة :

وابن اللَّبُونِ إذَا مالُزَّ في قَرَنٍ لَمْ يَسْتَطِعِ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ

أما وقد رفع الراية وتقدَّمَ فليكن السير معه على بركة الله حيث أراد .

لقد كان من أُمنيتي قديماً أن تَنْصَبَّ عنايةُ دارسي تاريخ العرب قبل الإسلام على المأثور من الشعر والأخبار الواردة عن ذالك العصر ، مما تضمنته المصادر القديمة التي وصلت إلينا ، دون تأثرٍ بما كتبه متأخرو المؤرخين في عصرنا ، فعلماء الآثار لاتزال جهودُهُمْ تتجدَّدُ ، والمعنيون بالتراث القديم يستمر نشاطهم بإمدادِ الباحثين بما يحققونه من مخلفات المتقدمين في مختلف العلوم ، ومنه ماكان منسياً أو مجهولاً أو مهملاً ، وفي كل ذالك مالا يعدم الباحث فيه مايضيف جديداً إن لم يُغَيِّرْ بعض النظراتِ الراسخة من أثر دراسات أؤلئك المؤرخين المتأخرين .

ولعل من أبرز حوادث ذالك التاريخ ماعرف بـ (أيام العرب) ، فبعض من تصدَّى لبحثها من المتأخرين من أهلِ عصرنا يُقَلِّلُ من أهمية بواعثها ، فيرجعها إلى نزواتٍ عاطفية ، وخلافات فردية تافهة تدور حول الخلاف على موارد المياه ، أو حدود المنازل ، أو الاشتراك في المراتع والمرابع ، ويرى أنها لاترتفع لتصل إلى

دوافعَ ذاتِ جذور عميقة في الحياة العربية .

ولعل من أسباب هذه النظرة القاصرةِ أنَّ مايتعلق بتلك الأيام من الأخبار والأشعارِ قلَّ أن يجده الباحث كاملاً في أيِّ مصدر من مصادر التاريخ التي أمامه ، وإنما يجد قصصاً غير كاملة ، ونُتَفاً مفرقةً ، وأشعاراً مبعثرة مما يتطلب كنه دراسة متأنِّيَةً تُعْنَى بجمع ماتفرق منه وبالمواءمة بين أخباره وقصصه وشواهده من الأشعار ، لإكمال النقص ، ثم الاستعانة على ذالك بدراسة مواقع الأحداث لِيَبْدُوَ الترابطُ بينها واضحاً مما يعين على إدراك الحوادث على حقيقتها .

ومن ثَمَّ يتضح أن وقائعَ التاريخ في تلك الأيام ترتكز على أسس قوية من مظاهر الحياة الاجتماعية التي تتصف بها الأمة العربية ، كالمحافظة على الكِيَان وحمايةِ الحوزة ، ودفعِ الضيم ، وإباءِ الاستعباد ، وعدمِ الخنوع للسيطرة أو التغلب من أيَّةِ قوة كانت .

وإذا نظرنا إلى ماأشار إليه أستاذنا محمد حسين زيدان في هذه الجريدة (ع ٢٩٤٨ الأربعاء ١٤٠٧/٤/٢٣ ـ ١٩٨٦/١٢/٢٢] بهذه النظرة يتضح لنا ذالك جليًا .

فزُهَيْر بْنُ جُذيمة العبسي كان سيدَ قبيلة غَطَفَانَ التي تُنْمَى إليها قبيلته عبس . وكانت هذه القبيلة من أبرز قبائل الجزيرة ، وهي تحلُّ مَسَاحَةً واسعة في عالية نجد ، تمتد من بلاد القصيم غرباً حتى تبلغ مشارف المدينة المنورة ، فتشمل بلادها واحتيْ خيبر وفَدَك (الحائط) كما تنتشر على ضفافِ وادي الرُّمَة من أعالِيه المنحدرة من حَرَّة خَيْبر حتى وسط حوضه غرب منطقة الرَّسِّ ، وهذه المنطقة التي تحلها بلادُ غطفان تعتبر من أخصب بقاع الجزيرة ، ولهذا كانتْ قبيلةُ غطفان ذاتَ نفوذٍ قوي بين القبائل في ذالك العهد ، فليس غريباً والحالة هذه أن يصبح زهير بن جذيمة سَيِّدُ هذه القبيلة بمنزلة من القوة تمكنه من بسط نفوذه على قبائل أخرى من قيس عيلان كهوازن فيفرض عليها إتاوةً سنوية يسومها الخسف والذل في كل عام لنيل تلك الإتاوة .

وليس غريباً أنْ يسمو مقامُ هذا الزعيم القبلي لدى ملوكِ الحِيْرة ممن اتخذت

منهم الدولة الفارسية دَرِيْئَةً تحول دون التعرض لأطراف ممالكهم المتصلة بالجزيرة ، وأن يتقرب إليه بعض أولئك الملوك بالمصاهرة كما فعل النعمان بن امريء القيس ، جد النعمان بن المنذر .

ولكن العرب وقد عُرِفَ أنَّ من أبرز طباعهم عدمَ الانقياد والرضوخ للذل — لم يصبروا على سُوْءِ معاملة زهير ، فكان أن تصدَّى رجلٌ من قبيلة غَنِيٍّ من هوازن لقتل أحدِ أبنائه ، وهو شأس بن زهير ، حين مَرَّ به عائداً من الحِيرة ، بعد أن حباه الملك النعمان فأجزل له الحِبَاء .

وتُعْرف حادثة قتل شأس بن زهير بين أيام العرب بـ (يوم مَنْعِج) . وَمَنْعِج هذا وادٍ كان يعرف إلى عهد قريبٍ باسم (ملْعج) ثم بعد أن أُنْشِئَتْ على ضفافه هجرة مشهورة من هجر البادية تدعى (دُخْنَة) أصبح الوادي مضافاً إلى هذه الهُجْرَة فيدعى (وادي دُخْنَة) ويقع في الجنوب الغربي من منطقة القصيم ، وكان الغنويُّ إذ ذاك نازلاً على منهل (نَفْءٍ) الذي أصبح الآن من أكبر هجر البادية وينطق اسمه (نفي) بقلب الهمزة ياء من قبيل التسهيل وهي لهجة معروفة .

لقد ازداد عُتُوُّ زُهَيرِ بن جذيمة بعد قتل ابنه ، وساء تصرفه ، وسام قبيلة هوازِنَ سُوْءَ العذاب ، فهل تصبر على هذا؟

لقد اندفع أحد زعمائها وهو خالد بن جعفر الكلابي من بني كلاب ثم من بني عامر بن صعصعة من هوازن فتصدَّى لقتل زهير ومن شعره في ذالك .

أَبْلِغْ هَوازِنَ كيف تُنْكِرُ بَعْدَمَا ... أعتقْتُهُمْ فَتوالَدُوا أَحْرَارَا
وقَتَلْتُ رَبَّهُمُ زُهَيْراً بَعْدَمَا ... جَدَعَ الأُنوفَ وأَكْثَرَ الأَوْتَارَا

وتعرف هذه الحادثة بين أيام العرب بـ (يوم النَّفْرَاوات) . والنفراوات أكماتٌ بارزة في صحراء رُكْبَةَ لاتزال معروفة ، في تلك الصحراء المستوية الممتدة في عالية نجد المعروفة بهذا الاسم .

إنَّ من طبيعة العربي المتأصلة في نفسه الأَخْذَ بالثأر ، لأنه يرى في ذالك صيانةً لعرضه ، وحفاظاً على كيانه ، ويرى أنَّ حياتَهُ تتوقف على قوته التي فيها حمايته .

ومن هنا فقد قام أَحَدُ سادة غطفان وهو الحارث بن ظالم المُرِّي بأخذ الثأر لقبيلته من قبيلة هوازن .

ولم ينفع خالدَ بنَ جعفر التجاؤُهُ بالملك النعمان بن امرىء القيس في الحِيرة ، ولم تُجْدِهِ ماأحاطه به الملك من أسباب الحماية والقرب .

كان ذالك بعد أن عزم قومُ زهيرٍ على حَرْبِ هوازنَ ، إلَّا أنَّ الحارثَ طلب منهم أنْ يَكْفُوُه حربَ هوازن وتعهد أن يكفيهم سَيِّدَهَا خالدَ بن جعفر ، فسار حتى قدم الحِيرة وافداً على ملكها ، وبينما هو وخالد جالسان يتحدثان عند الملك النّعمان ظهر للنعمان من الحارث مادفعه أن يُحَذِّرَ خالدا منه ، فقال خالد : هذا الرجل لِي عنده يَدٌ عظيمة ، قتلت زهيراً وهو سيد غطفان فصار هذا سَيِّدَهَا الآن . أضْمرها الحارث بن ظالم في نفسه حتى أظلم الليل ، فهجم على خالد في قبته التي كان أعَدَّها له النعمان فقتله وهرب .

لـم يقـفِ الأمر عند هذا الحد بل اشتعلت نارُ الحرب بين قبائل الجزيرة ، وكان وراءها من يُذْكي أُوارهَا من صنائع الدولتين اللتين كانت سيطرتها ونفوذهما تمتدَّانِ إلى أطراف الجزيرة فارس والروم ، لقد اتخذ ملكُ الحيرة وهو صنيعة للدولة الفارسية من فعلة الحارث وسيلةً لكي يتوغل في غزو العرب في عُقْرِ دارهم ، فكان من جَرَّاءِ ذالك وقعةُ (يوم أرِيْك) على بني ذبيان من غطفان وحلفائهم من بني أسد بن خزيمة ، وأرِيك الذي سُمِّيَ اليوم باسمه وجرت الوقعة بقربه جبلٌ لايزال معروفاً على مقربة من ماوان ، يشاهده المتجه من بلاد القصيم إلى بلدة عَفِيفٍ عن بُعْدٍ على يمينه ، وينطق باسم (ريك) كعادة العامة في عدم النطق بالهمزة ، والاسم يطلق على جبلين اثنين متقاربين ، كما يطلق على غيرهما .

ثم كانت أيام أُخرى من أشهرها (يوم رَحْرَحان) لقبيلة بني عامر على بني تميم ، حين التجأ الحارث بن ظالم إلى التميميين فأغار عليهم العامريون . ورَحْرَحَان جبل لايزال معروفاً يشاهده المتجه إلى المدينة المنورة حين يحاذي بلدة الحناكية يشاهده على يساره عن بُعْدٍ .

ومن تلك الأيام (يوم شعب جبلة)، وجبلة من أبرز جبال العالية معروف .

ولايتسمع المقام للاسترسال في الحديث عن هذه الوقعات .

ومما تقدم يتضح :ــ

١ ــ أن الذي قتل زهيرَ بن جُذَيمة هو خالد بن جعفر الكلابي العامري الهوازني .

٢ ــ أن الذي صاهر زهير بن جذيمة ليس النعمان بن المنذر بل النعمان بن امريء القيس جد النعمان بن المنذر (انظر كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير ٥٥٦/١).

٣ ــ أن المُتَجَرِّدَةَ زوج النعمان بن المنذر ليست ابنة زهير ، بل هي جعفرية عامرية ، فقد كانت حين قتل خالد بن جعفر ممن بكاه وشقَّ عليه الجَيْبَ ، وفي ذالك يقول عبدالله بن جعدة الكلابي في رثاء خالد :

شَقَّتْ عَلَيْكَ العَامِرِيَّةُ جَيْبَها أسفاً وما تَبْكِي عَلَيْكَ ضَلالا

ــ انظر «نهاية الأرب» للنويري ٣٤٩/١٥ ــ و«الكامل» لابن الأثير ١/ ٥٦٠ ــ وفيه :

شقت عليك الجعفرية .. الخ

وما أرى المتجردة وهي زوجة مَلِكٍ تبلغ من التَبَذُّلِ درجةً تجعلها تقدم الشرابَ للنابغة مع زوجها بحيث يَسْقُطُ النَصِيفُ وهو الخِمار الذي تغطي به المرأة رأسها لا (الفوطة) ولا (الجونيلة).

ورواة الخبر من المتقدمين يقولون : بأنها دخلت على الملك وعنده النابغة على غِرَّةٍ ، فجفلتْ وانصرفتْ فسقط الخمارُ عن رأسها فَغَطَّتْ وجْهَهَا بيدها ، وعلى هذا يقول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ ولَمْ تُرِدْ إسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْهُ واتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

٤ ــ وعن الحارث بن ظالم الذي التجأ إلى يزيد بن عمرو الغساني في الشام ، فإن قتله من قِبَل مُجيره يزيد ، لأنَّ الحارث عدا على ناقة كريمة من إبل يزيد

ملاحظات حول كتاب :

«المعجم الكبيــر»

يقوم مجمع اللغة العربية منذ سنين بتأليف معجم شامل وافٍ يحوي مفردات اللغة العربية مع ماستجد من كلمات الحضارة ومصطلحات العلوم والفنون ، وقد أكمل منه حرفي (الألف والباء) جاء كل حرف في مجلد ضخم ، ولا يزال المجمع يوالي تأليف هذا المعجم ، فتقوم لجانه ومجلسه بجمع المواد وتنسيقها وترتيبها ودراستها ثم اعدادها لتعرض على (مؤتمر المجمع) الذي ينعقد كل سنة حيث يتولى دراستها وما أقر منها أضيف إلى المعجم ، وأصبح معداً للنشر .

وفي ٨ رجب ١٤٠٧هـ (٨ مارس ١٩٨٧م) كانت المواد المعروضة على المؤتمر من حرف (الحاء) تبتديء من كلمة (حجج) وتنتهي بكلمة (حدأ) ، وقد تناولها الأعضاء بالبحث وأبدى كثير منهم ملاحظاته حولها ، وهاهي ملاحظاتي :

١ ــ ص ١٨٤ : (قال ابنُ مُقْبلٍ مخضرم) :

فنحرها ، فعلم يزيدُ بذالك من رجل تغلبي يُدْعى الْخِمْس ، فما كان من الحارث إلا أن قتل هذا التغلبي ، فأمر يَزِيدُ ابْنَ المقتولِ بقتل الحارث وأَخْذِ سيفه .

وفي سُوق عكاظ حضر هذا التغلبيُّ ومعه سيف الحارث يظهره للناس مُبَاهِياً بفعله ، فما كان من قيس بن زهير بن جُذَيمةَ إلاَّ أنْ أَخذَهُ منه وضربه به فقتله ــ انظر «نهاية الأرب» ١٥ / ٣٥٦ ــ ولعل في هذا الخبر مايوضح ماأورده ابنُ الأثير في «الكامل» ــ ١ / ٥٨١ ــ من أن قيس بن زهير لما ترهَّبَ وفارق قومه ، وساح في الأرض حتى انتهى إلى عُمَان لقيه رجل عَبْدِيٌّ فقتله ، وقال : لارحمني الله إن رحمتك!!

أترى هذا العبدي ــ وعبد القيس من ربيعة ــ كان مدفوعاً إلى هذا ليثأر لابن عمه التغلبي الرَّبَعِي؟! هذا هو ظاهر هذا الخبر .

ولأستاذنا الجليل الزيدان أطيب تحية .

حمد الجاسر

فأَمْسَتْ بأذْنابِ المَرَاخِ فأَعْجَلَتْ بَرِيماً حِجَاجَ الشَّمْسِ أن يَتَرَجَّلا

(س/١٥٤)

رواية بيت ابن مقبل على مافي «معجم ماستعجم» و«معجم البلدان» :

وأمست باكناف المِراح وأعجلت بُرَيْماً حِجاب الشمسِ أنْ يَتَرَجَّلاَ

وضبط البكريُّ بُرَيْماً : بضم الباء وكذا ينطق اسم الماء الآن الذي لايزال معروفاً وهو آبار على مقربة من جبل حضن في عالية نجد .

٢ ـ ص ١٨٨ : (الحَجِيجُ : جمع الحاج ، قال الشاعر :

ذكرتُكِ والحجيجُ لهم ضجيجٌ بمكة والقلوب لها وَجِيبُ

(مـق)

البيت لمجنون ليلى على ماجاء في ديوانه جمع الأستاذ عبدالستار فراج ، ومصادره «الموشّى» و«الحماسة البصرية» .

وفي «ذيل الأمالي» نُسِب لنمير بن كُهيل الأسدي .

٣ ـ ص ١٩٥ : (والحاجر: منزِلٌ من منازِلِ الحاج في البادية (ل) .

و ـ مكان بطريق مكة)

التعريفان لموضع واحد ، فالحاجر كان من المنازل الواقعة بطريق الحج الكوفي وهو آبار ومنزل في بطن وادي الرُّمَةِ في الشمال الغربي من منطقة القَصِيم بين هجرتي عُقْلَةِ الصقور والبعايث شرق الأخيرة بسبعة أكيال .

٤ ـ ص ١٩٦ : (و ـ الحجَّار : اسمُ رَجُلٍ هو ابن أَبْجَد بن جابر العِجْلِي ، أحدُ حُكَّامِ العرب ، وهو الذي قال لما أَوْصَى وَلَدَهُ حجَّاراً : أكْثِر من الصَّدِيق فإنَّكَ على العَدُوِّ قادِرٌ (ق ، ت)

حَجَّار : اسم رجل من بكر بن وائل . (ل) .

حِجَّار : اسم رجل ، هو حِجَّارُ بن أَبْجَد . (ق ،ت)

التعاريف الثلاثة فيما يظهر لرجل واحد ، فبنو عجْلٍ هم بنو عجل بن لُجَيْم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

صواب الاسم : حجار ــ بدون تعريف ــ بن أبجر ــ بالراء لا بالدال ــ كما في «التاج» . وقد ترجم في «الاصابة» ــ ١٩٥٥ ــ في القسم الثالث فيمن أدرك النبي (ﷺ) ولم يره .

٥ ــ ص ١٩٧ و ١٩٨ : (و ــ حَجْرُ : قَصَبَةُ اليَمَامَةِ . (ل، ت) .

قال الراعي (٩٠هـ ــ ٧٠٩م) يصف صائداً :

تَـوَخَّى حَيْثُ قـال القَلْبُ منـه بِحَجْـرِيٍّ تَـرَى فيـه اضـطِمَـارَا

(ل)

قال : ظَنَّ : بِحَجْرِيٍّ : إنما عَنَى نَصْلاً مَنْسُوباً إلى حَجْرٍ ، قال أبو حنيفة : (وحَدَائِدُ حَجْرٍ مُقَدَّمَةٌ في الجَوْدَةِ) .

وقيل : هي سوق اليمامة (ل، ت) محالة على الأستاذ الشيخ / حمد الجاسر)

والجبال والوادي يطلق على كل واحد منها اسم حَجْر ، وتقع الجبال بشمال حَرَّة خيبر : والوادي تنحدر فروعه من أطراف حرة خيبر الشمالية ويسير متجهاً صوب الشمال بمحاذاة سلسلة حَجْر : حتى يفيض في صحراء الصَّحْنِ ، وقد ذكر الوادي والجبال في شعر الرَّمَاحِ بْن أبرد (ابن مَيَّادة) . وتسمى أيضاً (حَجْرَةُ دوس) كانت بها وقعة بين دوس وكنانة (ت) ولاتزال معروفة ، وهي قرية في تهامة غرب سراة زهران ، وتقع شرقَ ميناء اللَّيْث ، وسَيْلُهَا يُفْضي إلى وادي عِلْيَبَ الذي يفيض في البحر جنوب الليث) .

هذا الكلام خلط بين ثلاثة مواضع :

١ ــ حَجْرُ قصبة اليمامة ــ أي قاعدتها ــ وفيها سوقها في صدر الإسلام إلى ماقبيل القرن العاشر ، وقد درس الاسم الآن وقامت على أنقاض مدينة حَجْرٍ

مدينةُ الرياض ــ قاعدة المملكة العربية السعودية .

٢ ــ حَجْرٌ الوادي يقع شمال حَرَّةِ خيبر في الحجاز ، والاسم يطلق على وادٍ وجبالٍ تَلُبُّ به ، ذكره ياقوت في «المعجم» بقوله : والحَجْرُ جبلٌ في بلاد غطفان ، والْحَجْرُ وادٍ بين بلاد غطفان وعذرة . انتهى ، وقد ذكره الرماح بن أبرد المعروف بابن مَيَّادَةَ في شعره ، ومن قوله :

تَتَبَّـعُ من حَجْرٍ ذُرَا مُتَمَنِّـعٍ ... لَهَا مَعْقِلٌ في رأسِ كلِّ طَمَارِ

ووادي حَجْرٍ هذا تنحدر فروعه من الجانب الشمالي لحرة خيبر ، ويتجه صوب الشمال بمحاذاة سلسلة من الجبال تُدْعَى حَجْراً أيضاً حتى يفيض في صحراء الصَّحْنِ غربَ جبال حجر ، ويقع بين خطي الطول ٠٠/٣٩° و١٥/٣٩° وخطي العرض ٥٠/٢٥° و ١٥/٢٦° ــ .

٣ ــ حَجْرَةُ دَوْس : ذكرها ياقوت في «المعجم» فقال: روضة الحجرة حجرة دوس . . . كانت فيها وقعة بين بني كنانة ودوس . . قال ابن وهب الدوسي :

إن تُؤْتَ حَجْرَتُنَا نَعْقُدْ نواصِيَها ... ثم نَكُنْ كالَّذِي بالأمسِ يعتدلُ
نُحِبُّ رَوْضَاتِنَا جُدْباً ومُمْرِعَةً ... كما تُحَبُّ إذا ماصحَّتِ الإبِلُ

وهي بلدة مضافة إلى قبيلة دوس الزهرانية الأزدية التي لا تزال معروفة ، وتعرف هذه القرية الآن بدون إضافة (الحجرة) وهي واقعة في تهامة غرب سراة زهران ، وسكانها بنو سُلَيم من دوس ، وهي مقر إمارة يتبعها عدد من القرى وتعداد نفوس الإمارة نحو سبعة آلاف نسمة .

٦ ــ ص ١٩٩ : (قال الشاعر :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللهِ بَيْنِي وبينها ... عَشِيَّةَ أَحْجَارُ الكِنَاسِ رَمِيمُ

الرَّمِيمُ : الفتات من الخشب والتبن .

قال ابن الأعرابي :

أراد عَشِيَّةَ رَمْلِ الكِنَاسِ ، ورملُ الكِنَاس من بلاد عبدالله بن كلاب .

(ل ، ت).

الرَّمِيمُ في هذا البيت ليس الفتات من الخشب والتبن ، بل هو غير معرف (رَميم) اسم امرأة على مافي كتب اللغة كـ «لسان العرب» و«تاج العروس» رسم (رمم) وبعد هذا البيت :

رَمِيمُ التِي قالتْ لجارَات بَيْتِها: ضَمِنْتُ لَكُمُ أنْ لاَيَـزَالُ يَهِيْمُ

وهو في «حماسة أبي تمام» : ــ ج ٢ /ص ١٦٩ تحقيق الدكتور عبدالله عسيلان من مقطوعة لأبي حية النُّمَيري وكذا في «الكامل» للمبرد و«الأمالي» للقالي و«سمط اللآلي» للبكري ، مع أنه نسبه في «معجم مااستعجم» رسم (كناس) للأعور بن براء من بني عبدالله بن كلاب .

٧ ــ ص ١٩٩ : (و ــ حَجَرُ : لقب جَدِّ إمام الأئمة الحُفَّاظ شهاب الدين ، أبي الفضل ، العسقلاني الكنانِي المصري ، المعروف بابن حَجَر أو بابن البزار (ت).

وصف الحافظ ابن حجر بأنه : إمام الأئمة يغني عنه قول : أَحَدُ الحُفَّاظ .

فتلك الصفة تنطبق عليه في عصر الزَّبِيدي الذي وصفه بها ، أما قبل عصره وبعده ففيها مبالغة .

٨ ــ ص ١٩٩ : (الْحَجَرُ الأسودُ ويسمى الأسعد كرمه الله).

لا خلاف في فضل الحجر الأسود ، ولكن تسميته بالأسعد ليست ثابتة عن أحد من السلف الذين هم القدوة وبهم الأُسوة .

٩ ــ ص ٢٠١ : (بنو حجر : قبيلة باليمن (ت) تسكن خِيوان ولم تزل تحمل هذا الاسم) .

ضبطت خيوان ضبط قلم بكسر الخاء .

والذي نص عليه المتقدمون فتحها .

ولا أدري هل ذكر (بني حجر) المذكورين هنا من شرط هذا «المعجم» ؟

١٠ ــ ص ٢٠٣ : (وأحجار الزيت : موضع متصل بالمدينة قريب من الزوراء ، إليه كان يبرز رسول الله ﷺ ــ إذا استسقى ، وفي خبر ابن وهب عن عمير مولى أبي اللحم : انه رأى النبي ﷺ ــ يستسقي عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء رافعاً يديه قبل وجهه ، لايجاوز بهما رأسه . (مس) . يحال على الأستاذ الشيخ: حمد الجاسر).

أحجار الزيت على ماحدد مؤرخ المدينة السمهودي في كتابه «وفاء الوفاء» يطلق على موضعين أحدهما: موضع كانت فيه أحجار كان الزياتون يضعون أوعيتهم فوقها ، وقد زالت تلك الأحجار وكانت بقرب موضع من سوق المدينة يسمى الزوراء ، وفي ذالك الموضع كانت دار للخليفة عثمان تعرف باسم الزوراء لوقوعها في ذالك السوق الذي درس ودرست الدار معه ، وعند أحجار الزيت تلك كان الرسول ﷺ يصلي صلاة الاستسقاء .

والموضع الثاني: المعروف باسم أحجار الزيت يقع في الحرة وهي حرة واقم الواقعة في شرق المدينة والاسم يطلق على قطعة من تلك الحرة تسمى بهذا الاسم كأنما طليت بالزيت لسواد أحجارها وهذا الموضع له ذكر أيضاً في الأخبار ــ انظر «وفاء الوفاء» ص ١١٢٢ .

١١ ــ ص ٢٠٣ : (الحجر قَصَبةُ اليَمَامَة) (ت) .

١ ــ هذا التعريف من صاحب «التاج» والمعروف حَجْر ، وأداةُ التعريف لا تدخل على الأعلام إلا سماعاً ، ولم أر اسْمَ حَجْرٍ فيما قرأت من الشعر الوارد فيه اسم حجر معرفاً .

٢ ــ تقدم ذكر حجر في موضعين ــ ١٩٧/١٩٩ .

١٢ ــ ص ٢٠٤ : (أَبْرَقا حُجْرٍ: جَبَلان على طَرِيق حَاجِّ البصرة ، بين جَدِيلَةَ وفَلْجَةَ ، كان حُجْرُ أبو امْرِىءِ القيس ينزلها ، وهناك قَتَله بنو أسد (ت) . تحال على الأستاذ الشيخ حمد الجاسر) .

أَبْرَقا حُجْر جبلان يكتنفان طريق الحج البَصْرِي الذي كان يخترق نَجْداً وهما يقعان غرب منهل الجديلة الواقع غرب ضرية باثنين وثلاثين ميلاً ، والأبرقان بعد هذا المنهل بأربعة عشر ميلاً وهما متعشى ـ أي مكان للاستراحة وقت العشاء ـ فالمسافة بينهما وبين ضرية ستة وأربعون ميلاً ، أي مايقارب مئة كيل . وهذا التحديد مقتبس مما ذكره صاحب كتاب «المناسك» ـ ٥٩٧/٦٣٥ ـ .

١٣ ـ ص ٢٠٤ : (حجر قرية باليمن من مخاليف بدر منها يحيى بن المنذر) .

أصل هذا في كتابي «الاكمال» ـ ٨٩/٣ لابن ماكولا و«المشتبه» ـ ٢١٩ ـ للذهبي ، ولكن لم يرد في هذين الكتابين ذكر القرية .

ولا أدري أمن شرط هذا «المعجم» ذكر مثل هذه المادة ، فشرطه إيراد ماله قيمة تاريخية أو نُسِب إليه علماء مشهورون ، وهذا المنسوب إلى هذه القرية ـ إذا صح أن هناك قرية بهذا الاسم ـ من المغمورين لامن العلماء المشهورين .

١٤ ـ ص ٢٠٥ : الحِجْرُ حَطيم مكة ، وهو المدار بالبيت) .

١ ـ اضافة الحطيم إلى مكة فيه تَوَسُّعٌ ، والصواب حطيم الكعبة .

٢ ـ كلمة (المدار بالبيت) يحسن أن تُقَيَّد بكلمة : من جهة الشمال : فالحِجْرُ ليست استدارته بالبيت تامَّةً ، وإنما في الجانب الشمالي منه ، وسيل الكعبة ينزل فيه .

١٥ ـ ص ٢٠٥ : (والحِجْرُ : ديار ثَمُود ناحية الشام عند وادي القُرَى بين المدينة والشام ، كان يسكنها قوم صالح النبي عليه السلام ، وهي بيوت منحوتة في الجبال مثل المَغاور ، وكل جبل منقطع عن الآخر يطاف حولها ، وقد نُقِر في هذه الجبال بيوت تقل وتكثر على قدر الجبال التي تُنقر فيها ، وهي بيوت (غرف) في غاية الحسن فيها بيوتٌ وطَبَقات . (ت) .

هذا الكلام الذي أورده صاحب «التاج» فيه مبالغات ، وأرى الاكتفاء بالقول : الحِجْرُ ورد في «القرآن الكريم» : ﴿ولقد كَذَّبَ أصحابُ ٱلحِجْرِ

المرسلين﴾ وهو اسم وادٍ لايزال معروفاً في شمال الحجاز ، هو أعلى وادي مَدِينَةِ العُلَا يبعد عنها بنحو ٣٥ كيلاً وفيه آثار منحوتة في الجبال ، غُرَفٌ محفورة (مقابر) وفوق مداخلها نقوش وكتابات ، وقد قام كثير من علماء الأثار بدراسة آثار الحجر والكتابة عنها ، وفي الوادي مزارع قليلة على آبار لقبيلة عَنَزَة ، ويبعد الحجر عن المدينة المنورة ٣٤٥ كيلاً ـ شمالاً ـ .

١٦ ـ ص ٢١٢ : (الحُجَرِيَّةُ : قريةٌ بِالجَنَدِ من قُرى اليمن ، منها : يحيى بن عبدالعليم ابن أبي بكر الحُجَرِيُّ ، أخذ عن ابن أبي مَيْسَرة) .

أصل هذا في كتاب «تبصير المنتبه» ولكن بنص : يحيى بن عبدالعليم الحُجَرِي من قرية باليمن ولم يسمها ، فزاد شارح «القاموس» : الحجرية قرية بالجند . الخ ، والحجرية ليست قرية ولكنها منطقة واسعة .

ولا أدري هل ذكر هذه المادة من شروط «المعجم» ؟

ومما لم يرد ذكره من أسماء المواضع ـ في هذه المادة ـ ألحَجْر ـ بفتح الحاء وإسكان الجيم ـ وهو اسم قرية لبني سُلَيْم بقرب الرُّحْضِية وصفها عَرَّام بن الأصبغ في رسالته ـ ٤٢٧ / ٤٤٩ «نوادر المخطوطات» فذكر أنَّ حذاءها جبل يقال له : قُنَّة الحَجْر ، وأورد شاهداً من الشعر هو :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هل تَغَيَّرَ بَعْدَنَا أُرُومٌ فَـآرامٌ فَشَابَـةُ فَـألحَضرْ
وهَلْ تَرَكَتْ أُبْلَى سَوَادَ جِبَالِهَا وهَلْ زَال بَعْدِي عَن قُنَيْنَتِهِ ألحَجْرُ

وهذه القرية تسمى الآن الحَجْرِيَّة ، وتقع في شمال جبل أُبْلَى بمنطقة المهد (معدن بني سُليم قديماً) .

١٧ ـ ص ٢١٣ : (مُحَجَّرِ ـ بفتح الجيم وكسرها ـ ماء أو اسم موضع بعينه شرقي جبل سلمى ، وكانت فيه وقعة بين غَنِيّ وطَيِّءٍ ، قال ابن بَرِّي : وشاهده قول الطفيل الغَنَوي (١٣ ق هـ = ٦١٠م) .

فَـذُوقوا كَـمَا ذُقْـنَـا غَـدَاةَ مُحَجَّـرٍ مِنَ ألغَيْظِ فِي أَكْبَادِنَا والتَّحَوُّبِ)

يلاحظ على هذا :

ـ مُحَجر في الأصل وصفٌ كما في قول أبي زياد : مُحَجَّرٌ جبلٌ حوله رملٌ حُجِّرَ بِهِ ـ «شرح المعلقات» للتبريزي ٢٠٨ ولابن الأنباري ٣٣٥ ، وقال البكري في «معجم ماستعجم» ١٨١ : كل جبل أُزْرَهُ رَمْلٌ فهو مُحَجَّرٌ .

ثم أصبح الوصف علماً لجبال ومواضع كثيرة ، ذكر بعضها البكريُّ وياقوت في معجميهما ، منها :

١ ـ جبل في ديار طيٍّء ، ولعل هذا هو أشهر تلك المواضع ، فقد ورد في معلقة لَبِيد بن ربيعة العامري وفي شعر بشر بن أبي خازم الأسدِي وزيد الخيل الطائي ، وطُفَيْلٍ الغَنوي وبقربه جرت وقعة بين قبيلتي غَنِيٍّ وطيٍّء ، وهذا الجبل يعرف الآن باسم (المِسْمَى) وهو سلسلة من الجبال واقعة بين خطي الطول ٠٠/٤٠° و٣٥/٤٠° وخطي العرض ١٥/٢٧° و٤٥/٢٧° غرب بلاد طَيٍّء على مقربة من رمال النفود الكبير (عالج قديماً) وفي طرف هذه السلسلة من الشمال فَرْدَةُ والرِّجَام الجبلان المذكوران في معلقة لبيد ولا يتسع المجال لزيادة التفصيل .

٢ ـ مُحَجَّرٌ أيضاً قرنٌ (جبل صغير) في أسفله جرعةٌ بيضاء حُجِّرَ بها واقع في ديار بني أبي بكر بن كلاب بفرع الشُّرَّةِ في عالية نجد .

٣ ـ جبل في ديار بني يربوع من تميم شرق الدهناء .

٤ ـ قرن (جبلٍ صغير) مُؤزر بجرعة بيضاء في أسفله ، واقع في أطراف السِّبَال من بلاد بني عُذْرَة في شمال الحجاز .

٥ ـ جبل في ديار بني نُمير ، وبلادهم شرق عرض شَمام وغَرْبَ بلاد السِّرِّ .

٦ ـ جبل في ديار بني وَبَرِ بن الأضبط من بني كلاب بقرب أسْودِ العين في عالية نجد غرب ضَرِيَّة .

٧ ـ موضع في حضرموت ورد ذكره في كتاب الرسول ﷺ لأقوال شَبْوَة .

٨ ـ موضع في بلاد بني كعب بن ربيعة في الجنوب الغربي من منطقة اليمامة

ورد ذكره في شعر تميم بن أُبَيّ بن مُقْبِل .

والشواهد على كل ماتقدم يمكن استقاؤها من مراجعها .

١٨ ــ ص ٢١٧ : (ومِحْجَرٌ : قرية معروفة ، جاء ذكرها في حديث وائل بن حُجْر .

وقال ابن الأثِير : هي حظائِرُ حول النخل : وقيل حدائق) .

كلمة محجر هنا وقع الاختلاف في ضبطها فقد وردت في كتاب «أخبار المدينة» لابن شبة ــ ٢ / ٥٨٠ ــ : (حجر) حين ذكر وفود وائل بن حُجْرٍ على رسول الله ﷺ ، قال : وكتب له : «من محمد رسول الله لوائل بن حُجْرٍ وبني مَعْشَرٍ وبني ضَمْعَجٍ أنَّ لهم شبوة وتنعة وحجراً والله لهم ناصر» . وشبوة وتنعة وحجر قرى . انتهى ، وكلمتا شبوة وتنعة محرفتان في المطبوعة ومهملتان من الإعجام في المخطوطة .

وجاء في كتاب «منال الطالب» لابن الأثير ــ ص ٦٩ ــ : مَحْجَرُ قرية معروفة بحضرموت وقيل هو محجن بالنون موضع معروف ، ومحاجن النخل حظائر تتخذ حولها . لهذا يحسن التثبت من قول ابن الأثير .

١٩ ــ ص ٢١٧ : (حَنْجَرُ : أرض بالجزيرة لبني عامر ، وهي من قِنَّسْرِيْنَ ، سميت بذلك لتجمع القبائل بهذا واغتصاصها ، أي امتلائها بالقبائل) .

(ت)

١ ــ يلاحظ على هذه المادة أنها ليست في كتاب «تاج العروس» الذي رمز له في آخرها بحرف (ت) .

٢ ــ قِنَّسْرِيْنُ ليست من الجزيرة الفراتية ، بل من بلاد الشام ، وكانت بقرب مدينة حلب على ماذكر الدكتور المنجد في تعليقاته على كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري .

٣ ــ وياقوت لما أورد كلام نصر الذي سَمَّى فيه الموضع (حَنْجَرة) وقال فيه :

وهي من الشام ثم من قِنَّسْرين. أضاف ياقوت: كذا قال بالجزيرة، ثم قال بالشام . فكأنه استغربه.

٤ ــ أورد ياقوت في «المعجم» شاهداً على (حنجر) قول تميم بن الحُبَاب أخي عُمَيْر بن الحباب :

جَزَى اللّهُ خيراً قَوْمَنا مِنْ عَشِيْرَةٍ بني عـامرٍ لما استهلُّوا بِحَنْجَـرِ

وأعاد هذا البيت مع أبيات أخرى في (لِبـّا) قائلاً: لِبًا من بلد العقر من أرض الموصل. وأعاد البيت الذي أورده في حنجر وبعده :

وَمـرُّوا عـلَى لِبّـا كـأنَّ عُيُـونَهُمْ من ٱلوَجْدِ بالآثارِ حمرُ الصَّنَوْبَرِ

٥ ــ جملة: وهي من الشام ثم من قِنَّسرين. في مخطوطة كتاب نصر كلمة (من) كأنها: (بين) .

وبالإجمال فالموضع في الجزيرة الفراتية الواقعة بين دجلة والفرات وليس في الشام، وفي هذا الموضع تجمعت قبائل قيس ومنهم بنو عامر للأخذ بثأر عمير بن الحباب السلمي رأس قيس الذي قتلته تغلب سنة ٧٠ ، فقال في ذالك أخوه تميم شعراً ورد فيه اسم (حنجر) وسماه نصر (حنجرة) ، وورد فيه اسم بني عامر عرضاً عند ذكر الموضع الذي اجتمعوا فيه، وليس في الأصل من بلادهم .

٢٠ ــ ص ٢٢٣ : (الحجاز: الجِبَالُ ، ومنه قول الشاعر :

ونَحنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بأَرْضِنَا

و ــ : البلد المعروف . (تحال على الأستاذ الشيخ/ حمد الجاسر) .

١ ــ الشاعر هو الأخنس بن شهاب التغلبي ــ جاهلي ــ والبيت من قصيدة في «المفضليات» ج ١/ ص ٦ ــ تحقيق الأستاذين أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ــ وهو :

ونَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بـأَرْضِنَا مَعَ ٱلغَيْثِ مانُلْقى ، ومَنْ هُوَ غالِبُ

٢ ــ أما الحجاز فهو قطر واسع ، ممتد من اليمن في أقصى جنوب الجزيرة إلى الشام ، ويحده شرقاً مرتفعات نجد إلى ماأشرف على جبلي طَيٍّءٍ من الحرار والجبال ، وغرباً سهول تهامة ، وجنوباً سراة عَبِيدة حيث فروع وادي تَثْلِيث ، وشمالاً جبال حِسْمَى ومشارف بَادِيَة الشام (شَرْق الأردن) وفيه مدُنٌ أشهرها المدينتان الكريمتان والطائف وأودية ذات قرى كثيرة كواديي نَخلة والفُرَع ، ووادي القُرى (العلا) ووادي العِيص ، ويتصل به عدد من الحرار من أشهرها حرة خيبر ، وفيها واحتا خيبر وفدك (الحائط) .

وسمي حجازاً لأن جبل السراة الممتد غرب الجزيرة أقبل من قَعْرِ اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فسمته العرب حِجَازاً لحجزه بين الغور وهو أرض تهامة المنخفضة وبين بلاد نجد المرتفعة ولاحتجازه أيضاً من شرقيِّهِ بالحرار والجبال .

والعرب تسمى كل جبل حجز بين أرضين حجازاً ، قال حُرَيْثُ بن عَنَّابٍ الطائي :

حَمَاهُنَّ مِنْ نَبْهَانَ جَمْعٌ عَرَمْرَمٌ   وصُمُّ ٱلعَوَالِي وَٱلحِجَازُ ٱلْمُمَنَّعُ

وهو يقصد بالحجاز هنا جبال طيء ــ انظر «أدب الخواص» ص ٩٤ ــ .

٢١ ــ ص ٢٣٧ : (الشُّرَيْبَةُ) في قول عبدالله بن الحجاج التغلبي : عَلَمٌ لأرض واسعة واقعة بين واديي الجريب والرُّمَة محددة في معجمات الأمكنة .

٢٢ ــ ص ٢٣٧ : (الحَجِيلُ : ماء الصَّمان (ص) كل أرض صلبة ذات حجارة الى جنب رمل .

قال الأفوه الأَوْدِي :

وقد مَرَّتْ كُمَاةُ ٱلحَرْبِ مِنَّا   عَلَى ماءِ الدَّفِينَةِ وٱلحَجِيلِ

الدَّفِينة : منزل لبني سليم) .

١ ــ الصواب : ماء في الصَّمان ــ كما في «معجم البلدان» ــ إذ في الصمان مياه

كثيرة .

٢ ــ الصَّمَّانُ : عَلَمٌ لصحراء صلبة ذات آكام ورياض وأودية ، وفيها مناهل مشهورة قديماً وحديثاً واقعة شرق الدهناء .

٣ ــ قول الأفوه يدل على أن الحَجِيل ليس الواقع في الصَّمَّان إذ المسافة بينه وبين الدَّفِينة تقارب سبع مئة (٧٠٠) كيل ، فهي مسافة طويلة ليس من المعقول قطعها في وقت قصير .

٢٣ ــ ص ٢٣٨ : (والحُجَيْلَاءُ : اسم بئر باليمامة . وفي «اللسان» قال الشاعر :

فَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ ٱلْحُجَيْلاءِ شَرْبَةً يُدَاوَى بِهَا قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ عَلِيـلُ)

الشاعر هو يحيى بن طالب الحنفي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقبله :

أَلاَهَلْ إِلَى شَمِّ ٱلْخُزَامَى ونَظْرَةٍ إِلَى قَرْقَرَى قَبْلَ ٱلْمَمَاتِ سَبِيلُ ؟

انظر «الأمالي» للقالي ــ ١٢٣/١ ، و«معجم ما استعجم» و«معجم البلدان» رسم الحجيلاء .

وهذه البئر كانت من نواحي البَرَّة البلدة المعروفة في منطقة البَطِين غرب اليمامة .

٢٤ ــ ص ٢٥٠ : (الحَجْناءُ : فَرَسُ مُعاوِيَةَ البَكائِي) . (ق، ت) .

أوضح من هذا التعريف :

الْحَجْنَاءُ من خيل بني عامر ، وهي فرس معاوية بن جُلَيْدِ بن عُبادة بن البكَّاء العامري ــ «الخيل» لابن الأعرابي .

٢٥ ــ ص ٢٥٢ : (والْحَجُون : مَوْضِعٌ بمكة ، ناحِية من البَيْت . (ل) وقيل : جَبَلٌ بِمَعْلاةِ مَكَة مُشْرِفٌ مما يلي شِعْبَ الجَزَّارِين ، فيه اعْوِجاجٌ ، قال السُّهَيْلِي :

على فَرْسخٍ وثُلُثين (حوالي ٦/كم تقريباً) من مكة (ل، ق، ت، مع).

وقيل: الحُجُونُ: موضع بمكة فيه اعْوِجاج، والمشهور الأول. (ل، نه) تحال على الأستاذ الشيخ/ حمد الجاسر).

التعريف ينطبق على موضع واحد، فالحَجُونُ جبل بمعلاة مكة فيه اعْوجاج ولكن قول السُّهَيلي بأنه (على فرسخ وثلثين ــ حوالي ٦ أكيال) غير صحيح كما سيأتي، فالمسافة بين الْحُجُون وبين المسجد الحرام لاتزيد على نصف ميل (سدس فرسخ) كما سيأتي.

كان الاسم (الحُجُون) يطلق على جبل في الجانب اليماني من معلاة مكة في أسفل الْمُحَصَّب على يمين الذاهب إلى مِنَى ثم أُطْلِقَ أخيراً على جبل مقابل له على يسار الذاهب إلى منى، مطل على المقبرة، أوضح ذالك مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام» ــ ٢٩٣/١ ــ وفي الحُجُون ثنية كَدَاء المعروفة، ثم سُمِّيَتِ به المقبرة نفسها. وألف صاحب «القاموس» رسالة بعنوان «إثارة الْحَجُونِ لزيارة الحجون» قال في أولها: حصل عزمٌ لزيارة مقبرة الحُجُون، وقصدتُ بتعديد أسماءِ من دُفِن من الصحابة بَوَجِينْ تلك الْجُبُوبَةِ المباركة تنشيطاً لكلٍّ وانٍ لَجُونٍ) إلى آخر ماذكر، والحجون الأول في اسم الرسالة ــ بالفتح ــ: الرجل الكسلان. وتبعد الحُجُون عن باب بني شيبة أحدِ أبواب المسجد بألف واثنين وأربعين متراً، ومن هنا يتضح خطأ السُّهَيلي في تحديد المسافة ــ وأوضح هذا صاحب «شفاء الغرام» ــ ٢٩٤/١ ــ إذ قال عنه بأنه مخالف للمحسوس والمعقول.

٢٦ ــ ص ٢٥٣: (وفي الخبر: انه كان يستلم الركن بمحجنة (أي يقبله).

١ ــ صواب كلمة (بمحجنة): (بمحجنِه) بهاء الضمير ــ ونصُّ الخبر: عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال: طاف رسول الله ﷺ على راحلته، يستلم الركن بمِحْجَنِهِ، ثم يعطِفُ المِحْجَنَ ــ ويقبله ــ «القرى لقاصد أم القرى» للمحب الطبري ــ ٢٥٢.

٢ ــ كلمة (يستلم): يَمَسُّ ويلمس ، لا (يُقبِّل) .

٢٧ ــ ص ٢٦١ : (أَحْجَاء : اسم مَوْضعٍ ، قال الراعِي :

قَـوالِصُ أَطْرَافِ المُسُـوحِ كَـأنَّها بِرِجْلَةِ أَحْجَاءٍ نَعامٌ نَوَافِرُ (ل،ت)

الرِّجْلَةُ : هي مَسِيلُ الماءِ من الحَرَّةِ إلى السهلة ينبت البقل) .

يلاحظ على هذا :

١ ــ أن صاحب «معجم البلدان» سمى الموضع (رجلة أحجار) وقال: انه بنواحي الشام . والقول بأنه من نواحي الشام يؤيده أن الشاعر ذكر بعده :

سِرَاع السُّرَى امْسَتْ بِسَهْبٍ وأَصْبَحَتْ بِذِي القُورِ يُغْشِيْهَا المَفَازَةَ عَامِرُ

وذُو القور : وادٍ لايزال معروفاً من أودية السماوة في طريق المتجه إلى الشام شرق بلاد الجوف ، وهو من روافد وادي عَرْعَر ، ويظهر أنَّ الشاعر قال هذه القصيدة وهو في طريقه عائداً من بلاد الشام ، فرجلة أحجاء ــ أو أحجار ــ تقع شمال ذِي القور المعروف الآن باسم (أبا القور) .

وقد ورد البيت في الديوان مطابقاً لنصه هنا .

٢ ــ أما صاحب «معجم ماستعجم فقد سمى الموضع رِجْلة أحجاءٍ وقال: أرض لينة معروفة تنبت الشجر ، كثيرة النعام ، ثم أورد بيت الراعي .

٣ ــ الرجلة هي : مسيل الماء ، وكما وصفها أبو حنيفة الدينوري بأنها مسيلُ سهلٌ مِنْبَات «اللسان» ، وعلى هذا فلا داعي لذكر كلمة (الحرة) .

٢٨ ــ ص ٢٦٨ : (حَدَّاءُ : وادٍ فيه حِصْنٌ ونَخْلٌ بين مَكَّةَ وجُدَّة ، يسمونه اليوم حُدَّة (مي) قال أبو جُنْدُبٍ الهذلي (جاهلي) :

بَغَيْتُهُمْ مَـابَيْنَ حَـدَّاءَ والحَشَـا وأَوْرَدْتُهُمْ مَـاءَ الأُثَيْـلِ فَعَـاصِـمَا

الحَشَا : وادٍ ــ الأُثَيْلُ وعَاصِمٌ : ماءانِ ــ «شرح أشعار الهذليين» ١ /٣٥٣ ــ .

(تحال على الأستاذ الشيخ/ حمد الجاسر)

ـ ١٦ ـ

نُهَـــا

في «معجم البلدان» ـ بالضم والقصر بلفظ النُّهَا بمعنى العقل ـ: قريةٌ بالبحرين لبني عامر بن الحارث من عبد القيس. انتهى.

حَدَّاء اسم ثَنْيٍ من أسْفل وادي مَرِّ الظهران (وادي فاطمة) يجزعه الطريقُ من مكة إلى جُدة قبل الوصول إلى بحرة ويبعد عن مكة نحو خمسة وعشرين كيلاً وفيه قرية تسمى حَدَّة ـ بفتح الحاء المهملة ـ ولا حصن فيها الآن ولا أهمية لها لنضوب ماء عينها، ولاتساع عمران مدينة بَحْرَةَ القريبة منها.

أما بيت أبي جندب الهذلي فقد يكون أراد بحدَّاء جبلاً يقع بقرب جبل آخر يسمى الحشا، وهذان الجبلان يقعان بقرب وادي يَلَمْلَم في الجنوب الغربي من مكة على مسافة تقرب من مئة كيل، حيث ميقات الاحرام بالحج أو العمرة للقادم من اليمن.

٢٩ ـ (حجرف):

لم ترد هذه المادة في موضعها مع ورودها في كتب اللغة كـ «القاموس» و«لسان العرب» و«تاج العروس» وغيرها.

قالوا: الحُجْرُوف دويبة ذات قوائم طوال، وقيل: هي النمل الذي رفعته قوائمه عن الأرض، وهي العُجْرُوف ـ بالعين ـ.

وهذا النوع من النمل اسمه في نجد (قِعْسٌ) ـ بالقاف بعدها عين وسين مهملتان ـ

والمادة نفسها مستعملة، فمن الأسماء المشهورة حجرف. ولهذا يحسن إيراد المادة.

حمد الجاسر

ومنازل بني عامر تقدم ذكرها في المقدمة، وأنها في جهات الظهران والبيضاء، ولكن لا ذكر لقرية بهذا الاسم في تلك الجهة الآن على ما أعلم.

نَهْـــــــرُ

ـ النَّهْرُ الماء الجاري، وقد توسَّعَ فيه اللغويون فقالوا إنه مجرى الماء، ولكن أهل عصرنا لا يطلقون اسم النهر إلاَّ على المياه الجارية بقوة، وقد كان في المنطقة المعروفة قديماً باسم (البحرين) أنهارٌ، على ما يفهم من كلام قدماء المؤرخين، ومن أشهرها نَهْرُ مُحَلِّمٍ ـ الذي تقدم ذكره في محله ـ وتقدم قول الهمداني[1] عن عين الناقة في الأفلاج أن امرأة مَرَّتْ بها على ناقة، فتقحَّمَتْ بها الناقة في جوف العين، فخرج بَعْدُ سوارُهابنهر مُحَلِّم، بهجر البحرين، ومُحَلِّمٌ نهر عظيم، يقال: إنَّ تُبَّعاً نزل عليه فهاله، ويقال: إنَّه في أرض العرب، بمنزلة نهر بَلْخٍ في أرض العجم. انتهى.

وقد كتب إليَّ الأستاذ محمد بن ابراهيم البُرَيْثن بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٤٠٤هـ كتاباً جاء فيه أن بطليموس المؤرخ اليوناني المعروف أشار إلى وجود نَهْرٍ في شرق الجزيرة يصب عند منتصف الخليج، سماه (لاريس) ومنبعه من بلدة سماها (لاثا) أو (لاتثا LATTHA).

وأن (جاستالدي) أشار إلى ذالك النهر في عام ١٥٦١ الميلادي، وأن منبعه من بلدة تدعى (لاكا) أو (لاسا LACA) وأن مصبه يقع في الخليج جنوب البحرين، ورسم مجراه في خريطة رسمها. وفي عام ١٧١٢ الميلادية رسم (مول) في خريطة قام بوضعها نَهْراً يَصُبُّ في الخليج في نفس المكان، سماه (AFTAN أفتان، عفطان).

ويستوضح الأخ الكاتب عن هذا النهر، والذي أرى أنه هو نهر مُحَلِّم، فموقعه متقارب في تحديد العلماء العرب، والعلماء الأعاجم الذين نقل الكاتب

عنهم، وأرى هذا النهر هو ما يعرف الآن باسم (أم سبعة) أقوى عيون الأحساء.

ولا شك أنه كان في المنطقة أنهار صغيرة لا تزال آثارها باقية عيوناً عظيمة، مثل عين الحَقْلِ، وعين الخدود وعين الجوهرية، وغيرها في الأحساء، وعين دَارُوش في صفوا في القطيف وغيرها، وقد ذكرت كثيراً من العيون ــ في حرف العين ــ وقد نضب أكثرها في عصرنا، بسبب حفر الآبار الجوفية، التي كانت الآلات الحديثة تجذب منها المياه بكميَّاتٍ عظيمة، فنضبت المياه الجوفية التي تُغَذِّي تلك العيون، أو قَلَّت، يضاف إلى هذا أن المياه كانت تخرج من تلك العيون لِتَرْوَى بها الحدائق والمزروعات في المنطقة وما لم يتبخر منها تبلعه الأرض، فتزداد به مياه العيون، وفي عهدنا عملت الدولة مجاري عميقة تنحدر فيها فضلات تلك المياه وتمتصُّها، وتخرجها من منطقة الأرض التي ترويها العيون حتى تبلغ البحر.

نُهِــــــيّ

ــ ضبط هذا الاسم غير واضح، فقد ورد بضم النون وكسر الهاء وآخره ياء مثنَّاة تحتية ــ مضبوطاً ضبط قلم في كتاب «التكملة»[٢] للصاغاني وقال: قرية بالبحرين، وفي «القاموس» وشرحه: ونُهَى ــ كَهُدَى ــ: قرية بالبحرين وقال ياقوت: هي بين اليمامة والبحرين لبني الشُّعَيراء، غير أنه ضبطه بكسر فسكون ــ نِهْي ــ وهو الصواب. انتهى.

وفي «المعجم»: نِهْيٌ ــ بكسر ثم السكون والياء معربة: اسم ماء. نهي: قرية بين اليمامة والبحرين لبني الشُّعَيراء، ونُهَيٌّ الدولة: قرية أخرى. هذا نصُّ ما في كتاب ياقوت المطبوع، فضبط الكلمة غير واضح فيه.

أما القرية فليستْ معروفة الآن، على حدِّ علمي ــ والشُّعَيْرَاءُ ــ على ما في «القاموس» وشرحه ــ هي ابنة ضَبَّةَ بن أُدٍّ، أُمُّ قبيلةٍ، ولدتْ لبكر بن مُرٍّ أخي تميم بنُ مُرٍّ، فهم بنو الشُّعَيْرَاءِ، أو لقب ابنها بكر بن مُرٍّ، أخي تميم. انتهى.

ويظهر أن بني الشُّعَيْرَاء دخلوا في بني تميم، إذْ ليس لهم شهرة بين القبائل القديمة، وأشهر منهم ضَبَّة خالطت تميماً في بلادهم منذ عهد قديم.

أمَّا نِهْي الدولة التي وردت في «المعجم» فقد ورد في (مستدرك) صاحب «التاج» بعد أن ذكر المواضع المسماة بِنِهْي عن ياقوت قال: ونِهْيُ الزولة ــ بالكسر ــ قرية بالبحرين، غير التي ذكرها المصنف. انتهى، فهل كلمة (الدولة) التي في «المعجم» مُحَرَّفة، أو ما ورد في «تاج العروس»؟

النُّهَيْدَيْن

ــ مثنًى تصغير نَهْدٍ ــ: جبل صغير يقع شرق روضة أم العصافير، في شرق الصَّمَّان، في الجنوب الغربي من قَرْية السُّفْلى، يحف به من الجنوب الشرقي آكام مستطيلة تتصل غرباً بجبل الحمار.

والاسم يطلق على كل أكمتين متجاورين، في مواضع كثيرة.

نُيَالُ

قال البكريُّ في «معجم ما استعجم»: ــ بضم أوله وتخفيف ثانيه: موضع بالبحرين. قال السُّلَيْكُ بنُ السَّلَكَةِ:

أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ نُشَيْبَةَ بِالرَّكْبِ ... وَهُنَّ عِجَالٌ عِنْ نيَالٍ وَعَنْ نَقْبِ

هكذا صحت الرواية فيه عن القالي في شعر السُّليك.

ووقع في شعر البَعيث رواية يعقوب وشرحه:

تَرَوَّحْنَ عَصْراً عَنْ نُبَاكٍ وعنْ نَقْبِ

وقد تقدم إنشادُه في رسم نَقْب، وقَبْلُ في رسم النُّباك، وهو الصحيح، والله أعلم، لأني لم أر نيال إلا في بيت السُّليك، على رواية أبي علي. انتهى.

ولقد أحسن رحمه الله وأصاب، فنيال هنا تصحيف نباك، وقد أوردته لمعرفة تصحيف الاسم الذي لايزال معروفاً، وتقدم ذكره في موضعه.

حـرف الـواو

واحِـــــــفُ

ـ على اسم الفاعل من وَحَفَ، ولعله مأخوذ من الْـوَحْفَاءِ وهي الأرض التي فيها حجارةٌ سُود ـ ولم أرَ في كلام المتقدمين تحديداً واضحاً لهذا الموضع، مع كثرة ورود ذكرِه في الشعر، وتكرره في شعر ذي الرُّمَّةِ، فياقوت في «معجم البلدان» اكتفى بأن قال: الواحِفَان تثنية واحف موضع، وأنشد بعضهم:

عَنَاقَ فأعْلَى الْـوَاحِفَيْنِ كأنَّـهُ ... مِنَ الْـبَغْيِ للأشْبَاحِ سِلْمٌ مُصَالِحُ

وقال: واحف موضع آخر، قال ثعلبةُ بن عَمْرٍو العبْقَسيُّ:

لِمَنْ دِمَنٌ كـأنَّهنَّ صَحَـائِـفُ ... قِفَارٌ خَلاَ مِنْهَا الكَثِيْبُ فواحِفُ

والبيت الأول لذي الرّمة، كما سيأتي ـ وما أراه أراد إلا واحِفاً فثنّاه على عادة الشعراء كقول الفرزدق (٣) يمدَح يزيد بن عبد الملك:

ولقـد تَـرَكْتُ بِـوَاحِفَيْنِ بَقِيَّـةً ... يَرْجُون سَيْبَ نَدَاكَ غَيْرَ المُمْحِلِ

وفي شرحه نقلاً عن ابن حَبِيب: واحف واحدٌ فجعله اثنين.

ولما ذكر ياقوت الْـمِعَا قال في وصف الطريق من اليمامة بعد أن ذكر هُرَيْرة آخرَ الدهنا: ثم واحف ثم المِعا. وهذا يدل على أنه شرق الدهنا، وذُو الرُّمَّة

أضاف المِعَا إلى واحِفِ ــ كما سيأتي ــ والمِعَا هو جانب الصَّمَّان على ما نقل ياقوت عن أبي زياد الكلابي ، وأوضحُ تحديدٍ للمعَا ماجاء في كتاب «بلاد العرب» (٤) في وصف الطريق من حَجْرٍ إلى البصرة ــ بعد أن ذكر أول ما يستقبل من الصَّمَّان بعد قَطْعِ الدهنا ــ قال : فتمضي في الصَّمَّان حتى تنتهي إلى بلد يقال له الْـمِعَا ، وهو رَمْلٌ بين جبال ، ثم تجور الـمِعَا فتمضي حتى ترد طُوَيْلِعاً . انتهى .

وإذَنْ فواحف هو في جانب الصَّمَّانِ الذي يَلِي طُوَيْلِعاً ــ أي في أسفله الموالي لما يعرف قديماً باسم الشواجن ، وحديثاً باسم الطِّوال ، وطُوَيلع يعرف الآن باسم الضبْعِيَّات ، ولما ذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (٥) بلاد بني تميم قال : الشَّمَالِيلُ والخَلْصاء وواحِفُ الرَّمَادةِ ، فإذا كان هذا النص صحيحاً فإنه يدل على قرب واحف من الرَّمَادة ، ولاشَكَّ أن جهة الموضع قد اتضحت من الإشارات المتقدمة ، وسيأتي في شعر ذي الرمة ما يؤيدها .

أما البكري فقد قال عن واحف : هو اسم ماء قال الراجز ــ وذكر سَجْلاً ــ :

عَفَتْ عَرَاقِيْهِ وَطَالَ قِدَمُهْ ... بِواحِفٍ لَمْ تَبْقَ إلَّا رِمَمُهْ

ــ كذا استشهد على كون الاسم يقع على ماءٍ ــ وما أرى الراجز وَصَفَ سجْلاً ــ أي دَلْوًا ــ ولكن وصف رَبْعاً دارساً مع أن كلمة (عراقِيه) لست من صحتها على يقين .

وأورد البكري في رسم (برك) من شعر لأوس بن حَجَرٍ .

فَبَطْنُ السُّلَيِّ فالسِّخَالُ تَعَذَّرَتْ ... فَمَعْقُلَةٌ إلى مَطَارٍ فَواحِفُ

ويفهم من هذا تقارب معقلة ومَطار وواحف ، وأما السُّلَيُّ فتفصل بينه وبين

هذه المواضع الدهناء بعرضها، والسخال أجهل موقعها.

وعدَّ البكريُّ – حين تكلم على الخَلْصاءِ وأورد بيت ذي الرمة الذي سَيَرِدُ فيما بعد – عدَّ الفودجات وواحفاً تلقاء الخلصاء، أخْذاً من قول الشاعر.

وكما قرن أوس بن حَجَرٍ ذكر واحف بِذِكْرِ مَعْقُلَةَ فعل رؤبة فقال[٦]:

تَأَبَّدَتْ مَعْقُلَةٌ فَوَاحِفُ فَمِذْنَبُ الْبُرْدَيْنِ فَالنَّواصِفُ

وقال فذكر الموضع[٧]:

هَلْ تَعْرِفُ الرَّبْعَ الْمُحِيلَ أَرْسُمُهْ بِوَاحِفٍ لَمْ يَبْقَ إِلاَّ رِمَمُهْ

أما ذُو الرُّمةَ فقد ورد اسم واحف في شعره مِراراً، منها قوله – يصف حِمَارَ وَحْشٍ مع أُتُنِه[٨] –:

لَهُ عَلَيْهِنَّ بِالْخَلْصَاءِ مَرْتَعِهِ فَالْفَوْدَجاتِ فَجَنْبَيْ واحِفٍ صخَبُ

وقال[٩] يصف حَمِير وحْشٍ –:

وظَلَّلْتُ بِمَلْقَى وَاحِفٍ جَرَعَ المِعَا قِياماً تَفَالَى، مُطْلَخِماً أمِيْرُهَا

أي حيث لقي واحفُ جَرَعَ المِعَا، والجرع من الرمل: رابية سهلة لينة. مطلخم: مستكبر.

وقال[١٠] – يصف أُتُناً وحشيَّةً –:

بِرَهبَا إلَى رَوْضِ الْقِذَافِ إلى المِعَا إلَى وَاحِفٍ تَرْوَادُهَا وَمَجَالُها

تروادها: إقبالها وإدبارها. تَرُودُ: تجيء وتَذْهَبُ.

وقال[١١] – عن حمار وحش مع أُتُنه –:

لَهُ وَاحِفُ فَالصُّلْبُ حَتَّى تَقَطَّعَتْ خِلاَفَ الثُّرَيَّا مِنْ أَرِيْكٍ مآرِبُهْ

وروى أبو عمرو : من أُرَيْكٍ :

يُقَلِّبُ بِالصَّمَّانِ قُوداً جَرِيدةً تَرَامَى بِهَا قِيْعَانُهُ وأَخَاشِبُهْ

جريدة : قد جَرَّدَها ليس فيها صغير وكبير ، هي أفْتَاء. الأخاشِب: جمع أخشب وهو المكان الغليظ المرتفع ، والأخشب الجبل ــ والقاع المكان الصلب الحُرُّ الطين .

وقال ــ يصف مراعي حمار وحش[١٢]ــ :

عَنَاقَ فَأعْلَى واحِفَيْنِ كَأنَّهُ مِنَ الْبَغْيِ لِلأشْبَاحِ سِلْمٌ مُصَالِحُ

أي رعَى عناقَ فأعلَى واحفين . من البغي : أي من طلبه الشخوص لا يفزَع ، كأنه سِلْمٌ للأشباحِ ، لأنه في قفر ليس فيه أحد . فإذا رآى شخصاً نظر إليه .

وقال ــ يصف حُمُراً ــ[١٣]:

رَعَتْ وَاحِفاً فَالْجِزْعَ حَتَّى تَكَمَّلَتْ جُمَادَى وَحَتَّى طَارَ عَنْهَا نَسِيْلُهَا

كانت جُمادى في ذالك الوقت إذا تكملت فقد جاء الصيف ، فإذا جاء فلا بُدَّ أن تطلب الماء ، والجزع : منعطف الوادي . وقال[١٤]:

تُرَاقِبُ بَيْنَ الصُّلْبِ والهَضْبِ والمِعَا مِعًا وَاحِفٍ شَمْساً بَطِيئاً نُزُوْلُهَا

وقال[١٥]:

إِذَا لَعِبَتْ بُهْمَى مَطَارِ فَوَاحِفٍ كَلُعْبِ الجَوَارِي ، واضْمَحَلَّتْ ثَمَائِلُهْ

أي ذهب ما في جوفه من العلف ، يريد ثمائل البعير ، وذالك أنَّ الحرَّ أذهبه (؟) .

الْــــــوَادِي

يُعْنَى بالكلمة لُغَوِياً الأرض المنخفضة التي تجرى فيها السُّيُول ، عند هطول الأمطار ، ثُم تُوسِّعَ في الكلمة فأصبحتْ تطلق على الأراضي المنخفضة مثل وادي القُرَى في شمال الحجاز ، فهو واحة واسعة فيها عدد من الأودية .

وأطلق الشاعر ابنُ مُقَرَّبٍ كلمة (وادي) على وَاحَةِ الحَسَاء :

يَاحَبَّذَا وَادِي الْحَسَاءِ فَإِنَّهُ ... لَوساءَنِي وادٍ إِلَيَّ مُحَبَّبُ

وفي هذه البلاد التي ألف هذا الكتاب لتحديد مواضعها أوديةٌ كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر .

وادي الباطِن ، المعروف قديماً باسم فَلْج (انظر هذا الاسم) .

وادي السِّتَار: ـــ تقدم ذكره في مواضع وهو وادي المياه وسيأتي له ذكر .

وادي السَّهْبَا : أعلاه في الخَرْج ، وفروعه من جبال العارض ، ويتصل شرقاً إلى ساحل الخليج ، مخترقاً الأرض التي غطَّتْها رمال الرُّبْعِ الخالي شرق يَبْرِيْنَ .

وادي الشَّقِّ : وهو منخفضٌ واسعٌ منَ الأرض يقع شمال الخفقي ، وغَرْبَهُ ، بقرب الْوَرِيعة .

وادِيَا الشَّيِّطِيْنِ ـــ تقدم ذكرهما ـــ وهما مُثَنَّى شَيِّطٍ .

وَادِيَا الفَأْوَيْنِ ـــ مُثَنَّى فَأْوٍ .

وَادِيَا الفُرُوق .

واديا فُلَيْجَيْنْ الشمالي والجنوبي ـــ مُثَنَّى فُلَيْج .

وغيرها ، وسيأتي ذكر أشهرها مع ما سبق من الإشارة إلى بعضها عند ذكر

اسمه مجرداً ــ كالسِّتَار والفروق وغيرهما .

الْـوادي الشَّمَـــالِـي

وقد أطلقَ ابنُ الْـمُقَرَّبِ اسم الوادي الشمالي على جانب من حدائق نخيل الأحساء في عهده فقال[١٦]:

وَهَلْ أينَعَ الوادِي الشَّمَاليُّ واكْتَسَتْ عَثَاكِيلَ قِنْوَانٍ حَدَائِقُهُ الغُلْبُ ؟

ويظهر أنه يعني موقع النخيل الذي شمال موقع البطَّالية ، حيث المكان الذي تقع فيه آثار مدينة الأحساء القديمة ، فتلك الجهة منخفضة ــ فيما يبدو ــ عما حولها ، بحيث يمكن القول بأنه كان واديا .

وادي ثَغَـــــــــــب

ــ بالثاء والغين المعجمة مفتوحتين وآخره باء ــ من روافد وادي الْـمُلَيْحِ ، في شرقي حَرَض .

وادي الحَيْـــــــــد

من فروع وادي المُلَيح ، بقرب حَرَض ، في أعلى الصَّمَّان من الجانب الجنوبي .

وادي السُّـــدَيْـــــرِ

شَعِيبٌ قصير يدعى فَرْعهُ وادي المزهرة في منطقة الصمان يتجه من الجنوب على مقربة من الخَمَّة ، حتى يصل إلى القَرْعَاءِ ، وتحفُّ به من الشرق جبال الدُمَيْغ .

وادي شَبْهَانَـــــــــة

ــ بالشين المعجمة بعدها باء موحدة ساكنة ثم هاء مفتوحة فألف فنون فهاء

التأنيث ـ : شَعِيبٌ قصير ، تنحدر فروعه من الآكام المحيطة بَوَبْزْة ، فرائد وبزة وخشم وبزة ، ويتجه صوب الجنوب الشرقي حتى يفيض في أسفل جُوبَة يَبْرين ، يجزعه الطريق المتجه من يبرين إلى حرض .

وادي الشِّعْب

يقع غرب مدينة الهفوف على بعد خمسين كيلاً تقريباً .

وادي الصُّفَيَّة

شَعِيب قصير ، يقع في الصُّلْب ، شرق الجربة الواقعة شرق مَطَار ، غرب مُشَاش الهادي بنحو خمسة وأربعين كيلاً ، وفروعه من جبل الحصان وما حوله ، واتجاهه صوب الشرق .

كذا رسم الاسم في المصور الجغرافي .

وادي الْعَشَاوي

وادٍ يقع غرب حرض ، ينحدر من البَيْضَة ، شرق الدهنا ، من الشمال نحو الجنوب حتى يَصُبَّ في وادي السَّهبا .

وادي الْقَرَايا

على لفظ جمع قرية بلهجة العامة : جاء في تاريخ ابن غنام في ذكر حوادث سنة ١٢١٠ ما ملخصه(١٧) فلما تحقق سعود من نزول ثُوَيْني على (وادي القرايا) أرسل حسن بن مشاري مع جيش من المسلمين إلى أهل تلك البلاد لتطمئن نفوسهم ، وكانوا قد مُلِئوا كَرْباً وهَماً لتأخر سعود بالقدوم عليهم .

والمقصود هنا وادي المياه (وادي الستار قَديماً) .

وَادي القُصُــــــور

ـ على لفظ جمع قَصْر ـ : وادٍ صغير يقع جنوب الْـعُضَيْلِيَّة ، شرق جَوّ دُخَان ، وغرب برقاء الضُّمْرَان .

وادي المزهــرة

في الصَّمَّان ، بين الخَمَّة جنوباً ، والقرعاء شمالاً ، وهو أعلى وادي السُّدَير الذي يتجه شمالاً حتى يبلغ القرعاء .

وَادي الـمُلَيْـــــح

ـ بضم الميم وفتح اللام وإسكان الياء المثناة التحتية وآخره حاء مهملة ـ : واد يقع شمال حرض ، وفي أعلاه يقع منهل حرض ، شمال محطة حرض التي فيها القرية ، ويمتدُّ شمالاً إلى مُشَاش الخليلين ، بمحاذاة جبل الحرمليَّةِ غرباً .

الحواشي :

(١) : «صفة جزيرة العرب»: ٣٠٦.
(٢) : ٥٢٨/٦.
(٣) ديوانه : ٦٨٢ .
(٤) : ٣١٣ .
(٥) : ٣٣٣ .
(٦) ديوانه : ١٠٢ .
(٧) : ١٤٩ .
(٨) ديوانه : ٥٢ .
(٩) : ٢٤٣ .
(١٠) : ٥٢١ .
(١١) : ٨٤٢ .
(١٢) : ٨٩٢ .
(١٣) : ٩٢٨ .
(١٤) : ٩٣٤ .
(١٥) : ١٢٦١ .
(١٦) ديوانه : ٢٠ الطبعة الهندية .
(١٧) تاريخ نجد ـ ص : ١٩٧ .

جبل التوباد : حياك الحيا !!

اسم (التوباد) يستهوي الفؤاد ، ويحرك المشاعر ، لما له من جَرْسٍ في السمع ، وسَيْرُوْرة في أعماق الزمن تربو على ثلاثة عشر قرناً ، على أن موقعه لدى علماء اللغة لايسمو إلى مستوى الكلمات التي أفسحوا لها في مؤلفاتهم مجالاً رحباً للبقاء ، فمادة (ت ب د) وما تصرف منها ، من الكلمات المهملة كغيرها من المواد التي اشتقت منها أسماء مواضع كثيرة حين يُعْيِيْ أولئك العلماء إدراكُ معانيها يلجأون إلى التُّكَأة . المعروفة : (هذا الاسم مُرْتَجَلٌ) أي ليس مشتقاً من مصدر معروف ، ـــ أما حذاقهم ـــ أو متحذلقوهمَ فيحاولون ربط تلك الأسماء بأمم بائدة ـــ كالعماليق وبني إرم وبني سام ، واقرأْ إن شِئْت عن تعليل بعض أسماء مواضع لاتزال معروفة ـــ ماجاء في «معجم البلدان». ونصه : وذكر العلماءُ بأخبارِ العرب أن أَجأً سُمِّيَ باسم رجل ، وسُمِّيَ سَلْمَى باسم امرأَةٍ ، وكان من خبرهما أن رجلاً من العماليق يقال له أَجأُ بنُ عبد الحيّ ، عَشِقَ امرأَةً من قومه ، يقال لها سَلْمَى . وكانت لها حاضنةٌ يقال لها العَوْجاءُ ، وكانا يجتمعان في منزلها حتى نذر بهما إخوةُ سَلْمى ، وهم الغَمِيم والمُضِلُّ وفَدَكُ وفَائِدُ والحَدَثَانُ وزوجُها ، فخافت سَلْمَى ، وهربت هي وأَجأ والعَوْجاءُ ، وتبعهم زوجُها وإخوتُها فلحقوا سَلْمَى على الجبل المسمى سَلْمَى ، فقتلوها هناك ، فَسُمِّيَ الجبل باسمها . ولحقوا العَوْجاءَ على هضبة بين الجبلين ، فقتلوها هناك ، فسُمِّيَ المكان بها . ولحقوا أَجأً بالجبل المسمَّى بأَجإٍ ، فقتلوه فيه ، فسُمِّي به . وأَنِفُوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فسار كل واحد إلى مكان فأقام به ، فسمي ذالك المكان باسمه . (انتهى)

وإذَنْ فهذا الاسم الخالد كان لمجنون ليلى أبلغ الأثر في خلوده ، وما أكثر ماللمجانين من آثار خلدها التاريخ !! فلنمسك بتلابيب (صاحبنا) ولْنَسِرْ معه إلى مرابع صباه ومراتع لهوه من بلاد قومه بني جَعْدة ، وبلادِ الحَرِيش الذين منهم صاحبته ليلى لمعرفة موقع هذا الجبل (التوباد) .

إنه قيس بن المُلَوَّحِ بن مُزاحم بن عَدَس بن ربيعة بن جَعْدَةَ ، وليلى ابنة

مَهْدي بن سعد بن مهدي بن رَبيعة بن الحَرِيْشِ ، وجعدة والحَرِيْشُ من بني عامر ابن صعصعة ، فمن بنو عامر هاؤلاء؟ ثم أين بلادُ جَعْدَةَ والحَرِيش؟ .

بنو عامر هاؤلاء قبيلة كانت أبْرَزَ القبائل الهوازنية العدنانية ــ عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن قَيْسِ عيلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدِّ بن عدنان ــ وكانتْ من أثْرَى القبائل عدداً ، وأكثرها فروعاً ، وأوسعها بلادا ، وأشدها قوة .

فمن فروعها بنو كِلابٍ الذين كانت تشمل بلادهم عاليةَ نجد ، وفيها حِمَى ضَرِيَّةَ ، وتمتد جنوبا حتى أعالي بلاد وادي الدواسر (عَقِيق بني عُقَيْلٍ قديماً).

ومن بني عامر بنو هلال الذين لهم شهرة لم تقف عند حد المهتمين بدراسة أنساب القبائل ، بل شملتْ عامَّةَ الناس في مختلف العصور ، ونُسِجَ حول أخبارها من القصص والأخبار مابقي متناقلاً إلى عصرنا .

ومن بني عامر بنو عُقَيْلٍ الذين عُرِفَ بهم وادي الدواسر بعد أن كان يُدْعَى (عَقِيْقَ جَرْمٍ) نسبة لسكانه من قُضاعة و(عَقِيقَ تَمْرَةَ) إضافة إلى قرية لاتزال معروفة في بطن ذالك الوادي .

ومن بني عامر أيضا بنو قُشَيْرٍ إخْوَةُ جَعْدة ، وكانت بلادهم مع إخوتهم منتشرةً في بلاد الأفلاج وما حولها غربا حتى تتصل ببلاد إخْوَتِهم من بني عامر ــ الحريش والعجلان وبني عُقَيْل ــ .

وكانت بلاد بني عامر تمتد من سفوح الجبال الشرقية الجنوبية بامتداد الأودية المنحدرة منها كوادي أُبيدة (بِيدة) وهو وادي تُرَبَة ، ووادي رَنْيَةَ ، ووادي بِيْشَةَ ، ووادي الدواسر ، منساحة في عالية نجد ، ممتدة شرقاً حتى تشمل الجانب الجنوبي من جبل عارض اليمامَة (طُوَيق) وأرض البياض المتصلة حتى رمال صَيْهَد (الرُّبْع الخالي) ويَبْرِين حيث بلاد بني سعد من تميم الذين يجاورون فروع بني عامر من الشرق ، ويجاور العامريين من الشمال بطونٌ من جَرْمٍ وهِزَّانَ ــ في العارض (طُوَيْق) ثم بطون من بني تميم متحضرة في الوشم حتى السِّرِّ غرباً حيث تتسع بلاد

بني عامر فتشمل حِمَى ضريَّة سوى جانبه الشمالي من بلاد غطفان الممتدة حتى سفوح حرار الحجاز ، وتتاخم بلاد بني عامر غرباً بلادُ بني سُلَيْم الممتدة من حِمَى الرَّبَذَةِ غرباً فالدَّفِينَة حتى الحرة المعروفة بهم ــ حرة رُهَاط الآن ــ فما امتد جنوباً فهو من بلاد بني عامر حتى وادي تَثْلِيثَ وفِرَاعِهِ من البلاد ، وما رفد وادي بيشة من أودية السراة كوادي ترج وما حوله حيث البلاد التي ينتشر فيها القحطانيون ، والتي تُحَادُّ بلادَ بني عامر من الجنوب بامتداد حوض وادي بيشة حتى رمل الجزء ، مايعرف الآن باسم المُنْدَفِنِ ، حيث يختفي طرفُ عارض اليمامة في رمال الربع الخالي .

ولكن هذه القبيلة التي كانت لها تلك الصفة ــ من حيث الكثرة ، وتعدد الفروع ، وسعة البلاد ، وكانت لها السيطرة في جنوب بلاد نجد في العهد الجاهلي وصدر الإسلام بحيث كانت تتصدَّى لمصاولة من يليها من القبائل القحطانية ، وكثيراً ما انتصرت عليهم في مواقع مشهورة مذكورة في أيام العرب ــ أوشكت الآن أن تكون غير معروفة باسمها القديم ، إذ لاتجد من ينتسب اليها في عهدنا الحاضر سوى قبيلة سبَيْعٍ التي لاتزال باقية في أعلى بلادها الغربية في رنية وما حولها من منازل قبيلتها في العهود القديمة .

أما الفروع الأخرى فقد انضمت إلى القبائل الأخرى كعادة كل قبيلة يدركهاالضعفُ فتنضوي تحت لواء قبيلة أَقْوَى منها ، ولا شكَّ أَنَّ فروعا كثيرة من بني عامر انضموا إلى قبيلة الدواسر في العهود الأخيرة ، هذه القبيلة التي سيطرت على كثير من بلاد بني عامر ، كما أنَّ فروعا أخرى دخلتْ في مُسَمَّى قبيلة (عُتَيْبَة) المنتشرة الآن في بلاد بني كلاب وبني نُمَيْر وبني هلال في عالية نجد كلها .

هذا عن بني عامر قبيلة قيس بن الملوح المعروف بمجنون بني عامر ، فماذا عن جعدة قومه الأدنين ، وماذا عن بلادهم وماصلة جبل التوباد بهذه البلاد؟

إن منازل بني جعدة هاؤلاء ــ وهم أبناء كعب بن ربيعة بن عامر ــ كما حددها متقدمو العلماء وأوفاهم في ذالك صاحبا كتابي «بلاد العرب» و«صفة جزيرة

العرب» تقع شرقي بلاد قومهم العامريين متصلة بها ، وكانت قاعدة تلك البلاد (الْفَلَج) ـ بفتح اللام وهو واحد الأفلاج والمقصود به النهر ـ ثم أصبح علما على البلدة التي عرفت فيا بعد باسم الأفلاج ، وفي ذالك يقول راجزهم :

نحن بنو جَعْدَةَ أصحابُ الفلجْ
نحْنُ مَنَعْنَا بَطْنَهُ حتَّى انْعَرَجْ
نَضْرِبُ بالسَّيْفِ وَنرْجُو بالْفَرَجْ

ويشاركهم في بلاد الأفلاج إخوتُهم بنو قُشَيْر ، وتنتشر بنو جعدة في أودية الأفلاج وما حول تلك الأودية ، ومنها وادي اْلغَيْل ، وقد وصفه صاحب «صفة جزيرة العرب» بإنه وادٍ كثير النخل كثير الحصون ، ومن بلاد هم الصَّـدَارَةُ وهي فَرع وادي الغيل ، وقال عنها صاحب كتاب «بلاد العرب» : بأنها كثيرة النخيل . ولجعدة من المنازل مالايتسع المجال لذكره .

والغيل من الأودية التي لاتزال معروفة الآن وفيه بلدة بهذا الاسم من سكانها الآن القبابنة من السهول وهاؤلاء من بني عامر أيضاً .

وفي الغيل يقول قيس :

أَبتْ لَيْلَةٌ بِـالْغَيْلِ يَـاأُمَّ مَالِكٍ لَكُمْ غَيْرَ حُبِّ صَادِقٍ لَيْسَ يَكْذِبُ

وقد أثار هذا البيت شَجْوِ ليلى وأَسَالَ دموعها كما يروي صاحب «الأغاني» وغيره ، إلا أن ليلة الغيل كانت ليلة حُبٍّ عذري بِرِيْءٍ .

من بلدة الغيل هذه الواقعة بقرب خط الطول ١٥َ/٤٦° وخط العرض : ٣٥َ/٢٢° في أعلى إقليم الأفلاج ، وفي وسط هذا الجبل العملاق الذي يمتد بامتداد إقليم اليمامة من الشمال إلى الجنوب المعروف باسم (طُويق) حديثا ، وبـ (عارض اليمامة) قديما ، من هذه البلدة يشاهد المرْءُ عن قربٍ جبلاً اسودَ كبيرا هو جبل التَّوْبَادِ الوارد في شعر قيس في أبيات تسيل رقةً وعُذُوبَةً .

يروي نقلةُ قصة هيام قيس بصاحبته ـ انظر «الأغاني» ١٦١/١ طبعة الساسي ـ : أنهما وهما صَبِيَّانِ كانا يرعيان غنما لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال

له التوباد ، فلما ذهب عقله كان يجيء إلى ذالك الجبل ، فيقيم فيه ، فإذا تَذَكَّرَ أيامَ كان يُطِيفُ به هو وليلى جَزِعَ واسْتَوْحَشَ فهامَ على وجهه ، فإذا ثاب إليه عقلُهُ رآى بلداً لايعرفه ، فيقول للناس : بابي أنتم أين التوباد ، من أرض بني عامر؟! فيقولون له : وأَيْنَ أَنْتَ من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا وكذا فَأُمَّهُ ، فيمضي على وجهه نحو ذالك النجم حتى يقع على التوباد ، فإذا رآه قال في ذالك :

وأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ حِينَ رأيتُهُ ... وكَبَّرَ لِلرَّحْمنِ حِينَ رآني
وَأَذْرَفْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ ... ونَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَاني
فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ كَانَ حَوْلَكَ جِيْرَةٌ ... وعَهْدِي بِذَاكِ الصِّرْمِ مِنْذُ زَمَانِ
فَقَال : مَضَوْا ، وَاسْتَوْدَعُوني بِلادَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَبْقى عَلَى الْحَدَثَانِ؟!
وَإِنِّي لأَبْكِي الْيَوْمَ مِنْ حَذَرِي غَداً ... فِـرَاقَـكَ والْحَيَّانِ مُجْتَمِعَانِ
سِجَالاً وتَهْتَاناً ، وَوَبْلاً وَدِيْمَةً ... وسَحَّاً وتَسْجَاماً ، وتَنْهَمِلاَنِ

ويختلف الرواة في بعض ألفاظ هذه المقطوعة الرقيقة اختلافا ليس جوهريا ، إلا أن هناك من العلماء من أبْعَدَ النجعة حين زعم أن التوباد الوارد فيها يقع في أرض الموصل من أرض الجزيرة الفراتية في بلاد بني شيبان في العراق ، وذالك في سياق خبر غزوة حدثت في شهر صفر سنة ٢٨٠ في عهد الخليفة المعتضد ، فقد خرج من بغداد يريد بني شيبان فقصد أرضَ الموصل ، فلما بلغ الموضع الذي كانوا يتخذونه معقلا أوقع بهم وقعة شديدة ، وسمى ابنُ كثير الموضعَ جبل تَوباد ، وأنه لما أَشْرَفَ على هذا الجبل وكان معه دليل أعرابي حسن الصوت أنشد الأعرابي :

وأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ لَمَّا رَأَيْتُهُ ... وَهَلَّلَ لِلرَّحْمنِ حِينَ رَآني
وَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ الَّذِيْنَ عَهِدتُهُمْ ... بِظِلِّكَ فِي خَفْضٍ وأَمْنِ زَمَانِ
فَقَال : مَضَوْا ، واسْتَخْلَفُوني مَكَانَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدْثَانِ؟!

فتغرغرتْ عَينا الخليفة المعتضد ، وقال : ماسلم أحد من الحدثان!! .

ليس غريبا أنْ يطلق الاسم الواحد على عدة مسميات ، ولكن الغريب أن

يتوهم علماءُ كابن الجوزي في «المنتظم» ـ ١٤٢/٥ ـ وابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٦٨/١١ ، وغيرهما ممن لايجهل مجنون ليلى وشهرته وانتشار شعره بين أعراب نجد ـ أَنَّ الجبل المعنيَّ بهذا الشعر يقع في الجزيرة الفراتية في بلاد بني شيبان .

واسم التوباد يطلق على جبلين في نجد أحدهما هـذا الجبـل المشرف على بلدة الغَيْل ، وأَقولها كلمةً لوجه الحق وأمانة العلم أنني لم أَكُنْ أعرف التوباد هذا ، حتى كتب إليَّ الأخ محمد بن حمدان من الرياض وأنا في بيروت بتاريخ ١٣٩٣/٣/٢٥ يخبرني به ، فكتبت إذ ذاك بحثا في مجلة «العرب» ـ س ٧/ص ٩٥١ ـ في الموضوع خلاصته : إنَّ التوباد يسمى به الآن جبل في بلاد محارب قديما الواقعة غرب وادي الْجَرِيب المعروف الآن باسم الجرير ، وهذا قد ورد ذكره في كتاب «بلاد العرب» ـ ١٨٢ ـ بهذا النص : وقرن التَّوْبَادِ جبلٌ في بلادهم ، جنب الماءة التي يقال لها الغبارة ، قال المحاربي :

نَحْنُ جَلَبْنَا مِنْ جَنُوبِ التـوباد إِلَى قُـطـيَّـاتٍ وَجَنْبِ الْأَغْـرَادْ
عُـيُـورَة أَذْنَـابُهـا كَـالْأَوْتَـادْ مُجَلَّحَـاتٍ بِـالسِّـلَاحِ وَالـزَّادْ
فَنَحْنُ جُنْدٌ فِي عِرَاضِ الْأَجْنَادْ

كذا أورد صاحب الكتاب عن المحاربي وما أرى رجلا محاربيًّا يمدح قومه باقتناء العيورة ـ جمع عَيْر ـ بينما تمتدح القبائل الأخرى بانهم أصحاب الخيل الأصيلات ، ونجائب الإبل المهريات .

وهذا الذي في بلاد محارب قد شاهدته في إحدى رحلاتي إلى عالية نجد ، وهو جبيل أسود صغير ململم ، قليل الارتفاع ، يقع جنوب قرية الحسي (حسو عليا) بنحو ٤٥ كيلا ، قد مررت به أنا وبعض الإخوة ممن كتب عن وصفه وينطق اسمه الآن (التوبان) .

أما التَّوْباد الواقع جوار بلدة الْغَيَل فقد ذكره البكري في «معجم ماستعجم» وضبط الاسم بفتح التاء بعدها واوفباء معجمة بواحدة ودال مهملة ، وقال : إنه جبل في أرض بني عامر ، وأورد شاهدا عليه قول المجنون المتقدم .

وجاء في كتاب نصر الاسكندري ــ والكتاب لايزال مخطوطا ــ : التوباد أبيرق أسد . كذا وردت كلمة (أسد) في المخطوطة التي تعتبر وحيدة ، وهي مخطوطة (لَالَهْ لي) ويظهر أن ياقوتاً الحمويَّ اطلع عليها فنقل النَّصَّ كما هو ، وسار على هذه الطريقة صاحب «تاج العروس» في رسم (توبد)، ولم يدرك ياقوت ولا الزَّبيدي أن كلمة (أسد) في المخطوطة تصحيف (أُسَيِّد) تصغير أسود مثل كلمة (أسيود) وقد نص نصر على أنه في بلاد محارب حين ذكر الغبارة فقال : ماءة إلى جنب جبل التوباد في بلاد محارب .

ويلاحظ في اسم التوباد أنَّ ياقوتا أورده بالذال المعجمة (التوباذ) ولم يزد على القول : جبل بنجد . ــ مع مانقل عن نصر ــ والخُلْفُ بين الدال المهملة والذال المعجمة سَهْلٌ ، فقد تُبْدَلُ الذال من الدال لتقارب مخرجي الحرفين كما في قراءة الأعمش للآية الكريمة﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾،فقد روى عنه إعجام الذال ، وأُعجمت أيضا في اسم (بغداد).

ثم ماذا عن منازل بني الْحَرِيش قوم لَيْلَى صاحبة قيس التي كانت ترعى معه الْبَهْمَ

صَغِيرَيْنِ نَرْعَى الْبَهْمَ يَالَيْتَ أَنَّنَا إِلى الآنَ لَمْ نَكْبَرْ وَلَمْ يَكْبَرِ الْبَهْمُ

مما يدل على تقارب ديار العشيقين؟

في كتابَيْ «بلاد العرب»: ٢٢٦ والهمداني في «صفة جزيرة العرب» ــ ٢٦٤ أن وادي الهدَّار المعروف في الأفلاج كان خاصًا ببني الْحَرِيش من أعلاه حتى يدفع على صَدَّاء ، كلُّ جِـزْءٍ منه لفرع من فروعهم فالقُطْنية لبني خَلَدة ، ثم الأقطان لبني خالد ، ثم الْفَرْعَةُ لبني رَبيعة ، ثم الخَشْرَج لبني الْمُجِرِّ ، وأما الشُّطْبَتَانِ ــ المعروفتان الآن باسم الشُّطْبَة والضَّبْعِيَّة ــ فتشرك فيهما جَعْدَةُ والْحَرِيش .

وعلى هذا فالْحَرِيشُ مخالطون لبني جعدة في بلاد الأفلاج .

وبعد : فلقد امتدَّ نفسُ القول في مقام يحسن فيه الإيجاز ، ولكن أليس من الوفاء أَنْ يُشارَ ــ بل يُشَاد ــ برائعةِ أمير الشعراء عن قصة صاحب (التوباد) فلقد ←

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٤٥ ـ

٢٢٨ ــ بَابُ ٱلجَوْفَاءِ وٱلخَرْقَاءِ[١]

أَمَّا ٱلأَوَّلُ ــ بَعْدَ الجِيْمِ ٱلْمَفْتُوحَةِ وَاوٌ ــ : فِي شِعْرِ غَسَّانَ بن ذُهَيْلٍ :

وَقَدْ كَانَ فِيْ بَقْعَاءَ رِيٌّ لِشَاتِكُمْ   وتَلْعَةَ وٱلجَوْفَاءِ يَجْرِي غَدِيْرُهَا

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : بَقْعَاءُ وَتَلْعَةُ وَٱلجَوْفَاءُ مِيَاهٌ وأَمَاكِنُ لِبَنِي سَلِيْطٍ[٢] .

وَأَمَّا الثَّانِي ــ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا رَاءٌ ثُمَّ قَافٌ ــ : فِي شِعْرِ أَبِي سَهْمٍ :

غَدَاةَ الرَّعْنِ وَٱلخَرْقَاء تَدْعُو   وصَرَّحَ بَاطِنُ ٱلكَفِّ ٱلكَذُوبِ

قَالَ السُّكَّرِيُّ : الرَّعْنُ وٱلخَرْقَاءُ مَوْضِعَانِ[٣] .

٢٢٩ ــ بَابُ ٱلجَوْفِ وَٱلحَوْفِ[٤]

أَمَا ٱلأَوَّلُ ــ بِفَتْحِ الجِيْمِ وَآخِرُهُ فَاءٌ : دَرْبُ ٱلجَوْفِ بِٱلبَصْرَةِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ حَيَّانُ ٱلأَعْرَجُ ٱلجَوْفِي ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي الشَعْثَاءِ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ[٥] .

وَأَمَّا الثَّانِي ــ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ ، وٱلبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ــ : مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ قُسَيْمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَيْرٍ ٱلحَوْفِي ٱلْمُقْرِيءُ ، وأَبُو ٱلحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يُوسُفَ ٱلحَوْفِيُّ النَّحْوِيُّ ، حَدَّثَ عن ابن رَشِيْقٍ وغَيْرِهِ ، رَوَى عِدَّةَ كُتُبٍ مِنْ تَصَانِيفِ النَّحَّاسِ[٦] .

مَتَحَ من تيَّارِ نهرٍ صافٍ فأروى وأعذب ، وَمَنَحَ (صناجة العرب) في هذا العهد بتلك الرائعة ما أشجى به إذْ غَنَّى فأطرب .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) لم أر هذا الباب في كتاب نصر .

(٢) أورد ياقوتُ في «معجم البلدان» مانصه : الجَوْفَاءُ ــ بالمدّ وفتح أوله ــ : ماءٌ لمعاوية وعوفِ ابني عامر بن رَبِيعَةَ . قال أبو عُبَيْدَةَ في تفسير قولِ غَسَّانَ بن ذُهَلٍ :

وَقَدْ كانَ في بَقْعَاءَ رِيٌّ لِشَائِكُمْ وقَلْعَةِ ذِي ٱلْجَوْفَاءِ تَجْرِي غَدِيرُهَا

هذه مياهٌ وأماكِنُ لبني سَلِيْطٍ حوالي اليَمامةِ . وقال الحَفْصِيُّ : جَوْفَاءُ بَنِي سَدُوسٍ بِالْيمامَةِ قلعةٌ كبيرة. انتهى . ويلاحظ على هذا :

١ ــ وقوع تصحيف في الكلمات (لشائكم) و(قلعة) في الموضعين ، والصواب (لِشَائِكُم) و(تَلْعَة) كما في كتاب الحازمي . أما كلمة (ذي الجوفاء) فيظهر أن الصواب (والجوفاء) كما في الكتاب و«النقائض» ــ ١٢ ــ و«ديوان جرير» ــ ٢٩٥ ــ فقد ورد البيتُ فيه من قصيدَةٍ طويلةٍ يَرُدُّ فيها على غَسَّانَ السَّلِيطِيِّ ، وإذَنْ فالبَيْتُ لجرير ولَيْسَ لغَسَّانَ ، وقصيدةُ جَرير في هَجْوِ بني سَلِيطٍ ومنها البيتُ ، فكَيْفَ يَهْجُو غَسَّانُ قومهُ ؟ أما أَبُو عُبَيدةَ فهو مَعْمَرُ بنُ المثنَّى وقد أورد في كتابه «النقائض» خبر التهاجي بين جرير وبين غَسَّانَ بْنِ ذُهَيْلٍ مُفَصَّلاً ــ في أول الكتاب ــ وساق نسب غسان بن ذُهَيل بن البراء بن ثمامة بن سيف بن جارية ابن سَلِيطٍ ، ولكن لم يرد في الكتاب مانسبه ياقوت إليه ، مع انه أوردَ البيتَ في قصيدةٍ لجرير ، مطلعها :

أَلَا بَكَرَتْ سَلْمَى فجدَّ بكُورُهَا وَشَقَّ ٱلعَصَا بعد اجْتِمَاعٍ أَمِيْرُهَا

يناقض بها قصيدة لغَسَّانَ مطلعها :

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ بَجِيْلَةُ زَانَهَا جَرِيْرٌ ، لَقَدْ أَخْزَى كُلَيْبًا جَرِيْرُهَا

وَلَمْ يُعَلِّقْ على البيت بِشَيْءٍ ، وقد تكون مطبوعة «النقائض» نَاقِصَةً ، ولكن الذي لامِرْيَةَ فيه أَنَّ البيتَ فيها وَرَدَ في قصيدةٍ لجرير ، كما ورد في ديوانه ، مما يحمل على الاعتقادِ بأنه من شعره ، لا شعر غَسَّانَ بْنِ ذُهَيْلٍ ــ وقبل البيت:

تَمَنَّيْتُمْ أَنْ تَسْلُبُوا ٱلقَاعَ أَهْلَهُ كَذَاكَ ٱلْمُنَى غَرَّتْ جُحَيْشًا غُرُورُهَا

وقد كَانَ في بقعاء ــ البيت :

تَنَاهَوْا وَلَاتَسْتَوْرِدُوْا مُشْرَفِيَّةً تُطِيْرُ شُؤُونَ ٱلهَامِ مِنْهَا ذُكُورُهَا

وبَنُو سَلِيط أبناءُ عَمٍّ لجرير ، فَسَلِيطٌ هُو كَعْبُ بنِ الحارثِ بن يَرْبُوع بن حَنْظَلَة بن مالكِ بن زَيد مَنَاةِ بْنِ تَمِيم ، وجَرِيرٌ معروف نسبه من بني كُلَيب بْنِ يَرْبُوع .

والجَوْفَاءُ من أَوْصَافِ البِئْرِ الواسِعَة الجوف (الأسفل) ففي «النقائض» ــ ٤٩٠ ــ في وصف حاقة مُعْرِضٍ ــ من اقارب جرير الشاعر ــ : أتى بالنساءِ وأولادهنَّ رَكِيَّةً واسعة يقال لها الجوفَاء ، بشبكة من شِبَاكِ بني كُلَيْبٍ ، فالقاهُمْ فيها أجْمعين ، وكان فَمُ الركيَّةِ ضَيِّقاً ، وأسفَلُها واسعاً . انتهى .

وفي كتاب «بلاد العرب» ــ ٧ ــ : وأرض بني عامر بن رَبيعة بن عُقَيلٍ الجَوْفَا ، وهي لمعاوية وعوف ابني عامرِ بن ربيعة ، وقبل ذالك ذكر أن عامِرَ بنُ عُقَيْلٍ مُرْتَفِعُونَ بِأعالي الْحِجَاز وأَدَاني اليمن . وعلى هذا فما ذكر صاحب «معجم البلدان» ينطبق على مُسَمَّيَاتٍ ثلاثة : أرضٍ أو ماءٍ لابني عامر بن ربيعة بن عُقَيلٍ ،

وهذا في الجنوب الغربيِّ مِنْ نَجْدٍ ، والثاني جَوْفَاء بني سدوس ، وهي تَلْعَةٌ واسعة ، وينبغي أن تكون بِقُرْبِ قَرْيَتِهم التي لاتزال معروفةً في اليمامة ـــ منطقة العارض ، على نحو سبعين كيلاً من الرياض ، والثالث : جوفاء بني سَلِيط الواردة في الشعر ، وهي غير جَوْفَاء بني كُلَيْب ، وليس من المستبعد أن تكون الجوفاوان مُتَقَارِبَتَيْنِ ، فَسَلِيطُ وكُلَيْبُ أخوانِ ، ولابُدَّ أن تكون مَنَازِلُهما قديماً مُتقارِبَةً ، مع منازل قومها من بني يَرْبُوع ، إلاَّ أنَّ منازل هاؤلاءِ متفرقةٌ ، فيما يَقَع بعضُها في الْمَرُّوتِ جَنُوبَ الْوَشْمِ ، إذا بَعْضُها يَصِلُ إلى شرق بلاد جبل سَلْمَى ، الأجْفَر ، ومن بلادهم حَزْنُ بني يَرْبُوع شرق الدَّهْناءِ ، مما يعرف الآن باسم الثِّبيبِيَّات وماحولها ـــ ولهم قُرَى في شمال القَصِيم ، منها القُوارة وزُنْقُبُ والخُفُّ والهدِيَّة ، ـــ انظر كتاب «بلاد العرب» ٥٨/٦٠/١٠٢/٢٢٢/٢٥٢/٢٦٨/٢٨١/٣٢٧/٣٣١ ـــ

وبَقْعَاءُ : اسم كانَ يُطْلَقُ على آبارٍ ، منها في غَرْبِ نَجْدٍ بِقُرْبِ جَبَل بُسٍّ ، ومنها شرقَ جَبَلَيْ طَيِّءٍ ، وأصْبَحتِ الآنَ قَرْيَةً مَأهولةً ـــ بَلْ قَرْيَتَيْنِ ، أمَّا بَقْعَاءُ بني سَلِيْطٍ فهي ثالِثَةٌ ، ولم أرَ تحديداً لموقعها ، والآبار القديمة ـــ قد درس أكثرها إلا ما أُقيم عَلَيْهِ قَرْيَةٌ كانت سبباً لبقاء الاسم .

وأما تَلْعَةُ فاسمٌ لِمِياه منها : تَلْعَةُ لبني فُقَيْم بن جرير بن دارم بن حنظلة بن مالك ـــ وهو ماء يقع شرق الْعَرَمَةِ وقَبْلَ الدَّهْناءِ في الطَّرِيْقِ من حَجْرٍ إلى الكوفة «بلاد العرب» ـــ ٣٣٠ ـــ وليس هذا الماءُ معروفاً الآن .

(٣) لم يَزِدْ ياقوتُ في «معجم البلدان» على ماذكره الحازِميُّ هنا إلاَّ بتعريف الْخَرْقاء ، وأنَّها المرأةُ التي لاتُحْسِنُ شَيْئاً ، وأضاف إلى (أبي سهم) كلمة (الْهُذَلِيّ) وفي «تاج العروس» مثله إلاَّ أن البيت فيه بهذا النَّصِّ :

غداة الرَّغْن والخرقاء تدعو ... وصرَّح باطل الظن الكذوب

وفي «اللسان» : والْخَرْقَاءُ مَوْضع قال أُسامَةُ الْهُذَلِيُّ ـــ ثم البيت كما أورده الحازمي ـــ وفي «معجم مااستعجم» رسم الخرماء : وقال أُسامَةُ الْهُذَلِيُّ :

غداةَ الرُّغْنِ والخرماءِ تَدْعُو ... وصَرَّحَ باطن الظَّنِّ الكَذُوبِ

ولِأسامَةَ بْنِ الحارث الْهُذَلي شِعْرٌ على هذه القافية في كتاب «شرح أشعار الهذليين» ولكن لم يرد فيه البيت فأضافهُ المحقق إلى زيادات شعره ـــ ص ١٣٤٩ ـــ

والرُّغْنُ ـــ بفتح الراء أَوْ ضَمِّها ـــ الأنفُ العظيم من الجبل ـــ وهو اسم مواضع في شرق الجزيرة وغربها وجنوبها ـــ كما يفهم مما أورده صاحب «معجم البلدان» وليس من قَرِيْنَةٍ توضح مراد الشاعر في بيته المفرد .

(٤) في كتاب نصر: (باب الْجَوْف والْخَوْف والْجُرُف والْخُزُف)

(٥) قال نصر: أما بفتح الجيم : وادٍ باليمن من أرضِ سَبَإ ، وأيضاً : من بلادِ بَني تميمٍ جَوْفُ طُوَيْلِع ، وأيضاً : في ديارِ حَلَب ، موضع ، ودَرْبُ الجوف بالبصرة . انتهى .

وقد أُوضَحَ صاحب «معجم البلدان» وقبله علماءُ اللغةِ أنَّ الجوف هو الْمُطْمَئِنُّ من الأرض ، ولهذا تسمَّى به مواضع كثيرة ، ذكر منها صاحب «المعجم» درب الجوف الذي في البصرة ، والجوف أرض لبني سَعْدٍ ، وهذا في شرق الجزيرة حيث وادي السِّتارَيْن ، المعروف الآن بوادي المياه في شمال منطقة الظهران ، وجوف بَهْدَا ـــ في الوشم ـــ وجوف مُراد ـــ في جنوب شرق اليمن ، ولايزال معروفاً ، وجَوْف عُمَان ـــ الذي تقع فيه واحة البُرَيْمي ـــ ويعرف باسم الجوّ ، وهناك مواضع أخرى معروفة الآن ، وأشهرها الجوفُ المعروفُ قديماً باسم دَوْمَةَ الجَنْدَل . أما جَوْفُ طُوَيْلِع وقد ذُكِر في «المعجم» فيقع شرق الصَّمَّانِ ، ويعرف

طُوَيْلِعُ باسم (الضُّبَيْعِيَّات) الآن ، كما أوضحت في (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

وحيَّانُ الأعرجُ الراوي عن أبي الشعثاء المنسوب إلى جوف البصرة أورد له ابن حَجَرٍ في «تهذيب التهذيب» ترجمة مقتضبة، ذكر انه ثقة من التابعين ــ نقلاً عن ابن مَعين وابن حبَّان ــ وأبو الشعثاء كنية جابر بن زَيْدٍ اليحمدي الأزدي، الجوفي البصري من مشاهير العلماء التابعين ، روى الحديث عن عدد من كبار الصحابة كابن عباس وابن عمر وابن الزبير، وتوفي سنة ٩٣ أو ١٠٣ . وهناك من نسب أبا الشعثاء إلى جوف عُمان ، وعَدَّه إباضياً ــ انظر «الأنساب» ٤ / ٣١٠ و«تهذيب التهذيب» ١٢ / ١٢٧ ــ وما أراه بعيداً لكونه من اليَحْمد من الأزد ــ وهم من أهل عُمان .

(٦) لم يَزِدْ نصرٌ في تعريف الحوف على القول: بفتح الحاء المهملة ــ : موضعٌ بمصرَ .

وقال ياقوت في «معجم البلدان»: ــ بعد أن ذكر بعض معاني كلمة الحوف ــ : والحَوْفُ بمصرَ حَوْفَانِ الشرقيُّ والغربيُّ ، وهما مُتَّصِلانِ أول الشرقي من جهة الشام ، واخر الغربي قرب ــ دُمْيَاط ، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة ، ونقل عن السُّكَّرِيِّ مانَصُّهُ : أخبرني أبو مُحَكِّم قال: أنشدني أبو مطهّر لِعُبَيْدِ بن عياشٍ البكريُّ أحدِ بني قوالة ، وطَرَدَ هو وعَارِمٌ إبلاً لرجل نَصْرَانيٍّ من حَوْفِ مِصْرَ حتى أوردها حَجْرَ اليمامة فقال :

سَرَتْ مِنْ قُصُورِ الحَوْفِ لَيْلاً فَأَصْبَحَتْ ... بِدِجْلَةَ ، مايَرْجُو المُقَامَ خَبيرُهَا
نُبَاطِيَّةٌ لَمْ تَدْرِ مَاالكُورُ قَبْلَهَا ... وَلاَ السَّيْرُ بِالْمَوْمَاةِ مذْ دَقَّ نُورُهَا
يَدُورُ عَلَيْهَا حَادِيَاهَا إِذَا وَنَتْ ... وأَنَّتْ عَلَى كَأْسِ الصَّلِيبِ تُدِيرُهَا
سَلُوا أَهْلَ تَيْمَاءَ اليَهُودَ بِمَرْهَا ... صَبِيحَةَ خَمْسٍ وَهْيَ تَجْرِي صُفُورُهَا
أَلاَ لاَ يُبَالِي عَارِمٌ مَاتَجَشَّمَتْ ... إِذَا وَاجَهَتْهُ سُوقُ حَجْرٍ ودُورُهَا

أَوْرَدْتُ هذه الأبيات لطرافة مَوْضُوعها ، دفعاً لِسَآمَةِ جَفَافِ البحث ، وحَوْفُ مِصْرَ معروفٌ الآن وهو كُلُّ رِيفِ بُلْبَيْس ، فهي قَصَبَتُهُ ، كما في «تاج العروس» . وذكر ياقوتُ المَنْسُوبِيْنَ إلى الحَوْفِ ، وقال عن الأخير: روى عن ابن رشيق والأدفوي وغيرها ــ ولم يزد ــ وذكر حَوْفَ رَمْسِيس بمصر ، كما ذكر في أول الكلام الحوف موضع بِعُمان ، وأشار إلى تصحيف الجوف بالحوف ــ وأرى موضع عُمان مما صُحِّفَ ، وأنه الجَوّ والجوف وللتوسع في معرفة المنسوبين إلى الحوف يحسن الرجوع إلى كتاب «الأنساب» للسمعاني بتعليق الشيخ عبدالرحمن المعلمي .

ومما أضافه نصرٌ إلى هذا الباب :

١ ــ الجُرُف: قال: ــ بضم الراء المهملة ــ : قريبٌ من المدينة ، وأيضاً: بِالْحِيْرَةِ حَيْثُ مَنَازِلُ ال المُنْذِر ، وأيضاً : قرب مكة ، بها كانت الحرب بَيْنَ سُلَيْمٍ وهُذَيْلٍ . انتهى . الجُرفُ ـ لغة ــ ماجرفته السيول من الأرض فحفرته . ولهذا كثرَتْ تسميةُ المواضع بهِ ، ومن أشهرها جُرُف المدينة ويسمى العِرْض ، وكانت فيه أموال لأهلها في الجهة الغربية منها على نحو ثلاثة أميال حيث مجتمع أوديتها . وانظر لتحديد موقعه «وفاء الوفاء» للسمهودي . والجُرُف الذي كانت فيه الحرب بين هُذَيْلٍ وسُلَيْمٍ ، بين مكة والمدينة ، وهو إلى مكة أقرب حيث اتصال منازل القبيلتين ، وسبب تلك الحرب أنَّ ابنَ عاصيةَ البَهْزِي السُّلمي كان يَغْزُو بني سَهْمٍ من هُذَيْلٍ ، فَتَرَصَّدُوا لَهُ فأمسكوه وقتلوه ، فغزاهم أخوه عَرْعَرَةُ بجمع من قومه فأوقع بهم في الجرف من بلادهم وقال في ذالك : ←

ـ ١ ـ

نفود حَمَّا : (رمل النِّقَار)

في الأجزاء التي صدرت من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» فات ذكر بَعْض الأسْماء ، إذْ ليس في مقدور المرء مهما أوتي من سعة علم وقُدْرةٍ أن يكون عمله كامِلاً .

وسأحاول تَصَيُّدَ بعض مافات من تلك الأسماء ، مما ورد في المؤلفات القديمة ، أو مما جرى فيه من الحوادث ـ ولو في العصور المتأخرة ـ ماجعل معرفته مرتبطةً بتاريخ تلك الحادثة .

ومن تلك الأسماء (حَمًّا) بالحاء المهملة المفتوحة بعدها ميم مشددة فألف ، وهو اسم يطلق على كثبان رَمْلٍ (نُفود) في شرق الجزيرة ، فيما يُعْرف بالمنطقة المحايدة بين المملكة وبين الكويت ، شمال منطقة (الخَفْقِي) ويقع جنوب منطقة (الوَفْرَا) بما يقارب ثلاثين كيلاً . وفي تلك الكثبان كثيب بارز طويل يُدْعى (عدامة حَمًّا) والْعَدَامة ـ بلغة أهل العصر من أهل نجد ـ الكثيب المستدير المرتفع ، ولعل اسم (حَمًّا) أُخِذَ من لون الحُمَّة وهي السواد ، فهو يشاهد من بُعْدٍ أسود اللون ، ويقع نفود حَمًّا شرق جنوب منطقة الشِّقِّ ، وأقرب الأعلام منه آكام مرتفعة

ألا أبْلِغْ هُـذَيلاً حَيْثُ كَـانَتْ　　مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ عَنِ الشَّفِيقِ
مقَـامكُم غَـداةَ الْجُـرْفِ لَمَّـا　　تَواقَفَتِ الفَوارِسُ بِالْمَضِيقِ

وقد فُصِّل خبرُ مقتل ابنِ عاصية في كتاب «شرح أشعار الهذليين» ـ ٨٦٤ ـ أما خبر يوم الْجُرْف فقد ذكره البكري في «معجم ماستعجم» ولم يرد في «شرح أشعار الهذليين» المطبوع .

٢ ـ حُرْف : قال نصرٌ ـ بضم الحاء المهملة : رُسْتَاقُ حُرْفٍ بِالأنْبارِ ، وأيضاً : آرامٌ سُودٌ مُرْتَفِعَاتٌ ، أظنُّها في بِلاد سُلَيْم . ذكر ياقوت في «المعجم» رستاق حُرْف من نواحي الأنبار ينسب إليه موسى بن سهل بن كثير بن سيار الوَشَّا الحُرْفي المتوفى سنة ٢٧٨ أما الآرامُ فلَمْ يَزِدْ عما ذكر نصرٌ ـ والآرامُ جمع إِرَم ـ بكسر الهمزة وفتح الراء وبكسر الراء وفتح الهمزة ـ حِجَارَةٌ تُنْصَبُ في المفازة ، لِيُهْتَدَى بِها .

تدعى (ضُليعات السُّور) تصغير ضلع ، وهو الجبيل الصغير ، وشمال هذه الآكام آكام أخرى تعرف باسم (ضليعات الفوارس) وهذه بقرب الوَفْرَا .

وتقع منطقة المِشعاب في الجنوب الشرقي من نفود حَمَّا، بنحو خمسين كيلاً (يقع النفود بقرب خط الطول ٤٧/٤٧° وخط العرض ٢٢/٢٨°) .

ويظهر أنه جانب من رَمْلِ النِّقَار ، والرمل الواقع في طريق البصرة من البحرين ، وفيه مات العلاء بن الحضرمي – رضي الله عنه – أمير البحرين في صدر الإسلام .

لقد حدثت في الموضع المذكور وقعة بين محمد بن عبدالله بن رشيد وبين قبيلة العُجمان ذكرها عبدالرحمن بن ناصر في تاريخه بما هذا نَصُّه : – في ذكر حوادث السنة العاشرة بعد الثلاث مئة والألف – : فيها أمر ابنُ رشيد على البادية والحاضرة بالْمَغْزَا ، فسارَ وأغار على راكان وجميع العجمان ، وأخذهم على موضع يقال له حَمَّا ، ورجع قافلاً إلى وطنه . انتهى .

ولكن يظهر أن راكان بن حثلين شيخ العجمان لم يحضر تلك الوقعة ، فقد جاء في قصيدة له يردّ بها على قصيدة قالها حُمُود بن عُبَيْد بن رَشيد وجاء فيها يخاطب راكان : –

اِحْرَصْ مِنَ اللِّي يَوْمْ (حَمَّا) تَنَصَّاكْ   وخَلَاكْ تَمْرَحْ بِالتُّسَيْعِي خَلَاوِي

فأجابه راكان :

وْذَكَرْتْ (حَمَّا) لَيْتْ جِنَّا حَضَرْنَاكْ   حتَّى يِضِيعِ مْرُوْتَكْ والْهَقَاوِي

ومن قوله :

حَمَّا نَبَا نَاخِذْ سِرِيعٍ قَضَاهَا

تنبيه : أمدَّني بالشواهد الشعرية الابن عبدالله بن عبدالرحمن بن سلُّوم – وفقه الله –

حمد الجاسر

ذكراك فوق مغيب الشمس ...

[فُجع الشاعر ــ بل مدينة القطيف بأسرها ولاسيما الطبقة المثقفة في هذه المدينة الكريمة ــ بحادث حريق اشتعل فجر الثلاثاء ٧ صفر ١٤٠٦هـ (٢٢/١٠/١٩٨٥م) فالْتَهَمَ بيتَ الشاعر عبدالوهاب بن حسن آل عبدالوهاب بمن فيه ــ صاحب البيت وزوجه وأطفاله الأربعة ــ وكان هذا البيت يشبه منتدى أدبياً في تلك المدينة ، حيث كان ملتقى أصدقاء الشاعر في أوقات الفراغ ، مما قوى آصرة الأدب بينهم ، وقد كان من المفجوعين بذالك الحادث الأليم الأستاذ محمد رضي الشماسي فأبّن الفقيد بقصيدة ألقاها في ذكرى الأربعين ليلة الخميس ٢٢/٣/١٤٠٦هـ (٤/١٢/١٩٨٥) كان منها :]

أَمِنْ تَجَدُّدِ ذِكْرَى يَوْمِكَ ٱلأَلَمُ ... مِلْءُ ٱلْفُؤَادِ جِرَاحٌ لَيْسَ تَلْتَئِمُ
ماخَالَطَ ٱلحُزْنَ فِيها عَيْشُ مُبْتَهِجٍ ... ومَاعَرَانِيَ إلاَّ السُّقْمُ وَالسَّأَمُ
وَمَا ٱلخليطُ سِوَى أَشْبَاحِ نَازِلَةٍ ... بِدَارَةٍ أَمُّهَا ٱلإِقْوَاءُ وَالظُّلَمُ
تَحَمَّلَتْ بَعْدَ نَأْيٍ كُلَّ مُدَّكِرٍ ... كَأَنَّ كُلَّ تُرَابٍ فِي الطُّلُولِ فَمُ
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا وَمُنْعَطَفٍ ... لِلْمَجْدِ وَمْضَةُ فِكْرٍ غَالَهُ ٱلعَدَمُ
تَجَسَّدَ ٱلبَيْنُ فِيها بَعْدَ مَارَسَخَتْ ... مِنَ ٱلبَيَانِ عَلَى أَنْحَائِهَا قَدَمُ
تَمَثَّلَ ٱلمَوْتُ لِيْ فِيهَا عَلَى صُوَرٍ ... نَارٌ تَلَهَّبُ فِي أَجْوَائِهَا وَدَمُ
أَصُورَةٌ مِنْ خَيَالٍ أَمْ مُغَالَطَةٌ ؟! ... أَمْ تِلْكَ لَوْحَةُ بُؤْسٍ صَاغَهَا الضَّرَمُ ؟!
حَقِيقَةٌ تِلْكَ أَمْ مِنْ وَحْيِ شاعِرِهَا ؟ ... فَلَيْسَ ثَمَّةَ نِيرَانٌ ولاَ حُمَمُ
رِوَايَةٌ لَعِبَتْهَا فَوْقَ مَسْرَحِهَا ... وَبُؤْسُهُمْ عُقْدَةُ ٱلمَأْسَاةِ بُؤْسُهُمُ
أَمْ قِصَّةٌ حَبَكَتْهَا (شهرزاد) أسىً ؟ ... بِهَا الدَّوَاوِيْنُ إِذْ تُبْدَا وَتُخْتَتَمُ
أَمْ تِلْكُمْ صِيْغَةٌ فِي الشِّعْرِ أَبْدَعَها ... خَيَالُنَا حَيْثُ فَرَّ ٱلبُؤْسُ ، تَنْتَظِمُ
فَوْقَ (التَّفَاعِيْلِ) لاَ وَزْنٌ وَقَافِيَةٌ ... وَلَمْ تَكُنْ بِسِمَاتِ الشِّعْرِ تَتَّسِمُ
عَرُوْضُها مِنْ ضَحَايَاهَا فَمِنْ جُثَثٍ ... وَمِنْ بَنَاتٍ لِفِكْرٍ خَطَّهَا قَلَمُ
ضُرُوبُهَا وزِحَافَاتٌ مُعَلَّلَةٌ ... دُخَانُهَا وَلَهِيْبٌ رَاحَ يَلْتَهِمُ

☆ ☆ ☆ ☆

مـاافـتَرَّ بَعْـدَهُمْ ثَغْرِي لِـوَاقِعَـةٍ … عن أشْنَبٍ في الْهَوى الْعُذْرِيِّ تَبْتَسِمُ
غَنَّيْتُهَا أمْسِ أشْعَارَ الْهَوَى طَرِباً … والْيَـوْمَ يَغْفُو عَـلَى أوْتَـارِيَ النَّغَمُ
سَلَوْتُهَـا وَسَلَوْتُ الـرَّاحَ ، مـافَتِئَتْ … ذِكْرَاكَ فَوْقَ مَغِيبِ الشَّمْسِ تَرْتَسِمُ
أوْتَمْتَ ظِلَّ نَدَامَـاكَ الأُلَى شَرِبُـوا … سُـلافَةً مَـاارْعَوَوْا عَنْهَـا وَمَانَـدِمُـوا
شَرْبٌ مِنَ الصَّحْبِ تَسْقِيهِم فَتُسْكِرُهُمْ … ولَيْسَ في غَيْرِ جَرْسِ الْحَرْفِ سُكْرُهُمْ
عَلَّمْتَهَـا أنْ تَصُوغَ الْفِكْـرَ مُتَّسِقاً … وَأنْ يُرَى مَعَ رُوحِ الْعَصْرِ يَنْسَجِمُ
وَكَيْفَ تَـرْتَادُ وِرْدَ الشِّعْـرِ ظَامِئَةً … أوْ ظَـامِىءٌ لِـرُؤَى سِحْـرِيَّـةٍ نَهِمُ
تَنْمِي إلَى فِكْرٍ (بَاخُوس) شَوَارِدُهَا … ومِـنْ ذُرَى (الْمُـتَنَبِّـي) دونها أمَـمُ
تَسْتَلْهِمُ الأدبَ الأنْـدَى يَـرَاعَتُهَـا … والْعَبْقَـرِيَّـةُ فِي أُفْقِ الْعَـطَا رِيَمُ

☆ ☆ ☆ ☆

وخَاطِبِ الدار إمّـا كُنْتِ مَدْرَسَـةً … فـإنَّمَا هَـذِهِ الـذِّكْرَى لَـهُ حَـرَمُ
يَسْتَعْذِبُ الْقَوْلِ فِي أعْتَـابِهَا لَهِجٌ … بِـذِكْـرِهِ وعَـلَى آفَـاقِـهِ غَـمَـمُ
تِلْكَ اللُّبَانَاتُ فِي عِلْمٍ وَفِي أدَبٍ … يُحِيطُـهَـا الأكْـرَمَـانِ الْخُلْقُ والشِّيَمُ
قَضَيْتُهَا حَيْثُ كَانَ (البيتُ) مَدْرَجَةً … لِلْمَجْـدِ تَسْعَى إلَى أفْيَـائِـهِ الهِمَمُ
أو منتدى يُرْقِصُ الأكْبَادَ سَاجِعُـهُ … وَتَنْتَشِي مِنْ صَدَى أنْغَامِـهِ النَّسَمُ
أوْ دَوْحَـةً وعَـلَى أفْنَـانِهَا غَـرِدٌ … وآخَـرون وكَـوْنٌ فيـهِ مُنْسَجِـمُ
كَمْ أسْمَعَ الدَّهْـرَ والدُّنْيَـا رَوَائِعَهُ … وَأنْتَ بَيْنَ الصِّحَابِ الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ
تِلْكَ الثَّـلاثُونَ عِشْنَـاهَا وَمَشْـرَبُنَا … دُونَ الْمَشَـارِبِ وِرْدٌ سَـائِـغٌ شَبِمُ
تِلْكَ الثـلاثُـون مـارَفَّتْ كَـوَاكِبُهَـا … إلَّا عَلَى مُوثِقٍ فِي الصَّحْبِ يَلْتَحِمُ
مَضَتْ كَوَامِضِ بَرْقٍ (وَالْبدُورُ) عَلَى … كَفِّ الْحِمَـامِ وَلَمَّـا يَبْلُغِ الْحُلُمُ
أبَا (رقية)(١) لايَرْقَى الْخَيَالُ لَكُمْ … وَدُونَكُمْ فِي رِحَـابِ الله مُقْتَـحَمُ
فِي الْخَـالِـدِيْنَ وعِنْـدَ الله مُـدَّخَـرٌ … لِمِثْلِكُـمْ، ولَقُـرْبُ الله مُغْتَـنَمُ !!

(١) رقية: البنت الكبرى للفقيد. القطيف: محمد رضي الشماسي

☆ ☆ ☆ ☆

أســـرة الســـدارا

كانت «العرب» نشرت س ٢١ ص ٨٣٥ كتاباً من الأخ توفيق بن عبدالعزيز السديري حول نسب أسرته الكريمة، وقد كتب حضرة صاحب المعالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري إلى الأخ توفيق حول الموضوع، وتكتفي المجلة بنشر صورة ماكتبه معالي الأمير الجليل .

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالرحمن الأحمد المحمد السديري

Abdulrahman A. Alsudairy

التاريخ ١٤٠٧/٦/٥هـ Date

المكرم الإبن توفيق بن عبدالعزيز العبدالله التركي السديري حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد اطلعت مؤخرا على ملاحظاتكم على الشيخ حمد بن جاسر حول نسب الاسرة السدارى والتي نشرتوها في مجلة العرب حيث ذكرتم بملاحظاتكم ان الجد احمد هو ابن محمد بن تركي بن مقحم بن محمد بن سليمان على عكس ما اورده الشيخ حمد الجاسر في كتابه "جمهرة انساب الأسر المتحضرة في نجد" وما ورد في كتاب الشيخ عبدالرحمن المغيري "المنتخب في ذكر قبائل العرب".

والصحيح يا أخ توفيق ان أحمد السديري والده محمد وجده سليمان السديري مباشرة . وقد ورد في كتاب "اقناع السامر بتكملة متعة الناظر" للمؤلف شعيب بن عبدالحميد بن سالم الدوسري (صفحة ٣١) ان والد مؤلف الكتاب واسمه عبدالحميد قد التقى بالجد محمد بن احمد بالرياض سنة ١٢٨١هـ في عهد الامام فيصل بن تركي وقد اوضح الجد محمد لعبد الحميد ان ابوه احمد هو ابن محمد بن سليمان السديري الخ .

أن ما اورده الشيخ حمد الجاسر وما ورد في كتاب الشيخ عبدالرحمن المغيري هو الصحيح . والمغيري كما تعلمون ولد بتاريخ ١٢٨٥هـ ولذا فهو ليس بحديث المعرفة وقد استند على كتابته الكثير من الدارسين مثل الشيخ حمد الجاسر والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ الذي حقق وعلق على كتاب ابن بشر "تاريخ نجد عنوان المجد".

لذا آمل منكم ملاحظة التحفظ من الدخول والاعتراض في مثل هذه المسائل قبل التأكد ومعرفة الصحة وإذا لديكم أي معلومات مسجلة عن العم عبدالله بن تركي السديري آمل تزويدنا بصورة من التسجيل للاطلاع عليها . والله يحفظكم .

المخلص

عبدالرحمن بن احمد السديري

الجوف ـ السديرية ـ المملكة العربية السعودية

Al-Joufe : Al-Soudariya - Saudi Arabia

حـول مقـال :

حرة بني عبدالله

اطلعت على ماذكره الأخ ماجد بن طاهر المطيري من تحديد حرة بني عبدالله في جزء الربيعين ١٤٠٧هـ (س ٢١ ص ٦٤٨ إلى ٦٥٩) وهذا عمل يشكر عليه الأخ ماجد ، وحيث أَنَّ الإنسان غير معصوم من الخطإ والنسيان فقد لاحظتُ على الأخ ماجد في مقاله الملاحظات التالية عسى أن يتقبلها تَكْمِيلاً لمجهوده في هذا المجال :

أولاً : تكرر ذكر أن بني عزيز من عون . والمعروف أن بني عزيز من عنزة ، تحالفوا مع بني عبدالله مع استمرارهم بالتمسك بعزوتهم (وائل) وصلتهم بِعَوْنٍ صِلَةُ مودةٍ أكثر من غيرهم من قبائل بني عبدالله ، وهذا لايعيبهم ، بل هذا هو المعروف أن قبائل المملكة لا تخلو قبيلة واحدة إلا أن يشاء الله إلا ومعهم حلفاء جمعتهم ظروف معينة في زمانهم ، فقبيلة مطير وعتيبة وحرب وسبيع كلها مؤلفة من عدة قبائل وأسر ولا يعيبهم ذالك ، بل من المعروف أن قبائل العرب لا تحالف إلا كل نزيه وشريف وعفيف .

ثانياً : ذكر عدة مواضع (جبال وقرى وأودية وآبار) في الحقيقة ليست في حرة بني عبدالله مما يوهم القاريء أنَّ هذه المسميات تقع في حرة بني عبدالله أو من قرى بني عبدالله مدار الحديث ، فذكر مَهْدَ الذهب وحاذةَ وأم الغِيْرَان وهذه قرى معروفة تقع في عالية نجد وكذالك ماذكره من جبال أمثال (رمرم ورايان وهِدَان) جبال معروفة أنها ليست في حرة بني عبدالله ، بل تقع أيضاً في عالية نجد ، أو ما يسمى بـ (المحوى) شرق حرة بني عبدالله .

ثالثاً : ذكر الأخ ماجد الجرْنَافة هجرة للهجَال ، تقع في نهاية الجهة الشمالية من حرة بني عبدالله ، والواقع أنها تقع في الجهة الغربية ، بل نهاية حرة بني عبدالله هي وادي العد والحجرية التي ذكرها في ص ٦٥٤ س ٢١ من المجلة .

رابعاً : ذكر أنَّ العُقَدَ تقع في وادي عريتبة وقد أقيم عليها جهرة للهجَال .

والصحيح أَنَّ العُقَدَ تقعُ في وادي صُبَيْر ، وهِجْرَةُ الهجَال لم تقم عليها بل أُقيمت في موضع من وادي صبير يسمى الرويضة ، وسميت بهذا الاسم ، والعُقَدُ

آبار قديمة للهجال ، والرويضة بها آبار ارتوازية ومساكن ومدرسة للهجال وهي التي ذكرها الأخ ماجد في ص ٦٥٦ هجرة صقر بن عواض بن لويحق .

خامساً : ذكر الأخ ماجد أن الخُفَيق يقع في وادي شاطا . الصحيح أنه يقع في وادي الرميدة الذي يسمى أعلاه وادي الخُفَيق، ووسطه وادي الحفيرة وأسفله وادي الرميدة ، ويصب سيله في باحة بيضان باتجاه الشرق .

سادساً : ذكر الأخ ماجد بأن خلط بين اسم زار والزُّور فكأنهما اسم واحد بل اكتفى عن ذالك بتلميحه عن جبال الزور ، وأورد عدة أبيات شعرية . إذْ أنَّ المعروفَ أن جبل زار يقع جنوباً من جبل مَنْوَرٍ فيما ارتفع من قُرى بني عبدالله ، وجبال الزور المعنية بأبيات الشعر على مايبدو من ظاهر الأبيات التالية :

وبالزور زَوْرِ الرقْمَتَيْنِ لنَا شَجاً ... إذَا نَـدِيَتْ قيعانُـهُ ومَـذَاهِبُـهْ
بلادٌ مَتَى تُشْرِفْ طَوِيلَ جِبَـالِهَا ... عَلَى طَرَفٍ يَجْلِبْ لَكَ الشَّوقَ جالِبُهْ

فجبل زَارٍ ليس حوله جبال طوال ، كما ليس حوله قيعان ، والمعروف أنَّ جبال الزور تقع شمال غرب بلدة صُفَيْنَة ، جبال سود تطل على قيعان الدَّمْثَةِ ، موضع من وادي بيضان ، والمسافة بين جبال الزور وجبل زار مسافة طويلة .

أحببت ذكر هذه الملاحظات عسى أن تزيل الإيهام لما يتصوره القاريء حيث ذكر الأخ ماجد في ص ٦٤٩ س ٢١ أن هذه (أسماء الأماكن من الجبال والأودية والموارد التي تحوي حرة بني عبدالله) . والله الموفق ،

القصيم : العبدلية : عوض بن عويض بن لويحق المطيري

آل حوتان من العبادلة من بني تميم

أشار الأخ عبدالرحمن بن عبدالله آل حُوتَان من بلدة الدِّلَم في الخَرْج إلى ماجاء في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ١٩٩ من أن (آل حوتان في الرياض من عبدل (العبادلة) من بني تميم) . وأضاف قائلاً : وهذا هو نسبنا ومنشأ آل حوتان هو حَوْطة بني تَميم ، ومنها تفرقوا ولايزال بعضهم فيها ، ومنهم من في

الرياض وفي الدلم وفي الحَرِيق وفي الكويت .

وأشار أيضاً إلى ماورد عن بني حنظلة ص ١٩٢ وانه لم يرد فيه ذكر العبادل (بنو عبدالله بن دارم) مع أنهم أحد أفخاذ بني حنظلة بن مالك من تميم . وأضاف : وكذالك عند الحديث عن بني تميم — أي لم يرد لبني عبدالله ذكر — .

«والعرب» تقدم للكاتب الكريم شكرها مستزيدةً منه ومن غيره من القراء مافيه إضافات وتصحيح لما وقع في الكتاب المذكور .

(الخَتُّ) و(الحَتُّ)

جاء في الكلام على «المعجم الكبير» — «العرب» س ٢١ ص ٧٩٢ — ذِكْرُ الحَتِّ موضع بِعُمَانَ . وأضفت إلى هذا بأنَّ صاحب «معجم البلدان» أورده مرة بالخاء المعجمة وأخرى بالحاء المهملة ، وأن (الحت) بالحاء المهملة موضع لايزال معروفاً في عمان .

وأضيف الآن أن اسم (خَت) بالخاء المعجمة بعدها تاء مثناة — : موضع لايزال معروفاً في تلك الجهات ، وهو يطلق على منطقة زراعية واسعة فيها من القرى : خت والحيل وحبحب وأذن الفيل وقلية ، وهذه المنطقة تعد من المتنزهات الطبيعية لإمارة رأس الخيمة (جُلْفَار) وهي معدودة قديماً من بلاد عُمان ، وتعتبر المنطقة من أهم المراكز الزراعية في الإمارة ، ففيها نحو ١٧٥ حديقة نخل ، ومن الأمكنة المستثمرة في الزراعة ٢٧٦ وهي أرض منبسطة تمتد بين جبال الْحَجْرِ العمانية وبين الكثبان الرملية المعروفة بسهل الدقداقة ، واقعة جنوب رأس الخيمة في مفيض الأودية المنحدرة من تلك الجبال — انظر كتاب «دولة الإمارات العربية المتحدة» الصادر عن (معهد البحوث والدراسات في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) الصفحات ١٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٣٣ ، ٣٤٩ ، ٥٦٢ .

جبل ابراهيم : البثراء

. . . في جبل السراة ، جنوب شرق الطائف . وفي سراة بني مالك أعلى قمة

بارزة في تلك الجهة تدعى جبل إبراهيم . فهل لكم أن توضحوا للقراء مَنْ إبراهيم الذي يُنْسَبُ إليه ذالك الجبل ؟ !

الطائف: أحد قراء المجلة

العرب: تكرر اسم الجبل المذكور في كتاب «في سراة غامد وزهران» ــ ١٢/٢٢/٦٢/٣٣٨/٣٦٥ ــ فذكر أن ارتفاعه عن سطح البحر ٢٥٠٠ متر (ألفان وخمس مئة) وأنه أعلى قمَّة في السراة ، وأن واديَيْ شوقب وعَرَدة تنحدر أعاليهما من سفوح ذالك الجبل الشرقية الشمالية ، ولكن لم يَرِدْ في الكتاب ذكر إبراهيم الذي أضيف إليه ذالك الجبل .

وأول من رأيته ذكر إبراهيم هو العالم اللغوي الفيروز آبادي في كتابيه «المغانم المُطابة ، في معالم طابة» و«القاموس المحيط» فقد قال في الكتاب الأول في الكلام على ٱلعَرْج القرية التي يُنْسَبُ إليها الشاعر عبدالله بن عمر العَرْجيَ : ــ قال: وقد عَرفْتُ هذه القرية ومكانها في مسيري إلى جبل ابراهيم ، وهي ــ يعني القرية ــ على ثلاثة أميال من الطائف . وقال في الكتاب الثاني ــ في رسم بثر ــ: والبثراءُ جَبلٌ لِبَجِيْلَةَ ، تَعَبَّدَ فيه ابراهيم بن أَدْهَمَ . انتهى . وبَجِيلة عرفوا في عهدنا ببني مالك ، فقد طَغَى اسم فرع من فروع القبيلة وهو (بنو مالك) على الاسم العامّ لجميع الفروع ، كالحال في اسم (شَمَّر) الذي هو اسم لفرع صغير من فروع طيِّء ، فقد أصبح يطلق الآن على كثير من فروع القبيلة وأحلافها .

أمَّا مَتَى أُطْلِقَ اسم جبل إبراهيم فيعرف هذا من الزمن الذي عاشَهُ إبراهيم ــ إنه من أهل القرن الثاني الهجري ، وهو من أئمة الزُّهاد العُبَّاد وقد حَجَّ . ورابط في حدود بلاد الروم وهناك مات سنة اثنتين وستين ومئة وله ترجمة مفصلة في «حِلْيَةِ الأولياء» لأبي نُعَيْم ، وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر ، وفي «سير أعلام النبلاء» للذهبي ، وفي «البداية والنهاية» لابن كثير وغيرها من الكتب ، ولم أر ــ فيما اطلعت عليه ــ ذكراً لتعبده في جبل إبراهيم ، ولكن من مأثور قوله: أَفِرُّ بديني من شاهق إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ــ ٢/١٧٣ «تهذيب تاريخ ابن عساكر» و«سير أعلام النبلاء»: ٣٩٠/٧ و«البداية والنهاية» ١٠/١٣٩ ــ .

الربع الخالي : (الفج الخالي)

وجه الأخ محمد بن سعد من كلية الآداب في (جامعة الامام محمد بن سعود) إلى المجلة سؤالاً عن (الرُّبع الخالي) المعروف في الجنوب الشرقي من بلادنا ــ متى عرف بهذا الاسم ، وماهو اسمه القديم ؟

★ ★ ★

لَمْ أَرَ فيما اطَّلعتُ عليه من المؤلفات القديمة ــ ذكْراً لاسم (الرُّبع الخالي) وأقدم اسم يقاربه ورد في كتاب «مسالك الأبصار ، في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٩ وهو (أَلْفَجُّ الخَالي) فقد جاء في الجزء الأول من هذا الكتاب ــ ٢٣٢ ــ مانَصُّهُ : الأُخْدُودُ المحتفر لأصحاب الأُخْدُود المذكورين في القرآن الكريم وهو بنجران من بلاد اليمن . ومن ذالك البِئْرُ المُعَطَّلَةُ والقصْرُ المَشِيْدُ وهما قُرْب أَلْفَجِّ الخالي بمشارق اليمن . ومن ذالك سَدُّ مَأْرب ، وهو ببلاد سَبَإٍ من اليمن ، وبه قَصْرُ القَشِيب لبِلْقِيس . انتهى . وعلق العلامة أحمد زكي باشا ــ محقق الكتاب ــ على (الفجّ الخالي) قائلاً: هو الذي يسمى الآن بِالرُّبْع الخالي في الجنوب الشرقي من بلاد العرب .

وقد تحدثت عن (الرّبع الخالي) في قسم المنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ ٧٣٩ ومابعدها ــ فذكرت أنه يطلق عليه قديماً صحراء صَيْهَد ، ورمال وبَار ، وبلاد الحُوش ، وأُضِيفُ: ورمال يَبْرِين ، وأوردت رأياً في تعليل الاسم ، أمَّا البِئْرُ المعطلة والقصر المَشِيد فإنَّ الهمدانيَّ في كتاب «الاكليل» ج ٨ ص ١٦٦ ــ طبعة سنة ١٣٩٩ ــ ذكر أنه قصر رَيْدة وبئرها ــ وريدة معروفة من بلاد همدان في شمال صنعاء ــ والمسافة بين ريدة وبين جانب الرُّبع الخالي المُوالي لليمن ليست شاسعة.

آل ثويني من آل شِمَاس من الدواسر

بعث إلى مجلة «العرب» الأخ الرائد سعد بن ابراهيم الثُّوَيْني ــ قيادة سلاح المهندسين ــ بحثاً وافياً عن نسب أسرته آل ثويني وتفرعهم من آل شِمَاس أهل قرية الشَّمَاسِيَّة من ملحقات مدينة بريدة الذين يرجعون إلى الوداعِين من قبيلة

الدواسر ، وذكر جوانب من تاريخ هذه الأسرة الكريمة (آل شِهَاس) ومنهم آل ثُوَيني وغيرهم من الأسر الكثيرة التي انتقلت إلى مدينة بريدة .

كما ذكر الأخ الكريم أنَّ من الأُسَر التي تُدْعَى آل ثويني : ـ

١ ــ آل ثويني من سُبيع في رياض الخبراء وبريدة وبعض قرى القصيم .
٢ ــ آل ثويني من الدواسر في حائل والقُرَيَّات والقصيم .
٣ ــ آل ثويني من بني خالد أبناء عمومة للطويان والشويعر وهاؤلاء في بريدة .
٤ ــ آل ثويني أسرة أخرى تنتسب إلى بني تميم ــ ولم يذكر الأخ منزلها ــ .
٥ ــ آل ثويني من القشعم من شمر .
٦ ــ آل ثويني من عبدة من شمر .

وقال : هناك أسر تسمى بهذا الاسم تنتسب إلى عتيبة وإلى مطير . ولم يوضح الأخ عنهم شيئاً .

العرب : تقدم للكاتب الكريم الشكر على إيضاحه ،وترجو أن يكون في الإمكان إضافته إلى كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» عند إعادة طبعه .

المثيني من الهوارنة من عتيبة

كتب الأخ الكريم محمد بن سعود المثيني المدرس بمدرسة ابن سينا الابتدائية في المبرز إلى مجلة «العرب» بأنه ورد في كتاب «تحفة المستفيد» للشيخ محمد بن عبدالقادر ــ رحمه الله ــ ص ٤٢ ــ نسبة أسرة المثيني إلى قبيلة زعب ، وذكر الأخ أن هذا خطأ وأن تلك الأسرة من النجدة من الهوارنة من فخذ المُقَطة من برقاء من عُتَيْبَةَ ، وأنهم من قدماء الساكنين في حيِّ العُتْبان بمدينة المبرز ، انتقلوا من الحجاز زمن ابن عريعر واستقروا في هذه الحلة مع من تحضر وبقي منهم بدو ، وهذا الحي (حي العتبان) يسكنه أسر ، منهم :

النفجان من زعب .
والشُّهيل من بني خالد . ←

■ **اخبار مكـة :**

محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي المكي من أهل القرن الثالث الهجري يعد من أقدم مؤرخي مكة ، وكتابه «أخبار مكة» من أشمل الكتب في موضوعه ، وصفه تقي الدين الفاسي مؤرخ البلد الأمين بأنه كتاب حسنٌ جداً لكثرة مافيه من

والشُّدَيِّد من الدغالبة من برقا من عُتَيْبَة .
وأسرة الرحيلي من العصمة وهم آل دهش، من الجلادين.
ومن سكان (حي العتبان) من مطير ، ومن عجمان الرخم من سبيع .

وذكر الأخ محمد بن سعود أن الهوارنة تنقسم إلى أفخاذ منهم : النجدة وذوو صالح وذوو هديب وذوو كايد وذوو خصيفان . وقال: إن أسرته المثيني من النجدة .

هذا ماكتب به الأخ الأستاذ محمد بن سعود ، وحبذا لو أنه فصل عن بقية السكان ، وأوضح كتابة الأسماء .

الزِّبَيَرَةُ من بني وائل

وقعت أخطاء (تطبيعاً أو سبق قلم) في المقال الذي نشر س ٢١ ص ٨٣٨ .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٣٨	الأخير	والد سليمان الراشد	والد سليمان وراشد
٨٤٠	٤	سليمان بن حمد الزهير	سليمان بن محمد الزهير
٨٤٢	٢٢	آل نصـر	آل ناصـر

الفوائد النفيسة ، وفيه غنية عن كتاب الأزرقي ، وكتاب الأزرقي لايغني عنه . وقد تحدثتُ عن هذا الكتاب مفصلاً ــ «العرب» س ٨ ص ٨٠١ إلى ٨٥٣ ــ وفكرت في القيام بتحقيقه ، ولكنني علمت بأنَّ أحد طلاب جامعة أم القرى يُعْنَى بدراسته لنيل إجازة (الدكتوراه) . وأنه انتهى من إعداد رسالته عنه ، وأعدَّهُ للنشر .

ثم في هذه الأيام وصل إليَّ جزءٌ منه بتحقيق صاحب الفضيلة الشيخ عبد الملك بن عبدالله بن دهيش ، فسررت من البدءِ بنشر هذا الكتاب الذي لم يُعْثَر منه ــ على ما أعلم ــ إلا القسم الثاني في مخطوطة وحيدة أصلها في مكتبة جامعة ليدن (هولندا) قد وصفتها في مجلة «العرب» ، وهذا الجزء المطبوع منه هو يحوي ترجمة للفاكهي وحديثاً مفصلاً عن كتابه ، ثم الجزء المبدوء بـ (فضل الركن الأسود وماجاء فيه) والمحقق الفاضل ذو عناية بتخريج الأحاديث ، وذكر منزلة الرواة من حيث الجرح والتعديل مع الإشارة إلى المصادر التي يوجد فيها الخبر .

وطباعة الكتاب جيدة ، والكلمات التي تحتاج إلى ضبط مضبوطةٌ بالحركات وقد جاء هذا الجزء في ٤٩٢ صفحة تقع المقدمة في ٨٠ صفحة مطبوعاً بمطبعة النهضة الحديثة في مكة المكرمة وقد صدر هذا العام ١٤٠٧هـ (١٩٨٦ م) .

■ منقولات الجاحظ عن ارسطو في كتاب الحيوان :

ونشر (معهد المخطوطات العربية) كتاب «منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان» للدكتورة وديعة طه النجم من جامعة الكويت ، وهي نصوص ودراسة ترتكز على الجمع مع التعمق في البحث تعمقاً يدل على طول أناة وصبر ، وجلد على المواصلة وطلب الاستيعاب .

ويقع هذا الكتاب في ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير بطباعة حسنة ، وقد صدر عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م) ولم يذكر فيه اسم المطبعة ، وقد تكون من مطابع الكويت .

٢٥٧ - ٢٥٨

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٩٩١٠
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥ ، ٦ س ٢٢ ذوا القعدة والحجة ١٤٠٧ هـ ـ حزيران / تموز (يونيو / يوليو) ١٩٨٧م

القطائع النبوية :

حُمَام والسَّدُّ

[انظر «العرب» القطائع النبوية س ٨ سبعة أبحاث]

جاء الإسلام وكانت فروعُ قبيلةِ بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن قَيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان ـ كانت منتشرةً في أسافل الأودية المنحدرة من سَرَاة الحجاز شرقَ الطائف ، ومنساحةً في بلاد نَجْدٍ فيما بين فروع تلك الأودية حتى أسافلها بامتداد إلى عارِض اليمامة وشرقه ، حتى أحواز الدهناء مما يلي البياض شرق بلاد الأفلاج .

أما استيطانُها وسطَ بلاد نجد فإنه يشملُ حِمَى ضَرِيَّة ، ويمتدُّ شمالاً حتى منازل غَطَفَانَ ، غرب بلاد القَصِيم وفي الغرب تنتشر منازل العامريين حتى تختلط ببلاد بني سليم .

ومن تلك الفروع بنو كعب بن ربيعة بن عامر قُشَيْرٌ وجَعْدَةُ والْحَرِيْشُ وحَاضِرَتُهَا اتخذت من منطقة الْفَلَجِ (الأفلاج) مَقَرَّ استيطانٍ ، وتحضَّرَتْ ، وانتشرت في هذه البلاد الخصبة وماحولها ، شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً ، أما بادِيَتُهَا فمناهِلُهَا ومراعيها متفرقة ، ولكنها كلها ليستْ بعيدة عن مَقَرِّ تحضرِ تلك القبيلة (الأفلاج) .

ولتفصيل منازلها يحسن الرجوع إلى كتابي «بلاد العرب» لِلُغْدَةَ الأصفهاني و«صفة جزيرة العرب» لِلْهَمْدَاني ، ففيهما تفصيل وافٍ لايتسع المقام لإيراده ، وفي مجلة «العرب» (س ٢ ص ١٢٧ إلى ١٥٠) طرف من ذالك .

ولما ظهر الإسلام ، وتوافدت العربُ لاستقباله وتلقي تعاليمه كان وفد قشير بن كعب من الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ .

فَرَوى ابنُ سعْدٍ في «الطبقات الكبرى» ــ ١/٣٠٣ ــ وابن الأثير في «أُسْدِ الغابة» ــ ١/٢٥١ ــ وابنُ حَجَرٍ في «الإصابة» ــ رقم الترجمة ٩٧٢ ــ : أنَّ نفراً من قُشَيْرٍ وفدوا على رسول الله ﷺ وفيهم ثَوْرُ بن عَزْرة بن عبدالله بن سَلَمة بن قُشَيْرٍ ، فأسلم ، فاقطعه رسول الله ﷺ قطيعةً وكتب له بها كتاباً . وقد جاء اسم تلك القطيعة في كتابي ابنِ حَجَرٍ وابنِ الأثِير بهذا النص : فأقطعه حُمَام والسُّدّ ، وهما من ٱلعَقِيقِ ، وكتب له كتاباً . وفيه يقول الشاعر :

فَـإنْ يَغْلِبـكَ مَيْسَـرَةُ بنُ يُسْرٍ فَـإنَّ أَبَـا ٱلعَكِيْرِ عـلى حُمَـامِ

أبو العكير : لقب ثور بن عزرة ــ وابن يُسْر : عند ابن الأثير : ابن بِشْر ــ وقد ورد اسم حُمام في مطبوعة «الإصابة» معجم الجيم تصحيف ، وفي كتاب «أُسْدِ الغابة» ورد الاسم صحيحاً .

وجاء في «معجم البلدان»: حُمَام بالضم والتخفيف . إلى أن قال : والحُمَام أيضاً ماءٌ في ديار قُشَيْرٍ قربَ اليمامة ، والحُمَامُ ماءٌ جاهلي بِضَرِيَّة . . . وحُمَامُ موضعٌ بالبحرين قطعه (؟) ثور بن عَزْرَة القُشيري ، كذا جاء في مطبوعة «معجم البلدان» وفي «تاج العروس» أيضاً ولكن بنص : وحُمَام من العقر بالبَحْرَينِ ، أُقطِعَهُ ثور بن عزرة القشيري ، قاله نصر : وأضاف صاحب «التاج»: وإياه عنى سالمُ بن دَارَة يهجو طَرِيفَ بنَ عمرو :

إنّيْ وَإنْ خُوِّفْتُ بِالسِّجْنِ ذَاكِـرٌ لِشَتْمِ بَنِي الطَّمَّاحِ أَهْلِ حُمَامِ
إذَا ماتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ دَهَنُوا اسْتَهُ بِـزَيْتٍ وَحَفُّـوا حَـوْلَـهُ بِقِـرَامِ

نسبهم إلى التَّهَوُّدِ ، أو هو موضع آخر ، إلى آخر ماقال .

وفي كلام ياقوت وكلام صاحب «تاج العروس» أخطاء لاعتمادهما على ماجاء في كتاب نصر حيث قال في (باب الحمام والحُمام): وحُمام من العُقْرِ بالبحرين ، أقْطِعَهُ ثَوْرُ بن عَزْرة القُشيري — كذا قال ، مع أنه ذكر قبل ذالك أنه ماء في ديار قُشَيْرٍ قرب اليمامة .

أما ما أورده صاحب «التاج» من شعر سالم بن دارة فإنه لا ينطبق على الموضع الذي في بلاد قُشَيْرٍ ، بل على موضع آخر في بلاد بني أَسَدٍ كما جاء في كتاب «معجم ماستعجم» للبكري ونَصُّهُ : حَمَام — على لفظ جمع حمامة — : بلد لبني طَرِيفِ بن عَمْرِو بنِ قُعَيْنٍ مِنْ بني أسد . ثم أورد قول ابن دارة ، وقد فصل خبر هجو ابن دارة لبني الطماح عمرُ بنُ شَبَّة ، في كتابه «أخبار المدينة» — ص ١٠٥٩

ومنازل بني أسد بعيدة عن بلاد بني قُشَيْر ، فهي في شمال القصيم ، ممتدة على طريق الحج الكوفي إلى حدود العراق ، والاسم قد يسمى به أكثر من موضع .

أما الموضع الذي أقطعه الرسولُ ﷺ ثورَ بن عَزرة ، فهو الذي في بلاد بني قشير ، جرياً على طريقته ﷺ فيما يقطعه فإنه يكون في بلاد قوم المُقطع ليس خارجاً عنها ، ويؤيِّدُ هذا أنه (مِنَ العِقيق) كما في نصِّ ابن الأثير وابن حَجَر ، وهو عَقِيق تَمْرَةَ ، الذي تتصل به بلاد بني قُشَير ، وإخوتهم بنو عُقيل بن كَعب، هم أصحابه .

وحُمام الذي في بلاد بني قشير قد حدده الهمداني تحديداً دقيقاً ، إذ قال في كتاب «صفة جزيرة العرب» — ٢٦٥ — : رجعنا إلى الفَلَجِ : مَهَبُّ الجنوبِ منه المذارع مذارع بني قُشَيْرٍ ، ثم الشُّطْبَتَانِ ، وهما نخيلٌ ومياه لبني الحَرِيش ، ثم بئر في شط البياض من ظهر البياض ، ثم تمر بِقُرُونٍ ، وهو ماءٌ ضعيف ، ثم حُمَامُ ماء ، ثم شَطُّ بني الكروش من بني قُرْطٍ من المقترب وعن يمينه تَمْرَةُ والحُلَيقَةُ ، وهي في وسط الغضا بين العَقِيقِ والمقترب ، ثم العَقِيق فيها مثنا يهودي ، ونخلٌ كثير ، وسيوح وآبار ، ثم الغضا ، ثم الخل . انتهى .

فالهمداني في كلامه سمّى الموضع باسمه المعروف ، وذكر فيما ذكر من الأمكنة التي بِقُرْبه :

تَمْرَة : وهي بلدة لاتزال معروفة كما ذكر العقيق وهو عقيق تمرة المعروف الآن باسم وادي الدواسر .

وذكر الشطبتين : وهما واديان يعرفان الآن باسم (الشُّطْبِيَّة) و(الضبعية) .

أما قُرون الذي ذكره الهمداني قبل ذكر حُمام فهو وادٍ يقع في الجنوب الغربي من وادي حُمَام ، بمسافة تقارب ثلاثين كيلاً ، ووادي قُرونٍ ينحدر من الأطراف الغربية من جبل العارض (عارض اليمامة) مُتَّجِهاً نحو الشرق حتى يجتمع بأعلى وادي ٱلمَجَامع الذي يفيض على بلدة السُّلَيِّل في بطن وادي العَقيق .

وحُمام وادٍ لايزال معروفاً فيه قرية بهذا الاسم ، وتمتدُّ فروع وادي حُمَام من قرب فروع وادي ٱلمَجَامِع الشرقية ، ويتجه نحو الجنوب الشرقي إلى قرب خَشْمِ البوازم ، فيفيض في الرمل ، بعد أن يقطع الأرض الجلد التي هي امتداد لجبل العارض وهي من البياض ، ويقع وادي حُمام بين خطي الطول : ٤٠َ/٤٥° و٥٠َ/٤٥° وبين خطي العرض: ٤٠َ/٢٠° و٥٥َ/٢٠° .

والقرية التي تعرف باسم حُمَامٍ واقعة على الطريق فيما بين الأفلاج والوادي وادي الدواسر (عقيق تَمْرَة) و(عقيق عُقَيْلٍ) وقبل هاؤلاء (عقيق جَرْمٍ) ، وأقرب القرى من قرية حُمَام بلدة السُّلَيِّل في أسفل الوادي (عقيق تمرة) وتبعد قرية حُمام عن السليل خمسين كيلاً وعن قرية تَمْرَةَ الواقعة غرب السُّلَيِّل ٦٢ كيلاً (قرية تمرة فوق السليل بـ ١٢ كيلاً) . ويسكن قرية حمام فخذ يعرف باسم الرواشِدة من ٱلوَدَاعِين ، من قبيلة الدواسر ، وفي هذه القرية مدرسةٌ قيل لي حين زرت القرية يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الثاني سنة ١٤٠٧هـ : إن تلاميذها يبلغون الأربعين . ولعل من بينهم من ليس مستوطناً ، إذْ مباني القرية قليلة ، وفيها بساتين صغيرة ذات نخل قليل .

أما السَّدُّ الوارد في خبر الإقطاع فلم أرَ تحديداً له فيما بين يديَّ من المراجع ، ولكنني لا أستبعدُ أن يكون مايعرف الآن باسم (خشم البوازم) حيث يضيق الوادي بآكام عند مفيضه في الرمل ، إذْ تلك الآكام تَحْصُرُ الوادي كَضَمِّ الإِبْزِيمِ

انطباعات مسافر عابر

ـ ٢ ـ

في بلاد عُمَان

في مدينة مَسْقط :

كان أبو ناصر ـ الدكتور عبدالله الناصر الوهيبي ـ رعاه الله وأكرمه ـ حين علم برغبتي في امتداد رحلتي من الإمارات إلى عُمَان ـ اتصل بالأستاذ يحيا بن عثمان الْبِشْر ـ الملحق التعليمي السعودي في سلطنة عُمَان ، لكي يساعدني فيما قد أحتاج إلى المساعدة فيه من الالتقاء ببعض العلماء ، أو زيارة ماقد أُستفيد من زيارته .

فلما هبطت الطائرة بنا أبو فهد وأنا في مطار مسقط بعد رحلة استغرقت من مطار دُبَيِّ نصفَ ساعة ـ في صباح يوم الثلاثاء\التاسع من ربيع الأول ـ إذا برجلين يقابلاننا عند النزول من سلم الطائرة ، انهما سفير بلادنا في السلطنة ـ الأستاذ عبدالمحسن بن صالح البلاع والأستاذ يحيا ، فكان استقبالاً كريماً ، واستراحة قصيرة في بهو الاستقبال الخاصِّ ، ثم المرور بدار السفارة الواقعة على أنف جبل مطل على ماحوله من منطقة رُوِي ـ بضم الراء وكسر الواو وبعدها ياء ـ في مدينة مسقط الحديثة ، ثم الذهاب إلى فندق (شرتون عُمَان) الذي فضلنا السكنى فيه لتوسطه في المدينة .

طَرَفَي أَلجِلْدِ أو أَلحِزام ـ البوازم واحدها بازم ـ نطقٌ عاميٌّ للأبازيم ـ فكأنها تَسُدُّ الوادي فَيَنْحَصِر سيله .

وقد سألت بعض من يعرف القرية ممن التقيت به فيما بعد فقيل لي : إنه لا يُعْرَفُ موضعٌ في تلك الجهة بهذا الاسم .

حمد الجاسر

ثُمَّ لاتسل عن حفاوة الشهمين الكريمين بنا ، فقد كان من إكرام السفير أبي صالح لنا أن ترك تحت تصرفنا إحدى السيارات المريحة ، ودأب على تفقدنا بالزيارة في الفندق، وأوصى الأخ يحيا بالاتصال بمن ينبغي الاتصال به من رجال السلطنة لتسهيل زيارة مانرغب زيارته ، وأبدى استعداده بالقيام بما نحتاج إليه لتكون الرحلة مريحة وذات فائدة ، مع كثرة مشاغله هذه الأيام .

ولقد غمرنا من لطف الأستاذ يحيا وحسن اهتمامه بنا طيلة إقامتنا في هذه البلاد مانعجز عن شكره .

لم يطب لنا المقام بفندق (شرتون عُمَان) فكان الانتقال إلى (انتركنتننتال) وكان الشيخ عبدالله يفضل السكنى فيه إلاَّ أن حجز المكان من دُبَيٍّ لم يتم ، مع الاتصال بهذا الفندق مرتين بدون جواب ، وهذا الفندق يبعد عن وسط المدينة نحو اثني عشر كيلاً مع اتصاله بها ، إذ هو يتوسط الطريق المتجه إلى المطار من المدينة وعلى هذا الطريق تمتد المنازل الحديثة ، ودور الوزارات . وهو على شاطيء البحر في منطقة تدعى القُرْم ـــ بضم القاف وإسكان الراء ـــ اسم نوع من الشجر .

ومع أن مسقطَ من الموانيء القديمة في عُمان ، حيث ورد ذكرها في كتاب «الجماهر» للبيروني ـــ بما هذا نصه : في مغاصات اللؤلؤ : ثم يتجاوز إلى الأماكن المعروفة من البحر الأخضر في سواحل أرض الشحر ، مثل سرجهمت ويعرف برأس الجمجمة ، وبحيرة وهي المصيرة ، ومشكت وهو المسقط . انتهى . وذكرها ياقوت في «معجم البلدان» بقوله : مسقط مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن ـــ كما ذكرها غيرهما ، إلاَّ أن ماضيها لايزال مجهولاً ، وما أرى الاسم (مسقط) سوى تعريب لاسم قديم مجهول الأصل ، هو ماورد في كتاب البيروني (مشكت) .

ولعل هذا من أسباب كتابة الاسم ونطقه بصور متعددة ، فابن حميد في «تحفة الأعيان» ـــ ج ١/ ٥، ٦، ٦٢ وج ٢/ ٩، ١١ ـــ يسميها (مسكد) وفي مواضع من كتابه (مسقط) وينطق الاسم كثير من أهل الخليج (مسكت) .

أما مانقله السالمي في «تحفة الأعيان» : ٢/ ٦٢ ومابعدها عن إنشائها من قبل

العرب ، وأن النصارى (الفرتكيسية) اشتروها منهم ، فسوروها ، وأحاطوها بالحصون التي ذكرها ــ ومنها مالا يزال باقياً كحصن الجلالي ــ فيظهر أن هذا في عهد متأخر ، لا يبعد عن الزمن الذي استولى فيه عليها السلطان سلطان بن سيف في القرن الحادي عشر الهجري .

ومدينة مسقط الحديثة مستطيلة الشكل ، يخترقها شارع ممتد من المطار حتى يتوغل وسط المدينة بين الجبال فيضيق ويستمر حتى يبلغ مَوْقِعَ المدينة القديمة على ساحل البحر ، حيث يقع قصر السلطان وديوانه ، ووزارة المالية بينما أغلب الوزارات في بنايات حديثة في المدينة الحديثة ، وكذا السفارات ــ قد خصصت لها منطقة على مقربة من ساحل السِّيب ، ولكنها لم تُعْمَر كلها .

وتخطيط المدينة بقسميها جميل من حيث تنسيق بناء المنازل ، وتشابهها في المظهر وتميزها بطابع خاص ذي طراز عربي جميل ، بحيث أن مبنى (وزارة الخارجية) كان الفائز بجائزة (منظمة المدن العربية) وهذا يقع بمنطقة ساحل القرم .

لا أثر لبلدة مسقط القديمة ، فقد أزيلت جميع المباني . وانتقل سكانها إلى خارجها ، ولم يبق فيها سوى قصر السلطان ، وقلاع للجند ، ومبان خاصة بالدولة وداري سفارتي أمريكا وانكلترا ، وكلها مما أُنشىء حديثاً .

وعلى بعد بضعة أكيال شمال مسقط القديمة على الساحل وبين الجبال تقع بلدة مطرح ، وقد اتصل العمران بينها وبين مسقط القديمة ، وهي عامرة بالسكان والأسواق المزدحمة للبيع والشراء ، إلاَّ أنها ضيقة متعرجة ، ومنها سوق مسقف شبيه بسوق سويقة في مكة قبل خمسين عاماً ، تعرض في دكاكينه المنسوجات والعطور والعاديات وغيرها .

وقد تجولنا داخلها ــ صباح الجمعة (١٤٠٧/٣/١٢هـ) وكان مما سجلت من مشاهدتي عنها أن مايلي مدينة مسقط من هذه البلدة (مطرح) حديث العمران حيث تقع المصارف (البنوك) والمعارض والشركات ، أما وسط البلدة وماكان يلي البحر منها فلا يزال على قدمه ، فالأزقة ضيقة ، وليست على درجة من النظافة كما ينبغي ، وأكثر مايشاهد المرء ممن يتعاطى التجارة ذوو سحنات مختلفة ، تغلب

السمرة على ألوانهم ، وأكثرهم من الهنود ، ومن ايران ــ كما يتضح من أسماء محلات التجارة، وللشيعة ويسمون (اللواتية) في هذه البلدة محلة خاصة بهم ، محاطة بسور ذي أبواب تغلق في بعض الأوقات ، على الساحل ، مقابلة للميناء ، وفيها جامع كبير ، أبوابه على الشارع العام وبقرب تلك المحلة على الشارع أيضاً مكتبة تجارية تدعى (مكتبة المعرفة) وهي أكبر مكتبة شاهدت في عُمَان ــ مع صغرْها بالنسبة لغيرها في المدن الأخرى ــ وتضم كثيراً من مطبوعات بيروت ومصر وايران .

وبلدة مطرح محصورة بين البحر وبين الجبال ، ولذالك أصبحت ضيقة الشوارع ، صغيرة البيوت ، أكثر سكانها من الطبقة المتوسطة أو الفقيرة ، ولا تزال مظاهر البيع والشراء في سوقها على الطريقة المعروفة في مدن الجزيرة قبل نصف قرن من الزمان ، فالدكاكين مملوءة بمختلف المعروضات ، و(المُحَرِّج) ــ المنادي على بيع بعض السلع ــ يتخذ جانباً في السوق ، رافعاً صوته عما يحمل بين يديه من آنية أو غيرها ، وآخر يجلس على الأرض وأمامه بضاعته .

وأبرز مايشاهد المرء مما يعرض في أسواقها ــ بعد المنسوجات والأفاويه التي ترد غالباً من الهند ــ العاديات (الأشياء الأثرية) كالأواني القديمة والحلي والأسلحة .

ويرتاد هذه البلدة من يزور عُمَان من الأجانب ممن ينزل في مسقط التي لاسوق فيها تشبه معروضاته مافي سوق مطرح .

دار المخطوطات والوثائق في مسقط :

وكانت زيارة (دار المخطوطات والوثائق) في (وزارة التراث القومي والثقافة) في صباح يوم الأربعاء (١٤٠٧/٣/١٠هـ ــ ١٩٨٦/١١/١٢م) بعد أن هيأ لنا هذه الزيارة الأستاذ يحيا ، فكان الاستقبال حسناً من مديرها الأستاذ صالح ابراهيم من مصر ، وتُساعده في العمل بعض الفتيات العمانيات .

وفي الدار مجموعة من المخطوطات أكثرها في فقه أهل هذه البلاد . وقيل لنا إنها تزيد على أربعة آلاف مخطوط ، وقد نشرت (وزارة التراث) كتاباً يضم أسماء كتب مختارة من تلك المخطوطات ، استرعى انتباهي منها :

١ ــ ماجاء في ــ ص ٦٠ ــ ونصه : ٤ ــ تاريخ العصامي ، مجهول المؤلف والناسخ ، سنة النسخ ١٢٥٣ ــ ٢٠٠ ورقة ــ ١٧ سطر ــ ٢٨ × ٢٥ سم ، حبر أسود . انتهى .

ولما رغبت الاطلاع عليه أحضرت لي الفتاة مجلدين ــ لا جُزْءاً واحداً كما يفهم من ذالك الوصف .

أحدهما : أوله : الباب السابع في ذكر دولة آل عثمان . . . وفي آخره : خاتمة نسأل الله حُسْنَهَا . . تحتوي على ثلاثة أبواب : الباب الأول : في ذكر نسب الطالبيين ومشاهيرهم . . . الخ . الباب الثاني : في ذكر من دعا منهم إلى المبايعة . . . الباب الثالث : في ذكر من ولي مكة . . . من آل أبي طالب إلى يومنا هذا . . . وآخر الكتاب : ثم وليها الشريف سعد بن الشريف زيد بن الشريف محسن بن حسين بن حسن ، وهذه التولية الثانية . . . ــ وبعد بضعة سطور : وفي يوم الاثنين الرابع عشر جمادى الأولى كان وصول القفطان . . . ومعه صورة الأمر السلطاني بانعام العلية على مولانا الشريف سعد بشرافة مكة . . . وبانعام الدولة العلية بشرافة مكة على والده(؟) واقامته قائم مقام والده(؟) . . . ثم نودي بالزينة سبعة أيام فتمت بأبهى منظوم وابرام . . . آخر ماوجد من الجزء الأخير من تاريخ العصامي .

والثاني : المجلد الثالث من كتاب تاريخ العصامي :

وأوله بعد الحمدلة : لا يخفى أنه كان لبني عبد مناف في قريش محل من العلا . . . .

وآخره : خاتمة ــ نسأل الله حُسنها ــ على نحو ماجاء في الجزء الموصوف قبل هذا ــ ولكن الكلام يقف بعد صفحات ، بحيث يزيد الجزء الذي قبله بنحو الثلث .

وهذا الأخير هو المخطوط سنة ١٢٥٣ ــ أما الأول فلا تاريخ لكتابته . وقد اتضح لي : أن هذين الجزءين هما من تاريخ عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي المكي (١٠٤٩/١١١١هـ) المسمى «سمط النجوم العوالي ، في تاريخ

الأوائل والتوالي» المطبوع سنة ١٣٧٩هـ في المطبعة السلفية في مصر على نفقة حاكم قطر الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني في أربعة مجلدات ، وهي أكمل وأوفى من تلك المخطوطة .

وطالعت الكتاب الموصوف ــ ص ٦١ ــ بما نصه : ٧ ــ «معجم الأدباء» ياقوت بن عبدالله الحموي ــ الناسخ غير معروف ، سنة النسخ غير معروفة ــ ٢٣٢ ورقة ــ ١٧ سطر ، ٢٠ × ٢٥ سم خط نسخ ، حبر أسود . انتهى .

فاتضح لي أن الكتاب ليس لياقوت ، وإنما هو ــ كما جاء في طرته ــ: الجزء الأول من «بغية الألبَّاء ، من معجم الأدباء» اختاره لنفسه أحمد بن علي بن عبدالسلام التكريتي ــ عفا الله عنه ورحمه ــ

وهو من أول الكتاب ، وينتهي بترجمة (عبدالله بن محمد بن هارون التوزي . . . عند آخر جملة : (وأنشد لفضل الرقاشي) ثم تنتهي الصفحة ولا شيء من الكلام بعدها متصل بها .

وورق الكتاب ١٣٥ ــ والكتابة قديمة وجيدة ، وفي الحواشي تعليقات حديثة ، ولا أستبعد أن يكون الكتاب من مخطوطات القرن الثامن .

أما ماجاء في وصف ما اختير من المخطوطات ــ ص ٤٩ ــ عن «ديوان شعر ابن مشرف» المخطوط سنة ١٢٤٠ ــ فابن مشرف هذا ليس الشاعر الأحسائي أحمد بن علي بن مشرف الأحسائي بل هو قبله ، كما لفت نظري إلى هذا الأستاذ الدكتور عبدالله الوهيبي الذي أفضل علي بنسخة مصورة منه ، والشاعر من أهل القرن التاسع الهجري ، وقد خصص ذالك الديوان لمدح السلطان الخليل بن أحمد بن سليمان الأيوبي ، صاحب حصن كيفا في ديار بكر ، وهو ــ على ماذكر الأستاذ الزركلي في «الأعلام» أمير من الشعراء ، تولى الإمارة بعد أبيه السلطان الأشرف سنة ٨٣٧ ــ في الديوان : ٨٣٣ ــ قال الزركلي : وقتله ابنه على فراشه سنة ٨٥٦هـ .

وكان مما طالعت من المخطوطات : «ديوان ابن هُتَيْمِلٍ» وقد كتب في طرته : (ديوان تاج الأدبا ، وأحد النجبا ، وحيد دهره ، وفريد عصره ، شرف الدين بن

هتيمل القطاني (كذا) نسبا ، والصمدي والشيعي مذهبا . . .) ومعروف أن صواب (القطاني): (القحطاني) و(الصمدي): الصَّمَدِي بلدا . وأول هذه النسخة : (قافية الهمزة ــ قال يمدح الشيخ أبا بكر بن عمر العد(؟)):

لاتعالجْ من الصبابة داءَ فهي داءٌ أعيا الطبيب دواءَ

وآخرها : (وقال يمدح الأمير المتوكل على الله شمس الدين أحمد بن أمير المؤمنين :

أمِلْهَا إنْ وجدت لَهَا تَمَالاَ لعلَّ خماسها ترد الشمالا

ثم بعد ثمانية وعشرين بيتاً :

تَعُدُّ إلى البرا وإلى المُثَنَّى وحَيْدَرَ وابنه شرفاً وخالا

ثم ينقطع الكلام بانتهاء ورق النسخة التي تقع في ٥٠٢ من الصفحات ، في الصفحة خمسة عشر سطراً ، والخط ليس قديماً ، ورقم النسخة ١٣٥٣/٢٣ز .

ومعروف أن الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي نشر دراسة عن الشاعر ابن هتيمل ، مع مختارات من شعره ، عن مخطوطة غير هذه .

وفي المكتبة مخطوطة رقمها ١٣٣٢/٢ز ــ تَحْوِي مجموعة من الأشعار القديمة ، في أولها نقص ، إذ تبتدىءُ بالكلام عن منزلة امرىء القيس بين شعراء الجاهلية ، ثم بشعره ، ثم شعر طرفة ، فشعر زهير بن أبي سُلْمَى ، فشعر النابغة ، فشعر الأعشى ، فشعر لَبيد ، فشعر بِشر بن أبي خازم الأسدي ، فشعر عَبِيد بن الأبرص ، فشعر عَدِيّ بن زيد ، وقد ترد إشارات عند إيراد بعض القصائد بأن هذه رواية الأصمعي أو غيره من رواة الشعر من القدماء ، وإشارات إلى أن ماورد من شعر الشاعر هو كله ، فعند انتهاء شعر بِشْرٍ وردت هذه الجملة : (آخر شعر بشر في جميع الروايات) و(آخر شعر عبيد) . وآخر مافي هذا المجموع قصيدة قيس بن الخطيم :

أتعرف رسماً كالطراد المذاهب ــ في المخطوطة . . . بالطراد المذاهب ــ وبعدها : (وقال الشجوى) :

مـراضى (؟) ليس لنـا طبيب ومهجورين (؟) ليس لنا حبيب

في احد عشر بيتاً آخرها :

عسى الهمُّ الـذي أمسيتَ فيـه يــكــون وراءه فـرجٌ قــريـب
فــترجــع ســالمــا وتقــر عينــا وتنــزل بين أهلك يــاغــريب

وبعدها قصيدة الشَّنْفَرَى :

أقيمـوا بني أُمّي صدورَ مَطِيِّكُمْ فـإنّي إلى قَوْمٍ سِـواكم لأمْيَـلُ

ويظهر أن هذه المجموعة من مخطوطات القرن الحادي عشر ، حيث يبدو من كتابة مطموسة في آخرها : (عشر ليال خلون من جمادى سنة ستين وألف) ويكثر التحريف في الكتابة .

وقدم لي مدير الدار مجموعة من مطبوعات (وزارة التراث) أكملها الأستاذ أبو عثمان ــ أكرمه الله ــ بأن دفع ثمن بعضها .

ثم اجتمعت في تلك الوزارة بعالم جليل مشهور بكثرة مؤلفاته ، وبغزارة علمه وفضله هو الأستاذ الشيخ سالم بن حمود السيابي ــ مستشار الوزارة ــ ويعد من أوسع علماء هذه البلاد اطلاعاً على تاريخها ، وقد أمضيت برهة من الوقت نتجاذب أطراف الأحاديث ، فوجدت من لطفه وسماحة نفسه وبشاشته مالم أعهده عند غيره من العلماء ممن بلغ من العمر مابلغه الشيخ ، فهو في الثمانين من عمره ، ولا يزال دائباً على مواصلة البحث والتأليف ، حيث أخبرني بأن كتابه في الأنساب الذي طبعه حاكم قطر منذ زمن قد أعاد النظر فيه ، فزاد عليه زيادات كثيرة ، ولا يزال مستمراً في إكماله ، وقد رغب أن أزوره في بيته ، وألح علي في ذالك مبالغة في إكرامي إلا أن قصر الوقت الذي قررت البقاء فيه في هذه البلاد حال دون تلبية تلك الدعوة الكريمة .

وكان ممن اجتمعت به عند الشيخ السيابي الشيخ بدر العبري مدير قسم الحصون والقلاع ــ في وزارة التراث ــ فكان أن قدم لي قطعتين من نسيج تلك البلاد ، تذكاراً لهذه الزيارة .

حول (الجبل الأخضر) :

وفي الساعة الثامنة والربع من صباح يوم الخميس (١٤٠٧/٣/١١هـ — ١٩٨٦/١١/١٣م) كانت الرحلة إلى أدَم ، وهي تبعد عن مدينة مسقط ٢٢٤ كيلاً (مئتان وأربعة وعشرون). والرفاق أبو فهد الأستاذ عبدالله الخيال وأبو عثمان يحيا بن عثمان البِشْر ، وسائق السيارة من موظفي السفارة . وكان السير في طريق معبَّد ، إلا أنه لايتسع إلا لمرور سيارتين متعاكستي الاتجاه ، وهو الطريق الوحيد المعبد لسلوك السيارات المتجهة إلى جنوب عمان ، وإلى أشهر مدنه في تلك الجهة كصلالة ونَزْوَا وغيرهما ، ولهذا فيكثر السير فيه من جميع أنواع السيارات ، فيصعب تجاوز سيارات النقل في كثير من منعطفاته الضيقة ، ولهذا لم نصل إلى نَزْوَا — وعليها الطريق إلى أدَمٍ — إلا الساعة العاشرة إلا ثلثاً ، والمسافة — كما سجلها عداد الأكيال في سيارتنا ١٦٧ من فندق (انتركنتنتال) إلى فندق نَزْوَا .

كان السير بعد مجاوزة مطار مسقط داخل الجبال ، بمحاذاة سلسلة شامخة منها على اليمين، تدعى (الجبل الأخضر) مع أنها جرداء سوداء القمم على مايبدو للناظر ، لها شناخِيب بارزة ، تتخللها فجوات شديدة الانحدار ، وفيما بين هذه السلسلة وما حولها من الجبال تكثر الأودية التي تنتشر فيها القرى ذات العيون الجارية ، ويدعونها أفْلاجاً ، واحدها فَلَجٌ — بفتح الفاء واللام وآخره جيم — ولكن مياه أكثرها ضعيفة بحيث تنحصر الزراعة في حدائق صغيرة من النخل ، وأكثره يظهر عليه عدم العناية ، لانصراف أهله عنه إلى حرف أخرى أيسر كلفة داخل المدن .

كان مما مررنا به أو بقربه من القرى : فَنْجَا — بعد الفاء نون ساكنة وجيم مفتوحة بعدها ألف ينطقها بعضهم هاء — وبِدْبِد — بباءين بعدهما دالان.

وسمائل وهي من أشهر المدن ، وتبعد عن مسقط ١١٤ من الأكيال ، وهي من أقدم المدن العمانية ، فقد ذكر ابن حميد في «تحفة الأعيان» : ٤١/١ : أن أول من أسلم من أهل عمان مازن بن غَضُوبة من بني نبهان من طيء وكان من أهل سمائل ، قدم على رسول الله ﷺ عند ظهور الإسلام بِعُمَانَ ودعا له ولأهل عُمَان

بخير ، وكان يسدن صنماً في الجاهلية في سمائل ، يقال له ناجر ، تعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من طيء وترجم ابن حجر في «الاصابة» ــ ٧٥٨٥ ــ مازنا هذا وأورد من شعره :

إليك رسول الله خَبَّتْ مطيتي تجوب الفيافي من عُمان إلى العَرْجِ

ولم يذكر بلده وبسط ابن الأثير ترجمته في «أسد الغابة» وذكر أنه من عمان ، من خطامة من طيء .

ومررنا بوادٍ يدعى وادي مَحْرَم ــ بفتح الميم وإسكان الحاء ــ كاسم الوادي الذي بقرب الطائف الذي هو أعلى وادى قَرْنِ المنازل (السيل) وببلدة إمْطِي ــ بكسر الهمزة وإسكان الميم وكسر الطاء بعدها ياء ــ وتبعد عن مسقط ١٢٥ (مئة وخمسة وعشرين كيلاً).

وقاروت ــ بالقاف على وزن هاروت وماروت .

ثم إزْكِي ــ بكسر الهمزة واسكان الزاي وكسر الكاف فياء ساكنة ــ والمسافة بينها وبين إمطي نحو ثمانية أكيال .

ثم انحرف الطريق باتجاهه ذات اليمين ، حيث اتسعت الأرض ، بتباعد الجبال ، وبلغنا بلدة صغيرة بعد تجاوز مضيق بين جبال ليست مرتفعة ــ تدعى (بِرْكَةَ المَوز) مضافة إلى الفاكهة المعروفة للتفريق بينها وبين قرية أخرى تدعى البِركة ــ الباء مكسورة والراء ساكنة ــ ويظهر أنها على فَلَجٍ قويٍّ إذْ بَدَتْ لنا في مدخلها البساتينُ الحسنة ، ولم ندخل القرية ، وهذه بلدة الإمام غالب آخر أئمة الاباضية في عصرنا ، وتبعد عن مسقط ١٤٢ (مئة واثنين وأربعين كيلاً).

وبعدها تركنا طريق عَبْري يميناً حيث اتجه صوب سلسلة الجبال (الجبل الأخضر) وانحرف بعد ذالك طريق صَلاَلة ــ وهو الطريق الذي سنسلكه إلى أَدَم ــ انحرف جهة اليسار حين قطعنا منه من مسيرنا من مسقط ١٦٤ كيلاً ــ واتجهنا صوب فندق نَزْوَا ــ بعد أن شاهدناها ، وبلغنا الفندق بعد زمن يقرب من ساعتين من خروجنا من الفندق في مسقط ــ وكانت المسافة التي سرناها حتى بلغنا

نَزْوَا ــ ١٦٧ ــ سبعة وستين ومئة كيل .

وبعد استراحة في الفندق تقرب من الساعة واصلنا السير إلى أَدَم ، والمسافة بينها وبين نَزْوَا ــ كما يبدو من علامات الطريق ــ ٥٣ كيلاً ــ والساعة العاشرة والنصف .

ولابُدَّ من وقفة قصيرة حول الجبل الأخضر . مما لاريب فيه أن كثيراً من المناطق التي عُرِفت في العهود القديمة بالخصب ووفرة المياه ، وكثرة محصولات الزراعة تغيرت كثيراً عما هي عليه ــ كالحال في منطقتي الأَحْساءِ والقَطِيف وفي بلاد يَنْبع النخل وواحات خَيْبَر ووادي القُرى (العُلاَ) وقل مثل هذا في الجبل الأخضر ، الذي كان يُعَدُّ ــ ولا يزال ــ أخصب منطقة في بلاد عُمَان ، قال عنه المؤرخ المعاصر الشيخ عبدالله بن حميد السالمي في «تحفة الأعيان» ج ١ ص ٦ ــ مانصه : وفي عمان الجبل الأخضر ، ويقال له رُضْوَى ، وهو من عجائب الدنيا مملوء بالفواكه من الرمان والعنب والجوز والخوخ ، والمشمش والبوت والنمت وغيرها من أشجار الجبل ، وفيه من الرياحين كالورد والزعفران والآس وغيرها . وسئل بعض أهله عن وصفه فقال : هو جبل عظيم الارتفاع ، صعب الامتناع ، في وسط عُمَان ، أهله في رفاهة وأمان ، لا يخافون جور شيطان ، ولا سطوة سلطان ، ذُو نُهورٍ وقصور ، وحياض ورياض ، وبساتين بها كروم وتين ، وتوت وجوز وخوخ ، ولوز ومشمش ورمان ، وفواكه ألوان ، محصنة حدائقها بالورد والياسمين ، وحشيشها الزعفران الثمين ، والفوذنج والشذاب ، والنرجس المشبه بعيون الكعاب ، محفوفة بالآس ، كأنها الجنة في القياس ، اغتصت بالكرم والتفاح ، والشجر المعطر النفاح ، قال : وإن حللت في أقفارها اكتفيت عن جني أثمارها ، بكمثل النمت والبوت شفاء وقوت ، تسفح من هذا الجبل تسعة أودية ، وكل وادٍ به له طريق مؤدية ، وعلى أبوابها قرى لبني ريام ، أحاطوا به كالأكمام بالثمر والهالة بالقمر ، حامين لأبوابه عن طلابه . انتهى وصف صاحب الجبل له ــ .

وسماه السالمي جبل بني ريام ، ورُضْوا ــ بضم الراء قيل : سمي بذالك باسم نبي دفن فيه ــ ٦٢/١ ــ !!

وما أرى شهرة هذا الجبل إلا لمناعته ، وصعوبة الوصول إلى قراه ، مع وجود ينابيع مياه فيه ، نشأت عليها قرى صغيرة ، قليلة السكان ، يتصف أهلها بالقناعة والصبر للحفاظ على دينهم ، ويرون في جبلهم غاية مايطمحون إليه في حياتهم القائمة على العزلة .

ومع أن أبا صالح السفير ــ أكرمه الله ــ كان بوسعه أن يُهَيِء لنا الوسائل لزيارة مايمكن الوصول إليه لمثلنا ــ الا أننا اكتفينا بمشاهدة القرى الواقعة في سفوحه الجنوبية الغربية ، وقاعدتها نَزْوا .

إلى بلدة أدَم :

لَقَدِ انْدَاحَتِ الْجبالُ بعيدةً عن الطريق منذ أن أقبلنا على نَزْوَا ، فاتسعت الأرضُ أمامنا بحيث لا نبصر جبلاً إلا عن بُعْدٍ باستثناء أكيات وجبال صغيرة ــ وكان الاتجاهُ نحو الجنوب الشرقي ، والسير في الطريق العام المتجه صوب صَلاَلة ــ قاعدة ظفار ــ وعند بلوغ عَدَّادِ الأكيال الرقم ٣٠٠٦٧ ، وكان حين مغادرة الفندق ٢٩٨٤٣ (أي بعد سير ٢٢٤ كيلاً من مَسْقَط) شاهدنا لوحةً كتب فوقها (ولاية أَدَم ترحب بكم) ورُسِم فوق اللوحة نخلة ، وهكذا كل ولاية أو مدينة مشهورة في هذه البلاد يرسم فوق لوحة الطريق الموصل إليها على مقربة منها صورة ترمز إلى ما اشْتَهَرَتْ به الولاية أو البلدة .

انحرفنا ذات اليسار عن الطريق المعبَّد إلى بلدةِ أَدَم التي امتد عمرانها طولاً حتى بلغ هذا الطريق ، الذي قَصُرَ إصلاحُهُ وتمهيده عن الوصول إلى هذه البلدة ، فَكِدْنَا لا نُبصِرُ مايحيط بنا من شدة الغبار وارتفاعه ، حتى داخل شوارع البلدة ، فشاهدنا أبرز بناءٍ تعلوه قبة مرتفعة ، عرفنا أنه المسجد من منارته الطويلة وقبته الجميلة ، وكان المسجد الجامع الذي أمر بانشائه السلطان قابوس في العام الماضي بطراز عربي جميل ، وبناءٍ قويٍّ محكم ، وقد فُرِشَ داخِلُه ، ووجدنا فيه رجلين يقومان بتنظيفه ــ ولعلهما يفعلان ذالك استعداداً للصلاة فيه غداً (الجمعة) وأول صلاة في رمضان أُقيمت فيه في العام الماضي (١٤٠٦هـ) على ماقِيل لنا .

في بلدة أدَم :

كيف نستطيع الاهتداء إلى المعالم الأثرية في هذه البلدة ولا أحد معنا من أهلها ؟ ليكنِ الذهابُ إلى المدرسة فلابد أن يكون بين مدرسيها من يعرف شيئاً من تاريخ مدينته ، فكان ذالك ، وكان الاجتماع بعدد من إخواننا المدرسين منهم العُمَانيُّ ، ومنهم المصري ، ومنهم الأردني ، (الفلسطيني) ولا عجب في تعدد الجنسيات وكثرتها ، فطلاب هذه المدرسة التي تضم ثلاثة أقسام ابتدائي وإعدادي وثانوي ـــ يقرب عددهم أكثر من ألف طالب وطالبة . ـــ وحسب ماأملى علينا القائم بتسجيل الحضور والغياب ٨٠٠ تلميذ و٦٣٠ تلميذة ، والمدرسون ٣١ مدرسة و٥٠ مدرساً . والمدرسات أكثرهن مصريات ، والدراسة بالتناوب بين الطلاب والطالبات ، يخرج أؤلئك من المدرسة فيدخلن ، ثم يخرجن ويدخل الطلاب ، وليس كلُّ من في المدرسة منهم من أهل بلدة أُدَمٍ ، بل من الولاية وبما بقربها من القرى ، وهناك سيارات تنقلهم إلى المدرسة ، وكذا الحال في كل ولاية أو مدينة كبيرة ، تُنْشَأُ فيها مدرسة لكل ماحولها من القرى .

كان تناول القهوة ـــ بعد تقديم التمر ـــ وهذه عادة باقية لدى العمانيين تقديم التمر قبل القهوة ، وهكذا رأينا ساعة حللنا بهذه البلاد في البهو المعد للاستقبال في المطار ، فقد قُدِّمَ لنا التمر قبل القهوة ، وتلك سنة حسنة ، وكانت متبعةً في نجد إلى عهد قريب ، ولاتزال باقية في بعض القرى ، إذ يقدم للزائر طَبَقُ التمر ، ويقال له (تفضل: اقْدَعْ) ويسمى هذا الأكل (أَلْقُدُوع) ولعله سُمِّي بهذا لأنه يكسر حِدَّة الجوع حَتَّى يُعَدُّ الطعام المناسب للضيف ، وفي الأثر : (اقدعوا هذه الأنفس) أي اكسروا حدة تطلعها إلى شهواتها .

هاهو الشيخ سالم بن هلال المحروقي ، الذي استقبلنا عند باب المدرسة بحفاوة وبشاشة ، وأمر بتقديم التمر ثم القهوة لنا ـــ في حجرة مدير المدرسة فهو نائبه ـــ وهو من أهل هذه البلدة ، ومن خيرة مثقفيها فقد زار مصر ، وزار البلاد السعودية ، وتلقى من المعارف والعلوم ما أهله للاشراف على إدارة هذه المدرسة أثناء غياب مديرها ، ثم هُوَ ذُوْ إِلْمَامٍ بتاريخ بلدته ، فقد أفاض في الحديث عن ماضيها حين كانت سوقاً من أسواق العرب القديمة ، ثم حين كانت قاعدة للإمام

أحمد بن سعيد الذي وُلِدَ فيها ونشأ ولايزال حصنه قائماً في البلدة القديمة ، حيث أقدم جامع فيها يُنْسب إلى عمر بن الخطاب ، أُنْشيءَ سنة سبع عشرة من الهجرة على ماقال الشيخ المحروقي ــ وهناك من يقول : إن تاريخ إنشائه سنة ٣١٧ ــ سبع عشرة بعد الثلاث مئة ــ والكتابة لاتزال باقية في محراب الجامع ــ هكذا حدث الشيخ سالم .

إن الجانب الذي تقع فيه المدرسة والجامِعَ الكبير الجديد ، ومَقَرٌّ والي أَدَم ، حديثُ العمران ، بيوتُه ومحلاته التجارية على الطراز الحديث ، في بَرَاح واسعٍ من الأرض ، تشاهد سلسلة من الجبال في الجهة الشرقية غير قريبة من عمران المدينة ، ولهذا فإنَّ البنايات متباعدة نوعاً ما ، والشوارع واسعة ولكنها غير مبلطة ، وتتخللها حدائق النخيل التي تبدُو العناية بها أكثر مما هي في كثير من نخيل القرى التي رأيناها .

لقد كان من أهمِّ ماحرصنا على معرفته موقع البلدة القديمة التي من المتوقع أنَّ السوق القديم الذي كان يقام في الجاهلية ينبغي أن يكون بقرب ذالك الموقع ، فطلبنا من الشيخ سالم أن يبعث معنا من يرشدنا إليه ، وهكذا كان .

اتجهنا إلى الجنوب الغربي من البلدة الحديثة وبعد قطع مسافة خمسة أكيال دخلنا غابةً من النخيل ، في أزِقَّةٍ ضيقة ، أفْضَتْ بنا إلى بلدة محاطة بسور لاتزال أبوابه الضخمة المصنوعة من الخشب سليمة ، والسور سُمْكُ جداره يزيد على المترين ، مبني بالْجِصّ ، وباللبن والطين ، وكذا منازل القرية التي لايزال كثيرمنها عامراً ، مع أنه لم يبق فيها من السكان سوى امرأتين لم تستطيعا الانتقال إلى المساكن الجديدة في البلدة الحديثة كغيرهما من السكان ــ على ماقيل لنا ــ . بلغنا المسجد الجامع ــ والبلدة حوله تدعى (محلة الجامع) فوجدنا في مدخله بئراً عليها دَلْوٌ ، لإخراج الماء منها ، وبجانبها مكان للوضوء وآخر للاستحمام ، وعمقها نحو سبعة أمتار ، وطعم الماء مقبول للشرب ، وان لم يكن عذباً ــ إنه (دَبْجٌ) كما يعبر أهل نجد ــ .

أما المسجد فبناؤه قويٌّ متماسك ، مقام على تسع سواري ، لاتلتقي اليدان

على سمك السارية ، والبناء من الجص ، والسقف من الخشب ويظهر أنه مجدد ، وسعة المسجد ١٧ × ٢٨ خطوة ، وفيه ثلاثة صفوف من السواري كل صف ثلاث يقابلها في جانبي المسجد سارية داخلة في الجدار تحمل جانب القوس الممتد من السارية ، ويتسع كلُّ صف بين السواري لصفين من المصلين ، بحيث يتسع المسجد لثمانية أو تسعة صفوف ، أما الجانب الذي لم يسقف من المسجد خارجه ، بينه وبين البئر فيقارب في المساحة ماسقف .

وقد لُيِّسَتْ جوانبُ الجدران الداخلية منه بالْجُصِّ ، ونُقِشَ محرابه بطريقة الحفر ، وبجانبه الأيمن كتابة بخط النسخ الجميل ، لم نستطع قراءتها لعدم وضوحها ، ولتقشع بعض الحروف ، إلا أن بجوارها في لوحة معلقة مانصه : نقلت هذا التاريخ كما وجدته مكتوباً بالقلع في المحراب القائم في عمارة هذا المحراب المبارك الشيخ الأجل محمد بن نوح أبو حسن الأزدي ، والصانع عيسى بن عبدالله ، في شهر جمادى الأولى سنة ١٧ هجرية ــ على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام ــ بعد سبع مئة سنة والله أعلم .

تَمَّ نقل هذا في هذه اللوحة في ١٤٠٢/١٢/٢هـ .

وإذا صح هذا فإن تجديد هذا المحراب حدث سنة ٧١٧هـ ومنه توهم من توهم أنَّ عمارة المسجد كانت في سنة سبع عشرة ــ في عهد عمر بن الخطاب ــ وقد تكون عمارته أقدم من عمارة محرابه ، ومهما يكن فقد كان جامع بلدةِ أَدَمٍ القديم ، ولا يحفظ من قابلنا من أهلها من تاريخها إلا أن الإمام أحمد بن سعيد المتوفى سنة ١١٩٦هـ ــ جَدَّ الأسرة الحاكمة في عمان(١) الآن ــ ولد في هذه المحلة التي يقع فيها هذا الجامع ، وأنَّ المكان الذي عاش فيه لايزال قائماً أحد أبراجه ، في الجنوب الشرقي من المسجد المذكور ، أرانا اياه الرجل الذي أرشدنا إلى هذه الجهة ، وصعده أحدنا ، ويعرف ببرج الإمام أحمد بن سعيد ، وهو أحد الأبراج المقامة على السور المحيط بهذه المحلة المبنية بيوتها بالطين ، وتحيط بها بساتين النخيل الجيدة العمران .

وهذه المحلة التي يقع فيها المسجد ، قَدْ بدأها الخراب ، وأوشكت أن تخلو من

السكان ، وتقع في منخفض من الأرض ، بين النخيل ، فتحيط بها المستنقعات التي تتسرب من مياه سقي البساتين التي بدأ الإهمال ينتشر فيها .

أما منازل المدينة الحديثة فتقع شرق هذه المحلة ، متصلة بها ، وممتدة نحو ثلاثة أكيال من الجنوب إلى الشمال حتى الطريق المعبد ، المتجه إلى صَلاَلة ، في منطقة الظاهرة ، وفي غربيها تقع حقول النفط على مسافة تقارب خمسين كيلاً ، وفيها أربعة أفلاج ، ليس ماؤها قوياً .

وأقرب الجبال إليها جبل (صلاخ) في غربيها يشاهد منها غير بعيد ، وجبل (مدمار) شرقها يكاد العمران يتصل به ، وبلدة أَدَم في براح من الأرض ممتد غرباً حتى الربع الخالي ، ولا تبعد حدود المملكة من هذه الجهة عن بلدة أدم ــ كما يتضح من المصور الجغرافي ــ أكثر من مئة وخمسين كيلاً ــ وما بينها وبين ساحل خليج عمان يقارب هذه المسافة ، حيث تقع صُور وقَلْهَات وطيوي[٢] .

وتقع أدم بقرب خط الطول ٥٧/٣٠° وخط العرض ٢٢/٢° ــ وكتب الاسم في بعض المصورات الجغرافية (الخرائط) خطأ (آدم) بمدِّ الهمزة .

نَزْوَا (قاعدة الإباضية الأولى) :

بعد مشاهدة تلك المحلة القديمة في أَدَم كان منها ٱلعَوْدُ إلى نَزْوَا فبلغنا الفندق بعد أن سجل عدَّادُ الأكيال ٦٤ كيلاً ، من الجامع القديم ، منها ثلاثة أكيالٍ هي امتدادُ عمرانِ أَدَم إلى الطريق ٱلمُعَبَّدِ . كانت الاستراحة والغداء في ذالك الفندق ، والخدمة فيه لابأس بها بالنسبة لموقعه ــ فالمسافر لايفقد فيه مايتوفر في فنادق المدن الكبيرة ، وبعد صلاة العصر قمنا بجولة في مدينة نَزْوا ــ قاعدة أئمة الإباضية منذ عهودهم الأولى ــ وتقع في سفح الجبل الأخضر ، جنوبَهُ ، وتمتد منها طرقٌ إلى صَلاَلةَ قاعدةِ ظفار ــ ٨٦٠ كيلاً ، وإلى عِبْري في سفح الجبل الأخضر من الشمال ــ ١٣٠ كيلاً ــ وإلى البُرَيْمِي ــ ٢٨٥ كيلاً ــ بطريق عِبْري ، وتبعد نَزْوَا عن مسقط ١٦٦ كيلاً .

وهذه المدينة من أقدم المدن ، وإن كانت كغيرها من مدن عُمَان ، لاتزال

بحاجة إلى مَنْ يَجْلُو مازَالَ خافِياً من أحوالها في العصور القديمة ، وسماها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» نَزْوَة ـ على اسم ألمرَّة من النَّزْوِ ـ وهو الوَثْبُ ، ولكنه اعتبرها جبلاً فقال عنها : جبلٌ بِعُمان وليس بالساحل ، عنده عدة قرى كبار ، يسمى مجموعها بهذا الاسم فيها قوم من العرب كالمتكفين عليها ، وهم . . . إباضيَّةٌ ، يُعْمَلُ فيها جِنْسٌ من الثياب ، منمقة بالحرير ، جيدة فائقة ، لايُعْمَلُ في شيء من بلاد العرب مثْلها ، ومآزِر من ذالك الصنف ، يبالغ في أثمانها ، رأيتُ منها واستحسنتها ـ كذا قال ياقوت وأضيف : وأنا قد أُكْرِمْتُ من قبل وزارة الثقافة ، بإزارٍ من نسج هذه البلاد فَأُعْجِبْتُ بجودة نسجه .

ووصفَ ابنُ بَطّوطَةَ في رحلته هذه المدينة بأنها قاعدة بلاد عُمَانَ ، وأنها في سفح جبل تَحُفُّ بها البساتين والأنهار ، ولها أسواقٌ حسنة ، ومساجد منظمة نقية ، وأن عادة أهلها أنهم يأكلون في صحون المساجد ، يأتي كلُّ إنسانٍ بما عنده ، ويجتمعون للأكل ، ويأكل معهم الوارد والصادر ووصفهم بالنجدة والشجاعة .

ويظهر أنَّ ياقوتاً الحموي أطلقَ اسم نزوا على المنطقة التي هي الجانب الغربي الجنوبي من الجبل الأخضر ، حيث تنتشر القرى وقاعدتها نزوا ـ وهي كما وصف ابن بطوطة ، ولكنَّ بساتينها الآن قَلَّتْ ، وأنهارُهَا جَفَّ أكثرها ، وبرزِت المدينةُ إلى الأرض البراح الواسعة بدارات حديثة ، وعمران جديد .

ويتفقُ الإِدْريسي مع ياقوت في تسمية نزوا المعروفة الآن باسم (نزوة) وأن الاسم يطلق على منطقة لأعلى قرية ، فيقول في كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ـ ص ١٥٧ ـ : (ويقابل صُحَارَ في ٱلبَرِيَّةِ على مسير يومين بَلَدَانِ متصلان بينهما وادٍ يُسَمَّى وادي ٱلفَلَجِ ، واسم أحدِ البلدينِ سُعَال والآخر ٱلعَقْرُ ، وهما مدينتان صغيرتان عامرتان ، بهما نخل كثير ، ومزارع وحدائق نخل وتمر ، وهما متقاربتان في القدر ، وشربهما من نهر الفلج ، وتسمى الأرض التي هما فيها نَزْوَةَ ، ويتصل بهاتين المدينتين على قدر نصف يومٍ مدينة مَنَح ، وهي مدينة صغيرة في أسفل جبل يسمى جبل شَرْم ، بها نخيل وعيون ماء ، وهي أعلى ضفة

نهر الفلج ، ومن مَنَح إلى سِيرِّ عُمَانَ غرباً مرحلتان ، وهي أسفل جبل شرم ، حيث مُنْبَعَث نَهْرِ الفلج ، وهو نهر كبير عليه قرى وعمارات متصلة إلى أن يصب في البحر بمقربة من قرية جُلَّفَار) . انتهى .

وكل المواضع التي ذكرها الإدريسي لاتزال معروفة مثل : سُعَال والعَقْر ومَنَح وسِيرِّ عُمَان (يدعى الآن السِّرِّيْنِ ــ مُثَنَّى سِيرّ) . أما جبل شرم فيظهر أنه يقصد مايعرف الآن باسم الجبل الأخضر ، وجلفار ــ على ماشاع عند المتأخرين ــ هو مايعرف الآن برأس الخيمة ، وهي واقعة في مفيض أودية تنحدر مشرقة من جبال الْحَجْرِ التي يعتبر الجبل الأخضر امتداداً لها من الناحية الغربية .

وفي كتاب «تحفة الأعيان» لمحاتٌ عن تاريخ نَزْوَا القديم ، فقد ذكر أنها نهبت سنة ١٤٥ ــ ج ١/ ٨٨ ــ وفي سنة ١٧٩ أصبحت مقراً للإمام الوارث بن كَعْبٍ الْخروصي ــ ١/ ٩٣ ــ وفيها مات سنة ١٩٢ ــ وقُبِر بين العقر وسُعَال ــ محلتين فيها ــ ودعاها (تخت ملك العرب) و(بيضة الإسلام) ٢/ ٢٥٣ ــ إلى آخر ماذكر عنها .

وأبرزُ معالمها الأثرية قَلْعَتُهَا التي كانت يوماً ما مقراً للجند لحماية المدينة وكانت سِجْناً ، وهي مستديرة الشكل ، ولم نستطع دخولها ، إلاَّ أَنَّ حُرَّاسَها سمحوا لنا بالوقوف دَاخِلَ الباب للاستماع من أحدهم عن تاريخ إنشائها ومِمَّا رأينا مكتوباً كتابة حديثة على الجدار : أن السلطان سلطان بن سيف الأول أنشأها فيما بين سنتي ١٦٤٩ و١٦٦٨ ميلادية خلال اثني عشر عاماً ، وأنها أهم المعالم التاريخية في نَزْوَا ، وهي مبنية بالحجر والجص ، ويبلغ ارتفاعها ١١٥ قدماً ، وقطرها ١٥٠ وسلطان بن سيف من الأئمة اليعاربة ، بويع سنة ١١٢٣ وتوفي سنة ١١٣١هـ . ولا يبدو ــ في نزوا من النشاط العمراني ماشاهدناه في غيرها من مدن السلطنة كمسقط ، ويقال : إنه كان من المقرر أن تُنْشَأ فيها الجامعة (جامعة قابوس) وقد حُدِّدَ مكانها ، ولكنها أنشئت فيما بعد في مسقط بقرب المطار (مطار السِّيْب الدولي) .

ولمدينة نزوا سُوقٌ مسقَّفٌ صغير ، بجوار المسجد ، يغلق أثناء الصلوات .

وسألنا أحدَ الإخوان عن أقدم محلة في هذه البلدة فقال : إنها (حارة جامع) كذا نطق الاسم ، في سُعَال ــ بالسين والعين المهملتين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة بعدها ألف فلام ، وفسر كلمة (حارة جامع) بوقوع الجامع الذي يصلي فيه الإمام ، فاتجهنا معه شرق شمال المدينة ، فدخل بنا في السيارة سوقاً ضيقاً متعرجاً داخل النخيل ، في محلة ضيقة البيوت المبنية بالطُّين ، وبساتين النخيل تحيط بالمحلة ، حتى وقف بنا على ربوة مرتفعة يقع فوقها المسجد ، فصعدنا الدرج إليه ، فإذا طِرَازُ بنائه شَبِيهٌ بطراز بناء مسجد أَدَم ، السواري متينة مستديرة ، والعقود بينها مُقَوَّسة ، وقبلته فيما حول محرابه مزينة بالنقوش والكتابات الجميلة القديمة ، داخل دوائر ، وفي شبه أقواس بالجص المحفور ، والحروف بارزة ، إلا أننا لم نستطع قراءة شيء منها لقدمها ولضعف النور داخل المسجد ، وتدلُّ جودة الكتابة ونمطها الكوفيُّ المُشَجَّرُ على قِدَمِها ، بحيث أتوقع أن زمنها قد يبلغ القرن الرابع الهجري ، وأمام القسم المسقف من المسجد بَهْوٌ واسعٌ مكشوف (سرحة) وهو أوسعُ من مسجد أَدَم ، وعلى يمين المحراب قد كُسِّرَ بلاطُ الجص المتصل بالكتابات المحيطة بالمحراب ، لِمَدِّ أسلاك الكهرباء ، ولم يصلح مَوْضعُ التكسير ، وهذا مما سيسبب تساقط البلاط كله ، فتزول تلك الكتابات الأثرية ، ولما تحدَّثنَا مع الإخوان الذين دخلنا منزلهم من أهل القرية عن ضرورة الإسراع في إصلاح ماحُفِرَ من الجدار ، وكُسِّر من البلاط ، علمنا أنه جرى الاتصال بوزارة التراث مراراً ، فبعثت من زار المسجد وشاهده ، ووعدت خيراً ، ومضى على ذالك زمن و(لعل له عذر ، وأنت تلوم) .

قال لنا الأخ الذي أرشدنا إلى المسجد : هنا رجل قد جاوز المئة سنة من عمره ، وهو أعلم أهل هذه القرية بتاريخها ، وبيته أمام المسجد ، فكان المرور به ، فاستقبلنا ثلاثة من الإخوة عند الباب ودعونا للدخول ، فوجدنا رجلاً واقفاً متكئاً على (مِحْجَنٍ) لايبدو عليه أنه بلغ من السن ماقيل لنا عنه ، كان حسن الاستقبال والترحيب ، والسؤال عن الحال ، كالعادة ــ ثم القهوة وقُدِّمَتْ معها (الفوالة) وهو التمر ، والماء المبرد في قُلَلٍ صغيرة من الفخار ، معلقة بجوانب المجلس الواقع في مدخل الدار ، ثم تقديم الفاكهة المجلوبة من خارج عُمان ــ

التفاح والموز والبرتقال ــ وكان الشيخ يفيض في أحاديثه عن تاريخ أوائل الأئمة ، وذكر كرامات بعضهم ــ كالوارث ــ وقصة شجرة الليمون التي نبتت من عصاه ، ولا يزال ثمر تلك الشجرة وقفاً في هذه القرية ــ لاشيء لدى هذا الشيخ مما نبحث عنه ــ سوى طِيب قلبه ، وسماحةِ نفسه ويدِهِ هو وأبناؤه ــ وكان مما قال لنا : إن سليمان الباروني زار هذا المسجد ، وصور مافيه من كتابة . ومعروف أن سليمان هذا من زعماء العرب السياسيين في هذا العصر ، وقد تولى عملاً من أعمال سلطنة عمان في منتصف القرن الماضي ــ تقريباً ــ وتوفي سنة ١٣٥٩هـ .

يظهر أن هذه المحلة (سُعَال) هي البلدة القديمة ، كما يبدو من طراز عمرانها القديم ، ومسجدها ، وأن العمران بدأ في الاتساع إلى الأرض البراح ، البعيدة عن بساتين النخيل ومجاري المياه ــ ويلاحظ أن مراحيض المحلة القديمة في أدَم ومثلها المنازل القديمة في سُعَال ، تشبه ماكان معروفاً في الرياض وغيرها من مدن نجد ، بحيث يُخَصَّصُ برج صغير في أعلى المنزل ، له باب ضيق مسدود على الشارع يفتح عند الامتلاء ، ويستعمل ما بداخله سماداً للحدائق .

إن أكثر ماتعتمد عليه القرى في عُمَان في الزراعة والشرب مِيَاهُ ٱلأَفْلَاج ــ جمع فَلَج بالفاء واللام المفتوحتين وآخِرُهُ جيم ــ وهي عيون تنحدر غالباً من الجبال ، وتختلف قوةً وضعفاً ، ويزداد ماؤها وينقص بتأثير السيول وعدمها . وبقرب مدينة نزوا ــ في سفح الجبل الواقع شمالاً شرقياً منها يقع فَلَجٌ ، يظهر من شدة اعتناء الدولة به ، إذ تعتبره من معالم نزوا التي تُزَار ــ يظهر أنه من أقوى الأفلاج ــ عَرَّجْنا عليه ، وهو لايبعد سوى بضعة أكيال من نزوا ، فرأينا ماءَهُ جارياً صافياً ، وفي المجرى رأينا رجالاً وصبياناً يستحمون فيه ، وماكان ماؤُهُ على حالة من القوة بالدرجة التي توقعنا ، إن كثيراً من عيون الأحساء ــ كَعَيْنِ (أم سبعة) وعين (الخُدود) وعين (الحقل) وعين (الجوهرية) كما عهدتها في عشر الستين من القرن الماضي ــ أقوى جرياناً ، وأغزر من هذا الفلج .

ولعل مايتصف به أهلُ عُمَان من القناعة والإكْتِفَاءِ بالقليل من حطام الدنيا ، ثم محبتهم لوطنهم، كل ذالك مِمّا حملهم على إبراز جوانبَ من مظاهر بلادهم ، قد لا ينظر إليها غيرهم بالعين التي يرونها بها ، كشهرة الأفلاج ، والجبل الأخضر

تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية :

— ٤ —

حدود عرفات

في عام ١٣٨٦هـ شُكِّلَتْ لجنة لتحديد عرفات بناء على أمر من المقام السامي موجه إلى رئاسة القضاة فكانت اللجنة :

الذي لا أقول عنه بأنه يُذَكِّرُ المَرْءَ بما هو معروف عند العرب من تسمية الشيء بضده — كالمفازة والسَّلِيم والبَصير - فأنا لم أسِرْ فيه ، ولم أصِلْ إلى سُفُوحِه ، ليصبح حكمي عليه مبنياً على أساس قوي — ولعل أكثر من يزر هذه البلاد يتوقع أن يُشاهِدَ فيها مالا يتوقع ، فتبدو له الأشياء على غير حقيقتها ، وكما يروى عن أحد خلفاء بني أمية حين نظر إلى عَزَّة صاحبةِ الشاعِرِ كُثَيِّرٍ فقال لها : ما الذي رآى فيك صاحبك فقال في وصفك ماقال ؟! ، فقالت : يا أمير المؤمنين إنه نظر إليَّ بغير العين التي نظرت إليَّ بها . أما أنا فقد نظرت إلى هذه البلاد الكريمة وإلى إخوتنا من أهلها بعين الحب والاجلال والتوقير .

سارعنا في العودة إلى مسقط قبل اشتداد الظلام ، وقد دَلَفَتِ الشمس للغروب ، فكان الوصول الساعة السابعة والثلث ، والمسافة في العودة ١٦٦ كيلاً من نزوا — بعد أن قطعنا منذ خروجنا من الفندق في مسقط حتى عدنا إليه مسافة (٥٠٧) من الأكيال .

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) هو الأب الثامن للسلطان قابوس بن سعيد بن تيمور بن فيصل بن تركي بن سعيد بن سلطان بن الإمام أحمد المذكور .

(٢) توفي الشاعر علي بن المقرب الاحسائي سنة ٦٢٩ في هذه البلدة التي وصفها ابن بطوطة في رحلته بقوله : ويمقربة من قلهات قرية طيبي واسمها على نحو اسم الطيب إذا أضافه المتكلم لنفسه ، وهي من أجمل القرى وأبدعها حسناً ذات أنهار جارية وأشجار ناضرة وبساتين كثيرة ، ومنها تجلب الفواكه إلى قلهات وبها الموز المعروف بالمرواري بالفارسية والمرواري هو الجوهري المروار الجوهر — وهو كثير بها ويجلب منها إلى هرمز وسواها وبها أيضاً التنبول . — إلى آخر ماذكر — وسماها (طيبي) ولكن السالمي في «تحفة الأعيان» : ٣١٣/١ — صحح الاسم قائلاً : الصواب بطاء مكسورة ثم واو مكسورة (طيوي) — الخ .

١ ــ الشيخ عبدالله بن عمر بن دُهيش ــ رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة .

٢ ــ كاتب هذه الأسطر عبدالله بن عبدالرحمن البسام ــ قاضيَ المحكمة المستعجلة الثالثة ــ مندوبَيْنِ عن رئاسة القضاة .

٣ ــ الشيخ السيد علوي بن عباس مالكي المدرس في المسجد الحرام .

٤ ــ الشيخ أحمد العربي مدير أوقاف العاصمة المقدسة .

٥ ــ قائم مقام العاصمة الشريف شاكر بن هزاع .

وعدد كبير من أهل الخبرة في المنطقة من السكان .

فأحضرنا النصوص من مراجعها من كتب التفسير والحديث والأحكام والمناسك والتواريخ ومعاجم البلدان ، وطال ترددنا على مَشْعَر عَرَفات ، والوقوف عليه ، والبحث مع السكان وأهل الخبرة .

وبعد أن قارب الموضوع على أن ينتهي أُحِيلَ الشيخ عبدالله بن دُهَيش على المعاش ونقلتُ أنا إلى رئاسة المحكمة الكبرى في الطائف .

فشكلت لجنة أخرى لدراسة الموضوع مرة أخرى ، وصدر فيها القرار الآتي مانحتاج إليه منه :

الحمد لله وحده وبعد : فبناء على ماتلقيناه من سماحة رئيس القضاة برقم ٣٦١٥ في ١٣٨٨/٨/٢٢هـ نحن عبدالله بن جاسر وسليمان بن عُبَيد والسيد علوي عباس مالكي ، وعبدالعزيز بن فوزان من أمر صاحب الجلالة الملك فيصل ابن عبدالعزيز بتشكيل هيئة مؤلفة من طلبة العلم ، ومن سكان عرفات ، ومن وزارة الحج والأوقاف لوضع علامات ظاهرة للعيان على حدود عرفات .

وعليه اعتمدنا الأمر واجتمعنا في يوم الخميس الموافق ١٣٨٨/١٠/٦هـ في عرفات ، وبصحبتنا كلٌ من الشريف فائز الحارثي والشريف محمد بن فوزان الحارثي ، والشريف شاكر بن هزاع أبو بُطَيْن ، واثنان من بادية قُريش المقيمين بتلك الجهة ، ومندوب من وزارة الحج والأوقاف ، الشيخ بابُصَيل والمهندس فؤاد

حواري ، واستعرضنا النصوص في حدود عرفات ووقفنا على منتهى جميع جهات عرفات فظهر لنا بعد الدراسة :

الحد الشمالي: حـدُّ موقفِ عرفة من جهة الشمال الشرقي هو الجبل المشرف على بطن عرفة المسمى جبل سعد .

الحد الغربي: وحَـدُّ موقف عرفة من الجهة الغربية وادي عُرَنَة يبتدىءُ من الجهة الشمالية من ملتقى وادي وَصِيق بوادي عُرَنَة ، وينتهي من جهة الجنوب عندما يحاذي أوَّلَ سفح الجبل الواقع جنوبي المَأْزِمَيْن وطريق ضَـبٍّ ، وتبلغ المساحة لهذا الحد ابتداء من ملتقى وَصِيق بوادي عُرَنَةَ من الجهة الشمالية إلى منتهاه من الجهة الجنوبية خمسة آلاف متر .

الحد الجنوبي : ويَحُدُّ موقفَ عرفاتٍ من الجهة الجنوبية الجبالُ المقابلة للجبل الشمالي ، ويمتد الحدُّ حتى يلتقي بمجرى وادي عُرَنَةَ وبهذا ينتهي الحدُّ من الجهة الجنوبية الغربية .

أما منتهاهُ الجنوبي الشرقي ـــ فهو من الجهة الجنوبية الشرقية سلسلةُ الجبال الجنوبية من جهة الشرق التي يخترقها طريق السيارات الذاهبة إلى الطائف[1] .

الحد الشرقي: ويَحُدُّ مَوقِفَ عرفاتٍ من الجهة الشرقية جَبَلُ سَعْدٍ .

قال محرره: هكذا قالت اللجنة ، وجبل سَعْدٍ تقدَّم أنه حَدٌّ شماليٌّ ، ولكنَّ الحدَّ الشرقيَّ لعرفات هو ماذكره صاحب «جغرافية شبه الجزيرة العربية» حيث قال : (وهناك تجد الجبل سعد خلف الوادي ـــ عرفات ـــ وقفاه أمامك من الشرق بشكل قوس كبير)، وعلى طرف القوس من جهة الجنوب طريق الطائف فهذا في الحقّ هو الحدُّ الشرقي لعرفات

هذا ويُعلم أنَّ وجوه الجبال المحيطة بعرفات داخلةٌ في المَوْقف كما قال ذالك إمام الحرمين حيث قال : ويُطِيفُ بمنعرجات عرفات جبالٌ وجوهها المقبلة من عرفات .

←

والتي تؤلف في مجموعها كُـلًّا من القَطِيف والأحساء والبحرين ـ لها تاريخ مشترك منذ القدم ، ومن الصعوبة بمكانٍ فَصْلُ تاريخ أيِّ جزء منها عن الجزء الآخر ، لاسِيَّما في فترة ماقبل التاريخ ، فهي تشكل وحدة إقليمية ، قدر لها في فترات من تاريخها أن تصبح دولة مستقلة وفي فترات أخرى مجزأة ، يستقل ببعض منها أمراءُ محليون ، وأحياناً تكون بعض أجزائها تابعاً لكيانات سياسية أخرى ، أو تكون كلها أو بعضها خاضعةً لنفوذ الدول الكبرى حيناً من الزمن .

وقد كان لموقعها (الاستراتيجي) ـ باعتباره ممراً للتجارة العالمية ، بالإضافة إلى ثروتها الطبيعيـة من مصايد اللؤلؤ والزراعة وإنتاج التمور ـ دورٌ بارز في إثارة أطماع الدول الكبرى للاستيلاء عليها ، والاستحواذ على مقدراتها الاقتصادية ، وإلى هذا السبب يُعْزَى سَيْلُ الهجرات من سكانها المتدفق إلى المناطق الأخرى ، ومن بينهم الأقوام الكنعانية التي هاجرت إلى الهلال الخصيب خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، والذين عُرِفُوا بالفينيقيين أخيراً ، إلى غيرها من الهجرات السابقة واللاحقة ، كما حفلت بمستوطنين جدد ، نزحوا إليها من المستعمرين وبقايا الجيوش الغازية ، واستقروا فيها ، كالكلدان والبابليين والنبط والسريان والزُّطّ والسبابجة والجرامقة .

وأقدم ما استقصى من المعلومات عن تاريخها السياسي ، أن هناك دولة تتحدث عنها النصوص السومريةُ والأكدية والأشورية ، قامت في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، ورغم اختلاف الأراء في موضعها المسمَّى بِـ (ديلمون أوتلمون .Dilmun Tilmun)أو (نيدوك كى) أو أرض البحر ، إلا أنه من المرجَّح ـ وعليه أكثرية الباحثين أنَّ هذه الدولة قامت في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، ويشمل كلًّا من البحرين (أوال سابقا) والسواحل الغربية من الخليج العربي المقابلة لها ، وقد وصفت بأنها مملكة يحكمها ملك ، وكانت شهيرة بإنتاج التمور والأخشاب والمعادن كالنحاس والبرنز[1] .

ولكن وضعها السياسي القديم ـ كما تتحدث عنه تلك النصوص لم يكن ساراً في تلك الفترات التي نشأت بجوارها دول قويّة ، كالدولة الأكدية والأشورية ،

فقد مُنِيَتْ من جيرانها بالاحتلال والاستعمار (المباشر) فتحدثنا لوحة أثرية أن الملك الأكدي لوكال ـ زكه ـ سي (Lugal Zagge Si) (٢٤٠٠ ـ ٢٣٧١ ق.م) امتدَّتْ فتوحاته من البحر الأسفل إلى البحر الأعلى[٢] وشمل حكمه الخليج العربي ، كما تحدثت لوحة أثرية تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد عن مآثر سرجون الأكدي الأول (٢٣٧١ ـ ٢٣١٦ ق.م) المعروف بشروكين (Sharrv-Kin) أي العادل أن فتوحاته بلغت البحر الجنوبي (البحر الأسفل) أي الخليج العربي، وأنه استولى على مواضع منه[٣] . ولوحة أخرى تخبرنا أن الملك الأكدي مانشيتوسو (Manishtusu) (٢٣٠٦ ـ ٢٢٩١ ق.م) أرسل حملةً بحرية عسكرية ، فعبرت الخليج والبحر الأسفل ، ولما وصلت سُفُنُهُ إلى الساحل الشرقي لجزيرة العرب تجمع لمقاومته اثنان وثلاثون ملكاً من حكام المدن ، وقرروا محاربته ، ولكنه انتصر عليهم ؛ واضطروا إلى الخضوع والاستسلام[٤] . وورد في النصوص الأكدية التي اكتشفت في أور[٥] ، والتي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد اسم موضع يقال له مجان (Magan) ، واقترن باسم (ديلمون) وقد ذهب بعضُ الباحثين إلى أنها تعني المنطقة التي سكنها الجرهائيون (Garrhaens)[٦] ، وهي القطيف أو الأحساء أو العُقَيْر ، حسب اختلاف الآراء في تعيين موضع الجرعاء[٧] ويقول النص : إنَّ (مجان) كانت مملكة مستقلة ، يحكمها ملك يدعى (مانو دانو Mannu Dannu) فغزاها الملك الأكدي (نرام سين Naramsin) (٢٢٩١ ـ ٢٢٥٥ ق.م) واحتلها وقبض على ملكها ، وأخذه أسيراً إلى بلاده[٨] كما تغلب على حليفه (أبيراك Apirak)[٩] وفي العهد الأشوري لم تكن أحوالها السياسية بأفضل من العهد الأكدي ، فتحدثنا لوحة أثرية عن تبجح الملك الأشوري (تكولتي ننورتا Tokulti Ninurta) (١٢٤٤ ـ ١٢٠٨ ق.م) بأنه وسَّعَ حدود مملكته في الجنوب ، حيث استولى على (سومر) و(واكد) ، وثبت حدودها عند البحر الأسفل ، حيث مشرق الشمس ، ويعني بذلك الخليج ، ووصف نفسه بأنه ملك (كورنيس) وملك (سومرواكاد) ، وملك (سيبار وبابل) ، وملك (تلمون وملوخا)[١٠] وملك آخرُ من الأشوريين يدعى (شلمنصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م) يذكر بأنه زحف نحو الجنوب ، واكتسح أرض (كلدو) موطن الكلدانيين ، فاستولى عليها وواصل زحفه نحو الجنوب ،

حتى بلغ البحر المر (البحر المالح Nar Marratu) أي الخليج ، وقهر جميع السكان ، الذين وصلت جيوشه إليهم[11] أما سرجون الثاني الآشوري (٧٢٤ ــ ٧٠٥ ق.م) فيذكر انه كان على عرش البحرين ملك يدعى (ابيرى Uperi) ملك (دلمون) ، وأن هذا الملك حين بلغته الأخبار عن قدرة آشور وعظمتها أرسل هداياه إليه[12] . وفي عهد ابنه سنحاريب (٧٠٥ ــ ٦٨١ ق.م). أسرع ملك البحرين إلى الاعتراف بسيادة ملك آشور ، حين سمعَ باجتيازه نهر الفرات ودخوله أرض الخليج ، ووصوله إلى جزيرة دلمون[13] ، وفي نص أشوريٍّ آخر ، أن الملك (سنحاريب) نفسه بعد أنْ دَمَّر بابل حوالي سنة ٦٨٩ ق.م سار متوجهاً إلى الخليج ، فأرسل حملة انتصرت انتصاراً كاسحاً ، وحققت رغباته ، وقد لاذ ملك (أرض البحر) بالفرار إلى أرض عيلام[14] .

ونَصٌّ آخر يذكر أن الملك الأشوري (اسر حدون (٦٨٠ ــ ٦٦٩ ق.م) قام بحملة عام ٦٧٦ ق.م على قبائل عربية ، تقطن أرض (بازو Bazuوحازو Hazu) وهما من أراضي هذه المنطقة على رأي الباحثين المحدثين[15] فقتل من ملوكها ثمانية ، وهم (قيسو) ملك (خلد يلي) ، و(اكبرو) ملك (ايل بياق) ، و(منسكو) ملك (مجل انى) والملكة (يافأ) ملكة (دخرانى) ، و(خبيصو) ملك (قدابأ) ، و(نحارو) ملك (جعبانى) ، والملكة (با ايلو) ملكة (اخيلو) ، و(جبن امرء) ملك (بدع) ، وأسر خلقاً كثيراً من أتباعهم ، وأخذهم إلى أرض أشور ، وحمل معهم آلهتهم وقد تمكن أحدُ الملوك وهو (ليلي) ملك (يادي) من الفرار ، ولكنه مالبث أن ذهب أخيراً إلى (نَيْنَوَى) عاصمة الأشوريين ، وطلب الصفح فعفا عنه (أسر حدون) وعقد معه حِلْفاً ، وأعاد إليه أصنامه ، وعينه ملكاً على أرض (حازو وبازو) مقابل دفع الجزية[16] .

وافتخر ابنه (أشور بانيبال) (٦٦٩ ــ ٦٣٠ ق.م) في نَصٍّ آخر بأنه ملك العالم بلا منازع ، وملك الملوك ، الذي يمتد نفوذه من البحر الأعلى إلى البحر الأسفل[17] ، والذي جعل الحكام يخرون له سُجَّداً ، ويقبلون أقدامه ، وبأن ملكه امتد من البحر الأعلى حتى جزيرة (دلمون) من البحر الأسفل[18] .

أما علاقةُ البابليين بالخليج فقد ذكر الدكتور جواد علي أن البابليين قد ضَمُّوا جزيرة (ديلمون) أي البحرين ــ إلى أملاكهم ، وعينوا حاكماً بابلياً عليها ، وذلك بعد سنة ٦٠٠ ق.م بقليل(١٩) .

مما تقدم من إيراد تلك النصوص الأكدية والأشورية يفهم أنَّ هناك دولاً أو إمارات مستقلة في شرقي الجزيرة العربية ، وأنها كانت تتمتع بحكم ذاتي ، حيث يحكمها ملوك مستقلون ، غير أن حكمهم لم يكن مستقراً ، فما تلبث عروشهم أن تتهاوَى ، فتسقط دُولهم ، وتصبح لقمة سائغة في فم تلك الدول القوية المجاورة لها ، فتستولي على مقدراتها ، وتلحقها بامبراطورياتها ، وتكون ضمن مناطق نفوذها ، كما يفهم أنَّ هناك ملكات تَبَوَّأْنَ حكم بعض المناطق ، إذَا صَحَّ ماذهب إليه الباحثون المحدثون في تعيين موضع (بازو) و(حازو) .

كما يلاحظ أنَّ تاريخ هذه المنطقة في منتهى الغموض خلال تلك الحقبة ، فلا يلمح منه إلَّا خيوطاً باهتة ، لاتكاد تَبين ، فلا يُعْرفُ شيء عن أوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية يُرْوِي غليل الباحث ، وكل ما يعرف أن بها تراثاً ثقافياً مشتركاً ، من خلال تلك الآثار التي عُثِرَ عليها في جزيرة (تاروت) والتي توجد لها نظائر من مخلفات حضارة وادي الرافِدَيْن ، كحضارة العبيد وغيرها(٢٠) .

القطيف : محمد سعيد المسلم

الحواشي :

(١) «العرب قبل الإسلام» ج ٢ ص ٢٩٤ .
(٢) «المفصل» ج ١ ص ٥٥٤ .
(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٥٥٤ .
(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٥٥٤ .
(٥) موضع مدينة سومرية قديمة يقع في جنوب العراق .
(٦) العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ٢٩٣ .
(٧) اختلفت الأراء في تعيين موقع الجرعاء أو الجرهاء ، فمن قائل أنها القطيف كما ذهب إليه سليمان حزين في كتابه ARABIA AND THE FAR EAST وفورستر كما أورده د. جواد علي ، باعتبارها مدينة قديمة ساحلية ذات مواني تجارية ومنهم من رجح أن تكون هي الأحساء استناداً إلى موقع يسمى بهذا الاسم وإلى الأبعاد التي ذكرها بلينوس بينها وبين الساحل . أما علماء الآثار فذهبوا إلى أنها على مقربة من ميناء العقير مستدلين بالآثار والخرائب الموجودة بقربها بالإضافة إلى روايات الكلاسيكيين .

ملاحظات على ثلاث كتب في اللغة :

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

أحمد حسن الباقوري ـ القاهرة، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، مطابع دار المعارف ١٩٨٣ ـ ١٣٢ص .

١ ـ ليس الكتاب بشيء ، وطبعة واحدة له تكفي وتزيد ، وكان الدكتور طه حسين مجاملاً حين قال: (هذا كتاب رائع ممتع بأعمق معاني هاتين الكلمتين ، وأوسعها. . .) وقد بالغ المؤلف في الحطّ من العرب في الجاهلية . وكان لابُدَّ من شيء من الرفعة ليكون لهم مثل ذالك الشعر العالي ، وليكونوا على مستوى الاستعداد للنهضة ـ وفهم القرآن الكريم والمناقشة .

٢ ـ لم يَعْتَدْ نَاشِرُونَا ، حتى من كان منهم على مستوى (دار المعارف بمصر) أن يذكروا تواريخ الطبعات السابقة . وهذا ماحدث في هذا الكتاب .

وقد يفهم من ص ١٥ وص ١٧ ، أن الباقوري ألَّف الكتاب أو «الرسالة» ـ كما يقول ـ سنة ١٩٣٤ حين كان طالباً في الأزهر ـ وهي لا تعدو أن تخرج عن تلك الحدود : رسالة يؤلفها تلميذ أزهري سنة ١٩٣٤ .

---

(٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٩ .
(٩) الخليج العربي ص ٧١ .
(١٠) المفصل ج ١ ص ٥٦١ و ٥٧٠ .
(١١) المفصل ج ١ ص ٥٧٦ .
(١٢) المصدر السابق ج ١ ص ٥٨٨ .
(١٣) المفصل ج ١ ص ٥٨٩ .
(١٤) منطقة تقع في الشمال الشرقي من الخليج قامت فيها الحضارة العيلامية وعاصمتها سوسة (؟) ، وقد عثر فيها على آثار مهمة .
(١٥) المفصل ج ١ ص ٥٩٩ .
(١٦) المصدر السابق ج ١ ص ٥٩٤ ـ ٥٩٦ .
(١٧) تعني البحر الأعلى البحر الأبيض المتوسط في النصوص الاشورية والبحر الأسفل الخليج العربي .
(١٨) المفصل ج ١ ص ٦٠٥ .
(١٩) المفصل ج ١ ص ٦٢٠ .
(٢٠) يرى بعض الباحثين أن أصول حضارة العبيد ربما تعود بجذورها الى هذه المنطقة .

ويذيل المؤلف كتابه في ط . دار المعارف: القاهرة (. . .) سنة أربع وخمسين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية) وهي تساوي سنة ١٩٣٤م .

٣ ــ ص ٣٦: (ولم يُعْنَ العلماء بجمع هذه اللهجات المتخالفة (. . .) وقد يكون خير كتاب جمع قدراً صالحاً من ذالك ، «تاريخ آداب العرب» لأبي السامي) .

فمن أبو السامي ؟ إن مؤلف «تاريخ آداب العرب» هو مصطفى صادق الرافعي .

٤ ــ ص ٥٦ : (يكاد لا . . .) لا يكاد .

٥ ــ ٨١: قول ابن المعتز يصف روضة :

سَقْياً لِرَوْضَاتٍ لَنَا مِنْ كُلِّ نَوْرٍ حَالِيَهْ
كَأَنَّ آزَرْيُونَهَا لِلشَّمْسِ فِيهَا كَالِيَهْ
مَدَاهِنٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيها بَقَايَا غَالِيَهْ

. . . هذا رجل يصف ماعون بيته . . .

آزريونها: آذَرْيُونها ــ وقلب الذال زايا من مألوف الخطإ المطبعي بسبب اللسان المصري . . .

٦ ــ ص ١٠٤: ــ أثر تعرب العجم في اللغة ــ: (فأما الأدب، فقد أحدثوا فيه نوعاً لم يكن يعرفه العرب ، وهو الكتابة الفنية . . .) .

دحض الدكتور محمد مهدي البصير مثل هذا الرأي في كتابه «عصر القرآن» .

٧ ــ ص ١٠٥ ــ ١٠٦ ــ تأثر الأدب العربي بالمعاني الفارسية والخيال الفارسي ــ فمن ذالك قول بشار الفارسي :

ياقوم أُذْني لِبَعْضِ الحيِّ عاشِقَةٌ والأُذْنُ تَعْشَقُ قبل العين أحياناً . . .

لا يحتاج الأمر إلى الفارسية ، ويكفي أن يكون القائل أعمى ، له خلق بشار ، ويعيش في البصرة . . .

٨ ــ ص ٥٨ : قال عبدالله بن رواحة :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

وورد البيتان ص ٩٤ وقافيتاهما : الكافرينا ، العالمينا وهو المناسب .

المعاجم اللغوية العربية (بداءتها وتطورها)

تأليف الدكتور إميل يعقوب. بيروت، دار العلم الملايين ١٩٨١ ــ ٢٠٨ ص.

١ ــ ص ١٧ : («المخصص» لابن سيده (. . .) وهو يرتب الألفاظ التي جمعها لا بحسب لفظها بل بحسب معناها. . .) التعبير متأثر بالترجمة ، وخير منه : وهو يرتب الألفاظ التي جمعها بحسب معناها لا بحسب لفظها أو : = وهو لا يرتب الألفاظ التي جمعها بحسب لفظها وإنما بحسب معناها ، أو:هو يرتب الألفاظ التي جمعها بحسب معناها .

وخير من يرتب الألفاظ : يرتب الكلمات . وخير من بحسب معناها: بحسب معانيها .

٢ ــ ص ١٩ : (من دوائر المعارف (. . .) العربية وأثره المعارف لبطرس البستاني (١٨١٩ ــ ١٨٨٣) ، ودائرة المعارف لفؤاد أفرام البستاني التي هي قيد الإتمام) .

أ ــ دائرة المعارف لبطرس البستاني التي لم تتم .
ب ــ دائرة المعارف لفؤاد البستاني التي لم تتم ، أو التي توقفت . . . الخ .

٣ ــ ص ٢٨ : (الخليل بن أحمد المتوفي سنة ١٧٠هـ أو ١٧٧هـ في رواية أخرى) .

و١٧٥ في رواية أخرى قد تكون الأرجح والأشيَر . ولم يذكر ابن خلكان رواية الـ ١٧٧ .

٤ ــ ص ٣ ــ ٣١ ــ: قائمة طويلة بتواريخ أصحاب المعجمات . كم تبدو

غريبة على القارىء تلك التواريخ حين وردت كلها في الميلاد والوفاة بالتاريخ الميلادي . ماضرّ لو جمع التاريخين !

٥ ــ ص ٣٥ : (الألفباء (أو الألف باء) تعريب للكلمة الفرنسية ...» (L'alphabet) أحسب أننا عرفنا الألفباء قبل علمنا بالكلمة الفرنسية مع ملاحظة أن الكلمة الفرنسية في تركيبها أقرب إلى الألفباء (أو الألف باء) العربية فنحن نقرأ أ ، ب هكذا ألف ، باء وهم يقرأون a. b هكذا آ ، ب مع علمنا بأن الفرنسيين أخذوا كلمتهم عن اللاتينية Alphabelum من Beta, Alpha أول حرفين من حروفهم .

٦ ــ ص ٤٥ : (الخليل بن أحمد (. . .) ولد في عُمّان . . . ينتسب إلى بطن فرهود من قبيلة الأزد ، فعرف بالفراهيدي) و(يصرُّ بعضهم على تصحيح النسبة إلى الفرهودي) .

لا موجب للإصرار ، لأنه معروف جيداً بالفراهيدي نسبة (إلى فراهيد وهي بطن من الأزد والفرهودي واحدها) ــ كما يقول ابن خلكان . وينظر ابن سلّام في «طبقات الشعراء» .

٧ ــ ص ٥٢ : (جورجى زيدان): جرجي . . .

٨ ــ ص ١١٥ : (حتى أنه . . .) حتى إنه . . .

٩ ــ ص ٢٠٢ : ــ فهرس المصادر والمراجع ــ: (زيدان ، جرجى : تاريخ آداب اللغة العربية . القاهرة . دار الهلال ــ لات) .

يقصد بـ (لات): لا تاريخ . والطبعة الأولى مؤرخة والطبعة الثانية وهي التي رجع إليها ص ٥٢ مؤرخة ، مصر ١٩١٢ ، والطبعة التي يقصدها ــ فيما يبدو صدر جزؤها الأول مؤرخ عام ١٩٥٧ عن دار الهلال .

١٠ ــ ورد كلام غير قليل على (الخليل بن أحمد) وكتاب «العين»: ولكن المؤلف وهو في عام ١٩٨١ لم يعلم من نصوص العين إلاّ الجزء الصغير الذي حققه الأب انستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩١٤ . وإذا فرضنا أنه أضرب عن ذكر الجزء

الذي نشره الدكتور عبدالله درويش لما شاع فيه من وَهْم. فإننا كنا ننتظر علمه بمشروع طبع كتاب العين كاملاً بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي وقد صدرت منه حتى عام ١٩٨١ ثلاثة أجزاء (أي ما يزيد عن ثلث الكتاب) وإلى ص ٤٩ (وكتاب العين فيه كثير من الأخطاء والهنات والصوى). وهو قول غير علمي ثم مامعنى (الصوى) في صلتها بالأخطاء والهنات؟ انها إنما ترد لدى الاستعمال في المدح فهي كالمنارات.

١١ ـ : وتحدث عن أبي علي القالي وكتابه «البارع» فكان مما قال (ص ص ٦١ ـ): (لم يصلنا من معجم القالي «البارع» (...) إلّا قطعتان مصوَّرتان): (أخرجهما في صورة كتاب المستشرق (فلتون) أمين المكتبة الشرقية بالمتحف البريطاني في السنة ١٩٣١).

وكنا نود لو علم أن «البارع» وصل إلينا وقد حققه هاشم الطعان وحصل به على الماجستير في جامعة بغداد سنة ١٩٧٢ ثم طبع ببيروت سنة ١٩٧٥ بالمشاركة بين مكتبة النهضة ببغداد ودار الحضارة العربية ببيروت.

١٢ ـ كأنَّ المؤلف قصد الدفاع عن (سطحية) كتابه، ولاسيما ازاء عنوانه فقال في مقدمته: (وماكتابي إلا محاضرات ألقيتها على طلابي في السنة الثالثة ـ من قسم اللغة العربية (...) وهكذا عمدت إلى تلك المحاضرات أُنَسِّقُهَا وأبوبها إلى أن استوت كتاباً، لا أدَّعي فيه الكمال ولا الإتيان بما لم يأت به الأوائل...).

علم اللغة العام

دكتور توفيق محمد شاهين. القاهرة، مكتبة وهبة، دار التضامن للطباعة، ١٤٠٠/١٩٨٠ ـ ١٧٩ + ١ ص.

١ ـ كتابٌ يغنيك عنه غيره، ولا يغنيك عن غيره: أشبه بمذكرات أستاذ (مدرس) من شأنها أن تبقى داخل حدود الصف (الفصل)، مراجعه ثانوية، يستعمل المصطلحات الغربية نقلاً عن المراجع العربية.. مع ميل الى الإنشاء)!!

٢ ــ ص ٤٠ : (الخليل بن أحمد (١٠٠ ــ ١٧٥هـ) في كتبه: معجم العين) .
سمى الخليل كتابه «العين» ولم يُسَمِّهِ : معجم العين .

٣ ــ المعاجم اللغوية. . . ، ص ١٧٢ : (كما كانت المدرسة الأبجدية العادية مبكرة في التأليف: إذا ألَّف أبو عمرٍو الشيباني (٩٤ ــ ٢٠٦هـ) صاحب ديوان اللغة كتاب الجيم . . وتبعه: أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي (٣٣٧هـ) الذي رتب الصحاح على حروف المعجم ، وأتبعه الزمخشري (٥٣٨هـ) في أساس البلاغة ، على أساس الحقيقة والمجاز .

وتبعهم: أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس الرازي (٣٩٥هـ) في معجمه: «مقاييس اللغة» والمعجم الذي لم يسبق إليه . . . ورتبه على حروف المعجم. . .) .

أ ــ الأبجدية تقترن بـ (أبجد ، هوز ، حطي . . .) وماهذه من هذه وإنَّما هي أ ، ب ، ت ، ث ، ج . . . الخ وهي حروف المعجم ونقول أحياناً : الهجائية وأحياناً ألفبائية . . .

ب ــ لا دلالة لقولنا (العادية) في (الأبجدية العادية) .

جـ ــ إذا كان الزمخشري قد توفي سنة ٥٣٨ هـ ــ والتاريخ صحيح فكيف يتبعه ابن فارس وقد توفي سنة ٣٩٥هـ ــ والتاريخ صحيح ؟!

د ــ قولنا: (في معجمه: «مقاييس اللغة» والمعجم الذي لم يسبق إليه . . .) يحدد معجمين عطف الثاني على الأول . ولم يكن هذا قصد المؤلف لأنه يتحدث عن كتاب واحدٍ هو «مقاييس اللغة» الذي لم يسبق إليه ــ فلا مكان للواو قبل (الذي) .

٤ ــ ص ١٧٣ ــ ١٧٤ : (وظهرت المعاجم المتعددة اللغة . . . «مقدمة الأديب للزمخشري»

أ ــ مقدمة الأدب .

ب ــ من قال إن «مقدمة الأدب» معجم متعدد اللغة ، كأن يكون معجماً

شعراء دخلوا اليمن

إذا كان الشاعر قد عُنِيَ بأمر الرحلة ، ووصف ناقته والسباسب والقفار التي قطعها ، فهو نادراً مايذكر الوجهة التي يتجهها ، وقليلاً ما أفصح الشعراء والرحالون عن اسم البلد الذي قصدوه ، وهم إذا ذكروا شيئاً من البلدان ، فإنما هي معالم عامة تكثر أسماؤها في شبه جزيرة العرب ، كعالج والعقيق والمنحنى ووادي الغضا ، إلى غير ذالك من معالم جغرافية لايكاد يستبين كُنْهَهَا الباحثُ المتخصص في هذا المجال .

نعم نَجد الرّحلة للشاعر العربي ـ الجاهلي والإسلامي ـ قد كثرت وتعددت اتجاهاتها ، والشاعر هنا كلما استسمن ذَا وَرَمٍ من أمير معطاء ، أو ثري مُنْفِقٍ ، وهم ـ دائماً ـ ينْتَجِعون المواطن الخصبة ، ولسان حالهم قول الشاعر اليمني : محمد بن حِمْيَرَ المتوفي سنة ٦٥١ م :

ولَقد سَئِمتُ على الزّمان تَعَنّتِي ومللت في أرض الهوان ثَوَائي
وادرتُ طرفي في البلاد فلم أجد حراً إذَا أدعُو يجيب دعائي
ياركبُ ، بِالْجَنَدِ الخصيبة بارِقٌ تَهمي سحائبه صباحَ مَسَاءِ

فالرحلة هنا لأغراض الطلبِ وكسب العيش ، وكانت اليمن ـ في القديم ـ مَوْئِلاً لِصُنّاع الشعر والمتكسبين به ، فهم يقصدون ملوكها فيجدون عندهم الرفد والإكرام ، فكثرتْ رحلاتهم ، وتعدّدت مقاصدهم ، على أنّ دخول الشعراء اليمن لم يكن على حالة واحدة ، وإنّما نجد منهم من دخلها وهو مُصَفَّدٌ بالقيود ،

لمفردات لغتين ؟! الذي أعرفه أنها ليست كذالك .

٥ ـ ص ١٦٦ : (ذكر (اثينوس Athenaeus) الذي عاش في القرن الثاني ، ذكر لليونانيين خمسة وثلاثين معجماً ، ضاع معظمها) .

بالخبر حاجة إلى تثبت وإحالة على مصدر أو مرجع موثوق به . . .

علي جواد الطاهر

ومنهم من فَرَّ إليها هارباً من ثأرٍ لحق به في بلده ، ومنهم من أتاها غَازياً ناوياً الغَنيمة والكسب إلى غير ذالك .

وتعددت الاتجاهات والأغراض ، ولنا في ما نقدّمه من تراجم مختصرة للشعراء الذين قدموا اليمن رؤية واضحة ، ولكل منْ يريد التّبويب والتصنيف لطبيعة تلك الرحلات الأدبية :

أبُو دُوَاد الإيادي : قيل هو جارية بن الحجاج ، وقيل حنظلة بن الشرقي ، كان في عصر كعب بن مامة الإيادي (في العصر الجاهلي) وكان بعض الملوك قد أخافَهُ ، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره ، فأحسن إليه ، فضرب به المثل وفيه يقول قيس بن زُهير :

أُطَــوِّفُ مَــا أُطــوِّفُ ثم آوي   إلى جــارٍ كَــجــار أبِي دُوَادِ

وقد ترجمه ابن قُتيبة في «الشعر والشعراء» ج ١ ص ٢٣٧ .

السُّلَيْك بن السُّلكة : هو السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي ، والسُّلكَةُ أمُّهُ ، فاتِكٌ عَدَّاء شاعر ، من شياطين الجاهلية ، كان أدَلَّ النّاس بالطريق في الجزيرة ، وأعلمهم بمسالكها ، يقول الزركلي : (كان لا يُغير على مُضر ، وإنّما يغير على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذالك أغار على رَبيعة ، وكانت وفاته نحو سنة ١٧ ق. هـ ، قتله أسد بن مُدْرِك الخثعمي ، وله في غزواته إلى اليمن قصص ذكر بعضها صاحب «الشعر والشعراء» ــ ج ١ ص ٣٦٦ ــ

الأعشــى : هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، ويقال له الأعشى الكبير ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ، كان كثير الوفود على الملوك . وقد أتى سلامة بن فائش أحد ملوك اليمن ، فأطال المقام ببابِهِ حتى دَخل عليه فانشد :

إنَّ مَحــلاًّ وإنَّ مُــرْتَحَــلاَ   وإنَّ في السَّفْرِ مَا مَضَــى مَهَلاَ
اسْتَأْثَرَ الله بِـالْـوَفَـاءِ وبِـالْعَـدْ   لِ وَوَلَّى المَــلامَــةَ الــرَّجُــلاَ
الـشـعــر خـلَّدَهُ سـلامَــةُ ذُو   فَــائشٍ والشّيْءُ حيث مَاجُعِــلاَ

فقال له سلامة . . صدقت الشيء حيثما جُعِلا . وأمر له بمئة من الإبل ، وكساه حُلَلاً ، وأعطاه كرِشاً مدبوغاً وقال: إيَّاك تُخدع عمّا فيها .

يقول الأعشى : فأتيت الحِيرةَ فبعتها بثلاث مئة ناقة حمراء ، توفي في قرية (مَنفُوحة) قرب مدينة الرياض نحو سنة سبع وخمسين من الهجرة .

عروة بن حِزام : عروة بن حزام بن مهاجر الضَّنّي ، من بني عُذْرة ، شاعر من مُتَيَّمِي العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء ، ولما كبر خطبها فطلبت أمها مهراً لاقدرة له عليه ، فرحل إلى عم له باليمن ، وعاد فإذا هي قد زُوِّجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها وتوفي نحو سنة ٣٠ من الهجرة .

ابو دَهْبَل الجُمَحي : وهب بن زمعة من بني جُمَح ، كان شاعراً مُحْسِناً ، وأكثر أشعاره في عبدالله بن عبدالرحمن الأزرق ، أحد ولاة أعمال تهامة واليمن ، وفيه يقول :

تَحْمِلُهُ الناقة الأدماء مُعْتَجِراً ... بالبُرْد كالْبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
وكيف أنساك لا « أَيْدِيكَ » واحدة ... عِندي ولا بالذي أوليت من قدم

ولما عَزله عبدالله بن الزبير عن اليمن قال أبو دهبل في شعر له :

مازلت في دفعات الخير تفعلها ... لما اعْتَرَى النَّاسَ لأْوَاءٌ ومجهود
حتى الذي بين عسفان إلى عدن ... لحب لمن يطلب المعروف أخدود

(اللحب الطريق) ووفاته سنة ٦٣هـ .

جميل : هو جميل بن عبدالله بن مَعْمَرٍ العُذْرِي القضاعي ، من بني عُذْرَةَ ، وكانت منازلهم في وادي القرى (من أعمال المدينة) ورحلوا إلى أطراف الشّام الجنوبية ، وكان جميل قد افتتن بِبُثَيْنَةَ ، وقال فيها الأشعار الكثيرة حتى اشتهر ، وطُرِدَ ، ثم تزوجت بابن الأسود ، وكان أعور دميًا ، فكان جميل يزورها في بيتها خفية ، فشكا زوجها إلى أهلها مراراً ، فذهبوا إلى أمير المنطقة فنهاه وأهْدَرَ دمه إن عاود زيارتها ، فامتنع عنها ، ثم اشتبك في هجاء مع بعض أقاربها ، فأعادوا الشكوى إلى الأمير ، وقالوا : يهجونا ويغشى بيوتنا ويُشَبِّبُ بنسائنا فطلبه فهرب

منه إلى اليمن ، ولم يزل جميل في اليمن حتى عُزِل ذالك الوالي ، وانتجع أهل بُثَيْنَة الشام ، فرحل إليهم وعاد سيرته الأولى ، توفى جميل سنة ٨٢ هـ .

هلال المازني : هو هلال بن خثعم المازنيُّ ، كانَ منْ أهل المئة الأولى وهو شاعر مُجيْدٌ ، ينقل عنه صاحب «الأمالي» وكان قَدْ أتى اليمن فلبث فيها زماناً وذالك عند مقدم الْحَجَّاج إلى العراق ، فبلغه هروبه من البصرة ، وكان قد أصاب دَماً لبكر بن وائل ، فشكوه إلى الحجاج ، واسْتَعْدَوْهُ ، وأَخْبرِوه أنَّه قتل صاحبهم ، فبعث الحجاج إلى عبدالله بن شعبة بن العلقم ، وكان عريف بني مازن حاضرتهم ، فقال عبدالله بن شعبة : إن احتجاب هلال وبنو عمه قد صنعوا كذا وكذا ، فاقتصَّ عليهم ماصنعوا فرجع الحجاج عن طلبه .

ولما نزل هلال بلاد اليمن بعث إلى بني رِزَام بْنِ مازن بشعر يعاتبهم فِيه ، ويعظم عليهم حقه ويذكر قرابَته :

بَنُــوا مــازِنٍ لاتــطرُدُوْني فَــإِنَّنِي   أَخُوكُمْ وإنْ جَرَّتْ جَرَائِرُهَا يَدَي

الخ .

وقال وهو في اليمن أيضاً :

أَقُولُ وقَدْ جَاوَزْتُ نُقْمَى وَنَاقَتِي   تَحِنُّ إلَى جَنْبَيْ فُلَيْج إلَى الْفَجْرِ
سقَى الله يَانَاقُ البِلاَدَ الَّتِي بِهَا   هَوَاكِ وَإنْ عنَّا نَأَتْ سبل الْقَطْرِ
فَمَا عَنْ قِلًى مِنَّالَهَا خَفَّتِ النَّوى   بِنَا عَنْ مَرَاعِيهَا وكُثْبَانِهَا الْعُفْرِ
ولكنْ صُرُوف الدَّهْرِ فَرَّقَ بَيْنَنَا   وَبينَ الْأدَانِي وَالْفتَى غَرَضُ الدَّهْرِ
فَسَقْيـاً لِصَحْرَاءِ الإِهَـالة مَـرْبَعاً   وَلِلْوَقْبَا مِنْ مَنْزِلٍ دَمِثٍ مُثْرِي
وَسَقْياً وَرَعْياً حَيْثُ حَلَّتْ لِمَازِنٍ   وأَيَّـامِهَـا الْغُرِّ الْمُحَجَّلةِ الـزُّهْـرِ

النُّمَيْرِيُّ الثقفيُّ : هو محمد بن عبدالله بن نُمَيْر بن خرشة الثقفي النُّميري شاعرٌ غَزِلٌ مولده ونشأته في الطَّائف ، وكان كثِير التَّشبيب بزيْنبَ أُختِ الحجَّاج ، وأرقُّ ماقاله فيها قصيدته التي مطلعها :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ إذْ مَشَتْ   بِــهِ زَيْنَبٌ في نِسْـوَةٍ عَـطِرَاتِ

فكان الحجاج يتهدَّدُهُ ويقول: لَوْلَا أَنْ يقولَ قائلٌ : صَدَقَ لقطعتُ لسانه ، فَهرب إلى اليمن ، ثم ركب بحر عَدَن ، وقد قال في هربه :

أَتَتْنِي عَنِ ٱلحَجَّاجِ وٱلبَحْرُ بَيْنَنا ... عَقارِبُ تَسْرِي وٱلعُيونُ هَـوَاجِعِ
فَضِقْتُ بِهَا ذَرْعاً وَأَوْجَسْتُ خِيفَةً ... ولَمْ آمِنَ الحجَّاجَ وَالأَمْرُ قَـاطِعُ
فَبِتُّ أُدِيـرُ ٱلأَمْرَ وَالـرَّأْيَ لَيْلَتِي ... وَقَدْ أَخْضَلَتْ خَدِّي الدُّمُوعُ ٱلتَّوَابِعُ
وَلَمْ أَرَ خَيْراً لِي مِنَ الصَّبْرِ إِنَّهُ ... أَعَفُّ وَخَيْرٌ إِذْ عَرَتْنِي ٱلفَـوَاجِعُ
وَمَاأَمِنَتْ نَفْسِي الَّذِي خِفْتُ شَرَّهُ ... وَلاَ طَابَ لِي مِمَّا خَشِيْتُ ٱلمَضَاجِعُ
إِلَى أَنْ بَدَالِي رَأْسُ (إِسْبِيلَ) طَالعاً ... و(إِسْبِيْلُ) خِضَبٌ لَمْ تَنَلْهُ ٱلأَصابِعُ
فَلِي عَنْ (ثقيفٍ) إِنْ هَمَمْتُ بِنَجْوَةٍ ... مَهَـامِـهُ تَهْـوِي بَيْنَهُنَّ ٱلهَجَـارِعُ
وَفِي ٱلأَرْضِ ذَاتِ ٱلعِرْضِ عَنِ ابنِ يُوسُفٍ ... إِذَا شِئْتُ مَنْأَى لَا أَبالَكَ وَاسِعُ
فَإِنْ نِلْتَنِي حَجَّاجُ فَاشْتَفِ جَاهِداً ... فَإِنَّ الَّذِيْ لا يَحْفَظُ اللهُ ضَائِعُ

قُلْتُ : (إسبيل) المذكور جبل مشهور باليمن ، وأقام النُّميريُّ في اليمن مُدَّةً ثم قصد عبدالملك بن مروان مُسْتَجِيراً بِهِ فأجارَهُ ، وعفا عنه الحجاج ، على أن لا يعود إلى ماكان عليه ، وتوفي سنة ٩٠ تقريباً .

عُمَر بن ابي ربيعة : هو أشهر شعراء الغَزَلِ عند العرب ، ولما شاع أمرُ حبّه للثريا ، وشُهِرَ شعره فيها . شقَّ ذالك على أهلها وذويها ، فأخذوا يحولون بينه وبين الثّريا ، ثم بلغ بهم الأمر إلى أن شكوه إلى أهله ، فنصحه أخوه الحارثُ أن يمتنع عنْ لقياها ، وحاول صرفه عن ذكرها في شعره . ولكن عمر لم يرتدع ، فاضطر أخُوه أخيراً إلى أن يعطيه ألف دينار ، على أن لا يقول فيها شعراً ، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بِلَحْج وأَبْيَنَ ، مخافةَ أن يُهَيِّجَهُ مقامه بمكة على قول الشعر ــ فيما زعموا ــ وارتحل إلى اليمن ، كارهاً ، وكان لأبيه تجارة فيها ، لعلّه ورث بعض شؤونها فما كاد يستقر فيها حتى عاودته ذكرى الثريا ، ومواسم الحج والمجون ، فقال قصيدته المشهورة :

هَيهاتَ مِنْ أَمَةِ الوهَّابِ مَنْزِلُنَا ... إِذَا حَلَلْنَا بِسِيْفِ البحر من عَدَنِ
واحْتَلَّ أَهْلُكِ أَجْيَاداً فَلَيْسَ لَنَا ... إِلاَّ التَّذَكُّر أَوْ حَـظٌّ مِنَ ٱلحَزَنِ

وتناقل شعره الرُّواةُ تطوي الأنْجادَ نَحْو الحجاز فبلغ أخاه الحارث قال: هذا شعر عمر، قد ختل وغدر، يقول الباحث المرحوم شكري فيصل ــ وعنه ننقل هذا الكلام ــ ولسنا نعلم كم لَبِث عمر في اليمن ولعله دام في اليمن طويلاً، ومهما يكن من أمره فإنه قد عاد بعدها إلى الحجاز يحدوه الشوق إلى الثريا، وفي اليمن يقال: إنه أصابَتْهُ حُمّى فقال متشوّقاً إلى الثريا:

لَعَمْرُكَ مَاجَاوَزْتُ غُمْدَانَ طَائِعاً وَقَصْرَ شُعُوبٍ أَنْ أكونَ بِها صَبّا
وَلَكِنَّ حُمّى أَضْرَعَتْنِي ثَلاثَةً مُجَرَّمَةً ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِنَا غِبّا

يقول شكري فيصل: وكان والده عاملاً على بعض مخاليف الْجَنَدِ، فليس غريبا أن يكون قد زار أخواله في صباه، أو لعل أمّه ذَهَبَتْ به إلى أهلها، وكانت اليمنُ موطنَ أُمِّهِ كما رجّحنا، توفي عمر سنة ٩٣هـ.

المَرّارُ بنُ منقذ: زِيَادُ بنُ مُنْقِذ بن عَمْرٍو الْحَنْظلي، من بَنِي الْعَدَوِيَّة، من تَمِيم، يلقّب بالمرّار، من شعراء الدولة الأموية، كان معاصراً للفرزدق، وكانت إقامتُهُ في وَادِي أُشيٍّ (منْ أَوْدِيَةِ نَجْدٍ) وزار اليمن وله قَصِيدةٌ في ذَمِّ صنعاء، ومَدْح بلده وقومه أولها:

لَا حَبَّذَا أَنْتِ يَاصنْعَاء مِنْ بَلَدٍ وَلَا شَعُوبُ هَوًى مِنّي ولا نُقُمُ

ومِنهَا:

وحَبَّذَا حِينَ تُمْسي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أُشَيٍّ، وفِتْيَانٌ بِهِ هُضُمُ

أوْردها أبو تمّام في «الحماسة» وياقوت في «معجم البلدان» وجرت له مع جريرٍ مهاجاة توفي نحو سنة ١٠٠.

الأَحْوَصُ: هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم الأنصاري، شاعِرٌ هَجّاءٌ صَافِي الدِّيبَاجة، كانَ مُعَاصراً لجرير والفرزدق، وفَد على الوليد بن عبدالملك في الشام، فأكرمه، ثم بلغه عنه ماساءَهُ من سيرتِهِ، فَردَّهُ إلى المدينة، وأمر بجلده. ونفي إلى (دَهْلَك) وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، وكأنه وصل اليمن ومدح أهلها توفي سنة ١٠٥.

العَبْلِيّ : هو عبدالله بن عمر بن عبدالله العبلي ، شاعر من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية ، من أهل المدينة ، قدم الطائف والياً من قبل محمد بن عبدالله المعروف بالنَّفْس الزَّكيَّةِ أيام خروجه على أبي جعفر المنصور ، ومعه أعْوانٌ من مُزَيْنَةَ وجُهَيْنة ، فأخذا الطائف ، وأتى محمد بن أبي بكر ، حتى بايع ، وكان مع العبليّ أحد عشر رجلاً من ولد أبي بكر ، فقدمها بين أذان الفجر والإقامة ، فأقام ثلاثة أيام ، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكة فاستخلف على الطّائف عبدالملك بن أبي زهير ، وخرج لتلقّي الحسن بِالْعَرْج ، فركب الحسنُ البحر نحو مصر ، والعبلي هارباً على وجهه إلى اليمن فذاك حين يقول :

هِيْجَتْ الأجزاع هـول غُـرَابِ ... واعْتَـادَ قَلْبَـكَ عـائِـدُ الإِطْـرَابِ
وَذَكَرتَ عَهْدَ مَعَالِمٍ بِلِوَى الثَّرَى ... هَيْهَـاتَ تِلْكَ مَعَـالِمُ الأَحْبَـابِ
هَيْهـاتَ تِلْكَ مَعَالِمٌ مِن ذَاهِبٍ ... أمِسٌ بحوضَى أو بحقلِ قتـاب
قَـدْ حَلَّ بَـيْنَ أبَارِقٍ مَـاإنْ لَهُ ... فِيهـا مِنَ الإِخْوَانِ والأَصْحَـابِ
شَطَّتْ نَوَاهُ عَنِ الأَلِيْفِ وقَدْ نَوَى ... بِنَـوًى يَمَـانِيَـةٍ(؟) حُمَـامُ كِتَـاب
يَاأُخْتَ آلِ أبِي عَدِيٍّ أقْصِرِيْ ... وَذَرِي الخِضَاب فما أوَانُ خِضَاب

وكان خروجه إلى اليمن سنة ١٤٥ وبعدها انقطعت أخباره .

الحسين بنُ مُطَيْر : هو الحسين بن مُطير بن مكمل الأسدي ، شاعر متقدم في الشعر ، وفد على مَعْن بن زائدة ـلما ولي اليمن ، ومدحه ولما قدم عليه أنشده :

أتَيْتُـكَ إذْ لَمْ يَبْقَ غَيْرَكَ جَـابِرٌ ... وَلاَ وَاهِبٌ يُعْطِي اللُّهَى وَالرَّغَائِبَا

فقال له معن : يا أخا بني أسد ليس هذا بِمَدْح ، وإنما المدح قول أخي تيم الله نهار بن توسعة في مِسْمع بن مالك :

قلَّدْتـكَ عــرى الأمــور نــزار ... قبـل أن تهلك السراة البحـور

ذكره المرزبانيُّ في «الموشح» ص ٣٦٠ وكانت وفاته سنة ١٦٩هـ .

مروان بن ابي حفصة : هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، شاعر مطبوع نَشأ باليمامة في عصر بني أمية في آخر حكمهم ، وكان يَذُمُّ العلوية ،

وأدرك زمناً من العهد العبَّاسي ، فقدم بغداد ومدح المهديّ والرشيد ، وعندما ولي معن بن زائدة اليمن زاره ومدحه فيها ، وهنَّأه بِقتْلِ الحضارم فقال :

لقد أَصْبَحَتْ في كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِب ... بِسَيْفِك أَعْنَاقُ المُرِيْبِيْنَ خُضَّعَا
وَطِئْتَ خُدودَ الحَضْرَمِيِّيْنَ وَطْأَةً ... لَهَا انْهَدَّ ركنٌ مِنْهُمُ فَتَضَعْضَعَا
فَأَقْعَوْا عَلَى الأَذْنَابِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ ... يَرَوْنَ لُزُوْمَ السِّلْمِ أَبْقَى وَأَوْدَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الحَرْبِ كلها ... لكَفُّوا وَمَا مَدُّوا إلى الحرب إِصْبَعَا

توفي سنة ١٨٢ .

نُصَيْبٌ الاصغر : مولى المهدي وجّهه إلى اليمن في شراء إبل مَهْرِيَّةٍ ، ووجّه معه رجلاً ، وكتب له إلى عامله على اليمن بعشرين ألف دينار ، فأطلق يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب وشراء الجواري والتزوج ، فكتب الرجل الذي معه بِخَبره إلى المهدي ، فأمر بحمله إليه موثقاً بالحديد ، وتوفي سنة ١٧٥ .

ابو الشَّمَقْمَق : مروان بن محمد ، شاعر هَجَّاء ، من أهل البصرة من موالي بني أمية ، وكان معاصراً لِبَشَّار ، ولما كان يزيد بن مَزْيَدٍ الشيباني وَالياً على اليمن قصده أبو الشمقمق وهو في حال رَثَّةٍ وكان راجلاً فمدحه وشرح حاله بقوله :

رَحَلَ المَطِيَّ إليك طُلاَّبُ النَّدَى ... وَرَحَلْت نَحْوَكَ نَاقتي نَعْلِيَّهْ
إذْ لم تكُنْ لي يَايَزِيدُ مَطِيَّةٌ ... فَجَعَلْتُهَا لِيَ في السِّفَارِ مَطِيَّهْ
تُخْدِي أمام اليعملاتِ وتفتلي ... في السير تبرك خلفه المهريَّهْ
مِنْ كُلِّ طَاوِيَةِ الصُّوَى مُزْوَرَّةٍ ... قَطْعاً لكي تَنُوفَةٍ دَوِّيَّهْ

توفي سنة ٢٠٠ تقريباً .

العتَّابي : كلثوم بن عمرو بن أيوب التَّغلبي ، شاعر مجيد اتَّصل بالرشيد وكثر عليه من أمره حتى اضطَرَّه إلى الهرب إلى اليمن ، وظل مقيماً بها حتى احتال يحيا ابن أبي خالد والي اليمن على الرشيد بأن حمل إليه من خطب العَتَّابي ورسائله فاستحسن الرشيد ذالك وسأل عن الكلام لمن هو؟ قال يحيا : هو للعتَّابي ، ولو حضر حتى يَسْمَعَ منه الأمين والمأمون هذا الكلام ويصوغ لهما خطباً لكان في ذالك

صلاح ، فأمر بإحضاره بعد أن أخذ له يحيا الأمان ، واتّصل الخبر بالعتّابي ، فقال مخاطباً يحيا المذكور :

مَازِلْتُ في غَمراتِ الموتِ مُطَّرحاً قَدْ غابَ عنّي وجوهُ الأَمرِ من حِيَلِي
فَلم تـزل دَائِباً تَسْعَى لِتُنقِـذَنِي حَتَّى اسْتَلَلْتَ حَياتي من يَدَيَ أَجْلِي

توفي ٱلعَتَّابي سنة ٢٢٠ .

الأسـدِيُّ : من أهل مكة نشأ بالحجاز ، وترعرع بين أهلها ، ولقى أبا الحسن التهامي . وخرج الأسدي من مكة وهو بَعْدُ لايزَال في نَضارة الشباب ، ودخل اليمن ، وأقام برهة من الزمان ، أَحَبَّ فيها جارية تسمى رشادة ، ولم تطل الأيام حتى ابتلي بفراقها ، وحملها بعض التجار إلى بغْداد فقال من قصيدة وقد خرج من اليمن :

لما انْتَقَلْنَا مـطايَا حِبِّيَ ضُحَى تَحْدَى مِن العَدْوةِ ٱلقُصْوَى لَدَى ٱليَمَنِ
نَادَيْتُهُمْ وَبَناتُ الشوقِ في خَلَدِي يَرْقُصْنَ رَقْصَ ٱلمَطَايَا بِٱلوُخْدِ ٱلبُدْنِ
بـالله رَبُّكُـمَا إنْ جِئْتُمَا عَـدَنـاً فحيِّيَا مَنْـزِلاً بِـالسَّيْفِ مِنْ عَـدَنِ

وخرج مُتوجِّهاً إلى العراق .

النُّعْمَانيُّ : هو الأديب أبو محمد طلحة بن أحمد بن طلحة بن الحسين النعماني ، قال الأصبهانيُّ في «الخريدة»: أظنه من أهل العراق ، وورد شيراز ، ومدح القاضي الفزاري ، وصل إليه سنة ٥٠٩ ، ووصل اليمن ومدح ملكها فاتكَ بن جَيَّاش صاحب زَبيد ، في صفر سنة ٥٠٤ بقصيدة أولها :

أَمَـالَتْ غُـصُـونَ خَـمْـلُهُـنَّ نُهُودُ ضُحَى أَمْ تَثَنَّتْ فِي ٱلبِطَاحِ قُدُودُ

يقول الأصفهاني في وصفها ، وهي قصيدة جيِّدة ، وليست من أسلوبه فما أدري خَبرَها ؟ أم تَقوَّلها ، أم انْتَحلَها ، أم نقلها ، أم أَثَّرتْ فيه تُرْبَة اليمن ، فأتَى بالنَّظم الحسن .

ويقول في شعر المذكور في اليمن : وأرى يمانِيَّاتُهُ كاليمانيّات المطبوعة المصقولة ، ماله

بزَبيد زَبَد ، بل كله دُرَرٌ وزُبْد ، ووجد في صنعاء الصُّنيْعَة فأجاد الصنعة ، وأتاه اليمنُ باليمن ، فنال شعره برفْعته الرفعة .

ومدح في قصيدته الدَّالية صاحب اليمن فقال :

طَوَتْ لَوْعَتِي ثَوْبَ الصبابَةِ في الحشا ... فَوَجْدِي على مَرِّ الزَّمانِ يَزِيْدُ
واذكى خُمَامُ الأيْكَتَيْنِ بِنَوْحِهِ ... لَظَى كَمِدٍ مَاالزَّنْدُ منْهُ صَلُودُ
أيَا أيْكَتَيْ وادِي الغَضَا هل زَمَانُنَا ... وَعَيْشٌ مضى في ظِلكَنَّ يَعُودُ؟
أحِنُّ إليكم حَنَّةَ النِّيبِ شَاقَهَا ... إلى مَوْرِدٍ جَمِّ النُّقَاخِ وُرُوْدُ
وَأصْبُو كما يَصْبُو إلى الجُودِ فَاتِكٌ ... وَأزْهَى كَأنِّي دَسْتُهُ وَ(زَبِيْدُ)
مليكٌ عَطَايَا كَفِّهِ تُبْدِيْءُ النَّدَى ... لمَنْ أمَّهُ مُسْتَرْفِداً وَتُعِيدُ
فَتًى مَهَّدَ الأقْطَار وَهْوَ بِمَهْدِهِ ... ودَانَتْ لَهُ الأقْطارُ وهو وَلِيْدُ

وهي طويلة قال عنها صاحب الخريدة : لعل شيطانه في اليمن عنّاله فأعانه ، أو كَرَمَ مَمْدُوحِيهِ أحْيَا جلمود خاطره وألانه .

ومدح في اليمن أيضاً المفضَّل بن أبي البركات بن الوليد الحِمْيَرِيَّ سنة ٥٠٥ بقصيدة قافية يصف فيها منزله هناك :

وكأنَّما الرَّبَوَاتُ وهْيَ نَوَاضِرٌ ... خِيَمٌ يَحُفُّ بها غَدِيْرٌ مُتْأَقُ(١)
وَالماءُ يَبْدُو في الوقائع لامِعاً ... كَالبَحْرِ مَعْ نُوْرِ الغزالَةِ يُشرِقُ
فإذَا تَخَلَّلَ في الخمائلِ خِلْتَهُ ... صِلاًّ يُحَاذِرُ وَقْعَ نَصْلٍ يَمْرُقُ
تَتَرَاقَصُ الأغْصَانِ مِنْ فَرَحٍ بِهِ ... ويَمُرُّ بالأنْهارِ وَهْوَ يُصَفِّقُ
صَافٍ كَأخْلاقِ (المُفَضَّلِ) رِقَّةً ... مافي خَلاَئِقِهِ الحِسَانِ تَخَلُّقُ

وله قصائد أخرى قالها وهو باليمن لامجال لذكرها هنا .

ابن قلاقس : هو أبو الفتوح نصر بن عبدالله بن عبدالقوي المعروف بابن قلاقس شاعر من أهل الاسكندرية ، ولد سنة ٥٣٢ ونشأ بمدينته المذكورة ، واتصل بالمحدث الكبير السِّلَفِيّ ، وكانت له رحلات توسع في ذكرها كاتب سيرته الدكتور محمد عناني ، فقال عن رحلته إلى اليمن : كان سبب رحلته يعود إلى صلته بأديبِ

عَدَنِ ٱلعَنْدِي ، وكانتْ بينَهما صلة قديمة تعود إلى سنة ٥٥٦ والشيء الثابت أنَّ ابن قلاقس تشاور في أمر رحلته إلى عدن مع الشاعر المؤرخ عمارة اليمني ، فوجد من جانبه تَمْجِيْداً ، ولا نَنْسَى أن عمارة كان قد وصل في أيام شبابه إلى أبي بكر ٱلعَنْدِي ، فأعانه ووازره ، ولدينا نَصٌّ رسالةً بعث بها شاعرنا ابن قلاقس من عيذاب إلى العندي يقول فيها : قد كنت أعدُّ نفسي بملاقات الحضرة فتقضيني وتمضيني . . حتى نشطت من عقدة الكسل ، وخرجت من عهدة الفشل ، وعزمت على مقارعة الدهر ، وبَدَأَ ابنُ قلاقس رحلةً جديدة عبر البحر الأحمر هذه المرة حتى انتهى به التّسيار إلى عدن .

وفي عدن يحضَى بمجالسة الوزير العنْدِي ، ويمدح ملكها ابن بلال ، وهناك قصيدة له أولها :

إليك من ملك سامٍ ومن ملك كانَتْ لنا الفلك مرقاةً إلى ٱلفَلَكِ

يمدح فيها ياسِرَ بن بلال وفيها يقول :

والملكُ شَمْسٌ ولولا ياسِرٌ أَخَذَتْ كما أَدُلُّكَ تلك الشَّمسِ في الدَّلَكِ
هَذَا هُوَ ٱلعُرْوَةُ ٱلوُثْقَى لِمُسْكِهَا عِزٌّ فَلَا انْقَصَمَتْ في كَفِّ مُمْتَسِكِ

وقد قالها أول وصوله إلى عدن بَدِيهةً ، دَلَّتْ على مقدرته ، وسرعة بديهته ، وكان قد قال أكثر قصائده في ابن بلال .

ومن مدائحه فيه قصيدة أولها :

هي دَوْلَـةٌ مَـوْصُـولَـةُ الإِقْبَـالِ محـفـوفـةٌ بِـتَرَادُفِ الأجَـالِ

وثانية أولها :

لَوْ حَلَّ في خَدَّيْهِ عِقْدُ لِثَامِهِ نُقِلَ الهلال إلى صِفَاتِ تَمامِهِ

وله مدائح أخرى في أمراء اليمن الآخرين كالدّاعي عمران بن سبا وغيره ، وكان الشاعر قد استطاب المقام في عدن ، وقد بعث برسالة إلى صديقه القاضي الأشرف ابنَ الحباب يقول فيها :

كتابي ــ أطال الله بقاء سيدنا القاضي وكأني به يقول مثل هذا البائس في الاغترار مثل الغراب ، رآى خَطْرة الدّاجِن فاستحسَنَها ورَامَها فما أَحْسَنَها ــ إلى أن قال : ــ ويكفي سَيدنَا أني وَطئتُ من اليَمَن عتَبةً صَارتْ مَرْتَبَةً . . . . وذالك أني نزلْتُ من الشيخ السعيد يَاسِرِ بن بلال ، مَلِكاً صِلاَتُه كَصَلاَتِهِ ، تلك يَبْيَضُّ بها وجهُ الليل ، وهذه يَسْوَدُّ بها وجه السَّيْل . . . . ، وناهِيكَ بمِلِكٍ أنا شاعره المُفْحِم) .

ورحلة ابن قلاقس مما يطول ذكره ، وقد أفردتها بِبَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ انظره على هذه المجلة انظر إن شاء الله «مجلة العرب» . توفى ابن قلاقس سنة ٥٦٧هـ .

ابن الدلاّل المصري : شاعر صحب الملك المُعِزّ إسماعيل بن طغتكِين الأيوبي ، وقد اشتهر بين الناس بهجائه المقذع وقد هجا في اليمن القاضي الأسعد فقال :

حَمَــلَ الأَسْــعَــدُ رُمْحــاً قَــرْنُــهُ أطــولُ مِــنْــهُ
وتَمَــادَى يَــبْــتَــغِــي مَــا قَــدْرُهُ يَــقْــصُــرُ عَــنْــهُ

الشَّيْزَرِيُّ : أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة الشَّيْزَري ، ولد بدمشق ، وانتقل إلى اليمن ، وأكثر مَنْ مدح صاحبها الملك المسعود الأيوبي ، وكان شاعراً مُجيداً أَلَّفَ لخزانة الملك المسعود كتاب «جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام» أورد فيه الكثير من الأشعار في المذكور وغيره من أهل اليمن توفى بعد سنة ٦٢٢ .

ابن عُنَيْن : هو شرف الدين محمد بن نَصر بن الحسين المعروف بابن عُنَيْنٍ ، نَشَأ بدمشق واتصل بأمراء عصره فمدحهم ، وكَانَ هجّاءً مُقْذِعاً في هجائه ، نظم قصيدة طويلة في ثلبِ أعيان عصره ، سماها «مقراض الأعراض» بلغ به الأمر فيها أن تعرض لصلاح الدين الأيوبي بقوله :

سُــلْطانُــنَــا أَعْــرَجٌ وكَــاتِــبُــهُ ذُو عَمشٍ والــوَزِيــرُ مُنْحَــدِبُ

فضجر الناس وضاقوا به ذَرْعاً ، وأخذوا يحرضون السلطان عليه ، فأمر بإخراجه من دمشق إلى حيث يشاء ، فطاف البلاد من الشام والعراق والجزيرة ،

قراءة في كتاب:

«مُثَلَّثَات قُطْـرُبٍ»

بَدَأَتْ قصتي مع «مثلثات قطرب» منذ الصغر ، حين كنت أسمع عمي القاضي الفاضل محمد بن عبد الرحيم الْمُعَلِّمِي يَتَرَنَّمُ بأبياتٍ فيها كلماتٌ متشابهة في اللفظ ، مختلفة اختلافاً كبيراً في المعنى ، وكان رحمه الله يشرح لي معانيَ هذه

وأذربيجان ، وخراسان ، وغَزْنة ، وخُوَارزم ، وما وراء النهر ، ثم دخل الهند واليمن ، وملكُها يومئذ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخُو صلاح الدين ، وأقام مدة يتردد بين اليمن ومصر .

وفي اليمن قال غُرَرَ قصائده في مدح طغتكين منها بَائِيَّتُه التي أولها :

حَبِيبٌ نأى وهْوِ ٱلقَرِيْبُ ٱلْمُصَاقِبُ ... وشحْطُ نَوًى لَمْ تُنض فيه الركائِبُ

وفيها يذكر بعض البلاد اليمنية فيقول :

دَعا (كَوْكَبَان) والنجوم كأنها ... نِطَاقٌ عليه نَظَّمَتْهُ الثَّواقِبُ
فَرَامَ امْتِناعاً عَنْهُ وَهْوَ مُرادُهُ ... كَمَا امْتَنَعَتْ عَنْ خَلوة البعل كاعبُ
وليس (مَرَاشٌ) مِنْهُ أقْوَى قَوَاعِداً ... وإنْ غَرَّ مَنْ فِيه الظُّنُون الكواذِبُ

ويبدو أنَّ ابْنَ عُنَيْنٍ ممن تَذَمَّر بالمقام في اليمن فهو يقول في إحدى قصائده متشوّقاً إلى دمشق :

أأحْبابَنا لا أسْأَلُ الطَّيْفَ زَوْرَةً ... وهَيْهات أين الديليات من عَدَنْ
وَمَا كُنْتُ بالراضي بِصَنْعَاءَ مَنْزِلاً ... ولَو نِلْتُ مِنْ غُمْدَانَ مُلْكَ ابْنِ ذي يَزَنْ
عَسى عَطْفَةٌ بَدْرِيَّةٌ تعكِسُ النَّوى ... فَأَلْفَى قرير العين بالأهل وٱلْوَطَنْ

وبعد فهذه نبذة عن الشعراء الذين دخلوا اليمن لا أظنّ أنّني استقصيْتهم ولعلَّ ، فيما أوردته كفاية للقنوع .

صنعاء : عبدالله محمد الحبشي

الكلمات ، ويبين لي الْفَرْقَ بين كل معنى وآخر ، وكنت ألتقط بعض هذه الأبيات وتَعِيْهَا ذاكرتي حتى أكادُ أقول : إني حفظتها كُلَّهَا بدون ترتيب ، ولكنها تسربت من الذاكرة قليلاً قليلاً ، وإنْ كانَ بعضُ معانِي الكلمات قد بقي فيها .

وكان أُعْجوبَةُ الزمان الشيخ الجليل أحمد بن علي الْحَضْرانِيُّ الراوية الحافظة ــ أَمَدَّ الله عمره ، وأحسن خاتِمَتَهُ ــ يُطْرِفُنَا بأبياتِ المثلثات في ندوة الأستاذ/ عبدالعزيز الرفاعي ــ رعاه الله ــ ويُبْدِعُ في إلقائها وشرح معانيها ، كشأنه في إلقاء الكثير مما تزخر به ذاكرته من عيون الشعر ، ومطولات القصائد ، ومن نوادر الطرائف ، فهو بِحَقٍّ موسوعةٌ أدبيةٌ متحركة .

ولم يقع في يدي كتاب يشتمل على هذه المثلثات إلا في زيارتي الأخيرة لمعرض الكتاب في القاهرة ، إذْ وجدتُ نسخةً باسم «مثلثات قطرب» تحقيق ودراسةُ الْسِنِّيَّةُ ــ للدكتور رضا السويسي الأستاذ بالجامعة التونسية ، من منشورات الدار العربية للكتاب .

وقد أُنجِزَتْ هذه الدراسة (في نطاق البحث العلمي بقسم الدراسات الألسنية بالمركز القومي للبحوث والدراسات الاجتماعية والاقتصادية بتونس) .

وَتَوَقَّعْتُ أَنْ أَجِدَ في هذا الكتاب ضالَّتِي ، فسأجد فيه المثلثاتِ منظومةً ، وسأجِدُ دِراسةً لها ، تزيدني علماً بها .

وفرغتُ لهذا الكتاب ساعَةً وبَدَأْتُ في تصفحه ، واصطدمِتْ عيناي ببعض الأخطاء فَلُمْتُ المطبعةَ والطباعين ، ولكنَّ الأخطاء تكاثرتْ وتواترت ، وكان بعضها من غير صنع الطباعين ، فَعُدْتُ لقراءة الكتاب من أوله متتبعاً الأخطاء بغرض تصحيحها ، ثم وجدتُ أنَّ من الخير أن أعْلن تصحيحاتي ليطلع عليها من لديهم نسخ من هذا الكتاب ، فيصححوا نسخهم ، أو يصححوا لي أخطائي .

وقبل أن أبدأ في عرض مادة الكتاب أودُّ أن أوضح أنه يشتمل على أربعة أقسام وذَيْلٍ .

أما القسم الأول : فهو ترجمةٌ لِقُطْرُب ، وتعريف بالمثلثات والمخطوطات التي

اطلع عليها المحقق مع جدول بتطور المثلثات عدداً ونوعاً .

وأما القسم الثاني : فهو «مثلثات قطرب» كما كتبها وشرحها نثراً .

وأما القسم الثالث : فهو الأرجوزة التي نظمها الشيخ أبو بكر الوراق البهنسيُّ ، وشرحها الشيخ شهاب الدين الأندلسيُّ .

وأما القسم الرابع : فهو الدراسة الألسنية ، وتتضمن دراسة المثلثات من حيث علم الأصوات الوظائفي : علم الدلالة .

أما الذيل فهو مثلثات قطرب منظومة ، وعليها تعليق عبد الرحمن بن أبي أحمد الزرقاني .

واختتم الكتاب بفهارس لأهم المصادر والمراجع ، والشواهد الشعرية ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأعلام والموضوعات ، والجداول التي وردت في الكتاب .

والواقع أن الدكتور المحقق قد بذل جُهْداً كبيراً في التحقيق والدراسة والفهرسة ، ولكن الأخطاء الكثيرة المتتابعة أَفسدَتْ هذا المجهود ، وشوهته تشويهاً ينزل به عن مستوى القبول من العلماء والباحثين ، بل يدعو إلى الحيلولة دون تقديمه إلى الشُّدَاةِ الناشئين ، لئلا يغتروا بالأخطاء ، ويظنوا أنها صحيحة .

كما أن المحقق الفاضل لم يقدم للقاريء مايفيده عن ناظم المثلث وشارحه ، بل لم يذكر حتى اسْمَيْهما ، أو زمنهما فضلاً عن ترجمتهما ، وذكر جوانب من حياتهما العلمية توضح منزلتهما بين العلماء .

ونبدأ بسرد الأخطاء التي استطعنا ملاحظتها :ــ

١ ــ في الصفحة الـ (١٧) أورد المحقق أبياتا من نظم الشيخ الأزهريِّ للمثلثات جاء فيها ما يلي :

(وبعد التسليم على خَيْرِ نَبي نظمته من مثلثات قطرب
أرجوزة لذيذة المَشرب وردتها من كُتُبِ طِوَال)

وواضح أن الشطرين الأولين من البيتين مكسوران ، ولعل صحتهما كما يلي : (وبعد تسليم على خير نبي) بدون الـ التعريف ، و(أرجوزة لذيذة في المشرب) بإضافة كلمة (في) ليستقيم الوزن .

٢ ـ وجاء في الصفحة نفسها هذان البيتانِ من نظم الأزهري :

(يقـال للماءِ الْكَبِيرِ غَمْـرُ   والحِقْد فِي الصدْرِ فَذَاك غِمْرُ
والرَّجُـلُ الجـاهـلُ غُـمْـرُ   فلا تكن من جمل الجُهَّـالِ)

والشطر الأول من البيت الثاني مكسور ، ولعله يستقيم إذا قلنا : (والرجل الجاهِلُ فهو غُمْرُ) أما الشطر الأخير من البيت الثاني فلعل به خطأ طباعياً إذْ وضعت كلمة (جمل) ولعل صحتها (جملة) .

٣ ـ ص : (١٨) : جاءت أبيات من نظم الشيخ عبد العزيز المقربي للمثلثات منها :

(قـدْ كـأن قبـلي مُـنَـظِّمًا   مُـثَـلَّثـاً لـقـطـرب)

والميم الأولى في كلمة (منظِّما) زائدة في نظري ، ولا يستقيم وزن البيت إلا إذا حذفناها وجعلنا الكلمة (نَظَما) فعل ماض .

٤ ـ وجاء فيها أيضاً هذان البيتان :

(سـمـيـتـه بـالمـورث   لمـشـكـل مـثـلـث
مـن غـير مـا تـرتـيـب   ومـن قـبـل الأرب)

والبيت الثاني لا يستقيم قافية في شطره الأول ، ولا وزناً في شطره الأخر ، ولعل صوابه أن يكون :

مـن غـير مـا تَـريُّـثِ   ومـن قـبـيـل الأدب

٥ ـ وجاء فيها أيضاً هذان البيتان :

(الـغـمـر مـاء غـزيـرا   والـغـمـر حـفـرا سـتـرا
الـغـمـر ذو جـهـل سرى   فـيـه ولـم يجـرب)

وفي البيتين كما وردا أخطاء نحوية ولغوية وكسر في الوزن وصحتها كما يلي :

الـغَـمْـرُ مـاءٌ غَـزُرَا والْـغِـمْـرُ حِـقْـدٌ سُـتِـرا
والـغُـمْـر ذُو جَـهْـل سرى فـيـه ولـم يُجَـرِّبِ

٦ ـ ص : (٣٢) شاهد شعري هو :

(وجـاء كتـاب من أمـير تبينتُ ما في نواحيه السخيمة والغمر)

وقد وصف هذا البيت بأنه من الطويل .

وإذا قُرِيءَ الشطرُ الأول من البيت كما هو مكتوب ومضبوط بالشكل فإنه يكون مكسوراً ، ولا يستقيم وزنُهُ إلاَّ بفتح النون في كلمة (تبينت) وإسكان التاء الأخيرة وجعلها للغائب لا للمتكلم ، وتصبح كلمة (تبينَت) كلُّها من الشطر الأول ، أما الشطر الثاني فيحتاج إلى إضافة حرف قبل كلمة (ما) ليستقيم وزنه ويستقيم بالتعديلات التي أوردناها معنى البيت ومَبْناه نحوّياً وعروضياً ، فيقال :

وجـاء كتـابٌ مِنْ أَمِـيرٍ تبينَتْ بما فِي نَوَاحِيهِ السَّخِيْمَةُ والْغِمْرُ

٧ ـ وفي الصفحة نفسها ـ البيت الثاني :

(أتـاتـا وحـلـما وانـتـظار ألم فما أنا بالباقي ولا يقرع الغمر)

والشطر الأول مكسور الوزن غامض المعنى ، وفيه خطأ نحوي إذْ ضُبِطَت فيه الراءُ في كلمة الغمر بالفتحة وحقها أن تكون مرفوعة لأنها نائب فاعل .

ـ وجاء في الصفحة نفسها ما يلي :

(وأما السلام فالحجارة جمع سلمة) ولم تضبط كلمة سَلِمة بالشكل ، وكان ينبغي أن تضبط بفتح السين وكسر اللام .

٨ ـ ص : (٣٣)

(وأما السلام فعروق طاهر الكفّ والقدم ، وجميعها سلاميات) ولعل المقصود (وجمعها سلاميات) بدون ياء في كلمة (جمع) .

٩ ــ وجاء فيها أيضاً هذا البيت لأبي حَيَّةَ النُّميري :

(أراد الله أن يقبلك في السلام على من بالجفنين توصلين)

وهذا كلام غير منظوم ، ولا يستقيم في الوزن ، من أي بحر من بحور الشعر المعروفة .

١٠ ــ وجاء فيها أيضاً هذا البيت (من الطويل) .

(مُنّي علينا بالكلام فإنما كلامك ياقوت ودُرٌّ منظم)

والشطر الأول من هذا البيت ليس من الطويل وإنما هو من الكامل ولا يصير من الطويل إلا بزيادة حرف متحرك في أوله كالواو أو الفاء .

١١ ــ وفي الصفحة نفسها وردت العبارة التالية :

(وأما الكلام فالجراحات واحدها كلم) وضبطت كاف (كلم) بالكسر ، والصحيح أن واحدها كَلْمٌ ، بفتح الكاف لا بكسرها : «لسان العرب» .

ــ وفي الصفحة نفسها ورد البيت التالي منسوباً إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

(أجدَّكَ ما لعينيك لا تنام كأن جفونها فيها كِلَامُ)

ولا يستقيم وزن الشطر الأول إذا ثنيت العين وإنما يستقيم بالإفراد دون تثنية :

أجَدَّكَ ما لِعَيْنِكَ لا تَنام .

١٢ ــ ص : (٣٤) :

(فأما حلم بأن يحلم في النوم .... وأما حلم الأديم إذا فسد) .

وفي العبارتين ركاكة إذْ لم يَرِدْ جوابُ (أما) الشرطية وصحة العبارة ــ كما ينبغي أن تكون ــ هو : فأما حُلُمٌ فأن يحلم في النوم ، وأما حلم الأديم فهو بمعنى فسد .

١٣ ــ ص : ٣٥ ورد بيت شعر لأبي الْعَتَاهِيَة (من الطويل) .

(ذكرتك والمشجون ذاكر شَجْوه فما زلتُ أُذْرِي الدمعَ حتى امتلأ حجري)

ويلاحظ أنه كان يحسن ضبط كلمة (أُذرى) بضم الهمزة لتكون من (أذرى) لأنها إن كانت من (ذرا) فمضارعها (أذرو) بالواو ، وكان ينبغي أيضاً حذفُ همزة (امتلأ) لِأَنَّ وجودَها يكسر وزن البيت .

١٤ ــ وفي الصفحة نفسها أيضاً هذا البيت :

(ونبل تصيدا قلوب الرجال وأفلت منها ابنُ عَمْرِو حُجُرْ

ولست أدري لماذا وضعتِ الأَلِفُ بعد كلمة (تصيد)؟ إني أرى حَذْفَهَا ليستقيم الوزن ولا يختلط المعنى .

١٥ ــ ص : ٣٦ :

(وأما الدُّعوة فهي الدعاء ، قال الشاعر : (من الكامل)

دعوة قوم قد ولفت بجمعهم نجل ورجل والمنيدة تنجد)

ولي ثلاث ملاحظات :

الأولى : أَنَّ قوله : أما الدُّعوة فهي الدعاء فيه نظر ، فالدعاء هو الدَّعوة بفتح الدال لا ضمها .

الثانية : أن البيت يحتاج إلى زيادة حرف في أوله ليستقيم وزنه .

الثالثة : أن كلمة (نجل) في الشطر الثاني تصحيف والأصل هو كلمة (بِخَيْلٍ) بباء وخاء وياء ولام .

١٦ ــ وفي الصفحة نفسها هذا البيت (من الكامل) .

(بطل كأنَّ ثيابه في سرجه احدى نعال السِّبْتِ ليس بِتَوْأَمٍ)

وصحة البيت كما في «لسان العرب» :

بطل كأن نعاله في سرحة بحذى نعال السبت ليس بتوأم

١٧ ــ وجاء في الصفحة نفسها :

(والبحور التي بها تكشف الحر ة والداء من غليل الأوسام)

وصحة الكلمة الأخيرة في البيت : (الأوام) فبذلك يستقيم الوزن ويصح المعنى .

١٨ ــ ص ٣٨ : البيت التالي (من الطويل) .

(فلو أنها سهم إذاً لَا تُّقَيْتُهَا ولكني أرمى بغير سهام)

ولا يستقيمُ الوزنُ إلا إذا جعلنا كلمة (ولكنّي) أو (ولكنها) بدلاً من كلمة (ولكني) .

١٩ ــ وفي الصفحة نفسها هذا البيت لزهير (من المتقارب) .

(تخالُ السّهامَ بأرجائها سبائحْ ، فظن لدينا دفينا)

وفي البيت ضرورة شعرية بإسكان حاء سبائح ، ولا يمكن أن يلجأ زهير إلى مثل هذه الضرورة وهو المعروف بتحبير شعره ، كما أن المعنى غير واضح [ولعل الصواب : سَبَائِحَ قُطْنٍ لدينا رُمِينَا) .

٢٠ ــ وفي الصفحة نفسها ورد هذا البيت لزهير (من الوافر) .

(وقد أغدو على شَرْبٍ كرام نشلوى واجدين لما نشاء)

وصحة الشطر الأخير : نشاوى واجدين لما نشاء .

٢١ ــ وفيها أيضاً :

(وأما الشّرب ما يشرب بعينه) والصواب أن يبدأ جواب الشرط بالفاء في الجملة الاسمية ، كما أنَّ الشُّرْبَ ليس ما يُشْرَبُ ، وإنما هو الشرب بعينه ، ولذالك فإنَّ صحة العبارة هي : وأما الشرب فالشرب بعينه) .

٢٢ ــ وجاء فيها هذا البيت (من الوافر) .

(وشرب الخمر علي عارا إذا لم يشكني فيها صديق)

والشطر الأول من البيت مكسور ولا يستقيم وزنه كما لا يصح معنى البيت ولا يستقيم وزنه إلا إذا زدنا عليه كلمة (ليس) فيصبح هكذا :

وشرب الخمـر ليس عليَّ عـارا   اذا لَمَ يشْكُـنِي فيـهـا صَـديق

٢٣ ـ ص ٣٩ : هذا البيت (من الكامل) .

(فـطلاليـك أمـرا ليس تـدركـه   إلا السفاه وإلا الجهل والخرق)

والشطر الأول فيه كلمة كسرت الوزن وأغمضت المعنى ، وفيه كلمة وردت بصيغة الغائب والأوْلى أن تكون بصفة المخاطب .

وصحة البيت كما يلي :

فما طلابـك أمرآ لست تـدركه   إلاَّ السُّفاه وإلاَّ الجهل والخرق

٢٤ ـ وفي الصفحة نفسها ورد هذا البيت منسوباً إلى عمر بن ربيعة (من الطويل) .

(تهادَيْنَ واستجمعن حول عُنَيزة   ضِماء اليها الدل والفتح والشكل)

ولا يستقيم الوزن ولا يتضح المعنى بكلمة ضماء في الشطر الأخير ، ويستقيم الوزن إذا كانت الكلمة (وَضًما) بزيادة واو في أولها وحذف الهمزة في آخرها (أو كان عجز البيت :

ظباءً إليها الدَّلُّ والْغُنجْ والشكل .

وقد جاء اسم الشاعر هكذا (عمر بن ربيعة) وهو خطأ واضح فاسم الشاعر : عمر بن أبي ربيعة ولعل الخطأ من الطباعة .

٢٥ ـ ص : ٤١ :

(أمست منازل والسكان قد عمرت   بعد الكلاب ولا تعمرْ أقاصيها)

وفي البيت ضرورة شعرية هي جزم كلمة (تعمر) بدون جازم ، وتنتفي هذه الضرورة إذا استبدلت (لم) بـ(لا) .

ــ وفيها أيضاً :

(وأما عَمِرت فهي طول العمر . . . وأما عمُرت فهى عمرت الأرض) .

وتكون العبارة أوضح وأصح إذا وضعت كلمة (من) بعد كلمة (فهي) في الجملتين .

٢٦ ــ ص : ٤٢ جاء :

(فأما الصَّرةُ فالجماعة من الناس قال الله تعالى : ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ وقد جاء في تفسير هذه الآية أن معنى صرة : صرخة عظيمة وَرَنّة «تفسير ابن كثير» .

٢٧ ــ وفي الصفحة نفسها :

قال الأفود الأودي والصحيح : الأفوه الأودي واسمه : صلاءة بن عمرو «الأعلام» للزركلي .

٢٨ ــ ص ٤٤ :

(وأما اللَّحا فجمع لِحْية ، قال ابن النعمان (من الطويل) .

(فإن كنتَ لم تقصر على الحنْثِ فاعترفْ بحرب تردى ياللحاء وبالشارب)

ولا يستقيم الوزن ولا يصح المعنى بذلك .

وإنما يستقيم الوزن ويصح المعنى إذا قلنا : (بحرب تردى باللحى والشوارب) واللحى تكتب بألف مقصورة لا بِمَدٍّ ولا بهمزة ، لأنها جمع لحية ، وليست جمع لحوة ولا لحاة .

٢٩ ــ ص ٨٧ : قال الشاعر (من الكامل) :

(ما كان جمعة في عرض سوادها إلا كقمـة مـا يقتمـه الأسـد)

وعلق المحقق على ذالك بما يلي : (جاء في الأصل ماكان جمعهم في عرض سودها . . . ولا يستقيم بها الوزن) .

وأقول للمحقق الفاضل : (ليتك تركتها على مبنى الشايب) فالوزن يستقيم بما

جاء في الأصل إذا ضُمَّتِ الميمُ الأخيرة من كلمة (جمعهم) وشددت الواو من سودها ، أما مافعله المحقق فهو كفعل من (جاء ليكحلها فأعماها) .

٣٠ ـ ص ٤٨ : للحطيئة (من الطويل) :

(بهاليل أبطال .... سادة بنى لهم آباؤهم وبنى الجدُّ)

والبيت بهذا الشكل ناقص ويكمل إذا وضعت كلمة مثل (مغاوير) .

بها ليل أبطال مغاوير سادة .

وقد أشار المحقق الفاضل إلى أن البيت في ديوان الحطيئة كما يلي :

مطاعين في الهيجا مكاشفين للدجى ....

وهو ليس كذلك في الديوان وإنما هو :

مطاعين في الهيجاء ، مكاشيف للدجى .

وفي «ديوان الحطيئة» ـ ١٤٠ ـ تحقيق نعمان أمين طه طبعة سنة ١٣٧٨هـ : مغاويرُ أَبْطَالٌ ، مطاعِمُ في الدُّجَى .

٣١ ـ ص ٤٩ : هذا البيت (من الطويل) .

أسا في سفقاً في مغرس مرجل وثــوب كحــوم الجلد لم يتثلم

وصحة البيت :

أَثَافِيَ سُفْعاً في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

والبيت لزهير بن أبي سُلْمَى وهو البيت الخامس من معلقته المشهورة فالأثافي في أول البيت بالثاء المثلثة لا بالسين المهملة و(معرس) بالعين المهملة لا بالغين المعجمة ، وتكملة البيت كما أوضحناه ، وليس كما أورده المحقق الفاضل .

٣٢ ـ وفيها أيضاً ورد هذا البيت لجميل بن مَعْمَرٍ (من الكامل) .

(فكوني بخير في سرور وغبطة وإن قد أزمعت صرفي وهجرتي)

والشطر الأخير مكسور ، وفيه تصحيف وصحته كما يلي :

وإنْ كنت قد أزْمَعْتِ صَرْمِي وهجرتي

أي بزيادة كلمة (كنت) وابدال الميم فاء في كلمة (صرمى) .

٣٣ ـ وفيها أيضاً : (وأما الكلا فجمع كلية) .

ولم تضبط كلمة (كُلية) بضم الكاف ، كما أن كلمة الكُلَى كتبت بألف ممدودة ، وحقها أن تكتبْ بألف مقصورة لأنها جمع كلية لا كلوة .

٣٤ ـ ص ٥٠ : جاء هذا البيت (من الكامل) .

(وغنينـا بنسـوة خـافـرات وجـوار منـعـمات حـسـان)

وإنما هي (خفرات) بدون ألف بعد الخاء .

٣٥ ـ وفيها : (وقد تكون الجواري : السفن) ونقول : بل هي السفن على التحقيق لا التقليل الذي يوحي به ادخال حرف قد على الفعل المضارع .

٣٦ ـ وفيها أيضاً : (وأما الجوار فهو الصوت العالي في الحرب وغيرها (إذا هم يجزون) .

ونقول: ان الصوت العالي هو: الجُؤَارُ بهمزة وليس بواو ، وإن عبارة (إذا هم يجزون) محرفة وصحتها ﴿إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ من سورة ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الآية ١٦٤ بألف عليها همزة وليست بالزاي .

٣٧ ـ وجاء فيها بيت لحسان (من الرجز) .

(صحبنـا مـازنـاً بنـات قيس إذا طعنت سمعت لهـا جواراً)

وفي الشطر الأول سقط حرف هو واو العطف بين كلمتي (مازنا) و(بنات) ، وفي الشطر الثاني ضبطت كلمة (جوارا) بتشديد الواو ، وهذا يؤدِّي إلى كسر الوزن وتغيير المعنى أو إغماضه ، والصواب هو : جؤاراً بهمزة على الواو بدون تشديد .

٣٨ ـ ص ٥١ : هذان البيتان (من الخفيف) .

(وترى الداب والذئاب بواد أنشأت بجنب المبيت الحرام
ذاك بيتٌ أَجَلُّ بَيْتٍ على الأر ض فخض بالركن بعد المقام)

والشطر الثاني من البيت الأول مكسور الوزن غامض المعنى ، ويستقيم وزنه ويتضح معناه بتصحيح كلمة (أنشأت) وجعلها: (آنسات) وبحذف (ال التعريف في كلمتي (البيت الحرام) فيصبح الشطر هكذا :

آنساتٍ بجنب بيتٍ حرام .

أما الشطر الثاني في البيت الثاني فهو مكسور أيضاً وغامض المعنى ، ولم أستطع جَبْرَهُ ، ولم تظهر لي صحته .

٣٩ ـ ص ٥٢ : جاء البيت التالي (من الطويل) .

وسقنا إلى زيد الحُمَامَ واعولت نساء على زيد فلا تكف منعجم

ووزن البيت يتطلب منع زيد من الصرف كما أنَّ الجزء الأخير من البيت لم يتضح لي معناه ولا صحته .

٤٠ ـ وفيها أيضاً جاء مايلي : (قالت أم نوفل (الوافر)

أُعُوذُهُ من جنيات اللمة أزل رَبِّيَ هَمَّهُ وغَمَّه)

قلت : والبيت ليس من الوافر وإنما هو من الرجز ، كما أن كلمة (أعوذه) في أول البيت يحسن أن تكون (أُعيذه) ، وكلمتا : (أزل ربي) يحسن أن تكونا : (أزال ربي) بمد الزاي في أزال لتكون فعلاً ماضياً دعاء له مع إسكان ياء (ربي) لعدم الحاجة إلى تحريكها .

٤١ ـ ص ٥٣ : جاء هذا البيت لأشجع السلميِّ (من الوافر) :

(تحل لحاجتي وأشد قولها فقد أمست بمنزلة الضياع)

وقد كان يحسن أن تضبط كلمة (تَحُلُّ) بفتح التاء والحاء وتشديد اللام وفتحها

(فعل أمر من تحلى) أما كلمتا: (أشد قولها) فهما محرفتان عن الأصل الصحيح وهو: واشْدُدْ قُوَاها .

٤٢ ــ ص ٤٥ : هذا البيت (من الطويل) .

(إذا شرعوا يوماً على الغي سيرة فـطريقهم منها عـلى الخوانكب)

وقال المحقق الفاضل في الهامش : (جاء في الأصل: طريقهم ولعل ما أثبتناه أصح من حيث الوزن).

قلت : مرة أخرى (ليتك تركتها على مَبْنَى الشَّايب !!) إنَّ ماجاء في الأصل هو الأصلح للوزن مع ضَمِّ ميم (طريقهم) أما آخر البيت فقد كان يَحْسُنُ أنْ يُضْبَطَ بالشكل فالقاريء قد لا يعرف المقصود بكلمة : (الخوانكب) وقد يظنها كلمة واحدة وإنما هي كلمتان: (بِالْخَوِّ ، أنكب) والْخَوُّ هو الأرض الخواء «لسان العرب» وأنكَبُ : أكثرُ انحرافاً .

٤٣ ــ ص ٥٥ : جاء هذا البيت لزياد الأعجم (من الكامل) .

(صل بموت سليمة قبل الرقي وضـــائـل العــدوة متصــافــح)

وهذا النص بشكله الذي ورد في الكتاب ليس شعراً من بحر الكامل ، ولا من غيره من بحوز الشعر ، إلا إذا أُصْلِحَ خَلَلُه ، وذالك بجعل الشطر الأول هكذا : صِلٌ يموت سَلِيمُهُ قَبْل الرُّقَى .

أي بهاء في (سليمه) بدلاً من التاء المربوطة : بمعنى اللديغ ، وبألف مقصورة في كلمة (الرقى) جمع رُقْيَةٍ ، بدلاً من الياء .

أما الشطر الأخير فأعتقد أنه يحتاج إلى هَدْمٍ وإعَادَةِ بناءٍ .

٤٤ ــ ص ٥٦ : (بهامشها) أن ترتيب مقطوعات المنظومة كان ترتيباً أبجدياً يوافق الحرف الأول في البيت بقطع النظر عن المثلثة الواردة فيه .

والواقع أنَّ الأفضل أن يكون الترتيب على حسب حروف المثلثات ، لأنها هي المهمة التي يهمنا البحث عن معانيها ، أما الحروف الأوائل في المقطعات فليس لها

أهمية تذكر ، وعلى كل فنحن نعذر المحقق في ذلك ، فهذا الترتيب ليس من عنده ، وإنما هو من عند الناظم ، إلا أننا نود أن نقول : إن الترتيب لم يكن أبجدياً وإنما كان هجائياً فهو ليس على ترتيب : (أ ـ ب ـ جـ ـ د) وإنما هو على ترتيب : (أ ـ ب ـ ت ـ ث) .

٤٥ ـ ص ٥٧ : هذه المقطوعة :

(إنَّ دموعي غَمْرُ ولیس عندي غِمْرُ
يَا أيُّهذا الغُمْرُ أَقْصِرْ عن التعب)

والكلمة الأخيرة في المقطوعة خطأ وصحتها : (التَّعَتُّب) وقد أشار المحقق إلى أن الشطر الأخير ورد في إحدى المخطوطات : أقصر عن التَّعَتُّب وهي أولى .

٤٦ ـ وفي الصفحة نفسها :

(بَدَا وحيى بالسَّلام رمى عذري بالسَّلام
أشار نحوي بالسُّلام من كفه المختصب

وفي هذه المقطوع ثلاثة أخطاء : فكلمة (حَيًّا) حقها أن تكتب بألف ممدودة ، وكلمة (عذري) إنما هي (عَدُوّي) وكلمة (المختصب) صحتها (المخضَّب) .

٤٧ ـ ص ٥٨ : وردت هذه المقطوعة :

(جد فالأديم خَلم وما بقى لي حِلم
ولا هَنَا لي حُلم مذغبت يا مضربي)

وقد أشار المحقق الفاضل إلى أن الكلمة الأخيرة قد وردت في إحدى المخطوطات هكذا : (يامعذبي) ـ ونقول : إن هذا هو الصحيح وأما كلمة (مضربي) فلا نرى لها موضعاً مناسباً هنا .

٤٨ ـ ص ٥٩ :

(حمدن يوم السَّبْتِ إذ جاء مجدِّي السَّبت
على نبات السُّبت في المهمة المستصعب)

وفي هذه المقطوعة خطآن : فكلمة مجذّي لا معنى لها كما أنها تكسر البيت وإنما (مُحْذَى) بضم الميم وسكون الحاء المهملة بعدها ذال معجمة . وكلمة (المهمة) خطأ مركب لأنها تكسر وزن البيت وتغمض المعنى ، وتتطلب تأنيث الكلمة التي بعدها لأنها صفة لها ، وصوابها: (المَهْمَهُ) بميم وهاء ثم ميم وهاء ثم هاء .

٤٩ ــ ص ٦٠ :

(ذلفت نحوَ الشُّرْب ولم أُذُدْ عن شِربي
فانقلبوا للشُّرب ولم يخافوا غضبي)

وقال الشارح : إن ذلفت من الأذلاف وهو التغرب ، والشُّرب بفتح الشين المعجمة ، كان معروف عندهم .

قلت : لعل الصواب هو (دَلَفْتُ) بمعنى ذهبت ، وأنَّ الشَّرب بفتح الشين هو جماعة الشاربين الذين يعود عليهم الضمير في الشطر الثالث من المقطوعة في قوله (فانقلبوا) وفي الشطر الرابع منها في قوله : ولم يخافوا .

٥٠ ــ ص ٦١ : جاءت المقطوعة :

(زاد كثيراً في اللُّحَاء مَنَّ بتقشير اللُّحَاء
لما رأى شيب اللُّحاء اصرم حبل السبسب)

وقد تقدم في تعليقنا على الصفحة ٤٤ أن جمع لِحْيَة هو (لحى) بألف مقصورة وليس لحاء بألف ممدودة .

٥١ ــ وجاء فيها المقطوعة التالية :

(سار مُجِداً في المَلَا وأَبْحُرُ الشوق مِلَا
ولبسه من المُلَا من عبقري مذهب)

وقد ضبطت الكلمة الأخيرة (مذهَّب) بتشديد الهاء ولا يستقيم الوزن بذلك ، والأصح أن تبقى بلا تشديد مع ضم الميم فيها .

٥٢ ــ وجاء أيضاً :

(شكل له كشكلي تيّمني بالشّكل
وغلّني بالشّكل في حبه واحربى)

وكتابة البيت الثاني بهذا الشكل خطأ فالشطر الأول ينتهي بكلمة (الشكل) أما كلمة (في) فهي من الشطر الثاني ، كما أن كلمة (واحربى) هي بألف مَدٍّ بعد واو النُدْبَةِ وليست بهمزة .

٥٣ ـ ص ٦٢ : جاءت هذه العبارة : (قوله في صرَّة بفتح الصاد المهملة هي الجماعة من الناس) وقد سبق في التعليق على صفحة ٤٤ أن أوضحنا أن الصرة ـ في أقوال المفسرين ـ هي الصرخة أو الرَّنَّة .

ـ وفيها أيضاً كلمة : الكلا وكلمة كلية ، وقد سبق أن أوضحنا في التعليق على الصفحة ٤٩ أن كلمة : (الكلى) جمع كلية ينبغي أن تكتب بألف مقصورة لا ممدودة ، وأن كلمة (كُلْية) ينبغي أن تضبط بضم الكاف .

٥٤ ـ ص ٦٣ : جاءت هذه المقطوعة :

(عال كريم الجَدّ أفعاله بالْجِدّ
الفيته في جُدٍّ معَطّلٍ مضطربي)

كلمة (مضطرب) بدون ياء هو الصواب .

ـ وفيها جاءت هذه العبارة : (أي لا ينفع عذابك غناه) في شرح قوله ﷺ : «ولا ينفع ذَا الْجَدِّ منك الْجَدُّ» ، وإنما هي : (لايمنع عذابك غناه) بفتح الباء في (عذابك) .

٥٥ ـ ص ٦٤ : جاءت هذه العبارة : (الأمة بفتح الهمزة هي الشجَّة في الرأس . . . . . وبكسرها : الغنا) والصواب هو (الغنى) بألف مقصورة لا ممدودة لأن الغناء بألف ممدودة هو الانشاد .

٥٦ ـ ص ٦٦ :

(ملثْ دموعي حَجْرى ومل فيه جِجرى

لـو كنت كـابن حُجْـرى لـضــاع فـيــه أدبي)

والصواب هو : (لو كنت كابنِ حُجْر) بدون ياء لأن اسم أبي امرىء القيس هو حُجْرٌ ، لا حجري ، —

وفي الصفحة نفسها :

(هــذى عـلامــة الرِّقــاق فـانظر إلى أهـل الـرِّقـاق
هـل ينـطق بعـد الرُّقـاق بـالـصــدق أو الكــذب)

وقد قال المحقق تعليقاً على كلمة (ينطق) في الشطر الثالث : إنها جاءت في بعض المخطوطات : هل نطقوا وأنه أثبت (هل ينطق) لاستقامة الوزن والسياق .

قلت : (ليتك تركتها على مَبْنَى الشايب ياأخي !!) إن عبارة (هل نطقوا) هي الصواب ، وهي التي يستقيم بها الوزن والسياق .

ثم إن الشطر الرابع مكسور ، ويحتاج إلى زيادة حرف لتعديله فيكون (بالصدق أو بالكذب) بزيادة حرف الباء قبل كلمة (الكذب) .

٥٧ — ص ٦٧ :

(وجــدتــه كــالــقَــمــه في جــبــل ذى قِــمــة
مــطرحــا كــالــقُــمْــة قلت لـه احفظ مـذهبى)

لقد كنت أود لو ضبط المحقق كلمةُ مُطَّرَحا بالشكل بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة .

٥٨ — وفي الصفحة ٦٨ قال الشارح : (الطَّلا بفتح الطاءِ المهملة: ولد الضبية) .

وإنما هو ولد الظبية بطاء معجمة لا بضاد .

٥٩ — وفي الصفحة نفسها جاءت المقطوعة الأخيرة كما يلي :

(لمــا رأيــتُ عــلله وهــجــره ومــلله

نـطقـت في وصفـى لــه مــثـلـثـا لــقــطـرب)

ووددت أن المحقق ضبط أواخر الكلمات الثلاث (عللهْ ومللهْ ولهْ) بسكون الهاء ووضع فتحة على ياء وصفي ـ ليستقيم الوزن .

٦٠ ـ ولما انتهيت من قراءة الأجوزة وجدت بعدها صفحة فيها مقتطفات لا علاقة لها بالمثلثات وهي الصفحة ٦٩ ، وهذه المقتطفات ليس لها تصنيف ولا عناوين ، ولم تسلم من الأخطاء الفادحة . فقد استهلها جامعها بهذا البيت :

(الفقر يزري بأقوام ذي حسب وقد يسود لمسدِ المال) .

والشطر الأخير ناقص وتمامه : وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ المالُ .

ـ وفيها هذا البيت :

(اصــبر على صــبر الحسود فــإنَّ صــبرك قــاتــله)

وإنما هو :

اصــبر عــلى كيـد الحســود لا عــلى صــبر الحســود

ـ وبعدها كلمة انتهى ولكن المختارات لم تنته إذْ جاء بعدها مايلي :

(أحمـد مـادامت الأيـام حـامـدة ولا تعان زمان السوء إنْ قصدك)

ولعل البيت يستقيم وزنه ويصح معناه إذا وضع ضمير الغائب (الهاء) بعد كلمة أحمد .

ـ ثم جاءت أبيات تمجد أهل النحو ، ولكنها تحطم الشعر تحطيماً وحسبنا منها هذا البيت :

(فهل سمعت بذئب خاف من غنم وهل سمعت بأسد خاف من خنازير)

والشطر الأخير مكسر الأوصال :

واقرأ هذا البيت :

(العلم نهر والنحو قنطرة   فهل يُجازُ النهر بغير القناطير؟)

ولا أريد أن أبين مافي هذا البيت من كسور وأخطاء فهي بالقناطير المقنطرة وختم الشاعر من الدرجة الرابعة من درجات الشعراء أبياته بهذا البيت :

(لو تعلم الطير مافي النحو من أرب   غنت ورنت عليه بالمناقير)·

وليت الطير غنت ورنت على الشاعر بمناقيرها .

ولم ينس جامع هذه المختارات أن يفيدنا بفائدة فقد كتب لنا وصفة طبية نصها كما يلي : (نصف وقية لُكّ ، وثمن وقية بقّم أحمر ، ووزن أربعين شعيرة شبّ ووزن سبعة (هكذا) شعيرات طرونة وتسحق الجميع وتحله في سبع وقية من ماء المطر وتبقيه فيه يوماً وليلة وبعد ذالك تقلبه على النار إلى أن ينعقد كالمداد ثم تجعل فيه حنة وشيء (هكذا) من السمغ (بالسين) العربي . انتهى .

ويسكت جامع هذه المختارات ولا يقول لنا ماذا نفعل : ولعله تركَ ذالك لذكاء كل واحد منا .

لعلكم تستغربون ماكتبت وتظنون أني أهزل ، ولكن أقول لكم الحق : هذا ماجاء في الصفحة ٦٩ من كتاب «مثلثات قطرب» تحقيق الدكتور رضا السويسي الأستاذ بالجامعة التونسية .

أمَا وَقَدْ هَزِلَتْ إلى هذا الحدّ فسأقف عن مواصلة الكتابة في نقد هذا الكتاب ، وأتركُ الجزء الخاص بالدراسة الألسنية (هكذا يقولون ولعلهم لا يريدون السير على قاعدة: (أن النسبة تكون للمفرد لا للجمع) أترك لغيري من النقاد الذين يحسنون الخوض في بحار هذه الألغاز والمُعَمَّيات .

ولكن أختم هذه الكلمة بِأَنْ أُبْدِي أسفي على الجهد الضائع الذي بذله أخونا الدكتور رضا السويسي في تحقيق هذا الكتاب ، وإني مازلت أحسن الظن بعلمه وأُرْجِعُ السَّبَبَ في وقوع هذه الأخطاء ووجود هذه المهازل في صلب الكتاب إلى أن الدكتور لم يحرص على مراجعة تجارب الطبع ، وأنه تركها لِأُنَاسٍ لا بصر لهم بالشعر ولا ذوقَ لهم في قراءته ، ولا معرفة لهم باللغة .

←

ضرائـــــر النثـــر
في الأدب العربـــي

ينبغي أن أُقيِّدَ في صدر هذا البحثِ أنّ «النحاةَ» لم يعطوا لـ«النثر» ما أَعْطَوْا لـ«الشعرِ» من عنايةٍ ، فلستُ أجد بين المصنَّفاتِ مصنَّفاً خاصّاً في «ضرورةِ النثر المسجوع » وكلُّ ما وجدتُهُ في ذلك كلماتٌ تشبهُ الإشاراتِ ، لاتشفي طِلْبَةَ الباحِثِ ، ولاتروي غُلَّةَ الصَّادي .

وإذا رجعنا إلى موضوعِ «الضرورةِ الشعريةِ» وجدناهم قد صنَّفوا فيها المصنفاتِ الخاصة ، وكتبوا فيها فصولاً كاملةً في المؤلَّفاتِ النحوية .

فـ«الشعرُ» في نظر النُّحَاةِ أكثرُ حَظـاً ، يبحثونَ في شواهدِهِ النحويةِ ، ورواياتِه وضروراتِه ، وتخريجاتِهِ .

و«النثرُ» مهما احتفل أصحابُهُ بإتقانِهِ وتجويدِه لم يَنَلْ من أنفسِ النحاةِ منزلةَ «الشعرِ» .

وليسَ في «اللغةِ العربيةِ» كتابٌ منثورٌ شُغِلَ به «النحاةُ» غيرُ «القرآنِ

وإنّي أدْعُو قسم الدراسات الألسنية بالمركز العربي للبحوث والدراسات الاجتماعية والاقتصادية في تونس ـــ الذي أنجز هذا العمل في نطاق البحث العلمي فيه ـــ إلى منع الكتاب من التداول في الأسواق والمكتبات ، واستعادة نسخه ، وإعادة طبع الكتاب ، واخراجه إخراجاً سليماً خالياً من العيوب والأخطاء وبعث نسخة من الطبعة الجديدة إلى كل من رُزِّيَ بشراء نسخة من هذه الطبعة المعيبة وهو يُمَنِّي نفسه بكتاب علمي رفيع المستوى فإذا به لا يلقى إلا كتاباً مليئاً بالأخطاء ـــ وأنا أحد أولئك !!

وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،

الرياض **الفريق يحيى عبدالله المعلمي**

الكريمِ[1]» فقد ذكروه شواهدَ على تقعيدِ القواعدِ ، وبيَّنوا قراءاتِهِ المتواترةَ والشاذةَ ، وتخريجَها .

وأُلِّفَتْ في «نحوِ القرآنِ الكريمِ» ، وإعرابه ، وأسلوبه ، المؤلفاتُ الضخمةُ ، قديماً وحديثاً .

● وعجبي لايكادُ ينقضي حين أُوَجِّهُ وَجْهِيَ نحوَ «الحديثِ النبويِّ» فلا أجِدُ إلاَّ أحاديثَ قليلةً نُثِرَتْ في المصنفاتِ النحويةِ .

ومعلوم أنَّ «الحديثَ النبويَّ» من كلامِ أفصحِ الفصحاءِ ، وأصفى الأصفياءِ . ولقد أُوتِيَ أعْلَى مستوياتِ البلاغةِ ، في جمالِ النَّظْمِ ، ونَظْمِ الجَمالِ .

ولقد كانت تنساب من لسانِهِ ـ ﷺ ـ أعْظَمُ دُرَرِ الكمالِ والجمالِ بأوتارٍ شَجِيَّةٍ ، ومزاميرَ تُضَاهي مزاميرَ «داودَ» .

يمضي رنينُ «الحديثِ النبوىِّ» ساحِراً أخَّاذاً ، لايملكُ الغَضَّ منه إلاَّ صُمُّ المسامعِ ، أو غُلْفُ القلوبِ .

* * *

ومِنْ مظاهرِ العنايةِ بـ«النثرِ» ، والاهتمامِ بهِ : دراسةُ «الضرورةِ النثريَّةِ» المتمثلةِ في «السَّجْعِ» .

قال «ابنُ عُصْفُورٍ[2]» : إنَّ «الشعرَ» لما كان كلاماً موزوناً تُخْرِجُهُ الزيادةُ فيه ، والنقصُ منه ، عن صيغةِ الوَزْنِ ، ويُحيلُهُ عن طريقِ «الشِّعرِ» ، أجازَتِ العربُ فيه مالا يَجُوزُ في الكلامِ ، اضطروا إلى ذلك أو لم يضطَّروا إليه ، لأنه موضعٌ أُلِفَتْ فيه «الضرائرُ[3]» .

و«الضرورةُ» مقيَّدَةٌ بعدمِ اللحنِ والخطأ في الإعرابِ[4].

قال «أبو سعيدِ السيرافيُّ[5]» : (. . وليسَ في شيءٍ من ذلك رفعُ منصوبٍ ، ولانصبُ مخفوضٍ ، ولا لفظ يكون المتكلمُ فيه لاحناً ، ومتى وُجِدَ هذا في شعرٍ

كان ساقِطاً مُطَّرحاً ، ولم يدخلْ في ضرورةِ «الشعر[٦]»).

و«الضرورةُ» في «النثرِ المسجوعِ» تسايرُ «الضرورةَ الشعريةَ» جنباً إلى جنبٍ . وهناك نصوصٌ من كلامِ الثِّقاتِ تفيدُ ذلك ، مع التفنيدِ المفيدِ ، والتدليلِ بالروايةِ والشاهد .

قال «المبرد[٧]» : (إنما قالوا : «عليه رجلاً لَيْسَني[٨]» ، لأنَّ هذا مَثَلٌ ، و«الأَمْثَالُ» تجري في الكلامِ علىَ الأُصولِ كثيراً) .

يريد «المبردُ» أنه يكون فيها مراجعةُ الأصولِ ، كما في «الضرائرِ الشعريةِ[٩]» .

وقال «المبرِّد» أيضاً : (وقالوا في مَثَلٍ مِنَ الأمثالِ ـ و«الأمثالُ» يُسْتَجازُ فيها مايُستجاز في «الشعر» لكثرةِ الاستعمالِ لها ـ : «إِفْتَدِ مَخْنُوقُ ، وأَصْبِحْ لَيْلُ ، وأَطْرِقْ كَرَا» . يريدون ترخيمَ «كَرَوَان»)[١٠].

وقال «ابنُ عصفور» : (وألحقوا «الكلامَ المسجوعَ» في ذلك بـ«الشِّعْرِ» ، كما كانت ضرورةٌ في «النثرِ» أيضاً ، هي ضرورةُ النظمِ .

دليلُ ذلك قولُهم : «شَهْرٌ ثَرَى ، وشَهْرٌ تَرَى ، وشَهْرٌ مَرْعَى[١١]» .

فَحَذَفُوا التنوينَ من «ثَرَىً» ، ومن «مَرْعَى» إتباعاً لِقَوْلِهِمْ : «تَرَى» ، لأنه «فِعْلٌ» ، فلم يَنوِّنْ لذلكَ .

وكذلك قالوا : «الضِّيحُ والريح[١٢]» . فأبدلُوا «الحاء» «ياءً» إتباعاً لـ«الريح» والأصل : الضِّحُ . حكى ذلك «الخليل[١٣]» و«أبوحنيفةَ الدِّينَوَرِي[١٤]» .

وفي الحديثِ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنَّه قالَ : «اِرْجِعْنَ مأْزُوراتٍ غيرَ مَأْجُورَاتٍ»[١٥] .

والأصلُ : «موزورات» ، لأنه من الِوْزرِ ، فأبدل «الواوَ» ألفاً إتباعاً لـ«مأجوراتٍ[١٦]» .

وبالإتباعِ في «الحديثِ» اكتملتِ المناسبةُ ، بالإضافةُ إلى كمالِ المعنى .

قال «عبدُ القاهر»[١٧] : (قالوا : لايكون الكلامُ يستحقُّ اسمَ البلاغةِ حتى يُسَابِقَ معناهُ لفظَهُ ، ولفظُهُ معناه ، ولايكونُ لفظُه أسبقَ إلى سمعك من معناه إلى قلبك . وقالوا : «يَدْخُلُ في الأُذُنِ بلا إذْنٍ»[١٨]) .

ولكون «السجعِ» يجري مَجْرَى «الشعرِ» ساغ لـ«أبي محمدٍ الحريريِّ»[١٩] أن يقول في مقاماته» (المقامة الثانية الحلوانية) (ص١٧) : (أُلفيتُ بها أبا زيدٍ السَّرُوجِيَّ يَتَقَلَّبُ في قَوَالِيبِ الانتساب ، ويَخْبِطُ في أساليبِ الاكتسابِ) .

فأشبعَ الكسرةَ في «قوالِب» فأصبحت «قواليب» إتباعاً لـ«أساليب» .

ولقد انتقد «ابنُ الخشاب[٢٠]» على «الحريريِّ» عبارتَه المذكورةَ ، فقال : «القواليب» خطأٌ لا تَسْتَعْمِلُ مثلَه العربُ في حال الاختيار والسعة ، فإن اضطر إلى مثلِهِ الشاعرُ كانَ قليلاً في ضرورة الشعر ، وذلك أن الواحد «قالب» ، لا «قالاب» ولا «قالوب» .

قال «ابنُ دريدٍ[٢١]» : «القالِبُ» الذي يُصَبُّ فيه الشيءُ ، مِنْ صُفْرٍ أو غيره فيجيءُ مثلَه ، ويقال : هذا قالِبُ كذا .

قال «ابن الخشاب» : كِلَا المثالَيْنِ من «فاعَل» و«فاعِل» إنَّمَا يُكَسَّرُ على «فواعِل» بغير ياء ، تقول في «تابل» : «توابل» ، ولاتقل «توابيل» ، وفي «خاتَم» و«خاتِم» : «خواتم» ولاتقل : «خواتيم» ، إلَّا في «خاتام» ، فإنها لغةٌ فيه .

وكذلك «الطابَع» و«الطابِع» : «طوابع» ، لاغير .

وكذلك «الطابَق» و«الطابِق» : «طوابق» .

وقولُ العامة : «طوابيق» . و«الطوابيقى» خطأٌ فاحش ، فالوجه حينئذٍ «قوالِب» ، وقد يمطلون الكسرةَ في مثل هذا في ضرورة الشعر ، فينشأ عنها ياءٌ فيقولون في «صيارف» : «صياريف» ، وفي «دراهم» : «دراهيم» .

وذكر «سيبويهِ» في «كتابه[٢٢]» في (باب مايحتملُ الشعر) : وربَّما مَدُّوا مثلَ «مَساجدَ» و«مَنابرَ» ، فيقولون : «مساجيد» و«منابير» ، شَبَّهوه بما جُمِعَ على غيرِ واحده في الكلامِ ، كما قال «الفرزدقُ» :

تَنفِي يَدَاهَا الحَصَى في كلِّ هَاجِرَةٍ   نَفْيَ الدَّنَانِيرِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ[٢٣]

وعليه قولُ «المتنبي» :

أَفْـدِي ظِبَاءَ فَـلاَةٍ ماعَـرَفْنَ بِهَا   مَضْغَ الكَلاَمِ ولا صَبْغَ الحَوَاجِيبِ[٢٤]

ولا خلاف بينهم أن استعمالَ مثلِ هذا في الكلام المنثورِ لايجوز ، وإنما يجوز في «ضرورةِ الشعر» قليلاً ، وعكسُه أنهم يحذفونَ في الشعرِ هذه الياءَ من الجمع الذي يستحقها ضرورة ، فيقولون في «طواويس» : «طواوس» ، وفي «عواوير» : «عواور» ، قال :

وكَحَّلَ العَيْنَيْنِ بالعَوَاوِرِ[٢٥]

ولا يطرد مَجِيْءُ هذه الياءِ في الجمعِ إلاَّ فيما رابع واحِدِهِ حرفُ علة ، كـ«فَاعَال» نحو : «سَاباط[٢٦]» ، تقول : «سَوَابِيط» ، و«فاعُول» نحو : «كانون[٢٧]» ، تقول : «كوانين» ، و«عاثور[٢٨]» تقول : «عَوَاثِير» ، و«أُفْعُول» ، تقول فيه : «أفاعيل» ، كقولك : أُسْلُوب[٢٩] و«أساليب» ، و«أُرْكُوب[٣٠]» و«أراكيب» . والله أعلم .

وقد انتصر «أبو محمدٍ ، عبدُالله بنُ بَرِّي[٣١]» للإمامِ «الحريريّ» راداً على «ابنِ الخَشَّابِ» فقال : اعلم أن لـ«السجعِ» «ضرورةَ الشعرِ» ، وأنَّ له وزناً يُضاهي ضرورةَ الوزنِ في «الشعر» في الزيادةِ ، والنقصانِ ، والإبدال . وغير ذلك .

ألا تراهم حركوا الساكنَ فيه كما يحركونه في الشعر ، كقولهم في صفة ليالي القمر : «ثَلاَثُ دُرَعٌ» ، وكان قياسُه : «دُرْعٌ[٣٢]» (بسكون الراء) ، وإنما حركوها إتباعاً لقولهم : «ثلاثُ غُرَرٌ[٣٣]، وثَلاَثُ ظُلَمٌ» ، وحذفوا التنوين فيه كما حذفوه في الشعر فقالوا : «شَهْرُ ثَرَى ، وشَهْرٌ تَرَى ، وشَهْرٌ مَرْعَى» . فحذفوا التنوينَ من «ثَرَى» ومِنْ «مَرْعَى» إتباعاً لقولهم : «تَرَى» ، لكونه فعلاً .

وكذلك أبدلوا الهمزةَ ألفاً في نحوِ قولِهم :

أَنْكَحْنَا الفَرَا فَسَتَرَى[٣٤] ، فأبدلوا همزة «الفرا[٣٥]» ألفاً إتباعاً لقولهم : «سَتَرَى» .

وأبدلوا الحرفَ المضاعفَ ياءً في نحو قولهم : «له الضِّيحُ والرِّيحُ» فقلبوا الحاء ياء في «الضيح» ؛ إتباعاً لـ«الريح» ، وكان أصله : «الضِّحّ» .

ورُوِيَ في الحديثِ عن رسولِ الله ـ ﷺ ـ أنه قال للنساء : «إرْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غيرَ مَأْجُورَاتٍ» فأبدل الواو في «موزوراتٍ» ألفاً إتباعاً لـ«مأجوراتٍ» .

وقد جاء مثلُ هذا في «فواصلِ القرآن» لتتفقَ «الفواصلُ» .

فمن الزيادةِ قولُه تعالى : «فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا[٣٦]» ، و«تَظُنُّونَ بالله الظُّنُونَا[٣٧]» فزادوا ألفاً ، كما زادوها في «الشعرِ» على جهةِ الإطلاق .

ومن النقصِ قوْلُهُ تعالى : «واللَّيْلِ إذَا يَسْرِ[٣٨]» حذفت الياء من «يَسْرِ» إتباعاً لـ«الوَتْرِ» ، وما تقدمه .

وكذلك حذفت الياء من قوله تعالى : «رَبِّي أَكْرَمَنِ[٣٩]» ، و«رَبِّي أَهَانَنِ[٤٠]» ، كما تُحْذَفُ في «الشِّعْرِ» ، كقول الشاعر :

فَهَلْ يَمْنَعَنِّي ارتيادي البلا دَ مِنْ حَذَرِ الموت أَنْ يَأْتِيَنْ[٤١]

فإذا ثبتَ هذا فلا وَجْهَ للإنكار على «الحريريِّ» .

وقال «السيوطي[٤٢]» في «الاقتراح» : (ينقسم ـ أي : الحكم ـ إلى رُخْصَةٍ وغيرها ، والرخصةُ : ماجاز استعماله لضرورةِ الشعرِ ، ويتفاوتُ حسناً وقبحاً ، وقد يلحق بالضرورةِ مافي معناها ، وهو الحاجة إلى تحسينِ «النثر» بالازدواج) .

وقال «محمدُ بنُ الطيِّب[٤٣]» في «فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح[٤٤]» : والمراد بـ«الازدواج» هنا استعمال كلمةٍ خلاف الأصلِ ، لمقارنتها لأخرى ، كما في الحديثِ «اِرْجِعْنَ مَأْزُوراتِ غيرَ مأجوراتٍ» .

وأصله : «موزوراتٍ» ؛ لأنه من «الوزر» ، فأبدلتِ الواوُ ألفاً ، لمقارنتها «مأجوراتٍ» حتى تكتمل المناسبة .

ومثله كثيرٌ في كلامهم جداً ، أورد منه جملةً وافرة «الحريريُّ» في «الدرة» كغيره من الأدباء .

قال «ابنُ الحاجب» في «الأمالي(٤٥)» : قد يكون الشيء غيرَ فصيحٍ ، فيلجيء إليه أمرٌ فيُصَيِّرُهُ فصيحاً .

مثال ذلك : «أَبْدَأَ» ، والفصيحُ : «بَدَأَ» ، بل لا يكاد يُسْمَعُ «أَبْدَأَ» قال تعالى : «كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ(٤٦)» ، «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ(٤٧)» ، «كَيْفَ بَدَأَ اللهُ الخَلْقَ(٤٨)» ، ثم قال : أَوَلَمْ يَرَوا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الخَلْقَ(٤٩)» . فجاء رباعياً فصيحاً لِمَا حُسْنَهُ مِن التناسبِ بغيرِهِ ، وهو قوله : «يُعِيدُهُ» .

قلتُ : وهو كثير ، نحو : «إِنَّهُ هو يُبْدِئُ ويُعِيدُ(٥٠)» .

وأخيراً فـ«الضرورةُ النثريةُ» لونٌ بديعٌ من ألوانِ «النحوِ العربيّ» ، وفنٌ لطيفٌ من فنونِهِ . وقد نطقتِ العربُ بألفاظٍ غَيَّرَتْ مبانِيَها ، لأجلِ «الازدواجِ» ، وأعادتها إلى أصولها عند الانفرادِ .

وبالعنايةِ بها وبتتبع مواطِنِهَا في «كلامِ العربِ» ندرك لوناً شَيِّقاً مِنَ الأساليبِ العربيةِ الأصيلة .

روى أن بعضَ الشُّعَراءِ قال لكاتبه أُكْتُبْ : «ياحارُ إنَّ الركبَ قد جازوا» فقال : ياسيدي «يا حارِ» أفصحُ وأكثرُ ، فقال : اكتُبْ ياحارُ إنَّ الركبَ قد جازُوا .(٥٠)

فالكاتبُ نَظَرَ إلى اللغةِ الفصيحةِ الفاشيةِ ، وهذا نَظَرَ إلى تناسبِ اللفظِ .

(للبحث تتمة)　　　　د . محمود فجال

أستاذ النحو العربي / كلية اللغة العربية / أبها

[تنبيه : علامات الترقيم وضعها الكاتب الفاضل ، دون التقيُّد بمفاهيمها المعروفة] .

مراجـــع البحـــث

١ ــ «الاقتراح» للسيوطي تحقيق د. أحمد محمد قاسم ــ الأولى: ١٣٩٦هـ القاهرة .

٢ ــ «أمالي ابن الشجري» دار المعرفة ــ بيروت .

٣ ــ «الأمالي» لابن الحاجب . إعداد فخر الدين قدارة رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر ١٤٠٣هـ .

٤ ــ «دلائل الإعجاز» للجرجاني تعليق محمود محمد شاكر ــ الخانجي ــ ١٤٠٤هـ القاهرة .

٥ ــ «سنن ابن ماجه» تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . طبع عيسى البابي الحلبي ــ ١٣٧٢هـ بمصر .

٦ ــ «شرح شواهد الشافية» للبغدادي تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبدالحميد تصوير بيروت .

٧ ــ «شرح المفصل» لابن يعيش . الطباعة المنيرية بمصر .

٨ ــ «شرح مقامات الحريري» المكتبة الشعبية ــ بيروت .

٩ ــ «ضرائر الشعر» لابن عصفور تحقيق السيد إبراهيم محمد . دار الأندلس ــ الأولى ١٩٨٠م .

١٠ ــ «الضرائر» للألوسي . تصوير بيروت .

١١ ــ «ضرورة الشعر» للسيرافي تحقيق د . رمضان عبد التواب . دار النهضة العربية . الأولى ١٤٠٥هـ بيروت .

١٢ ــ «غريب الحديث» لابن الجوزي تحقيق د . عبدالمعطي قلعجي ــ الأولى ١٤٠٥هـ بيروت .

١٣ ــ «فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح» . مخطوط . مكتبة راغب باشا في تركيا . برقم ١٣٢٠هـ .

١٤ ــ «كتاب سيبويه» تحقيق عبدالسلام هارون . الثانية . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٥ ــ «لسان العرب» لابن منظور . دار صادر ــ بيروت . ١٣٧٤هـ .

١٦ ــ «المثل السائر» لابن الأثير تحقيق د . أحمد الحوفي ، د . بدوي طبانة . الثانية ــ دار الرفاعي ــ الرياض ١٤٠٣هـ .

١٧ ــ «مجمع الأمثال» للميداني حققه محمد أبوالفضل إبراهيم . عيسى البابي الحلبي ــ ١٣٩٨هـ .

١٨ ــ «مجمع الزوائد» للهيثمي . طبع القدسي ــ ١٣٥٣هـ .

١٩ ــ «المحتسب» لابن جنى تحقيق علي النجدي ناصف ، د . عبدالحليم النحار د . عبدالفتاح شلبي . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٦هـ .

٢٠ ــ «المزهر» للسيوطي حققه محمد جاد المولى ، وعلي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ــ عيسى البابي الحلبي .

٢١ ــ «المستقصى» للزمخشري . دار الكتب العلمية . الثانية ١٣٩٧هـ ــ بيروت .
٢٢ ــ «مغني اللبيب» لابن هشام تحقيق د . مازن مبارك ، ومحمد علي حمدالله . دار الفكر ــ دمشق ١٣٨٤هـ .
٢٣ ــ «المقتضب» للمبرد تحقيق د . محمد عبدالخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
٢٤ ــ «النثر الفني» د . زكي المبارك ــ دار الجيل بيروت ١٩٧٥م .

الهوامش :

(١) إن «القرآنَ الكريمَ» شاهدٌ من شواهدِ النثر الفني قاله د . زكي مبارك انظر «النثر الفني» (ص٤٤) .

(٢) هو : أبوالحسن ، عليُّ بنُ مؤمن النحويُّ ، الحضرميُّ ، الإشبيليُّ ، المتوفَّى سنة ٦٦٩هـ . كان أصبرَ النَّاسِ على المطالعَةِ ، لايمل من ذالك .

(٣) «ضرائر الشعر» (ص١٣) .

(٤) انظر «تعريف الضرورة الشعرية»: «ضرائر الشعر» لابن عصفور (ص ١٣)، و«ضرورة الشعر» أبي سعيد السيرافي (ص٣٣) ، و«الضرائر» للألوسي (ص ٦) .

(٥) هو : الحسنُ بنُ عبدالله بن المرزبان ، المتوفَّى سنة ٣٦٨هـ . كان منقطعَ النظيرِ في (علم النحو) .

(٦) «ضرورة الشعر» (ص٣٤)، وانظر «الكتاب» (١ : ٢٦) .

(٧) هو : أبوالعباس ، محمدُ بنُ يزيدَ المتوفَّى سنة ٢٨٥هـ يُعَدُّ جبلاً في العلمِ .

(٨) «الكتاب» (١ : ٢٥٠) .

(٩) «المقتضب» والتعليق عليه (٣ : ٢٨٠) .

(١٠) «الكتاب» (٢ : ٢٣١) ، و«المستقصى» (١ : ٢٢٢).
هذه ثلاثةُ أمثالٍ أوردها الميدانيُّ في «مجمع الأمثال» هكذا على التوالي (٢ : ٤٥١ ، ٢٣٢ ، ٢٨٤) فالأول يُضْرَبُ لكلِّ مشفوق عليه مضطر ، والثاني يُضْرَبُ في الليل الشديدِ الذي يطولُ فيه الشرّ ، والثالثُ يُضْرَبُ لمن يتكبَّرُ وقد تَوَاضَعَ من هو أشرف منه .

(١١) «الكتاب» (١ : ٨٦) ، و«أمالي ابن الشجري» (١ : ٣٢٦) ، و«مغني اللبيب» (ص٦١٤) . وفي «مجمع الأمثال» (٢ : ١٧٣): يَعْنُونَ شهورَ الربيعِ ، أي : يُمْطِرُ أوّلاً ، ثم يطلعُ النَّبَاتُ فَتَرَاهُ ، ثم يطولُ فَتَرْعَاهُ النَّعَمُ ، وأرادُوا : شَهْرٌ ثَرَى فيه ، وشَهْرٌ تَرَى فيه ، فَحَذفَا ، كما قال :

فَــيَــوْمٌ عَــلَــيْــنَــا وَيَــوْمٌ لَــنَــا ... وَيَــوْمٌ نُــسَــاءُ ويــومٌ نُــسَرّ

أي : نساءُ فيه ونُسَرُّ فيه ، وإنَّما حُذِفَ التنوين من «ثَرَى» و«مَرْعَى» في المَثَلِ لمتابعةِ «تَرَى» الذي هو الفعلُ .

(١٢) الأصل (الضِّحّ) ، وهو مابَرَزَ للشمسِ ، و(الريح) ما أصابته الريح ، من قولهم : «جاء فلان بالضِّحِّ والرِّيحِ» ، والمعنى : جاء بما ظهرَ وما خَفِيَ . يُضْرَبُ مَثَلاً للذي جاء بالمالِ الكثيرِ ، أو العدد الكثيرِ . «مجمع الأمثال» (١ : ٢٨٦) .

(١٣) هو : أبو عبدالرحمن ، الخليلُ بنُ أحمدَ الفَرَاهِيديّ أو الفُرْهُودي المتوفى سنة ١٧٠هـ .

(١٤) هو : أحمدُ بنُ داودَ بن وَتَنْدَ المتوفَّى سنة ٢٨١هـ نحويٌّ لغويٌّ ، من نوادرِ الرجالِ .

(١٥) أخرجه ابن ماجَة في «سننه» في (أبواب ماجاء في الجنائز ــ باب ماجاء في اتباع النساء الجنائز) (١ : ٢٨٩)

من حديث «عليّ» ــ رضي الله عنه ــ وهو في «مجمع الزوائد» (باب اتّباع النساء الجنائز) (٣ : ٢٨). وانظر «المحتسب» (٢ : ٣٣٢)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٩ : ٦٤) و«المثل السائر» (١ : ٣٣١).

(١٦) «ضرائر الشعر» (ص١٤) .

(١٧) هو : أبوبكر ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن ، الجرجاني المتوفّى سنة ٤٧١هـ .

(١٨) «دلائل الإعجاز» (ص٢٦٧).

(١٩) هو : أبومحمد ، القاسمُ بنُ علي بنِ محمدِ بن عثمانَ المتوفّى سنة ٥١٦هـ كانَ غايةً في الذكاءِ والفطنةِ والفصاحةِ والبلاغةِ .

(٢٠) هو : أبو محمد ، عبدالله بن أحمد بن أحمد المتوفّى سنة ٥٦٧هـ ، قالوا عنه : مامِن علم من العلوم إلاّ كانت له فيه يدٌ حسنةٌ .

(٢١) هو : أبوبكر ، محمدُ بنُ الحسنِ ، الأزديُّ المتوفّى سنة ٣٢١هـ .

(٢٢) (١ : ٢٨) .

(٢٣) البيت في «الكتاب» (١ : ٢٨) ، و«المقتضب» (٢ : ٢٥٦). الهاجرة : وقت اشتداد الحر .
التنقاد : من نقد الدراهم ، وهو التمييز بين جيّدها ورديئها . وَصَفَ ناقته بسرعة السير في الهواجرِ فقال : إنّ يديها لشدةِ وقعها في الحصى تنفيانه ، فيقرع بعضه بعضاً ، ويسمع له صوت كصوت الدراهمِ إذا انتقدها الصيرفي .

(٢٤) البيت في «الديوان» بشرح البرقوقي (١ : ٢٩٢) . يريد بظباء الفلاة : البدويات . ومضغ الكلام : ترك إبانته . كأنَّ المتكلم يقول : هنَّ فصيحاتٌ مبيناتٌ .

(٢٥) الرجز في «الكتاب» (٤ : ٣٧٠) ، و«الخصائص» (١ : ١٩٥ ، ٣ : ٣٢٦) و«المحتسب» (١ : ١٠٧) ، و«شرح شواهد الشافية» (ص٣٧٤). نَسَبَهُ «ابنُ جني» للعجاج ، و«البغداديُّ» لجندل بن المثنّى الطُّهَوي
العواور : الرمد . يريد أن الدَّهر أصابهُ بضعف البصر من المشيب والهرم . أصله : «عَوَاوير» من حيث كان جَمْعَ «عُوّار» ، فحذفت الياء ضرورة ، وبقيت كسرتُها دليلاً عليها .

(٢٦) سقيفة بين حائطَيْن .

(٢٧) الموقد ، والثقيل من الرجال .

(٢٨) حفرة تُحْفَر للأسد وغيره ، ليصاد .

(٢٩) الفنُّ . يقال : أخذ فلانٌ في أساليبَ من القولِ ، أي : في فنونٍ منه .

(٣٠) أكثرُ من الرُّكَب .

(٣١) المقدسي الأصل ، المصري . من علماء العربية النابهين . المتوفّى سنة ٥٨٢هـ .

(٣٢) الليالي الدُّرَعُ والدُّرْعُ : الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، والخامسة عشرة . قال ابنُ بَرِّي : إنّما جمعت «درعاء» على «دُرَع» تبعاً لـ«ظُلَم» في قولهم : «ثلاثُ ظُلَم ، وثلاث دُرَع» ، ولم نسمع أن «فَعْلاء» ، جمعُه على «فعل» إلاّ «درعاء» . «لسان العرب» (درع ٨ : ٨٣).

(٣٣) يقال لثلاث ليال من أول الشهر : «ثلاثُ غُرَر» ، والواحدة : «غُرَّة» . «لسان العرب» (غرر : ٥ : ١٥) .

(٣٤) المثلُ في «المستقصى» (١ : ٤٠٠) يُضْرَبُ في الحذرِ من سوء العاقبة .

(٣٥) أصلها : «الفرأ» بالهمز والقصر ، وهو «حمار الوحش» . وجاء على الأصل قولُه ﷺ : «كلُّ الصيد في جوف الفرأ» . انظر «غريب الحديث» لابن الجوزي (٢ : ١٨٢) ، و«لسان العرب» (فرأ ١ : ١٢١) .

(٣٦) الأحزاب : ٦٧ .

(٣٧) الأحزاب : ١٠ .

(٣٨) الفجر : ٤ .

أديب أحسائي مغمور :

– ٢ –

عبد الله بن المبارك بن بُشَيِّر

من هذه اللمحات الموجزة التي أوردها المؤرخ لطف الله بن جحّاف الصنعاني في كتابه «درر نحور الحور العين» عن ابن بُشَيِّر تتضح للقاريء جوانب عن نَشْأته وعن مشايخه الذين أتى بِنُبَذٍ عنهم لم يذكرها سوى هذا المؤرخ اليمني . ويحسن أن نعرض نماذج من نثر هذا الأديب وشعره لتتضح منزلته بين أدباء عصره .

أورد الشاعر اليمني السيد يحيى بن المطهر المتقدم ذكره نماذج من المساجلات التي جرت بينه وبين الأديب ابن بُشَيِّر فذكر أنَّ فقيهاً يدعى أحمد بن مبشر العسيري كان يختلف إليه للقراءة طلب تزويده مكاتبة إلى الوفد الواصلين من نجد تتضمن المعاهدة والاعتذار من التخلف عنهم قال: فكتبت ماصورته ، وفيه بعض تجرم من بعض الكائن بصنعاء وحوازها من عيث البغاة وإيماء إلى بحثهم في شراء الكتب :

---

(٣٩) الفجر : ١٥ .

(٤٠) الفجر : ١٦ .

(٤١) البيت للأعشى ، وهو في «ديوانه» (ص١٥) ، «والكتاب» (٤ : ١٨٧) و«المحتسب» (١ : ٢٤٩) و«ضرائر الشعر» (ص١٢٨) .

(٤٢) هو : جلال الدين ، عبدالرحمن ، السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ .

(٤٣) هو : أبوعبدالله ، محمدبن الطيب بن محمد ، الفاسي المتوفي سنة ١١٧٥هـ .

(٤٤) مخطوط (ص٢١ب ، ٢٢أ) مكتبة راغب باشا في تركيا برقم ١٣٢٠ .

(٤٥) (ص٣١٦) آلة كاتبة .

(٤٦) الأعراف : ٢٩ .

(٤٧) الأنبياء : ١٠٤ .

(٤٨) العنكبوت : ٢٠ .

(٤٩) العنكبوت : ١٩ .

(٥٠) البروج : ١٣ .

(٥١) «أمالي ابن الحاجب» (ص٣١٦) آلة كاتبة .

أَبَــرْقٌ بِـالْحِـمَا ٱلقِبلـِي أَضَــاءَ   بِمُبْتَسِـعِ النطاق يُـرَى بَهَـاءَ ؟
أم ابْتَسَمَتْ لُيُوثُ بَنِي حَنِيفٍ   غـداة أَشِيْمُـه يُهْـدِي السَّنَـاءَ ؟

وأورد قصيدة طويلة قال عنها: إن هذه الأبيات من ذالك الشخص ــ يقصد العسيري الذي طلب تزويده بمكاتبة إلى الوفد ــ في حكم تعريف ، وبعد أيام من وصولها إليهم بلغني أنهم قد أجابوا بجواب عَنيف ، روى غير واحد منه مالفظه :

سَنَــرْحَــلُ عَنْ دِيَــارِكُـمُ وَلَمَّــا   يَمِينــاً بِــالَّــذِي سَمَـكَ السَّمَاءَ

قال: فعملت جواباً سلكت فيه ذالك المسلك .

ثم أورد القصيدة التي رَدَّ عليها ، وهي من نظم صاحبنا ابن بُشَيْر إذ هو لسان الوفد والمتحدث باسمه ، وهذا نصها :

تَخَـطَّتْ مِنْـكَ قَـافِيَـةٌ عِشَــاءَ   فَـأَخْطَتْ فِي مناهجها السَّوَاء
وَقَـدْ زَعَمَتْ وفـاءً مِنْ أَبِيهـا   لَقَـدْ كَـذَبَتْ ومـا ٱلفَتُ وفَـاء
ولابَــرْقٌ ولَا ابْتَسَـمَتْ لُيُـوثٌ   ولادَمْـعٌ لِمَنْ أَهْـدَى الثَّنَـاء
ولا حُمَّ الـطَّرِيقُ لسـالِكِيـه   فَيَثْنِي عَـزْمَ مَنْ عَـزَم اللِّقَـاء
وقد طلع الهُدَى من كُلِّ وَجْهٍ   عليكـم طلعـة تُـبْرِي ٱلعَـمَاء
تَبَـدَّى من حِمَـا نَجْـدٍ إِلَيْكُمْ   وأَشْـرَقَ فِي ديـارِكـم سَنَـاء
وَمَـا اسْتَبْصَـرْتُمُـو منه بِـرُشْدٍ   ومـاﭐسْتَضْـوَيْتُمُـو مِنْـهُ ضِيَـاء
وقَد حَانَ الرَّحِيلُ وَمَا ارْعَوَيْتم   ومـا اسْتَشْفَيْتُمُـو منـهُ روَاء
فَـمَا هَـذَا التَّمَـادِي والتَّـوَانِي   ونَبـذُكُم حَـفَـائِـظَنـا وَرَاء ؟
وقَـدْ زَعَمَ ٱلمُخـبِّرُ مِنْ قَـرِيْبِ   بِـأَنَّـا حَـيْـثُ يَـطْلِعُ الـبراء
سَنَـرْحَـلُ عنْ دِيـارِكُـمْ وَلَمَّـا   يَمِينـاً بِـالَّـذِي سَمَـك السَّمَاء
لَئِنْ زُمَّتْ رِكَـابُ الوفـدِ عنْكُمْ   وأَلْـفَـيْـتُمْ مَـنَـازِلَهُمْ خَـلَاء
لَيُعْـقِبُنَـا عَـلَيْكُم كُـلُّ رُزْءٍ   يُسِيلُ الـدَّمْعَ مِنْكُمْ والـدِّمَـاء
أفيقُـوا مِنْ ضَـلَالِكم أَفِيقُـوا   ولا تَـرْجُـوا لِـعِـزِّكُـمْ بَـقَـاء
تَسافهتم بِنَـا ولـذاك عيبٌ   تَسـافهكم بِمَن حـلَّ ٱلفِنَـاء

متى حرم المرور لقا حبيب ... مخافة كاشح يبغي الرداء(؟)
فذالك مسكن لاخير فيه ... ولا للساكنين به حياء
وأرض الله واسعة ففيها ... تجد بدلاً وعن ضيق فضاء
وإحساناً إلى كل الرعايا ... ودفعاً عن حياضهم القذاء
وأمناً في البلاد وخصب عيش ... وعدلاً واسعاً يكفي البلاء
وفعلاً للأوامر واجتناباً ... وبحثاً في العلوم لمن يشاء
ومن يبغ المقام بأرض قوم ... يرى سوّاسهم بقراً وشاء
عذيري منك إني لست أدري ... أحقاً ما أرى بك أم جفاء
تقاعدت الرجال عن المعالي ... وأعطوا جانباً عنها وراء
أسائل من لقيت فلم أوافي ... بداركم سوى إلا العناء
وحيهلاً بأرض ساكنوها ... يوافون السعادة والهناء
وإحسان الصنيع لكل ساع ... تجاوز من ديارهم البناء
وكلاً قد بلوت فلم أجد في ... غرائر رحل داركم دهاء
وها أنا قد أشرت فهل مصيخ ... يصدق من نصيحتي البناء

أما قصيدة الشاعر يحيى بن المطهر فمطلعها :

بروق مطامع أضحت تراءى ... وسحب تلهف سكبت غثاء

وهي قصيدة طويلة موجودة في ديوانه ، وفيها قسوة شديدة ، ومع ذالك كان موقف ابن بشير منها يتصف بالحكمة والأناة ، كما يتضح من رسالة وجهها للشاعر يحيى يعاتبه فيها ونصها ــ كما وردت في الديوان ــ : بعد الحمدلة : إمام سما في رتبة المجد علاه ، وتحلى برقائق ألفاظه من اجتمع به وغشاه ، ذو اليد البيضاء في المعقول والمفعول ، مقدمة المبادىء التي يُتوصل بها إلى كل مجهول ، من لو شاهد نظمه النظّام لأقرّ له بالتقدم في ذالك المقام ، أو أدركه بديع الزمان لرفع لفضله راية السبق في ذالك الميدان ، مُحَبّرُ صدور الطروس ، ومنعم الاسماع في مجامع الدروس ، هو الأحق من كلب معرة النعمان بما ادعاه من تقدم الفضل وفصاحة اللسان :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائل

* * *

ويلاه هلاَّ أنال القوس باريها وقلد الغضب جيد الفارس البطل

من لو دعيت الأقلام إلى غيره لأبت خوف الاهتضام كما لبتّه في المسير على صفحات الصكوك ، وصاحت وابداراه لطاعة مَنْ هُو التبر المحكوك ، رقى عَذَبَاتِ المجد وعلاها ، واعتلى روابي الفخر واقتناها .

على أنه يَنْسَى حقوقي ولايفي بما لِي لديه من أَكِيدِ الأُخُوَّة

* * *

أأضْحَكُ أمْ أبْكِيْ أأرْضَي أمَ أغْضَبُ؟ أأعْــذُرُ فيــها قَـلْتَـه أمْ أأنّــبُ؟

* * *

وطــالمــا كُنّــا كَغُـضْـنَيْ بَــانِ لكن نَمَــا وزدتُ في النقصان

وحيث حكم الله باهتضام الحقوق ، فلا عتب على ماقضاه رَازِقُ كلِّ مرزوق ، على أنه أسبل عليَّ لباس الفضائل ، وغمرني ببرد الفواضل ، فلا يسمع مني العتاب لديه ، ولا رفع الشَّكِيَّاتِ إليه ، وقد ورد في الحديث : «من لايشكر الناس لم يشكر الله» وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

ولكن ذكر المؤرخ ابن جحاف أن بعض المتأدبين سأله عنهم فرغب في مكاتبتهم ، فبعث بقصيدة زودها أحمد بن مبشر العسيري اعتذاراً عن عدم وصوله ليستطلع ماهم عليه ، غير أنه لمح في قصيدته إلى تهوين أمرهم فبرزت منهم هذه المُخَدَّرة بعد اطلاعهم على ماحرره المتأدب رفيقنا ، وقد أغْرَبتْ عن سلوكهم طريقة الترويع والزجر والتقريع للمخالف ثم أورد قصيدة ابن بُشَيْرٍ :

تخــطَّتْ منــك قــافيــةٌ عشــاء فــأخْطَتْ في مــسالكهــا السَّوَاء

فكأن المؤرخ ابن جحاف لم يعرف الأمرَ كما ذكر يحيى بن المطهر ، ولم يطلع على مادار بينه وبين ابن بُشَيْرٍ من مكاتبة .

وفي ديوان يحيى أيضاً أنه طُلب منه جواب المكاتبة الواردة إلى المقام المنصوري مع الوفد ، وكأنه هو الذي يتولى كتابة الأجوبة الصادرة من ذالك المقام ، وقال عن الرسالة الواردة من الوفد : وهذا لفظها نقلاً من النسخة الواصلة إلى شريف الحضرة وهي باقية لدي ــ كذا قال . وقد أوردها بهذا النص المؤرخ ابن جَحّاف كما أورد الاثنان القصيدة التي بعدها ــ

إن أبهى مارقمته رؤوسُ الأقلام ، وأبْهَرَ ما ولدته نتائج الأفهام ، وأسنا ماتوشحت به عواطل الطروس ، فكان بمنزلة التّيجان من الرؤوس ، سلام يتنفس من أرجائِه نفائِس الروايح ، ويشدو بعذب ألفاظه كُلّ غاد ورائح ، سَوْحَ عِزّ الملة والدّين ، علي ابن العباس أمير المؤمنين المرقوم باسمه ــ أعلاه .

وبعد أبان الله لنا ولك معالم التحقيق ، وسلك بنا وبك سبيل السعادة والتوفيق ــ لايخفى على جنابك الشريف ، وقدرك العالي المنيف ، ماأوجب السير إلى هذه البلاد ، وتلقّي هول مالا يُسْتطّاعُ من المشقات والأنكاد ، من السّعْيِ في إصلاح هذا العالم الضعيف ، وإنقاذهم من دَركات المظالم والتخويف ، وما يصحبه من إصلاح ذات البين ، ورفع ماعلى أفئدتهم من الرّيْن ، حسبما صدر إلينا من حضرة جنابك الحسيب ، ومن بحبوحة رَحْبك الخصيب ، من وصول الجمال علي بن محمد الكَبْسي(١) المراجل ، وفقنا الله وإياكم طرق الرشاد ، وأمدنا بفواتح الإلطاف والإسعاد ، فحال من دون ذالك حائل أوجب التمثل بقول القائل :

أبَىٰ دهرنا إسعافَنَا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونكرم
فقلت له: نعماك فينا أتِمَّها ودَعْ غيْرَنا إنّ الأهم المقدم

فالمطلوب منكم الإسعاف فيما أردناه ، والتحيل في دخولنا لبذل ماقصدناه ، فإنا والله في أبْأس مكان ، وعند أخَسِّ جيران ، قد ضاق منا الذرع والفِنَا ، وأدركنا النَّصب والعنا ، فلم يَحْلُ لنا منام ، ولم يَعْذُبْ لنا شرابٌ ولا طعام ، مع مانحن فيه من الإلْفِ إلى الوطن ، وتذكر من هناك قد سكن ، فإن لم يحصل لنا الإسعاف فيما ذكرناه ، فليرجع إلينا الخبر ، ونرجع مع الأثر الذي قد أثرناه ، فإنّا لم نقدم لغير ذلك . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وهذا ماأنشده لسان المقال بعد مشاهدة ماغيَّر قشيب البال :

مَابالرَّزَايا ومَـابِالنَّـأْيِ مِنْ بَاسِ … إذَا صَفَا لَكَ ماتَهْوَى مِنَ النَّاسِ
وطَابَ عَيْشُكَ في أَمْنٍ وفي دَعَةٍ … وَدِيْـرَ بَينَكَ والخِلاَّنِ بـأَلكَـاسِ
وَلَمْ يَحُلْ دُونَ ما يَمَّمْتَ دَاهِيَـةٌ … مَتَى تُجَـاوِزُهَا مِنْ شِـدَّةِ الْبَاسِ
وَقَدْ قَضَى الله في صَنْعَا بِأَقْضِيَةٍ … يَقْضِي اَلعَجَائِبَ مِنْهَا كُلُّ مِكْيَاسِ
جاءَتْ بَكَيْلٍ فَحَطَّتْ في جَوَانِبِهَا … واسْتَوْثَقَتْ في نَواحِيْهَـا بِحُرَّاسِ
وقَطعَتْ سُبُلَ السَّاعِينَ واتَّخَذَتْ … مِنْ بَغْيِهَـا كُلَّ جَبَّـاءٍ ومَكَّاسِ
ظُلْماً وبَغْياً وعُدْوَاناً بِلاَ سَبَبٍ … رَمَـاهُمُ الله بِـالضَّرَّاءِ وَالْبَـاسِ
وَزَادَ مسابِهِمْ غَيْـظاً لِغَيْـظِهِـمُ … وُصُـولُنَـا لِجَنَـابٍ مِنْـكَ مَيَّاسِ
نَتْلُو اَلحَنِيفِيَّةَ السَّمْحَا إلى جِهَـةٍ … قَدْ أَطْلَعَ الدَّهْرُ فيْهَا كُلَّ أَنْحَاسِ
وَفْدُ اَلإمَامِ الَّذِي خَاضَتْ صَواعِقُهُ … صُدُورَ كُلِّ شَرِيْفٍ كَابْنِ عَبَّاسِ
سَعْدُ السُّعُودِ سَعُودُ المُرْتَضَى فلك الـ … ـعَليا إلى فَلَكٍ مِنْ غَيْرِ إمْرَاسِ
صَعْبُ اَلبَـدِيْهَةِ لاتَكْبُـو قَوَادِحُـهُ … عِنْدَ اَلخِطَابِ ولايُعْنَى بِـوِسْوَاسِ
ضَخْمُ الدَّسِيْعَةِ قَدْ عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ … شَرْقاً وغَرْباً واغنَتْ كُلَّ مِفْلاَسِ
مَاالبَحْرُ والقَطْرُ إلاَّ مِنْ فَضَائِلِهِ … قَدْ كُوِّنا وهو بَحْرٌ غير مِقْيَاسِ
كَالشَّمْسِ عَمَّ ضِيَاهُ كلَّ نَاحِيَةٍ … مِنَ اَلبِـلاَدِ مُقِيماً غَيْرَ خَنَّاسِ
تَرَى اَلعُفَاةَ بِـأَرْجَا دارِهِ حِلَقـاً … مِنْ كُلِّ قُطْرٍ حِذاهُمْ قَاتِمُ اَلبَاسِ
فَـيرحَـلون بِمَـنٍّ لا أَذَاءَ بِـهِ … مِنَ الرَّغَائِبِ في أَمْنٍ وإِيْنَـاسِ
مَا بِالغَضَنْفَرِ مِنْ بَأْسٍ كَنَجْدَتِهِ … يَـوْمَ اَلهِيَاجِ أبِيٌّ غَـيْرُ مِشْمَـاسِ
أعدَا الزمانَ عَلَى أَبْنَـائِهِ حَـرَباً … وقـادهم بِصَفَا قَلْبٍ وإحْسَـاسِ
ذلت أكَـاسِـرَةُ الـدُّنْيَـا لِهَيْبَتِـهِ … واَقْبَلَتْ نَحْوه سَعْياً على الرَّاسِ
جَاءَ الجَمَالُ (عَـلِيٌّ) طَالِبـاً ثِقَةً … فَـاسْتَعْـدُوهُ بِـأَمْنٍ غَـيْرِ مِتْعَـاسِ
فِيـهِ السَّلاَمَـةُ والإِنْعَامُ لِلضُّعَفَـا … وللرَّعايَا وللمنصـورِ ذِي اَلبَاسِ
الهَاشِمِيُّ أبي اَلأمْلاَكِ مَنْ شَهِدَتْ … كُلُّ الأنام بعَدْلٍ مِنْهُ في النَّاسِ
الفَـاطِمِيُّ كريم المحتـدى نَسَبـاً … أَطَـاعَـهُ كُـلُّ قَـوَّادٍ وَسَـوَّاسِ
مَنْ كَانَ في يَمَنِ الدُّنْيَا لَهُ رَهَجٌ … ودَوْلَـةٌ تَسْتَذِلُّ الصَّعْبَ بِـاَلقَاسِي

مـاسادَ أبنـاءَ صَنْعـا مِثْلَهُ مَلِكٌ ولا تُـلِنْ خَـبَرٌ عَنْهُ بِقِـرْطَـاسِ
يُعْطِي الرَّغَائِبَ مِنْ قَبْلِ السُّؤالِ لَهُ ويَسْتَفِيـدُ ثَنَاءَ النَّـاسِ بـالْيَـاسِ
عَـلَّ الإمَامَ يَـرَى أَحْوالَنَـا فَإذَا يَثْنِي الْعِنَانَ فَيُهْدِي طِيْبَ أنفاسِ
فـإنَّنَا في (شبـام) بِئْسَ مَنْـزِلَـةً كُنَّا بِهَا حِلْفَ إبْلاسٍ وإفْلاسِ
لاَنَسْتَطِيعُ خُـرُوجاً مِنْ دُوَيْـرَتِنَا كَأَنَّمَا نَحْنُ فِي مِسْجَـانِ حَبَّاسِ
لاَنَسْتَضِيءُ بِنُـورٍ نَسْتَرِيـحُ بِـهِ ولا تُـرَوِّحُنَـا رِيـحٌ بِنَسْنَـاسِ
فـعـل مضـارع لاسِـيِنٌ تَنْفُسُـهُ ولا يُسَوِّفُ من (سَوف) بِإبْلاسِ
فَيُرْسِـلُ الْجُنْـدَ تَحْمِينا وتَمْنَعُنَـا مِنْ شَرِّ كُلِّ عَدُوٍّ فَاجِرٍ قـاسِي
ثُمَّ الصَّلاةُ علَى الْمُخْتارِ سَيِّدِنَـا مَاحَنَّ رَعْدٌ بِتَـرْحَابٍ وإنْبَجَـاسِ

وأورد السيد يحيى بن المطهر قصيدة من نظمه في الرد على هذه القصيدة مطلعها :

أَمَّا الرَّزَايا فَفِي أَخْلَاقِ نَسْنَاسٍ يَدْعُو إلى الشعر والتهويس والْبَاسِ
ضَلَّ الَّذِي قَالَ فِي أَبْيَاتِهِ حَنَقاً : (مابِالرَّزَايَا ومَا بِالنَّأيِ مِنْ بَاسِ)

وأشار إلى أن الكتاب الذي بعثه الوفد وصل إلى الإمام المنصور ، وكان الوفد في شبام كوكبان تحيروا بسبب انحطاط البغاة على أبواب صنعاء وصادف ذالك أيام الموسم ، وذالك في شهر شوال سنة ١٢٢٢ . كذا قال .

وساق بعدها كتاباً مطولاً من إنشائه تعرض فيه للنيل من القائمين بنشر الدعوة السلفية ، وأشار إلى بعض المشاهير كعثمان المضايفي وأتى باشياء يتكرر ذكرها في كلام أعداء تلك الدعوة .

ومع مابين أديبنا عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر وبين الشاعر اليمني السيد يحيى بن المطهر من مساجلة شعرية إلا أنهما كانا على درجة من التصافي والتواصل ، فقد ذكر السيد يحيى بأن العلامة السيد ابراهيم بن محمد بن اسحاق دَعَا إلى اجتماع مُفْرِحٍ في بيته بعض أصدقائه ، ودعَا الوفد في الجملة ، فطلب من السيد يحيى مرافقة الوفد ، ولكنه اشترط أمراً فلم يتم ، فوجه اعتذاراً في أبيات من الرجز قال فيها :

من نوادر المخطوطات :

كتاب في تاريخ مكة

وحين مررت بمدينة اصطنبول في شهر المحرم ١٤٠٦ عَرَّجْتُ على خزانة الكتب السليمانية من قبيل قول الشاعر :

وذُو الشَّوْقِ القديمِ وإنْ تَسَلَّ مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا

فأنا لا أتمتع بجهد وبقوة نظر وبجلد وصبر مِمَّا يمكنني من مطالعة شيء من الكتب المخطوطة ولكن هكذا كان .

انهي سلاما رائقا على الجميع سرمدا خصوصا الوجيه ثم الفخر ثم أحمدا

وهو يقصد عبدالرحمن بن حسن وعبدالله بن المبارك وثالثاً لم يتضح اسمه في مخطوطة الديوان ، قال فانتدب للجواب ممن شمله ذالك الجناب العارف عبدالله بن مبارك الأَحْسَائي الوافد ، ثم أورد جوابه وأوله :

أرسَلْت لِي متعذِراً مُشَرَّفاً منضَّدَا باللؤلؤ الرطب وما أحسنه مقلدا
مالسحر إلا منه قد نشا وقد تولدا العذر مقبول وإن أخلفت فيه الموعدا

في أبيات من هذا النمط ، تتضمن الثناء على السيد يحيى ، الذي قال في الجواب من مقطوعة : ـ

ياابن المبارك نظمك العذب يشفي الصدا
ياابن المبارك إنه في الحسن فاق العسجدا

وأورد بعده : ولعبد الله بن المبارك الأحسائي ملغزاً وأرسله إلي :

يَاعَلَمَ الْعَصْرِ ماحَرْفٌ تَجَرَّدَ عَنْ اسْمٍ فصار يُحَاكِي الفِعْلَ في العمل؟
فإنّي مِنْهُ فِي شُغْلٍ وقَدْ نَضَبَتْ قَرِيْحَتِي عَنْ تَوخي ذَالِكَ الْمَثَلِ

قال : فأجاب الكاتب وأورد جواباً لم يتضح منه المعنى .

(للحديث صلة) حمد الجاسر

فكان مما رأيت في فهرس مكتبة (لا له لي) رقم (٢٠١١) كتاب «تاريخ مكة» فطلبت الكتاب فقرأت في طُرّته : هذا تاريخ مكة للشيخ شهاب الدين القليوبي نفعنا الله به آمين . ثم قرأت المقدمة (ص ٢) بعد البسملة والاستعانة : الحمد لله الذي خلق الانسان في أحسن تقويم ، وفضّله على جميع مخلوقاته وهداه السبيل القويم ، وجعل الكعبة البيت الحرامَ قِيَاماً للناس في الحديث والقديم ، وفَضّلَ المدينةَ الشريفة بصاحبها عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وعلى آله وأصحابه معادن الدّراية والتعليم ، صلاة وسلاماً دائمين مُوصِلَينِ إلى جنات النعيم . أما بعد فهذه نبذة لطيفة ، مشتملة على مباحث شريفة ، لايستغنى عن معرفتها الفاضل ، ولايصبر على الجهل بها العاقل ، قد حوت مقاصد الحجاز ومعالمه ، مرتبة على مقدمة وبابين وخاتمة ، والمقدمة فيما يتعلق بحدود الحجاز ومحله ونحو ذالك ، والباب الأول فيما يتعلق بالبيت الشريف ، والمسجد المنيف ، ومكة المشرفة ومايناسب ذالك ، وفيه خمسة أبحاث : الأول في ذكر شيء مما يدلُّ على فضل ما ذكر ، وعلى مَحَالِّ الإجابة فيه ونحو ذالك .

البحث الثاني في بناء المسجد الحرام ومايتعلق به .

البحث الثالث في بناء البيت الشريف وما يتعلق به .

البحث الرابع في حدود البيت الشريف ، والمسجد المنيف ، وأبوابه وأساطينه وقببه وطواجنه ومُصَلّياته وشرافاته ومنائره وهيئته التي هو عليها الآن ومايناسب ذالك .

البحث الخامس في ذكر أبواب مكة وحدودها ، والمواقف والمواقيت ومايناسب ذالك .

والباب الثاني فيما يتعلق بالمدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وفيه ثمانية أبحاث :

البحث الأول في ذكر شيء مما يدل على فضلها وفي تحديد حرمها .

البحث الثاني في بناء مسْجِدِها الشريف في زمنه ﷺ وحدوده ، والروضة

الشريفة ، والمنبر ونحو ذالك .

البحث الثالث في زيارة مسجده الشريف وبنائه بعده ، وذكر أساطينه وهيئته التي هو عليها الآن ومايناسب ذالك .

البحث الرابع في ذكر مساجدها وغيرها من المأثور وغيره .

البحث الخامس في ذكر المشاهد والمقابر والمشهورة بإجابة الدعاء ومايناسب ذالك .

البحث السادس في ذكر الأَحْمَاءِ والأودية والعيون المأثورة وغيرها .

البحث السابع في ذكر الآبار فيها وغيرها من المأثورة وغيرها .

البحث الثامن في ضبط أسماء أماكن كثيرة من الحرمين وغيرهما من بقية الحجاز .

والخاتمة في ذكر شيءٍ مما يتعلق بالقدس الشريف .

والله أسأل أن ينفع بها أولي الألباب ، ويسهل منها الصعاب .

وفي الصفحة الأولى من الورقة الخامسة والخمسين بعد ذكر زيارة الحرم النبوي : وهذا آخر ماأردنا إيراده على سبيل الاختصار . . . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم على يد كاتبه الفقير لمولاه الغني عبدالسلام ابن المرحوم حسن بن علي بن خالد الجعفري عامله الله بلطفه الخفي .

ولم يذكر تاريخاً .

ويقع الكتاب في خمس وخمسين ورقة ، المكتوب من صفحاتها مئة وتسعٌ ، منها طرة الكتاب وفي الصفحة ستة وعشرون سطراً .

ويظهر أن المؤلف من أهل القرن العاشر لأنه ذكر أن السلطان مراداً أَتَمَّ عمارة المسجد الحرام سنة تسع مئة وأربع وثمانين ، ولما ذكر بناء الحجاج للكعبة قال : فهذا ماعليه البيت الآن . فهو لم يدرك البناء الأخير الذي تم في القرن الحادي عشر .

ويظهر أنه نقل في تعريف بعض المواضع عن أَحَدِ مؤلفات السمهودي ، لأنه ذكر ان جبل جِلْيَتَ في حِمَى فَيْد (الورقة الـ ٤٣)، والسمهودي في كتابه «وفاء الوفاء» خلط بين المواضع الواقعة في حِمَى فَيْدَ والمواضع الواقعة في حِمَى ضَرِيَّة ، لأنه نقل فيها يظهر عن نسخة من «نوادر الهجري» ليست مرتبة الصفحات .

ومن غريب ماقرأته في هذا الكتاب قوله عن حمى فيد (الورقة الـ ٣٦): وفيه عيون أربعة(؟) عين أبي الديلم ، وهي الموجودة الآن ، وقيل : إنها أول عين حُفِرَتْ في الإسلام ، وعين الحاق(؟) بحصنه للمنصور ، وعين النخل حفرها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وعين المهدي ، وقد دثرت هذه الثلاثة ، على ماقيل .

وقوله في الورقة الـ ٤٣ : ومنها كاظمة ــ بالمشالة ــ اسم عين عند قبور الشهداء عند جبل أحد .

ومنها قوله في الورقة الـ ٤٢ عن زَرُود : موضع بين المدينة الشريفة والربذة ، على نحو عشرين ميلاً من الربذة قريب من الأبرق . كذا قال .

وزرود الموضع المشهور في الدهناء .

والكتاب كثير التحريف ، ومن أمثلته : بَوْلاَ وهو في البقيع (الورقة الـ ١٤).

ومعروف أن بولاَ عين في ينبع لا البقيع .

وفي الكتاب رسم للحرم المكي ، وفي وسطه الكعبة المشرفة ، وقد ذكرت أبواب الحرم في كل جهة من جهاته ، والرسم في الصفحة الثانية من الورقة الثانية والعشرين .

«الفصيح» لابن قتيبة

وفي هذه المكتبة برقم (١٩١٢م) كتاب ورد في طرته مانصه : كتاب تقويم اللسان وهو كتاب الفصيح تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدينوري .

ثم أول الكتاب بعد البسملة : الحمد لله عارفِينَ قَدْرَهَ ، ومتبعين أمره ، وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وأنبيائه عامة .

لم يفت العلماء معنى من أدب أنْ قربوه إذا بعد ، وقيدُّوهُ إذا شرد ، حتى كَفَوُا المتعلم مؤونة الطلب ، وأغنوه بإحراز ذالك عن التعب .

وإناَّ ألَّفنا كتابا أمَّلْنَا فيه تقويمَ عوج اللسان ، وإظهارَ ماخفي من البيان ، ولخصنا ذالك بالمختصر من الأبواب ، والله الموفق للصواب .

باب فَعَلت ــ بفتح العين ــ يقال : حَرَصْتُ على فلانٍ أحْرِصُ ، ونَقَمْتُ عليه أنِقْمُ ــ واستمر الكلام .

وفي الورقة الثامنة والستين ــ فروق في الأرواث .

وفي الورقة التاسعة والستين ــ أصوات السباع .

وآخر الكتاب : وحَفِيف الرَّحا صوتها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

تَمَّ الكتاب بحمد الله وعونه يوم الجمعة وقت الأذان رابع عشر جماد أول(؟) سنة ألف ومائة وإحدى عشر هجرية على يد الفقير يوسف الشهير بابن الوكيل غفر الله له ولوالديه آمين .

يقع الكتاب في سبعين ورقة والصفحات المكتوبة مئة وستة وثلاثون ، في الأولى طرة الكتاب ، وفي الأخيرة بضعة أسطر ، الصفحة فيها تسعة عشر سطراً بخط النسخ ، وبعض الكلمات مشكل ، والكتابة ليست متقنة .

«المشترك وضعا المختلف صقعا»

وتحت رقم (١٠٢٥) في المكتبة المذكورة كتاب جاء في طرته : كتاب «منتخب كتاب المشترك وضعا المختلف صقعا» تأليف الحسن بن محمد بن محمد البكري .

ثم في الصفحة الثانية بعد البسملة والاستعانة : قال الحافظ صدر الدين

الحسن بن محمد البكري التيمي من خطه نقلت : الحمد لله وحده ، أما بعد فهذا منتخب كتابي(؟) المشترك وضعا المختلف صقعا تأليف الشهاب ياقوت الحموي ، اختصر من كتابه الكبير المسمى «معجم البلدان» ، ذكرت أسماء الأماكن فما اعجبني شرح ذكره ذكرته من أسماء البلاد التي خرج منها أئمة الحديث ، أو في ذكر شرحها أو ذكرها فائدة غير التعريف بها ، وأذكره مرتبا على الحروف ، وإذا كانت الترجمة كاملة أعلمت عليها صورة (كـ) .

باب الألف كتاب الهمزة باب آبل . واستمر الكلام .

وآخر الكتاب : قُلْتُ : وبحلب باب اليهود محلة عظيمة ، سكنها أناس من أهل العلم .

آخر الكتاب : والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، قال مؤلفه ومن خطه نقلت : انتخبته من نسخة كانت ملكي بخط مؤلفها الشهاب الحموي رحمه الله وانتقلت إلى القاضي الأشرف ولد القاضي الفاضل ، ولم أترك من التراجم شيئاً ، غير أني اختصرت بعض كلامه واستشهاده وما لا فائدة فيه عندي في ذكره من بعض الأماكن وصفتها ، وكل ماعليه علامة (كـ) فهو كامل الأصل ، ومافيه علامة (صح) فقد رأيته من البلدان والقرى ، وكتبه الحسن بن محمد بن محمد البكري التيم (كذا) في العاشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وستمائة(؟) بالقاهرة في الكرة التاسعة(؟) هذا وقد نجزت ولله الحمد يوم الخميس الخامس عشر من محرم الحرام سنة ألف ومائة وستين والحمد لله أولاً وأخراً .

وفي الهامش : بلغ مقابلته على الأصل المنقول منه بحسب الطاقة والكمال لله وحده .

ويقع هذا الكتاب في سبع وستين ورقة من القطع الصغير والكتابة ليست متقنة .

وصف مكة والمدينة وبيت المقدس

ليس لمحمد بن أبي بكر التلمساني من أهل القرن السابع
ولعله لسعيد بن محمد البلدي الاندلسي (٣٢٨/٣٩٧هـ)

كنت نشرت سنة ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) في «العرب» س ٨ ص ٣٢٤ رسالةً في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس ، يوجد أصلها المخطوط في خزانة كتب (دير الاسكوريال) في اسبانيا في مجموع رقمه ٤٠٤ جاء في طرتها أبيات لمحمد بن أبي بكر التلمساني الأنصاري لا صلة لها بالرسالة إلا بكتابتها في طرتها ، ومع أن صاحب الرسالة قد شاهد ماوصف من المشاعر والآثار، وناظم تلك الأبيات يتشوق إلى مشاهدتها ويتمنى ذالك ، ففي هذا مايفهم منه أن الناظم ليس مولف الرسالة ، إلا أن (بروكلمان) في كتابه (٨٨١ الملحق) نسبها له .

وقد أوضحت في مقدمة تلك الرسالة ــ مما ظهر لي من قراءتها ــ أن مؤلفها من أهل القرن الرابع الهجري ، وأنه قدم مكة بين سنتي ٣٠٨ و ٣٨٤ ــ على وجه التقريب ــ وانه من أهل المغرب الأقصى ، ذو مقام ومنزلة في عصره .

وقلت بعد تفصيل ماسبق إجماله : وليس في كل ماتقدم مايمنع من كون مؤلف الرسالة هو محمد بن أبي بكر التلمساني الأنصاري ، كما ذكر (بروكلمان) وقبله مفهرس كتب خزانة (دير الاسكوريال) ولم أستطع معرفة شيء عن محمد هذا ، وأبديت أسفي لعدم اطلاعي على قصة ابراهيم عليه السلام الملحقة بتلك الرسالة لعلي أتبين في طواياها ما يلقي الضوء على جانب من حياة المؤلف الذي زار قبر ابراهيم عليه السلام كما يبدو من وصفه له .

وبعد نشرها بزمن وبعد أن نشر الدكتور كامل جميل العسلي كتابه «مخطوطات فضائل بيت المقدس» سنة ١٩٨١م نسبها ــ ص ٢٦ ــ لمحمد بن أبي بكر التلمساني من أهل القرن الرابع الهجري !!

ثم قدرت لي زيارة اسبانيا في صيف ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) .فكان من أهم ماعنيت به زيارة خزانة كتب (دير الاسكوريال) لكي أكمل البحث في المجموع

الذي نقلت عنه الرسالة التي نشرتها في مجلة «العرب» ولم أكن أعرف رقم المخطوط حين ذهبت إلى (دير الاسكوريال) ولهذا لم أَهْتَدِ إليه في أول يوم من أيام الزيارة، ومن حسن الحظ أنني وجدت كتابي «رحلات ـ للبحث عن التراث» وفيه تحديد تاريخ زيارة تلك الخزانة وهو يوم الاثنين ٢ رجب ١٣٩٣هـ (١٢/٨/١٩٧٣م)، وعندما عدت في اليوم الثاني، أوضحت للموظف تاريخ ذالك اليوم الذي صورت فيه الرسالة، فأخرج سجل الزيارات، فوجد فيه أسماء الكتب التي طالعتها في ذالك اليوم بأرقامها مذكورة، ومن بينها المجموع الذي يحوي الرسالة ورقمه (٤٠٤) فأحضره لي، وكان علي أن أتناوله بالدراسة لأعرف مكانة محمد بن أبي بكر التلمساني في هذا المجموع وهل كان مؤلفاً أو ناسخاً، وها هو ما يحويه المجموع:

١ ـ منهاج المناقب، ومعراج الحسب الثاقب، في نسب رسول الله ﷺ، وما انتظم به من مناقب أصحابه رضي الله عنهم ـ نظم الفقيه المحدث الكاتب أبي عبدالله محمد بن أبي الخصال الغافقي ـ رضي الله عنه ـ.

في تسع ورقات.

ثم بخط مغاير لكتابة ذالك الكتاب: ـ [ملك للعبدة الفقيرة إلى الله تعالى المذنبة، الراجية عفو الله وكرمه، المستجيرة من عذابه ونقمه، سارة ابنة أحمد بن عثمان بن علي الصوفي النسابي، المعروف بابن الصلاح، غفر الله لها ولوالديها، ولمن قرأ فيه، ودعا لها بالعفو والمغفرة، استنسخته في جزيرة مانُرْقَة كلاها الله وحرسها]. هذا في طرة المجموع بعد اسم الكتاب الأول.

وكتاب «منهاج المناقب» قصيدة بائية تقع في تسع ورقات، آخرها:

يَزُوركَ عنْ شَحْطِ الديار مُسَلِّماً ويلقـاك بـالإخـلاص لَمْ يَتَنَكَّبِ

آخر القصيدة والحمد لله كثيراً. وخطها بيده العبد الفقير إلى الله تعالى الغني به محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن موسى الأنصاري التلمساني، وفرغ منها يوم الخميس الحادي عشر من شهر ذي الحجة آخر سنة ست وستين وستمائه بثغر مَنُرْقَة كَلَاها الله.

٢ ــ شعر الفقيه الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الألبيري ، رضي الله عنه .

وهذا الشعر يقع في ثلاث وعشرين ورقة ــ وآخره : انتهى المجموع من شعر الفقيه الزاهد أبي إسحاق ، وكتب عبدالله الفقير إليه سبحانه حكم بن يوسف بن علي بن حكم البلنسي ــ وفقه الله ــ بثغر منرقة ــ كلاها الله ــ في منتصف ذي الحجة سنة ست وسبعين وستمائة .

٣ ــ جزء فيه ذكر وصف مكة شرفها الله وعظمها .

وذكر وصف المدينة الطيبة كرمها الله .

وذكر وصف بيت المقدس المبارك ماحوله ، بلغ الله إلى جميعها كُلّ مشتاق إليها بمنه وكرمه ــ آمين .

قال محمد بن أبي بكر التلمساني الأنصاري بلغه الله مانوى ــ ثم الأبيات ــ وبعدها [٣٣ب بعد البسملة والصلاة على محمد وآله]: الحمد لله الذي لا يضيع من توكل عليه . إلى آخر ما هو منشور في مجلة «العرب» ، وآخره «في الورقة الـ ٥١ب]: وجبل طور سَيْنا بقبلي مسجد بيت المقدس مع عين سلوان .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً ، على يد العبد الفقير إلى الله تعالى حكم بن يوسف بن علي بن حكم البلنسي تغمده الله بفضله ، وكتبه بثغر منرقة ، حاطه الله ، في أواسط ذي الحجة سنة ست وسبعين وستمائة .

ويقع الجزء في ١٩ ورقة ــ من ٣٣ إلى ٥١ من المجموع .

٤ ــ بدون عنوان وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله :

باب قول ابراهيم عليه السلام : إني سقيم ، و: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هذا ، وفي سارة : هي أختي . ذكر مسلم بن الحجاج في صحيحه ــ ثم سياق سند مسلم مع نقول تتعلق بالموضوع بعدها :

في ذكر هاجر خادم سارة وهي أم اسماعيل ، قال النسائي ثم إيراد روايات من سنن النسائي ، وبعدها أخبار من كتاب «المعارف» لابن قتيبة ، ثم (قصة حسنة من صحيح التاريخ) تتعلق بيعقوب لما حملت به أمه ــ في أربع صفحات ، بعدها نصوص وأخبار من كتاب «المعارف» لابن قتيبة ، ثم النهاية هكذا : (انتهى التقييد المفيد النافع في الدين والدنيا ، وفرغ من تقييده العبد الفقير إلى الله ، الغني به ، محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن موسى الأنصاري التلمساني ، في عشي يوم الأحد الحادي والعشرين لذي حجة من سنة ست وستين وستمائة).

في تسع ورقات ــ من ٥١ إلى ٦٠ ــ .

٥ ــ القصائد العشرينيات ، في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الطيبين وسلم تسليماً ــ صنعة الشيخ الفقيه الجليل الزاهد أبي زيد عبدالرحمن بن بخلفتن بن أحمد القازازي . . .

في ٢٦ ورقة ــ من الورقة الـ ٦٠ إلى ٨٦ ــ وليس في آخرها ذكر الناسخ ولا تاريخ النسخ ، ولم أُعْنَ بنقلِ شيءٍ من هذه القصائد ، إذْ غايتي التثبت من نسبة الرسالة المتعلقة بوصف المدينتين الكريمتين وبيت المقدس إلى محمد بن أبي بكر التلمساني ، وذالك باستقراء ماحواه هذا المجموع ، فكان أن تحققت ــ بطريقة لايتطرق إليها الشك ــ أنَّ التلمساني هذا ليس سوى ناسخ لاثنتين مما يضم هذا المجموع من الرسائل هما الأولى التي فرغ من نسخها في اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة ست وستين وست مئة ، والرابعة التي أرخ نسخها بعد الأولى بعشرة أيام فقط . وبعد عشر سنوات كتب على طرة الرسالة التي نسبت إليه خطأً الشعر الذي يتشوق به لزيارة الأماكن الموصوفة في تلك الرسالة ، وكان مما دفع مفهرس كتب خزانة (دير الاسكوريال) ثم (بروكلمان) لنسبتها إليه ، وعلى ذالك سار من جاء بعدهما ، وكِدتُ أن أقع في هذا الخطإ حين قلت ــ «العرب» س ٨ ص ٣٣٠ ــ بعد أن استعرضت نصوصاً تدل على زمن مؤلف الرسالة وأنه النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وذالك قبل أن أَتَثَبَّتَ من زمن محمد بن أبي بكر التلمساني ــ بل وقعت حين قلت : وليس في كل ماتقدم مايمنع من كون مؤلف الرسالة هو محمد بن أبي بكر التلمساني الذي نسبها إليه واضع فهرس مكتبة

الاسكوريال ، وعنه أخذ بروكلمان في كتابه ثم من جاء بعده .

أما الآن فقد اتضح لي أن التلمساني متأخر عن عهد مؤلف الرسالة بنحو ثلاثة قرون ، فقد كان موجوداً في النصف الأخير من القرن السابع ـ كما يدل على هذا تاريخه لكتابة الرسالتين اللتين تقدم ذكرهما ـ في شهر ذي الحجة سنة ست وستين وست مئة ، أما مؤلف الرسالة فقد أوردت نصوصاً من رسالته حين نشرتها أرى المناسبة تدعو إلى إعادة ذكرها :

١ ـ جاء في الورقة الـ ٤٣ ـ «العرب» ٣٤٦/٨ ـ مانصه : في باب كيف طلوع الشمس في مكة ـ: (ثم تزول فتهبط وتغرب على الجدار الغربي على آخره مما يلي الركن الشامي ، استدللت على ذالك بكوة في الدار التي كانت في بني جمح ، التي كان يسكن فيها قاسم ، عم جعفر أمير مكة).

هذا نص صريح على أن أمير مكة حين كان مؤلف الرسالة فيها هو جعفر ، فمن جعفر هذا ؟!

حين نستعرض أسماء أمراء مكة من أولهم إلى زمن نسخ الرسالة سنة ٦٦٦ ـ لانجد بينهم من يدعى جعفرا سوى جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وجعفر هذا تولى إمارة مكة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حين ملك المُعِزُّ العُبَيْدِيُّ مصرَ على ماذكر العصامي في كتابه «سمط النجوم العوالي» ١٩٥/٤ : (ثم وقعت الفتنة بين بني الحسن وبني جعفر ، وحصلت بينهم دماء ، وبعث المعز العبيدي من أصلح بينهم ، وتحمل ديات القتلى الفاضلة من مال المعز ، فَمُذْ مَلَكَ مِصْرَ بادر جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود ـ وكان بالمدينة ـ فملك مكة ، ودعا للمعز العُبَيدي ، فكتب له المعز بالولاية ، ثم مات جعفر بن الحسن فوليها بعده ابنه عيسى بن جعفر . . . . ودامت ولايته إلى أن مات سنة أربع وثمانين وثلاث مئة . .) انتهى ملخصاً .

واستقرار المُعز العُبيدي بمصر كان في رمضان سنة اثنتين وستين وثلاث مئة ، واقامة الدعوة له في الحرمين كانت في سنة ثلاث وستين وثلاث مئة ـ على ماذكر

صاحب «شذرات الذهب» ، على أن الأستاذ أحمد السباعي ـ رحمه الله ـ ذكر في كتاب «تاريخ مكة» ١/ ١٧٠ الطبعة الثانية نقلاً عن كتاب «اتعاظ الحنفاء» للمقريزي أنه ابتداء من عام ٣٥٨ كان يدعى في منبر مكة للخليفة الفاطمي ، وهذا أقرب من زمن ولاية جعفر إمارة مكة على ماجاء في «شفاء الغرام» للفاسي : ٢/ ١٩٣ ـ ففيه : وكان موت كافور سنة ٣٥٦ وقيل : في سنة ٣٥٧ فتكون ولاية جعفر في إحدى هاتين السنتين أو في سنة ٣٥٨ . انتهى .

ومهما يكن فإنَّ ولايته وقعت بين سنتي ٣٥٦ و ٣٨٤ ـ وهذا هو الزمن الذي في خلاله زار صاحب الرسالة تلك البلاد .

٢ ـ صرح صاحب الرسالة في الورقتين (الـ ٣٧ و ٤٠ ـ «العرب» ٨/ ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٢) بروايته عن الخزاعي فقال في (باب ارتفاع جدر البيت من داخله) : (وقد حدثني الخزاعي بمكة عن الأزرقي عن بعض رجاله أن إبراهيم الخليل إنَّما بنى البيت الحرام يوم بناه من ارتفاع تسعة أذرع غير مسقف) . وقال : (حدثني الخزاعي عن الأزرقي أن الوليد بن عبدالملك بعث بتلك الألواح من الشام) يعني ألواحاً داخل البيت مرخم بها جداره .

وقال في (باب صفة بئر زمزم وذرعها) : (وحدثني الخزاعي بمكة أنها غارت في سنة أربع وعشرين وثلاث مئة ، وعطلت أياماً ، وكانت تجم ليجتمع فيها الماء ، وحدثني أيضاً عن الأزرقي أنها جفت في بعض تلك السنين حتى أن رجلاً دخلها فصلى في قاعها ركعتين) .

فهذه نصوص صريحة في اجتماع مؤلف الرسالة بالخزاعي بمكة وسماعه منه ، وفي اثنين منها مايدل على أن الخزاعي يروي عن الأزرقي ـ وهو مؤرخ مكة المعروف ـ فمن هذا الخزاعي؟ وما هو زمنه؟

هناك خزاعيون ثلاثة لهم صلة بتاريخ مكة ، وبالأزرقي مؤرخها الذي عاش في القرن الثالث الهجري :

الأول : اسحاق بن أحمد بن اسحاق الخزاعي ، وهذا يروي عن الأزرقي مباشرة ، وله كتاب في فضائل مكة يرويه عنه محمد بن نافع بن أحمد بن اسحاق

الخزاعي ــ ولكن اسحاق هذا الراوي عن الأزرقي توفي سنة ٣٠٨ ــ فهو لم يدرك عهد أمير مكة جعفر المعاصر لمؤلف الرسالة ــ وانظر عن هذا «العقد الثمين» : ٢٩٠/٣ و«فهرست ابن خير» : ٢٨٠ .

الثاني : محمد بن اسحاق بن أحمد بن اسحاق الخزاعي ، وقد ذكر ابن ماكولا في كتاب «الاكمال» : ١٥٢/١ انه يروي عن الأزرقي في كتابه ، كما ذكر ذالك ابن خير في فهرسته ٢٧٩ .

الثالث : محمد بن نافع بن أحمد بن اسحاق الخزاعي ، يروي كتاب «أخبار مكة» للأزرقي بواسطة عم أبيه اسحاق بن أحمد المتقدم ذكره ــ انظر «أخبار مكة» : ٩٠/٢ ط مكة و«فهرست ابن خير» : ٢٧٩ .

وقد ترجم تقي الدين الفاسي محمداً هذا في «العقد الثمين» : ٣٧٩/٢ بما ملخصه : وكان محمد بن نافع هذا حياً في سنة خمسين وثلاث مئة ، وله تأليف في فضائل الكعبة ، لأن ياقوتا في «معجم البلدان» ــ لما تكلم عن بَلْدَةَ قال : وبَلْدَة أيضاً مدينة بالأندلس ، من أعمال رندة ، منها سعد بن محمد بن سعد الله بن يعقوب الأموي ، البلدي ، أبو عثمان ، رحل إلى المشرق سنة خمسين وثلاث مئة ، ولقي أبا بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيّ ، قرأ عليه جملة من تأليفه بمكة ، ولقي أبا الحسن بن نافع الخزاعي ، وقرأ عليه «فضائل الكعبة» من تأليفه . انتهى . قال الفاسي : وما علمت من حال الخزاعي سوى هذا . وفيما نقله الفاسي عن ياقوت مالا يتفق مع ماورد في مطبوعة «معجم البلدان» ونص مافيها : (بلدة : مدينة بالأندلس ، من أعمال رية ، وقيل : من أعمال قبرة ، منها أبو عثمان سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن يعقوب الأموي البلدي ، كان من الصالحين ، متقشفاً يلبس الصوف ، رحل إلى المشرق في سنة ٣٥٠ ودخل مكة في سنة ٣٥١ ، ولقي أبا بكر محمد بن الحسين الآجُرّي ، وقرأ عليه جملة من تأليفه ، ولقي أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ، قرأ عليه «فضائل الكعبة» من تأليفه ، وسمع بمصر الحسن بن رشيق ، وضمرة بن محمد الكناني وغيرهما ، وكان لقي بالقيروان عليَّ بن مسرور ، وتميمَ بنَ محمد ، قال ابن بشكوال : وكان مولده في سنة ٣٢٨ ومات سنة ٣٩٧ . انتهى مافي «معجم البلدان» وهو يتفق مع ماجاء في

كتاب «الصلة» لابن بشكوال : ١/٢٠٧ ، إلا أن ياقوتا اختصر مافيه وزاد ، وفي «الصلة» : ابن مسعود . لا : (ابن يعقوب).

من ترجمة الخزاعي هذا الذي يغلب على الظن أنه هو المذكور في الرسالة لاتفاق زمنه مع زمن أمير مكة جعفر ــ برز لنا جانب ذُو صلةٍ بتلك الرسالة ، وهو أن ذالك العالم الأندلسي الذي نقل ياقوت ترجمته عن ابن بشكوال ، وذكر انه اجتمع بالخزاعي في مكة ، وروى عنه كتابه ــ ليس من المستبعد أن يكون مؤلف الرسالة .

حمد الجاسر

مااتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للامام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)
ـ ٤٦ ـ

٢٣٠ ــ بابُ جُوْرٍ ، وجُوَرٍ ، وجَوْزٍ ، وحَوْزٍ ، وحَوْرٍ ، وخُوْزٍ ، وخُوْرٍ[١]

أمّا الأوّلُ ــ بَعْدَ الجيم المَضْمُومَةِ واوٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ راءٌ ــ: جُوْرُ فَارِسَ مِنْ ناحِيَةِ شِيْرَازَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ الفرجِ الجُشَمِيُّ الجُوْرِيُّ ، حَدَّثَ عنْ زَكَرِيَّاء بْنِ يَحْيَى بنِ عُمَارَةَ[٢] .

وجُوْرُ نَيْسَابُورَ إِحْدَى مَحَالِّهَا ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحُسَيْنِ الجُورِيُّ ، كَانَ مِنَ العُبَّادِ وَغَيْرُهُ ، جَمَاعَةٌ ذكَرْنَاهُمْ فِي «الفَيْصَلِ»[٣] .

أمّا الثّاني ــ: بَعْدَ الجيم المَضْمُومَةِ وَاوٌ مَفْتُوحَةٌ ــ: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى إِصْبَهَانَ ، قَالَهُ لِيَ أَبُو مُوسَى الحَافِظُ ، قَالَ : خَرَجَ مِنْهَا رَجُلٌ كَانَ يَكْتُبُ مَعَنَا الحَدِيثَ وَلَمْ أَسْتَثْبِتِ اسْمَهُ[٤] .

وأمّا الثّالِثُ ــ: الجِيْمُ المَفْتُوحَةُ ، والوَاوُ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا زَايٌ ــ: اسْمٌ لِلْحِجَازِ كُلِّهِ ، يُقَالُ لِأَهْلِهِ جَوْزِيٌّ[٥].

وأمَّا الرابع : ــ أوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَٱلبَاقِي نَحْوَ ٱلَّذِي قَبْلَهُ ــ: قَرْيَةٌ بِأَعْلا شَرْقِيِّ واسِطَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو ٱلكَرَمِ خَمِيسُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلحَوْزِيُّ ، سَمِعَ ٱلحَدِيثَ ٱلكَثِيرَ ، وخَرَّجَ ٱلأَمَالِي ، حَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ وَاسِطَ وَغَيْرُهُم(٦) .

وأمَّا ٱلخَامِسُ ــ: بِفَتْحِ ٱلحَاءِ ٱلمُهْمَلَةِ وآخِرُهُ رآءٌ ــ: مَاءٌ لِقُضَاعَةَ بِالشَّامِ(٧) .

وأمَّا السَّادِسُ ــ: أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ واوٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ زَايٌ ــ: شِعْبُ ٱلخُوزِ بِمَكَّةَ ، ويُقَالُ: شِعْبُ ٱلمُصْطَلِقِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ ٱلخُوزِيُّ المكيُّ ، حَدَّثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ وغَيْرِه ، ورَوَى عَنْهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَعِنْدَ شِعْبِ ٱلخُوزِ صُلِّيَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ ٱلمَنْصُورِ(٨) .

وأمَّا السابع ــ: أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ وآخِرُهُ رَاءٌ ــ: خَوْرُ الدَّيْبُلِ مِنْ نَاحِيَةِ السِّنْدِ ، وَجَّهَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ بنُ أَبِي ٱلعَاصِ أَخَاهُ الحَكَم فَفَتَحَهُ(٩) .

وَمَوْضِعٌ أيضاً نَجْدِيٌّ فِي دِيَارِ كِلَابٍ ، وفِي شِعْرِ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :

رَعَى السُّرَّةَ ٱلمِحْلَالَ مَابَيْنَ زَابِنٍ ... إِلَى ٱلخَوْرِ وَسْمِيَّ ٱلبُقُولِ ٱلمُدَيَّمَا(١٠)

وَقَالَ ٱلأَوْدِيُّ : ٱلخَوْرُ وَادٍ ، وزَابِنٌ : جَبَلٌ(١١) .

١ ــ عن نَصْرٍ فِي حرف الخاء : باب ٱلخَوْرِ ، وٱلخُوزِ ، وٱلجَوْزِ ، وٱلحَوْزِ ، وٱلحَوَرِ ، وٱلجُوْرِ ، وٱلجَوْنِ .

٢ ــ قال نَصرٌ : أمَّا بِضَمِّ الجيمِ وآخِرُهُ رَاءٌ مُهْمَلَةٌ ــ: مِنْ مُدُنِ فَارِسَ ، كانَتْ فِي ٱلقَدِيمِ قَصَبَةَ تِلْكَ البِلَاد . انتهى .

وفي «معجم البلدان»: جُوْرٌ مَدِينَةٌ بفارس ، بينها وبين شيرازَ عشرون فَرْسَخاً .. مدينةٌ طَيِّبَةٌ نَزِهَةٌ ، وٱلعَجَمُ تُسَمِّيهَا كُور ، وكُورُ اسْمُ القَبْرِ بالفارسيَّةِ ، وكانَ عَضُدُ الدَّولةِ ابنُ بُوَيْهٍ يُكْثِرُ الخروجَ إليها للتَّنَزُّهِ ، فَيَقُولُون: (مِلِكِ بِكُور رفت) معناهُ: المَلِكُ ذَهَبَ إلى القَبْرِ ، فكَرِهَ ذالِكَ فسمَّاهُ (فيروز آباذ) ومعناه: أَتَمَّ دولَتَهُ ــ وأطال ياقوت الكلام على مَدِينة جُور ، وذَكَرَ أنَّ ٱلوَرْدَ ٱلجُورِيَّ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا ، وذكر ــ فيما نَقَلَ عن البَلَاذُرِيِّ ــ أنَّ عبدالله بن عامِرِ هو بن كُرَيز فتحها عَنْوَةً ، وعَدَّ كثِيرِينَ من ٱلمَنْسُوبِينَ إِلَيْهَا من العلماءِ . وذكر صاحبُ كتاب «بُلْدَانِ الخِلَافَةِ الشرقيَّةِ» ــ ٢٩١ ــ أن مدينةَ فَيْرُوز آباد كانَ يقالُ لها قديماً جُور ــ واورد بعض ماذكر ياقوت وغيره من مُتَقَدِّمِي العلماء عنها ، ووضع اسمها جنوب شيراز بقرب خط الطُّول ٥٢/٠٠° وخط العرض ٢٨/٥٠° ــ ومِمَّنْ ذَكَرَ ياقوتُ من المنسوبينَ إليها أحمدُ بن الفرج الجشميُّ وقبله ذكره السمعاني في «الأنساب» ولم يؤرخا زَمَنَهُ ، واكتفيا بذكر بعضِ مشايِخِهِ ومَنْ روى عنه .

٣ ــ لَمْ يذْكُرْ نَصرٌ جُورَ نَيْسَابُور ، وذكرها ياقوتُ في «المعجم» وذكر أبَا طاهِرٍ مِنَ المنسوبينَ إليها ، وأرَّخَ وفاته سنة ٣٥٣ ــ وفي مخطوطة (ب) من كتاب الحازمي : ــ بعد كلمةِ العُبَّاد : (المُتَهَجِّدِين) وكذا في «معجم

البلدان» . و«الفيصل» من مؤلفات الحازميّ — ورد ذكره في المقدمة .

٤ — جُوزُ — : لم يذكُرْها نصرٌ في الباب — وأوردَ ياقوت في «المعجم» كلامَ الحازميّ مختصراً مَنْسوباً إليه ، وفي (ب): . . . رجل كان يكتب . . . ولم أستَثبِتْ عَنْهُ اسْمَهُ . . .

٥ — هَذا نَصُّ كَلام نصْر . والجملة في «معجم البلدان»: ويقالُ لِلحِجازيّ جَوزيٌّ . ولكن قبلها: ألجَوْزُ . . . وفي كتاب هُذَيْلٍ : جِبالُ ألجَوْزِ أوْدِيةُ تِهامَة ، قالُوا ذالِك في تفسير قول مَعْقِل بن خُوَيْلِدٍ الهُذَليّ :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ وقَدْ بَلَغْنا ... جِبالَ ألجَوْزِ مِنْ بَلَدٍ تِهامِيّ

وقال عَبْدُ بنُ حَبِيبٍ الصَّاهِليُّ :

فَلا وَاللهِ لا يَنْجُو نَجاتِي ... غَداةَ ألجَوْزِ أصْخَمُ ذُو نُدُوبِ

قلتُ: أخْبرَني مَنْ أثِقُ بِهِ أنَّ جِبالَ السَّراةِ ألمُقارِبَةِ لِلطَّائِف ، وهي بلادُ هُذَيْل ، يُقالُ لَها ألجَوْز ، وَإليها تَنسُبُ ألأبْرادُ ألجَوْزِيَّة ، وهي وِزْراتٌ بِيضٌ ذات حَواشٍ يأتَزِرُونَ بِها . قال السُّكَّرِيُّ : ألجَوْزُ جِبالُ ناحِيَتِهم ، ويقال: ألجَوْزُ الحِجازُ كلُّهُ ، ويقال للحجازيِّ جَوْزِيّ ، ويُنْسَبُ الى هذه النِّسْبَةِ الفقيه أبو الحسين أحمدُ بن محمد بن جعفرٍ الجَوْزِيُّ ، يُعرف بابْن مِشْكارٍ ، يروي عن الحارث بن أبي أسامَة وابْنِ أبي الدُّنْيا وغيرهما — هذا بعض ماذكَرَ ياقوت في رسم ألجَوْز ، ولَعَلَّ القولَ بأنَّ جبال السراة تُسمَّى ألجَوْزَ أعْدَلُ من إطْلاقِ الاسمِ على الحجاز كُلِّهِ وعلى ذالك اقتصر البكريُّ إذ قال في «معجم مااستعجم»: جِبالُ ألجَوْزِ جِبالُ السَّراةِ . . وإيَّاها أرَدَ أعْشَى هَمْدَان :

أبِالجَوْزِ أمْ جَبَلَيْ طَيِّءٍ ... تُريدُونَ أمْ طَرَفَ المُنْقَلِ

وقال في شَرْحِ بَيْتِ مَعْقِلِ بن خُوَيْلِدٍ : يقول: صعِدْنا في السَّراةِ وهيَ تُنْبِتُ ألجَوْز . . والبيتان اللَّذانِ أوردهما ياقوتُ وَرَدَا في كتاب «شرح أشعار هُذَيْل» — ٧٧٢/٣٧٨ — ولم يَرِد فيه قولُ السكَّري مؤلفه — .

٦ — ألحَوْزُ — بفتح ألحاءِ المُهْمَلَةِ وآخرُهُ زايٌ — قال عنه نصرٌ: في دِيارِ بَني أسَد ، وفي وَاسِط ، ومواضِعُ . وقال ياقوت في «المعجم»: بعد ضبط الاسم —: وهي قريَةٌ شَرْقِيُّ مدينة واسِط قُبالَتَها . . ويُقالُ لَها حَوْزُ بُرْقَة ، يُنْسَبُ إليها . . خَمِيس بن علي ، وأطالَ الحديثَ عنه — وأرَّخَ سنة ولادَتِه ٤٤٧ — أو شعبان ٤٤٢ — ووفاته في شعبان سنة ٥١٠ وذكر بَعْضَ من رَوَى عنه وأضاف: وألحَوْزُ بأعْلَى بَعْقُوبا ، وذكر بعض ألمَنْسُوبِينَ إليها — ولم يذكُرْ غيْرَ هذَيْنِ الموضعين — .

٧ — حَوَرٌ — بِألحَاءِ ألمُهْمَلَةِ ألمَفْتُوحَةِ بَعْدَها وَاوٌ مَفْتُوحَةٌ أيْضاً ثُمَّ رَاءٌ — قال نصر: مِنَ المواضِع الحِجَازِيَّة ، وَمَاءٌ لِقُضاعَة بالشام . وقال ياقوت: حَوَرٌ — بالتَّحْرِيكِ — . . مَاءٌ بالبَادِيَةِ ، قالَ عَدِيُّ بنُ الرِّقاعِ :

بِشُبَيْكَةِ ألحَوَرِ التي غَرْبِيَّها ... فَقَدَتْ رُسُومُ حِياضِها وُرَّادَها

وأرَى هذا الموضع الذي ذكره ابن الرِّقاع في شِعْرِهِ هو ماعَناهُ نَصْرٌ ، لأنَّ أكثر المواضع الواردة في شِعْرِ ابن الرِّقاع في بلاد قَبِيلَتِهِ عَامِلَة ، وكانت تحل نَواحِيَ الشّام .

٨ — لم يَزِدِ ألحَازِميُّ على ماذَكَرَ نصرٌ سِوَى ذِكْرِ المَنْسُوبِ إلى ألخُوزِ — فقد قال نصر : وأمَّا بضَمِّ ألخاءِ وآخره زايٌ مُعْجَمَةٌ : شِعْبُ ألخُوزِ بمكة ، ويُقالُ له أيضاً شِعْبُ المُصْطَلِق ، هُناكَ صُلِّيَ عَلَى أبي جَعْفرٍ المنصور . انتهى . وكأن أصْلَ هذا الكلام من كتاب الفاكهي في تاريخ مكة ، فقد نقل عنه ياقوت: إنَّما سُمِّيَ شِعْبَ الخُوزِ لِأنَّ نافِعَ بنَ الخُوزيِّ مَوْلى عبدالرحمن بن نافع بن عبدالحارث ألخُزاعي نَزَلَهُ ، وكانَ أوَّلَ مَنْ بَنَى فِيهِ إلى آخر الكلام . ومثله في كتاب «اخبار مكة وماجاء فيها من الآثار» للأزرقي —: ٢٧٥/٢ — وفيه أيضاً: شعب ألخُوزِ يقال له خَيْفُ بني المصطلق ، مابين الثَّنِيَّةِ الَّتي بَيْنَ شِعْبِ الخُوز ، بأصلها بيوت

تاج العروس

وصدر الجزء الثالث والعشرون من كتاب «تاج العروس من جواهر القاموس» تأليف السيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي الذي تقوم وزارةُ الإعلام في دولة الكويت بإصداره ، وهو يحوي من المواد اللغوية من باب (الفاء) إلى فصل

سعيد بن عمر بن ابراهيم الخيبريّ وبين شِعْب بني كنانة إلى الثنية التي تَهْبِطُ على شِعْب عَمْرو ، الّذي فيه بِئْرُ ابن أبي سُمَيْر ، وإنَّما سُمِّيَ شِعْبُ الخوز أنّ قوماً من أهل مكة موالي لعبدالرحمن بن نافع الخزاعيّ كانوا تُجّاراً ، وكانتْ لهم دِقّةُ نظرٍ في التّجارة ، وتشدُّدٌ في الإمساكِ والضَّبْطِ لما في أيديهم ، فكان يُقال لهم الخُوز ، ومنهم نافعُ الخُوزيُّ ، وكانوا يسكُنونَ هَذا الشِّعْبَ فنُسِبَ إليهم ، وكانَ أوَّلَ مَنْ بنى فيه انتهى .
وقال ياقوتُ في «المعجم» : بلادُ خوزِسْتانَ يُقالُ لها الخُوز ، وأهلها يقال لهم الخُوز ، وذكر أن الأهواز كانَ اسمُها الأخواز ، وأطال في وَصْفِ الخُوز ، وذكرَ مِنَ المنسوبينَ إلى شِعْب الخُوز بمكّة إبراهيمَ بن يَزيد الخُوزيَّ – مولى عمر بن عبدالعزيز ، وأنه كان ضعيفاً ، حدَّث بمَناكيرَ كثيرةٍ . ويُفهَمُ من تحديد المُتقدِّمين من العلماء لِشِعْب الخُوز أنه يقع في بعْلاة مكّة في الأبْطح ، بقُرْب المَعابِدة التي كانتْ تُعرَفُ قديماً بخَيْف بني كِنانَة ، على أنه يُفهَمُ من قول الأزرقي أنَّ قَبْرَ أمير المؤمنين أبي جَعْفَرٍ – يعني المنصور – في أصْلِ الثَّنِيَّة أنَّ شِعْبَ الخُوز يقع بَيْنَ مقبَرَة الحُجُونِ وبَيْنَ المعابدة ، إذ الثَّنِيَّةُ التي ذكر الأزرقيُّ هي ثَنِيَّةُ كَداء التي عُرِفت أخيراً باسم الحُجُون – وانظر «شفاء الغرام» : ١/٢٩٦ و٣٠٩ – .

٩ – هذا من كَلام نصر ونَصُّهُ : أمّا بفتح الخاء وآخِرُهُ راءٌ مُهْمَلَةٌ : بَطْنٌ مِنَ الأرض بِنَجْد ، في دِيار كِلاب فيه الثُّمامُ ونَحْوُهُ ، وبَلَدٌ بالسِّنْد وَنَهْرٌ عَظِيمٌ عليه بُلْدانٌ ، ويُقالُ له خَورُ الدَّيْبُل ، وَجّه إليه عُثْمانُ بنُ أبي العاص أخاهُ الحَكَمَ فَفَتَحَهُ وذكر ياقوتُ أنّ خَوْرَ عند عرب السواحل كالخليج يَنِدُّ مِن البحر ، ونقل أن أصله هُور ، فعُرِّبَ فقيل خَوْر ، وقد أُضِيفَ إلى عِدّةِ مواضع – ذَكَرَ بَعْضَها وأضاف – : وكُلُّ ما على ساحِلِ البحْرِ من ذالِكَ فَهوَ خَوْرٌ ، إلاّ أنّها لَيْسَتْ بأعلام ، ومِمّا لَمْ أُشاهِدْهُ خَوْرُ الدَّيْبُلِ مِنْ ناحِيَةِ السِّنْدِ ، والدَّيْبُلُ مدينةٌ على ساحِلِ بَحْرِ الهِنْدِ ، وَوَجّهَ إليه عثمانُ – إلى آخر ماذكَرَ نصرٌ – وذَكرَ خَوْر فُكّان وقال : بُلَيْدٌ عَلَى ساحِلِ عُمانَ ، يَحُولُ بينه وبَيْنَ البَحْرِ الأعظم جَبَلٌ ، وبه نَخْلٌ وعيونٌ عذْبَة – إلى أن قال – : وفي بِلادِ العَرَبِ أيضاً موضعٌ يقالُ لَهُ الخَوْرُ بِأرضِ نَجْدٍ ، مِنْ ديار بني كِلاب ، وأوْرد بَيْتَ حُمَيْدٍ وقَوْلَ الأوْدِيِّ ، وأضاف : والخَوْرُ ساحِلُ حَرَض ، بِاليَمنِ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ زَبِيدَ خَمْسَةُ أيّام . انتهى .

١٠ – البَيْتُ في «ديوان حُمَيد بن ثَوْرٍ الهِلاليّ» – ١٢ – وهناك تَخْريجُهُ وذِكْرُ اختلافِ رِوايَتِهِ ، وقَدْ أوْرَدَهُ ياقوتُ شاهِداً على الموضع الذي في دِيارِ بني كِلاب ، وذكر البكريُّ في «معجم مااستعجم» أنّ الخَوْرَ وادٍ في بِلادِ غَطَفانَ ، وأورَدَ قَوْلَ حُمَيْدٍ أيضاً ، وَمَا أراهُ يَنْطَبِقُ على أحَدِ الموضِعَيْنِ لأنَّ أكثرَ المواضع الواردة في شِعْرِهِ تَقَعُ في بلاد قَوْمِهِ بني هِلال بن عامِر ، وبلادُهُمْ تقع في جنوب نَجْدٍ ، بعيدةً عن بلادِ غَطَفانَ ، وجُنُوبَ بِلادِ بني كِلاب وزابِنُ ذكر البكريُّ أنَّهُ جبلٌ في بلاد بني بَغِيض ، وأوْرَدَ بَيْتَ حُمَيْدٍ ، فكأنه أرادَ بَغِيضَ غَطَفانَ ، فأبْعَدَ النُّجْعَةَ ، ولاأرى الشاعِرَ قَصَدَ بالسُّرَّةِ إلاّ المَوْضِعَ المَعْرُوف في جَنُوبِ غَرْبِ نَجْدٍ – وأنَّ الخَوْرَ وزابِنَ بِقُرْبِ السُّرَّةِ .

١١ – الأوْديُّ – على ماذَكَرَ الحازميُّ في «عُجالَةِ المُبْتَدي» – ٢٠ – : مَنْسُوبٌ إلى أوْدِ بن صَعْب بْنِ سَعْدِ العَشِيرَة بْنِ مَذْحِجَ ، والمَنْسُوبُونَ إلى أوْدٍ كثيرونَ ، ذكر منهم إدْريسَ بن يَزيد بن عبدالرحمن بن الأسْوَد ، وأهله وجَماعةً غيرهم ، ولم يُمَيِّزْهُم ، ولهذا لَمْ أعْرِفْ صاحِبَ القول ، ويَظْهر أنه من عُلَماءِ اللغة .

(الشين) من باب (الفاء) (شيف) ، ويقع في ٥٣٤ صفحة من القطع الكبير بالطباعة المعروفة إتقاناً وجودةً ، حرفاً وورقاً ، وقد قام بتحقيق هذا الجزء الدكتور عبد الفتاح الحلو ، وراجعه الأستاذ مصطفى حجازي ، وبذل المحقق الفاضل جُهْداً مشكوراً في إخراج هذا الجزء ، فذكر الاختلاف في بعض النصوص المنقولة فيه عن مصادرها ، وخَرَّجَ بعض الشواهد الشعرية ، ونَبَّهَ على بعض الأخطاء في بعض مصادر الكتاب .

وكنتُ عُنِيتُ منذ صدور الجزء الأول حتى الجزء العشرين بمطالعة كل جزء مطالعةً مُتَأَنِّيَةً ، وكتابة بعض الملاحظات ، إلا أنني وقد نشرت عن كل ذالك كتاباً بعنوان «نظرت في كتاب تاج العروس» صدر منذ عهد قريب ، وفي هذا الكتاب أهم الأسس التي رأيت ضرورة الاعتماد عليها عند النشرْ ، ومن أهمها الرجوع إلى المصادر القديمة .

وقد رأيتُ الإخوة المشرفين على تحقيق بعض الأجزاء الأخيرة قد ساروا على النهج الذي تمنيت السير عليه ، ولهذا قَلَّتِ الأَخْطَاءُ في الأجزاءِ الأخيرة ، بحيثُ لم أَرَ حاجة تدعو إلى مواصلة التعمق في القراءة والتثبت من صحة النصوص .

وهكذا سِرْتُ مع الأجزاء الثلاثة التي صدرتْ بعد ذالك الجزء ، وكان آخرها هذا الجزء الذي ما كنتُ أَوَدُّ أَنْ أُطِيل الوقوفَ عند الحديث عنه ، ولكن بَصَرِي وقع بدون قَصْدٍ على جُمَلٍ رأيتها بحاجة إلى التثبت ، ورأَيْتُنِي بحاجةٍ أنا إلى التساؤل عن صحتها . اكتفي بالاشارة إلى بعضها : —

١ ــ ص ٨ : (وذَاتُ الأَثَافِي : موضع في بلاد تميم ، قال عُمَارَةُ من بني نُمَيْرٍ :

إنْ تَحْضُرُوا ذَاتَ الأَثَافِيْ فإنَّكُمْ بِهَا أَحَدُ الأَيَّامِ عُظْمُ المصائبِ)

عُمَارَةُ الشاعرُ ليس من بني نُمَيرٍ ، فهو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر الفحل المشهور المعروف من بني تميم ، وبين عُمَارة وبين بني نُمَيرٍ كما بين جَدِّهِ وبين الراعي النميري من المهاجاة ماهو معروف ، فصواب العبارة : قال عُمارة في بني. نمير . لا : من بني نمير .

٢ ــ ص ٣٣ : (وقد نَفَلَهُمْ النبيُّ ﷺ ، يوم حُنَيْنٍ بِمِتَيْنِ من الإِبِلِ ، تألّفاً لهم (وهم) أحَدٌ وثلاثون رجلًا) .

المعروف في كتب السيرة أنَّ رسول الله ﷺ أعطى الواحدَ من المؤلفة قلوبهم مئة من الإبل ، وبعضهم خمسين ، ومادام المُعْطَوْنَ واحداً وثلاثين رجلاً فكيف ينحصر عطاؤهم بمتين من الإبل ؟

إنني أرى أن كلمة (بمتين) صوابها : بِمِئِينَ من الإبل ــ جَمْع مِئَة ــ وأنَّ كاتبها صحَّفها ، ولهذا نجدها كما أوردها صاحب «التاج» ــ نجدها ــ في كتاب «تهذيب اللغة» : ١٥ / ٣٩٠ بهذا النص : وقد نفلهم الله يوم حُنَيْنٍ بمتَيْنِ من الإبل تألفاً لهم ، منهم الأقرع بن حابس والعباس . . وعيينة . . وأبو سفيان . . . وصفوان بن أمية . . . قوم من سادة العرب أمر الله نبيه في أول الإسلام بتألفهم .

ثم وردت الكلمة في «اللسان» : (بمثين) ؛ فهل محقق كتاب «تهذيب اللغة» اعتمد على «اللسان» في قراءة الكلمة ؟ أم أنَّ التصحيف قديم ؟ هذا مايحتاج إلى تعمق في البحث . والذي أراه أنَّ المصدر ــ الأول ــ هو كتاب «تهذيب اللغة» للأزهري ومنه استقى صاحب «اللسان» ، ولعله لم يحسن قراءة كلمة (بمثين) لأنها تكتب هكذا (بماس) فكتبها (بمائتين) على طريقة كتابة (مائة) بالألف ، ثم جاء صاحب «التاج» فنقل النَّصَّ من كتاب «اللسان» وعند نشر كتاب «تهذيب اللغة» لم يحسن المحقق قراءة الكلمة فقد كانت في مخطوطة دار الكتب المصرية هكذا (ثمانين) ولهذا رجع إلى «اللسان» فوجدها (بمائتين) فكتبها كما وجدها . وقد صرح وهو الأستاذ ابراهيم الأبياري محقق الجزء الخامس عشر من كتاب «التهذيب» بأنه رجع عند تحقيق كل نَصٍّ إلى كتاب «اللسان» . ومخطوطة دار الكتب هي المستخرجة من (دشت المؤيد) في ٣ أكتوبر سنة ١٨٩٣ ورقمها (٧) لغة والرقم العام ٤٠٠٤ ــ

٣ ــ ص ٣٦ : عن عيينة بن حصن : (وكان يَتْبَعُهُ عَشرةُ آلافِ قَنَّاتٍ ، وكان من الجَرَّارة ، واسمه حُذَيْفَةُ ، ولقبه عُيَيْنَةُ لشَتَرِ عَيْنِه) .

لم يتضح لي معنى كلمة (قَنَّات) بالنسبة إلى أتباع عيينة ، وقد رجعت إلى

الكتب المؤلفة عن الصحابة فرأيت في كتاب «الاستيعاب هامش «الإصابة» ١٦٨/٣ وفي كتاب «أسد الغابة»: ١٦٧/٤ ماهذا نصه: كان عيينة يُعَدُّ في الجاهلية من الْجَرَّارِيْنَ، يقود عشرة آلاف. ومعنى هذا أن عيينة يتبعه العدد الكثير في مغازيه، ولكن لم يتضح معنى كلمة (قتات)، ولا أشك في أنها محرفة.

٤ ــ ص ٥٧: (الْمُفَازَةُ والقفر من الأرض).

الملاحظة هنا: ضبط كلمة (المفازة) بوضع ضمة على الميم، والصواب: فتحها وهذا شيء معروف.

٥ ــ ص ٥٨: (قال امرؤ القَيْس:

كَــأَنَّ دِثَــاراً حَلَّقَتْ بِـلَبُـونِـهِ عُقَابُ تَنُوفَ لاعُقَـابُ القَواعِـلِ

وروى ابن الكلبي: عقاب تنوف.

دِثَارٌ: كان راعياً لامريء القيس، وهو دِثَار بن فَقْعَس بن طَرِيفِ الأُسَيْدي).

كلمة الأُسيدي: صوابها (الأَسدي) بفتح الهمزة لا بِضَمِّها ــ فهو من بني أسد بن خُزيمة وتتمة نسبه هو: طريف بن عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُوْدَان بن أُسد بن خزيمة.

لهذا لا داعي للتعليق الذي وضعه المحقق على تلك الكلمة المحرفة.

٦ ــ ص ١٠٧: (والجوف: موضع بديار بني سعد من بني تميم، يقال له: جوف طُوَيْلع).

هنا ملاحظة تتعلق بزيادة مؤلف «التاج» في شرحه، حيث قال بأن جوف بني سعد يقال له: جوف طويلع، وشتان بين الموضعين، جوف بني سعد في وادِي السَّتَارَيْنِ (وادي المياه) الواقع بمنطقة الأحساء، شمال الظهران، ولايزال معروفاً، وجوف طُويلع أو جَوُّ طُويلعٍ يقع غرب هذا الموضع بمسافة بعيدة، وطويلع يعرف الآن باسم (الضَّبعيات) وانظر لتحديد الموضعين «المعجم الجغرافي

للبلاد العربية السعودية» قسم المنطقة الشرقية (البحرين قديماً) .

٧ ــ ص ١١٠ : (قال الأعْشَى يَصِفُ نَاقَتَهُ :

هِيَ الصَّاحِبُ الأُدْنَى وبَيْنِي وبينها ... مُجُــوفٌ عِـلاَفِيٌّ وقِـطْعٌ ونُمْرُقُ)

كلمة (قطع) تصحيف (نطع) بالنون ، وهو مايوضع فوق الرحل الذي وصفه بانه مجوف علافي ، والنُمْرُق مما يوضع فوقه أيضاً .

٨ ــ ص ١٦٢ : (وذُو الحُلَيْفَةِ : ع ، على) مقدار (ستة أميال من المدينة) ، على ساكنها الصلاة والسلام ، مما يلي مكة ، حرسها الله ، (وهو ماء لبني جشم) ، و(ميقات للمدينة والشأم) هكذا في النسخ) .

الملاحظة هنا القول : بأن ذا الحليفة ماءٌ لجشم ، وجشم عند الاطلاق هي القبيلة الهوازنية التي منها دريد بن الصمة ، ومنازلها بقرب الطائف ، بعيدة عن ذي الحليفة الواقع بمنطقة المدينة والذي بلغه الآن عمرانها ، وصاحب «القاموس» مسبوق إلى هذا القول ، فهو قد اعتمد على كلام ياقوت الحموي الذي قال في «معجم البلدان» بعد ذكر ميقات أهل المدينة : وهو من مياه جُشَم ، بينهم وبين بني خَفَاجَة من عُقَيْل . كذا قال . والقبيلتان متجاورتان في المنازل ، وبلادهما واقعة بقرب الطائف شرقه بامتداد إلى منازل اخوتهم من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة في جنوب اليمامة .

فلعل الصواب (الحليف) الذي هو من منازل بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إخوة بني جشم وبني خفاجة ، أو أن هناك من المواضع مايسمى بهذا الاسم ، وما أكثر اطلاق الاسم الواحد على عدة مسميات !

٩ ــ ص ١٦٩ : عن الأحنف بن قيس : (وهو الذي افتتح الروزنات سنة ٦٧ بالكوفة ، ويقال : سنة ٧٣) .

كلمة (الروزنات) : أراها مصحفة عن كلمتي : (الروذ) و(مات) سنة ٦٧ ، فالأحنف بن قيس افتتح مرو الروذ سنة ٢٢ كما ذكر ذالك ابن جرير في تاريخه ــ ٤/ ١٨٧ وما بعدها طبعة دار المعارف ، والبلاذري في «فتوح البلدان» ــ

٥٠٣ ـ طبعة المنجد ، وقد توفي سنة ٦٧ في مدينة الكوفة . وقيل : سنة ٧٠ أو ٧١ ـ انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» : ٨٦/٤ إلى ٩٧ .

١٠ ـ ص ١٧٨ : (وذَاتُ ٱلحِيفَةِ ، بالكسر: من مَسَاجِد النبي ﷺ ، بين المدينة وتبوك ، ويُرْوَى بالجيم ، وقد تقدم) .

صواب هذا الاسم (ذات الجيفة) بالجيم ، ولايزال الموضع معروفاً كما أوضحت هذا في مجلة «العرب» س ١٢ ص ١٨٠ وفي «المعجم الجغرافي» قسم شمال المملكة ـ ٣٦٦ ـ

١١ ص ٢٠٥ : (والخُسوف : موضعٌ بين الجَوْزِ وجَازَانَ باليمنِ) .

يظهر أن الجَوْز تصحيف : ٱلخَوْر ، وهو ساحل حرضٍ باليمن بينه وبين زَبِيد خمسة أيام على ماذكر ياقوت في «معجم البلدان» ، وأنَّ الخسوف تصحيف : الخَصوف ـ بالصاد وفتح الخاء التي نقل ياقوت عن الهمداني: أنها قرية لحكمٍ ، على وادي خُلَب .

١٢ ـ ص ٢٢٨ : (والخَطَّافُ (كَشدادٍ: فرسٌ آخرُ) وهي لعمر بن الحُمَام السُّلَمِي ، قال فيه زياد بن هُرَيْرٍ التغلبي :

تَركْنا فَارِسَ الخَطَّافِ يَزْقُو صَدَاهُ بَينَ أَثْنَاءِ الفُرَاتِ
تَوَلَّتْ عنه خَيْلُ بني سُلَيْمٍ وقد زَافَ الكُماةُ إلى الكُمَاةِ)

لعل مصدر صاحب «التاج» في إيراد الشعر هو كتاب «أسماء خيل العرب وفرسانها» لأبي محمد الأسود الأعرابي .

ويلاحظ وقوع تصحيف في ثلاثة أسماء : ـ

١ ـ عمرو هو عُمَير . ٢ ـ الحُمَام هو الحُبَاب . ٣ ـ هُرَير هو هَوْبَر ـ بعد الهاء باء موحدة ثم راء ـ انظر عن هذا «أسماء خيل العرب» ص ٨٦ و«النقائض» ص ١٠٣٨ .

وعُمَير بن الحُباب السلمي له ذكر في حوادث سنة ٦٧ في خبر مقتل عُبَيدِ الله

بن زياد ــ انظر تاريخ ابن جرير: ٦/ ٨٩ و٩٠ ــ وقد قُتِلَ عمير ، قتلته بنو تغلب وبسبب قتله كانت وقعةُ البِشْر ، ومن شعر الأخطل في عمير :

وأمّا عُمَيْرُ بْنُ ٱلحُبَابِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ النِّصْفُ فِي يومِ ٱلهِيَاجِ ولاَ ٱلعُشْرُ

وقوله :

وإنْ يَكُ قَدْ قَادَ ٱلمَقَانِبَ مَرَّةً عُمَيْرٌ فَقَدْ أَضْحَى بِدَاوِيَّةٍ قَفْرِ

وقوله :

ولاَقَى عُمَيْرٌ حَتْفَهُ فِي رِمَاحِنَا ومَا أَنْتَ يَاجَحَّافُ مِنْهَا بِهَارِبِ

ــ انظر «ديوان الأخطل»: ٢١٥ ، ٢٢، ٢٧٨ ــ .

١٣ ــ ص ٣٥٨ : (وفي حديث عُبَيْدَةَ السَّلْمانيّ : قال له ابن سِيرين مايُوجِبُ الجَنَابَةَ ؟ قال: الخ) .

صواب هذا الاسم: عَبِيدة ــ بفتح العين وكسر الباء الموحدة ، كما نص على ذالك صاحب «تاج العروس» في رسم (سلم) .

١٤ ــ ص ٣٦٩ : (وقال ابن بَرِّيّ : رَوَافُ : كسحاب : موضع قرب مَكَّة ، حرسها الله تعالى ، قال قَيْسُ بنُ الخَطِيم :

أَلْفَيْتَهُمْ يَوْمَ الهِيَاجِ كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ بِبِيشَةَ أو بِغَافِ رَوَافِ)

رواف : جبل مشهور في منطقة تيماء كما ذكر ياقوت الحموي ، وأورد شاهداً قول قيس بن الخطيم ويجاوره جبل بَرِد والجبلان لايزالان معروفين يدعهما طريق تيماء من خيبر يميناً بعد مجاوزة حفيرة الأَيْدَاء ، ويقع رواف بقرب درجة الطول : ١َ/ ٣٩° ودرجة العرض : ٥َ٨/ ٢٦° .

١٥ ــ ص ٤٠٢ : (وزُلَيْفَةُ كجُهَيْنةٍ : بَطْنٌ باليمن) عن ابن دُرَيْدٍ ، قال أبو جُنْدُبٍ الهذليُّ :

مَنْ مُبْلِغٌ مَسَالِكِي حُبْشِيَاً اجَابَنِي زُلَيْفَةُ الصُّبْحِيَا)

زُلَيْفَةُ ليست من قبائل اليمن التي هي عند الاطلاق قحطانية النسب ، ولكنها بطن من قبيلة هُذَيْلٍ العدنانية ، وهذه القبيلة في الوقت الحاضر قسم منها يسكن شمال مكة وقسم جنوبها ، ويطلق على من يسكن شمال مكة هذيل الشام ، وعلى من يسكن جنوبها هذيل اليمن ، وزُلَيفةُ هذه منازلها بين مكة والطائف ، وهي الى الطائف أقرب ، ومن منازلها الهدأة (الهدة) . وتضاف إليها فيقال : هداة زُلَيفة ، للتفريق بينها وبين الهدأة التي بأعلى وادي مر الظهران .

ونَسَبُ زُلَيْفَةَ ــ كما جاء في كتاب «شرح أشعار الهذليين» ــ ٣٢٦ ــ : زُلَيْفة بن صُبْح بن كاهِل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيْل .

١٦ ــ ص ٤٠٥ : (زَوْفٌ ، هو (ابن زاهِرٍ ، أو أَزْهَر ، بن عامر بن عُوَيْثَان) بن زَاهِرِ بن مُرَادٍ (أبو قبيلة) من اليمن : وإليه ينسب جماعة من المحدثين ، منهم عبدالله بن أبي مرة الزَّوْفِي ، من التابعين مجهول ، قال عمرو بن معدِي كَرب . الخ) .

الملاحظة هنا تتعلق بكلمة (عُوَيْثَان) ، فصواب هذا الاسم : عَوْبَثَان ، كما نص على ذالك صاحب «التاج» في رسم (عبث) حيث قال : وعَوْبَثَانُ بن زاهرِ بن مرادِ بن مَذْحِجَ جدُّ بَدَّاء بن عامر ، ذكره ابن حبيب ، وعَوْبَثَانُ بن مُرادٍ أخو زاهر بن مراد . انتهى .

١٧ ــ ص ٤٢٩ : (وقال عُبَيْدُ الله بن قَيْس الرقَيَّاتِ :

سَرِفٌ مَنْزِلٌ لِسَلْمَةَ فالظَّهْـ ـرَانُ منها مَنَازِلٌ فالْقَصِيمُ)

ما أكثر ماوردت كلمة (فالقصيم) في الكتب التي أوردت هذا البيت ، ولكن الذي أراه أنه تصحيف وأن الصواب : فَٱلْغَمِيم ، إذ الشاعر ذكر سَرِفاً والظهران التي هي مَرّ الظهران ، والموضع الذي يقاربها هو الغَمِيم لا القصيم ، وكيف يذكر هذا الشاعر موضعاً بعيداً عن هذه المواضع الواقعة في تهامة ويعطفه بالفاء مما يدل على صلته بما ذكر ، لا أرى هذا صحيحاً .

١٨ ــ ص ٤٩٢ : (شَرْشَفَةُ بن خُلَيْف ، من بني مَازِنٍ فارِسٌ عَيَّارٌ) .

من تاريخ المنطقة الشرقية الحديث :

الدمـام والقطيـف

واستيلاء الاتراك عليهما في جمادى سنة ١٢٨٨ (حزيران ١٨٧١م)

[أتحفني الأستاذ الباحث المحقق الدكتور عبدالله الغنيم بورقات مصورة من مجلة تدعى «الجنان» كانت تصدر في بيروت ، وفي الجزء السادس عشر منها المؤرخ في ١٥ آب ١٨٧١م وصف مفصل لمسير العساكر التركية بقيادة مدحت باشا (١٢٣٨/١٣٠١) للاستيلاء على المنطقة الشرقية حين استعان الإمام عبدالله الفيصل بهم ، فكانت النتيجة كما قال الشاعر :

كلمة (فارس عَيَّار) غريبة حقاً ، وكذا وردت في الطبعة الأولى ، ولكنها مصحفة ، وصوابها : (فَارِسُ مَيَّارٍ) فشرشفة هذا له فرس يدعى مَيَّار ، وجاء في كتاب «خيل العزب» ٢٣٠ : مَيَّارُ فارسه شرسفة بن خُلَيْف من بني مازن بن مطر بن زيَّان ، أخذه قرط بن التوأم اليشكري لما قتله . ثم أورد شاهداً من شعر قرط ، وانظر كتاب «التكملة» للصاغاني : ٥٠٤/٤ .

١٩ ــ ص ٤٩٩ : في قصة نحر حمزة رضي الله عنه للناقة وأن الرسول ﷺ رجع يُقَهْقِرُ .

كلمة (يقهقر) لا أرى لها معنى هنا ، وكنت قرأتها في كتاب لا أتذكر اسمه الآن (يضحك) فلعل يقهقر : يقهقه .

٢٠ ــ ص ٥٠٨ : (وكَزُبَيْرٍ : شُرَيْفُ بن جِرْوَةَ بن أُسَيْدِ بن عَمْرو بن تميم . في نسب حَنْظَلة الكاتب) .

أُسَيْدُ صوابها : أُسَيِّد خلاف ماهي مضبوطة هنا ، فالهمزة مضمومة والسين مفتوحة والمثناة التحتية مشددة مكسورة لا ساكنة . وأُسَيِّد مصغر عن الأسود ، وإن شئت قلته أُسَيْوِد وهو عَلَمٌ ، قالوا : هو تصغيرُ تَرْخيم ، ونبه عليه الجوهري وغيره قالوا : هو أُسَيِّدُ بنُ عمرِو بن تميم نقله الرشاطي وذكر منهم من الصحابة حنظلة بن الربيع ــ انظر رسم (أسد) في «تاج العروس» .

حمد الجاسر

والمستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

لايعنيني تفصيل الحديث في هذا الموضوع ، وإنما أكتفي بعرض مانشرته تلك المجلة من وصف سير العساكر التركية لبسط نفوذها على هذا الجزء من بلادنا وهو يحوي معلومات طريفة قد لاتوجد في غيره .

منها ذكر المكان الذي كان الأمير محمد الفيصل (٠٠٠/١٣١١) ـ رحمه الله ـ محبوساً فيه وأنه (قلعة الدمام) ولعل هذا أصح مما ذكره بعض المؤرخين كابن عيسى في كتاب «تاريخ بعض الحوادث» ـ ١٨١/١٨٢ ـ وابن هذلول في «تاريخ ملوك آل سعود» ـ ٣٦ ـ من أنه كان محبوساً في القطيف .

ومنها وصف قلعة الدَّمَّام ، وكانت في الأصل من آثار البرتغاليين فجددت وأدركتها في عشر السبعين من القرن الماضي ، وكانت على درجة من القوة ، وفي وسطها عين مَاؤُهَا عذبٌ غزير ، شديد الصفاء ، مع أنها واقعة في وسط البحر بحيث إذا مَدَّ تبقى داخله يخاض إليها ، وعندما يجزر يكون الماء ضحضاحاً يسهل خوضه ، وقد رُدِمَ الساحل الآن حتى تجاوز مكان القلعة التي أزيلت ـ بمسافة ، وعمرت الجهة بالقصور الحديثة .

إلى لمحات تاريخية أخرى لا تغيب عن فطنة القارىء .

وها هو مانشرته مجلة «الجنان» وأشارت إلى أنها قد نقلته عن جريدة «الليفانت هرلد» ولهذا فقد وردت الأسماء في المجلة محرفة تحريفاً سيئاً مع مافي الترجمة من ركاكة وعدم وضوح] :

قد أكرم علينا الباب العالي بإرسال صورة التحرير الآتي الذي بعث به والي بغداد إلى الأستانة العلية وهو مؤرخ في ٢٠ تموز ١٨٧١م : إنه بعد أن أقامت العساكر الشاهانية في نجد المحافظة اللازمة على ماوراءها في جهة القطيف ، دخلت إلى أراضي الأحساء وهي بلاد واسعة فيها أكثر من مئتي قرية ومدينة صغيرة ، ودخلوا مدينة (البورز)[1] بدون أن يقيموا قتالاً ، وعدد سكان هذه المدينة هو أربعة آلاف نسمة ، ووجدوا فيها كمية وافرة من الزاد والمهمات الحربية ، وبعد أن تركت العساكر حرساً صغيراً هناك سارت بالانتصار قاصدة مدينة (صفحاف)[2] المهمة وهي عاصمة بلاد الأحساء ، وفيها نحو خمسة عشر ألف بيت ، ويحيط بها سور منيع وفيها قلعتان داخليتان ، وقلعة خارجية ، وفيها جميعاً خمسون مدفعاً ، فبادرت هذه المدينة إلى فتح أبوابها لدخول العساكر إليها ، وقادت بتسليمها كل بلاد الأحساء إلى التسليم ، وكذالك الأسكلة الحصينة (ادجيل)[3] ومعلوم أن فتح هذه البلاد الأخيرة قد أتت بنهاية نجاح حسن كلل بالنصر العساكر الشاهانية في هذا القسم من الممالك المحروسة ، ولذالك لايبقى علينا غير أن ننهمك في الاصلاحات اللازمة لسياسة البلاد ، التي قد أدخلناها في

سلك الطاعة ـ انتهى تحرير والي ولاية بغداد) ـ .

ان مايأتي هو تقريرات قائد العساكر الشاهانية في تلك البلاد حضرة مدحت باشا لجهة اجراءات العساكر الأولية وهو مؤرخ في ٥ حزيران الماضي ١٨٧١م .

إنه لما كانت قد وصلت المراكب الحاملة العساكر الشاهانية إلى خليج (تمورة)[٤] يوم الخميس في ٢٥ آيار نزلت العساكر إلى البر في اليوم الثاني ولكن إذ كانت المياه للشرب غير موجودة في تلك النواحي صار إرسال قوم لاستجلابها من ينبوع في (عين الرافين)[٥] التي تبعد مسافة أربع ساعات عن (تمورة)[٤] وبعد ذالك سارت الجنود إلى تلك الجهات بدون أن تصادف مقاومة ، فأرسلنا لمناظرة البلاد إلى مسافة تبعد عنا ست ساعات بجانب سهول (سافويا)[٦] إلى أول مضيق قطيف ، فرأوا أن الأهلين الذين أظهروا في أول الأمر أنهم قاصدون المصادمة يجبون أن يخضعوا عندما يقفون حق الوقوف على المقاصد التي لأجلها صار إرسال العساكر الشاهانية .

ويوم الاثنين عند الغسق سارت العساكر من معسكر (عين الرافين)[٥] وأدامت المسير اليوم الثاني ومرت بالقرب من (قلعة)[٧] بدون أن يحدث قتالٌ ، ووصلت إلى شواطىء نهر (سافويا)[٦] وهي مرتبة ، وضربت خيامها فيها ، وبعد أن وصلت إلى هناك بمدة قصيرة حضر شيخ (سافويا)[٦] المسمى سليمان بن داود ، وزار قائد الجيوش ، وأخبره أن أهالي قرى (اوانة)[٨] و(قاده)[٩] و(صيحات)[١٠] تجمعوا وتسلح منهم من ثلاث مئة إلى أربع مئة رجل ، قاصدين تكدير الجيوش في المسير ، ولكن لحسن الحظ لم ينتج شيء من ذالك ، لأنهم عندما عرفوا بحسن نوايا مولانا الأعظم لجهة (نجد) خضع هاؤلاء القوم ، وأرسلوا شيخهم إلى المعسكر العمومي .

وفي اليوم الثاني خضع أهالي (أوانة)[٨] و(تهاريه)[١١] وعشر قرى غيرهما من القرى الواقعة بالقرب من (القطيف) وقالوا: إنهم يطيعون إذا تأكدوا الحصول على حماية تحميهم من تعديات سعود ، وعند ذالك وردت أخبارٌ إلى المعسكر من القطيف مآلها أنّ أميرها عبدالعزيز آخذ في الاستعداد للدفاع عنها بهدم البيوت

والجوامع التي تعيق اندِفَاع كُرَاتِ المدافع ، فصدرت الأوامر بالذهاب إلى القطيف ، وبعد مسير بضع أيام وصلت العساكر إلى تحت نخل قرية تبعد عن القطيف مسافة نصف ساعة ، وبعد أن أقامت العساكر في مراكزها كتب قائد الجيوش إلى عبدالعزيز ، طالباً إليه أن يسلم القطيف ، وأرسل تحريره مع السيد محمد سعيد أفندي ، ومعه ضابطان في غير ملابسهما ، والقصد من إرسالهم هو أن يشاهدوا الأماكن ، فرجع حالاً السيد المومأ إليه ورفيقاه حاملين جواب عبدالعزيز ، ومآله : أنه عارف أنه لايقدر أن يدافع مدافعة ذات ثمرة ، ومع ذالك لايقدر أن يسلم المكان الذي سلمه إياه سيده الأمير سعود الفيصل بدون صدام ، لئلا يعرض ناموسه للثلم ، إذْ أنهم يتهمونه بالخيانة ، وبناء على ذالك أُقيمت حالاً المهاجمات على القطيف ، وأحاط العسكر بالمكان من جهاته الثلاث ، ولما كانت الجهة البحرية لاتمكن المراكب الكبيرة من المسير فيها نظراً لقلة المياه ، أُقيم عليها الحصر بواسطة مراكب قائم مقام (كوركت) الشراعية ، ومركب بخاري .

ولما رأت ثلاث أو أربع قرى ذات أبراج حصينة وهي واقعة بالقرب من القطيف ، مارأته من الاستعدادات سلمت بدون إقامة دفاع ، وبعد ذالك دُعِيت المدينة إلى التسليم مرة ثانية ، ولكن بدون نتيجة ، وكان الأمير أولَ من أطلقَ الرصاص على عساكرنا ، ولذالك صدرت الأوامر بإقامة المهاجمة ، وبعد أن أُقيمت بثلاث ساعات ورأى الأمير أننا عطلنا نصف قوة قلعته بكراتنا المحشوة سلم ، ودخلت فرقتنا الثالثة القلعة المسلمة ورفعت الراية العثمانية فوق أعلى الأبراج وصرخت قائلة : الله ينصر سلطاننا الأعظم ، وبعد أن يصير استلام المدافع وغيرها من المهمات الحربية الموجودة في القطيف تذهب العساكر في مساء هذا اليوم قاصدة (دامان)[١٢] لتخليص محمد شقيق عبدالله الفيصل المأسور هناك .

في ٧ حزيران الماضي : إن العساكر الشاهانية قد خرجت من القطيف في الليل الذي هو قبل الليل الماضي قاصدة (دامان)[١٢] على أنه لما وصلت طليعتها إلى

قلعة (اينك)[١٣] وهي تبعد مسافة نصف ساعة عن القطيف أطلقت عليها المدافع والبنادق فلم تطلق عساكرنا أسلحتها على المهاجمين ، ولكنها رجعت واستترت في مكان مكنها من الاستتار .

وعندما أصبح الصباح ورأى قائد القلعة العربي قوة عساكرنا التمس العفو وسلّم ، فاستلمت عساكرنا ثلاثة مدافع والمهمات الحربية الموجودة في (اينك)[١٣] وسارت العساكر قاصدة (دامان)[١٢] بعد أن أقامت حُرّاساً في القلعة تحت إمرة الضابط .

وكان عبدالعزيز بن سعود في القلعة ففر هارباً في الليل عند قدوم العساكر ، فطلبنا إلى القائد أن يسلم فأجاب : إنه بعد تسليم القطيف لايرى سبيلاً للفرج إلا بالتسليم . وأطلق سبيل أسيره محمد الفيصل ، وعند ذالك دخلت العساكر الشاهانية القلعة ، وكانت حصينة جداً ، ومحاطة بثلاثة أسوار عليها أحد عشر مدفعاً منها ثلاثة من النحاس والباقي من الحديد ، ووجدنا فيها أسلحة نارية ومهمات حربية وزاداً . وبعد أن استلمنا ذالك رجع القائد مع عساكره إلى القطيف آخذاً معه قائد (دامان)[١٢] ومحمد الفيصل ، وصار إقامة مايتكفل بأمنية أهالي (دامان)[١٢] وتركنا فيها فرقتين من الحراس .

الحواشي :

١ ـ الصواب: المُبَرَّز: المدينة الثانية في الأحساء .
٢ ـ الصواب: الهُفُهُوف ، وهي قاعدة بلاد الأحساء .
٣ ـ يظهر أن (ادجيل) تحريف (عجير) وصواب الاسم: العقير ، وكان ينطق خطأ (العجير) بالجيم ، وكان أشهر ميناء للأحساء .
٤ ـ ثمورة: صوابها: تَنُّورة بالنون بدل الميم وهو الخليج المعروف بقرب القطيف .
٥ ـ عين الرافين: لم يتضح لي صواب هذا الاسم .
٦ ـ هي صفوى البلدة المعروفة الواقعة بين خليج رأس تنورة والقطيف .
٧ ـ يظهر أن المراد (القلعة) وهذا الاسم كان يطلق على القلعة الواقعة في مدينة القطيف وكانت تعد أحد أحياء المدينة .
٨ ـ أوانة: لم أعرفها .
٩ ـ قاده: لعلها (القُدَيْح) إحدى القرى الواقعة بقرب مدينة القطيف وقد اتصل بها عمران المدينة .

الدياحين من عبد الله من غطفان

طالعت ماكتبه الأخ ماجد بن طاهر المطيري بعنوان (أسر متحضرة من مطير) في «العرب» س ٢١ ص ٤٢١ — وانني لشاكر ومقدر الأخ ماجداً لاهتمامه بتراث أمته وتاريخها :

ولي ملاحظات أرجو أن يتقبلها الأخ برحابة صدر وهي :

١ — ذكر بعض الأسر من الدياحين من واصل من بريه ، من مطير.

والمعروف أن الدياحين من بني عبدالله بن غطفان وذالك بإقرارهم أنفسهم وقبائل وأمراء بني عبدالله يقرون هذا ، فأمير قبيلة مَيْمُون جَهَزْ بن شرَار ذالك الفارس والأمير والشاعر المعترف بعدالته يقول رداً على ألبَرّاق العتيبي الذي يقول من قصيدة :

يبون فرقانٍ هقوهم دِيَاحِين ... بين المَخيط وبين فاضَةْ هَـدِيَّةْ

يقول جهز — من قصيدة — :

عسَاكْ تَلْقى الرَّبْع ماهُمْ مْغِيْبِينْ ... تَلْقى جَنْبُهُمْ عند حَيْدَ الـرعيةْ
تلقى حَنَشْ قُدَّامكُمْ يَمْ فَرْقِينْ ... ومحمـدَ المجنُونِ يَمْ الـدُّجِيَّـةْ
وِيْصادِفِكْ ربْعٍ على الحَرْب شَفْقِينْ ... ويجيك مقْحِمْ فوق صَفْراً ثِنِيَّةْ
يَـاشِينْ مـامِثْلِكْ تَمَنّىْ الديَـاحِـينْ ... كَمْ طاحْ من قِدَّامْها من شفيَّةْ
عَبَادْلٍ سُورَ الْحَـرَايِبْ وْمِضحِينْ ... تِضْحِي خَـرَابَتْهُمْ لْسَبْعَ اللِفيَّـةْ

فقول الشاعر (عبادل) — واحدهم عبدلي — يقصد بها بني عبدالله بن غطفان .

كما جاء في قصيدة أخرى لجهز :

---

١٠ — صيحات : هي (سيهات) بالسين بعدها ياء مثناة تحتية فهاء فألف فتاء التي أصبحت الآن مدينة واسعة .
١١ — لم اعرف (تهارية) ويظهر أنها هي وماقبلها من القرى الواقعة بقرب مدينة القطيف .
١٢ — الصواب: الدمّام ، وهكذا ينطق الاسم منذ أن عُرف ، وهو قاعدة المنطقة الشرقية الآن .
١٣ — ابنك : صوابها: عُنَك — بعين مضمومة ونون مفتوحة بعدها كاف — وهي من أقدم القرى في منطقة القطيف ، ذكرها السعودي وغيره .

عَيَّت عَلَيْنَـا العِـزْوِةَ ٱلعَبْـدِلِيَّـهْ   رَبْعٍ علَى ٱلهَيَّاتْ والهَوْشْ ضَارِيْنْ

و(حَنَسّ) و(محمد المجنون) و(مُقْحِم) هاؤلاء من مشاهير فرسان الدياحين .
و(فرقين) و(الدحية) مكانان معروفان الآن في أطراف الشعبة ومن موطنهم الجريسية التي لاتبعد كثيراً عن المهد .

وحدثني والدي وهو من المعمرين وعارفي الأنساب ــ أن الدياحين من بني عبدالله ، وقد اطلع على وثيقة موقعة من بعض الأمراء من بني عبدالله بن غطفان منهم هُجْرِس المِطْرَقَة أمير الدياحين في منتصف القرن الثاني عشر ، وقد أفادني أميرُ الجُرَيسية وأمير ٱلقُبْعِيَّة وهما من الدياحين بأنهم من بني عبدالله بن غطفان ، ولم أسمعْ من أحدٍ من النسَّابة القولَ أن الدياحين ليسوا من بني عبدالله ، اللهم إلا مِمَّنْ لاعلم لهم بالأنساب .

وليس الأخ ماجد أوَّلَ من أخطأ في ذالك ، بل أخطأ في ذالك كثير من الكتاب والباحثين أقول: قد أخطأ قبل ماجد في نسبة الدياحين إلى بُرَيَة او عُلْوَى كثيرون ، واعتقد أنهم عاجزون عن إيراد الدليل لصحة ماكتبوا .

وبهذه المناسبة أستميح شيخنا حمد الجاسر عذراً بأن أقول: بأنَّ ماذكره في بعض مؤلفاته عن أنساب قبائل العرب من تقسيمه قبيلة مُطَيْرٍ إلى قسمين فقط بل أكبر من ذالك أن جعل بني عبدالله من بُرَيْهٍ ، وهو يعلم أنَّ (بُريه) لاترتبط ببني عبدالله في منازل ولانسب .

والصحيح أنَّ قبيلة مُطَير تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : ــ

١ ــ عُلْوَى .
٢ ــ بنو عبدالله .
٣ ــ بُرَيْـه .

وترتيبهم حسب الكثرة وتعدد الفروع وسعة الموطن :

١ ــ بنو عبدالله .
٢ ــ عِلْـوَى .
٣ ــ بُرَيْــه .

ولا يخفى على ذوي المعرفة أنه لم يُذكَرْ أنَّ الدَّوِيش أو أحدَ أمراء بُرَيْه تولى قيادة بني عبدالله في أية معركة أو غزوة ، بل المعارك تقام بين عِلْوَى وبني عبدالله ، وهذا لايعني أن بني عبدالله لاتخضع للدويش بصفته أميراً عاماً لقبيلة مطير لا ، ولكن لها استقلالها الذاتي وعدم الحاجة إلى عِلْوَى أو بُريه أو غيرهما من القبائل لما تتمتع به من قوة ومنعة وترابط ، وتُعَدُّ بين القبائل التي لم تبرح مكانها عبر التاريخ .

وإن كان هناك من حجة عليَّ فيما كتبت عن أقسام بني عبدالله بن غطفان حيث لم أذكر الدياحين في كتابتي عام ١٣٩١ ــ «العرب» س ٦ ص ١٦١ ومابعدها ــ فذالك عائدٌ لتأثري بقول عامة الناس ، فلما نُبِّهْتُ إلى ذالك تأكّد لديَّ بعد البحث والتقصي أن الدياحين من بني عبدالله بن غطفان ، وقد ذهبت إلى إحدى قراهم وهي القُبَيْعِيَّة وتقع جنوب البدائع وشرق العبدلية في القصيم وجميع سكانها من الدياحين ــ وهناك قابلت فيها المسؤول من قبل الدولة وهو مُعَيْبِد بن عُويض بن كُلَيْبان بن داهس بن مِشْلش بن مُثيب بن عويض بن جروان (الملقب بالقُبَع والقُبَيْعِيَّة على اسمه) بن حزمي بن عنتر بن ديحان بن عباد بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبدالله بن غطفان ــ وبقية نسب غطفان معروف ــ

وقد ذكر لي أن الدياحين من بني عبدالله بن غطفان ولم يشك في هذا .

وذكر أن فروع الدياحين في الوقت الحاضر متفرقة في بلاد بني عبدالله ، ومنهم من انتقل إلى الكويت في مطلع القرن الثالث عشر الهجري ، ومنهم من استوطن حَفْر الباطن ، ومنهم وكيل إمارة حفر الباطن ، ومنهم أُسَرٌ قديمة التحضر في القصيم وغيره ، ففي الرَّسّ آل السَّمْرِي وفي البدائع وفي اللُّسَيْب وعنيزة وغيرها .

ثم ذكر لي فروع الدياحين فقال : تنقسم الدياحين إلى ثلاثة أقسام ، فقد أنجب ديحان ــ الجدُّ ــ من الولد : عنتر ومعيلي ومشيهب ، فأعقب عنتر من الولد حزمي وموزم وبادي وكريكر وجازي .

واعقب مُعَيْلي من الولد عُكْلي ومُبَارك وعُذَيْر وعُقَيْط .

واعقب مُشَيْهِب من الولد خميين وزُوَيد .

واعقب حَزْمي من الولد جُرْوَان وعُوَيْمِر ومنيس وخميس وسُفيعان .

واعقب موزم من الولد مُسَيْعِيد وجازي ـ ولم يفصل هاؤلاء ـ .

ثم تحدث عن آل جُروان الفرع الذي يتصل نسبه به وشرحه مسهباً ، فقال :

ينقسم آل جروان من الدياحين إلى فخذين :

١ ـ آل عويض .
٢ ـ آل مُبَيْلِش .

وهذان الفخذان ينقسمان إلى ثمان (لحام) هي : ـ

١ ـ آل مُحَيْرِش .	٣ ـ آل مُشَيْلِش .
٢ ـ آل صالح .	٤ ـ آل ثُواب .
٥ ـ آل عريعر .	٦ ـ آل غالي .
٧ ـ آل عائش .	٨ ـ آل ساير .

وقد أدرجنا الدياحين في كتابنا «البرهان في معرفة بني عبدالله بن غطفان» الذي سيصدر قريباً إن شاء الله ، وقد بسطنا القول عن بني عبدالله بن غطفان ، ومنهم الدياحين .

وتعتبر إمارة الدياحين الآن موزعة ، ففي منطقة المدينة المنورة ـ المهد ـ آل نيف ـ على الجريسية ، وفي القصيم القبعة أهل القبعية والأصل (قبيعي) بالتصغير .

والدياحين يشتهرون بأصالة الخيل والإبل ، كما قال الشاعر :

خَلِّ التَّخَيُّلْ للدّياحِينْ والسُّوْرْ

ويقول آخر :

يَاهْلَ الرَّمَكْ مامِثْلْ خَيْلَ الدياحِينْ   يَشْهَدْ على مِيْرَادهَا لادْ عَيَّاد[1]

رحلة البكري الى الحج

البكريُّون كُثُرٌ ، والمَعْنِيُّ هنا عالمٌ منهم عاش في القرن الحادي عشر ، وله رحلة إلى الحج اطلع عليها كثير من علماء المغرب ممن ألف عن الرحلة إلى الحج ، وأقدمهم الشيخ عبدالله بن محمد العياشي (١٠٣٧/١٠٩٠هـ) صاحب كتاب «ماء الموائد» فقد ذكر فيه ـ ١/١٦٠ ـ مانصه : قد ظفرت بمصر برسالة للشيخ محمد البكري ، وأظنه شيخنا محمد بن الشيخ زين العابدين ، ذكر فيها منازل الحج ودياره ذهاباً وإياباً ، وحقق قدر مافي كل مرحلة من الساعات والدرج والدقائق ، وصعوبتها وسهولتها بِنَثْرٍ بليغ ، وعبارات رائقة ، وذكر في كل منزلة شعراً يتعلق بأحوالها ، فأردت أن اقتطف منها مايكون في أُذُن هذه الرحلة شِنْفاً «العرب» : ١٢/٨٣٧ ـ

ثم أتى بعده محمد بن أحمد بن ناصر الدَّرْعي صاحب «الرحلة الناصرية» فنقل عنها ـ ١/٣٥٣ ـ وكذا فعل أبو مَدْيَنَ ومن بعده الوَرْثِيلاني ، ويظهر أنهم كلهم نقلوا عن العياشي .

وقد نشرت مجلة «العرب» س ١٢ ص ٨٣٧ ومابعدها ماورد في رحلة العياشي «ماء الموائد» من تلك الرحلة ومن «الرحلة الناصرية» .

وفي شهر ذي الحجة سنة ١٤٠٦هـ اطلعت في (دار الكتب المصرية) على رحلة كُتِبَ عنوانها «المجاز في رحلة الحجاز» ـ ٨٧ جغرافيا ، تقع في ٥٣ ورقة ـ واسم مؤلفها ـ على مافي فهرس الدار ـ : بدر الدين تابع آل الصديق من أهل القرن الحادي عشر الهجري ـ اطلعت على صورة تلك الرحلة على الشريط (٢٨٣١)

وياحَبَّذَا لو قام أحدُ مثقفي شباب الدياحين بإعداد بحثٍ وافٍ عن نسب هذا الفرع من قبيلة مطير ، مادام كبار السن على قيد الحياة يستفاد منهم ، حفظاً للتاريخ ، وصوناً للنسب ، وتحقيقاً لغاية ابنِ القبيلة وكُتّابِ التاريخ .

القصيم/ العبدلية: عوض بن عويض بن لويحق

(١) الرمك: الخيل . ميرادها: هجومها . لاد: أولاد (ابناء) .

ولعدم وضوح التصوير لم أتمكن من متابعة القراءة للتثبت من اسم مؤلفه . إلا أنه اتضح لي مما قرأتُ أن الرحلة أُلِّفَتْ عن رحلة أحد البكريين ، فقد جاء في مقدمتها : وقد كان ممن رضي الله عنه وأرضاه ، ودعاه إلى حضرته فلبّاه . . . مولانا الشيخ محمد زين العابدين الصدّيقي ـــ الخ .

والبكريون ـــ كما هو معروف ـــ منسوبون إلى أبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ ولأحد كبار علمائهم السيد محمد توفيق البكري (١٢٨٧/١٣٥١هـ) مؤلف عنهم هو «بيت الصديق» طبع بمصر بمطبعة المؤيد سنة ١٣٢٣ ـــ .

وقد ظهر لي أن هذه الرحلة هي التي عناها الشيخ العياشي ، ونقل عنها مانقل ، مما أوردته في مجلة «العرب» واسمها كاملاً كما ورد أثناءها : «المجاز في رحلة الشيخ محمد زين العابدين الصديقي إلى الحجاز» ولكن صحة الاسم كما تكرر في قصائد لمن كتبت الرحلة باسمه :

أنا فرع زين العابدين ومحمد اسمي عن يقين

وأنا ابن زين العابدين محمد قَدْ طِبْتُ في رَوْضِ المعارفِ مغرساً

أما تاريخ وقوع الرحلة فلم أجد أثناء تصفحي إياها نصاً واضحاً يُبيِّنه ، ولكنها وقعت في عهد الشريف زيد بن محسن ، وهذا حكم مكة بين سنتي ١٠٤١ و١٠٧٧ ـــ كما ذكر ذالك العصامي وغيره من مؤرخي مكة .

ووردت إشارة بأن الشيخ البكري أرسل للسيد محمد بن علوي ـــ من علماء مكة ـــ قبل عام حَجِّه كتاباً مؤرخاً في سنة سبع وخمسين وألف كما ورد بيت من الشعر يحوي تاريخ زمن الحج ونصه ـــ من قصيدة للمؤلف ـــ:

وأنا عبدكم مؤرخه حُزْتَ سَعْداً بحجِّك المبرور

وجملة التاريخ ـــ على ماهو معروف ـــ تعبِّر عن ١٠٦٢ (اثنتين وستين وألف) بحساب الجُمَّل[1] .

وأما المؤلف فيظهر أنه من موالي آل البكري كما يفهم من قوله (وأنا عبدكم)

ومن الجملة الواردة في طرة الرحلة (بدر الدين تابع آل الصديق) . ولم أجد له ذكراً في كتاب «بيت الصديق» الذي طالعته في يوم الخميس خامس شهر رجب سنة ١٤٠٧هـ ـ في القاهرة .

وقد تتبع الشيخ العياشي ماورد في الرحلة من وصف منازل الحج فَسَاقَهُ ـ مع اختصار في بعض العبارات ـ ولكن وقع فيها نقل بعض التحريف المُخِلّ بالمعنى ، ومن أمثلة ذالك ـ في الكلام على وادي القَرِيض ـ : فكم آذى بشوكِهِ مِنْ أَقْدَام ، وعَطَّل لمن له على المشي إقدام ، ولاسيًّا الحفيا لاتّساع أرضه ـ الخ .

فكلمة (ولا سيما الحفيا) صوابها: (ويُسَمَّى الفَيْحَا لِاتّساعِ أَرْضِهِ ، وزيادة فضائه ، في طوله وعرضه) ويؤيد هذا ماورد في «الرحلة العيّاشية» :

فِي وَادِي اَلْفَيْحاءِ كَمْ سائِر ... من غير نَعْل ثابِتِ الكَعْبِ

ومن ذالك : ـ عن بئر العلائي ـ: وبقربها جاذرة منحدرة وهي في أصل الرحلة: وبقربها حَذَرَة منحدرة .

ومنه: وفزنا بالنجاح وبالثناء .

وفي الرحلة: وفزنا بالنجاح وبالنجاء .

ليحصل الجناس . إلى غير ذالك مما يحتاج إلى المقابلة بين الأصل والمنقول .

أما البكري الذي أُلِّفت الرحلة لبيان حجه فهو محمد بن زين العابدين بن محمد بن علي بن عبدالرحمن البكري ، توفى والده الشيخ زين العابدين في ثامن عشر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة بعد الألف فجأة في مجلس صاحب مصر الوزير ابراهيم باشا في القلعة بعد العشاء ـ على ماذكر العصامي في «سمط النجوم العوالي» ٣٩٣/٤ ـ

وقد ولد الشيخ محمد ـ صاحب الرحلة ـ في القاهرة ـ وترجمه المُحِبِّي في كتابيه «خلاصة الأثر»: ٤٦٥/٣ و«نفحة الريحانة»: ٤٨٤/٤ وأطال الثناء على علمه وأدبه . وكان للمحبي صلة بابنه الشيخ زين العابدين بن محمد بنَ زين العابدين .

فقد ذكر الأستاذ عبد الفتاح محمد الحلو في تعليقه على كتاب «نفحة الريحانة» ٤٩٢/٤ : أن زين العابدين ابن صاحب الرحلة هو صاحب المحبّي الذي استقدمه من الشام إلى مصر ، وأقام في رحابه في ظل النعمة والفضل ، وأعانه ذالك على إخراج هذا الكتاب . وذكر أيضاً أن وفاة زين العابدين هذا سنة سبع ومئة وألف على ماذكر المرادي في «سلك الدرر» : ١/١٥١ ـ في ترجمة أحمد بن كمال الدين البكري .

وقد ترجم البكري محمد بن زين العابدين صاحب الرِّحلة في كتاب «بيت الصديق» ـ ٧٣ ـ ترجمة مطولة ، فذكر أنه توفي في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وألف في القاهرة . وعدَّ من مؤلفاته :

١ ـ البيان في أحكام القرآن .

٢ ـ النور اليقين في توضيح مافي إحياء علوم الدين ـ جمع فيه بين ماورد في كتاب ابن الجوزي «إعلام الأحياء ، بأغلاط الإحياء» وما ألفه الحافظان زين الدين العراقي وابن حجر العسقلاني ، في الكلام على أحاديثه ، وكذا ماكتبه الغزالي مؤلف الاحياء عنه بعنوان «الإملاء على مشكل الاحياء» .

٣ ـ الدرة العصماء ، في طبقات الفقهاء .

٤ ـ الروضة الندية ، في طبقات الصوفية .

٥ ـ عين اليقين ، في تاريخ المؤلفين ، على أسلوب «أخبار المصنفين» لابن أنجب البغدادي .

٦ ـ قطف الأزهار ، من الخطط والآثار ـ نقل عنه علي باشا مبارك في خططه كثيراً .

٧ ـ التفسير الكبير المعروف بتفسير ابن أبي السرور .

٨ ـ كتاب «الدرر في الأخبار والسير» ثلاثون مجلداً ـ كذا قال البكري في كتابه «بيت الصديق» وعول في ترجمته على مافي «خلاصة الأثر» للمُحِبّي ، و«عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق» لإبراهيم العبيدي المصري ، وقد اجتمع المترجم بالشيخ ابراهيم بن عبدالرحمن الخياري المدني صاحب الرحلة المعروفة «تحفة الأدباء وسلوة الغرباء» فأثنى عليه ، ونقله عنه في رحلته ـ على ماذكر

فائت «المعجم» :

— ٢ —

كنبوت من قرى البحرين

ومما فاتني ذكره — في (قسم المنطقة الشرقية — البحرين قديماً) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» : قرية كَنْبُوت ، التي قال عنها ياقوت في «معجم البلدان» : كَنبُوت — بفتح أوله وثانيه وضَمِّ الباءِ الموحدة ، وآخره تاء ، وأصله كالذي قبله —: هي قرية بالبحرين ، لبني عامر بن عبد القيس . انتهى . ويقصد بالذي قبله قوله في كُنْب أنه عجمي ، واشتقاقه من العربية أنه جمع كَنَب ، وهو غِلَظٌ يعلو اليدَ من العمل . انتهى . وهذا تكلُّفٌ ، فالاسم أعجمي ، ولا تعرف الآن قرية في تلك الجهة بهذا الاسم ، على حَدِّ علمي ،

صاحب «خلاصة الأثر» وغيره .

وخلاصة ما أريد إيضاحه هنا هو أن الرحلة التي اطلع عليها العياشي ونقل عنها في رحلته وظنها من تأليف الشيخ محمد بن زين العابدين البكري — كما نقل عنها من جاء بعده من علماء المغرب كابن ناصر الدرعي وغيره — هذه الرحلة قد أُلِّفَتْ عن حج البكري المذكور ، ألفها عالم غيره سمى نفسه (بدر الدين تابع آل الصديق) كما جاء في الرحلة المذكورة ، المحفوظة في (دار الكتب المصرية) تحت رقم ٨٧ (جغرافيا) باسم (الحقيقة والمجاز في رحلة الحجاز) وتدل المقطوعات الشعرية التي وُصِفَتْ بها منازل الطريق على مقدرة مؤلفها ورقة شاعريته (انظر «العرب» س ١٢ ص ٨٣٧ ومابعدها —

حمد الجاسر

(١) جاء في كتاب «بيت الصديق» — ٧٦ — نقلاً عن كتاب «عمدة التحقيق ، في بشائر آل الصديق» للشيخ ابراهيم العبيدي المصري أن المترجم حج سنة إحدى وسبعين وألف ، وكانت سنة ذات جدب ، وذكر أن سلطان الحجاز زيد بن محسن ، وساق خبر قصة تتعلق باستسقاء الشيخ البكري . فنزل الغيث . فهل جلة (فزت سعدا بحجك المبرور) تحتاج إلى إكمال مما قبلها لتطابق الحروف بحساب الجُمَّل سنة ١٠٧١هـ ؟

كرة أخرى مع المالكيين البجليين :

كُتّاب لتعليم مبادىء علم الأنساب !!

يبدو أن الإخوةَ المشرفين على مجلة «اقرأ» الكريمة يرومون فتح (كُتَّابٍ) على صفحاتها لا لتعليم مبادىء القراءة والكتابة ، ولكن لتلقين مبادىء علم الأنساب ، وهذا ما لمحته من خلال المقدمة التي صدرت بها المجلةُ عددَها (٦١٠ في ١٤٠٧/٧/٥هـ) الذي لم أُطالعه إلا بعد صدوره بنصف شهر ، لغيابي خارج البلاد ، حيث توقع كاتبها أن كل رأي صائب يتأتّى إلا من الحوار الهادئْ والمناقشة الهادفة ، ولكنه أهمل جانباً مُهِمًّا أو كأنه أراد التغاضيَ عنه ، وهو أنَّ أيَّ حوار بأيِّ أسلوب كان لا يبلغ الغاية المتوخاة إن لم يكن بين متكافِئَيْنِ ، وهذا ما اتضح لي من قراءتي مانشر بتوقيع (عبدالله بن جار الله المالكي) .

حُبًّا وكرامة ، ولكن أرجو من أخي الدكتور عبدالله مناع بأن لا يرى غضاضة في اسناد وظيفة الحاجب (البّواب) لهذا (الكُتّاب) إليه هو ، فأنا من خلال قيامي بمهنة التعليم ما يقرب من ربع قرن في مكة المكرمة وفي جدة وفي الأحساء وفي الظهران وفي الرياض ، أدركت كثيراً من أخلاق التلاميذ وأن مما يغلب على كثير من تلك الأخلاق (الشقاوة) وحب المشاكسة بما يثير شيئاً في نفوس معلميهم ، وأخي الدكتور عبدالله له من الصفات من قوة وكفاءة ما يمكنه من الحيلولة فيها لو أراد بعضهم تسلق الجدران أو تخطي الحدود أو الهرب على اختلاف أنواعه .

إنَّ لهذه المجلة الأثيرة في نفسي ولقرائها من المنزلة ما يحملني على أن أحاول ما أستطيع إشراكهم الرأيَ حول ما ينشر فيها مما أراه بحاجة إلى تصحيح أو تنبيه .

وبلاد بني عامر ــ العمور ــ من عبدالقيس في ظواهر الأحساء ، نواحي الظهران ، والسِّتَارَيْن (وادي المياه) وتلك الجهات ، كما تقدم بيان ذلك ، في المقدمة .

ولن أتجاوز في حديثي اليوم وهو موضوع الدرس الأول بالنسبة للابن المالكي أمرين :

أولهما : ايضاح ما أخطأ فيه حول نسب قبيلته .

وثانيهما : الإشارة إلى جوانب من آداب السلوك يحسن لمن في مثل منزلة ذالك الابن الكريم ان يتخلق بها ، أما هو فإنه ذو بصيرة بنفسه وليختر لها مايهوى .

١ ــ بَجِيلة اسم امرأة :

ليس صحيحاً مانشرته هذه المجلة من قول الكاتب : (وهنا يتجلى اعتقاد الشيخ حمد بأن بجيلة امرأة وهذا اعتقاد خاطىء والصحيح أن بجيلة رجل وهو بجيلة بن أنمار) .

هذا القول خطأ لأن اعتقادي مبنيٌّ على أساس قوي من العلم والمعرفة . فكل من كتب عن بَجيلة من العلماء المتقدمين منذ أن بُدِيً بتسجيل علم الأنساب إلى يومنا هذا يدرك هذا ويعرفه .

وجميع المؤلفات في علم الأنساب تنص على أن بجيلة امرأة على اختلاف فيها ، هل هي أمة سوداء مملوكة ؟ أم امرأة حرة هي بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة .

وأكتفي بايراد نص واحد من النصوص الكثيرة لعالم جليل هو الحازمي المحدث المشهور فقد قال في كتاب «عجالة المبتدى في النسب» ــ ص ٢٣ ــ مانصه : (بَجيلة هو ولد أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، نُسبوا إلى أمهم ، وهي بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، قاله خليفة بن خياط ، وقيل : بجيلة أمة سوداء كانت لنزار بن معد بن عدنان ، فوهبها لولده أنمار ، فتزوج أنمار هند بنت غافق بن الشاهد بن علك بن عدنان فولدت له ولده ، فحضَنَتهم بجيلة ، فنسبوا إليها ما خلا خثعم ، والصحيح أن أنمار هو ابن إراش كما ذكرنا أولاً) .

ولا داعي للاطالة في الكلام عن أمر مفروغ منه منذ عصور قديمة .

٢ ـــ بنو مالك البجليون من قحطان لا من عدنان :

سبق أن قلت وأنا أحادث ابننا المالكيْ الأول في هذه المجلة (ع ٦٠٧ في ١٤٠٧/٦/١٤هـ) العمود الثالث السطر الحادي عشر . فما بعده عن بني مالك قومه البجليين : إنهم على أصح الأقوال من قحطان .

وهذا ليس قولي وحدي بل هو قول المحققين من العلماء من عهد إمام علماء النسب هشام بن محمد الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ إلى عهدنا الحاضر ، وكتب النسب منذ عصر ابن الكلبي تكرر هذا القول ، وكما اكتفيت بنص واحد من تلك الكتب فيما تقدم اكتفي الآن بنص آخر عن إمام محدث كبير من مشاهير المحدثين ، إنه الإمام ابن عبدالبر وشهرته تغني عن تعريفه ، فقد قال في كتاب «الإنباه في أصول القبائل والرواة» ما ملخصه : (واختُلِفَ في خثعم وبَجيلة فأكثر أهل النسب يقولون : إنهما ابنا أنمار بن نزار بن معد بن عدنان ، وانهما لحقا باليمن وانتسبا عن جَهْلٍ منهما إلى أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن النبت بن زيد بن كهلان بن سبا ـــ إلى أن قال ـــ: وقالت طائفة من أهل العلم بالنسب : إن خثعم وبجيلة هما ابنا أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن النبت بن زيد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وذلك أن أنمار بن إراش ولد عَبْقَرَ والغوثَ وصُهيبةَ وأمهم بَجيلةُ بنت صعْب بن سعدِ العَشِيرة ، فنسبوا إليها وعرفوا بها ، وولد أنمار أيضاً خثعم ـــ واسمه أفتل ـــ وأمه هند بنت الغافق ، هذا كله قول الكلبي وتابعه جماعة ، واحتج من قال بهذا القول بما روى عن النبي ﷺ من حديث فروة بن مُسَيك المُرادي قال : قلت يا رسول الله : أُقاتِل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم ؟ وأُقاتل أهل سبإ قال : «نعم» . قال : قلت : يارسول الله أخبرني عن سبإ ماهو؟ أجبل أم واد ؟ ـــ وفي لفظ ـــ أرجل هو أم امرأة أم أرض ؟ ، فقال ﷺ : «ليس بأرض ولا امرأة ، ولكنه رجلٌ وَلَدَ عشرة من العرب ، تيامن منهم ستةٌ وتشاءَم أربعة ، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة ، وأما الذين تيامنوا فالأزد وكِنْدة وحِمْيَرُ والأشعرون ومَذْحِج وأنمار

التي فيها بجيلة وخثعم» . واحتج أيضاً من قال بهذا القول بقول رسول الله ﷺ : «يطلع عليكم رجل من خير ذِي يَمَنٍ ، عليه مِسْحَةُ مُلْكٍ» فطلع جرير بن عبدالله البجلي) .

ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى الكتب المعروفة في هذا العلم مثل كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٣٨٧ الطبعة الثانية و«سيرة ابن هشام» ١ / ١٥ و«نهاية الارب في أنساب العرب» للنويرى ٢ / ٣١٠ و«الاستيعاب» لابن عبدالبر ١ /٢٣٢ في «هامش الإصابة» و«نشوة الطرب» لابن سعيد ١ /٢٦٥ وتاريخ ابن خلدون «العبر» ٢ / ٣٠٠ الطبعة الأولى وغيرها من المؤلفات المعروفة .

وتحسن الإشارة هنا إلى أن كثيراً من القبائل القحطانية اختلطت في القبائل العدنانية في صدر الإسلام عند قيام الدولة الأموية ، لأنَّ هذه الدولة عدنانية الأصل ، فكانت تتألف القبائل بتقريب نسبها إليها ، كما حدث مع قضاعة وغيرها .

وكانت بَجيلة عند ظهور الإسلام قد تفرقت كثير من فروعها ، وداخلت العدنانيين ، وانتقل بعضهم إلى قلب الجزيرة ، حتى طلب جرير بن عبدالله البجلي جمع تلك الفروع من الخليفة في عهده على مافصلته في كتابي «في سراة غامد وزهران» الذي أوردت فيه نسب بجيلة مفرعاً عن أقدم المصادر وأوثقها كتاب «جمهرة أنساب العرب» وكتاب «نسب معد واليمن الكبير» .

٣ ــ الصلة بين خثعم وبجيلة :

ليس سبباً وحيداً ما ذكر الابن ابن جار الله من أنَّ نزاعاً حدث بين قبيلتي خثعم وبجيلة هو الذي اضطر قبيلة خثعم إلى أن تنتقل إلى السفوح الشرقية للسروات ، وهذا وإن ورد عن بعض المؤرخين وأشرت إليه في كتاب «في سراة غامد وزهران» ــ ص ٤١٧ ــ إلا أن هناك ماهو أقوى من هذا السبب قد ذكرته في الكتاب المذكور ــ ص ٤٤٧ ــ حيث أوردت ما نقله البكريُّ عن كتاب «الافتراق» لابن الكلبي ونصه : (وأقامت خثعم بن أنمار في منازلهم من جبال

السراة وما والاها : جبل يقال له : شَنٌّ ، وجبل يقال له : بَارق ، وجبال معها ، حتى مَرَّتْ بهم الأزد في مسيرها من أرض سبإ وتفرقها في البلاد ، فقاتلوا خثعماً ، فأنزلوهم من جبالهم ، وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوءة : غامدٌ وبارقٌ ودوسٌ ، وتلك القبائل من الأزد ، فظهر الإسلام وهم أهلها وسكانها . ونزلت خثعم ما بين بِيشة وتُربَةَ ، .وما صاقب تلك البلاد وما والاها) .

لهذا ينبغي التثبت عند تلقي ما يورده شداة الأدب ، والرجوع إلى المصادر الأولى الصحيحة .

ولعل فيما تقدم ما يزيل بعض الأوهام التي ألصقها ابننا المالكي في نسب قبيلته من حيث لا يشعر ، ولو لم يكن منها إلا محاولته التشبث بأن بَجيلة من عدنان ، وما درى من حيث لا يشعر أنَّ في هذا الأمر الذي يحاول التشبث به ما يَنْأى وينفر عنه كل من يجب أن يبرز نسب هذه القبيلة بأوضح صورة . إن بعض القائلين بنسبة بجيلة إلى عدنان يذكرون أن بجيلة أَمَةٌ سوداء مملوكة لنزار بن معد فوهبها لولده أنمار ، ومن هنا نشأت النسبة إلى هذه الأمة وآخرون يقولون : إن النسبة ناشئة عن الحضانة .

ولاشك أنَّ الأثرين المنسوبين إلى رسول الله ﷺ من أقوى ما يصح الاعتماد عليه في نسبة القبيلة إلى اليمن (أي القحطانيين) .

٤ ــ أما ما أراده الابن عبدالله من أن يكون اسم كتابي الذي نشرته منذ ستة عشر عاماً «في سراة غامد وزهران وبني مالك» وسمى هذا عَدْلاً وانصافاً وأمانة تاريخية ، فأنا لا أقول بأن هذا نوع من الأثَرَةِ (الأنانية) فأنا سميت الكتاب باسم قبيلتين كريمتين ، زرت بلادهما وتجولت فيها ، ووجدت من كرمهما ورعايتهما ماأعتقد أنني لو زرت بلاد بني مالك لوجدت ذالك أيضاً ، ولكنني مع تشوقي وحرصي لزيارة بلاد أؤلئك الاخوة لم تسنح لي الفرصة ، وأرجو أن تسنح لأزور كل بلاد تحلها أية قبيلة في بلادنا ، وحينئذ لا تعوزني تسمية الكتاب الذي أتحدث فيه عن تلك القبيلة .

٥ ــ وحاول الابن عبدالله المالكي تصحيح اسم الجبل المشهور في بلاده

فقال : إن اسمه الصحيح (بثره) .

ولكنه أعْجَم من حيث أراد الإعراب !! فالاسم الصحيح هو (ألْبَثْرَاءُ) لا (بثره) كما نص على ذلك متقدمو علماء اللغة كالصاغاني في كتاب «التكملة» والفيروزآبادي في «القاموس» وهاهو نص كلامه : (والبَثْراء جبل لِبَجِيلَةَ تعبد فيه إبراهيم بن أدهم) .

وقد ذكرني ابننا بقصة ذالك العجميِّ الذي أراد أن يسافر من بغداد إلى البصرة فقال لأحد أصدقائه : أريد السفر من (البغداد) إلى (بصرة) ، فهل لك من حاجة ؟ فقال : نعم تأخذ (آل) من (بغداد) وتذهب بها إلى (بصرة) .

والناحية الثانية التي لمحت من مقدمة المجلة أنها تتوخاها ما يتعلق بحسن السلوك أثناء المحاورة والمناقشة .

من المدرك بداهة أن أولى ما يتحلى به طالب العلم حسن الأدب مع من هو أكبر منه أيًّا كان ، عملاً بالحديث النبوي الشريف : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» :

وابننا عبدالله بن جار الله يُطِلُّ بتعبيراته من عليائه التي تصورها له نفسه ، فهو يأتي بجمل يترفع كبار العلماء عن استعمالها ، فضلاًعمن هو في مثل منزلته . إنه يستعمل : (هذا خطأ . وهذا اعتقاد خاطىء واختلط عليه الأمر ! . نقل عنهم دون أن يتحقق من أقوالهم ! ساهمت في توضيح النقاط التي أرجو أن يحققها حمد في مؤلفاته وكتاباته) . أفادك الله يا بني !!

لا أريد أن أخاطبك بمثل أسلوبك ، ولكنني أقول لك شيئاً قد يفيدك : هو أن تتجه أولاً لطلب العلم لعل الله يفتح عليك باباً من أبوابه فتدرك ــ ولو بعد حين ــ ما يجب أن تدركه .

ولا يفوتني أن أشير إلى أن تقدير أي شخص مهما كانت مكانته متى كان من الخطإ والجهل بالصفة التي صورني الابن الكريم بها لا يستحق أن يقدر ، ولا أن يحترم ، لأن تقدير الأشخاص الذين بتلك الصفة هو تقدير في غير محله كقوله :

اليمن الخضراء

كتب الأخ محمد ابراهيم البليطيح من الرياض إلى «العرب» معلقاً على ماكتبه صاحبها عن رحلته إلى صنعاء كتابة عبر فيها عن تأثره مما ورد في تلك الرحلة من عدم مطابقة ماعُرِفَ عن بلاد اليمن ، وما وُصِفَت به هذه البلاد قديماً من الخصوبة ، عدم مطابقة ذالك بما يشاهده من يزورها هذه الأيام ، وخاصة حين ينزل في مطار صنعاء أو يتجول في المدينة نفسها ، وعلّق الأخ محمد قائلاً : إن كاتب الرحلة يريد أن يرى الغاباتِ والحدائق الغنّاء في أرض المطار ، فهل يتوقع أن يراها في المدرج أم في الصالة ؟ وهل كان يعتقد بأنه سيرى المنازل والبيوت فوق أشجار الموز والعنب في وسط شوارع صنعاء ؟ ثم يُشِير – بل يقرِّرُ – كثرة القرى التي تحوي الغابات والحدائق والمزارع وخاصة في شمال البلاد وقرب الحديدة ، ونصح من يريد الاطلاع والتأكد من صحة كلامه بزيارة القرى لا السكنى في فندق (شرتون) (ونشر كلام غير صحيح عن أرض اليمن الخضراء) ، ويدعو الكاتب لزيارة تلك البلاد وعدم اتخاذ مايشاهده في الفنادق والمطار دليلاً على وصف اليمن وصفاً غير صحيح .

وأقول : إنها لعاطفة كريمة حملت الابن اليمنيَّ محمد بن ابراهيم ليوجه العتاب بلهجة لا أصفها بالقسوة ، فأنا أعذر الابن الحبيب ، وأُدرِكُ أنَّ حبه لوطنه قد يدفعه إلى أن يتخطى (الحدود) في التعبير فتبدو له الأمور بالصورة التي تلائم ماتحمله عاطفته الطيبة نحو وطنه .

(ومع احترامي لشخص) الخ . .

ولن آسى إذا أكرمني الابن الكريم بأن لا يضيف إليَّ شيئاً لا أستحقه ، ومع ذلك فإنني أدعو الله تعالى له بالتوفيق والهداية ، ولن يعدم مني متى أراد أن أُوجهه ما استطعت إلى الخير ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

حمد الجاسر

مجلة «اقرا» ع : ٦١٣ – ١٤٠٧/٧/٢٦هـ

ولكن يابني الكريم صَدِّقني – إن شئت – فلقد حاولتُ أن لا أسْكن في فندق (شرتون) ولكنني علمت بعد أن وصلت مدينتنا الكريمة صنعاء بأنني إذَا أردتُ الاطمئنانَ على صحتي والراحةَ في بدني فخير لي أن أسكن ذالك الفندق – لاغيره من الفنادق –

ومع ذالك فقد سألت عن أحسن فندق في داخل المدينة فَسُمّي لي ، غير أنني أثناء شرب الشاهي فيه وقت الضحى أحسست من عدم الراحة ، ومن الضوضاء حوله ، ومن أمور أخرى لا داعي لذكرها مادفعني إلى تقصير الوقت الذي قدرته للجلوس في ذالك الفندق .

وإذا كُنْتَ تجهل أن كبار ضيوف دولتك الكريمة لا ينزلون إلا في فندق (شرتون) فاعرف هذا لئلا تستكثر على انسان في مثل سن أبيك يريد أن تكون أيام إقامته في بلادك مريحة لا تستكثر عليه أن ينزل في هذا الفندق الذي تحيط به حديقة غناء وهو واقع في سفح ذالك الجبل الأشم (نقم) وساكنه يطل على كل معالم مدينة صنعاء وماذا يريد الزائر أكثر من هذا ، ثم هو في الوقت نفسه (الفندق) المفضل لسكنى علية القوم ، ممن يفدون إلى هذه البلاد الطيبة ، فما الذي تأخذه عَليَّ في سكناه ؟!

لعلك حين تكمل قراءة ماكتبته عن زيارتي لهذا الجزء الحبيب من وطننا تدرك أنني شاهدت كثيراً من القرى ، فقد سرت غَرْباً حتى نزلت في تهامة فوصلت حَمّام علي ، وتناولت مع الإخوة مما قدم لنا من ثمار بستانه ، واتّجهْتُ شرقاً حتى بلدة مَارب ، فشاهدت سَدَّهَا الحديث يفهق بالمياه الغزيرة الحائرة !! والأرض جرداء حولها فكأنني جُزْتُ بلاد اليمن الشمالية من غربها إلى شرقها باستثناء تهامة منها ، وأنا أدرك أن مامررت به من هذه البلاد لا يمكنني من إدراك صورة كاملة عنها ، وهذا ماتمنيت أن يحققه الله لي في رحلة أُخرى ، ومن يدري فقد يكون عنوان تلك الرحلة لو تحققت (جولة في اليمن الخضراء) مما لعله يرضي ابننا الحبيب محمد بن ابراهيم البليطيح ، ويرضى غيره من أبناء اليمن الذين يحملون لبلادهم من المحبة ، مايُعْذرون معه فيها لو طَغَتْ عَوَاطِفُهمْ وطغيان العواطف فيما يُعلي شأن الأوطان محمود ، مالم يتخطى (الحدود) بإبراز الأمور على غير حقيقتها .

مخلف : من فروع قبيلة حرب

مُخَلَّف ــ بفتح اللام المشددة ــ من الصواعد ، ثم من عَوْفٍ وقيل من زُبَيْدٍ ، وفي ذالك اختلاف ــ من مَسروح من قبيلة حرب .

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ الموالك . ١ ــ الثوابت . ٣ ــ الطنون .

الفرع الأول: الموالك : ومفردهم مالكي من مخلف ، ويتفرعون إلى عدة فروع :

١ ــ المذارة : ومفردهم هذيري ، يقطنون شمال العَيْثَمة قرب أعالي وادي الرُّمَة بقرب جبل العبوب ، ومنهم قسم كبير بالمدينة المنورة والرياض .

٢ ــ القرصان ــ مفردهم القرص ــ يسكنون الأكحل وخضرة .

٣ ــ الشرافا ــ يسكنون المدينة ومنهم في بادية نجد في مدينة بريدة والرس .

٤ ــ الخزازا ــ مفردهم خَزّي ، وهم أكثر مخلف عَدَداً ، ينقسمون إلى قسمين :

أ ــ العمایر : يسكنون حائل والقصيم ، وشيخهم الشيخ سعد بن معوض بن القاضي المخلفي الحربي ، يسكن في حائل الآن .

ب ــ الجبعان : يسكنون العَيْثَمَةَ والنُّجَيْبِيَّة ، وأمير الخزازا عامَّةً من الجبعان الشيخ بِطْحِي بن صَندل بن لاحق المخلفي .

ومن الموالك أيضاً أقسام صغيرة منهم الزعابلة والوبران .

الفرع الثاني : الثوابت : مفردهم ثابتي ، يسكنون أودية خضرة والأكحل ومَرّ، ويسكنون أيضاً النُّحيتية في أعالي وادي الرُّمَة ، ولهم ثلاث قرى النُّحيتيَّة وعُريفِجّان ، في وادي ساحُوق ، وقرية مطلق . وأمير قرية النُّحيتية : محمد بن دبيان بن غادن المُخَلَّفِي ، وأمير قرية عريفجان : فرحان بن ضاوي بن دافان

المخلفي ، وأمير قرية مطلق : سعد الدِّيْري المُخَلَّفي .

الفرع الثالث : الطنون : من قبيلة مخلف ولهم عدة فروع :

١ ــ الشلاوين : يسكنون أودية الأكحل وخضرة ومَرّ وفي المدينة المنورة ، والقصيم ومنهم في الرياض . وشيخهم وكبيرهم الشيخ حمدي بن الفقيه حُمَيِّد المخلفي ، مقيم في القصيم في بريدة . وينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ ذوي عيد : شيخهم عبدالله بن حُمَيِّد المخلفي ومنهم الكاتب .

ب ــ العواصية : شيخهم مطلع بن صلاح .

جـ ــ الدُّحَيْلات : شيخهم صالح بن سنيد المخلفي .

٢ ــ العرامين ــ مفردهم عَرْماني ــ يسكنون خضرة والجِنَاكيّة ولهم قرية حَنَذ ، قرب الأكْحَل ، ويتفرعون إلى فَرْعَيْن :

أ ــ ذوي مرزوق ــ ومنهم مطلع بن نايض أمير مخلف سابقاً .

ب ــ ذوي مروي ، وفيهم إمارة مُخَلَّف في الحجاز سابقاً والآن وشيخ مُخَلَّف الآن فرح بن مرجي بن مروي المخلفي .

٣ ــ المعدي : يقطنون الجِنَاكِيّة والمدينة ، ومنهم فضيلة الشيخ فالح بن نافع بن فلاح أحد مدرسي الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وأميرهم أمير قرية الجِنَاكِيّة علي بن مرزوق بن نافع المخلفي .

٤ ــ الشباع : يسكنون قريتهم الجفن ، التابعة لمنطقة القصيم ، وشيخهم حمدان بن هليل المخلفي .

٥ ــ المصادير : ويسكنون المثلث ، قرب الأكحل ، ومنهم في جدة وشيخهم قبال بن رزين المخلفي .

٦ ــ الصررة : يسكنون جبيرة والخشـ ــ قرب الرس في القصيم ، وشيخهم فالح بن سبيل المخلفي .

٧ ــ الحروف ــ يقطنون قرية مغيسل بين خضرة وحجر، ومن كبارهم ناصر بن ديقان المخلفي .

٨ ــ النهامير : ويسكنون في المدينة ، ومنهم رئيس محاكم مدينة الدوادمي سماحة الشيخ نائف بن عوض المخلفي .

٩ ــ السوافر . ١٠ ــ الوصايفة .

وتتميز هذه القبيلة بكثرة الشعراء بينهم خاصة الشعر النبطي وأيضاً الشعر الفصيح . منهم : حميد بن حامد المخلفي ــ ولد سنة ١٣٢٧هـ ولقب بالفقيه وكان شاعراً حكيماً عالماً حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، وكان مفتياً لقبيلة مخلف وغيرهم من جيرانهم ، وقاضياً في تلك السنين ، ذا مكانة مرموقة بينهم ، وكان يرشدهم في الحج ويعلمهم مناسك الحج وقد يتكلم في المشاعر المقدسة توفي سنة ١٣٧٩هـ بقرية الصّويدرة قرب المدينة المنورة .

ومنهم أيضاً : الشاعر الكبير حمدي بن حميد الحربي بن الفقيه ، وغيرهم وخاصة أبناء حميد الفقيه .

المدينة المنورة **عيسى بن جوداالله بن حميد الفقيه المخلفي**

ابن الفرات في كتاب الحازمي

كنت قلت في س ٢١ ص ٨٠٦ تعليقاً على قول الحازمي : وجدته مُقَيَّداً مضبوطاً بخط أبي الحسن بن ٱلفُرَات . قلت: وأبو الحسن بن الفُرَات لعله علي بن محمد بن موسى .

وقد وهمت في هذا الظن فنبهني إلى هذا الوهم الباحث المحقق الأستاذ مروان العطية قائلاً : قلتم في الصفحة ٨٠٦ س ٢١ (وأبو الحسن بن الفرات لعله علي بن محمد بن موسى) والصحيح أنه محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن الفرات أبو الحسن ، من حُفَّاظ الحديث الثقات ، من أهل بغداد وكتب الكثيرَ بخطِّه . قال الخطيب: بلغني أنه كتب مِئَةَ تفسير ومئة تاريخ ، وكانت له جارية تعارض

معه مايكتبه ، وقال ابنُ الأثير: خَطُّهُ حُجَّةٌ في صحة النقل وجودةِ الضبط ، وقد ولد سنة ٣١٩ وتوفى سنة ٣٨٤ وانظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ١٦/٤٩٥ — فللأخ الأستاذ مروان أُوَجِّهُ الشكر ، وطلب الاستزادة من علمه ــ وفقه الله ورعاه—

الروسة من المغافلة من القرينية

كتب إلى «العرب» الأخ حماد بن حثلان بن سلمان القريني يذكر أن ماورد في كتاب «معجم قبائل المملكة» ص ٢٨٩ من تقسيم الروسة إلى: آل حسن وآل جليدان وآل رشيد والرمالات . انـه ينبغي أن يصحح فيجعل مكان آل رشيد آل سلمان ، لأنه لا يوجد في هذه الأسرة فخذ يدعى آل رشيد ، وقد حضر الأخ المذكور ومعه الأخ علي بن عبدالله بن علي القُريني ، فأكَّدَ الاثنان صحة ماتقدم ، وقد طلبا تصحيح ذالك عند إعادة طبع «المعجم» المذكور وأن الأفخاذ المتفرعة من الرُّوَسَة هم :

١ ــ آل حسن . ٢ ــ آل سلمان . ٣ ــ آل جليدان . ٤ ــ آل حشفل . ٥ ــ آل الرمالات .

خمسة أفخاذ فقط .

تولع ويبوس

جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي مانصه: يبوس: يفعل من بَاسَ يبوس ، إن شئت من القُبلة ، وإن شئت من الشدة ــ: اسم جبل بالشام بوادي التيم من دمشق ، وإياه عنى عبدالله بن سليم بقوله: لمن الديار بتولع فيبوس . انتهى .

«العرب» : كلام ياقوت هذا ليس صحيحاً ، فالشاعر عبدالله بن سَلِيمة من قبيلة غامد ونسبه هو عبدالله بن سليمة بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن ذهل بن مازن بن ذُبْيَان بن ثعلبة بن الدول بن سعد مناة بن عمرو وهو غامد .

وغامد قبيلة أزدية تسكن مع أزد السراة في السراة الممتدة جنوب الطائف حتى بلاد عسير ، ولاتزال في منازلها القديمة .

ولا يزال لِذُبْيَانَ الفرع الغامدي الذي منه هذا الشاعر ـ لايزال له ذكْرٌ بين قبيلة غامد .

وأما المواضع التي ذكر فلايزال بعضها معروفاً ، قال الشيخ ابراهيم بن أحمد الحسيل في كتاب «غامد وزهران» ـ ٢١٢ ـ بعد أن نقل القول بأن تلك المواضع في أرض شنوءة أضاف : ولقد بحثنا عن هذه المواضع فوجدنا يبوس في ديار بادية بني كَبِير من غامد ، وإذا أردت معرفة هذا الوادي تتوجه من الخط أو الطريق المسمى بطريق المُنَزَّل في ديار بني كَبير ، وهذه الطريق تسلكه السيارات المتجهة إلى بادية بني كَبير صوب رَنْيَةَ وبِيشة وكذالك العقيق ، أي عقيق غامد ـ وهو طريق فيه شيء من الوعورة وعندما تطأ وادياً كبيراً واسعاً يسمى قرشاً ويسميه بعض البدو (قرشع) . وقبل أن تصل واديا يقال له المجامع يحتوي على غابة كثيفة من العَرين ، فمع نهاية وادي قرشا وبداية وادي المجامع تسلك طريقاً تتجه يسار الخط أي شمالاً وهذا الخط يتجه إلى مواطن بعض البادية ثم إلى عقيق غامد وعندما تتجه مع هذا الخط تطأ وادي يَبُوس وهو وادٍ واسع كثير المراعي ، وربما تجد بعض مضارب البادية ، والوادي الثاني تُولع بالقرب من يبوس ، غير أن الاسم حُرِّفَ ويسميه البدو في الوقت الحاضر (مولع) أما بياض ريطة فلم أعثر على هذا الاسم وربما تغير . انتهى .

وقصيدة ابن سَلِيمة الغامدي في «المفضليات» وهي المفضلية التاسعة عشرة ، وفي «منتهى الطلب» ج ١ ص ٤٩ مخطوطة (لا له لي) في استنبول .

أسر تنتسب إلى بني عبد الله بن دارم من تميم

وكتب الأخ عبد الرحمن بن عبدالله آل حوتان من مدينة الدلم (الخرج) إلى المجلة عن الأسر التي تنتمي إلى عبدالله بن دارم من بني تميم ، فذكر أن العبادلة الموجودين اليوم في نجد جلهم في حوطة بني تميم ومنها انتشر بعضهم في أماكن متفرقة من بلدان نجد وعد من تلك الأسر : ـ

١ ـ آل حوتان : في حوطة بني تميم والحريق والدلم والرياض والكويت .

٢ ـ العمارا ـ واحدهم عميري ـ: في حوطة بني تميم والدلم وخائل .
٣ ـ آل تويم: في الدلم والرياض ، ورد ذكرهم في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» .
٤ ـ آل حميص: في الدلم والرياض .
٥ ـ آل جميل: في حوطة بني تميم .
٦ ـ آل سعيس: في اليمامة بالخرج .
٧ ـ الحرادا ـ واحدهم حريدي ـ: في حوطة بني تميم .
٨ ـ آل عتيق: في حوطة بني تميم .
٩ ـ آل جمعان: في حوطة بني تميم .
١٠ ـ آل عظيمان: في المزاحمية .
١١ ـ آل حميسان: في المزاحمية .
١٢ ـ آل فهيد: في المزاحمية ، ورد ذكرهم في الكتاب المذكور .
١٣ ـ التمامیم ـ واحدهم تمامي ـ: في الحريق .
١٤ ـ آل راشد: في المزاحمية .
١٥ ـ آل حسين: في عودة سدير .

وختم كلامه قائلاً: هاؤلاء الذين استطعت أن أذكرهم وآمل أن أكون قد وفقت فيما نقلت .

«العرب» : توجه للأخ عبد الرحمن الشكر على ايضاحه وترجو من الإخوة الذين ينتسبون إلى ذالك البطن من بني تميم ولم يرد ذكرهم التفضل بالكتابة إلى المجلة بهذا الشأن .

أُثَيْثِيَةُ: البلدة المعروفة في الوشم

كتب إلى «العرب» الأخ عبدالعزيز العمر من أهل بلدة اثيثية يلوم المعنيين بكتابة تاريخ المدن عن عدم الاهتمام بتاريخ هذه البلدة وابراز ماها من قدم باعتبارها من أقدم قرى نجد وأنها بلدة جرير الشاعر الفحل وتحوي قبوراً تنسب إلى بني هلال وموضعاً يدعى الجرعاء قد يكون له ذكر في معجمات الأمكنة

□ **شمس العلوم :**

وللكتب حظوظ كما للأناسيِّ ، فهذا كتاب «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» من معجمات اللغة التي ألفت في عصور متقدمة بالنسبة إلى مؤلفات لغوية وجدت من اهتمام الباحثين وعنايتهم أقوى مما وجده هذا الكتاب مع أنه يفضلها . ويمتاز بكونه المعجم اللغوي الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفات علماء جنوب الجزيرة ، وهو نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣هـ وليس من المبالغة القول بأنه ألمع شخصية علمية عنيت بتاريخ بلاد اليمن القديم بعد الهمداني . لقد أراد نشوان بكتابه «شمس العلوم» صيانة مفردات اللغة عن تصحيف الكتاب والقراء ، فسار على نهج رسمه لم يُسْبَقْ إليه فيما قال في كتابه (لم يأت أحد بتصنيف يحرس جميع النطق والحركات ويصف كل حرف بجميع مايلزمه من الصفات ولاحرس تصنيفه من النقط والحركات بأحدهما ولا جمعهما في تأليف لتباعُدِهِمَا ، فلما رأيت ذالك حملني على تصنيفٍ يَأْمَنُ كتابه وقارِؤُهُ من التصحيف) .

وقد تصدَّى المستشرق السويدي (ك . و . ستَّرستين K.V. ZETTERSTEEN)

بخلاف الأبنية الأثرية القديمة . والواقع أن كثيراً من قرى نجد لم يبرز تاريخها بطريقة تيسر معرفته للباحثين ولعل التبعة تقع أول ماتقع على أبناء تلك القرى الذين هم أدرى بتاريخها وبجميع أحوالها .

وحبذا أن يتفضل أحد أبناء بلدتنا الحبيبة(أُثَيْثِيَة) بكتابة بحث مفصل عنها ليجد في مجلة «العرب» المجال الرحب لنشره ولنشر غيره مما يتعلق بأية بلدة من بلداننا .

وشكراً للابن الكريم عبدالعزيز العمر على اهتمامه بتاريخ بلدتنا جميعاً .

لتحقيق هذا الكتاب ونشره ، إلا أن المنية عاجلته سنة ١٩٥٣م قبل إكمال عمله حيث نشر الجزء الأول المنتهي بانتهاء حرف الثاء ، وأعد قسماً من الجزء الثاني ينتهي بحرف الجيم مع الياء نشر بعد وفاته .

ثم أرادت حكومة اليمن في عهد الإمام يحيى نشر الكتاب فعهدت بذالك إلى القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجَرَافي الذي أشرف على طبع جزءين من الكتاب بلغ فيهما إلى آخر حرف الشين ووقف عند ذالك لكون المستشرق سِتَرستين يقوم بتحقيق الكتاب ونشره .

ثم قامت (وزارة التراث القومي والثقافة) في سلطنة عُمَان منذ سنوات بالبدءِ في نشر الكتاب فتم نشر خمسة أجزاء منه طبع الجزء الخامس سنة ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م) وينتهي بانتهاء باب الشين مطبوعاً بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه في مصر .

وسلطنة عُمَانَ لاشكَّ أنّها جديرةٌ بالشكر والتقدير بإحيائها هذا الأثر النفيس من تراثنا اللغوي ، ولكنها تُحْسِنُ صنعاً لو أضافت إلى جُهْدِها الذي لاشك أنه نافع فوكلت إلى أحد علماء اللغة ليتولى الإشراف على الطبع ولو بطريقة مقابلة النسخ المخطوطة على تجارب الطبع (البروفات) لأن الأجزاء الخمسة التي صدرت مشحونةٌ بالأخطاء التي تغير المعاني ، بحيث يصح القول بأن الكتاب بهذه الصورة لايستفاد منه بل لايصح الاعتماد عليه مرجعاً لغوياً ، والأمر سهل التدارك مادام النشر لم يتناول من الكتاب سوى شطره ، ومخطوطاته ، ومخطوطات مختصره «ضياء الحلوم» من السهل جمعها ومن بينها نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة بعد عهد المؤلف بزمن يسير ، وعليها اعتمد الأستاذ سِتَرستين في طبعته التي بَرَزَتْ على درجةٍ من الصِّحَّةِ خيراً من الطبعتين الأُخريين .

أما عن الأجزاء التي سبق طبعها فمن الممكن تصحيح أخطائها الكثيرة السيئة بمقابلتها على الجيد من المخطوطات والرجوع إلى كتب اللغة ثم عمل ملحق بالتصحيح .

□ **البديع في وصف الربيع :**

وصدر كتاب «البديع في وصف الربيع» لأبي الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الأندلسي المتوفي في منتصف القرن الخامس تقريباً ، بتحقيق الأستاذ الدكتور عبدالله عبدالرحيم عسيلان الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية وعميد شؤون المكتبات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مصدراً بدراسة وافية عن المؤلف ومواهبه الأدبية ، تعتبر كتاباً مستقلاً إذ تقع في أكثر من تسعين صفحة ، ثم الكتاب في ١٦٤ من الصفحات سوى الحديث عن مخطوطة الكتاب الفريدة ، مع الإشارة إلى ماقوع في مطبوعته الأولى التي قام بتحقيقها الأستاذ هنري بيريس المدرس في جامعة الجزائر سنة ١٣٥٩ ، وتَوَلَّى معهد العلوم العليا المغربية في الرباط نَشْرَهَا .

ولكن هذا الناشر (لم يبذل فيه أي جهد يذكر سوى بعض الفهارس التي لم يلتزم فيها الدقة وحسن التبويب ، ولم يعمد إلى تخريج مافيه من نصوص شعرية ، كما لم يقم بتحرير النص وتصحيحه) ــ المقدمة ط ــ . وقد ألحق الأستاذ الدكتور المحقق بالكتاب فهارس شاملة فوقع في ١٩٨ صفحة سوى الدراسة المتعلقة بالمؤلف .

وصدر الكتاب في طباعة جيدة ورقاً وحروفاً وجودة تحقيق من حيث إيضاح مايحتاج إلى إيضاحه من النصوص . والدكتور عبدالله عسيلان ممن عانى هذا الأمر ، ولهذا برز جهده في كل صفحة من صفحات الكتاب ، وقد صدر هذا العام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) مطبوعاً بمطبعة المدني في جدة .

□ **آداب الفلاسفة :**

ومن منشورات (معهد المخطوطات العربية) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاب «مختصر آداب الفلاسفة» ، وأصل الكتاب من تأليف حنين ابن اسحاق الطبيب العربي المشهور ، واختصره محمد بن علي الأنصاري ، وهو عالم مغمور ، وقد قام الدكتور عبدالرحمن بدوي بتحقيق الكتاب وكتابة مقدمة ضافية له ، وقام معهد المخطوطات العربية بنشره فصدر في ١٧٢ صفحة عام

١٤٠٦هـ (١٩٨٥م) بطباعة حسنة (لم يذكر اسم المطبعة).

□ جمهرة النسب :

تحدثت «العرب» ـ س ٢٠ ص ٤٢٩ ـ عن الجهد المشكور الذي بذله الأستاذ محمود فردوس العظم في نشر كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي ، وقد صدر القسم المعروف من أصل هذا الكتاب في مجلدين من عمل الأستاذ محمود .

ثم صدر مجلد ثالث يحوي مُشَجَّرَاتٍ لأنساب القبائل ، مرسومة في لوحات وفهارس لما تضمنه ذالك القسم من أنساب القبائل اشترك في وضعه الأستاذان محمود فردوس العظم ومحمد أديب الجادر ، وقد بذلا جهداً شاقاً في عملهما لا يدرك ماله من فائدة إلا من عانى البحث في المخطوطات القديمة .

ومع أن الأستاذ الكريم محمود فردوس بذل في رسم المشجَّرات من الجهد ماقل أن يتحمله كثير من المهتمين بكتب التراث ، إلا أنني كنت أَوَدُّ أنه صرفه في نشر الكتاب المتعلق بالأنساب لمحمد بن السائب الكلبي الذي في خزانة كتب (دير الاسكوريال) وألا يُجْهِدَ نفسه في عمل قد لا يَسْتَفِيد منه إلا بعض الباحثين ، وهناك من كتب التراث ماهو بمسيس الحاجة إلى بذل مثل ذالك الجهد لنشره .

وقد جاء هذا المجلد في ٦٣٨ صفحة من القطع الكبير مطبوعاً طباعة حسنة بمطبعة العجلوني في دمشق ، وليس فيه ذكر تاريخ الطبع .

□ خلق الإنسان في اللغة :

هذا كتاب يتحدث عن أسماءِ مافي جسد الإنسان من أعضاء وعضلاتٍ وعظام ، من الناحية اللغوية ، وهو مرتب على حروف المعجم ، ومؤلفه وإن كان مجهول العصر ، إلا أنه استقى مواد كتابه مما ألفه علماء اللغة المتقدمون ، ولهذا يعتبر من أشمل الكتب في موضوعه وأوثقها ، وقد قام بتحقيقه الدكتور أحمد خان في الجامعة الإسلامية في اسلام آباد (الباكستان) ، فوضع له مقدمة عرضَ فيها لحركة التاليف المعجمي في اللغة ، وأورد أسماء مشاهير الكتب ، وأسماء المؤلفين عن خلق الإنسان من الناحية اللغوية ، وأشار بإيجازٍ إلى مؤلف الكتاب الحسن بن أحمد بن عبدالرحمن ، الذي افترض أنه قريب العهد من أول القرن السابع

الهجري ، حيث لم يعرف شيئاً عنه سوى الإشارة الواردة في آخر المخطوطة التي استدل بها على أن الكتاب نسخ في سنة ٦٠٩ هـ .

ومهما يكن فهذا الأثر لشموله في موضوعه ، واعتماده على أصول لغوية معروفة يُعَدُّ من المصادر اللغوية ، وعمل المحقق الفاضل أضاف إلى قيمة الكتاب ــ مما سهل الاستفادة منه ــ مازادها ، ولاسيما ماأضافه من تعليقات ، ومن فهارس مفصلة ، قاربت ربع الكتاب في الصفحات التي بلغت ٤٥٠ صفحة بطباعة حسنة حروفاً وورقاً وجودة ضَبْطٍ ، وقد صدر عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) مطبوعاً في الكويت ، وقام بنشره (معهد المخطوطات العربية) في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مصدراً بكلمة للمدير العام لهذه المنظمة الدكتور محيي الدين صابر ، وقد راجع الكتاب الأستاذ مصطفى حجازي ، الباحث المعروف بسعة اطلاعه ومعرفته ، وكثرة ممارسته لتحقيق المؤلفات اللغوية .

□ فهرس المخطوطات العربية بمكتبة ابن عباس :

ومن منشورات (معهد المخطوطات العربية) كتاب «فهرس المخطوطات العربية بمكتبة عبدالله بن العباس في مدينة الطائف» تأليف الأستاذ عثمان محمود حسين ، في الكلية المتوسطة في مدينة الطائف .

ومكتبة ابن عباس ــ على ماجاء في هذا الكتاب ــ أسسها الوالي التركي محمد رشدي باشا الشرواني المتوفي سنة ١٢٩١ حين كان والياً للحجاز ، وقد عبثت الأيدي بمخطوطاتها القيمة ، وعَدَت عليها عوادي الإهمال والنسيان حتى أمر الأستاذ الشيخ حسين عرب حين كان وزيراً للحج والأوقاف بتنظيم المكتبة وإنقاذ ما أمكن إنقاذه من مخطوطاتها ، وفتحها للاستفادة منها سنة ١٣٨٤هـ .

وكان أن قام الأستاذ عثمان محمود حسين بفهرسة مخطوطاتها التي بلغت خمسين وأربع مئة فوضع لها فهرساً منظماً ، مرتباً على الحروف الهجائية ، مع تقسيمه بحسب العلوم والفنون ، فجاء هذا الفهرس في ٤٤٦ صفحة بطباعة حسنة ، وصدر سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م) في الكويت ، مصدراً بكلمة للمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر .

٢٦٠-٢٥٩

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

ج ٧ ، ٨ س ٢٢ — محرم/صفر ١٤٠٨هـ — (أيلول/تشرين الأول (سبتمبر/أكتوبر) ١٩٨٧م)

الصلات بين صنعاء والدرعية

أثناء قيام الدولة السعودية

ليس غريباً أن تجد الدعوة السلفية التي جددها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآزرها ونصرها الإمام محمد بن سعود وخلفاؤه من بعده — أن تجد هذه الدعوة من علماء صنعاء قبولاً واستجابة فهي دعوة تنبعث من التعاليم الدينية الصافية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولأولئك العلماء عناية واهتمام بما أُثِرَ عن السلف الصالح ، ولاسيما من ينتسب منهم إلى أهل البيت فهم أولى العلماء باتباع مَاسَنَّهُ المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والسير على نهجه .

ثم إن تلك الدعوة السلفية تقوم على أساس من الفطرة لم تُلَوِّثْهَا الأفكار المشوبة بآراء أهل الكلام والفلسفة ، فتبعدها عن ملائمة الطباع السليمة ، وأهلُ تلك البلاد ممن لايزال على طبيعته الخالية من الأوهام والتخريف .

من هنا كان عالم صنعاء محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩/١١٨٢)(١) الإمام المجتهد المشهور ممن سارع إلى استقبال تلك الدعوة بالتأييد والاستحسان .

جاء في ديوان شعره مانصه : لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد ، يقال له محمد بن عبدالوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه ، وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣ وأرسلناها من طريق مكة المشرفة وهي :

سَلامِي على نَجْدٍ ومَنْ حَلَّ في نَجْدِ ... وإنْ كانَ تَسْلِيمي على البُعْدِ لايُجْدِي

في قصيدة تزيد على السبعين بيتاً منها في وصف الشيخ محمد :

قِفِيْ واسْأَلِي عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سَوْحَهَا ... به يَهْتَدِي من ضلَّ عن مَنْهَجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّـدٍ الهَـادِي لِسُنَّـةِ أَحْمَـدٍ ... فيا حَبَّذَا الهَادِي ويَاحَبَّذَا المَهْدِي
لَقَدْ أنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوائِفِ قَوْلَهُ ... بِلاَ صَدَرٍ فِي القَوْلِ مِنْهُمْ وَلاَ وِرْدِ
وقَدْ جاءَتِ الأَخْبَارُ عَنْهُ بِـأنَّهُ ... يُعِيْدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ بِمَا يُبْدِي
ويَنْشُرُ جَهْراً مَاطَوَى كُلُّ جَاهِلٍ ... ومُبْتَـدِعٍ مِنْـهُ فَـوَافَقَ مَـاعِنْـدِي
ويَعْمُـرُ أَرْكَانَ الشَّـرِيْعَةِ هَـادِمـاً ... مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيْهَا عَنِ الرُّشْدِ

بعث عالم صنعاء هذه القصيدة ، ولما تمض على قيام الشيخ بدعوته سوى عشر سنوات ، ولم تنتشر الدعوةُ ، ولم تتوطد قواعد الدولة السعودية بَعْدُ في نجد ، فضلاً عن غيرها من البلاد .

ولكن لم تمض بضع سنوات على نظم تلك القصيدة وبعثها إلى نجد حتى وفد إلى اليمن عالم نجديٌّ من المناوئين لدعوة الشيخ ــ قدم صنعاء سنة سبعين ومئة وألف ، وأشاع عن الشيخ وعن القائمين بمؤازرته إشاعاتٍ صادرة عن هوى وضغينة ، ولكنها كانتْ ذا أثرٍ سيِّءٍ حَمَلَ العالم الصنعانيَّ إلى أن ينظم قصيدة معارضةً لقصيدته الأولى مطلعها :

رَجَعْتُ عَنِ النَّظْمِ الَّذِي قُلْتُ فِي النَّجْدِي ... فَقَدْ صَحَّ لِي عَنْهُ خِلاَفُ الَّذِي عِنْدِي

قال فيها :

وَقَدْ جَاءَنَا مِنْ أَرْضِهِ الشَّيْخُ مِرْبَدٌ ... فَحَقَّقَ مِنْ أَحْوَالِهِ كُـلَّ مَايُبْـدِي

وجاء في ديوانه : وصل إلينا بعد أعوامٍ من أهل نجد رجل عالم يُدعى مِرْبَد ابْنَ أحمد التميمي(٢) ، وكان وصوله في شهر صفر سنة ١١٧٠ وأقام لدينا ثمانية أشهر ، وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه ، وفارقنا في عشرين

شوال راجعاً إلى وطنه . وكان تَقَدَّمَهُ في الوصول إلينا الشيخ عبدالرحمن النجدي ، ووصف لنا من حال محمد بن عبدالوهاب أشياءَ أنكرناها ، فبقينا مترددين فيما نقله الشيخ عبدالرحمن النجدي حتى وصل إلينا الشيخ مربد ، وله نباهَةٌ وأوصل بعضَ رسائل ابن عبدالوهاب وحقق لنا أحواله ـــ إلى أنْ قال ـــ : ولما أَخَذَ علينا الشيخ مِرْبَدُ ذالك رأينا أنه يتعين علينا نقض ماقدمناه ، فَكَتَبْتُ أبياتاً وشرحها هي ـــ ثم أورد قصيدة يناقض فيها قصيدته الأولى - إلاّ أن من العلماء مَنْ يَرَى عدم صحة نسبة القصيدة الأخيرة إلى الأمير محمد بن اسماعيل ، ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان الذي ألف رسالة في الموضوع عنوانها «تبرئة الشيخين» وهي رسالة متداولة معروفة . وديوان شعر الأمير محمد بن اسماعيل لم يجمعه هو ، وإنما جمعه ابنه عبدالله ، على ماذكر الشوكاني في «البدر الطالع»[٣] والسيد محمد زبارة في كتابه «نشر العرف»[٤] .

وليس من المستبعد أن يتأثر الأمير محمد بن اسماعيل من عدم الإجابة على قصيدته التي قال في آخرها مخاطباً الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

فَأَحْسِنْ قِرَاهَا بِالْقِرَاءَةِ نَاظِماً ... عَلَيْهَا جَوَاباً فَهْيَ مِنْ جُمْلَةِ الْوَفْدِ

ولم يذكر مؤرخو نجد كابن غنام وغيره أن الشيخ أجاب على هذه القصيدة التي أوردها ابن غنام في تاريخه كاملة ـــ لانظماً ولانثراً ـــ .

ومهما قيل عن موقف الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني من الدعوة السلفية إلاَّ أنَّ مما لاشَكَّ فيه أن ماحدث منه من تأثر بسبب دعاة السوء ماكان مُنْصَباً على حقيقة الدعوة وجوهرها ، وإنما كان متعلقاً بما بلغه من دعاة السُّوْءِ مما قُصِد به تشويه سيرة القائمين بها ، فلقد كان من الأئمة المجتهدين ، المناصرين للكتاب والسنة ، وهذا هو لُبُّ مادعَا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـــ رحمه الله ـــ وهو مايقرره الصنعاني ، ويَدِين به قبل انتشار أَمْرِ الشيخ محمد ـــ كما قال الصنعاني في قصيدته :

وينْشُرُ جَهْراً مَاطَوى كُلُّ جَاهِلٍ ... ومُبْتَدِعٍ مِنْهُ ، فَـوَافَقَ مَاعِنْـدِي

ومع أن المعنيين بتاريخ الدعوة السلفية ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لم يهتمُّوا بتدوين مايتصل بإيجاد صلات بين مركز الدعوة (الدرعية) وبين مراكز العلم في بعض الأقطار الأخرى وخاصة صنعاء ، إلاَّ أنَّ الباحثَ قد يجِدُ في بعض المؤلفات التاريخية لمحاتٍ تدلُّ على أن القائمين بنشر الدعوة لم يهملوا ذالك الجانب ، فقد ذكر الشوكاني[٥] أنَّ في سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد عبدالعزيز بن سعود مجلدان لطيفان ـ يقصد من المؤلفات التي تُوَضِّحُ حقيقة الدعوة ـ ويظهر أن هذين المجلدين هما المذكوران في رسالة عبدالعزيز بن سعود إلى المنصور علي بن المهدي ، حاكم صنعاء ، يدعوه لقبول الدعوة السلفية ، ووردت الرسالة في مجموع مخطوط ، نُشِرَتْ منه مقتطفات بعنوان «ذكريات الشوكاني»[٦] نَصُّ مافي المجموع : وصل في شهر شوال سنة ١٢١٦ إلى حضرة مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله كتاب من سلطان نجد عبدالعزيز بن سعود وهذا لفظه : السلام التام ، والتحية والإكرام تُهْدَى إلى سَيِّد الأنام ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم ينتهي إلى جناب الإمام ابن الإمام الشريف علي ، أسعده الله بطاعته وسلمه من الآفات وحفظه من طوارق البليات ، واستعمله بالباقيات الصالحات ، وبعد : الخط الذي مع محمد بن محمسة وصل ، وصلك الله إلى رضوانه ، ومافيه من مواصلة الدعوة والدرس والذي غيره كذالك وصل ، وهذا واصلك بيد ابن محمسة إن شاء الله هدية وهي أجل الهدايا عندنا ، فالمأمول فيك قبولها ، وقبولها جزاؤها وهي مجموع فيه تفسير الشهادتين ، وفيه توحيد الله بالعبادة ، وماعليه من الأدلة ، وفيه كشف الشبهات التي يوردها أعداء الإسلام على أهل التوحيد ، وفيه تفسير فاتحة الكتاب وفيه ستة مواضيع منقولة من السيرة ، فالمأمول فيك تمعن النظر ، وتجمع له علماء أهل السنة وتوثقهم حتى يعطوك العلم على جله ، وفي الحديث عن الصادق المصدوق صلاة الله عليه قال : «الدين النصيحة» . قالوا لمن يارسول الله ؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم» . وأنا أحلف لك ماحملني على هذا إلا هذا ومقتضى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿قُلْ هذِهِ سَبِيْلِي ، أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ

دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أعطى الرَّاية يوم خيبر عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه وقال: «انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم عما يجب عليهم فيه من حق الله تعالى فوالله لأَنْ يَهْدِيَ بك رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» وفي الحديث الصحيح أيضاً عن معاذ رضي الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أَوَّل ماتدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله، فإنْ هُمْ أطاعوك لذالك فأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله افترضَ عليهم صدقةً تُؤْخَذُ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فقرائهم . . . .» إلى آخر الحديث. وشهادة أن لا إله إلا الله فيها النَّفْيُ، وفيها الإثبات، تنفي الأُلُوهِيَّةَ عما سواه جل جلاله وتُثْبِتُها له، والأُلوهية فِعْلُ العبد، فإن دعوت الله ودعوت معه غيره أو نحرت لغيره، أو نذرت أو خِفْتَ أو رَجَوْتَ أو توكلت على غيره فهذا هو الشرك بالله، وأنواع العبادة كثيرة، وأما توحيد الربوبية فهو ماأنكره كفار قريش ولانفعهم الإقرار به واقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾ وآيات كثيرة في هذا، وهذا الاختلاف الذي جرى بيننا وبين الناس عند حقه جل جلاله العبادة قال تعالى: ﴿هذانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ وإلَّا ماوقع بيننا وبين الناس اختلافٌ في فرائض الدين، ولا في محرماته، والله يقول وقوله الحق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقال: ﴿وقضى ربك﴾ أيْ حَكَمَ وأَمَرَ ﴿أَنْ لَاتَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللهَ لَايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَالِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ونسأل الله العظيم، ربَّ العرش العظيم، أن يجمعنا وإياك على طاعته، ويجعل لنا ولك في كل خير نصيب، وأنا أذكرك الآخرة وبقاءك والدينا وفناءك.

وغير ذالك أنهي علينا مع ابن محمسة من عالم من علماء صنعاء أسئلة كثيرة، وغالبها مايصير سؤال مسترشد، وكل مسألة جاوبناه عنها بما يكفي ويشفي من الأدلة التي لاتنكر.

وتراني لَزَّمْتُ على ابن محمسة ، وقدرك عندك على عجلة الطارش فأنت اعذر وسامح ، والمأمول فيك تردّ لنا جواب ماذكرنا لك في الورقة ، وما أقر به علماء صنعاء وما أنكروا .

وسعود واخوانه وأبناء الشيخ كثيرو السؤال عنك والدعاء لك ثم أنت في حفظ الله وأمانه والسلام .

وغير ذالك أعداء التوحيد يوم قامت عليهم الأدلة من الكتاب والسنة صاحوا علينا مع ابليس في مسألة الشفاعة ، يزعمون أن نحن ننكر الشفاعة ، والشفاعة ماأنكرناها إلا نشهد بأن رسول الله هو الشافع المشفع ، وأن الأنبياء يشفعون ، والملائكة يشفعون ، والأطفال يشفعون ، ولكن نعتقد فيها ذكر الله في كتابه في قوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَايَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ومَالَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ ومَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَاتَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ له﴾ وقال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بِإذْنِهِ﴾ . وسئل النبي ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال : «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» . والأحاديث في هذا ماتُحصَى ، والمهدي من هداه الله قال تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهْوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُرْشِداً﴾ والعمائم لاتَغُرَّكَ ، ولاتُقَلِّدْهُمْ دِينَك ، قَلِّدْ دِينَكَ كتابَ الله وسنة رسوله ، وإجماع السلف الصالح ، ترى كثيراً منهم مثل ماقال الله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا إنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ فلا يوهموك وأنت في أمان الله والسلام . انتهى بحروفه وآخره طابعه هكذا (الواثق بالله عبدالعزيز بن سعود) .

وأورد الشوكاني بعد هذه الرسالة جوابها من صاحب صنعاء المنصور ، ويظهر أنها من إنشاء الشيخ الشوكاني ، لا أُطِيل بذكرها وجاء في خاتمتها : نُصْحُكَ الصحيح قبلناه ، وعلى كاهل السلامة حملناه ، والدين النصيحة ، لاسيما إذا كانت صحيحة ، ونحن لك من الناصحين ، وفاءً بما ندب إليه رَبُّ العالمين ، ثم سيد المرسلين ، فإياك أن تأخُذَ دينَك عن المقصرين ، أو تعتمد على غير كتاب الله المبين ، وماجاء عن رسوله الأمين ، ثم لا تأخذ تفسيرهما إلاَّ من نَحَارِيْرِ العلماء ،

القائمين بمعرفة محكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، ومجملها ومبينها ، ومطلقها ومقيدها وعامها وخاصها ، الناهضين بمعرفة أسباب النزول ، ومقتضيات ماجاء عن الرسول ، العارفين بوجوه الجمع والترجيح المميزين بين السقيم والصحيح .

وقال الشوكاني في «البدر الطالع»[٧] : ثم في سنة ١٢٢٢ وصل إلينا جماعة من صاحب نجد سعود بن عبدالعزيز لبعضهم معرفة في العلم ، ومعهم مكاتيب من سعود إلى الإمام المنصور بالله ، وإليَّ أيضاً .

وأضاف : ثم وصل جماعة آخرون كذالك في سنة ١٢٢٧ .

ثم وصل جماعة آخرون كذالك في سنة ١٢٤٨ ودار مع هاؤلاء الواردين ومع غيرهم من المكاتبة مالا يتسع المقام لبسطه .

كذا ذكر الشوكاني وياليته فصل ذالك ، ولعله فعل في كتابه الذي قال عنه في ترجمة سعود[٨] عند ذكر الحوادث التي جرت في عهده (وقد أفردت هذه الحوادث العظيمة في مؤلف مستقل).

استقرار الدعوة وبدء العلاقات الخارجية :

وفي عهد سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسختْ قواعدُ الدولة السعودية ، وبلغتْ أوْجَهَا في الانتشار والقوة ، بحيث شملت نجداً والحجاز وتهامة والأحساء ، ووصلت مشارف الشام وحدود الكويت وامتدّتْ جنوباً إلى حدود عُمَان ، كما شملت بلاد نجران وتوغلت داخل اليمن غَرْباً وجنوباً ، فأصبحت حكومة صنعاء ترى في هذه الدولة وامتدادها إلى تلك البلاد قُوَّةً لابُدَّ من مَدِّ اليَدِ لِمُسَالَمَتِها . ولاسيما بعد الاستيلاء على مدينة الحديدة وانقياد كثير من القبائل اليمنية التهامية . وكان الحكم في صنعاء لا يرتكز على قوة ، ولايقوم على أساس من التأثير الفعلي في هذه البلاد ، باستثناء المنزلة الدينية التي يتمتع بها الإمام الزيدي ، ومع ذالك فقد كان منصرفاً عن شؤون البلاد ، فبعد وفاة الإمام العباس المنصور سنة ١١٨٩ تولى ابنه علي بن العباس الملقب بالمنصور الإمامة ،

ولكنه عاش عيشة تَرَفٍ وانصراف عن شؤون الملك ، فتلاشت أمور الحكم واضطربت الأحوال في البلاد حتى حوصرت القاعدة صنعاء من قبل إحدى القبائل ، واستولى حمود بن محمد أبو مِسْمار على تهامة ، وتمزقت المملكة وكان أحمد بن المنصور ويلقب سيف الإسلام يتنازع السلطة مع وزير أبيه الحسن بن عثمان العلفي فأيهما غلب قام بتصريف الشؤون حتى انتصر الابن فاوقع بوزيري أبيه ونهب بيوتهم وسجنهم .

وقال ابن بشر[٩] : في سنة ١٢٢٠ بايع صالح بن يحيى العلفي رئيس الحديدة وبيت الفقيه سعوداً على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وحسنت عقيدته للمسلمين ، ثم إن إمام صنعاء سير عساكر عظيمة ، وحاصروا بندر الحديدة وأخذوه ، واسر ابن صالح المذكور ، وكان إستعمله أبوه فيها أميراً ، فتجهز صالح إلى زبيد فنازلها وأخذها عنوة وبعث الأخماس إلى الدرعية .

وما أجمله ابن بشر من أخبار مبايعة صاحب الحديدة وما جرى على اثرها ورد مفصلاً في كتاب «نفح العود في سيرة الشريف حمود»ـــ ٢٢٠ وما بعدها ـــ للقاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي (١١٨٢/١٢٤٨) وهو ممن خب في تلك الحوادث ووضع كما سيأتي .

وفي هذه الأثناء اضطر حاكم صنعاء إلى الاتصال بالدولة السعودية على ماذكر صاحب «درر نحور الحور العين» في حوادث سنة ١٢٢٢ إذ قال : في خامس عشر شهر صفر كان إنفاذ علي بن محمد المراجل الكبسي[١٠] بكتب من الدولة إلى سعود بشرح بعض الحال ، ويذكر ماصنع حمود بن محمد أبو مسمار صاحب جازان ، وكان القاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي قاضي بيت الفقيه من قبل إمام صنعاء أوضح في كتاب إلى وزير صاحب صنعاء حسن عثمان العلفي تغلب حمود على جهات التهائم، واقترح القاضي البهكلي بعث رسول إلى سعود ليحسم المادة بينهم وبينه ، فدعا إمام صنعاء القاضي محمد بن علي الشوكاني واطلعه على الكتاب فقال : مثل هذا لا يحسن فإنه سيفتح عليكم به شرٌ كبيرٌ ، إلا أنه لما رأى حزم الإمام على إرسال علي بن محمد المراجل لم يجد بُداً من الموافقة ، قال : ومن تمام

شرطكم أن لا يتعلق رسولكم بشيء مما فيه قيل وقال ، وإنما هوحامل كتاب وعائد بجواب ، وأنه لا يجيب إلى خروج أَحَدٍ من حضرة سعود فإن ذالك فتنة . وأضاف المؤرخ اليمني : فلم تنتج الرسالة إلا ماكانوا يحذرون .

ويفهم من قول القاضي الشوكاني: (وانه لايجيب إلى خروج أحد من حضرة سعود) أن غاية إرسال هذا الرسول الاستنجاد بسعود ، ليدفع تقدم الغزاة عن التوغل في البلاد اليمنية ، وخاصة في تهامة التي اكتسحتها حركة حمود أبو مسمار .

ويظهر أن سعوداً أراد قبل ذالك أن يتأكد من استجابة حاكم صنعاء للدعوة السلفية ، وقبول نشرها في تلك البلاد ، ولهذا بعث وفداً إلى صنعاء فصل خبره صاحب كتاب «درر نحور الحور العين» ولكنه لم يورد نصوص الرسائل المتبادلة بين الفريقين ، ويظهر أن تلك الرسائل تتم عن طريق قاضي الإمام الشيخ محمد ابن علي الشوكاني، وأنه هو الذي كان يكتب مايصدر من حاكم صنعاء إلى من في الدرعية من أجوبة ، بعد أن تحال إليه الرسائل الواردة منهم، ولهذا فإن بَعْضَ نسخ تلك الرسائل وُجدتْ في أحد مجاميع القاضي الشوكاني ، ونشر قسماً مما في المجموع[١١] الدكتور صالح رمضان محمود ـ أستاذ التاريخ الحديث في (جامعة عدن) .

وقال صاحب «درر نحو الحور العين» في ذكر حوادث سنة ١٢٢٢ ماهذا نصه : وفيها وصل كتاب بعد أيام الحج ، مُفْتَعَلٌ نسبه الفاعل إلى سعود ، وجاء به حفيظ الدوسري ، ولم يبلغه إلى الإمام إنما أُرْعَدَ به وأبرقَ ، لفظه : بسم الله الرحمن الرحيم والعافية للمتقين ، والله الذي لا إله إلا هو لَتَسِيْرنَّ السيرة الحسنة أوْ لأبعثنَّ إليك أقواماً يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا والسلام .

وكان ذالك الكتاب صادعاً للقلوب ، مُفْزِعاً مروعاً ، ووصل به حفيظ الدوسري ، ولما رأى الإمام نشطة النجدية وتملكهم للرعية هاله ذالك ، وسعى فيما يُطْفِيءُ نار تلك المهالك ، فأشار عليه حاكم حضرته البدر الشوكاني بسلوك طريقة العدل ، وضمن له على الله تعالى أن يكفيه جميع مهماته ، وأنه إنِ استعمل

ذالك بنية صادقة كُفِيَ مُهِمَّاتُهُ ، فبادر الإمام بجميع الحكام والوزراء ومشائخ الأسواق ، وأعلن نشر العدل ، وأمر بهدم حانات أهل الجبا المعمورة على أبواب صنعاء ، وأعلن بتحريم الربا ، وأعلن بإسقاط المرجوعات والقبالات وضمانات الأسواق ، وبعث معلمين الخير والصلاة ، ومنع الشرطة ، وزجر البغايا ، ونفى القائم عليهن ، وأنَّ كُلَّ مُتَعَدٍّ تناله حدود الله ، وبعث بها إلى جميع بلاده ، وبعث حاكمه المجتهد إلى سائر الأقطار رسالة سُمِّيَتْ بِمُسْتَهَلِّهَا : (طلوع شمس عدل) .

ويظهر أن إرسال الكبسي مُوفَداً إلى الدرعية كان بعد ذالك .

وأضاف صاحب «درر نحور الحور العين» في كلامه على حوادث تلك السنة :

وفي آخر جُمَادَى الآخرة وصلت رسل متولي نجد إلى بلاد كوكبان ، واستقروا بحضرة شرف الدين فأكرمهم ، وفيهم رجلان من علمائهم أحدهما عبدالعزيز بن أحمد بن ابراهيم [١٢] ، وساق نسبه إلى جده راشد .

والعالم الآخر عبدالله بن مبارك بن عبدالله بن حمد بن راشد بن بُشَيِّر[١٣] .

قال : وكان مع ابن المبارك وعبدالعزيز من رسل سعود رجل يقال له ابن سَعْدُون ، وابن هُوَيْشِل فأما ابن سعدون فهو من القُوَيْعِيَّةِ وهو محمد بن سعدون ابن مانع بن محمد بن نُخَيْلَان بن محمد بن ميمون ، وأما ابن هُوَيْشِلٍ فهو عبدالله ابن محمد بن علي بن هُوَيْشِلٍ . ولم يذكر المؤرخ ابن جحاف غير هاؤلاء في الوفد .

أما يحيى بن المطهر فقد ذكر في ديوانه[١٤] أن الرسل عدة نفر سبعة أو ثمانية ، وهم عبدالعزيز وعبدالله بن المبارك ، وحفيظ ، وحجلان ، وفهد ، ويوسف القرماني ، أصله من صنعاء ، ولايزال يختلف من نجد إلى صنعاء وكأنه في الأسباب وأمثلهم عبدالعزيز من نجد .

كذا سرد هذه الأسماء ، وقد يكون بينها أسماءُ أُنَاسٍ انضموا إلى الوفد وليسوا منه .

قال ابنُ جحّاف : لَمَّا استقروا بكوكبان حجيهم حسنُ بن عثمان ـ يقصد وزيرَ الإمام المنصور ـ كراهةً ، وزاده غيظاً أنْ كاتبوا سيفَ الإسلام .

بقى الوفد في منطقة كوكبان في بلدة شبام التي تبعد عن صنعاء أكثر من مسيرة يوم .

ويظهر أن ابقاء الوفد كان برغبة من حكام صنعاء الذين كانوا يتوقعون أن يكون جواب حكومة الدرعية بما يزيل ما أحاط بهم من تقدم الجيوش الغازية في نواحي تهامة بقيادة الشريف حمود أبي مسمار ، من ارسال قوة أو صدور أمر حاسم للشريف حمود .

يضاف إلى هذا ثورة القبائل القريبة من صنعاء ومحاصرتها لهذه المدينة كما يفهم من الكتابات التي جرت بين الوفد وبين إمام صنعاء وابنه ، فقد أورد المؤرخ اليمني ابن جحاف أنه ورد على الإمام علي بن العباس كتاب بطلب التحيل في دخول الوفد لابلاغ ماقصدوا له ، ومما ورد فيه : انا والله في ابأس مكان وعند أخس جيران ، قد ضاق منا الذرع والفناء ، وأدركنا النصب والعناء ، فإن لم يحسن لنا الاسعاف فليرجع إلينا الخبر لنرجع مع الأثر .

وأورد قصيدة لعبدالله بن المبارك بن بشير المتكلم باسم الوفد جاء فيها(١٥) :

وقد قضى الله في صـنعا بأقضية	يقضي العجائب منها كل مكياس
جاءت بكيل فحطت في جوانبها	واستوثقت عند ارجاها بحـراس
وقطعت سبل الساعين واتخـذت	من بغيهـا كل جبـاء ومكـاس

قال ابن جحاف في ذالك : في يوم الاربعاء (ثالث رمضان سنة ١٢٢٢) ثارت العامة بصنعاء وتَجَمَّعَتْ إلى باب الإمام ، وأفصحتْ بالشكاية ، لِمَا نزل بهم من الضر والحاجة الماسّة ، إذْ كانت طائفةُ بَكِيل من القبائل تلك الأيام محاصرةً باب صنعاء أربعةَ أشْهُرٍ وعَشْراً ، عِدَّةَ المُتَوَفَّى عنها ، فامتنع بهم دخول الأرزاق المجلوبة من جميع الآفاق ، وزادت النكاية ، إلا أنه لا يمكن خروج رجل من المدينة إلا برفيق من البغاة ، يجعل له على أمَانِهِ جُعْلاً ، وهو على خطر من سفك دمه ، وإنما يخرج الرجل

لايدري مايقع عليه من السلامة وعدمها ، وشكوا أنها غَلَتْ عليهم الأسعار، وأنه لايَحِلُّ السكوت وقد استرعاه الله تعالى ، فلما رأى الإمام عليهم من المصيبة ماشكوا أباح لهم قَتْلَ مَنْ وجدوا من بكيل الداخلة صنعاء - إلى أن قال -: وفي يوم الخميس عادُوا إلى باب داره يشكون له الضُّرَّ ، ويسألونه إزالة بكيل عن الباب ، وقال قائلهم : لامعنى للإمام إلا ذالك ، وإلاَّ كان لَفْظاً مُهْمَلاً . إلى آخرِ ماأوضح المؤرخ من الفوضى في مدينة صنعاء بحيث أنه في يوم الجمعة ٢٠ رمضان ١٢٢٢ - خرج توابع الإمام وعساكره من صنعاء ، وغاضبوه ، لتأخر أرزاقهم ، فنهبوا السُّفْرَ ، وطمعوا من تجار الحضارم ، وسلبوا من وجدوا ، ونالوا من الحرام مانالوا ، وهتكوا حرمة الشهر الحرام ، فأصبحوا به مفطرين .

أما عن الوفد فكما جاء في قصيدة ابن بُشَيْرٍ :

فَـإِنَّـنَـا فِي شَبَـامٍ بِئْسَ مَنْـزِلَـةً ... كُنَّا بِهَا حِلْفَ إِبْلاَسٍ وإِفْلاَسِ
لاَنَسْتَطِيعُ خُـرُوجاً مِنْ دُوَيْـرَتِنَا ... كَأَنَّمَا نَحْنُ فِي مِسْجَـانِ حَبَّاسِ
لانَسْتَضِيْءُ بِنُـورٍ نَسْتَرِيْـحُ بِـهِ ... وَلاَتُـرَوِّحُـنَـا رِيْـحُ بِنَسْنَـاسِ

وفي هذه القصيدة إشارة إلى أنَّ الوفد إنما حضر استجابة لما جاء رسول صنعاء يطلبه من حكومة الدرعية إذ في القصيدة :

جـاء الجـمال علـيٌّ طـالباً ثقـة ... فـأسْعَـدُوهُ بِـأَمْـرٍ غَـيْرِ مِتْعَـاسِ
فِيهِ السَّلاَمَـةُ والإِنْعَامُ لِلضُّعَفَـاء ... ولِلرَّعَايَا وَلِلْمَنْصُـورِ ذِي ٱلبَاسِ

ومن المعلوم أن حكام صنعاء كانوا يتخذون من القبائل وسائل لتوطيد حكمهم ولإخضاع رعيتهم ، فقد يكون قيام بكيل لمحاصرة صنعاء بموافقة من حكامها ، كما يستشف من قول المؤرخ اليمني أن الوفد لما استقروا بكوكبان جحبهم الوزير حسن بن عثمان كراهة لهم ، وزاده غيظاً أنْ كاتبوا سيف الإسلام وحاكم الحضرة البدر الشوكاني ، وأنَّ مما أرسلوه إليهم كتاباً بليغاً ، وذكر أن الوزير ابن عثمان أعرض عن تسيير قبائل ذوي محمد ٱلحَاطَّةِ على صنعاء ، وأنه أغراهم النجديين ،

النجديين ، فتحدثوا بأنهم لو ظفروا بأحدهم أو بجملتهم لما تركوهم على الحياة ، فعافت الرسل البقاء ، وهمُّوا بالعود . وإذَنْ فقد كان في مستطاع وزير حاكم صنعاء أنْ يَكُفَّ بكيلاً عن حصار المدينة ، وأن يُؤَمِّنَ الطريق لوصول الوفد إليها ، غير أنه لم يفعل ، ولم يُجْدِ توسلهم إلى الإمام وإلى ابنه ، ولما صمموا على الرجوع جاءهم كتاب من الإمام : أنِ اسْكُنُوا حتى تنفذ قبائلنا الحائلة بيننا وبينكم إلى تهامة .

مكث الوفد في شَبَام كوكبان من آخر جمادي الآخرة حتى السادس من شهر شعبان في تلك الحالة ، ثُمَّ أرسل سيف الإسلام ابن إمام صنعاء المنصور جماعة وافرة من أصحابه ــ على ماقال المؤرخ ــ فاستنزلهم من كوكبان ، ومنع عليهم من قبيلة همدان ، إذْ كانوا قد تَحَشَّدُوا وأرادوا الفتك بهم ، فما أمكنتهم الفرصة ، وخافوا سطوة سيف الإسلام .

قال : ودخلوا صنعاء يوم الخميس (سادس شعبان سنة ١٢٢٢) فأنزلهم سيف الإسلام ببئر الْعَزَبِ ، وبعث إلى عبدالعزيز بكسوة فلبسها ، ثم استقدمه ، فدخل على الإمام وهو بدار الإسعاد في جَمْعٍ ، وكان الإمام قد أَمَرَ بإركابه على فرس جواد من خيله ، ولما دخلوا على الإمام حيوه بالتحية المشروعة ، وصافحوه السلام مصافحة ، وخرجوا عنه ، فأنزلهم بجواره ، فَنَزَلْتُ عليهم ، وأَخَذْتُ مَالَدَيْهِم ، فرأيتهم ينكرون المشاهد والقباب ، والدعاء بغير الله تعالى ، كـ (يامحمد) و(ياعلي) ويشركون المعتقِد ، ويجزمون بوجوب حضور صلاة الجماعة في كل وقت ، وينكرون الزنا والربا ، ويوجبون طاعة أميرهم سعود بن عبدالعزيز ، ويرمون من خالفه بالْكُفْرِ ، ولا يحاشون أحداً خلا أن لهم محبة للدنيا عظيمة ، وتهالكاً عليها ، وتنافُساً فيها ، لهذا خَادَعَهُمْ سيفُ الإسلام بالمال ، فأحبُّوه ، ورأوا له قَدْراً ، ورفعوا له ذِكْراً ، وحاموا حوله ، وتردَّدُوا إليه .

وأشار إلى أن الناس في أول الأمر قد مُنِعُوا من الدخول عليهم ، كما أنهم هم قد مُنِعُوا من الخروج . وأضاف : ثم أُطْلِقَ لهم العِنَان ، فخرجوا ، وقصدوا الأعلام إلى منازلهم . وعدَّ جماعة من هاؤلاء منهم العلامة محمد بن علي الشوكاني ،

والمحدث عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأمير ، وعلماء غيرهم من المحدثين ، ذكر أسماءهم ابن جحاف في تاريخه .

ولم يفصل من احوال الوفد مايتضح به مدى استجابة حكام صنعاء للغاية التي حضر من أجلها وهي الاستجابة والقبول للدعوة السلفية، التي أوضحها سعود بن عبدالعزيز في كتابين وجههما مع الوفد، لم يذكرهما المؤرخ ابن جحاف ولكن وردًا في أحد مؤلفات الشوكاني ونشِرًا في كتاب «ذكريات الشوكاني»[١٦]، كما أن الشوكاني نفسه في ترجمته سعود بن عبدالعزيز من كتاب «البدر الطالع»[١٧] قال: ومازال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور ، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما ، بالدعوة إلى التوحيد ، وهدم القبور المشيدة ، والقباب المرتفعة، ويُكْتَبُ إليَّ أيضاً مع مايصل من الكتب إلى الإمامين . ثم أضاف : ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء ، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها ، وفي جهة ذَمَار . انتهى . وهذا صريح في استجابة حكام صنعاء لقبول الدعوة ، وإنْ بَدَا منهم بعض التردد ــ كما يفهم من قول المؤرخ ابن جحاف ــ حين ذكر خبر عودة الوفد ، قال : وكانوا غَاضَبُوا مَرَّاتٍ ، وأرادوا الخروج عن صنعاء ، فثبطهم سيف الإسلام ، وهم يرجون أن تَتِمَّ لهم مآرب ، وكان عبدالعزيز كثيراً ماينكر مايفعله العوام ، من الذبائح لابن علوان ، ويُكَفِّرُهُمْ بالاعتقاد والرضا ، وسمعت سيف الإسلام يقول لعبد العزيز ــ يعني رئيس الوفد ــ : سأعطيك جماعةً وافرةً من عساكري ، وأجعل لك كتاباً تنفذ به إلى محل ابن عَلْوَان فتهدمه . فرغب أَوَّلاً ، غير أنه مازال يأل ، حتى علم أنه لاطاقةَ له بذالك ، لِشِدَّةِ اعتقاد الناس فيه ، وكان قد طالب بالكتب إلى سعود ، بالإفصاح له عن الحال ، فشرحوا ذالك لسعود ، وانه سيتأثر بالمباشرة بالأمور مرة واحدة ، شرٌّ طويل ، لما عليه قبائل اليمن على كثرتها من هذه الاعتقادات .

ويظهر أن ابن جحاف هذا المؤرخ كان على صلة قوية بعبد العزيز رئيس الوفد ، فكثيراً ماتحدث عنه أثناء إقامته في صنعاء ، فقد ذكر أن الإمام أودع أربعين أسيراً أرسلوا إلى صنعاء بعد الاستيلاء على بلدة حَيْسٍ التي كانت قد

استجابت للدعوة ، فأودعهم الإمام السجن ، فساء عبدالعزيز ذالك ، وتَشَفَّعَ فيهم ، فشفع ، وأُطْلِقُوا وكانوا يَغْدُوْنَ ويَرُوحون بالطرقات ، واختلفوا إلى عبدالعزيز مَرَّاتٍ .

ومما نقل عنه أثناء حصار صنعاء ونزول الضُّرِّ بأهلها قال : سمعت عبدالعزيز يقول : ماأفلح والله من أَهْمَلَ الناس ، وفيه شيْءٌ من قوة .

وقال حين تحدث عن قيام اتباع الإمام وعساكره بنهب أموال المسافرين وبعض التجار واستخفافهم بحرمة شهر رمضان وإفطارهم قال المؤرخ : إن عبدالعزيز وأصحابه قالوا : أيكون المستحِلُ عندكم معذوراً ، والله لا أُشكُّ في كفركم . قلت له : لا والله ولكن الأمر بالمعروف أقسام ، فنحن لايمكننا باليد واللسان ، وليس لنا إلا القسم الثالث ، فوالله إن قلوبنا منكرة غير راضية .

ويظهر أن عبدالعزيز كانت صلته بهذا المؤرخ حسنة ، فقد وردت إليه كتب من عسير ومن الطائف ومن اللُّحَيَّةِ فأطلعه عليها ، وأورد خلاصتها في كتابه في حوادث شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٢ .

عودة الوفد إلى الدرعية :

مكث الوفد في اليمن أكثر من ستة شهور ــ من آخر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ إلى أول شهر صفر سنة ١٢٢٣ ــ قال المؤرخ اليمني : وفي يوم الثالث من صفر رَحَلَ رسلُ صاحب نجد عن صنعاء ، عبدالعزيز وجماعته ، بعد طول المدة مع عدم الفائدة .

ثم أضاف : وكان سيف الإسلام قد توسع لهم ، وأنزلهم بداره المرة بعد المرة ، ولما ذهبوا أنالهم أموالاً ، وأجابهم إلى ماسألوا ، ولما انفصلوا عن صنعاء جاء منهم تهدُّدٌ وإرجاف ، بعد بلوغهم حصن كوكبان .

ولما بلغوا إلى سعود شكوا مالاقوه غير أنه حصل الاختلاف بينهم ، فرأى مطامعهم الدنيوية قد أفسدت عليه ما أمَّلَ ، وهَدَمَتْ من بنيانه ما أسسه وأصَّل ،

فأهمل أمرهم ، وتركهم في الذلة والضيق ، فبلغنا عن حالهم والركة التي لحقتهم ماقضينا منه العجب .

كذا قال هذا المؤرخ ، وماأَرَاه إلا متجنياً على هذا الوفد الذي لو لم يكن من أثر وفوده إلى صنعاء سوى ما ذكره الشوكاني ــ وتقدم ــ .

ولا شَكَّ أنَّ للإمام الشوكاني المعروف بسعة علمه ، وباجتهاده ، وبمناصرته لطريقة السلف الصالح ، التي أتى الشيخ محمد بن عبدالوهاب بتجديدها ، وأتت مؤلفات الإمام الشوكاني طافحةً بمناصرتها ــ لاشك أن لهذا العالم الأثر الكبير في انتشار مباديء الدعوة السلفية في هذه البلاد ، وقبله الإمام المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير .

ومع أنَّ المؤرخ لطف الله بن جَحَّافٍ من تلاميذ الإمام الشوكاني ، إلا أنه فيما يظهر في كثير من كلامه يدفعه التحيُّزُ والتعصب إلى أن ينال من الدعوة السلفية ، ومن القائمين بها ، فينسب إليها من الأمور ماهو من اختلاق أعدائها ، مما لاداعي لتفصيله ، ومن ذالك قوله : إن رجال الوفد يوجبون طاعة أميرهم سعود ، ويرمون من خالفه بالكفر . فهذا غير صحيح ، حقاً إنهم يوجبون طاعة ولي الأمر مادام مطيعاً لله ، مُنَفِّذاً لأحكام الشرع الشريف ، أما إذا خالف ذالك أو أمر بمعصية فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .

حمــد الجاسر

الحواشي :

١ ــ انظر ترجمته في «العرب» س ٧ ص ٦٨٠ و٧٨٠ وفيها تفصيل لمؤلفاته ومصادر ترجمته وتراجم أبنائه .

٢ ــ مربد بن أحمد بن عمر الوُهَيْبِي من فرع آلُوَهَبَة (بني وُهَيْب) من قبيلة بني تميم ، وهو من أهل بلدة حُرَيْملاء ، وكان ممن طلب العلم في دمشق حيث أقام هناك ثلاث سنوات يدرس فقه الحنابلة على علمائهم ، ثم عاد وتولى قضاء بلدة حُريملاء ، وسافر إلى اليمن سنة ١١٧٠هـ وأقام هناك ثمانية أشهر ، ثم عاد إلى حريملاء فحدث خلاف بين الأمير الذي عينه الإمام محمد بن سعود وبين أمير آخر للبلدة من آل مبارك ، إلا أن أمير الإمام محمد تغلب على البلدة ، فهرب منها الشيخ مربد إلى بلدة رَغبة فامسكه أميرها علي الجريسي فقتله عام ١١٧١ ــ «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩٤٧ ــ

٣ ـ ١٣٨/٢ . ٤ ـ القسم الثالث ص ٤٧ . ٥ ـ ٥٢ ـ ٧ .

٦ ـ نشرها الدكتور صالح رمضان محمود أستاذ التاريخ الحديث في جامعة عدن ـ ص ١١٣ .

٧ ـ ٧/٢ . ٨ ـ «البدر الطالع»: ٢٦٣/١ .

٩ ـ «عنوان المجد»: ٢٩٠/١ طبعة دارة الملك عبدالعزيز .

١٠ ـ ترجم السيد زبارة في «نيل الوطر» ١٥٧/٢ علي بن محمد بن حسين المراجل الكبسي الحسني فذكر أنه ولد سنة ١١٨٨ وتوفي سنة ١٢٢٣ ووصفه بالتقوى والعبادة ، ونقل ماأورده ابن جحّاف من إرساله إلى سعود ، ولم يأت بأكثر من ذالك .

١١ ـ من هذا المجموع مخطوطتان مصورتان على شريط (مكروفلم) إحداهما في مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا تحت رقم E87 والثانية في دار الكتب المصرية ضمن المخطوطات اليمنية المصورة سنة ١٩٦٥ كذا ذكر الدكتور صالح رمضان محمود أما أصل المخطوطتين فيظهر أنه في اليمن .

١٢ ـ هو عبدالعزيز بن حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب بن موسى بن عبدالقادر بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف يلتقي مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في راشد .

ولد حوالي سنة ١١٩٠ في الدرعية وأمه بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ووالده الشيخ حمد بن ابراهيم كان قاضياً في بلدة مراة ، فقدم على الشيخ محمد في الدرعية وتزوج ابنته ، فأتت بعبد العزيز هذا ، ثم مات أبوه فتزوج أمه الشيخ محمد بن علي بن غَريب المقتول في الدرعية سنة ١٢٠٩ بسبب وشاية ، فالشيخ عبدالعزيز ربيب ابن غَريب ، ونقل ابن حميد في «السحب الوابلة» أنه سمع بعض مشايخ صنعاء يثنون على الشيخ عبدالعزيز بالفضل والعقل وأثنى عليه المؤرخ الجبرتي حين قدم مصر وافداً من عبدالله بن سعود إلى محمد علي باشا في شوال سنة ١٢٣٠ لإبرام الصلح الذي لم يتم .

وقد تولى عبدالعزيز قضاء مدينة عُنيزة بعد إستيلاء إبراهيم باشا على الدرعية سنة ١٢٣٣هـ ، ثم ذهب إلى العراق فتولى قضاء سوق الشيوخ ، وتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف ، وقد ترجمه ابن حميد في «السحب الوابلة» [انظر ترجمته في «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠] ترجمه عرضاً في ترجمة جده عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب . كما ترجمه غيره ممن جاء بعده وله رسالة «الأجوبة الشرعية إلى علماء الدرعية» نشرت في الجزء الرابع من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» طبع المنار بمصر سنة ١٣٤٩ من ص ٥٦٤ إلى ٥٨٤ .

١٣ ـ مجلة «العرب» س ٢٢ ص ٢٠١ .

١٤ ـ «الأسلاك اللؤلؤية في الآداب اليحيوية» ولايزال هذا الديوان مخطوطاً .

١٥ ـ القصيدة كاملة في «العرب» س ٢٢ ص ٣٧٤

١٦ ـ ص ١٢٣ إلى ١٣٣ مع جوابيهما من المنصور وابنه أحمد ، والطريف أن في كتاب سعود إلى أحمد ابن الإمام مانصه : ولولا أن القبضة (؟) منعتنا من المواصلة بمواشي واصلنا بمواشي ، والواصل إليك ثلاث بشوت قز ، وثلاث قربات أمهات علامتين ، وشبريَّن من قسم شباري أهل نجد ، فالمأمول فيك القبول .

وفي كتاب من عبدالله بن سعود إلى أحمد ابن الإمام : وماذكرت من المواصلة وصلت ، جزاك الله خيراً ، ومقبولة ، كثر الله خيرك ، والواصل إليك إن شاء الله بيد حفيظ عباتين جوخ ، وسيف وثلاثة بشوت قز ، والمأمول فيك قبولهن .

١٧ ـ ج ١ ص ١٨١ .

انطباعات مسافر عابر :

-٣-

في مدينة (أبي ظبي) وماحولها

إلى (أبي ظبي) :

وفي الساعة الخامسة من مساء يوم السبت (١٣/٣/١٤٠٧هـ/١٥/١١/١٩٨٦م) كان إقلاعُ الطائرة بنا من مطار مَسْقَط ، ويسمى (مطار السِّيْب الدولي) والسِّيْبُ بكسر السين المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة فباء ــ ساحلٌ يقع شمال مدينة مَسْقَط ، فيه ميناء صغير يدعى السِّيْب فيضاف الساحل إليه .

لقد أكْرَمَنا الأخوانِ الكريمانِ أبو صالح السَّفِيرُ وأبو عثمان المُلْحَقُ الثقافيُّ فأبى لطفهما إلا أنْ يرافقنا حيث ذهبنا وأيْنَ حَلَلْنا :

ونُكْـرِمُ ضَيْفَنَـا مَـادَامَ فِيـنـا ... ونُتْبِعُـهُ الكرامَـةَ حَيْثُ سَـارا

فلم يدعَانَا إلا بعد أن صعدنا الطائرة .

كان أبُو فَهْدٍ الخَيَّال قد قرر العودة إلى الرياض في هذا اليوم ، لِارْتباطه بميعادٍ مع الطبيب الذي اعتاد مراجعته في أوقات مرتبة ، وأنا لم يسبق لي أن زُرْتُ قاعدةَ الإمارات مدينة (أبي ظبي) وها أنَا قد مررتُ بجميع مدن الإمارة ، فوجدتها فرصةً اغتنمتها لزيارة هذه المدينة .

وفي مطارها هبطت الطائرة الساعة السادسة إلَّا ثلثاً ، فكان الافتراق ، وكان مطاراً على درجة من النظافة والسعة ، يضاهي ماشاهدته من مطارات العالم الحديثة .

تبعد المدينةُ عن المطار ٤٣ كيلاً ، ودفعت لصاحب السيارة الأجرة الذي

أوصلني فندق (انتركنتننتال) ستين درهماً من نقد هذه البلاد ، وهو أخٌ يمنيٌّ ، من منطقة رَدَاع ، أمتعني بأحاديثه عن بلاده ، حيث توهمني يمنياً .

وفي غرفة في الدور الرابع عشر أُشاهِدُ منها المدينةَ والبحْرَ ، كان النزول ، بأجرة قدرها ٤٠٠ ريال ــ بعد المماكسة ، ولَمْ أسِرْ على طريقة : (الكَرِيْمُ لايُمَاكِس) أيْ لايحاور من يعامله ، فأصحابُ الفنادق من أوْلَى من يُمَاكَسُ ، فهم في الغالب ممن خَبَرَ طباع أكثر الناس ، فتأثر بتلك الطباع ، وهذا يدفعهم إلى أن يحاولوا استغلال الطيبين والكرماء منهم ، أو استغفالهم متى وجدوا إلى ذالك سبيلاً ــ وصدق الله العظيم في وصف الإنسان ﴿وإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيْدٌ﴾ . ولا أطيل فقد رَفَضْتُ الجناحَ الذي قال لي الأخَوَانِ الكريمان : إنه حُجِزَ لي (لأنه يليق بمقام فخامتي) ــ كما قالا !! ــ وما هذا الرفض إلاَّ لِأَنَّ الأجرة اليومية تزيد على ألف ريال !! إنَّ أَحَدَهُما من بلدة الخليل من فلسطين ، والآخرُ من عَمَّان ــ بفتح العين وتشديد الميم ــ ، فكان انِ اخْتَارا لِي غرفة في الدور الخامس عشر ، وبئْسَ الاختيار ، ولكنها تليق بالمقام !

إنَّ أُجْرَتَهَا لا تتجاوزُ أربعَ مئة درهم ــ في اليوم سوى إضافة الخدمة ــ ومئة الدرهم تساوي ٩٨ ريالاً سعودياً ، بينما أحدُ الإخوة وهو الأستاذ محمد السُّوَيِّد ــ لم يدفع أكثر من ١٦٠ درهماً لغرفة مماثلة للغرفة التي أسكنها ، لأنه كان أعرفَ مني بالوسائل التي ينبغي استعمالُها مع هاؤلاء ــ ومنها كتاب توصية من إحدى الجهات الرسمية ، ولما عاتَبْتُ موظفَ الاستقبال على هذا التفاوت في الأجور أقسم بأنَّ هذا حدث خطأً من موظف سوف يُسْتَوْفى الفرقُ من مرتبه ــ وصَدِّقْ أو لاتُصَدِّقْ ــ !!

كنتُ وأنَا في عُمَانَ ــ قد فَكَّرْتُ في النزول في بلدة العَيْن ، إذْ هيَ أقرب إلى الموضع الذي أردتُ زيارته ، وهو موقع (تُؤَام) الموضع القديم ، الذي اشتهر بأنه مغـاصٌ للؤلؤ ، وبلؤلؤه يضرب المثل في الجودة ــ ولكن توقعتُ أنْ أجِدَ في مدينة (أبي ظبي) وهي قاعدة البلاد من المهتمين بالتاريخ من أستفيد من مقابلته ، فكان النزول في هذه المدينة .

وبكّرْتُ في الصباح لزيارة (المكتبة العامة) فأوقفني صاحبُ السيارة التي ذهب بي إليها عند فرع لهذه المكتبة ظَناً أنّ هذا ماقصدتُ ، وكانت الأجرةُ كما بدَا من العدّاد إحدى عشر درهماً ، فدفعت له خمسة عشر ، متوقِّعاً أن يُضيفَ إلى الأجرة ماعتاد أصحابُ سيارات الأجرة في كثير من البلدان طلبه ممن يحملون في سياراتهم ، ولكنه أرْجَعَ لِي خمسةً قائلاً : يكفي عشرة ، فاستغربت وقلت له : لم أرَ سائِقَ سيارةِ أُجْرَةٍ أسْمَحَ منك ، فمن أيِّ بلدةٍ أيها الأخ ؟ فقال : من دَرْعا — أتَعْرِفُها ؟ فأجبتُ : لعلي بتاريخها القديم أعْرَفُ بها منك ، فما هو اسمها قديماً ؟ فكرر: دَرْعَا، دَرْعَا هو اسمها ولكنني أخبرته بأنها تسمى (أذْرِعَات) فَحُرِّفَ الاسمُ ، ولعلَّ الرجلَ سُـرَّ بحديثي معه ، فذكر لي اسمه ورقم سيارته ، وأخبرني أنه ممن يَقِفُ دائماً عند باب الفندق الذي أسكنه ، وقد اتضح لي — فيما بعد — أنَّ السيارات التي تُعَدُّ لاستعمال سكان فنادق الدرجة الأولى تُختَارُ ، فتكون الأجرةُ ملائمةً ، وهي أكثر من سيارات الأجرة الأخرى عادةً .

دخلتُ في (المكتبة العامة) الفرع ، بعد أن سجلتُ اسمي في دفتر وضع في المدخل ، الذي أفضى بي إلى حجرة مستطيلة — في الدور الأرضي — من عمارة ضخمة ، تقع على أهم شارع في المدينة طولاً وكثرة متاجر — ورأيت صِوَانَاتِ الكتبِ تملأ جوانبَ الحجرة ، وشاهدتُ وسطها إنساناً جالساً بقرب إحدى المناضد المنتشرة في وسط الحجرة ، فتقدمت إليه ، وجلست على كرسي مقابل له بعد أن سلمت ، ويظهر أنه لم يسمع سلامي ، أو لم أُسْمَعْ إجابته !

أحضرَ لي الفِهْرِسَ الذي طلبتُ مكتوباً في دفترٍ ، فكان نورُ الحجرة ضعيفاً بحيث لم أتمكنْ من القراءة ، فاكتفيت بمحادثة الرجل ، ليرشدني إلى مقر (المكتبة العامة) فقال : في شارع الكترا — لم أفهم الكلمة الأخيرة ، فطلبت كتابتها ، فكتبها كما نَطَقَها ، فاستوضحت منه عما بقربها من الأمكنة المعروفة فقال : خزَّان الماء ، شكرت الرجل ، وخرجت بعد أن عرفت منه أنه من الهند ، وركبت سيارة أجرة ، فكان السير لايزيد على الكيل الواحد . ونزلت عند خزان ماء كبير واقع في الشارع الذي سلكته منذ خرجتُ من الفندق ، واكتفى سائِقُ سيارة الأجرة

التي ذهبت معه على القول : هذا الخزان ، ولا أعرف المكتبة ، وكان عند ركوبي معه قد قال : إنه يعرفها ! أعياني السيرُ والبحثُ فعدتُ صوب الفندق ، فمررت بمقر (وزارة الثقافة والشباب) فرأيت بجوارها (مكتبة) بابها مفتوح على الشارع ، فدخلتها ، وكنت بحاجة إلى الماء ، فوجدتُ داخلَ الحجرة المستطيلة التي يفضي إليها الباب رجلاً أسمر اللون ، جالساً ، وأمامه كتاب يطالعه ، فجلست بقربه ــ بعد السلام ــ فأشار إشارة فهمت منها أنه يستوضحني عما أريد ، فأخرجت الدواء الذي معي ، وأوضحت له أنني بحاجة إلى ماءٍ لاستعمال الدواء ، أجاب : طيب طيب !! بلكنة أعجمية ، ثم ذهب إلى أقصى الحجرة الممتلئة بالكتب ، وغاب برهة من الوقت ، وعاد إليَّ وهو يكرر كلمة (ممنوع . ممنوع) ! ويشير إليَّ بالخروج ، فخرجت ، وركبت سيارة أُجْرَة مع أحد الإخوة الذي عرفت منه ــ فيما بعد ــ أنه يمني من (يافع) بعد أن قيل لنا : إنَّ المكتبة العامة تقع في شارع المطار القديم بقرب (وزارة الاعلام) .

في وزارة إعلام دولة الإمارات :

بلغنا الوزارة ، ولم نشاهد المكتبة ، فنزلت وسائق سَيَّارة الأجرة في انتظاري لأستوضح عن موقع المكتبة ، ويظهر أنه خشي أن لا أعود إليه ، فطلب الأجرة ووعد الانتظار ، ولعله استبطاني .

لقد عَرَّجْتُ على أقرب مكتب يلي الباب ، فوجدت فيه سيدة تطالع أوراقاً ، وضعتها وردَّتْ على السلام رداً حسناً ، فذكرتُ لها أنني من طلبة العلم من غير أهل هذه البلاد ، وأرِيدُ معرفةَ شيء عن تاريخها ، وقد توهمت أنني لا أجد ذالك إلاَّ في (المكتبة العامة) وأنتم موظفو (وزارة الإعلام والثقافة) أعلم الناس بهذا ، فقالت: سأُرْشدك إلى من يفيدك ، ثم كتبت في ورقة صغيرة (الأستاذ محمد خليفة مدير التوثيق الإعلامي) وأشـارتْ إلى مكتبه في الدور الأول ، شكرتها بعد أن عرفت أنها من مصر من الشرقية وتدعى السيدة إجلال ، ثم قابلت الأستاذ محمد خليفة خارجاً من مكتبه ، ولكن الرجل الذي ذهب معي ليرشدني إليه أشار إليه وقال له : هذا يسأل عنك ، فعاد إلى المكتب ، وبعد حديث بيننا عرفتُ منه أنه

درس في (برايتون) في بريطانيا ، وأنه يعرفني مما قرأ لي في الصحف السعودية ، ومن ذالك ماكُتِبَ حول توقف مجلة «العرب» وأبدى لي سروره بهذا الاجتماع ، وتمنّى أنَّ في استطاعته إمْدَادي وإرشادي بما ــ أو بِمَنْ ــ أستفيد به أو منه ، إلاَّ أن ماحادثته عن رغبتي بمعرفته لايوجد لديه عنه شيء . ثم اتصل بالهاتف بإنسانٍ عرفت ــ فيما بعد أنه مدير الثقافة في الوزارة الأستاذ عبدالوهاب الرضوان ، ويظهر أنه ذكرني عنده ، وكأنه يريد من هذا الأخ المجيء ، ولعله كان مشغولاً (لعل له عذر . . .) فاكتفى بأن كتب إليه تعريفاً بِي ، راجياً منه مساعدتي ، وانتهت المقابلة بالاعتذار بأن ماوُضِعَ من دراسات ومعلومات عن موقع (توّام) يوجد في بلدة (العين) وهذا كتاب إلى وكيل دائرة الآثار هناك ملخصه : (طرفكم . . . يرجى مساعدته في الحصول على بعض المطبوعات عن الآثار) . كما قدم لي نسخة من كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات» قلت له : لعلكم تحتاجونه فعندِي منه نسخة ، ففهمت منه أنه يُفَضِّلُ أن آخُذَهُ ، إذ قال : هذا للتوزيع .

إنَّ سيارات الأجرة من أكثر مارأيت في مدينة (أبي ظبي) ، وتقدير الأجرة بالعدَّاد ، ولكن يُضَايِقُ المرءَ جَهْلُ السائق اللغة العربية ، وهكذا كان مع من ركبتُ سيارته ليريني معالم المدينة ، ويسير بي في شوارعها وشاطئها ، مما بهرني جمال ماشاهدته منها ، بخلاف ماتوقعته .

لاأدري لماذا أَحْسَسْتُ بأنِّي بحاجة إلى التوقف فَجْأَةً بعد زيارتي وزارة الاعلام والمرور عابراً ببعض مكاتب موظفيها من الشَّبَاب، لأسجل بعض الخواطر الذهنية : ــ

أولاها : أنني أَدْرَكْتُ أَنَّ زمن أبي الفتح البُسْتي (علي بن محمد بن الحسين) القائل :

عَلَيْكَ بِالنَّفْسِ فاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا   فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لاَ بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

هذا الزمن قَدْ تولّى منذ ألف عام (توفى الشاعر سنة ٤٠٠هـ) وأصبحت الحالة الآنَ بِضِدِّ ماكان يراه ، وبضدِّ المثل : (الرجَال مخابِرُ لا مظاهر) .

ثانيتها : شاهدتُ بعض الإخوة من بلاد غير هذه البلاد يتولون في بلادنا أو في بلاد إخوتنا أعمالاً يُديرها شبابٌ هم أقلُّ ثقافةً ومعرفةً وتجربةً منهم ، ولا أدري أيُدرِكُ هاؤلاء الذي يُدِيْرُونَ تلك الأعمال أَنَّ لأولئك الإخوة من حقِّ الإجلال والتوقير والاحترام مالغيرهم ممن لايتولى شيئاً من الأعمال ؟! فلماذا لاينظر هاؤلاء الرؤساء إليهم نظرتهم إلى أولئك ، بل لماذا لاينالون — لمنزلتهم العلمية ، ولقيامهم بأعمال هم أقدر منا على القيام بها ، ولاعتبارهم غرباء بيننا — ماهم جديرون به من التقدير والاحترام ؟!

الثالثة : حين وقف بي سائق سيارة الأجرة على أحد أبواب مبنى وزارة الإعلام ودخلت ذالك المبنى وكان حديثاً لم يُنْزَلْ بَعْدُ ، سِرْتُ في أبهائِهِ الواسعة ، ومررت بالدهاليز المستطيلة الممتدة بين تلك الأبهاءِ ، فلم أُشَاهِدْ داخل ذالك القسم من المبنى إنساناً ، وكدتُ أَنْ لَا أهتدِيْ إلى الباب الذي دخلت منه ، وبعد أن خرجت شاهدتُ باباً آخر للمبنى ، فوجدته مغلقاً ، فاتجهت إلى باب ثالث تقف عنده سيارات ، فعلمت من أحد الواقفين عندَها أَنَّ المدخل إلى البناية هو من الشارع الآخر .

حسناً أن تتسع المباني وأن تكون على درجة من الحسن والقوة يتلاءم مع مايجب أن تبرز به الدولةُ من أُبَّهةٍ وهَيْبَةٍ ، ولكن التغالي في تشييد المباني الواسعة ، والزيادة على قدر الحاجة وإنْ كان من الأمور التي أُصْبحت من أبرز مميزات هذا العصر ، لا أعتقدُ أننا بحاجة إليه ، لاسيما بعد أَنْ أدركنا أننا قد بذلنا فيه جانباً من ثرواتنا ، كنا أحوج إلى صرفه في جهات أخرى أنفع لنا .

إلى مدينة العين :

ثم بكرت في الصباح — صباح يوم الأحد ١٤٠٧/٣/١٤هـ — إلى موقف السيارات التي تذهب إلى العين ، وفي حافلةٍ تَضُمُّ نحو خمسين راكباً كان الذهابُ في الساعة السابعة والربع ، والأجرة سبعة دراهم — كالأجرة من الفندق إلى موقف السيارات ، والمسافة بين العين وبين (أبي ظبي) ١٦٥ كيلاً .

لقد كان الطريقُ كَبَطْنِ الكفِّ الأملس ، في أرض سهلة منبسطة ، إلا من بعض كثبان الرمال المرتفعة في بعض الأماكن ، ولاسيما بقرب العين ، ولكن الطريق يخترق فجوات واسعة بينها ، وكان مُشَجَّراً من الجانبين ، ويحيط بجوانب منه شَجَرٌ كثيفٌ ، لعله غُرِسَ ليحميه من الرمال ، كانت السيارة الكبيرة تترنَّحُ وتهْتَزُّ بقوة ، لسرعة سيرها ، إلا أنَّ اشتغالي بالحديث مع جاري خفَّفَ آثار ذالك الاهتزاز ، إنه مصري يدعى أحمد الدردير ، من جرجا محافظة سوهاج بمصر ، من المساعيد ، عاش في هذه البلاد سبعة عشر عاماً يعمل في البناء ، ويذهب كل عام إلى بلاده ثم يعود ، ليس متعلماً ولكنه ذكي ، وقد خَبَرَ طبيعة أهل هذه البلاد فتَكَيَّفَ بما يلائم الحياة فيها .

بعد أنْ قَارَبَتِ الساعة (٨,٤٠) وقفتْ بنا السيارة عند بناء صغير ، كتب فوقه (مطعم ومقهى فلسطين) فانتشر الركابُ خلفه لقضاء حوائجهم ، إذ لا دورة مياه فيه ، ولكن على الطبيعة الأولى في الخلا ، والاستجمار بالتراب ، مما ذكرني حالة مدينتي الدَّمَّام والخُبَر ــ عام قدمتها ١٣٦٣ ــ وحين كان بنيان البيوت من السعف والبواري ، فكان المرءُ في الصباح يشاهد (العَدَامة) التي بقرب المدينة كأن أسراباً من الغِرْبَان قد انتشرت فيها ، وماتلك سوى السُّيَّدات .

وبعد شرب الشاهي أو غيره من المشروبات خلال مدة لم تزد على ربع الساعة ، استمر السيرُ ، وكان الوصول إلى بلدة العين الساعة التاسعة والنصف ، ثم الاتجاه إلى مَقَرِّ فرع وزارة الاعلام ، فوجدت القائم بالعمل مشغولاً حتى عن ردِّ السلام ، بالتحادث مع بعض الجالسين عنده ، حتى أشار إليَّ سائلاً : ماذا أُريد ، فسارع أحدُ الإخوة بجواب صدمني ودفعني إلى الانصراف عنه لأسأل رجلاً جالساً على يميني ، يلبس لباساً افرنجياً : ممن الأخ ؟ لئلاَّ يمتد الحديث بيني وبين ذالك المجيب ، فعرفت أنه من الأردن ، تخرج في جامعتها ويدعى فلاح عبدالله ، وهو موظف في وزارة الإعلام ، مراقبة المطبوعات ــ وحين اطلع على عنوان الكتاب الذي أحمله أخبرني بأن الموجه إليه في (إدارة الآثار) وعَرَّفَ الأخ القائم بعمل فرع وزارة الإعلام بي ، فدعا بالقهوة ، ورحَّب بي ، وكان

أنِ اتجهت إلى (متحف العين) وهناك قابلت الوكيل المساعد الأستاذ سيف بن علي الضبع الدرمكي[1]، والأخ خَلْفَان ــ مدير الآثار ــ وبعد البحث معهما عن موقع (تؤام) لم أجد لديهما علماً به ، ودعا الأستاذ سيف أحد المشرفين على إدارة المتحف وهو الأستاذ صلاح سليمان من السودان ، متخرج في جامعة الخرطوم ، ليقوم باطلاعي على مايحويه المتحف من آثار في مختلف أقسامه ، وأن يقدم لي نسخة مما نشر عن تلك الآثار ، فكانت جولة قصيرة ، إذْ لم أرَ ــ فيما اطلعت عليه ــ مايُضيفُ جديداً لمعرفة ماأبحثُ عنه ، سوى مافي ذالك الكتيب الذي قدمت لي نسخة منه وعنوانه (الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة) ويظهر أنه يتكون من أجزاء ، وأنه بشكل مجلة دورية ، قدَّم لي منها جُزْءَيْنِ ــ لعل أحدهما الأول فلا رقم فيه ولاتاريخ له ، أما الثاني فقد كتب فوق غلافه (العدد الرابع : ١٩٨٥م) .

ومدينة العين ــ كغيرها من المدن في (الإمارات) أكثر من يشاهد فيها مِمَّنْ تُمَيِّزُهُ سُحْنَتُهُ ولُكْنَتُهُ في الكلام ، جُلُّهُمْ من الهنود والباكستانيين والإيرانيين ، وقليل من المصريين واليمنيين والشاميين والسودانيين ، ويتعاطى كثير من هاؤلاء وأوْلئك مختلف الأعمال .

وشوارعُ البلدة نظيفة وواسعة ، وأكثرها مُشَجَّرٌ ، وتكثر فيها الميادين المزدانة بالأشجار ، ويحيط بالبلدة حدائقُ من جميع جوانبها ، وقيل لي : إنَّ فيها ثمانية أفلاج تُسْقِي القرى التابعة لها ، منها اثنان في العين نفسها ، ولكن الماء فيها انخفض مستواه وضعف .

ومما لفت نظري أن إشارات المرور للمشاة في الشوارع تُضيءُ باللون الأحمر دائماً ، وإذا أراد المشاة قطع الشارع غَيَّرُوا النور ، فقد كتب تحت الإشارة الكهربائية : (اضغط الزر لتعبر) .

ولوقوع البلدة في براحٍ وَاسِعٍ من الأرضِ لاتَحُدُّهُ جبالٌ ولا بَحْرٌ ولا آكام ــ اتسعتْ أرجاؤُهَا، وتباعدتْ منازلُها ، كمدينة أبي ظبي وغيرها من أكثر مدن

الإمارات ، وعلى مَرْآى العين من البلدة سلسلةُ جبالٍ تدعى حَفِيت ــ سيأتي الحديث عنها ــ ويقع متحفُ العين في ناحية من المدينة ، متصلة بالبساتين في بناء حديث يتكون من دور أرضي ، وفي جانبه قصر مبنيٌّ على طراز القصور المعروفة في نجد إلى عهد قريب ، يحيط به سور مرتفع ، ذو شرفات ، في أحد أركانه الأربعة برج مستدير ، ويدعى هذا القصر (حصن سلطان) والحصن الشرقي ، وهو مبني على الطراز العُمَانِي ، أول من بناه الشيخ سلطان بن زايد آل نُهيَّان ، ومكتوب على بابه تاريخ عمرانه سنة ١٣٢٨ ــ :

لاح نجمُ السعدِ في باب العلا مجد باق على رغم المعاند
شاد بيت الملك سلطان بن زايد أشرق التاريخ باليوم السعيد

ــ هكذا ورد في مجلة «الآثار» المنشورة في سنة ١٩٧٥م ــ إذ لم أستطع قراءة الكتابة ــ وقد رممت إدارة الآثار هذا القصر .

وفي هذا المتحف ــ المكون من أربعة أبهاء عدا حجر الموظفين ــ مجموعة من المعروضات من الملابس والحلي والأواني المنزلية والأسلحة ، وسُرُجِ الخيل ورحال الإبل ، وبعض الصناديق الخشبية ، وكلها حديثة ، أما الآثار القديمة فأهمها الأواني الخزفية وقطع معدنية مختلفة ، جُمِعَتْ من العين ، وأم النار ، ودُبَيٍّ والشارِقة ، وأم اْلقِيْوَيْنِ ، ورأس الخيمة ، أقدمها تاريخاً يرتفع إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، وليس في المتحف آثار عربية قديمة مهمة ، وقد أُنْشِيء قبل خمسة عشر عاماً (افتتح في ١٩٧١/٩/٢م).

في بلدة البريمي :

إن من المتواتر بين المتأخرين أن بلدة (تؤام) القديمة تقع في المنطقة المعروفة الآن باسم العين ــ البُرَيْمِي ، فقد ذكر السالمي في «تحفة الأعيان» ــ ٢٤٨/٢ ــ أن منطقة الجَوّ معقِلُهَا اْلبُرَيْمِي ، وتسمى في القديم تُوَام . وفي «دليل الخليج» : ٣٧١ ــ واحة البريمي . . واحة هامة ، تعرف سابقاً باسم توامية (Tuwamiyah) ولكن هذا الاسم بطل استعماله الآن . وفي الكتاب الذي أصدرته حكومة المملكة

العربية السعودية عن قضية البريمي ـ هامش ص ٩٨ ـ: هناك موضعان في المنطقة معروفان من زمن قديم ، وهما البُريمي وبيّنونة ، وقد ورد ذكر البريمي باسمها القديم (توام) أو (تؤام) في القرن الثالث الهجري ، بينما ورد اسم بينونة في «معجم البلدان» . . . والاسم القديم لمنطقة البريمي هو الجو ، (أو الجوف؟) انتهى .

ولقد أكّدَ لي الأميرُ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ـ أمير الشَّارِقَـةِ ـ أن (تؤام) هي العين ، وأن فيها مستشفى أُنشيء حديثاً يحمل اسم (مستشفى تؤام) كما ورد في كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة» في مواضع منه أنَّ بلدة تؤام هي مدينةَ البُريمي الحديثة ـ والبُرَيْمِي والعين لا فاصل بينهما ، فليكن الذهاب إلى البريمي ، وقد لا أعدم في مدرستها من يُعْنَى بتاريخ هذه البلاد .

لقد بلغتِ الساعةُ الواحدةَ ظهراً ، وهاهي إشارة توضح أننا في البريمي في أثناء أحد الشوارع المتجهة شرقاً ، إنها لوحة كتب فوقها (السلطنة العمانية ـ ولاية البريمي ترحب بكم) وهاهو طراز بناء البيوت قد تَغَيَّر بما تغلب عليه البساطة ، ويشبه كثيراً مايشاهد في بلاد عمان مما هو أقرب إلى الطراز العربي القديم .

وهاهي المدرسة في مبنى حسن ، لامظهر للأُبَّهَةِ فيه ، ولكنه حسن الترتيب من طبقة واحدة ، في حجر واسعة ، محاط بسور ذي باب واحد ، وأدخلني البواب على المدير ، ولكنني وجدته فتاةً يحيط بها ثلاثُ سيدات ، فقلت: لعلي لم أخطيء أنا وإنما الخطأ من (بوابكم) الذي أدخلني في حجرة المدير ، فقالت الفتاة: نعم أنا المدير ، فماذا تريد؟ فأوضحت لها ماقصدتُ ، فقالت: مدرس التاريخ الآن في الفصل ، وكل ماتريد أن تسأل عنه يمكنك الذهاب إلى (وزارة الثقافة) في مَسْقَط ، فأظهرتُ لها بأنني سأنتظر خارج المدرسة ، وكل ماأطلبه إخبار المدرس برغبتي بمقابلته ، فردَّتْ رداً يَتَّسِمُ بالقوة والصرامة بانه لايمكن لأيِّ أحَدٍ هنا أن يجيبك على أي سؤال ، وأن ذالك من اختصاص (وزارة الثقافة) ، ولايسمح لمدرس التاريخ ولا غيره . . وبَدَتْ مُنْفَعِلَةً ، وإنْ تكلفت اللطف بمخاطبتي بكلمة (يا أبي)!

وهكذا كانت مقابلة مدير المدرسة التي عرفت ـ فيما بعد ـ أنها من عُمَان ، وتعلمتْ في المملكة العربية السعودية ، وكان وقتُ تدريس الأبناء قد انتهى ودخل وقتُ تدريس البنات ، كحالة كثير من المدارس في عُمَان ، لقلة الأبنية المعدة للدراسة ، ولقلة المدرسين ، فهم يتولون ـ في الغالب ـ تدريس الجنسين عند نقص المدرسات .

لم أعُدْ ـ كما يُقَال ـ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ ، بل شاهدتُ كثيراً من معالم مدينة البُرَيْمي الحديثة ، بنايات ذات طراز يوشك أن يكون متميزاً ومصارف (بنوك) ومطاعم ، ودوائر رسمية ، ثم سُوق شعبي مسقَّفٌ ، يشاهد المرء فيه مايشاهده في الأسواق الشعبية المتشابهة في المدن العُمَانِيَّة ، ويندر أن تشاهد بين منازل هذه البلدة الواسعة أثراً للعمران القديم إلا ماكان داخل بعض بساتين النخيل القليلة ، مما هو مبني بالطين واللبن كمباني البيوت في نجد قبل نصف قرن .

ثم كان الرجوع إلى (أبي ظبي) بعد تناول طعامِ ٱلغَداء في (مطعم جُحَا المصري) وكان وجبةً دَسْمَةً لم يَزِدْ ثمنُها على اثني عشر درهماً .

ومع أنَّ سيارة الرجعة كانت صغيرة ، إلا أن السير استغرق ساعتين إلا ربعاً ـ سيراً متواصلاً لم يقطعه سوى الوقوف عند حجرة كتب فوقها (مطعم واستراحة بلودان) وهي كالموضع المتقدم وصفه في المجيء .

وهاهي لمحة موجزة عن واحة البريمي التي وقع الاختلاف بين حكومتنا وبين بريطانيا حولها حين كانت مسيطرة على تلك النواحي ، وكان من أثر ذالك نشر كتاب مفصل حول (التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية) نشر هذا الكتاب سنة ١٣٧٤ (١٩٥٥م) في ثلاثة مجلدات ملحقة بالرسوم والمصورات الجغرافية وفيها مايغني عن التفصيل .

وقد انْحَسَم ذالك الخلاف ـ ولله الحمد ـ بعد أنِ اسْتَقَلَّتْ دولةُ الإمارات وأصبح جميع الإخوة المتجاورين تجمعهم روابطُ المحبة والائتلاف ، وحسن الجوار ، والتعاون على مافيه خير أُمتهم وبلادهم .

إن اسم البُريمي كان يطلق على واحة صغيرة تقع في مثلث من الأرض يبلغ طوله نحو عشرة أكيال ، وعرضه نحو سبعة ، وفي وسطه تقع قريتا البريمي وحماسا ، وتنتشر قرى وبساتين صغيرة في الجوانب الأخرى من المثلث ، ولاتزال أطلال قصر الخندق الذي أقامه الأمير مطلق المطيري الذي كان أميراً للبريمي في عشر الثلاثين بعد المئتين والألف وقتل سنة ١٢٢٨ ، أو أن هذا القصر بناه ابنه سعد سنة ١٢٦٠ ، ويسمى هذا القصر في بعض الأحيان بقصر عبدالله بن فيصل ، لنزوله فيه حين ذهب إلى البُرَيمي مصحوباً بأحمد السديري أمير الحساء سنة ١٢٦٩ .

وكذا قصر السديري المنسوب إلى الأمير أحمد بن محمد السديري أمير البريمي في عهد عبدالله بن فيصل سنة ١٢٧٠ ـ وهذا القصر الواقع بقرب قصر الخندق ، ولاتزال أطلال القصرين قائمة .

ومع هذا مصور جغرافي لموقع البريمي قبل خمسة وثلاثين عاماً كما رسم في الكتاب المشار إليه . [انظر ص ٥٦٣ من هذا الجزء]

أما الآن فقد اختلف الوضع بحيث اتسع عمرانُ بلدة العين فشملت ماحولها من القرى ، وكذا الحال في بلدة البُرَيمي إلا أنَّها لم تبلغ من العمران مابلغته بلدة العين .

في مدينة (ابي ظبي) :

تعتبر مدينة (أبي ظبي) قاعدة الإمارات ـ أحدثُ مدينةٍ فيها ، فزمن الاستقرار في موقعها لايتجاوز القرن الحادي عشر ، بل يحدده صاحب كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات» بعام ١١٧٥هـ (١٧٦١م) إذ يقول ـ ج ١ ص ٢٠٨ ـ ماملخصه في هذه السنة (١١٧٥هـ ـ ١٧٦١م) تَمَّ اكتشاف الماء في جزيرة (أبو ظبي) ، وأخذتْ جماعات من بني ياس بالهجرة من منطقة الظَّفْرةِ الصحراوية لتقطنَ في هذه الجزيرة البحرية ، وبدأتْ تمتهن مِهَنَ البحر ، كالغوص وتجارة اللؤلؤ ، وصيد الأسماك ، وصناعة السفن . . . عرفت هذه الجزيرة ـ التي كانت

تفصلها عن البحر مخاضةٌ يقطعها البعيرُ ماشياً في ساعات الجزر ــ عرفت باسم (أم ظبي) وقيل : إنّ سبب التسمية أنّ صيّاداً طارد ظبياً فيها ، فلما أدركه وأمسك به كان الصيادُ والظبيُ قد تَعِبَا وعطشا فذهب الصياد بالظبي إلى بئر فوجدها جافّةً ، فهلك الاثنان على البئر ، فجرت تسمية الجزيرة بـ (أم ظبي) ثم (أبو ظبي) . انتهى ، وفي كتاب «دولة الإمارات العربية دراسة مسحية شاملة» ــ ص ٤٧ ــ في تعليل التسمية : ويقال إن هناك جزيرة فيها ظباء كثيرة . انتهى ، ولا أرى في القولين مايقنع الباحث عن الحقيقة .

قد لايَغْني القارِيءَ تعلِيلُ التسمية ، وإنما المهم معرفة تاريخ سكنى الجزيرة وتقدم بيانه، وهي ـ كما يشاهدها المرء ـ رَأْسٌ من الْبَرِّ ، ممتد في البحر ثم يتسع ليشكل شبهَ جزيرةٍ صغيرة ، تنتشر حوله جزائر (أرخبيل) ، أما المدينة الآن فقد نشأتْ ممتدة حول ذالك الرأس الذي حُفِرَ حتى بلغ عُمْقَ البحر ، فأصبحتْ مدينةُ أبي ظبي تَحُلُّ جزيرةً يحيط بها البحر من جميع جهاتها ، وهي بشكلٍ مُثَلَّثٍ مساحة قاعدته نحو عشرة أكيال ، وضلعاه يتلاقيان عند جسرين يدعى أَحَدُهُمَا جسر المقطع ، في موقع الرأس الذي كان مدخلاً للجزيرة عند الجزر ، قبل تعميقه ، ومن المعروف أنَّ الأرض القريبة من البحر تؤثر فيها ملوحته فتصبح غير قابلة للزراعة ، ولغرس كثير من أنواع الأشجار ، ولكن المرء يعجب حين يلقي نظرةً على هذه البلدة الواسعة ، فيراها غَابَةً مُخْضَرَةً بأنواع الشجر ، وماذالك إلا للجهد العظيم الذي صُرِف لتبرز بتلك الصورة الجميلة ، وَلاتِّصَال هذه المدينة بالأرضِ البراح الخالية من الجبال والآكام انتشرت في مساحة فسيحة ، فتباعدت مبانيها ، واتسعت شوارعها ، واستطالت ، تتخللها الحدائق الجميلة ، وتنتشر على جوانبها الأشجار الباسقة حتى برزت من أجمل المدن في العالم وأوسعها .

وكانت مدينة أبي ظبي تعتمدُ فيما تحتاجه من مياهٍ على آبار سبع عميقة ، حُفِرَتْ في منطقة سَعْدٍ ، في واحة البريمي ، تنتج في اليوم ٤٠٠ ألف جالون ، وتجري في أنابيب بسعة تسع بوصات ، ممتدة نحو المدينة مسافة ١٤٠ كيلاً ، إلاَّ أنَّ انخفاض مستوى المياه في تلك الواحة جعل الاعتمادَ على محطات أُنْشِئَتْ

لتحلية مياه البحر ، ومع ارتفاع تكاليف التحلية فالعناية عظيمة بحدائق المدينة ، وتجميل شوارعها بالأشجار والحدائق ، التي يُسْتعان على سقيها واصلاحها بالمياه المستعملة (مياه المجاري) بعد تكريرها ، فَيُسْتَفَادُ منها رياً ، وسماداً .

ويبلغ سكان مدينة أبي ظبي حسب إحصاء سنة ١٩٧٥م : ٢١٠,٢٧٠ نسمة ، نسبة الأجانب ٧٣ ٪ على مافي كتاب «دولة الإمارات» الصادر عن معهد البحوث والدراسات العربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ ص ١٩ ــ بينما كان عددهم سنة ١٩٦٨ : ٤٦,٣٧٥ ونسبة الأجانب ٥٢ ٪ ، إلا أنَّ النسبةَ زادَتْ حتَّى بَلغَتْ حداً مُذْهِلاً في السنوات الأخيرة بحيث لم يزد عدد السكان الأصليين في دولة الإمارات على ١٨ ٪ ــ على ماحدثني الأستاذ محمد بن يُوسف السُّوَيِّد ، الذي يقوم بإعداد دراسة شاملة عن (مجلس التعاون) لنيل درجة الدكتوراه ، وقد اجتمعت به أثناء مروري بمدينة (أبي ظبي) .

في السفارة السعودية :

كان لابُدَّ من زيارة (السفارة) ولكيلا أكون عِبْئاً ثقيلاً على إخواني من موظفيها ، بل لكيلا أثقل كاهلي بما يُغْدِقُونه عليَّ من فضل ورعاية قد يعجزني القيام إزاءهُما بما يجب علي من شُكْرٍ ــ ذهبت حين قرب موعد السفر في صبيحة يوم الثلاثاء (١٤٠٧/٣/١٦) فاجتمعت بالإخوة محمد بن عبدالعزيز بن مُقْرِن ــ من شقراء ــ وعبدالله العِيسى من الغاط ، وغيرهما ممن لم أحفظ أسماءهم ، أما السفير الشيخ صالح السليمان الفوزان فكان في حفل افتتاح (الحلقة التاسعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية) ، وبعد الأُنْسِ بأولئك الإخوة ، كان الذهاب لزيارة الشيخ أحمد بن عبدالعزيز آل مبارك ــ رئيس المحاكم والدوائر الرسمية ــ فقد عَلِمْتُ بتأثُرِ صِحَّتِه وأنا في مَسْقط ، وتربطني به وبأسرته الكريمة وبوالده الشيخ عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ معرفةٌ ومحبةٌ منذ أن كُنْتُ في الأحساء سنة ١٣٥٨ ، وقد اجتمعت بالشيخ أحمد في الرياض قبل شهور ، فأكرمني بأن دعاني للزيارة ــ وكان عليَّ أنْ أقوم بذالك بعد أن وصلتُ هذه البلاد ، وبعد الوصول إلى منزل الشيخ قيل لنا أنا والأخ الأستاذ

محمد المُقرِن : إنه الآن مرتاحٌ ، فاكتفيت بكتابة ورقة أُدعو له بتمام الراحة المقرونة بالصحة والعافية ، ويظهر أن الأخ الذي استقبلنا لم يُخْبِرِ الشيخَ أولَ الأمر ــ كما عرفت فيما بعد ــ.

ذهبت مع الأخ الكريم محمد بن مقرن إلى (المُجَمَّعِ الثقافي) حيث تقع (دار الكتب) فعرفني الأستاذ ابنُ مقرنٍ بأحد كبار موظفي (المجمع) الذي سار بي إلى بَهْوِ الإجتماعات ، حيث ستفتتح في تلك الساعة (الدورة التاسعة لمراكز دراسات الجزيرة والخليج) ، وقد شارك فيها مدعوون من جميع البلاد التي فيها مراكز تلك الدراسات ، كالعراق والكويت والمملكة ــ عن (دارة الملك عبدالعزيز) ــ ولكنني أخبرت الأخ بأنني أرغب زيارة (دار الكتب) فدعا أخاً أرشدني إلى موقعها المجاور لمكان الاجتماع ، فكان استقبالاً كريماً من إخوة جهلتُ الآن أسماءهم ، ولكن ذكراهم الطيبة لن تزول من نفسي ، ومنهم الأستاذ الكريم مدير الدار ، الذي أَفْضَلَ فأَمَدَّنِي بمجموعة طيبة من المؤلفات التي تتعلق بهذه البلاد ، تاريخاً وأدباً ودراسات شاملة ، وهو من أحبتنا وإخوتنا المصريين .

حين عدتُ إلى الفندق اتصل بي ــ بالهاتف ــ الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد الحُمَيْر ــ بضم الحاء وفتح الميم وإسكان المثناة التحتية وآخره راء ــ وهو من رجال القضاء ، ومن خيرة العلماء خُلُقاً وإدْراكاً وتواضعاً ــ نال إجازة الدكتوراه من (معهد القضاء العالي) وبلاده الخَرْجُ ، وقد نُدِبَ للعمل في هذه البلاد منذ خمس عشرة سنة ــ اتصل بي فأخبرني أن الشيخ أحمد تأثر حين علم بزيارتي ، وهو يَوَدُّ أَنْ يراني ، فتركت تحديد الوقت للشيخ نفسه ، فكان أن اتصل بي الدكتور عبدالعزيز مرة أخرى مُحَدِّداً الساعة السادسة والنصف ، وبعد برهة اتصل بي الشيخ أحمد ــ أكرمه الله ــ وأسبل عليه لباس الصحة والعافية ــ مُؤَكِّداً ومعتذراً عما جرى من الحاجب الذي لم يعرفني ، ولايدرك رغبة الشيخ نفسه .

كانت الزيارة والاطمئنان على صحة الشيخ والأُنْس برؤيته ، والاجتماع بإخوة أحبة منهم الدكتور عبدالعزيز الحُمَيْر ، والشيخ عبدالله بن ناصر ــ من المجمعة

ومن قضاة المملكة الذين يعلمون في هذه البلاد ــ وبابني الشيخ أحمد وابن أخيه الشيخ عبدالله .

كنت قد عزمتُ على السفر في يوم الخميس (١٤٠٧/٣/١٨) وكان الشيخ صالح الفوزان حين علم من الأخ ابنِ مقرن بأنه قد دعاني للعشاء ، اتصل بي لكي يكرمني بالزيارة لأنَّ الوزير السويدي وجه إليه دعوةً للعشاء مع المشاركين في (ندوة تاريخ الجزيرة والخليج) ، فكان الاتفاق على الاجتماع في السفارة صباحاً ، وفي البيت للغداء ظهراً ، وكما قيل : مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى ٱلحَذِرُ ، فقد وقع ما تحاشَيْتُ وقوعه ، ففي مساء ذالك اليوم كان الاجتماعُ في بيت الأخ محمد المُقْرِن ، حيث سعدت بالالتقاء بجميع موظفي السفارة ، ومنهم من لم أقابله في الصباح كالأخ العقيد عبدالله بن دايل ــ الملحق العسكري في السفارة ، وكنت اجتمعت به في (هيوستن) ، والأستاذ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إدريس وهذا عرفته قبل سبع سنوات في إحدى زياراتي لمكتب وزارة الخارجية في الرياض ، ووالده ــ رحمه الله ــ كان ممن تعلمت على يديه مبادىء القراءة والكتابة في البُرُود ، القرية التي ولدت فيها ، وذالك أعني التعليم سنة ١٣٤٠ ، ومما انطبع في ذهني من أخلاقه الهدوء ، وإطالة الصمت ، وقد علمت من ابنه أنه ــ غفر الله له ــ توفي سنة ١٤٠٢ ــ تقريباً ــ وقد تجاوز التسعين من سني عمره ، وهو من أسرة كريمة (آل غيهب) من بني زيد ــ من أهل شقراء ، ولقد كان ابن استاذي بي حَفِياً ، بحيث أتى إليَّ في الفندق وقت السفر ، ولم يدعني ــ هو والأخ الأستاذ عبدالمنعم ــ سكرتير سفير بلادنا الكريم ــ إلا في داخل الطائرة ، وتوليا رعاهما الله ــ إنْهاءَ جميع إجراءات السفر ، ولم يفترقا عني هما والأستاذ الدكتور عبدالعزيز الخُمَيْر إلا داخل الطائرة .

ومن بين من أكرمني الأخ ابنُ مقرن بالالتقاء بهم تلك الليلة السيد محمد الهاشمي ــ مستشار الشيخ زايد بن سلطان في شؤون القضاء ، وكان محدثاً لبقاً ظريفاً ، يستحوذ على المستمعين بِحُلْوِ حديثه .

وكان اللقاء الساعة التاسعة صباحاً بأبي سليمان الشيخ صالح السفير في السفارة وبعد صلاة الظهر في البيت ، حيث ضم مع جميع موظفي السفارة ــ

عدداً من الوجهاء من بينهم السفيران السوداني والعراقي ، والأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل ــ مدير (دارة الملك عبدالعزيز) والأستاذ عبدالرحمن بن سرَّاء مساعد مدير الدارة ــ وقد حضرا للمشاركة في اجتماعات (الدورة التاسعة لمراكز دراسات الخليج والجزيرة العربية) وأحد كبار موظفي الإدارة الثقافية (المجمع الثقافي) في (أبي ظبي) .

ثم لاتسل عن حفاوة الداعي الكريم بضيوفه ، لا من حيثُ ماضمتْ مائدَتُهُ الحافلة مما لذَّ وطابَ فحسبُ ، بل بما أضفاه من لطفه الجم :

وَمَاالخِصْبُ للأضيافِ أنْ يُكَثَّرَ القِرَى ... ولَكِنَّمَا وجْهُ الكَريمِ خَصِيبُ

في مطار الظهران :

في الساعة التاسعة والنصف من ليلة الخميس (١٤٠٧/٣/١٨) كان النزول في مطار الظهران ، بعد رحلة استغرقت ساعة في الجو ، وما ألطف ذالك الأخ الذي كان يقوم بالإشراف على جوازات سفر القادمين ، لقد نَسِيتُ اسمه غير أنه من قبيلة كريمة النسب من بني الأحْمَر (بالأحمر) من رجال الحَجْر ، من أزْدِ السراة ، لقد ذَكَّرَني بلطفه وحسن معاملته ماحدث لي من أحد الإخوة الساعة الحادية عشرة صباح يوم الجمعة (١٤٠٧/٣/٥) وأنا أريد التوجه إلى الظهران ، فقد وضعت حقيبتي في صندوق الفحص ، ولما خرجت إلى الجهة الأخرى حملتها ، واتَّجَهْتُ إلى بَهْوِ المسافرين ، فإذا بذالك الأخِ ينادي بأعلى صوته (يامطوَّع . يامطوَّع) فظننته لايعنيني ، وإذا بآخر يلحق بي فيمسكني من كتفي ، ويعود بي إلى الأول الذي انتهرني قائلاً : (افتح الشنطة)! فكان أن فتحتها فرأى الأخ الواقف بجانبي جَوَازَ السفر فيها ، فأراد أخذه ، ولكنني أبيت وأخرجت له البطاقة الشخصية ، فذهب بها ــ ولا أدري إلى أين ذهب ــ بينما أنا واقف جوار الجالس بقرب آلة الفحص أُحَادِثُه بأنه كان من الأولى فتح الحقيبة قبل السماح بحملها ، ثم إن كلمة (مطوع) قد يُقْصَدُ بها معنى آخر غير المعنى المتعارف عليه في نجد ، ليس في داخل الحقيبة سوى كِيْسَيْنِ مملوءَيْنِ بالأدوية التي استعملها كلها ، ومكتوب فوق كل

ـ ٥ ـ

حدود حمى المشاعر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد : بناء على أمر المقام السامي رقم ٤/٤/١١٥٥ في ١٨/٥/١٤٠١هـ المبني على خطاب سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد رقم (٢/٤٧٣) في ١٤٠١/٣/٧هـ المتضمن ماجاء بقرار مجلس هيئة كبار العلماء في الدورتين (السادسة عشرة) و(الخامسة الاستثنائية) حول مارفع من التعديات على أجزاء من المشاعر المقدسة والطرق المؤدية إليها الخ .

وموافقة المقام السامي الكريم على ماجاء فيه من لجنة مكونة من : الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين سليمان بن عُبَيْد ، والقاضي بمحكمة التمييز عبدالله البسام ، والقاضي بمحكمة التمييز عبدالله ألمَنِيْع ، ووكيل إمارة منطقة مكة المكرمة حمد بن محمد الشاوي ، وأمين العاصمة المقدسة عبدالقادر كوشك ، وقائم مقام العاصمة المقدسة الشريف شاكر بن هزاع ومندوب عن وزارة الحج والأوقاف للنظر والقيام بما يلي :

ـ وذكر أشياء يهمنا منه هنا :

ـ إزالة جميع التعديات التي حدثتْ على المشاعر وطرقها ، ومايبنغي أن يكون من مرافقها وحماها ، وقد أوصى المجلس اللجنة المذكورة بالاهتمام بالعناية بها ،

زجاجة نوع الدواء ومصدره (مستشفى الملك فيصل التخصصي) وفيها أوراق خالية من الكتابة ، وليس في عمل هذا الأخ سوى إثارة التوتر وشتّى الانفعالات النفسية ، في حالة أحوج مايكون المرء فيها إلى استقبال السفر مرتاحَ الذهن ، هادِيءَ المشاعر ــ وما أشَدَّ الفرق بين معاملة الأَخَوَيْنِ . ولله في خلقه شؤون !!

حمد الجاسر

والاهتمام بأمر المشاعر والمحافظة عليها في الحاضر والمستقبل ، وملاحظة الاحتياط في العمل ، والإسراع في إنجازه ، وبعد ذالك تبدأ اللجنة بكامل أعضائها بدراسة الموضوع .

وقامت بعدة استطلاعات على مشعري عرفة ومزدلفة ومايجب أن يكون حِمًى لها ، وبعد تداول الرأي وتبادل المشورة ، والاجتماع إلى جهات النظر تقرر مايلي :

فيما يتعلق بحمى المشاعر من طرق ومواقف للسيارات ، ومرافق عامة ، فيكون الحدُّ الغربي لها الطريق العام المسمى (شارع مزدلفة) الممتد من دَقْم الْوَبَر جنوباً ، حتى يصل إلى جسر الشارع العام ، طريق الطائف السريع ، ثم ينعطف شرقاً مع الشارع طريق الطائف المذكور ليشكل حَداً جنوبياً حتى يصل إلى جَسْر مفرق الطريق المؤدي إلى جدة ، الواقع جنوب شرقي عرفة ، ثم ينعطف إلى الشمال مع سلسلة جبال ملحة حتى يتصل بجبل سَعْدٍ ، ويمتد هذا الحدُّ إلى أن يصل إلى ملتقى وَادِي وَصِيق بوادي عُرَنَةَ ثم يمتد مُتَّجِهاً إلى الجهة الشمالية الغربية مع ضَفَّة فج الحرمان ــ الشرقية الشمالية حتى يصل إلى جبل الطارقي ، ثم ينعطف الحدُّ غرباً حتى يلتقي بوادي سديرة المشهور بوادي المعيصب ، ثم يستمر الحدُّ مع وادي المعيصب حتى يصل إلى سفح الناحية الشرقية من جبل ثَبِير الواقع شمال مِنًى .

وتوصي اللجنة بأن يُعْهَدَ إلى جهة الاختصاص فتقوم بوضع أعلام على مرافق المشاعر ومحارمها ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

التاريخ : ١٤٠٢/٣/٩هـ . (تواقيع اللجنة)

بعد هذا صدرت الموافقة السامية بموجب خطاب نائب رئيس مجلس الوزراء إلى وزير الداخلية بخطابه رقم ١٨٣٦٦ في ١٤٠٢/٨/٢هـ الذي جاء فيه :

يقوم معالي الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين الشيخ سليمان بن عُبَيْد وفضيلة الشيخ عبدالله بن مَنِيع وفضيلة الشيخ عبدالله بن بَسَّام بالإشراف على تنفيذ ماقررته اللجنة المذكورة ، ومتابعة العمل ، ومواصلة الجهود ، حتى يتم

ذلك على الوجه الأكمل . ولموافقتنا على ذالك نرغب إليكم إكمال مايلزم بموجبه ، وقد زودنا كُلًّا من وزارة العدل وأصحاب الفضيلة بنسخة من أمرنا هذا للاعتماد .

نائب رئيس مجلس الوزراء .

ألجَمَرَاتُ :

الجمَرات جمع جَمْرةٍ ، قال في «المصباح»: هي مجتمع ألحَصَى بِمِنَى ، فكلُّ كومة من الحصى جَمْرة والجميع جَمَراتٌ .

وقال الشيخ : محمد حسن مكرم في كتابه «غنية الناسك» : الجمرة : موضع الشاخِص ، لا الشاخص فإنه علامة الجمرة فإن وقع الحصى في الشاخص ولم يتزل لايجزئه . .

قال في «النخبة»: محلُّ الرمْي هو الموضع الذي عليه الشاخص وماحوله لا الشاخص .

وقَدَّرُوا مجتمع الحصى بثلاثة ذرع ، فلو كان في الشاخص طاقٌ فاستقرت الحصاة فيه لم يُجزِيْ وقال الشافعي رحمه الله : الجمرة مجتمع الحصى ، لا ماسال من الحصى ، فمن أصاب مجتمع الحصى بالرمي أجزأه ، ومن أصاب مسائل الحصى الذي ليس هو مجتمعه لم يُجزِيْ ، والمراد مُجْتَمَع الحصى في موضعه المعروف والذي هو كان في زمن النبي ﷺ .

قال ابنُ حَجَرِ الهيتمي : حَدَّدَهُ الجمال الطبريُّ بأنه ماكان بينه وبين أصل الجمرة ثلاثة أذرع فقطْ . وهذا من تفقهه وكأنه قرر به مجتمع الحصى غير السائل ، والمشاهدة تؤيده ، فإنَّ مجتمعه غَالِباً لاينقص عن ذالك وقال ابن حجر الهيتميّ أيضاً قولُ النووي : والمراد مجتمع الحصى المعهود الآن بسائر جوانب الحجرتين الأولتين ، وتحت شاخص جمرة العقبة هو الذي كان في عهده ﷺ .

وقال المحبُّ الطبريُّ : وليس للمَرْمَى حَدٌّ معلوم ، غير أن كل جمرة عليها عَلَمٌ وهو عمودٌ مُعلق هناك ، فَيُرْمَى تحته وحوله ، ولايبعد عنه احتياطاً . وحدُّهُ بعضُ

المتأخرين بثلاثة أذرع من سائر الجوانب ، إلا في جمرة العقبة فليس لها إلا جانب واحد ، لأنها تحت جبل .

وقال الشيخ منصور البهوتي : فظهر أن موضع الرَّمْي هو مجتمع الحصى ، لا ماسال منه ، ولا الشاخص ، كما نص عليه الشافعي رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ سليمان بن علي : اْلمَرْمَى الذي يترتب عليه الأحكام هو الأرض المحيطة بالميل المبني ، ولم أقف على حدٍّ ذالك هل هو ذراع أو أكثر أو أقل ، فلو طرح الحصاة على رأس البناء لا يُعْتَدُّ بِهَا ، لأنها لم تحصل بالمرمى ، هذا في الجمرتين أما جمرة العقبة فالذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنَّ المرمى منها الأرض التي في أصل البناء ممايلي بطن الوادي ، فلو رَمَى ظهرها لم يُعْتَدَّ بِرَمْيِهِ . انتهى .

قال محرره عبدالله بن بسام : كأن الشيخ سليمان بن علي لم يطلع على أقوال العلماء التي نقلناها وغيرها .

وبعد : فما تقدم من النصوص في بيان وتحديد مكان رَمْيِ الجمرات منقول عن علماء مكة المكرمة ويلاحظ منه أمور :

أولاً : كان مَرْمَى الجِمار الثلاث غير مُحَوَّطٍ ، وكان الناس يرمون الحصى بأصل الشاخص ، وماقرب منه من الأرض ، والعلماء قد اختلفوا في قدر المرمَى فبعضهم يقدره إلى أصل الشاخص بثلاثة أذرع ، وبعضهم بأقل من ذالك ، والثالث منهم يرون أن الشاخص وأرضه ليسا من المرمى ، فلو تعلقت الحصاة في المرمى لم تُجْزِئْ ، ولو أُزِيل الشاخص فرمى مكانه لم تُجْزِئْ فبينهم في ذالك خلاف طويل جداً ، لاسيما بين علماء الحنفية وعلماء الشافعية .

أما الحنابلة فلم نعثر لهم على تقدير وتحديد لموضع المرمى ، وإنما يتناقلون عبارة الشافعي المتقدمة .

قال الشيخ محمد شكري اسماعيل حافظ كتب الحرم المكي في رسالته «الأنهار الأربعة في مرمى جمرة العقبة» : الزحمة عند جمرة العقبة يلزم إزالتها بوضع شباك

حواليها ، هكذا أفتى كل من العلامة ابراهيم أدهم أفندي قاضي مكة المكرمة ، والفاضل إسحاق أفندي قاضي مكة المكرمة ، والفاضل إسحاق أفندي قاضي المدينة المنورة ، والشيخ الكامل أحمد أفندي الطاغستاني مدرس السليمانية ، والفاضل حسن أفندي مدرس الداوودية ، والمولوي عبدالحق من أكابر علماء الهند ، والفاضل محمد أفندي الشلياني المدرس بالحرم المكي ، وغيرهم من العلماء ، قال كل منهم يجب إزالة الزحمة بالشباك ، فَأُحْدِثَ في آخر شهر ذي القعدة من شهور السنة إحدى وتسعين ومائتين وألف شبَّاكٌ حَدِيْدِيٌّ والحامل لهم على ذالك دفعُ معظم زحمة الرامِينَ لجمرة العقبة ، لا لِتَحْدِيْدِ ذات ٱلْمَرْمَى ، ومساحةُ يسار ٱلْعَلَمِ إلى جهة مِنَى مابين ركن ٱلْعَلَمِ والشباك بذراع اليد أربعة أذرعٍ وخَمْسُ أصابع ونصفٌ ، ويمينه إلى جهة مكة مابين ركنه والشباك خمسة أذرعٍ ، وأما من جهة الوادي ذراع واحدٌ وعشرة أصابع من جهة مكة ومنى ، ومابين طرفي الشباك مع إدخال مساحة ٱلْعَلَمِ فيه ثلاثة عشر ذراع ، وعَشْرُ أصابع ونصف ، فهذه حدود العلم إلى الشباك .

قال محرره ــ عبدالله بن عبدالرحمن البسام : وقد اعترض على إحداث هذا الشباك بعضُ العلماء ، وأشدهم إنكاراً له الشيخ علي بَاصَبْرَيْنِ ، عالم مدينة جُدَّةَ في زمنه فقال في رسالة له : إن المقصودَ من وضع ذالك الشباك رفعُ معظم زحمة الرامين ، وهو حسنٌ غير أنه بالتحويط بذالك الشباك وعلى مايعتبر فيه الرمي ومالا يُعْتَبَرُ يحصل إيهام العوام ، فيتوهمون أن جميع ما أحاط به ذالك مرمى ، وليس الأمر كذالك ، ودَرْأُ ٱلْمَفَاسد مُقَدَّمٌ على جلب المصالح ، فكان يتعين على فَاعِلِي ذالك الشباك بالقصد الحسن أن يتداركوا رَفْعَ إيهام المفسدة الشرعية بأحد أمرين :

أحدهما : إحداث شبَّاك ثانٍ من حديد ، يكون بقدر منصوص المرمى المتفق عليه ، في عرض أساس العلم المبني ، والثلاثة الأذرع معتبرة من أساس ظاهر العلم إلى جهة الوادي .

الثاني : وضع دَكَّةٍ مرتفعة من حجر على المرمَى المذكور بخصوصه ، ليميز من

غيره مما أحاط به الشباك الحادث من الأرض التي لايجزئ الرميُ فيها .

وإمّا بإزالَةِ هذا الشباك الحادث الموهم ، وإذا لم يفعل شباكٌ ثاني يحيط بالمرمى المتفق عليه فقط لم يَخْلُ بقاؤُهُ على هذه الهيئة من إيهامِ مالا ينبغي ، فحينئذ يجب أن يُفْعَلَ شباكاً ثانياً (؟) ليتميز عن غيره ، ويندفع مايخشى من إيهام الشباك الأول .

قال محرره عبدالله بن عبدالرحمن البسام : بعد مناقشة طالت حول وضع هذا الشباك ، والتحقق أن وجوده يوهم بأن ماحواه كله مَرْمى ، أُزِيْلَ ، وأُحْدِثَ بدله بناءُ أحوَاضٍ حول الجِمار الثلاث ، وذالك في السنة التي بعدها ، وهي سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف . ويظهر لي من الرسالة والبحث والمناقشة أن أحواض الجِمار لما بُنِيَتْ عام (١٢٩٢هـ) بُنِيَتْ بشكل واسع ، ثم اختصرت أحواضها على ماهي عليه الآن .

وأرى أن الواجِب هو إبقاء المشاعر على ماهي عليه بلا إحداثات فيها .

وكلمة الإمام مالك ــ رضي الله عنه ــ للخليفة كلمة جيدة حينها قال ياأمير المؤمنين : أخشى أن تتخذ الملوك بيت الله مَلْعَبَةً . فالأحداث في المشاعر سبب لاتخاذها من الولاة مَلْعَبة .

نسأل الله تعالى أن يحفظ دينه ومشاعره ومقدساته آمين .

ثانياً : إن الشاخص الذي على الجمرات الثلاث كان موجوداً زمن النبي ﷺ . وقبله . قال أبو طالب في قصيدته اللامية وهو يعدُّ المشاعر المقدسة ويعظمها :

وبِٱلجَمْرَةِ ٱلكُبْرَى إِذَا صَمَدُوْا لَها   يَؤُمُّونَ قَذْفاً رَأْسَهَا بِٱلجَنَادِلِ

ثالثاً : تقدير المرمى بثلاثة أذرع .

أما علماء القرن الرابع عشر الهجري فذكروا وجودَ هذا الحائط المُدَارِ على المرمى لأنهم ألفوا كتبهم بعد بنائه . قال ابراهيم رفعت في كتابه ــ «مِرْآة الحرمين» :

الجمار : هي حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار ، في عرض نحو مترين ، أقيم على منطقة صخرية مرتفعة عن الأرض بنحو متر ونصف ، ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء تسقط إليه حجارة الرجم . انتهى .

وقال الشيخ عبده بن علي العمري الحضرمي في منسكه «دليل الطريق لحجاج بيت الله العتيق» الذي ألف كتابه عام ١٣٥٥هـ: المرمى هو المحل المبني فيه العلَم أي العمود ، وضبط بثلاثة أذرع من جميع جوانبه ، وقد حُوِّطَ الآن على هذا المقدار ، بجدار قصير فالرمي يكون داخله ، وهذا في غير جمرة العقبة ، أما هي فلها جهة واحدة ، وعليه دائرة أمامها فالرمي ويكون في وسط الدائرة تحتها . انتهى .

قلت أنا محرر هذه الأسطر عبدالله بن بسام : وقد أدركتُ جمرة العقبة وهي في سفح العقبة المذكور ، والجمرة في جهتها الغربية الجنوبية ، وقد أُزيلت العقبة المذكورة ، وجُعِلَ وَرَاءَ الجمرة مما يلي الشمال الشرقي قاعدة بناء لمنع الرمي من خلفها .

قال العالم المعاصر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر : قولهم : تُرْمَى جمرة العقبة من فوقها وذالك أن هناك عقبة معتلية في جانب الجمرة ، وقد أزيلت العقبة في زمننا هذا .

فما ذكره العلماء من رمي جمرة العقبة من فوقها إنما كان ذالك قبل إزالة العقبة التي في ظهر الجمرة المذكورة شمالاً شرقاً ، وكان إزالة العقبة في جمادى الأولى سنة ست وسبعين وثلاث مئة وألف هجرية .

وإزالة العقبة لصالح توسعة شوارع ، وذالك بموجب خطاب من رئيس القضاة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ جاء فيه :

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة المكرم رئيس الديوان العام الموقر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بالإشارة إلى خطابكم رقم ٣١٧٥/٥/١٥ وتاريخ ١٣٧٥/٨/١١هـ حول توسيع ماحول جمرة العقبة نفيدكم أنه جرى الاطلاع على قرار رئيس المحكمة الكبرى بمكة بهذا الخصوص ، ونرى الموافقة عليه على أساس أن يكون الأخذ من الجبل المذكور الذي تستند إليه جمرة العقبة بطريقة التسهيل فقط ، على أساس أن لايُمَسُّ الشاخِصُ والحوضُ ومايليه ، ويكون الوصول إلى المرمى من تلك الجهة سَهْلاً ، وتبقى الجهة التي فوق المشعر المذكور ، مع العلم أن التسامح في التسهيل المذكور نظراً للحالة الحاضرة ، ووجود الزحام الذي ينشأ عنه ماينشأ من أضرار ، ولولا ذالك بقي كلُّ شيْء على ماكان عليه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تاريخ ١٣٧٥/٩/١هـ .

قال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رئيس القضاة في خطاب له وجهه إلى أمير مكة المكرمة بتاريخ ١٣٨٣/٧/٢هـ عند الكلام على جمرة العقبة :

بتعيين إبقاء المرمى ــ وهو الحوض ــ على ماكان عليه ، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ، بل يبقى حسب حالته السابقة كنصف دائرة ، والشاخص في جانبها الشمالي . أما الشاخص فيبقى على حالته قائماً ملاصقاً لجدار الجمرة الشمالي .

وينبغي أن يكون إصلاح ماذكر بحضرة مندوب من قبلنا ، لإيضاح معنى ماقررناه ، وتطبيق ماتضمنته الفتوى والسلام عليكم .

وقد بحث موضوع أحواض الجمرات في مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية فأصدر فيه القرار : قرار رقم (١٢٧) في ١٤٠٥/٦/٢٩هـ :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . وبعد فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة والعشرين المنعقدة بمدينة الرياض في الفترة من ١٤٠٥/٦/١٨هـ إلى ١٤٠٥/٦/٢٩هـ .

قد نظر في موضوع توسعة جوانب دوائر الرجم العلوية في الجمرات ، وإنشاء مستودعات أرضية لاستيعاب الحصى ، وذالك بناء على كتاب المقام السامي رقم

٢٣٧/٤/م في ١٤٠٥/٢/١٤هـ وقد اطلعت الهيئة على البحث الذي سبق أن أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في موضوع الجمرات ، وعلى قرار المجلس رقم (١٢) في ١٣٩٣/٤/١٦هـ وبعد المناقشة وتداول الرأي ، قرر المجلس ـ بالأكثرية إبقاء ماكام على ماكان ، وعدم إحداث شئٍ مما ذكر ، سواء عمل مستودعات لحصى الجمار تحت حوض كل جمرة ، أو توسعة جوانب جدار دوائر الرجم من أعلى . ومعلوم أن الحصى متى وصل إلى الحوض أجزأ ، ولو لم يستقر فيه ، وتدحرج وسقط خارجه ، وفي الإمكان تخفيف حصى الجمار المتجمع في الأحواض وحولها في جُزْءٍ من آخر الليل ، لقلة الناس في ذالك الوقت . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد أن كَثُرَ الحجاج واشتد الزحام على الجمرات فكَّر المسؤولون بإنشاء دورتين للجمرات .

فسئل الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رئيس القضاة عن ذالك فأجاب بما يلي :

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة معالي وزير الحج والأوقاف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ

وبعد ـ اطلعنا على خطابكم رقم ١/١٦٦٧ في ١٣٨٢/٤/١١هـ حول إنشاء دورتين للجمار الثلاث ، كما اطلعنا على صورة الخرائط والمواصفات التي وضعت لهذا المشروع . ونفيدكم أننا لانرى مانِعاً من ذالك بشرط الإتيان على الغرض المقصود والخُلُوّ من أيِّ محذور شرعيّ ، وفق الله الجميع ، وجعل هذا العمل نافعاً . والسلام عليكم .

التاريخ ١٣٨٢/٦/٢٥هـ .

البِناء في مِنَى :

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز

حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ــ اطلعت على خطاب الشيخ حمود التويجري لجلالتكم المؤرخ في ١٣٧٦/١١/٩هـ المتضمن النصيحة حول البناء في منى .

والحقيقة ــ حفظكم الله ــ أن ماذكره هو عين الصواب .

وكما أنَّ المسجد الحرام لايجوز لأحد أن يَبْنِيَ فيه منزلاً فهذا المشعر كذالك ، ومن استولى على شيء منه تَمَلُّكاً وصلى فيه فصلاته غير صحيحة ، لأنه صلَّى في مكان غصب فالله الله ياإمام المسلمين في كفِّ هذه الأيدي الغاصبة عن هذا المشعر الذي هو موضع العبادة الخاصة إلى يوم القيامة ، واغتصاب شيء منه أعظم من اغتصاب أملاك المسلمين المحترمة .

مقام ابراهيم :

قال الشيخ محمد بن ابراهيم : مقام إبراهيم عليه السلام كان في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وبعض خلافة عمر رضي الله عنهما في سفح البيت ثم أَخَّرَهُ عمر أول مرة مخافة التشويش على الطائفين ، وردُّه المرة الثانية حين حمله السيل إلى ذالك الموضع الذي وضعه فيه أول مرة .

ومادام الأمر كذالك فلا مانع من تأخير المقام اليوم عن ذالك الموضع إلى موضع آخر في المسجد الحرام يحاذيه ويقرب منه ، نظراً إلى ماترتب اليوم على استمراره في ذالك الموضع من حَرَج أشدَّ على الطائفين من مجرد التشويش عليهم ، الذي حمل ذالك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أن يؤخره من الموضع الذي كان فيه في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وصدر خلافة عمر .

وبتأخيره نكون مقتدين بعمر بن الخطاب المأمورين بالاقتداء به ، ونرفع الحرج من ناحية أخرى عن الأمة المحمدية التي دلت النصوص القطعية على رفع الحرج عنها .

قال العلماء الآتية أسماؤهم :

أما تنحيةُ مقام إبراهيم عن موضعه الآن شرقاً مساحة ليتسع المطاف فحيث توقف بعض المشائخ في ذالك اتفق الرأي من الجميع على اختصار هذا الهيكل الذي على المقام الآن بِجَعْلِهِ متراً في متر فقط ، والباقي يبقى توسعة في المطاف فيكون من المطاف من وجه ، وزيادة في مصلى الركعتين من وجه آخر ، إذا فقدت الزحمة صارت صلاة الركعتين فيه وفيما خلفه من المصلى الأول ، وإذا وُجِدَتِ الزحمة انشغل هذا الزائد بالطائفين ، وصلى المصلون ركعتي الطواف خلفه .

محمد بن ابراهيم آل الشيخ ـ عبدالملك بن ابراهيم آل الشيخ ـ عبدالعزيز ابن باز ـ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر ـ عبدالله بن عمر بن دهيش ـ حسن ابن عبدالله آل الشيخ ـ عبدالعزيز بن ناصر بن رَشيد ـ عَلَوي عباس مالكي ـ محمد بن علي الحركان ـ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ ـ أمين كتبى ـ محمد يحيى أمان ـ تاريخ الخطاب المرفق بهذا القرار في ١٣٨٠/١/٢هـ .

عَرْض المَسْعَى :

هذه فقرات مقتطفة من قرار الهيئة العلمية الآتية أسماؤهم :

جرى البحث فيما يتعلق بتحديد عرض المسعَى ، فجرت مراجعة كلام العلماء : لم نجد للحنابلة تحديدا لعرض المسعى .

وقال النوويُّ في «المجموع»: قال الشافعي والأصحاب : لايجوز السعي في غيرِ موضع السعي ، فلو مَرَّ وراءَ موضعِ السعي لم يَصِحَّ سعيه ، لأن السَّعْيَ مُخْتَصٌّ بمكانٍ فلا يجوز فعله في غيره كالطواف .

قال الشافعي في القديم : فَإِنِ ٱلتَوَى يَسِيْراً أجزاه ، وإن عدل حتى يفارق الوادي المؤدي إلى زقاق العطَّارِيْن لم يُجْز .

وقال الرفاعي : إنِ ٱلتَوَى في السَّعْيِ يسيرا جاز ، وإن دخل المسجد أو زقاق العطَّارِيْن فلا ، والله أعلم .

وقال الرملي الشافعي : لم أرَ في كلامهم ضَبْطَ عَرْضِ المسعى ، وسكوتهم عنه لعدم الاحتياج إليه ، فإن الواجب استيعابُ المسافة التي بين الصفا والمروة كلها ، ولو ٱلتَوى في سعيه عن محلّ السعيِ يَسِيرا لم يَضرُّ كما نص عليه الشافعي رضي الله عنه .

وقال في «تحفة المحتاج»: الظاهر أن التقدير لعرضه بخمسة وثلاثين أو نحوها على التقريب ، إذْ لا نصَّ فيه يُحْفَظُ من السنة ، فلا يضر الألْتِواء اليسير بخلاف الكثير ، فإنه يخرج عن تقدير العرض ولو على التقريب .

وقال الأزرقي : وذرع مابين ٱلعَلَمِ الذي علي جانب باب المسجد إلى العَلَمِ الذي بحذائه على باب دار العباس بن عبدالمطلب وبينهما عرض المسعى خمسة وثلاثون ذراعاً ونصف ذراع . انتهى .

وحيث أنَّ الحال ماذكر بعاليه ونظراً إلى أنه في أوقات الزحمة عندما ينصرف بعض الجهال من أهل البوادي ونحوهم من الصفا قاصداً المروة يَلْتَوِي كثيراً حتى يسقط في الشارع العام فيخرج من حدِّ الطول من ناحية (باب الصفا) والعرض معاً ويخالف المقصود من (البَيْنِيَّةِ) بَيْنَ الصفا والمروة ، وحيث أن الأصل في السعي عدمُ وجود بناءٍ ، وأن البناء حادثٌ قديماً وحديثاً ، وأن مكان السعْيِ تَعَبُّدِيّ ، وأن الإلْتِوَاءَ اليسير لا يضرُّ لأنَّ التحديد المذكور بعاليه تَقْرِيْبِيٌّ بخلاف الإلْتِوَاءِ الكثير كما تقدمت الإشارة إليه في كلامهم فإننا نقرر مايلي :

أولاً ــ لاباس ببقاء ٱلعَلَمِ الأخضر الذي بين دار الشيبي ومحل ٱلأَغْوَاتِ ، ولابأس من السعي في موضع دار الشيبي ، لأن مساحتها في بطن الوادي بين الصفا والمروة ، على أن لايتجاوز الساعي ماكان بين الميل والمسجد ، ممايلي الشارع العام ، وذالك للاحتياط والتقريب .

ثانياً ــ إننا نرى عرض كل ماذكرناه على سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن ابراهيم حفظه الله تعالى ــ .

←

كتاب وملاحظات :

ـ ١ ـ

صناعة الكتابة عند ضياء الدين بن الأثير

تأليف دكتور عبدالواحد حسن الشيخ (كلية التربية ـ جامعة الاسكندرية) ، اسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، مطبعة الإشعاع الفنية ، ١٩٨٦ ـ ١٢٤ ص .

١ ـ مع الاعتذار إلى الدكتور المؤلف . . . أُسَائِلُ عن السبب الذي يدفَعنا في هذه الأيام إلى التأليف ، وإلى الإسهاب ، والإطالة فيما حَقُّهُ الإيجاز والتَّقْصِير ؟ لماذا نجْعل مايجب أن يُكْتَبَ في خمس صفحات أو عشر ـ على أكثر تقدير . . كتاباً في مئة صفحة أو مئتين ؟ ـ ولا أطيل ! إن كثيراً من رسائل (الماجستير) و(الدكتوراه) يبلغ مئات الصفحات ، ولو التزمنا المنهج لجاء بحوثاً محدودة الصفحات بعشرين أو ثلاثين أو بخمسين لدى المتسهل ! .

٢ ـ قال المؤلف ص ١٦ : (إن كل من تناول ابن الأثير بالبحث والدرس نِسي أو تناسى ذكر طفولة ابن الأثير وصباه حتى شَبَّ عن الطوق ، وبلغ الحادية والعشرين) وينتظر القاريء من المؤلف ذكراً لطفولة ابن الأثير وتفصيلاً وجديداً . . . ولكن القاريء لايجد ماانتظر .

---

٣ ــ ص ٢٠ : (سوق الكتابة رائج) هكذا جاءت السوق على التذكير ، ولابأس في ذالك . فالسوق تؤنث وتذكر أو تذكر وتؤنث ، مُصَغَّرُها سُويقة . واحسب أن التأنيث أفصح ، و(هَلْ بَارَتْ بِكِ السوق) ؟

٤ ــ ص ٢٣ : قال ابن الأثير في «الجامع الكبير» (. . . احتجت حين شدنت نبذة من الكلام المنثور إلى معرفة هذا المذكور [يقصد تأليف الكلام الذي لايعرف كنه أمره إلاّ بالاطلاع على علم البيان] فشرعت عند ذلك في تطلبه ، والبحث عن تصانيفه وكتبه . . .) .

قال المؤلف تعليقاً على (شدنت): (القياس يقتضي شدوت بدل شدنت) ولم يوضّح قصده ، وأحسب أنه يريد أن يقول: شدوت أولى بمبتديٍّ في صناعة تأليف الكلام ، أما شدنت فهي خطوة متقدمة ، جاء في المعجمات (شدن الغزال من باب دخل وهو شادِنٌ ، إذا قوي وطلع قرناه ، واستغنى عن أمه) ، وإلاّ فلا فرق ، أو أن الفرق ضئيل ، ولم يكن ابن الأثير شادِياً أو شادناً حين استخدم الكلمة .

٥ ــ ص ٢٥ (يحيِ نفسه لما يصبوا إليه) : يَصْبُو .

٦ ــ ص ٢٨ : (مما قيل عن «المثل السائر» قول ابن العماد الحنبلي عنه : (وهو ــ أي المثل السائر ، في مجلدين ، جمع فأوعى ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلاّ ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ، ومحاسنه كثيرة) ــ «شذرات الذهب» ج ٥ ص ١٨٨ ــ ويكمل هذه العبارة المقتضبة ابن خلكان فيقول: (ولما فرغ من تصنيفه كَتَبَه الناس عنه ، فوصل إلى بغداد نسخة منه . . .) ــ «وفيات الأعيان . . .» .

وفي هذا أكثر من (مؤاخذة) منهجية . . .

الأولى: أننا لا نقدم المتاخر على المتقدم . لقد توفى ابن العماد الحنبلي سنة ١٠٨٩ ، وتوفي ابن خلكان سنة ٦٨١ .

الثانية : معروف جداً أن ابن العماد الحنبلي عِيَالٌ في كتابه على ابن خلكان . . .

الثالثة : أنَّ هذا الذي نقله المؤلف عن ابن العماد الحنبلي على أنه لابن العماد الحنبلي لم يكن لابن العماد الحنبلي وإنما هو لابن خلكان ينقله ابن العماد الحنبلي . ولا ندعو في بيان هذا إلى مقابلة بين الكتابين وإنما نرجع إلى «شذرات الذهب» نفسه (ص ١٨٨) لنقرأ في وضوح : (وقال ابن خلكان (. . .) ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» وهو في مجلدين ، جمع فيه فأَوْعَى ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلَّا ذكره ، ولما فَرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ومحاسنه كثيرة . . . انتهى ملخصاً).

الأمر واضح ، وهو يدعو إلى مؤاخذة ثالثة ـ هي أننا ـ في منهج البحث ـ لانفضل الملخص على الأصل ، وبسبب من التلخيص أهمل ابن العماد الحنبلي من كلام ابن خلكان قوله : (ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل إلى بغداد منه نسخة . . .) .

ومن لايصدق فليرجع إلى «وفيات الأعيان» لابن خلكان ـ حرف النون : نصر الله . . .

٧ ـ ص ٤١ : (وكان هذا أمراً مقروراً معروفاً . . .) لعله يريد : مقرُراً .

٨ ـ ص ٥٩ : (وجدناه غيوراً على الكتابة زائداً عن حوضه ، السائمة والمائمة . . .)

زائداً : ذائداً ـ وهي من معايب اللهجة المصرية (القاهرية خاصة) عندما تطغى فتقلب ـ لدى اللفظ ـ الذال زاياً ، ويجور اللفظ على الكتابة !

٩ ـ ص ٣٠ : (أما كتابه (. . .) «الوشي المرقوم في حل المنظوم» فإنه كتاب صغير الحجم يقول عنه صاحب «مرآة الجنان» : ـ وهو (. . .) مع وجازته في

غاية الحسن والإفادة) ـ «مرآة الجنان» جـ ٤ ص ٩٧ حوادث سنة ٦٣٧هـ وانظر «وفيات الأعيان» جـ ٥ ص ٣٩٢ .

أ ـ إن مؤلف «وفيات الأعيان» أسبق من مؤلف «مرآة الجنان» . توفي مؤلف «وفيات الأعيان» سنة ٦٨١ وتوفي مؤلف «مرآة الجنان» سنة ٧٦٨ .

ب ـ إن مؤلف «وفيات الأعيان» هو الذي احتفل بابن الأثير في ترجمته والكلام على مؤلفاته كلام من رأى وقرأ ووعى . أما مؤلف «مرآة الجنان» فهو بعيد عن ابن الأثير ، ولم يكن من همه ترجمته وإنما هو يذكر كلمات وسطوراً عابرة . . . ، وهو يفيد من غيره ، ومن هؤلاء (الغير) مؤلف «وفيات الأعيان» .

جـ ـ وصف «الوشي المرقوم» الذي نقله المؤلف عن صاحب «مرآة الجنان» ورد من قبل أكثر من قرن عند صاحب «وفيات الأعيان» في الترجمة (المحترمة) التي عقدها على ابن الأثير (نصر الله) فقال : (وله كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم» وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة) .

د ـ نبحث في قائمة المؤلف للمراجع ، عن مؤلف «مرآة الجنان» فنكاد نفتقده لأنه أورده في حرف العين (عبدالله بن أسعد اليمني) فلم يرسمه باسمه على حين بدأ ـ وسار ـ يرسم المؤلفين على شهرتهم : ابن الأثير ، ابن خلكان ، ابن الوردي . . . ؟ ثم إن مؤلف «مرآة الجنان» معروف جيّداً لدى الباحثين باليافعي ، فحقه على هذا أن يرسم باليافعي ، ويأتي في حرف الياء .

١٠ ـ وشيء آخر هو أن المؤلف يحيل خلال البحث على أسماء الكتب ، حتى إذا جاء إلى قائمة المصادر نظمها ـ مع اضطراب ملحوظ ـ على أسماء المؤلفين وهذا غير جائز في منهج البحث .

ومن الاضطراب ـ مثلاً ـ أنه يحيل في درج البحث على (ابن العماد الحنبلي) ولكنه وضعه في «القائمة» باسم «عبد الحي» إن لقائمة المصادر أصولاً !!

بغداد/د. علي جواد الطاهر

من تاريخ المنطقة الشرقية :

ـ ٢ ـ

بداية العصـور التاريخية

لقد حددت عصور ماقبل التاريخ بمنتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، حين ظهرت بواكير الكتابة التاريخية على أيدي المؤرخين الإغريق ، ووصل لنا أول كتاب تاريخي ، لمؤلفه الرحالة الشهير هيرودتس[١]، وقد اكتسب هذا الكتاب أهميةً بالغة ، لاتصافه بالشمولية والطابع العالمي[٢] بعد أن كانت الكتابة التاريخية مقصورة على نبذٍ موجزة من حوليات الملوك وفتوحاتهم ومعاهداتهم وتسلسل أنسابهم ، أو على ذكر الأهداف والوقائع ذات اللون المحلي .

ولقد استطاع أمثال هذا المؤرخ ومن أتى بعده أن يسجلوا تفاصيل الأحداث التي وقعت خلال الألف الأول قبل الميلاد ، لقرب عهدهم بها ، فتوفرت لنا معلومات عن أحوال تلك الدول والأمم التي عاشت خلال تلك الحقبة . كما أخذت معلومات مؤرخينا العرب عن هذه الفترة تقترب من الصحة ، بعد أن كانت مغرقة بالأخبار المصطنعة والقصص الاسرائيلية .

فبفضلهم تم لنا التعرف على الكثير من أخبار الدولة الكلدانية الثانية (٦٠٥ ــ ٥٦٢ ق.م) التي قامت في بابل بقيادة نبوخذ نصر[٣]، فحدثونا عن غزواته ، واحتلاله مملكة يهوذا[٤] وأسر اليهود ، وتدميره عاصمتهم أورشليم ، وتنشيطه الملاحة والتجارة في الخليج العربي ، كما حدثونا عن الدولة الأخمينية الفارسية (٥٦٢ ــ ٣٣١ ق.م) التي أسسها قورش (٥٦٢ ــ ٥٢٩ ق.م) ، وهي أول امبراطورية فارسية ظهرت إلى الوجود ، فبسطت نفوذها على العراق وسوريا وفلسطين ومصر ، وقد سجل هيرودتس علاقة العرب بهذه الدولة ، ومساعدتهم لها في غزو مصر في عهد قمبيز (٥٢٩ ــ ٥٢١ ق.م) ، إلا أن المؤرخين يجمعون بأن العرب لم يخضعوا لهذه الدولة ، وإنما كانوا يرتبطون معها بحلف صداقة

وجوار ، وقد سيطر الفرس على الخليج في هذا العهد ، فحــولوه إلى بحيرة داخلية ، خوفاً من تعرُّض مقاطعاتهم البحرية للتدمير على يد أسطول أجنبي ، فمن ثمَّ حولوا طرق التجارة إلى مياه البحر الأحمر ، وهذا السبب الذي دعاهم إلى التفكير في إحياء مشروع حفر قناة تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق نهر النيل(٥) ، فقام داريوش (دارا ٥٢٦ ــ ٤٨٥ ق.م) بتنفيذ حفرها(٦) ، واستطاع أن يسيِّر السفن من مصر إلى فارس عن طريق البحر الأحمر والبحر العربي والخليج ، وقضى بالتالي على النشاط التجاري المزدهر في الخليج وموانئه العربية(٧).

وقد تنفست الصعداء هذه المنطقة حين اكتسح الأسكندر المقدوني(٨) تلك الدولة عام ٣٣١ ق.م ، وقضى على ذالك الكابوس ، فازدهر اقتصادها ، وانتعشت الحركة التجارية في مَوَانِئِهَا ، وقد استرعى اهتمام الأسكندر موقعها الاستراتيجي ، فقرر ضمها إلى امبراطوريته ، باعتبارها مفتاح تجارة الشرق ، ومصدر التوابل والعطور ، وحين أشير عليه بصعوبة فتحها من ناحية البر ، قرر أن يوجّه لها حملة بحرية ، لفتح موانِئِها ومدنها الساحلية ، وقد مهد لذالك بإرسال بعثات استكشافية تقوم بجمع المعلومات ، بدءآ من الخليج العربي ومروراً بالبحر العربي والبحر الأحمر حتى خليج العقبة ، فبعث ثلاثة من قواده البحريين لهذه المهمات الاستطلاعية ، كان على رأس احداها ارشياس Archias الذي بلغ جزيرة تيلوس (البحرين) ولم يتجاوزها ، وعلى رأس الثانية اندروستين Androsthene الذي أمره بالاتجاه بمحاذاة الساحل ، فبلغ ناحية أبعد مدى ، أما الثالثة فكلف بها هيرون Hieron للطواف حول شبه جزيرة العرب ، حتى يصل إلى مدينة هيربوليس Heroopolis قرب قناة السويس ، ولكنه توقف حين بلغ رأس مسندم Maketa ولم يتجاوزه ، كما يقول المؤرخون ، ويقال : إنه عاد فأخبر الأسكندر بما حصل عليه من معلومات ، وبما يتطلبه المشروع من جهود(٩).

ويبدو أن مهمة الأول كانت تقتصر على اكتشاف جزر الخليج ، ومهمة الثاني على التعرف على الموانِيء والمدن ، ودراسة سكانها العرب وتقاليدهم وعاداتهم

وأحوالهم . أما الثالث فيظهر أن مهمته تتركز على اكتشاف الطريق البحري والموانيء الصالحة والمياه ودراسة الأنواء ، بدءاً من الخليج ثم البحر العربي والبحر الأحمر .

وبينما كان الأسكندر يعد العدة لبناء الأسطول الضخم في بابل وتجهيز الحملة العسكرية وإنشاء المدن الساحلية كمدينة كراكس[١٠] وبناء القواعد العسكرية في جزيرة ايكاروس (فيلكا) وغيرها ، ليجعلها منطلقاً لقواته البحرية فَاجَأَتْهُ المنية ، فتوفى ببابل عام ٣٢٤ ق.م وبعد وفاته تنازع قواده تركة الامبراطورية الواسعة العظيمة التي خلفها بدون وصاية ، فصرفتهم خلافاتهم عن التفكير في تنفيذ خططه ، فتبخر المشروع .

خلال هذه الفترة التي انحسر فيها ظل السيطرة الأجنبية ، بعد القضاء على الدولة الاخمينية الفارسية ، وقيام ملوك الطوائف ، وانشغال قواد الاسكندر بالتنازع فيما بينهم[١١] تمتعت هذه المنطقة بالحرية الاقتصادية فازدهرت تجارتها ، وانتعش اقتصادها ، حتى صارت مضرب المثل في الغنى والثروة ، وكانت مدينة الجرهاء[١٢] (الجرعاء) في مقدمة بلدان الخليج ، التي تركزت فيها حركة الاستيراد والتصدير ، فكانت ملتقى القوافل القادمة من اليمن والحجاز والشام والعراق ، كما كانت سوقاً من أسواق التجارة البحرية ، تستقبل البضائع الواردة لها من الهند وافريقيا وجنوب الجزيرة العربية ، وتعيد تصديرها بواسطة القوافل عن طريق تيماء والبتراء وغزة ومصر ، وموانيء البحر الأبيض المتوسط[١٣].

وقد اكتسبت هذه المدينة شهرة واسعة ، وذاع خبر ثراء أهلها وغناهم وبذخهم ، فوصفهم استرابون بأنهم أغنى العرب ، يتمتعون بألوان الترف والرخاء ، فيكثرون من آنية الذهب والفضة والفرش الثمينة ، ويزينون جدران منازلهم وسقوف أبنيتهم وأبواب غرفهم بالذهب والفضة والعاج والأحجار الثمينة الغالية ، وهذا الشيء الذي أثار الطمع في نفس انطيوخس الثالث السلوقي ، وجعله يقود أسطوله عام ٢٠٥ ق.م للاستيلاء على هذه المدينة الغنية ، بعد عودته من حملته على الهند وتقول الرواية : إنه نزل بأرض الخط Chattenia وأن الجرهائيين

المسالمين انتدبوا له بعثة تفاوضه ، وتحمل معها رجاءهم بأن لا يحرمهم من نعمتين عظيمتين أنعمتها الآلهةُ عليهم، وهما نعمة السلام ونعمة الحرية ، فصالحهم على أن يدفعوا له جزية سنوية كبيرة ، تتألف من الفضة والمدان وزيت مصنوع من البخور ، وعاد أدراجه ، حيث أبحر إلى جزيرة تيلوس ، ومنها إلى سلوقيا .

ويبدو أن ازدهار هذه المدينة وغيرها من موانيء الخليج استمر إلى عهد توغل الرومان في جنوب شبه الجزيرة العربية وسيطرتهم على موانِئِهَا ، حيث قاموا بتحويل طرق التجارة إلى مياه البحر الأحمر ، فانتهى الدور الذي كانت تلعبه كوسيط للتجارة العالمية ، ولاننسى أن لقطاع الطرق من البداة الذين تفاقم وجودهم في هذه المنطقة أخيراً دور خطير في زعزعة الأمن وشل حركة التنقل لقوافل التجارة ، وهذا كله أدى إلى فقدانها مركزها التجاري والقضاء على أهميتها الاقتصادية ، ومنذ ذالك الحين لم نسمع لها ذكراً في كتب التاريخ .

خلال الفترة التي امتدت من عام ٤٦ ق.م وحتى عام ٢٢٦ م ، والتي اشتد فيها الصراع بين الدولة البرثية[١٤] وبين الرومان وانشغال كل منها بحروبها مع الأخرى حدث انفراج في الوضع الاجتماعي والسياسي في المنطقة ، نتيجة الفراغ الذي كانت تملؤه الهيمنة الأجنبية ، فتقاطرت عليها القبائل العربية ، وبسطت سيادتها عليها ، فيحدثنا الطبري وابن الأثير[١٥] أن بني معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب حين كثروا وضاقت بلادهم (تهامة) عن استيعابهم ، وفرقتهم الحروب قدمت منهم قبائل ونزلوا البحرين أيام ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر المقدوني ، وفرق البلدان فيما بينهم بعد مقتل دارا (داريوش الثالث آخر ملوك الدولة الأخمينية) ، وكان بالبحرين جماعة من الأزد استوطنت البلاد قبلهم ، ومن بين تلك القبائل القادمة قبيلة قضاعة ، ويتزعمها مالك وعمرو ابنا فهم ومالك بن زهير ، وقبيلة قنص ويرأسها الحيقار بن الحيق ، ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان وصُبْحُ بن صُبَيْحٍ بن الحارث في قبيلة إياد ، وانضم إليهم جماعة من قبائل العرب ، فعقدوا بينهم حلفاً ، وتعاقدوا على التناصر والتآزر فيما بينهم ، وتحالفوا على التنوخ (أي المقام) ، فعرفوا باسم

(تنوخ) ، وكأنهم قبيلة واحدة ، وصاروا يداً على الناس ، ثم انضم إلى الحلف جذيمة الأبرش زعيم الأزد ، بدعوة من مالك بن زهير القضاعي الذي صاهره وزوجه أخته لميس ، فتوثقت الروابط بين تلك القبائل العربية ، فتمت لها السيادة على بلاد البحرين .

وفي الأثناء قدمت قبائل بني عبدالقيس من تهامة بزعامة عمرو بن الجعيد المعروف بالأفكل ، إلى بلاد البحرين ، فتصدى لها جمع من قضاعة وإياد لطردها من أراضي المنطقة ، فحملت إياد على شَنٍّ إحدى قبائل بني عبدالقيس ، التي يراسها سعد السعود الشني ، وفتكت بها فتكاً ذريعاً ، حتى كادت أن تفنيها ، غير أن حشوداً من عبدالقيس هبت لنصرتها فحملت على قضاعة ، فهزمتها شرّ هزيمة ، ثم مالت على إياد ، فأصلتها قتلاً ذريعاً ، وألحقت بحلف تنوخ هزيمة منكرة ، حيث انسحبت فلولهم ليلاً إلى العراق ، ومنذ ذالك الحين تصدع حلف تنوخ في بلاد البحرين ، ولم يبق منه إلا قبيلة إياد التي تفردت بالسيطرة على البلاد ، وقد استطاعت قبيلة عبدالقيس التغلب عليها أخيراً بعد حرب ضروس ، أسفرت عن هزيمتها وجلائها من المنطقة ، حيث تمت لقبيلة عبدالقيس السيطرة على بلاد البحرين .

وحين ضعفت الأمبراطورية الرومانية ، وسادتها الفوضى والحروب الأهلية ، عقب انتهاء حكم أسرة سيفروس سنة ٢٣٥م(١٦) تهيأت الفرصة لأردشير بن بابك عام ٢٢٦م(١٧) أن يقضي على الدولة البرثية وعلى ملوك الطوائف ، ويوحّد ايران ، ويؤسس الدولة الساسانية القوية ، التي أصبحت منافسة للامبراطورية الرومانية ، تتقاسم معها النفوذ على الأرض العربية ، فكانتا تشكلان معسكرين شرقي وغربي ، كما هو شأن عالم اليوم .

ويحدثنا الطبري أن أردشير بن بابك غزا بلاد البحرين ، فحاصر ملكها سنطرق فلم يستسلم ، وأصر على المقاومة ، حتى أنهكه الجهد ، فرمى بنفسه من أعلا الحصن فهلك(١٨).

وكان للصراع بين الدولتين العظيمتين الساسانية والرومانية(١٩) تأثير كبير على

الأوضاع السياسية في المنطقة العربية ، فحينما تستفحل الاضطرابات الداخلية في أحديهما، أو تنشغل بالحروب مع غريمتها تنفرج الضغوط عن المنطقة . وهذا ماحدث بالفعل حينما سادت الاضطرابات بلاد فارس على أثر وفاة هرمز الثاني (٣٠٢ ـــ ٣٧٩ م) ، الذي ترك وصاية العرش لجنين في رحم أمه ، وأدّى ذالك إلى البلبلة والفوضى ، والتناحر بين الرؤساء ورجال الجيش ، وقد استطاعت الدولة اللخمية خلال تلك الفترة بقيادة امرئ القيس بن عمرو بن عدي الملقب بالبدء (٢٨٨ ـــ ٣٢٨ م) أن توسع رقعتها حتى شمل نفوذها معظم شبه الجزيرة العربية .

وفي هذه الفترة أيضاً تحركت قوات شمر يهرعش (٢٧٠ ـــ ٣٠٠ م) أحد ملوك اليمن ، الملقب بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت ، فزحفت إلى الشمال لرد اللخميين على أعقابهم الذين بلغوا حدود نجران فتوغلت في شبه الجزيرة العربية ، كما قامت مفرزة من تلك القوات بالزحف على هذه المنطقة ، التي كانت خاضعة لنفوذ الفرس ويحدثنا النص المعروف لدى العلماء بـ (شرف الدين ٤٢) أن الملك شمر يهرعش أمر قواته بغزو أرض (ملك) مالك (أسد) فتقدمت نحوها واتجهت نحو أرض قطوف أي القطيف ، حتى بلغت موضع (كوكبن) (كوكب)[٢٠] ثم (ملك فارس وأرض تنخ) (ملك الفرس) أي الأرض التابعة للفرس وأرض تنوخ . وقد دون هذا النص قائدان من قواد شمر يهرعش ، وذالك بعد عودتهما سالمين غانمين من ذالك الغزو[٢١] .

كما أدت ضعضعة هيبة الدولة الساسانية إلى أن تتجرأ عليها سكان المستعمرات فتغزوها في عقر دارها ، وبالفعل اهتبلت الفرصة جموع من بني عبدالقيس وإياد وتميم فعبروا الخليج إلى الأراضي الفارسية ، واستولوا على سواحل ايران ، وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم حيناً من الزمن .

وقد تركت هذه الأعمال أبعاداً سيئة من الضّغينة والحقد في نفسية سابور الثاني (٣١٠ ـــ ٣٧٩ م) الملقب بذي الأكتاف ، فحين بلغ أشده وتسلم مقاليد الحكم وقيادة الجيش قام بحملته الانتقامية الشهيرة على بلاد العرب وقد بدأ بالعرب

القاطنين بالسواحل الايرانية ففتك بهم ، ثم عبر الخليج وداهم مدينة الخط ، فقتل كثيراً من أهلها كما أفشى القتل في سكان هجر ، ثم عطف على بلاد عبدالقيس فأباد أهلها إلا من هرب منهم فلحق بالرمال ، وتتبع بني تميم فأمعن في قتلهم ، وتوغل في جزيرة العرب ، وعمد إلى طم المياه وردم الآبار ، وقتل كل من وجده من العرب ، فكان ينزع أكتافهم ويمثل بهم ، وكان لشناعة هذه المثلة أثر سيء في نفوسهم ، فمن ثم لقبوه بذي الأكتاف[٢٢].

ثم قام بعمليات إجلاء وتهجير لتلك القبائل تأديباً لها ، وضماناً لعدم قيامها بغارات على الحدود ، كنوع من فرض الاقامة الجبرية والمراقبة ، فأسكن بني تغلب دارين والخط وسماهيج[٢٣] ، وبني عبدالقيس وتميم بلاد هجر ، وبكر بن وائل كرمان ، وإياد وبني حنظلة الأهواز كما أنشأ أسطولاً قوياً لحماية الثغور والشواطىء لاستخدامه في الأعمال التجارية ، وقد ساهم أهل الخليج في النشاط التجاري ونقل البضائع مابين الهند وسيلان وجزيرة العرب والعراق[٢٤].

وقد خضعت هذه المنطقة للحكم الفارسي حتى دخولها في الإسلام ، فكان يحكمها ولاة من الفرس ، وأحياناً يعيّن إلى جانبهم أمراء محليون ، غير أن السلطات العليا تتركز بيد الوالي الذي يسمى (مرزبان) ، وكانت المنطقة مقسمة ادارياً إلى قسمين ، لكل قسم مرزبان خاص فهجر لها مرزبان مقره المشقّر ، وللقطيف مرزبان مقره الزارة .

وقد عانت هذه المنطقة من أولئك الولاة الْعُتَاة ، وكابدت ألواناً من الاضطهاد والتنكيل ، واشتهر ازاد فيروز بن جشيش الملقب بالمكعبر الفارسي بفضاضته ووحشيته ، حتى أنه كان يقطع أيدي العرب وأرجلهم من خلاف ، وكاد يفني قبيلة بني تميم عن بكرة أبيها في حادثة حصن المشقر بهجر .

وملخص القصة كما رواها ابن الأثير : أن تميماً أغاروا على أموال بعث بها عامل كسرى على اليمن ، فوشى بهم عامله باليمامة هوذة الحنفي ، فكلف عامله بالبحرين المكعبر ليدبر مكيدة للقضاء عليهم ، وكان ذالك وقت جذاذ التمر ،

فنادى مناديه فيهم ليحضر من كان من بني تميم فإن الملك أمر لهم بميرة وطعام ، فحضروا كلهم في حصن المشقر ، وظل يدعو عشرة عشرة ويضرب أعناقهم ، وأخيراً أحسوا بالمكيدة ، فضرب رجل منهم سلسلة الباب بسيفه ، فاندفعوا كلهم ، وفروا من بين يديه هاربين[٢٥].

ويبدو أن هذه المنطقة كانت في فترة من عهود السيطرة الفارسية تابعة لولاية الحيرة[٢٦] ، كما تدل قصة الشاعرين طرفة بن العبد وخاله المتلمس ، حين وفدا على عمرو بن هند[٢٧] حاكم الحيرة يستعطيان ، وكان يحمل عليهما موجدة ، فأعطى كلاً منهما كتاباً لعامله في البحرين ، وأمره بقتلهما ، ولكن المتلمس شك في موضوع الكتاب ، فأقرأه رجلاً من الحيرة ، ثم رماه في النهر ، أما طرفة فاندفع بشرة الشباب وأتى المكعبر الفارسي فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً ، تنفيذاً لأمر ملك الحيرة .

ولم ينقذ هذه المنطقة من براثن الاستعمار الفارسي إلا الانتفاضة الكبرى التي انبعثت بقيادة نبي الإسلام ، فتحررت من السيطرة الأجنبية ، بعد أن كانت تعاني الأمرّين من عنت الولاة وطمع الفاتحين .

القطيف　　　　محمد سعيد المسلم

الهوامش :

(١) الملقب بأبي التاريخ ، ولد في مدينة هاليكار ناسوس بأسيا الصغرى عام ٤٨٣ ق.م ، واستقربه المقام في ايطاليا وبها توفى عام ٤٢٥ ق.م ، وقد زار بلاد العالم المعروف في ذلك الحين ، وكتب عن أحوال شعوبها وعاداتها ومعتقداتها ، ونظم الحكم فيها ، وقد تأثر بكاتب يوناني قبله ، يدعى هيكاتيوس الميلتي الذي زار مصر وبلاداً كثيرة وألف كتابين عنها ، وقد ضاع هذان الكتابان ، وقد نقل منهما ومن غيرهما هيرودتس بعض معلوماته .

(٢) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٣) من عظماء التاريخ غير أن هذه الدولة لم تعمر كثيراً ففي عهد خلفه بيلا شاصر قوّضها الفرس .

(٤) بعد موت سليمان ابن داود انقسمت مملكته إلى دولتين : دولة اسرائيل في الشمال ، وعاصمتها سامريا ، وقد قوضها الأشوريون سنة ٧٢٢ ق.م وظلت دولة يهوذا في الجنوب وعاصمتها اورشليم ، حتى قضى عليها نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م وأخذ اليهود أسرى إلى بابل إلى أن احتلها قورش سنة ٥٣٩ ق.م فأذن لهم بالرجوع الى فلسطين .

(٥) اول مَنْ فكر في حفر قناة تربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق نهر النيل هو الفرعون نيخو

NECHOS من الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ـ ١٧٨٨ ق.م) وقد شرع في حفرها ـ كما ذكر المؤرخ هيرودتس ـ حتى بلغ طولها أربعة أيام عند مدينة بلبيس ، ثم قام رمسيس الثاني فأوصلها بالبحيرات المالحة ، وأقام سداً لوقف اندفاع الماء خشية الفيضانات ، لاعتقادهم بأن منسوب ماء البحر الأحمر أعلا من النيل بنحو أربعة أقدام ونصف ، وحاول نخاو (٦٠٩ ـ ٥٩٣ ق.م) احياءها وتطهيرها ولكن غزو الفرس لم يمهله فأتمها الفرس ، ثم ردمت وأعادها الأمبراطور الروماني تراجان ثم اهملت ، وفي الفتح الإسلامي أمر عمرو بن العاص بأحيائها عام ٦٤١ م وسميت (بخليج أمير المؤمنين) وكانت تمر بعين شمس وظلت صالحة للملاحة حتى عام ٧٧٠ م حين أمر الخليفة العباسي المنصور بردمها ، وفكر الخليفة هارون الرشيد بأعادتها فأشير عليه بالامتناع خشية من الروم على الديار المقدسة ، وفكر نابليون وغيره في فتحها إلى أن تبنى المشروع فرد يناند دي ليسبس في عهد الخديوي سعيد ، فتم فتحها في عام ١٨٦٩ م .

(٦) و(٧) الخليج ص ٧٢ .

(٨) نسبة إلى مقدونيا ، وهي دولة قديمة نشأت في شبه جزيرة البلقان وسيطرت على بلاد الاغريق بقيادة فيلب الثاني ، وبعد وفاته سنة ٣٣٦ ق.م خلفه على العرش ابنه الاسكندر الكبير المعروف بذي القرنين . ذكرنا شيئاً من ترجمته في الحواشي السابقة .

(٩) الخليج / ولسن ص ٩٧ والمفصل ج ٢ ص ٧ .

(١٠) كراكس مدينة على فم الخليج وقد اندرست ، وهي في موضع مايعرف الآن بالمحجرة .

(١١) تقاسم أهم أجزاء امبراطوريته ثلاثة من قواده العظام ، فاستقل فيليبس بمقدونيا واليونان ، وبطليموس بمصر والمغرب ، حيث أسس دولة البطالمة (٣٢٣ ـ ٣٠ ق.م) وسلوقوس بالعراق وسوريا ، حيث أسس الدولة السلوقية (٣١٢ ـ ٦٤ ق.م) . أما فارس فقد قسمها الأسكندر حين احتلالها إلى ولايات لاضعافها ، وأسند حكمها إلى أمراء ، عرفوا بملوك الطوائف .

(١٢) اندرست هذه المدينة في الوقت الحاضر ، فلا يعرف موضعها ، وَصَفَها استرابون بأنها تقع في أرض سبخة وعلى خليج عميق ، وأن بيوتها مبنية بحجارة الملح ، وأن مؤسسيها مهاجرون كلدانيون من أهل بابل ، ووصفها بلينوس بأنها تقع على خليج عميق يسمى باسمها ، ويبلغ محيطها خمسة أميال ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها القطيف استناداً لكونها مدينة ساحلية صالحة للاستيطان البشري وميناء تجارياً ، وذهب آخرون إلى أنها الأحساء ، استناداً إلى تقدير المسافة التي ذكرها الأغريق بينها وبين جزيرة تيلوس (البحرين) وورد ذكرها في شعر ابن المقرب وفي كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني . أما علماء الآثار ، فذهبوا إلى أنها تقع على مقربة من العقير ، حيث وجدوا خرائب قديمة وآثار عمران دراسة ، فقرروا أنها الجرعاء .

(١٣) المفصل ج ٢ ص ١٥ .

(١٤) وتسمى الارشكانية ، نسبة إلى مؤسسها أرشك سنة ٢٥٦ ق.م فقام بتوحيد صفوف ملوك الطوائف ، وكسب احترامهم وولاءهم ، وقد عاشت هذه الدولة يتوارثها أعقابه ، وفي عام ١٢٦ ق.م استولوا على العراق ، وأجلوا السلوقيين منها ، وظلت الحرب سجالاً بينهم وبين الرومان ، وفي عام ٢٢٦ م لفظت أنفاسها الأخيرة بقيام الدولة الساسانية .

(١٥) «تاريخ الأمم والملوك» ج ١ ص ٤٣٧ و«الكامل» ج ١ ص ٣٤٠ .

(١٦) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص ١٧ .

(١٧) هو أحد ملوك الطوائف (٢٢٦ ـ ٢٤١ م) ومؤسس الدولة الساسانية قام بتوحيد ايران ، ثم احتل العراق وبلاد البحرين واليمامة واليمن ، وقد تولى من سلالته ٣٠ ملكاً ، آخرهم يزد جرد الثالث الذي قتل بمرو في الفتح الإسلامي .

(١٨) «تاريخ الأمم والملوك» ج ١ ص ٤٧٩ .

عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر

ومما ذكره المؤرخ اليمني ابن جحاف مما يتعلق بأديبنا عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر أن الوفد الذي كان أحد رجاله والذي سبقت الإشارة إلى وصوله إلى بلاد كوكبان من اليمن في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ لما استقر في كوكبان كان عبدالله يسأل عن أعلامها ، فوصف له كلّ منهم ، وفقد من بينهم عبدالله بن عيسى ، فسأل عنه فقيل : إنه في (الأهجر) فاستغرب ذالك الاسم فكتب إليه :

---

(١٩) تأسست روما سنة ٧٥٣ ق.م وقامت فيها الدولة المدنية ، ولما قويت بدأت فتوحاتها فضمت إليها أقاليم ايطاليا ، وفي عام ١٤٦ ق.م احتلت مقدونيا واليونان ثم آسيا الصغرى وسوريا وافريقيا الشمالية وحولتها إلى أقاليم رومانية وصارت امبراطورية ، وفي عام ٣٩٥ م انقسمت إلى قسمين غربي وعاصمته روما ، وشرقي وعاصمته بيزنطة (القسطنطينية) . وتوالت هجمات البربر على روما فسقطت عام ٤٧٦ م . أما الامبراطورية البيزنطية فقد استمرت حتى الاحتلال العثماني عام ١٤٥٣ م .

(٢٠) أعتقد أن المقصود به بلدة الكوكب إحدى ضواحي القطيف .

(٢١) «المفصل» ج ٢ ص ٥٥١ .

(٢٢) «تاريخ الأمم والملوك» ج ١ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٢ .

(٢٣) ورد في تاريخ الطبري (واسمها هيج) ، وفي «المفصل» ودارين واسمها (هيج) وهذا تحريف من النساخ لجهلهم أن في بلاد البحرين بلدة تسمى سماهيج بجزيرة البحرين وكانت في ذالك العهد ذات أهمية ومن مراكز التبشير بالمسيحية .

(٢٤) «المفصل» ج ٢ ص ٦٣٩ .

(٢٥) ابن الأثير ج ١ ص ٤٦٨ .

(٢٦) تأسست مملكة الحيرة عقب انهيار الدولة البرثية وقيام ملوك الطوائف ، وكانت الأوضاع في العراق مشجعة لهجرة بعض قبائل المنطقة من حلف تنوخ إليها ، لاسيما بعد استفحال سيطرة بني عبدالقيس ومزاحمتهم لهم في بلاد البحرين ، فكان أن نزحوا إلى الحيرة والأنبار ، واستغلوا الفرصة في الصراع القائم بين الأردوانيين (ملوك الطوائف) وبين الأرمانيين (الأهالي)، فأسسوا مملكة الحيرة ، التي تعاقب على حكمها من الدولة التنوخية ثلاثة ، وهم مالك بن فهم وأخوه عمرو بن فهم ,زعيما قضاعة وجذيمة الأبرش زعيم الأزد ، وهم زعماء تنوخ ، ثم ورث العرش بنو لخم وكان أولهم عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة ، فسميت الدولة اللخمية (٢٦٨ ـ ٦٣٢ م) .

(٢٧) حكم من ٥٥٤ م إلى ٥٧٠ م .

جَرَى ذِكْرُ هَجْرٍ في خُروقِ المسامع سُحَيْراً ففاضتْ مقلتي بالمدامع
وقُلْتُ عَسَى طيفٌ يُلِمّ بذكرها يُقَرِّبُ لي منها إِذَنْ كلُّ شاسع
إذا مَرَّ ذكراها تذكَّرتُ جيرتي وإخوانَ وُدٍّ في جميع المواضع
لئنْ هَجَرْتَني حين أنْ كنت غائباً خيالي إذاً يغزُوهم في المضاجع
ويُدْنِيهم مِنِّي وإنْ كُنْت نائيا ثنائي عليهم بابتذال المطامع
كأنِّي بهم يوما إذا ماتَنَادَمُوا على كأس نَبْت اَلْبُنِّ وَسْطَ المجامع
حديثُهم فِينا إلى وَقْتِ بَيْنِهِمْ يعدونه فيهم عظيم المنافع
فَلّلهِ ما أَحْلاَ وأَهْنَا حديثهم وإنْ وقَعُوا مِنِي على كل باقع
هو الفخر إن فاخرتَ يوماً منازِعاً ففاخِرْ به إن شئت كُلَّ منازع
رأيتُ النَّدَى والفخر يشدُو بذكره أنا عَبْدُ عبدِ الله معطي ومانعي
فقلت: شراءً قال : لابَلْ وِرَاثَةً وحاشاي أن آتيه من كفِّ بائع
فأنسانيَ اللائي أُبَاهِي بذكرهم وكانوا كأن لم يجلسوا في الشوارع

ولما استقر هنالك رغب في أدبه أهلُ كوكبان ، ودعوه من مكان إلى مكان ، وطارحوه مع عبدالعزيز غرر المسائل ، وأوقفه عبدالله بن عيسى عالم المحل على مؤلف للقاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني ، انتصر فيه لما صنفه القاضي يحيى بن صالح السحولي رحمه الله ، في منع المسلمين من التقاط الأذى ، لِوَقِيد الحمامات ، فإن القاضي الصدر يحيى بن صالح ألزم اليهود التقاط الأزبال والأذى ، ومنع المسلمين ذالك ميلاً إلى شرف الإسلام ، وصيانة عن التلوث بما دونه في الخباثة كالمتلبس بالأزلام ، فلما وقف عبدالله بن مبارك على ذالك المؤلف ، قال معترضاً لمباحث في تلك الرسالة وقد نقلت ماقاله ابن المبارك لحضوره عندي ، ولم أنقل كلام القاضي لعدم اطلاعي عليه حال الكتب ، فقال وقد رأى القاضي استدل بآية : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ فاستدل القاضي بأن قوله : ﴿وهم صاغرون﴾ يقتضي إنزال الصغار بهم .

فقال ابن المبارك مالفظه : أخرج الآية من حيز التفسير إلى حيز التعسير ، فإن الله سبحانه وتعالى بعث نبيه فأمره بقتلهم أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فقوله : ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ أي قاتلوهم واقتلوهم إلى أن يعطوا الجزية ، فإذا اطمأنت نفوسهم على أدائها إليكم في وقتها المضروب ، فكفوا عنهم ، ولا تقاتلوهم ولا تقتلوهم ، ولا تعرضوا لشيء من خفر ذمة الله .

ثم قال : وقول القاضي وهم صاغرون يحتمل وجهين : أحدهما: أن تكون الواو للحال ، فيكون تقدير الكلام إلا أن يعطوا الجزية في حال صغارهم ، وذالك بأن توطأ عنقه وتعلوه يد المسلم وما سوى هذه الهيئة من الهيئات لايلتفت إليه ، لأن الحال قيد في عاملها ، وجملة (وهم صاغرون) حال من الضمير ، أي (الواو) في (يعطوا) أو يكون للاستئناف ، فينقطع الكلام عند قوله (عن يد) لأن قوله (عن يد) يتضمن معنى (وهم صاغرون) فمعنى (عن يد) عن قهر وإذلال ، ويكون (وهم صاغرون) جملة خبرية لفظاً ، إنشائية معنى ، أي : فاستصغروهم أو يكون قوله (عن يد) متقدم على (وهم صاغرون) والتقدير حتى يعطوا الجزية وهم صاغرون عن يد أي أمر من الله لرسوله وعباده المؤمنين ، واليد الأمر تقول : لا أفعل حتى تأتيني يد منك ، ودَعْوَى أن الجملة الاسمية تفيد الدوام والاستمرار مسلّم ، لكن إذا تقدمها واو الحال صرفها عن ذالك ، لأن الحال تكون لازمة كقولهم : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها ، وتارة تكون متجددة كجاء زيد ضاحكاً أي وهو يضحك فلا يكون الصغار لازماً لهم ، بل يحدث وقت أخذ الجزية منهم ، ولا يلزمهم فيما عداه ، فمهما وُجِدَ الاعطاء وجد الصغار ، وحيثما عُدم انعدم ، وأيضاً الصغار صفة ، فتوجد بوجود سببها وتنعدم بانعدامه أو سبب تنوجد بانوجاد مسببه وتنعدم بانعدامه ، أو علة تَنْوجِدُ بانوجاد معلولها ، أو أن الصغار علة والإعطاء حُكْم والعلة تدور مع الحكم وجوداً وعدماً ، اللهم إلا أن يقال : إنهم قابلون لذالك ، مظنة له وإن لم يلزمه إياهم على الدوام ، هذا إذا مشينا على أن الجملة حاليّة ، واما إن قلنا أنها للاستئناف كما أسلفناه أو أنها خبرية

لفظاً انشائية معنى ، سلمنا ماقيل: من أنها تفيد الدوام والاستمرار ، لكن تسليماً لايصل إلى ماأراده المدعي من إلزامهم بالتقاط الأزبال ، لأنهم غير مكلفين بذالك ، ولا يُدَان الله تعالى به ولا نتعدى حكم الله فيهم ، وحمل الآية عليه تكلف وتعسف واخراج للنظم الكريم عن معناه الحقيقي ، بل والمجازي ولا يقدح في ذالك أن خصوص السبب لاينافي عموم الحكم لأنا نسلم ذالك ، ونقول : إن الآية نزلت في من كان في عهده وزمانه وماقصرناها عليهم ، بل اتبعناها خَلَفَهُم إلى يوم القيامة ، وحكمناها فيهم ودعوى انه يلزم من لفظ الصغار اجراؤه على جميع مسمياته باطل ، لأن ضربهم بلا سبب من الصغار وحبسهم بلا سبب كذالك ، ونهب أموالهم كذالك ، ولا قائل به ، فكيف يقال : إن إلزامهم بالتقاط الأزبال من الصغار المذكور .

ودعوى انا إذا لم نلزمهم بذالك احتجنا إلى غيرهم من المسلمين ، وهو محرم عليهم ولا يجوز إلحاق هذا العار بهم غير مسلّم ايضاً ، لأنه غير محرم على المسلمين مع الحاجة لأنه لا يحرم على المسلم ، إلا إذا تلطخ بالنجاسة من غير ضرورة ، وأما مع الحاجة فلا ، وقد كان كثير من العلماء والزهاد يخرجون كُنُفهم بانفسهم ويجب التحرز ما استطاع .

وأما آية ضرب الذلة فيقال : دعوى انه يلزم من ضرب الذلة عليهم الزامهم بالتقاط الأزبال محض احتيال أو استرسال مع أدنى طيف من خيال ، وتلميحُه بأن هذا من الأسباب التي لم يمنع الشارع منها دعوى واهية ، إذ المنع تواتر وتظاهر عن الله تعالى وعن رسوله ، وذالك بأن لانتعدى حكم الله فيهم ، ولا نتجاوز ولا نبتدع ، ولا نخترع ، فليت شعري هل منعه يساوي هذا المنع ، أو يقاومه فبقي على المدعي الاتيان بدليل يتضمن منطوقا أو مفهوما اجبارهم على ذالك .

ودعوى أن اجْبارهم على ذالك من أبلغ أنواع الذل والصغار مسلّم ، لكن الأمر في مثل ذالك متوقف على نص الشارع .

الثانية قوله تعالى : ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ قال: المراد منها خزي كثير أو عظيم ، لأن اللفظ لا يتبع حتى يساعده المعنى ، ودلالة المعنى أقوى من دلالة اللفظ ، والمراد بالتنكير هنا التهويل والتعظيم ، لا التكثير ولا المجموع ، ولا خزي أعظم وأشنع مما ألزمه الله تعالى رقابهم من ضرب الجزية أو القتل والسلب . انتهى .

وقد رد عليه البدر الشوكاني رداً لم يظهر ولعلها ذهبت به أيدي الضياع هذا مجمل ماذكره المؤرخ ابن جحاف في كتابه «درر نحور الحور العين» . وفي مكان آخر من هذه المجلة بحث يتعلق بالوفد الذي بعثه الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢٢ إلى صنعاء وماذا كانت نتيجة تلك الوفادة .

والواقع أن منزلة ابن بشير الأدبية ليست فيما سبق عرضه من نماذج شعره أو نثره ، وإنما تتضح بالنسبة لأدباء عصره الذين لايجد الباحث له ذكراً بينهم ، وهذا مادعى إلى إيراد جميع ماورد في الكتب اليمنية عنه .

وتظهر منزلته في العلم بالنسبة لعلماء عصره مما يتضح من مناقشته لرسالة الشوكاني الذي يعتبر في ذالك العصر عالم اليمن ومجتهده بل من أبرز علماء عصره .

ولَمْ يقفِ النِّقَاشُ في هذه المسألة عند حد الشوكاني وابن بشير ، بل شاركهما علماء آخرون كما يتضح من مجموع رسائل تدور كُلُّهَا حول هذه المسألة وهي :

١ — « حل الإشكال ، في إجْبار اليهود على التقاط الأَزبال » لشيخ الإسلام الشوكاني .

٢ — « إرسال المقال على إزالة حل الإشكال » للسيد عبدالله بن عيسى بن محمد .

٣ — « تفويق النِّبال ، إلى إرسال المقال » ردا لشيخ الإسلام الشوكاني .

٤ — « توضيح وجوه الاختلال ، في إزالة الإشكال » للسيد الفقيه علي بن

عبدالله بن الجلال .

٥ ــ « تحقيق المقال ، وقطع الجدال ، على حل الإشكال ، وإرسال المقال » لعبدالله بن بُشَيِّر المالكي .

٦ ــ « الاعلال لتحقيق المقال » لشيخ الاسلام الشوكاني ردًا على ابن بُشَيِّر .

والطريف في هذا النقاش أنه تبارى فيه عدد من العلماء اليمنيين وشارك فيه صاحبنا ابن بُشَيِّر بما أورد المؤرخ اليمني ملخصه من رسالة لاتزال مخطوطة ، وأصلها في مكتبة القاضي حسين السياغي في صنعاء ، ومنها نسخة مصورة في دار الكتب المصرية ضمن المخطوطات اليمنية المصورة ، وتقع رسالة ابن بُشَيِّر في خمس عشرة صفحة تقدم ذكر عنوانها ، وأولها بعد البسملة : حمدا لمن جعل الذلة والصغار على من خالف أمر نبيه المختار ، ورفع شأن أمته على جميع الأمم ، وبشرهم بالثناء والرفعة على جميع من تقدم ، وصلاة وسلاما من الله تتصل بذلك المعنى اللطيف ، والشبح الشريف ، وآله المصطَفَيْنَ الأخيار ، وصحابته المختبتين الأبرار ، وبعد فيقول العبد الحقير الذليل المنكسر خاطره لعظم مايقال من الهويل ، والمتضاءل لملكوت خلاقه القدير عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر : فإني لما نظرت رسالة إنسان عين هذا الزمان وواسطة عقد هذا المكان . . . . محمد بن علي الشوكاني ، الموسومة بـ « حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزبال » . . . ــ ثم كلمات غير واضحة لسوء التصوير ــ وآخرها : هذا مالا يكون ، ولا يقول به عاقل ولا مجنون ، ومتى يكون منه دليل على جواز اجبار اليهود على التقاط زبالاتكم وكناسة مطاهركم ، هذا بناءً على جُرُفٍ هَارٍ ، واستهزاء ، واستهتار ، ولو وجد الصانع آلة لأجاد فيكم نسجه ، وأعماله ، ولكن جهد مقل وإملاء مستقل ، سمحت به القريحة ، محض إرشاد ونصيحة ، فلا يظن غير ذلك ، ولا يحمل على غيره من المسالك ، ثم لنكف عنان القلم عن تخطيه ، وعن إشالة ذنبه وتعاطيه ، والله يتولى إثابة الجميع فإنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، قال في الأصل : انتهى بقلم كاتبه الفقير عبدالله بن بشير يوم الخميس الحادي عشر من المبارك (؟) من السنة الموفية على المتين

بنو زيد : أسرهم ومنازلهم

[قام الاخوان الكريمان الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد والأستاذ أحمد بن محمد اليحيا بمحاولة وضع معجم يضم أسر بني زيد .

وقد افضلا مشكورين ببعث جزء مما جمعا ، يسر مجلة «العرب» أن تقدمه لقرائها في هذا الجزء . ومن الممكن الاتصال للاستزادة أو الافادة بالأخ أحمد بن محمد اليحيا بالكتابة إليه وعنوانه (الرياض ص.ب: ٥٢٥٣٢)] .

والأثنين والعشرين والألف . ثم نقل النسخة من خط القاضي علي بن علي اليماني والناقل هو محمد بن حسين بن أحمد السياغي في سلخ جمادي الأخرة سنة ١٣٦١ .

وابن بشير في رسالته هذه أشار إلى شيخه ابن غنام بقوله : وقد سمعت من شيخي الشيخ حسين بن غنام فسح الله في بقائه يقول : إن الشيخ عبدالله المنوفي شيخ الشيخ خليل بن إسحاق خرج يوما من داره فوجد الشيخ خليل في منفذ كنيفه يخرج زبالته ، فقال له : ماحملك على ذلك ؟ فقال : كرهت ان نحتاج إلى أحد ، وأنا أولى به ، فشكره على ذلك . قال : لو كان محرما لما أجازه الشيخ عبدالله المنوفي مع جلالة قدره ، وعلو مرتبته ومحله من العلوم العقلية والنقلية .

ويلي هذه الرسالة رسالة للقاضي محمد بن علي الشوكاني عنوانها « الاعلال لتحقيق المقال » وهي في الرد على رسالة ابن بُشَيْر .

وبصرف النظر عن موضوع تلك الرسائل فإن القارىء يجد في دراستها متعة ، إذ تتضح له جوانب مما كان يدور بين علماء ذلك العصر من النقاش ، وما كانوا يسيرون عليه في معالجة بعض القضايا الفكرية مما يوضح أساليبهم وجوانب مما يتصفون به من العلم في مختلف الفنون .

حمد الجاسر

الأصَيْقِـــع :

في نُخَيْلان ،

من آل حمد ، من آل محمد من آل سليمان من عطيَّة ، من بني زيد .

بنو الاميــر :

في شقراء وجُلاجل في سُدَيْر،

وهم بنو الأمير عبدالله بن حمد بن محمد بن سلطان بن حمد بن غيهب ، من آل غيهب من آل بلدي من عطوي من بني زيد .

البِـــدَاح :

في القويعية :

من آل صعب .

من آل عبدالله من آل علي من عطية .

من بني زيد .

البُدَيْـوِي :

ـ بالتصغير ـ

في القويعية .

من آل بديوي .

من الضّعْفان .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

البُرَيْثِــن :

في شقراء .

من آل حُرْقوص .

من آل فَيَّاض .
من عطوي من بني زيد .

البشــــر :

في جلاجل والأسياح وبُريدَة .

منهم الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بِشْر المتوفى سنة ١٢٩٠هـ صاحب كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجْد» .

ومنهم الشيخ عثمان بن أحمد بن عثمان بن بشر عاش بين عامي (١٢٩٤هـ ــ ١٣٦٧هـ) .

من آل حرقوص .
من آل فَيَّاض
من عطوي من بني زيد .

البكور : (آل بكر) او (أبُو بكر) :

في شقراء والدوادمي .
بنو بكر بن عثمان بن يحيى بن غَيْهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل بَلَــدِي :

هم أبناء بلدي بن عطوي من بني زيد . وبلدي هذا جَدُّ بَطْنٍ كبير من بطون قبيلة بني زيد .

البُلَيْهِــي :

في القويعية .

من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

البوارِيــــد :

ـ واحدهم (بواردي) ـ
من شقراء وهم أمراؤها .
من آل حرقوص .
من آل فيّاض .
من عطوي من بني زيد .

الثُّوَيْجِــر :

ـ بالتصغير ـ
في القويعية .
من آل جدلان .
من الضُّعْفَان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الثَّاقــب (آل ثاقب) :

في شقراء .
من آل سَدْحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الثُّنَيَّــان :

في شقراء .

من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الجِبْـرِيْن (آل جبرين) :

في القويعية .
من آل رَشِيـد .
من عطية من بني زيد منهم العلامة الفقيه والمفتي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين ــ معاصر ــ

الجبيريني :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الجدلان (آل جَدْلان) :

في القويعية .
من الضمعان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الجُـرَيْس :

في الدوادمي .
من آل سويد .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ألجَــلاّل :

في شقراء .
من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الجَمّاز :

في شقراء .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

الجُمَيْــح :

في شقراء .
من آل يحيى
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ألجُهَيِّــم :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد

الحامــد :

في القويعية .
من آل مسلم .

من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

ألحُبَيِّسب :

ـ بالتصغير ـ
في شقراء .
من آل مَنيع .
من آل حُرْقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحُدَيْثي : (الحداثا)

ـ بضم الحاء المهملة وفتح الدال ـ
في البكيرية .
من آل رشيد .
من عطية من بني زيد .

آل حُرْقُوص :

هم أبناء حرقوص بن فياض بن عطوي من بني زيد وحرقوص هذا جدٌّ فخذٍ من أفخاذ قبيلة بني زيد .

الحرقـوص :

في شقراء .
من آل مَنيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

الحُرَيْشَــان :

في شقراء والدوادمي .

من آل صالح .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

الحسـانـا :

واحدهم حُسَيْني .

في حُمْرُور والدوادمي وشقراء .

من آل سلمان .

من عطية من بني زيد .

الحسـن :

في شقراء .

من آل مسلم .

من الضعفان .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

آل ابن حسن :

في شقراء .

من الحداثا ..

من آل رشيد .

من عطية من بني زيد .

الحُسَيْـن :

في شقراء .

من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

الحُضَيْبِي :

ــ بالتصغير ــ
في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ال حمَّاد :

في شقراء وعُنيزة والأحساء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحَمَاد :

واحدهم (حَميدي) .
في شقراء .
من آل حرقوص
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ال حَمَد :

هم ذرية حمد بن محمد بن سلمان بن عطية .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الحمد :

في القويعية .

من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الحُمَيِّـــد :

من آل سويد .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحِنْطِــي :

في شقراء وعُنيزة .
وهم أبناء ابراهيم بن عبدالله الأمير بن حمد بن سلطان بن حمد بن غيهب .
من الشهبان .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الحُنَيْـــف :

في المُزَاحِمِيَّة والقُويعية والدَّوادمي .
من آل زيد .
من آل حمد .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الحُوَيْضَـــان :

في القويعية .
من آل رشيد من عطية ، من بني زيد .

الخُزَيّمْ :

في الدوادمي .
من آل سويد .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الخَضِيْر :

ــ بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد ــ
في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الخُضَيْر :

ــ بضم الخاء المعجمة وفتح الضاد ــ
في القويعية .
من آل مسلم .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الخَمِيْس :

في العِطْيَان .
من آل مسلم .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الدَّحَــام :

في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الدرَاك (آل درَاك) :

ـ بالدال وفتح الراء مخففة ـ
في شقراء .
من آل منيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الدُّغَيِّـم :

من آل سويد
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الدُّوَيْهِــس :

في شقراء .
من آل منيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الراجحي (آل الراجحي ـ الرواجح) :

في البكيرية .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الرُّبَيِّـــع :

ـ بضم الراء وكسر الياء مشدَّدَتَيْنِ ـ
في شقراء .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

الرُّبِيعـة :

في شقراء وفي القويعية ونُخَيْلان ، والمزاحية والدِّمَام .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الرُّحمـــة :

في القويعية .
من الشلعان .
من آل بديوي .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل رَشِيـد :

ـ بفتح الراء وكسر الشين ـ

رشيد هو جد بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد وهو رَشِيد بن عطية من بني زيد .

الرُّقَيْــبُ :

ــ بضم الراء وفتح القاف ــ

في شقراء .

من آل علي ، من عطية من بني زيد .

آل زامــل :

من آل سويد .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

الرَّحَالَــا :

في الرياض .

من آل سلمان .

من عطية من بني زيد .

الزكــرِي :

في حوطة سُدَيْر .

من آل حرقوص .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

آل رُنَيْتَــان :

في رُويضة ألعِرْض .

من آل سلمان .

من عطية من بني زيد .

آل زيــد :

هم ذرية زيد بن حمد بن محمد بن سليمان بن عطية من بني زيد . وهم ثلاث أسر الزيد في الغاط والحنيف والربيعة في المزاحمية .

الزيــد (آل زيد) :

في الغاط .

هم ذرية محمد بن علي بن محمد بن سعد بن زيد بن حمد بن محمد بن سليمان بن عطية من بني زيد .

الزيــد (آل زيد) :

في شقراء .

من آل غَيهب من آل بلدي من عطوي من بني زيد .

آل (ابو زيد) :

في الدوادمي والمدينة .

من الغيهب من آل بلدي من عطوي .

من بني زيد منهم الشيخ بكر بن عبدالله .

أبو زيد (معاصر) .

السَّبْتِــي :

في شقراء .

من آل عبدالكريم من الغيهب ، من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

السُّبَيِّــلُ (آل سُبَيِّل) :

في البُكَيْرِيَّة .

من آل عثمان من آل غيهب من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

السَّحَالِيـن :

من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

السحيـــم :

في القويعية وفي رغبة .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

السُّحَيْمِـــي :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ال سدحـــان :

في شقراء .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

السعـــدان :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

السَّـلَامـــا :

ــ واحدهم سُلَيْمِي ــ

في شقراء .
من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل سلمـــان :

سلمان جد بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد وهو سلمان بن عطية من بني زيد .

آل سليمان :

سليمان : جَدٌّ بطن من بطون قبيلة بني زيد وهو سليمان بن عطية من بني زيد .

السليمـــان :

في الزُّلفي .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل سُوَيْـــد :

ـ بالتَّصغير ـ
في الدوادمي .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .
يقول فيهم ابن سُرَيِّع من سكان البرود في السر :

يـابـير ليتــك للوداعـين جــارَهْ وِالاَّ لقصـــر ســويِّد يَمّ (دَاوِرْدْ)

يقصد بقصر سُوَيِّد الدوادمي .

السويلـــم :

في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الشُرَيِّــفُ :

ـ بالتصغير ـ
في القويعية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشُرَيْــم :

في شقراء والسِّـر .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الشُعَيْفَــان :

في القويعية وفي الرين
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشعيــلان :

في الشعراء .
من آل صالح .

من آل فيّاض .
من عطوي من بني زيد .

الشُّقَيْــرُ :

في القويعية .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشُّقيــران :

في القويعية .
من الشقير .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشلعــان :

في القويعية والرين .
من آل بديوي .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشمَــالــي :

في البكيرية .

من الراجحي (الرواجح) .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الشنافـرة :

هم من ذرية ناصر بن حمد بن محمد بن سليمان بن عطية من بني زيد .

من آل سليمان .

من عطية من بني زيد .

الشهبـــان :

واحدهم ـ أشهب ـ
في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الشنهـــوَان :

في شقراء والسِّــر .
من آل جدلان .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل شُهَيِّـــب :

في شقراء .
من آل صالح .

من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

آل صالـــح :

صالح هو جد فخذ كبير من أفخاذ قبيلة بني زيد ، وهو صالح بن فياض بن عطوي من بني زيد .

الصالـــح :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الصُّبَيَّـــان :

واحدهم (صُبَيٌّ) بضم الصاد وفتح الباء الموحدة —
في شقراء .
هم ذرية إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الصُّبَاحَـــا :

في القُويعية .
من آل سلمان من عطية من بني زيد .

الصَّعَـــبُ :

في الشعراء .

من آل علي من عطية من بني زيد .

الصُقَيْـران :

في الدوادمي .

من آل سَوَيِّد من آل فياض من عطوي من بني زيد .

ال صُويلـــح :

في شقراء .

من آل صالح من آل فيَّاض من عطوي من بني زيد .

الضُبَاعِيْــن :

من آل سلمان .

من عطية من بني زيد .

الضُــرَّاب :

ـ بتشديد الضاد والراء ـ

في عنيزة .

من عطية من بني زيد .

الضعفــان :

هم ذرية محمد بن علي بن عطية من بني زيد ويلقب محمد المذكور بالضُعَيِّف ، ولهذا قيل لبنيه الضُعْفَان .

الضُوَيِّــان :

في القويعية .

من الضعفان .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

الطُّخَيْس :

في الدوادمي .
من آل رَشيد .
من عطية من بني زيد .

الطّوَال :

ــ واحدهم طَوِيل ــ
في شقراء .
من آل منيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الطواهر :

في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الطيّار :

في القويعية ومُحَيْرقة .
من الفوزان .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

ألعَبَادَا :

في شقراء .

من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ال عبــاس :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ال (ابو عباة) :

في شقراء .
من آل سلمان من عطية من بني زيد .

العبد الكريـم :

في شقراء .
هم أبناء عبدالكريم بن محمد بن عبدالله بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

العبدلــي :

في عُنَيْــزة :
من آل حماد .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

منهم الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن يحيى بن محمد بن عثمان بن حماد بن حمد العبدلي (١٣٠٦ ــ ١٣٣٦هـ) .

آل أبُو عُبَيْد :

في الشعراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العبَيْــد :

ــ بفتح الباء الموحدة وإسكان الياء المثناة من تحت ــ
في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ألعُبَيِّــد :

ــ بالتصغير ــ ويعرفون الآن باسم (النّمْران) ــ
في القويعية .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

العتانــا :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العثمان :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العثمان :

في شقراء والبكيرية .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

العثمان :

في القويعية .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

العثمان :

في القويعية .
في آل رشيد .
من عطية من بني زيد .

العَجَاجِي :

في الشعراء .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

العُصْفـــور :

في القويعية .

من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

آل عطـــوي :

هو بفتح العين والطاء وكسر الواو على وزن (بدوي) أبو بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد .

آل عَطيّـة :

عطية جد بطن كبير من بطون بني زيد .

آل علـــي :

علي هذا جد بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد وهو علي بن عطية من بني زيد .

العُمَيْـــرِي :

في القويعية .

من الضعفان .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

آل عَـــوْدان :

بفتح العين وإسكان الواو .

في شقراء .

هم من ذرية سليمان بن يحيا بن عبدالله بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .
منهم الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم بن علي بن سليمان .

العُوَيْـــس :

من آل ناصر .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

العُوَيْفِــي :

في رُويضة العرض .
من آل سعود .
من آل حمد .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

ألعُوَيْمــر :

ـ بالتّصغير ـ
في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ال عَيْبَــان :

في قصر يُنْسَبُ إليهم في الرين بمَنْطقة العرض .

من آل قميش .
من آل هويمل .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ألعِنَـــد :

في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العِيْســـى :

في شقراء .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

منهم مؤرخ نجْد الشيخ ابراهيم بن صالح بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن حمد بن عبدالله بن عيسى (١٢٧٠ ــ ١٣٤٣هـ) .

والشيخ أحمد بن ابراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى بن علي بن عطية (١٢٥٣ ــ ١٣٢٩هـ) له مؤلفات .

والشيخ علي بن عبدالله بن ابراهيم بن حمد المتقدم (١٢٤٩ ــ ١٣٣١هـ) .

والشيخ ناصر بن سعود بن عبدالعزيز بن ابراهيم بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى (ويلقب شويمي) (١٢٨٥ ــ ١٣٥٠هـ) .

الغزاغيـز :

في القويعية .

من آل بديوي .
من الضمغان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

ال غَيْهَب :

في شقراء .

من آل غيهب . وغَيْهَبُ جَدٌّ فخذ كبير من أفخاذ قبيلة بني زيد وهو غيهب بن بلدي بن عطوي من بني زيد .

من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

منهم الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن محمد بن عثمان بن حمد بن سلطان بن غيهب بن بلدي (١٢٣٨ ـ ١٣٢١هـ) .

الفِنْتُوخُ :

في القصب وروضة سدير ونِفِي والسِّرّ .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الفوزان :

في مُحَيْرِقة ، والقويعية .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

الفوزان :

هم ذرية فوزان بن عثمان بن عبدالله بن عيسى بن علي بن عطية .

من آل عيسى .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

الفيــاض :

في الدوادمي .

من آل صالح .

من آل فياض .

وفياض جد بطن كبير من البطون التي تفرعت عنها قبيلة بني زيد وهو فياض بن عطوي من بني زيد .

ألقرّانــا :

في شقراء والدوادمي .

من آل صالح .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

القميــش :

في قرية باسمهم في الرين بِمنطقة العِرْض .

من آل هُوَيْمل .

من آل حرقوص .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

القُنَيْبِــطُ :

في الوشم وعُنيزة .

وهم ذرية ابراهيم بن سلطان بن غيهب .
من الشهبان .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

القُوَيز (القُوَزة) :

في شقراء والدوادمي .
من آل صالح .
من آل فيّاض .
من عطوي من بني زيد .

اللُّهَيْــب :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الماضـــي :

في الخنقة والقُوَيْعية .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الماطِــر :

في شقراء .
من آل سدحان .

من آل بلدي

من عطية من بني زيد .

المُتْـــرِكُ :

في شقراء .

من آل غيهب .

من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

المُجَنيـــوِل :

في الدوادمي .

من آل صالح .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

المُحَـــارِبُ :

في القويعية .

من الضعفان .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

المُزعبـــة :

في رُوَيضة العرض .

من آل حمد .

من آل سلمان .

من عطية من بني زيد .

المسعـــد :

في الشعراء .

من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المسعود :

في الشعراء .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل مسلم :

ذرية مسلم بن محمد (الضُّعَيْف) بن علي بن عطية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

المُطَاوِعَة :

في القويعية .
من آل حمد .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

المطوع :

في القويعية ومُحَيْرِقَة .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

المُعَيْقِل :

في زُمَيْقَة من الخرج .

من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المقارِيَـــةُ :

ـ واحدهم مُقَـرّي ـ
في الدوادمي .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

المُقْــرِنْ :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المِنْدِيــل :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

المنصــور :

في الشعراء والدّوادمي وشقراء .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

المنقـــاش :

في القويعية .
من آل مسلم .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل مَنِيـــع :

في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد . منهم الشيخ عبدالله بن سليمان بن مَنِيع ــ (معاصر)

المُنِيفــي :

في شقراء وأُشيقر والزُّلْفِي .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المُهَنّــا :

في الدوادمي والقراين .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المهنـــا :

في شقراء .

وهم ذرية مهنا بن سلطان بن حمد بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل ناصــر :

ذرية ناصر بن حمد بن محمد بن سليمان بن عطية من بني زيد ويلقب بالشُنْفَرِي .

من آل حمد .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

آل ناصــر :

ذرية ناصر بن محمد (الضُعَيِّف) بن علي بن عطية من بني زيد .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الناصــر :

في الدرعية .
من الخميس .
من آل مسلم .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الناصــر :

في الشعراء .

من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الناصــــر :

في الدوادمي وشقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من بني زيد .

الْهَذلَــق :

في شقراء .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ألهَذيَـان :
ــ بفتح الهاء وإسكان الدال وياء مفتوحة ــ
في شقراء .
من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الهَمْــلاَن :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الهواجِــر :
ــ واحدهم هاجري ــ

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الهُوَيْمِــل :

في القُوَيْعية والرَّيْن .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

اليابـــس :

في القويعية .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

اليحيـــى :

في حوطة سدير .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

منهم والدي محمد بن عبدالرحمن اليحيى راوية معروف للشعر العامي ، النبطي وتاريخ وقائع نجد .

اليحيـــى :

في شقراء ثم في الأحساء . ←

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

- ٤٧ -

٢٣١ ـ باب : جُوخَا وجَوْخَاء[1]

أمَّا ٱلأوَّلُ : بِضَمِّ ٱلجيمِ وَبِالْقَصرِ ، ويُمَالُ أيضاً ـ : صُقْعٌ مِنْ سَوَادِ ٱلعِرَاقِ[2] يُنْسَبُ إِلَيْهِ أبو بَكْرٍ محمدُ بْنُ عَبْدِالله بْنِ إبْرَاهِيمَ ٱلجُوخَانِيُّ ، سَمِعَ أحْمَدَ ابنَ ٱلحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ ٱلجَبَّارِ ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ مَنْصُورٍ الشِّيْعِيَّ ، وأبَا بَكْرِ بنِ ٱلأنْبَارِيِّ ، وغَيْرَهُمْ[3] .

وأمَّا الثَّانِي : ـ بِالْمَدِّ وفَتْحِ ٱلجيمِ ـ : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي عِجْلٍ ، قُرْبَ زُبَالَةَ ، كَانَ يَسْلُكُهُ حَاجُّ وَاسِطَ[4] .

٢٣٢ ـ باب: جَيَّانَ ، وجَبَّانَ ، وجَنَّان ، وَجِنَانٍ ، وجَنَانٍ ، وَحِبَّانَ ،

من آل غيهب .

من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

اليحيـــى :

في القراين .

من آل صالح .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد

وحَنَّانٍ ، وخُبَّان ، وخُنَانٍ(٥)

أمَّا ٱلأوَّلُ : ــ بَعْدِ الجيمِ ٱلمَفْتوحَةِ يَاءٌ تحتَها نُقطتَانِ مُشدَّدَةٌ ، وآخِرهُ نُونٌ ــ : بَلَدٌ بِالأَنْدلُسِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ طَوْقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَبِيْبٍ ٱلجيَّانِيُّ ، أَنْدلُسِيٌّ رَحَلَ فِي طَلَبِ ٱلحَدِيْثِ ، وسَمِعَ وَحَدَّثَ ، ومَاتَ هُنَاكَ سَنَةَ خمسٍ وثَمانِيْنَ ومِئتَيْنِ(٦).

وأيضاً قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى أَصْبهَانَ ، ويُنْسَبُ إِلَيْهَا أَيْضاً ، قَالَهُ أَبُو مُوسَى ٱلحَافِظُ(٧).

وأمَّا الثَّانِي : بَعْدَ ٱلجِيْمِ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : مِنْ أَعْمَالِ ٱلأَهْوَازِ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ(٨).

وَأمَّا الثَّالِثُ : ــ بَعْدَ ٱلجِيْمِ نُوْنٌ ــ : حَفِيْرَةُ ٱلجَنَّانِ السّورَجِيِّ رَحَبَةٌ مِنْ رِحَابِ ٱلبَصْرَةِ(٩).

وأمَّا الرَّابِعُ : ــ بِكَسْرِ ٱلجِيْمِ وتخفِيْفِ النُّوْنِ ــ : بَابُ ٱلجِنَانِ مَوْضِعٌ بِالرَّقَّةِ ، رَقَّةِ الشَّام(١٠).

وأمَّا ٱلخَامِسُ : ــ بَعْدَ ٱلجَيْمِ ٱلمَفْتُوحَةِ نُوْنٌ مُخَفَّفَةٌ ــ : مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ(١١).

وَأمَّا السَّادِسُ : ــ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : سِكَّةُ حِبَّانَ مِنْ محَالِّ نَيْسَابُورَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ ٱلجَبَّارِ ٱلحِبَّانِيُّ(١٢).

وَأمَّا السَّابِعُ : ــ بَعْدَ ٱلحَاءِ ٱلمَفْتوحَةِ نُوْنٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : رَمْلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَٱلمَدِيْنَةِ ، قُرْبَ بَدْرٍ ، وَهُوَ كَثِيْبٌ عَظِيْمٌ كَالجَبَلِ ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ ــ فِي مَسِيْرِ النَّبِيِّ ﷺ إلى بَدْرٍ ــ : فَسَلَكَ عَلَى ثَنَايَا يُقَالُ لَهَا ٱلأَصَافِرِ ، ثُمَّ انحطَّ مِنْهَا عَلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهَا الدَّبَّة ، وتَرَكَ ٱلحَنَّانَ يمِيناً ، وَهُوَ كَثِيْبٌ عَظِيْمٌ كَالجَبَلِ ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيْباً مِنْ بَدْرٍ(١٣).

وَأمَّا الثَّامِنُ : ــ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ، بَعْدَهَا بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : قَرْيَةٌ بِٱلْيَمَنِ قُرْبَ نَجْرَانَ ، وَهِيَ قَرْيَةُ ٱلأَسْوَدِ ٱلكَذَّابِ(١٤).

وَأَمَّا التَّاسِعُ : ـ بَعْدَ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ الْمَضْمُومَةِ نُونٌ ـ : مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ جُرْزَانَ ، وهِيَ مِنْ فُتُوحِ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ(١٥).

الهوامش :

(١) في كتابِ نصرٍ ، في بابِ الجيم ، ولكنّهُ قدَّم الثّاني فقالَ : (بابُ جُوْخاء ، وجَوْخا) .

(٢) لَمْ يزِدْ نصرٌ في تعريفِ هذا على قوْلِهِ : وأمّا بالقصرِ والإمالةِ ـ : صُقْعٌ مِنْ سَوادِ العِرَاقِ ، وأيضاً: مِنَ الأماكِنِ النَّجديَّةِ انتهى . وقالَ ياقوتُ في «المعجم»: جُوخا ـ بالضمِّ والقصرِ ، وقدْ يُفتَحُ ـ : اسْمُ نَهرٍ عَلَيْهِ كُورةٌ واسِعَةٌ ، في سَوادِ بَغْدَادَ ، بالجانِبِ الشَّرْقيِّ منه، الرَّاذانان، وهُوَ بَيْنَ خانِقِينَ وخُوزِسْتانَ . قالُوا: ولَمْ يَكُنْ بِبَغْدَادَ مِثْلُ كُورَةِ جُوْخا ، وكَانَ خَرَاجُهَا ثَمانِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ حَتّى صُرِفَتْ دِجْلَةُ عَنْها فَخَرِبَتْ ، وأَصَابَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ طاعُونُ شِيرَوَيْهِ فأتَى عَلَيْهِمْ ، ولَمْ يَزَلِ السَّوَادُ وفارِسُ في إِدْبارٍ مُنْذُ كانَ طاعُونُ شِيرَوَيْهِ . وقال زِيادُ بْنُ خَلِيفَةَ الغَنَوِيُّ :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِبَيْداءَ لا تُؤْذِي عِيالِيَ بُقُوقُها
وَهَلْ تَأْخُذَنِّي لَيْلَةٌ ذاتُ لَذَّةٍ ... بُعَيْدَ الدَّهْرِ ذاكِ رَغِيفُنا وبَنُوقُها
مِنَ الرّاسِقاتِ الماءَ حَوْلَ غَضِيَّةٍ ... تَمُجُّ النَّدَى لَيْلَ التَّمامِ عُرُوقُها
هَبَطْنا بِلاداً ذاتَ حُمَّى وحَصْبَةٍ ... وَمُومٍ ، وإِخْوانٍ مُبِينٍ عُقُوقُها
سِوَى أَنَّ أَقْواماً مِنَ النّاسِ وَطَّشُوا ... بِأَشْياءَ لَمْ يَذْهَبْ ضَلالاً طَرِيقُها
وَقالُوا : عَلَيْكُمْ حَبَّ جُوخا وسُوقَها ... وَما أَنا؟ أَمْ ما حَبُّ جُوخا وسُوقُها

قال الفرّاءُ : وَطَّشَ له إذا هَيَّأَ لَهُ وَجْهَ الكَلامِ أَوِ العِلْمِ أَوِ الرَّأْيِ ، يُقالُ: وَطِّشْ لِيَ شيئاً حتّى أذكره ، أي افتح . انتهى كلام ياقوت وعن تغيير مجرى دِجْلَةَ انظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» ـ ٤٥ ـ وقَدْ سمّى البكريُّ في «معجم مااستعجم» الموضع جَوْخى وقالَ: بِفَتْحِ أوّلِهِ وإِسْكانِ ثانيه وبِالخاءِ المُعْجَمَةِ ، عَلَى وَزْنِ فَعْلى ، وَهُوَ ماسُقِيَ مِنْ نَهرِ جَوْخَى ، قالَ محمدُ بْنُ سَهْلٍ : لَمْ يَكُنْ بِالعِراقِ عِنْدَ الفُرْسِ كُورَةٌ تَعْدِلُ كُورةَ جَوْخَى ، كانَ خَراجُهَا ثَمانِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ، ثم اورد البيت : وقالُوا: عَلَيْكُمْ حَبَّ جَوْخَى ـ غير منسوب .

(٣) ابو بكرٍ محمدَ بْنَ عبدالله هذا الذي نَسَبَهُ الحازِميُّ إلى جُوخا ـ نَسَبَهُ ياقُوتُ الى جَوْخانَ بُلَيْدَةٍ من نواحي الأهْوازِ ، ونَسَبَهُ السَّمْعانيُّ في «الأنسابِ» ـ : ٣٨٦/٣ ـ إلى جُوْخانَ وقال : هذِهِ النِّسْبَةُ الى جُوْخانَ ، وهِيَ لُغَةُ أهْلِ البَصْرَةِ ، ويُقالُ للموضِعِ الذي يُجْمَعُ فيهِ التَّمْرُ إذا جُنِيَ مِنَ النَّخْلَةِ جُوخانُ ، وهِيَ كالكِنْسِ للحبُوبِ ، والمُنْتَسِبُ إليها أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدالله الى آخر ماذكر ، ولكِنَّ محقِّقَ الكتابِ الشيخ عبدالرحمن المُعَلِّميَّ ـ رحمه الله ـ علَّقَ على كلامِهِ بعد أنْ أوْرَدَ ماذَكَرَ حَمْزَةُ الأصْفهانيُّ في «تاريخ جُرْجان» ـ ٤٦٣ ـ أن جوجان مُجْتَمَعُ التَّمْرِ كالكِرْبِ للحُبُوب ، ولَمْ يذْكُرْ رَجُلاً يُنْسَبُ إلَيْهِ . وأوْرَدَ عن «الإكمال» ذِكْرَ جُوخا ، ونِسْبَةَ ابي بكر محمد بن عُبَيدالله إليها ، كما أورد مافي «معجم البلدان» ـ وخَتَمَ كَلامَهُ بقولِهِ : وَالّذي يَتَرَجَّحُ لي انَّ الجَوْخانَ الّذي ذَكَرَهُ حَمْزَةُ لَمْ يَتَحقَّقْ نِسْبَةُ أَحَدٍ إلَيْهِ ، وانَّ ابابكرٍ ـ محمد بْنَ عُبَيدالله ـ مَنْسُوبٌ إلى جُوخا ـ بالضَّمِّ والقصْرِ ـ وكانَ حَقُّ النِّسْبَةِ (جُوخاوِي) أوْ (جُوخِي) لكنَّهُمْ قَدْ يُعامِلُونَ المَقْصُورَ الأَعْجَمِيَّ مُعامَلَةَ المَمْدُودِ ، كما في (الجُبّائي) راجع «الإكمال» بتَعْليقِهِ ، فَعَلى هَذا أبو بَكْرٍ المذْكُورُ (جُوخائي) هذا الّذِي يَتَرَجَّحُ ـ ويَحْتَمِلُ غيرُهُ ـ أعْني بالنُّونِ مَعَ ضَمِّ الجيمِ أو فَتحِها . انتهى .

وأبوبكر مُحَمَّدُ ذكر مُتَرجِمُوهُ ــ كياقُوتٍ وقَبْله السَّمْعَانيّ في «الأنساب» أنه سَمِعَ أبابكر محمد بْن الحسن بن دُرَيْدٍ ، وأبَابكرٍ مُحَمَّدَ بنَ القاسم بْنِ بَشَّارٍ الأنْبَاريَّ ، وذكر ياقوتُ أن السِّلَفِيَّ سَمِعَ مِنْهُ ، وقال عنه في «مُعْجَم السَّفَرِ»: سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فقال: سنة ٤٣٣ في المحرم .

(٤) في مخطوطة (ب): كَانَ بِمَنْزِلَةِ حَاجِّ وَاسِطَ . وقال نَصْرٌ : أمَّا المَمْدُودِ : مَوْضِعٌ بَيْنَ عَيْنِ صَيْدٍ وزُبَالَةَ ، مِنْ دِيَارِ عِجْلٍ ، كَانَ قَدِيمًا طَرِيقًا لِلْحَاجِّ مِنْ وَاسِطَ . انتهى ولَمَّا أوْضَحَ يَاقُوتُ المَعْنَى اللُّغَوِيَّ لِلْجَوْخَاءِ واشْتِقَاقَ الاسْمِ من الانْهِيَارِ قال: وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالبَادِيَةِ بَيْنَ عَيْنِ صَيْدٍ وزُبَالَةَ ، في دِيَارِ بني عِجْلٍ ، كَانَ يَسْلُكُهُ حَاجُّ وَاسِطَ ، وقَدْ قَصَرَهُ أبُو قُصَاقِصَ لاحِقُ النَّصْرِيُّ الأسَدِيُّ فقال :

قِفَا تَعْرِفَا الدَّارَ الَّتِي قَدْ تَأبَّدَتْ   بِحَيْثُ الْتَقَتْ غُلَّانُ جَوْخَا وتَسْطَعُ

وعَيْنُ صَيْدٍ بَلْدَةٌ لاتزالُ مَعْرُوفَةً في سَوَادِ العِرَاقِ ، وزُبَالَةُ كَانَتْ مِنْ أشْهَرِ مَنَازِلِ حَاجِّ الكُوفَةِ ، ولا تَزَالُ معروفةً داخِلَ حُدُودِ المَمْلَكَةِ المُوالِيَةِ لِلْعِرَاقِ ، لاتَزَالُ أطْلالُ قُصُورِهَا ، وكَثِيرٌ من آثارِهَا بَاقِيَةً وفي (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» تَحْدِيدٌ لِمَوْقِعِهَا . على أنه يُفْهَمُ من اسْتِعْرَاضِ (الويس موزل) لوصف طَرِيقِ وَاسِطٍ إلى الثَّعْلَبِيَّةِ في كتاب «جهان نما» أنَّ جَوْخَا لاتزال معروفة ــ انظر مجلة «العرب»: س: ٧ ص: ٢٠٥ ــ

(٥) في كتاب نصرٍ في (حَرْفِ الخاءِ): بَابُ خَبَّان ، وخُبَانَ ، وخُنَانَ ، وخُنَانٍ ، وجُنَّانَ ، وجِبَّانَ ، وجَنَّان ، وجِنَانٍ ، وجُبَار ، وجِيَار ، وجُبَار ، وخُبَار .

(٦) قال في «مُعْجَم البلدان»: جَيَّانُ مَدِينَةٌ لَهَا كُورَةٌ وَاسِعَةٌ بِالأنْدَلُسِ ، تَتَّصِلُ بِكُورَةِ البِيرَةِ ، مَائِلَةٌ عَنِ البِيرَةِ إلَى نَاحِيَةِ الجَوْفِ في شَرْقِيِّ قُرْطُبَةَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُرْطُبَةَ سَبْعَةَ عَشَرَ فَرْسَخاً ، وهِيَ كُورَةٌ كَبِيرَةٌ تَجْمَعُ قُرى كَثِيرةً وبُلْدَاناً ، وكُورَتُهَا مُتَّصِلَةٌ بِكُورَةِ تُدْمِيرَ وكُورَةِ طُلَيْطِلَةَ ثُمَّ ذكر بَعْضَ المَنْسُوبِينَ إلَيْهَا ، ولَمْ يَذْكُرْ طوْقَ ابْنَ عَمْرٍو ، وفي «الرَّوْضِ المِعْطَارِ» ــ ١٨٣ ــ وَصْفٌ مُفَصَّلٌ لِجَيَّانَ ، وذكر (بروفنسال) في «صفة جزيرة الأندلس»: ٨٨ ــ: أنَّهَا تُعْرَفُ الآنَ بِـ (JEAN) .
وذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ طَوْقاً ، وقَالَ: إنَّهُ تَغْلِبِيٌّ نَقْلاً عن ابْنِ يُونُسَ ، وسَمَّى أباه عَمْراً ــ طَوْق بن عَمْرو بن شَبِيب .

(٧) ذَكَرَ يَاقُوتُ جَيَّانَ الَّتِي مِنْ قُرَى أَصْبَهَانَ ، نَقْلاً عما حدَّثَهُ به مِنْ وَصْفِها الحَافِظُ ابنُ النَّجَّارِ ، وذَكَرَ مِنَ المَنْسُوبِينَ إلَيْهَا طَلْحَةَ بْنَ الأعْلَمِ الحَنَفِيِّ الجَيَّانِي ، رَوَى عَنِ الشَّعْبِيِّ ، وروَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ ، ولكِنَّ السَّمْعَانِيَّ عَدَّ طلحة هذا مِنْ جَيَّانَ مِنْ قُرَى الرَّيِّ لاقُرَى أصْبَهَانَ ، وفَصَّلَ ترجَمَتَهُ ، ولَعَلَّ السَّمْعَانِيَّ أعْرَفُ بِتِلْكَ البِلادِ ، إذْ هُوَ مِنْ أهْلِهَا ، وكَذَا أبُو مُوسَى المَدِينِيُّ الحَافِظُ شَيْخُ الحَازِمِيِّ ، وهو مُحمَّدُ بْنُ عُمَر ابنِ أحْمَدَ بن عُمَرَ الأصْبَهَانِيُّ (٥٠١/٥٨١هـ) والمَدِينِيُّ نِسْبَةً إلَى مَدِينَةِ أصْبَهَانَ ، وانظر ترجمته في كتاب «سِيَرِ أعلام النبلاء» ج ٢١ ص ١٥٢ ومابعدها وفي «الأعلام» للزركلي ــ

(٨) جِبَّانُ : قالَ نصرٌ ـ بِكَسْرِ الجِيمِ وتَشْدِيدِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ ــ : نَاحِيَةٌ مِنْ أعْمَالِ الأهْوَازِ ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ . ونَقَلَ هذا يَاقُوتُ في «المعجم» بِنَصِّهِ مَنْسُوباً إلى نصرٍ ولَمْ يَزِدْ .

(٩) جُفْرَةُ الجنانِ : لم يَزِدْ نصرٌ عَلَى قَوْلِهِ : وبِفَتْحِ الجِيمِ ونُونَيْنِ ــ : جُفْرَةُ الجُنَّانِ السُّورجي رحبةٌ من رِحَابِ البَصْرَةِ ، في الجانِبِ الرِّبْعِيِّ مِنْها ــ فِيمَا أظُنُّ ــ وأغْرَبَ ياقُوتُ في قولِهِ ــ في رسم جِنَان بالكَسْرِ جَمْعَ جَنَّة ــ : وَبابُ الجِنَانِ السورجيِّ : رحبةٌ مِنْ رِحَابِ البَصْرَةِ ، في جانِبِ بني رَبِيعَةَ في ظَنِّ نَصْرٍ ، فهو سَمَّى الموضِعَ باباً ، لاجُفْرَةً ولا حَفِيرةً ، ووَرَدَ الاسْمُ في مَخْطُوطَةِ الحازمي (الجَنَّان) وعلى الجيم فَتْحَةٌ والنون مُشَدَّدَةٌ ، وكذا في مخطوطةِ كتاب نَصْرٍ .

(١٠) ٱلجنَان: قال نصرٌ: ــ بِكسْرِ ٱلجيمِ وتخفيفِ النُّون: ــ بَابُ ٱلجِنَانِ مَوْضِعٌ بالرَّقَّةِ. ومافي «مُعْجَم البُلدان» هُوَ نَصُّ مَافي كِتابِ ٱلحَازمِيِّ بِدُوْنِ زِيَادَةٍ، ولايَنْسِبُهُ لِقائِلٍ.

(١١) ٱلجنَانُ: عِنْدَ نصرٍ ــ بِفَتحِ ٱلجِيمِ ونُونٍ خفيفَةٍ ــ: جَبَلٌ أَوْ وَادٍ نَجْدِيٌّ. وَزَادَ يَاقُوتُ: قَالَ ٱبْنُ مُقْبِلٍ:

أَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ لِبَانٌ بِبَيْضِ نَعَامَةٍ ... حَوَاهَا بِذِي ٱللُّصْبَيْنِ فَوْقَ جَنَانِ

لَبَانُ: اسْمُ رَجُلٍ. وَكَانَ جَنَانُ مَنْزِلاً مِنْ مَنَازِلِ ٱلحُضْرِ مِنْ مُحَارِبٍ، وَكَانَ بِهِ كَأْسُ صاحِبَةُ صَخْرِ بْنِ ٱلجَعْدِ ٱلحُضْرِيُّ، وَكَانَتِ ارْتَحَلَتْ عَنْهُ فِي قَوْمِهَا إِلَى الشَّامِ، فَمَرَّ بِهِ صَخْرٌ فَبَكَى بُكاءً مُراً، ثم أنشأ يَقُولُ:

بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الرِّدَاءُ وَلَا أَرَى ... جَنَانَاً وَلَا أَكْنَافَ ذُرْوَةَ تَخْلُقُ

أَلَوِيٌّ حَيَازِيمِي بِهِنَّ صَبَابَةً ... كَمَا يَتَلَوَّى ٱلحَيَّةُ ٱلمُتَشَرِّقُ

وَلَمْ أَرَى تَحْدِيداً لِمَوْقِعِ جَنَانٍ هذا، وبِلادُ مُحَارِبٍ كانَتْ تَقَعُ في عَالِيَةِ نَجْدٍ، غَرْبَ وادي ٱلجَرِيب (ٱلجرير الآن) ومنها ذُو طَلَالٍ وذُو حِسَاءٍ (الحِسْوُ) وقَدْ حدَّدَها صاحِبُ كتاب «بلاد العرب».

(١٢) لَمْ يذكُرْهُ نصرٌ، ولَمْ يَزِدْ ياقوتُ في «معجم البُلْدان» عَلَى مافي كتَابِ ٱلحازمي إلّا في اشْتِقَاقِ كَلِمَةِ جِبَّانَ حَيْثُ قَالَ: كأَنَّهُ تَثْنِيَةُ جِبٍّ، وهُوَ ٱلحَيْبُ، والجبُّ ٱلقُرْطُ مِنْ حَبَّةٍ واحِدَةٍ، وَسِكَّةُ جِبَّانَ ــ الخ ــ وَلَمْ يَزِدِ السَّمْعَانِيُّ في «الأنساب» ــ ٤/٤٠ ــ على ذكر محمدِ بْنِ جَعْفَرٍ كَمَا سَاقَ الحازِمِيُّ إلّا بِقَوْلِهِ: قَالَ أَبُو الفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ المَقْدِسِيُّ: هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى سِكَّةِ جِبَّانَ، أَظُنُّهُ نَيْسَابُورِياً. وَكَذَا في كتاب محمد بْنِ طَاهِرٍ «الأَنْسَابُ المُتَّفِقَة» ــ ٣٦ ــ

(١٣) ٱلحَنَان: قَالَ نصرٌ: وَبِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ ــ مَفْتُوحَةٍ وَنُونَيْنِ ــ: رَمْلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَٱلمدِينَةِ ــ ثُمَّ نَصُّ مَاوَرَدَ فِي كِتَابِ ٱلحَازِمِيِّ إِلَى مِنْ بَدْرٍ، وأَضَافَ نَصرٌ: كَذَا يَقُولُهُ أَصْحَابُ ٱلحَدِيثِ: (الدُّبَّة) وعِنْدِي أنها (الدُّبَّةُ) لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُجْتَمَعُ الرَّمْلِ، وَقَدْ جاءَ دُبَابٌ ودَبَّابٌ في أَسْمَاءِ مَوَاضِعَ، ومَوْضِعٌ آخَرُ، ذَكَرَهُ أَبو عَمْرٍو. انتهى كلام نصرٍ. وفي «معجم البلدان»: ٱلحَنَانُ: بالفتح والتخفيف، وٱلحَنَانُ في اللغة الرحمة، قال الزَّمَخْشَرِيُّ: الحَنَانُ كَثِيبٌ كَبِيرٌ كَٱلجَبَلِ، وقال نصرٌ: ٱلحَنَّانُ ــ بتشديدِ النُّونِ مَعَ فَتْحِ أَوَّلِهِ ــ: رَمْلٌ بَيْنَ مكة ــ ثم أَوْرَدَ مَافي كتاب ٱلحازميِّ مَنْسُوباً إِلَى نصرٍ ــ إلى: ثم نَزَلَ قَرِيباً من بَدْرٍ، وزادَ: فَمَعْنَى ٱلحَنَّانِ بالتشديد ــ إذَنْ: ذُو الرَّحْمَةِ، ويُقالُ أَيْضاً: طَرِيقٌ حَنَّانٌ أَيْ وَاضِحٌ، وَٱبْرَقُ ٱلحَنَّانِ ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ. انتهى فهو قَدْ خلَطَ في ضَبْطِ الاسم بين كلام نصرٍ وكلام الحازميِّ، مع أنه اطلَعَ على كلامِ نصرٍ، لأَنَّهُ أَوْرَدَ مِنْهُ مايَتَعَلَّقُ بالدَّبَّةِ مَنْسُوباً إليه. أمَّا تفسير كلمة (ٱلحَنَّانِ) بالنسبة لهذا الموضع فَيَظْهَرُ أَنَّ ٱلحَنَّانَ ــ بِتَشْدِيدِ النُّونِ ــ كَالعَزَّافِ ــ لِأَنَّهُ يُسْمَعُ مِنهُ صَوْتٌ كَٱلحَنِينِ، أو كَٱلعَزِيفِ، وكَانَ بَعْضُ جُهَّالِ ٱلعَرَبِ يتخيلُون ذالِكَ مِنْ أَصْوَاتِ ٱلجِنِّ، وَٱلوَاقِعُ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الرِّيَاحِ، حِينَ تَسْفُو الرِّمَالَ فيتراكَمُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، ثُمَّ تَسْقُطُ فَيَحْدُثُ سُقُوطُهَا دَوِياً كَٱلحَنِينِ او ٱلعَزِيفِ، أَوْ صَوْتِ الطَّبْلِ، حَتَّى تَخَيَّلَ بَعْضُ الرَّحَّالِينَ مِمَّنْ مَرَّ بِبَدْرٍ مِنَ ٱلمتَأَخِّرِينَ أَنَّ ذالِكَ صَوْتُ طَبْلٍ ضَرَبَتْهُ ٱلمَلائِكَةُ حِينَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُ هذه ٱلخُرَافَةِ في كَثِيرٍ من رِحْلاتِ الحجِّ، كرِحْلَةِ ٱلعَيَّاشي «ماء الموائد» ورِحْلَتَي الدرعيِّين ابن نَاصِرٍ وابْنِ عبدالسَّلامِ وغَيْرِهِمَا ــ وانظر لِتَفْنِيدِ هذه ٱلخُرافَةِ «العرب» س ٢١ ص: ٢٨١ ــ وضَبْطُ يَاقُوتٍ لِكَلِمَةِ (ٱلحَنَان) بِتَخْفِيفِ النُّونِ لَايَتَّفِقُ مَعَ مَاوَرَدَ فِي كَثِيرٍ مِنَ المُؤَلَّفَاتِ مِنْ أَنَّهَا في اسْمِ هذا المَوْضِعِ القَرِيبِ مِنْ بَدْرٍ بِالتَّشْدِيدِ، وكذَا وَرَدَتْ في قَصِيدَةِ أُمَيَّةَ ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ في رِثائِهِ قَتْلَى بَدْرٍ الَّتِي أَوْرَدَهَا ابْنُ هِشَامٍ في «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة»: ٢ ص: ٣٠ ــ وغيره قال:

مَــلأنا بِبَــدْرٍ والــعَقَنْــقَلِ مِــنْ مَرازِبَةٍ جَحَــاجِــحْ
فَمَدافِــعِ البَــرْقَــيْنِ فالحَنّـــانِ مِــنْ طَــرَفِ الأَوَاشِــحْ

ونصُّ خَبَرِ مَسِيرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ على ماوَرَدَ في «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ» ـــ ١ / ٦١٥ ـــ مِنْ كَلامِ ابنِ إسْحاقَ : ثم ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ ذَفِرَانَ ، فَسَلَكَ على ثَنَايَا يُقَالُ لَهَا الأَصَافِرُ ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا إلى بَلَدٍ يُقَالُ لَهُ الدَّبَّةُ ، وتَرَكَ الحَنَّانَ بِيَمِينٍ ، وهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كَالجَبَلِ العَظِيمِ ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ .

ذَفِرَان ـــ بالذّال معجمة بعدها فاءٌ فَرَاءٌ فألِفٌ فنُون ـــ وادٍ صَغِيرٌ يَقَعُ يَمِينَ المُتَّجِهِ إلى بَدْرٍ من المُسَيْجِيد (المُنصَرَف) حِينَ يُقْبِلُ عَلَى مَضِيقِ الصَّفْرَاء ، ومِنْهُ ثَنِيَّةٌ تُدْعَى ذَفِرَانَ تَنْزِلُ على الحَمْرَاءِ مِنْ أَوْدِيَةِ الصَّفْرَاء ، وتُسْلَكُ للمتَّجِهِ إلى يَنْبُع . والأصافِرُ جِبَالٌ معروفَةٌ فيها ثَنَايَا تُسْلَكُ إلى الصَّفْرَاء ، وسَمَّاهَا السَّمْهُودِيُّ في «وَفَاءِ الوفَاءِ» وفي «خلاصة الوفَاء» الأَضَافِر ـــ بالضَّادِ المعجمة ـــ جَمْعُ ضَفِيرَةٍ ، وتابعه العباسي في كتاب «عُمدة الأخبار» وأرَى الاسْمَ تَصحَّفَ عَلَى السَّمْهُودِيِّ كما تَصَحَّفَ عليه الاسم الواقِعُ بِقُرب ثَنِيَّةِ هَرْشَا (الأصافِرُ) وهي معروفةٌ بِهَذا الاسم الآن .

الدَّبَّةُ : وَرَدَتْ في مخطوطتي كتابَيْ نَصْرٍ والحَازِمِيِّ مُشَدَّدَةَ الباء المُوَحَّدَةِ ، وجَاءَ في «معجم البلدان» : الدَّبَةُ ـــ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وتخفيف ثانيه ـــ : بَلَدٌ بَيْنَ الأَصافِرِ وبَدْرٍ ، وعَلَيْهِ سَلَكَ النبي ﷺ لَمَّا سَارَ إلى بَدْرٍ ، قالَهُ ابْنُ إسْحَاقَ ، وضَبَطَهُ ابْنُ الفُرَاتِ في غَيْرِ مَوْضِع . وقَالَ نَصْرٌ : كَذَا يقولُهُ أَصْحَابُ الحديثِ ، والصَّوابُ الدُّبَّةُ ، لأنَّ مَعْنَاهُ مُجْتَمَعُ الرَّمْلِ ، وقد جاء دِبَاب ودُبَاب في أسْمَاءِ مَوَاضِعَ . قُلْتُ أنا : قَالَ الجوهريُّ : الدَّبَّةُ الَّتِي يُجْعَلُ فيها الدُّهْنُ ، والدَّبَّةُ أيضاً : الكَثِيبُ مِنَ الرمْلِ ، والدُّبَّةُ ـــ بالضَّمِّ ـــ الطَّرِيقُ . انْتَهى كَلامُ ياقُوتٍ ، فَهَلِ اطَّلَعَ على نُسْخَةٍ أُخْرَى مِنْ كتابِ نَصْرٍ ؟ فالنُّسْخَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا تَقَدَّمَ نَصُّ مافيها ، وهُوَ في ضَبْطِ الدَّال ـــ بالفتح وبالضَّمِّ بِدُون تَعَرُّضٍ لِضَبْطِ البَاءِ إلاّ في كَلامِهِ على (دُبَاب) و(دِبَاب) في هذين الاسمين بِدُونِ إشَارَةٍ إلى (الدَّبة) . ويُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الخَبَرِ أنَّ الدَّبَّةَ أرْضٌ ذاتُ رَمْلٍ في وَادي الصَّفْرَاءِ قَرِيبَةٌ مِنَ الحَنَّانِ .

والحَنَّانُ كَثِيبٌ عَظِيمٌ مِنَ الرَّمْلِ ، يُشَاهَدُ مِنْ بَلْدَةِ بَدْرٍ في شَمَالِهَا رَأْيَ العَيْنِ ، ويُسَمَّى الآن (قُوزَ عَلِيٍّ) .

(١٤) خُبَّان : عِنْدَ نَصْرٍ : وبِضَمِّ الخَاءِ ـــ : بِاليَمَنِ ، قُرْبَ نَجْرَانَ ، وهِيَ قَرْيَةُ الأَسْوَدِ الكَذَّاب ، وفي «معجم البلدان» : خُبَّانُ ـــ بِضَمِّ أوَّلِهِ وتَشْدِيد ثانِيهِ ويُخَفَّفُ ، وآخِرُهُ نُونٌ ، ويَجُوزُ أنْ يكُونَ فُعْلانَ من الخَبِّ ـــ : وهي قَرْيَةٌ بِاليَمَنِ ، في وَادٍ يُقَالُ لَهُ وادِي خُبَّانَ ، قُرْبَ نَجْرَانَ ، وهِيَ قَرْيَةُ الأَسْوَدِ الكَذَّابِ ، وفي كِتَابِ «الفُتوحِ» : وكَانَ أَوَّلُ ماخَرَجَ الأَسْوَدُ العَنْسِيُّ ـ واسْمُهُ عَبْهَلَةُ بْنُ كَعْبٍ ـــ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ كَهْفِ خُبَّانَ ، وهِيَ كَانَتْ دَارَهُ ، وبِهَا وُلِدَ ونَشَأَ . انتهى . وَعَلَّقَ القَاضِي إسماعيلُ الأَكْوَعُ على هذا بقوله : ـــ عَنِ القَرْيَةِ ـــ : خُبَّانُ هذه تقعُ شَمَالَ نَجْرَانَ ، وهُنَاكَ خُبَّانُ أُخرَى بِتَشْدِيدِ البَاءِ ، وهِيَ نَاحِيَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَعْمَالِ يَرِيم . وخُبَان عُزْلَةٌ مِنْ مَغْرِب عَنْسٍ ، وأعْمَالِ ذَمَارٍ . انتهى . وذَكَرَ الحَجْرِيُّ في «مجموع بلدان اليمن» : خُبَانُ ـــ بِوَزْنِ غُرَاب ـــ : وادٍ مشهور فيه مَزَارِعُ وقُرى وعُيونٌ جارِيَةٌ ، وبه سُمِّيَتْ نَاحِيَةُ خُبَانَ مِنْ أَعْمالِ يَرِيم ، وخُبَانُ ـــ أيضاً ـــ : بَلْدَةٌ مِنْ مَغْرِب عَنْسٍ ـــ . وحَدَّدَ المَقْحَفِيُّ المسافَةَ بين صَنْعَاء ويَرِيم في كتاب «معجم البلدان والقبائل اليمنية» فقال ـــ ٧٥٧ ـــ : يَرِيمُ مدينة في الجنوب من صَنْعَاء بمسافةِ (١٠٥) من الأكيال ، وذكر من أوْدِيَتِهَا خُبَان وبَنَا ، وذكَرَ في رسم خُبَان : خُبَانُ ناحية واسعةٌ بِذِي رُعَيْنٍ شرقيَّ ظفارٍ وجَنُوبَه ، وقَرْيَةٌ ناحية وُصَاب قضاة ذَمَار ، وخَبَّانُ ـــ بفتح الخاءِ وتشديد الباء ـــ : وَادِيانِ يَقَعَانِ شرقَ شمالِ جَبَل بَرَط ، في بلاد دُهْمَةَ مِنْ هَمْدَان في الشمال الشرقي من صَنْعَاء بمسافة ٢٣٢

كيلا . أطلتُ النقلَ للإيضاح ، فالمواضِعُ التي تُدْعَى خُبَانَ بتخفيف الباءِ وبتشديدِها مُتَعَدِّدَةٌ في اليَمَنِ ، فَمِنْ أيِّها كانَ الأسْوَدُ العَنْسِيُّ ؟ في كَلامِ نصرٍ والحازميِّ وياقوتٍ أنَّهُ مِنْ خُبَانَ نَجْرانَ ، ولَمْ أرَ في كِتاب «فُتوحِ البُلْدان» لِلْبَلاذُرِيِّ ماأوْرَدَ ياقوت ، ونَجْرانُ لَيْسَتْ مِنْ بِلادِ عَنْسٍ ، فَبِلادُ هاؤُلاءِ ــ على مافي كِتاب «صفةِ جزيرة العرب» ــ ١٧٩ ــ أوّل ماتَخْرُجُ من ذَمَار مُتَوَجِّهاً نَحْوَ المشرقِ بقدر فرسخين . . وبِخِلافِ ذَمار ــ ٢٠٦ ــ إلى مواضع أخرى كلها في وسط بلاد اليمن غرب منطقة نَجْرانَ ، وإِذَنْ خُبانُ قَرْيَةُ الأسْوَدِ يَنْبَغِي أنْ تَكُونَ في بِلادِ قَوْمِهِ ، عَنْسٍ فَهِيَ الواردُ ذكرها مِنْ أعْمَالِ ذَمَارٍ ، ويَدُلُّ على هذا ماذكرهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، في «تاريخ الأمم والملوك» حوادث سنة إحدى عشرة ونَصُّهُ: كانَ الأسْوَدُ كاهِناً شِعْبَاذاً ، وكانَ أوَّل ماخرَجَ أنْ خرَجَ مِنْ كَهْفِ خُبان ، وكانَتْ دارُهُ ، وبِها وُلِدَ ونَشَأ ، فكاتَبَتْهُ مَذْحِجُ ، وَواعَدَتْهُ نَجْرانُ ــ إلى آخر مافَصَّل مِنْ أخباره ــ فذهَابُهُ إلى نَجْران كانَ مِنْ قريته التي في بِلادِ قَوْمِهِ ، ولَمْ يكنْ مِنْ خُبَانِ التي بِقُرْبِ نَجْرانَ ، والتي تُعْرفُ الآن ــ على ماظَهَرَ لي ــ بِاسْمِ (خُبَاش) بإبْدالِ النُّونِ شِيناً ، عَلَى أنَّ البكْرِيَّ في «معجم مااستعجم» قال عن (خُبّان : ــ بفتحِ أوّلِهِ وتشديدِ ثانيه ــ: أرْضٌ بِأسْفَلِ نَجْرانَ مِنْ دِيارِ مُرَاد ، إلَيْهَا يُنْسَبُ كَهْفُ خُبّانَ ، وَهُوَ الكَهْفُ الذي ماتَ فيه مُرَقِّشٌ الأكْبَرُ .

(١٥) خُنانُ : عَرَّفَ نَصْرٌ المَوْضِعَ بقوله : بِضَمِّ الخاءِ ونُونَيْنِ ــ : مَدِينَةٌ مِنْ بِلادِ جُرْزَان ، فَتَحَهَا حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ . فالحازِميُّ لَمْ يَزِدْ عَلَى هذا . وزادَ ياقوت بِمَا نَقَلَ عنِ الاصطخريِّ : خُنانُ قَلْعَةٌ تُعْرفُ بِقَلْعَةِ التُّرَابِ ، لأنَّها عَلَى تَلٍّ عَظِيمٍ . انتهى وأطال الكَلامَ عَلَى جُرْزانَ ، ومما قال: جُرْزَانُ ــ بالضم ثم السكون وزاي وألف ونون ــ : اسْمٌ جامِعٌ لِناحِيَةٍ بِأرْمينِيَّةَ قَصَبَتُها تَفْلِيسُ ، وهُمُ الكُرْجُ ــ فِيْمَا أحْسَبُ ، فَعُرِّبَ فَقِيلَ جُرْز . . وقَدْ ذكرَ فَتْحَ المُسْلِمِينَ لِهذهِ النَّاحِيَةِ في تَفْلِيس ، فقال : افْتَتَحَها المُسْلمونَ في أيام عثمان ، كان قد سار حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَةَ إلى أرمينِيَّةَ فافْتَتَحَ أكثرَ مُدُنِها ، فَلَمَّا تَوَسَّطَها جاءَهُ رسول بطريقِ جُرْزَانَ يَسْأَلُهُ الصُّلْحَ ، وأماناً يكْتُبُهُ لَهُمْ ــ ثم أورد نَصَّ كِتَابِ الأمانِ ، وأوْرَدَهُ ابن جَرِير في «تاريخ الأمم والملوك» وذكر خَبَرَ فَتْحِ حَبِيبٍ لهذه البلاد ــ في سنة ٢٢ .

(١٦) وزَادَ نَصْرٌ في البَابِ أرْبَعَةَ أسْماء ، أفْرَدَها الحازِميُّ في بابٍ في حَرْفِ الخاءِ وسَيأتي ــ وهي :

١ ــ جُبَار: قال: ــ بضم الجِيم وباءٍ مُوَحَّدَةٍ وآخِرُهُ رَاءٌ ــ: مَاءٌ بَيْنَ المَدِينَةِ وفَيْدَ ، لبني جُرْشٍ بن عامِرٍ مِنْ جُهَيْنَةَ ، وهُمُ الحُرَقَةُ . انتهى . وقال الحازميُّ : أوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَها بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُخَفَّفَةٌ ــ : مَاءٌ لِبَني خُمَيْسِ بْنِ عامِرٍ ، بَطْن مِنْ جُهَيْنَةَ بَيْنَ المَدِينَةِ وفَيْدَ . انتهى فاسْمُ البَطْنِ عِنْدَ نَصْرٍ (جُرْش) وعِنْدَ الحازميِّ (خُمَيْس) وَوَرَدَ في كتاب «الإيناس» ــ ٢٨ ــ لما ذكر خُمَيْس ــ بالخاءِ في طابِخَة وفي كِنْدَةَ وفي كِنَانَة ــ قال: وفي قُضَاعَة : جُمَيس ــ بالجيم بن مُودعة بن جُهَيْنَةَ وهُوَ الحُرَقَةُ ، عن ابنِ الأعرابي . وهذا الماءُ أصْبَحَ قَرْيَةً ، وهي في مَنْطَقَةِ خَيْبَرَ ، بَعِيدٌ عن فَيْدَ ، وقَدْ تَحَدَّثْتُ عنه بتَفْصيلٍ في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» .

٢ ــ حِيَارٌ : قال نَصْرٌ : وأمَّا بِكَسْرِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ وياءٍ تَحْتَها نُقْطَتانِ ــ: صُقْعٌ مِنْ بَرِّيَّةِ قِنَّسْرِينَ ، كانَ الوليدُ بنُ عَبدِ المَلِكِ أقْطَعَهُ القَعْقَاعَ بْنَ خُلَيْدٍ ، يُقالُ لَهُ حِيارُ بني القَعْقَاع . انتهى . وزادَ ياقوتُ: كأنَّهُ جَمْعُ حَيْرٍ ، وهُوَ شِبْهُ الحَظِيرَةِ أو الحِمَى . . . بَيْنَهُ وبَيْنَ حَلَبَ يَوْمانِ ، قالَ المُتَنَبِّي في مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

وكُنْتَ السَّيْفَ ، قَائِمُهُ إلَيْهِمْ وَفي الأعْداءِ حَدُّكَ وَالغِرَارُ
فَأمْسَتْ بِالبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ وَأمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الحِيَارُ

٣ ــ جَيَّارٌ: ــ قال نَصْرٌ: وبفتح الجِيمِ وياءٍ مُشَدَّدَةٍ تَحْتَها نُقْطَتانِ ــ: ناحِيَةٌ بِالبَحْرَيْنِ ، وثَمَّ كانَ مَقْتَلُ الحُطَمِ القَيْسِيِّ ــ قيسِ بن ثَعْلَبَةَ ــ لَمَّا ارْتَدَّتْ بَكْرُ بنُ وائِل . زادَ ياقوتُ: جَيَّارٌ: وهي في اللُّغَةِ الجِصُّ

مع القراء في اسئلتهم وتعليقاتهم

الأسلاع في بلاد العرب
وابن البيلماني الشاعر النجراني المغمور

[دارت أحاديث بين رئيس تحرير هذه المجلة وبين الأستاذ الكبير حسن سعيد الكرمي صاحب برنامج (قول على قول) ومؤلف كتاب بهذا الاسم يعتبر ذخيرة من ذخائر الشعر العربي ، فقد كتب الأستاذ الكرمي كلمة بعنوان (أين هو موضع سلع ؟) .

فعقب عليها رئيس تحرير هذه المجلة بكلمة بعنوان (إنها أسلاع .. لا سَلْعًا واحدًا) ، فأعاد الأستاذ الكرمي التساؤل مرة أخرى قائلا : (أين هو موضع سلع ؟) .

فكان أن كتب رئيس تحرير هذه المجلة بحثًا ضافيًا تعرض فيه للتنبيه على خطإ في نسبة شاعر من بلاد

والصاروج ، وهي ايضا حَرٌّ في الصدر ، والحُطَمُ اسمُهُ شُرَيْحُ بنُ ضُبَيْعَةَ بن شُرَحْبِيلَ — وسَاقَ نَسَبَهُ إلى ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ — قُتِلَ لَمَّا ارتَدَّتْ بكرُ بْنُ وائِلٍ في أيامِ أبي بَكْرٍ — رضي الله عنه — وفي (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» إشارة إلى الموضع الذي قُتِلَ فِيهِ الحُطَمُ ، وأَنَّ في بعضِ الرِّوَايات أَنَّهُ قُتِلَ أَثْنَاءِ وقْعَةِ جُوَاثَا ، بِمَا يَحْمِلُ على القَوْلِ بِقُرْبِ جَبَارٍ مِنْ جُوَاثَا المَعْرُوفَةِ الآن .

٤ — الخَبَار : — قال نَصْرٌ : — بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وبَاءٍ مُخَفَّفَةٍ مُوَحَّدَةٍ — : فَيْفَاءُ الخَبَارِ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ المَدِينَةِ ، كَانَ عَلَيْهِ طَرِيقُ رَسُول الله ﷺ حِينَ خَرَجَ يُرِيدُ قُرَيْشًا قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، ثُمَّ انتهى مِنْهُ إلَى الخَلائِقِ ، ثُمَّ إلَى يَلْيَلَ . انتهى . ونَصُّ الخَبَرِ عَلَى مافي كتاب «السِّيرة النَّبَوِيَّة» لابْنِ هشام — ج ١ ص ٥٩٨ — في خَبَرِ غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ — : فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ ، ثُمَّ عَلَى فَيْفَاءِ الخَبَارِ . . . ثُمَّ ارْتَحَلَ فَتَرَكَ الخَلائِقَ بِيَسَارٍ ، وسَلَكَ شُعْبَةً يُقَالُ لها شُعْبة عَبْدِالله ، ثُمَّ صَبَّ لِلْيَسَارِ حَتَّى هَبَطَ يَلْيَلَ . وفي كتابِ الحازميِّ في حَرْفِ الخاءِ — (بابُ خَبَارٍ ، وحَيَارٍ ، وجُبَارٍ وجَبَّارٍ : أمَّا الاولُ — بفتحِ الخَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ — : فَيْفُ الخَبَارِ ، مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ المَدِينَةِ وقال ابْنُ شِهَاب : وكَانَ قَدِمَ على رسول الله ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُرَيْنَةَ كَانُوا مَجْهُودِينَ مَضْرُورِينَ ، فَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ ، وسَأَلُوهُ أَنْ يُنَحِّيَهُمْ عَنِ المَدِينَةِ ، فأخْرَجَهُمْ رسول الله ﷺ إلَى لِقَاحٍ لَهُ بِفَيْفِ الخَبَارِ وَرَاءَ الحِمَى . وقال ابْنُ إسْحَاقَ : وفي جُمَادَى الأُولَى غَزَا رسول الله ﷺ قُرَيْشًا ، فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِينَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّار ، ثُمَّ على فَيْفَاءِ الحَيَار ، كَذَا وَجَدْتُهُ مَضْبُوطًا مُقَيَّداً بِخَطِّ أَبِي الحَسَنِ بْنِ الفُرَاتِ بِالحَاءِ المُهْمَلَةِ وبِاليَاءِ المُشَدَّدَةِ ، والمَشْهُورُ الأَوَّلُ . انتهى وفي «مُعْجَم البلدان» : الخَبَارُ — في كلامِهِمْ الأَرْضُ الرِّخْوَةُ ذَاتُ الحِجَارَةِ ، وهو فَيْفُ الخَبَارِ ، ويقال فَيْفَاءُ الخَبَارِ ، ذَكَرَهُ ابْنُ الفَقِيهِ في نَوَاحِي العَقِيقِ بِالمَدِينَةِ — ثم ساق كلام الحازمي ولم يَزِدْ — ويفهم مما أورده السمهودي في «وفاء الوفاء» — ٨٧٩ — أنَّ فيفاء الخَبَارِ تَقَعُ غَرْبِيَّ الجَمَّاوَاتِ الجِبَالِ المعروفة بقرب عَقِيقِ المدينة ، حيثُ امتدَّ العُمْرَانُ إلى تلك الجِبَالِ ، وأنها مُتَّصلة بِجَمَّاءِ أُمِّ خالِدٍ في أصْلِها ، وجَمَّاءُ أُمِّ خالِدٍ في مَهَبِّ الشمالِ من جَمَّاءِ تُضَارِعَ الَّتِي تَسِيلُ على بِئْرِ عُرْوَةَ المَعْرُوفَةِ

نجران وقع في كثير من الكتب التي تعرضت لذكره منذ أن اختار أبو تمام في « حماسته » مقطوعة من شعره ورد فيها اسم (سَلْع) ، ويجد القارىء تفصيلا عن هذا الشاعر (ابن البيلماني لا ابن السلماني) في التعقيب على الاستيضاح الثاني عن موضع سلع . بعنوان (سلع مرة أخرى) .

ثم أعاد أستاذنا الكرمي معلقا على ذلك الرد بعنوان (عود إلى سلع) ، ولم أر في كلمة أستاذنا الكريم مايدعو إلى الاسترسال في الحديث في موضوع أُشبعَ بحثاً ، وها هو بين يدي القارىء الكريم] .

أين هو موضع سلع ؟

سيدي الفاضل رئيس تحرير جريدة « الشرق الأوسط » المحترم . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد أطلعت في عدد جريدتكم الصادر بتاريخ ١٩٨٧/١/٢١ على قطعة في الصفحة ١٣ بعنوان : شكراً لأستاذنا الجاسر ، جاء فيها ذكر البيت :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل

وجاء في القطعة (لقتيل) وهو خطأ ، وجاء في القطعة عني أنني قلته في (قول على قول) ان سلعا هي التي يقال لها الآن (البتراء) في الأردن أو وادي موسى . وقرأت أيضا لأستاذنا حمد الجاسر ان سلعا موضع في أرض هذيل . يجوز ان يكون موضع بهذا الاسم في أرض هذيل ، وقد تتعدد المواضع لاسم واحد . وسلع أيضا . . موضع ذكره ابن السليماني .

لعمري ان يوم سلع لـلائم لنفسي ولكن ما يرد التلوم

ولكن المهم في كل ذلك أن المعاجم لم تتفق على معنى واحد لكلمة (سلع) وفي « لسان العرب » : سلع موضع يقرب المدينة وقيل جبل بالمدينة . وفي « تاج العروس » : سلع جبل وفي «العباب» جبل بالمدينة . وفي رأيي ان أصح الأقوال هو قول « لسان العرب » . موضع قرب المدينة ، والقرب والبعد عند العرب شيء لا يحد ، فقد يكون الشيء قريباً وهو على عدة أميال وقد يقال أن الطائف بالقرب من مكة أو أن درعاً في سورية قريبة من دمشق وهكذا . . وقد تكون سلع

من المدينة ـــ على عشرات الأميال كأن تكون قرب العقبة أو إلى الشمال من العقبة ، وهناك سلع في وادي موسى ، والسلع هو الشق في الأرض أو في الجبل ، وهنا هو الشق في الصخر أو الجبل وكان هذا موضع سلع .

أما القول بأنه موضع في أرض هذيل ففيه نظر لأن قبيلة هذيل كانت تسكن الصحراء وكان عروة الصعاليك يغير على منازلهم . وبيت الشعر يقول : ان بالشعب الذي دون سلع ، والشعب على مانعلم لايكون في الرمال أو الصحراء الرملية بل يكون في الجبل وكانت مدينة سلع بين البحر الميت وخليج العقبة مبنية بالحجر حول شعب يمتد إلى الجنوب وكان يجري فيه نهير ولعله الذي يقال له السيق .

ووصف سلع بالتفصيل مذكور في معجم Smith واسمه Classical dictionary .

لندن :حسن سعيد الكرمي

إلى الأستاذ الكرمي :

انها (اسلاع) لا (سلعا واحدا)

حسن حقاً أن تُعنى الصحافة العربية بالأبحاث المتعلقة بتاريخ العرب القديم من حيث تحديد المواقع أو دراسة أخبار الحوادث وما يتصل بها .

وأحسن من هذا أن يتناول ذالك الأمر المعنيون بالدراسات العربية القديمة المتمكنون منه ، وهذا ما أعجبني فيما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» (ع ٣٠٦٣ تاريخ ٢٠/٨/١٤٠٧هـ ـــ ١٨/٤/١٩٨٧م ص ١٨) من تعليق للأستاذ الكريم حسن سعيد الكرمي من لندن الذي كان ولايزال يتحف المستمعين لاذاعة لندن بما يفيضه من علم غزير في برنامجه الطلي الطريف (قول على قول) .

لقد علق الأستاذ الكرمي على مانشرته هذه الجريدة بتاريخ (٢١/١/١٩٨٧ لأستاذنا محمد حسين زيدان حول اسم (سلع) الوارد في البيت :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه مايطل

ونسب إليّ الأستاذ محمد بأنني ذكرت أن سلعا المذكور في البيت يقع في أرض هذيل خلاف مانقل عن الأستاذ الكرمي من أن البتراء في الأردن هي سلع المذكور في البيت .

وأضاف الأستاذ الكرمي بأن المعاجم لم تتفق على معنى واحد لكلمة سلع ، ويرى أن أصح الأقوال هو قول «لسان العرب» : موضع قرب المدينة . والقرب والبعد عند العرب شيء لايحد . ثم أشار إلى سلع الواقع في وادي موسى ولم يغب عن ذهن الأستاذ المعنى اللغوي لكلمة السلع وانه الشق في الصخر أو الجبل .

ثم أضاف : أما القول بأنه موضع في أرض هذيل ففيه نظر ، لأن قبيلة هذيل كانت تسكن الصحراء وكان عروة الصعاليك يغير على منازلهم . ثم استنتج من البيت أن الشعب على مايعلم لايكون في الرمال أو الصحراء الرملية ، بل يكون في الجبل ، وأعاد ذكر مدينة سلع المبنية بالحجر حول شعب يجري فيه نهير يقال له : السيق – إلى آخر ماذكر من الوعد بالرجوع إلى المعجم الافرنجي الذي سماه .

لقد كانت مناسبة طيبة دفعتني لمحادثة الأستاذ الكريم حسن الكرمي لأوضح ماأراه من أن سلعا المذكور في الشعر يقع في بلاد هذيل .

ولكي أزيل من أذهان بعض القراء مايكون قد علق فيها من كون بلاد هذيل صحراء رملية كما يفهم من كلام الأستاذ الكرمي ، ألفت النظر إلى أن منازل هذيل كانت منتشرة في الأودية والشعاب والجبال الواقعة بقرب مكة ، وأكثر منازلها تقع في ضفاف الجبال ، وليست في صحراء رملية واسعة ، ووجود الرمال أو الأراضي المنبسطة بالنسبة لبلاد هذيل أقل منها في غيرها من البلاد ، ولايتسع المقال لتوضيح منازل هذه القبيلة قديماً وحديثاً ، إلا أن مما ينبغي ادراكه أن كثيراً من فروعها لايزال يحل في مواطنه القديمة – انظر مجلة «العرب» س ١٨ ص ١٠٩٠ وس ٢٠ ص ٥٥٥ – .

ومن جبال هذيل القديمة جبل سلع الوارد في شعر البريق بن عياض الخناعي الهذلي يرثي أخاه ــ كتاب «شرح أشعار الهذليين» ص ٧٤٢ ــ ومنه :

سقى الرحمن حزم نباتعات   من الجوزاء انواء غزارا
بحط العصم من أكناف شعر   ولم يترك بذي سلع حمارا

سلع : جبل كما ذكر شارح الشعر ، ومعروف أن كلمة (ذي) تلحق بأسماء المواضع كثيراً .

ومن شعر الحارث بن خالد القرشي :

عاهد الله أن نَجّا مِ المنايا   ليعودن بعدها حرميا
يسكن الخل والصفاح ومرا   ن وسلعا ، وتارة نجديا

فالخل والصفاح من المواضع القريبة من مكة وكذا سلع ، وهو جبل لايزال معروفاً إذا كنت في الصفاح شاهدته وهو على مقربة من وادي عرنة ، ومعروف أن هذه المواضع القريبة من مكة كانت من منازل هذيل .

ويحسن العود إلى البيت المستشهد به في أول الكلام ، من المعروف أنه من قصيدة أوردها أبو تمام في «الحماسة» وأشار إلى الاختلاف في نسبتها قائلاً : انها في رثاء تأبط شرا له أو لابن أخته او منحولةٌ .

إذن هي تتعلق برثاء تأبط شرا ، فأين قتل ؟

لقد فصل خبر مقتله صاحب كتاب «شرح أشعار الهذليين» ــ ص ٨٤٣ ــ فذكر أنه قتل في يوم نمار قتلته بنو قريم من هذيل لأنه خرج يريد الاغارة على بني صاهلة من هذيل ، ولكنه تجاوزهم حتى وجد أهل بيت شاذ من بني قريم في ذنب نمار (الوادي) فرموه بسهم فقتلوه ، ومما قالت أمه في رثائه :

قتيل ماقتيل بني قريم   إذا ضنت جمادى بالقطار
فتى (فهم) جميعا غادروه   مقيما بالحريضة من نمار

وعلى هذا فتأبط شرا قتل في وادي نمار الذي لايزال معروفا ، وهو من روافد وادي يلملم حيث يحرم الحجاج القادمون من الجنوب إذا أرادوا مكة ، والذي يقع جنوب مكة بنحو مئة كيل على وجه التقريب ، والوادي لايزال معروفاً ، أما سلع فينبغي أن يكون في هذا الوادي أو بقربه حيث قتل المرثي الذي قيل فيه :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه مايطل

ومن المدرك بداهة أن كلمة (سلع) كانت في الأصل وصفا ، ثم سميت بها مواضع ، وهي كما أشار الأستاذ الكرمي : الشق في الجبل . وحدد المعنى أبو زياد الكلابي على مانقل عنه ياقوت في «معجم البلدان» فقال : الاسلاع طرق في الجبال يسمى الواحد منها سلعا ، وهو أن يصعد الإنسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ أعلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر يفصل بينهما هذا السند الذي سند فيه ، ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدراً في فضاء الأرض ، فذاك الرأس الذي أشرف من الواديين السلع ولا يعلوه إلا راجل . انتهى .

وعلى هذا فلا غرابة بأن يسمى كثير من الجبال والأمكنة باسم سلع فهناك :

١ ــ سلع جبل في ديار بني هذيل كما تقدم .

٢ ــ وسلع جبل في المدينة وهو الذي قال عنه الأزهري : موضع بقرب المدينة . لأنه لم يعرف الجبل نفسه وإنما عرفه مما قرأ ، وهو جبيل صغير كان في داخل المدينة في عهد رسول الله ﷺ على مانقل السمهودي عن «صحيح البخاري»: ان جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنماً لهم بالجبيل الذي في السوق وهو سلع . وتحدث عنه السمهودي حين تكلم على مساجد الفتح وعلى كهف بني حرام الذي دخله النبي ﷺ وبات فيه ــ انظر «وفاء الوفاء» ص ٨٣٦ الطبعة الثانية ــ وهو معروف عند أهل المدينة ، وهو الذي ذكره ابن البيلماني لا (ابن السلماني) كما جاء في «معجم البلدان» مصحفاً وكذا في تعليق الأستاذ الكرمي ، وابن البيلماني هذا شاعر يمني من الأبناء (الفرس) ذكره الهمداني في

«صفة جزيرة العرب» ص ٧٩ و٩٩ طبعة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ وكان قد حبس في المدينة فقال شعراً منه البيت الذي أورده الأستاذ الكرمي من مقطوعة أوردها ياقوت .

٣ ـ وسلع واد في ديار باهلة ، وجبل ، وهما سلعان مضافان احدهما سلع موشوم والثاني سلع الكلدية ، وبلاد باهلة واقعة في وسط نجد في اقليم يعرف الآن باسم العرض (عرض القويعية) وقديماً باسم عرض شمام وسود باهلة ، وقاعدته الآن بلدة القويعية .

٤ ـ وسلع أيضاً موضع في ديار بني أسد ، وديار هاؤلاء تقع في شمال القصيم وتمتد على طريق الحج العراقي إلى قرب الكوفة .

٥ ـ وسلع أيضاً في وادي موسى .

والأستاذ الكرمي أعرف بهذا الموضع الأخير مني .

ولقد لاحظت حين زرت الموضع الأخير كثرة أسماء المواضع التي بقربه ، وهي تطلق على مواضع في غرب الجزيرة فاستنتجت أن السكان ربما نقلوا أسماء مواضع كانوا يألفونها من غرب الجزيرة إلى شمالها وقلت في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ـ ص ٤٦٨ ـ: ومن الأدلة على صلة الأنباط بشمال الحجاز أن كثيراً من أسماء بلادهم لايزال لها ارتباط بالحجاز ، فمثلاً :

١ ـ السيق : وهو الطريق المعروف الآن إلى البتراء الوادي المحصور بين الجبال لانزال نرى اسما له مقارباً في النطق يطلق على واد يفيض في وادي خيبر في بلاد شهران ، في الجنوب الشرقي من السراة ، ولكنهم هناك ينطقونه بالشين (الشيق) ومن أودية حسمى وادي السيق ، ينحدر من جبل اللوز ، فيفيض في وادي عفال الذي يفيض في البحر شرق الخريبة وعينونة (بقرب خطي الطول: ٣٥/٢٥° و٣٥/٤٠° وخطي العرض: ٢٨/٣١° و٢٨/٣٢° تقريباً) .

٢ ـ وعيرة : وهو جبل فيه قصر الآن من عهد الصليبيين قرب وادي موسى،

بقرب البتراء ، وبقرب المدينة جبل عظيم يقع شرق أحد يعرف بهذا الاسم حتى الآن (وَعِيرة) ــ بفتح الواو وكسر العين ــ ومن أشهر قمم جبال حسمى قمة وعير ــ بضم الواو وفتح العين ــ يشاهدها المتجه من تبوك إلى حقل رأي العين .

٣ ــ الجي : قرية تقوم منازلها في احدى الضواحي المجاورة لمدينة البتراء وتتزود من مياه النبع الغزيرة ، ولكنها لاتصل بجريانها إلى البتراء . وهذه القرية تعرف الآن باسم وادي موسى ، وبقرب المدينة في شرقها وادي الجي الذي تنحدر فروعه من جبل قدس الأبيض وورقان ، وما حولها ، ويسير متجهاً صوب الشرق حتى يصب في وادي الصفراء ، الذي يصب في البحر غرب المدينة .

٤ ــ سلع : يطلق هذا الاسم على وادي البتراء الذي تقع فيه آثارها الضخمة ، وهو في الوقت نفسه يطلق على جبل يقع في الشمال الغربي من المدينة ، وأصبح الآن داخل مبانيها .

هذه إشارات واضحة تدل على عمق الصلة بين الأنباط وبين عرب الحجاز وبقي أن نشير إلى ماأثر عن مؤرخي العرب المتقدمين من صلة الأنباط بعرب الحجاز .

وفي انتظار ماسيتحف به الأستاذ الكرمي قراء هذه الصحيفة (فيغرب) بعد أن (أعرب) فأفاد .

مع أطيب تحية .

حمد الجاسر

أين هو موضع سلع ؟

ثم مارأي أستاذنا حمد الجاسر في ما جاء «مجمع الأمثال» للميداني عن سلع فقد جاء هناك تحت المثل : ألحن من قينتي يزيد ، ان حبابة غنت يزيد بن عبدالله بن مروان بهذه الأبيات :

لعمرك انني لأحب سلعا لرؤيتها ومن أضحى بسلع
تقر بقربها عيني واني لأخشى أن تكون تريد فجعي
حلفت برب مكة والمصلى وأيدي السابحات غداة جمع
لأنت على التنائي فاعلميه أحب إلي من بصري وسمعي

فقال لها يزيد : ان شئت ان أنقل اليك سلعاً حَجَراً حَجَراً أمرت . فقول يزيد هذا يدل على ان سلعاً قرية مبنية بالحجر أو موضعاً من أحجار ، وكونها قرية يدل عليه قول الشاعر : تقر بقربها عيني فجعلها مؤنثة ، ولم يقل بقربه . ثم ان سلع في اللغات السامية كالعبرانية معناها حجر أو صخر ، ومنه جاءت كلمة البتراء أو Petre .

أما بيت ابن السليماني وهو شاعر اسلامي وهو كما ذكرنا :

لعمري اني يوم سلع للائم لنفسي ولكن ما يرد التلوم

فقد جاء في شرح التبريزي لحماسة أبي تمام ان السلع هو الشق في الجبل وحكاية ابن السليماني هذا هي ان ابراهيم بن عربي كان واليا على اليمامة ، واليمامة إلى الغرب من البصرة والكوفة نحو الجنوب ، فقبض على ابن السليماني وحمله إلى المدينة فمر في طريقه بسلع وقال أبياتا منها هذا البيت ، فأين سلع هذه التي في الطريق بين اليمامة والمدينة ؟ لعل الطريق من اليمامة إلى المدينة كانت تمر في أراض عامرة غير صحراوية ، من الشرق عبر جنوب سورية إلى جنوب الأردن وإلى سلع هناك ثم سلع جنوباً إلى المدينة ، وكان ذلك تجنبا للمرور في الصحراء وهذا شبيه بالمسافر بين دمشق وبغداد ، فقد كان يذهب إلى حلب ثم إلى الموصل ثم ينحدر من الموصل إلى بغداد ، ويتجنب بذلك قطع بادية الشام .

ورأيت في ابن خلكان عن العباس بن عبدالمطلب أنه كان يقف على سلع وهو جبل عند المدينة فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم ، وبين الغابة وسلع ثمانية أميال ، ولمهيار الديلمي أبيات يقول في أولها :

أرقت فهل لهاجعة بسلع على الأرقين ، أفئدة ترق

وأين مهيار الديلمي في العراق من سلع ؟ وللخطيب الحصكفي أبيات في هجو مغن يقول فيها :

ويــوم ســلـع لم يــكــن يــومــي بــســلــع هــيــنــا

وقد نخلص من كل ذالك أن نقول أن سلعا لابد ان يكون موضعاً أو جبلاً قرب المدينة أو قرية فيها مفازة طيبة الهواء في أرض غير صحراوية ، وهذه هي سلع الأردن في وادي موسى ، حتى ان ابن الفارض قال :

وباينت بانات كذا عن طويلع بسلع فسل عن حلة فيه حلت

وقــال :

واذا وصلت أثيل سلع فالنقا بــالــرقــمتــين فــلعلع فشـــظاة

لندن من/ حسن سعيد الكرمي

(سلع) مرة أخرى

وأعاد الأستاذ الكريم حسن سعيد الكرمي الحديث عن (سَلْعٍ) ـ [«الشرق الأوسط» ع ٣٠٦٤ في ١٤٠٧/٨/٢١ (١٩٨٧/٤/١٩)] ـ متسائلاً : أين موضعه ؟ ومورداً نصوصاً استقاها من مصادر مختلفة ، ليس من المستغرب على سعة اطلاع الأستاذ الكرمي وغزارة علمه إحاطته بها .

وقد رأيته ـ أكرمه الله ـ خصني بتوجيه السؤال إليَّ عن بعض ماجاء في تلك النصوص ، ورأيت في إجابته مالم أجد خيراً منه للتعبير عن تقديري للأستاذ ، وإعجابي بما يتصف به من علم وفضل وأدب .

المثل : (أَلْحَنُ من قينتي يزيد) يراد به كما هو معروف لحن الغناء ، أي جودته ، والقينتان هما : حَبَابَةُ ـ بتخفيف الباء ـ وسَلاَّمة ـ بتشديد اللام ـ وصاحبهما هو يزيد بن عبدالملك بن مروان ـ لا ابن عبدالله ـ .

ابن البيلماني - لا ابن السليماني :

وبلية التطبيع في عهدنا هي كبلية التصحيف في العهود الماضية التي من أسْوَإِهَا تصحيف كلمة (البيلماني) بكلمة (السليماني) وهو تصحيف وقع في كثير من الكتب العربية قديمها وحديثها ، ولهذا فليس من المستغرب أن يتكرر فيما دار حول الحديث عن سلْع ، لا في كلام أستاذنا الكرمي وحده ، بل منذ جمع أبو تمّام أشعار «الحماسة» ، فأورد فيها مقطوعة لابن البيلماني ، وأتى مَنْ تناول ذالك الكتاب بالشرح أو التعليق عليه فأورد الاسم مصحفاً .

أليس من المناسب محاولة تصحيح اسم هذا الشاعر الذي لو لم يكن من فوائد البحث عن تحقيق موقع سَلْعٍ سوى إنارة بعض جوانب من حياته .

ولعل من حسن الاتفاق ــ ولا أقول من غريبه ــ ان يأتي الحديث عن تصحيح اسم هذا الشاعر ذا صِلَةٍ قوية بعالمين جليلين من بلادنا المقدسة من مدينة القدس الشريف وما بقربها ، هذا العالمان هما الحافظ عبدالغني المَقْدِسي الذي توفى سنة ٦٠٠ ، والذي ترجم الشاعر في كتابه «الكمال في أسماء الرجال» ترجمة كانت مَصْدَرَ من جاء بعده .

ثم أتى أستاذنا الكرمي فأثار ماله صلة بهذا الشاعر إثارة كانت الباعث للحديث عنه .

إن ابن البَيْلماني منسوب إلى بيلمان ، وهي كما ورد في كتاب «القاموس المحيط» وشرحه ــ رسم (بلم) ــ : وبَيْلَمان موضع باليمن أو بالسند أو بالهند ، منه السيوف البيلمانية ، وعبدالرحمن بن أبي يزيد البيلماني مولى عمر بن الخطاب تابعي ، روى عن ابن عباس ، و . . . وروى عنه . . . وذكره ابن حبان في «الثقات» وكان من فحول الشعراء . وقال في «معجم البلدان» : بيلمان بالفتح تنسب إليه السيوف البيلمانية ، ويشبه أن يكون من أرض اليمن ، ينسب إليه محمد بن عبدالرحمن البيلماني ، حدث عنه عبدالله بن العباس بن الربيع النجراني ، نجران اليمن ، وفي «فتوح البلدان» للبلاذري : البيلمان من بلاد الهند

والسند ، تنسب إليها السيوف البيلمانية . انتهى . ومحمد الذي ذكر ياقوت هو ابن الشاعر عبدالرحمن .

وفي «صفة جزيرة العرب» للهمداني في الكلام على نجران ــ ص ٩٩ طبعة دار اليمامة ــ : وكان من شعرائها ابن البيلماني ، من الأبناء .

وأورد في الكلام على أوس بن عَمْرٍو قاتل الجوع ــ ص ١٠٠ ــ مانصه : وفيه يقول الشاعر ــ وهو ابن البيلماني ــ :

ألا إنَّ أوساً قاتلَ الجُوعِ قد مضى ووَرِث عــزاً لاتُنـال أطــاوِلُــهْ

وجاء في كتاب «تهذيب الكمال» للحافظ المزي ــ ٢ / ٧٧٨ النسخة المصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية ــ : عبدالرحمن بن أبي زيد البيلماني ، من الأبناء الذين كانوا باليمن ، وكان ينزل نجران ، وقيل : إنه من أشعر شعراء اليمن في عصره ، وأنه وفد على الوليد بن عبدالملك فأجزل له الحباء ، وتوفي في ولايته ؛ وذكر صاحب «تهذيب الكمال» : أن أصحاب السنن الأربعة رووا له ، وسمى من حدث عنه من رواة الحديث .

ومصدر صاحب كتاب «تهذيب الكمال» هو كتاب «الكمال» للحافظ عبدالغني المقدسي ، ثم جاء الحافظ ابن حجر فترجم الشاعر في كتاب «تهذيب التهذيب» ــ ٦ / ١٤٩ ــ بترجمة لاتخرج عن تلك الترجمة .

أما شعره فقد أورد أبو تمام في «الحماسة» له قطعة ميمية هي التي ورد فيها قوله :

لعمريَ إني يوم سَلْعٍ لـلائم لـنفسي ولـكن مـايَـرُدُّ الـتلوُّمُ

وأوردها ياقوت في «معجم البلدان» في رسم سلع ، كما أورد بيتين منها في رسم برثم لم يَرِدَا في «حماسة» أبي تمام .

وهما :

فلو شِئْتُ إذْ بِالأمْرِ يُسْرٌ لَقَلَّصَتْ بِـرَحْلِيَ قَـلَاءُ الـذِّرَاعَـيْنِ عَيْهَمُ
إذَا مَا انْتَحَتْ مَابَيْنَ لَحْجٍ وبُرْثُمٍ وأَيْنَ لإبْـرَاهِيمَ لَحْـجُ وبُــرْثُمُ ؟

وفي هذين البيتين يوضح الشاعر أنه كان في إمكانه الهرب إلى بلاده في أقصى اليمن ، ماراً بِلَحْجٍ ويرثم البعيدين عن إبراهيم بن عربي ، الذي كان والياً لليمامة في عهد بني مروان .

وابراهيم هذا كان مما وطَّدَ الحكم الأمويَّ في نجد بشدته وصرامته وترسمه لنهج الحجاج ، ولي عنه مؤلف بعنوان «ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد» التهمته حوادث بيروت عند البدء في طبعه ، كما التهمت تلك الحوادث أنفس منه ابني ومكتبتي .

وكان من آثار ابن عربي السيئة أنه بنى في مدينة حَجْرٍ قاعدة اليمامة سجن دَوَّارٍ، الذي طالما جأر شعراء ذالك العهد من شدة مايقاسيه المسجونون فيه من العذاب ، فقال أحدهم :

يـارَبِّ دَوَّار أنقِـذْ أهلَهُ عَجَـلاً وانْقُضْ مـرائِرَهُ من بعـد إبْرَام
رَبِّ ارْمِهِ بِخَرَابٍ ، وارْمِ بَانِيَهُ بِصَوْلَةٍ مِنْ أَبِي شِبْلَيْنِ ضِرْغَامِ

ويقول :

سجْنٌ يـلاقي أهله من خَوْفِـهِ أزْلاً ، وَيُمْنَـعُ مِـنْهُـمُ الـزُّوَّارُ
يُغْشَوْنَ مُقْـطَرَةً كَـأَنَّ عَمُـودَهَـا عُـنُقٌ يُـعَـرِّقُ لَحْـمَهَـا الْجَـزَّارُ

ويظهر أن ابن عربي كان يحمل ضغينةً وحقـداً على الشعراء منذ أن هجاه البَعِيث المجاشعي بقوله :

تَرَى مِنْبَرَ العَبْدِ اللَّئِيمِ إذَا بَدَا ثَـلاثَـةُ غِـرْبَـانٍ عَلَيْـهِ وقُـوعُ

وإذَنْ فلا يلام ابن البيلماني أنْ ياسى لما حدث منه ، ويلوم نفسه حين مَرَّ بالمدينة ، فأمكن عَدُوَّهُ من نفسه ، ولم يسلك الفجاج العريضة ، وهو خبير بفروجها ومسالكها ، إنه يقصد بقوله :

لعمـريَ إنّي يَـوْمَ سَِلْعٍ لَـلائِمٌ لِـنَفْسي ولـكِنْ مَـايَـرُدُّ الـتَّلَوُّمُ

لأنه كما ذكر ياقوت حمل إلى المدينة مأسوراً ، فلما مَرَّ بِسَلْعٍ قال ماقال :

ولا أرى أية صلة بين اليمامة وبين البصرة بالنسبة لطريق الشاعر ، فقد يكون حدث له ماحدث حين عاد من الشام ، إذْ هو ممن وفد على الوليد بن عبدالملك ، فاجزل له الحباء ، وطريق اليمن من الشام يمر بالمدينة أو بقربها .

أما الأبْيَاتُ التي غنت بها حَبَابَةُ وهي :

لَعَمْـرُكَ إنَّني لأحِبُّ سَلْعـاً لِـرُؤْيَتِهَـا وَمَنْ أَضْحَى بِسَلْعِ

فإنها من شعر قيس بن ذَرِيح الكناني صاحب لُبْنَى ، الذي كثيراً ماخلط بعض الرواة بين أخباره وأخبار قيس بن الملوَّحِ صاحب ليلى (المجنون) لتشابه قصة الشاعرين ، وقيس بن ذريح هو رضيع الحسين ، لا قيس بن الملوح ، كما جاء في إحدى الروايات المؤلفة عن المجنون .

وحَبَابَةُ كانت من مولدات المدينة ، وعاشت فيها في شبابها ، وكانت تسمى العالية ، وسماها حبابة يزيد بن عبدالملك حين ملكها ، وقصته معها معروفة ، حتى يقال : بأنه مات جزعاً عليها حين ماتت .

أما القول بأنَّ سَلْعاً قرية مبنية بالحجر وكونها قرية يدل عليه قول الشاعر : (تقر بقربها عيني) فجعلها مؤنثة ولم يقل : (بقربه) .

فندرك خطأ هذا حين نعلم أنَّ الضمير (بقربها) يعود على محبوبة الشاعر التي هي لُبْنَى والتي أحب الشاعر سَلْعاً لرؤيتها ، وأحبَّ من أَضْحى بسلع ، وقد كانت لُبْنَى وأهل الشاعر ممن يقيم في المدينة ، حيث جبل سلع الذي لايزال معروفاً .

وما أرى تَغَزُّلَ مِهْيَارٍ الدَّيْلَمِي وعمر بن الفارض بِسَلْعٍ إلا من قبيل تقليد المتقدمين بالتغني بما يحنون إليه من معاهد الأحباب ومواطنهم ، فكثير من المواضع التي ترد في شعر هذين الشاعرين على درجة من التباعد تحمل على الجزم بأنهما يُورِدَانِ أسماء مواضع لايعرفان مواقعها وإنما هو من قبيل التقليد والمحاكاة .

حمد الجاسر

الشاعر العرجى من عرج الطائف

أكرمني العالم الجليل الشيخ علي الطنطاوي ـ أكرمه الله وأدام له الخير والتوفيق ـ فذكرني في حديث أذيع في البرنامج الممتع «مسائل ومشكلات» يوم الاثنين غرة شهر شعبان ١٤٠٧ حين تحدث عن الشاعر العرجى فأحال من يريد معرفة الموضع الذي نسب إليه هذا الشاعر إليَّ . ولم أكن سمعت حديث عالمنا الجليل ، ولكن الأستاذ الكريم أحمد بن محمد الصايغ تحـدث في جـريدة «البلاد» ع ٨٥٤١ تاريخ ١٨ شعبان ١٤٠٧ بعنوان «أسماء ومواضع» فأشار إلى ذالك وأضاف : وبمراجعة كتاب معجم قبائل المملكة نجد أن هناك ثلاثة مواضع باسم العرج ، أحدها ناحية الليث والثاني أسفل الطائف والثالث من الأودية التي حول المدينة .

بقي معرفة أيها موطن الشاعر العرجى ياترى ؟

وبعد أن أوجه للأستاذ أحمد أطيب تحية للفت نظري إلى أمر كنت أتمنى أنني علمته مباشرة من حديث الشيخ علي الطنطاوي إلا أن عدم مواظبتي على استماع كثير مما يذاع حال دون ذالك .

وأراها مناسبة طيبة أحيِّي فيها قراء هذه الصحيفة الكريمة بكتابة كلمة حول ذلك الموضع الذي نسب إليه الشاعر عبدالله العرجي .

لقد وقع الخلط لدى كثير من العلماء المتقدمين في تحديد المواضع التي تسمى باسم العرج ، ومن هنا نشأ الخطأ في نسبة الشاعر العرجي إلى واحد من تلك المسميّات ولعله أشهرها وهو العرج الوادي العظيم الواقع في الطريق بين المدينتين الكريمتين مكة والمدينة .

ولا أريد الإطالة بإيراد أمثلة لما وقع من العلماء المتقدمين في ذالك ، اكتفى بثلاثة نصوص لعلماء أجلة يعتبر قولهم حجة في تحديد المواقع وفي اللغة ، أولهم الإمام الجوهري صاحب «الصحاح» والثاني ياقوت الحموي صاحب كتاب

«معجم البلدان» والثالث العالم اللغوي الفيروزآبادي صاحب كتاب «القاموس» .

فقد جاء في الكتاب الأول مانصه : (والعرج منزل بطريق مكة وإليه ينسب العرجي وهو عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان) .

وجاء في الكتاب الثاني : وقال ابن الكلبي : لما رجع تُبّع من قتال أهل المدينة يريد مكة رأى دوابَّ تعرج فسماها العرج ، وقيل لكُثيِّر : لم سميت العرج عرجاً ؟ قال : يعرج به عن الطريق ، وهي قرية جامعة في واد من نواحي الطائف إليها ينسب العرجي الشاعر وهو عبدالله بن عمر بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهي أول تهامة ، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً ، وهي في بلاد هذيل ، ولذلك يقول أبو ذؤيب :

هم رجعوا بالعرْج والقوم شُهَّدٌ هوازنُ تحدوها حماةٌ بطارق

انتهى كلام ياقوت ، وفيه كما يرى القارىء خلط بين موضعين : القرية التي في واد من نواحي الطائف وهي التي ينسب إليها العرجي الشاعر ، ولكنها ليست أول تهامة ، والمسافة بينها وبين المدينة تبلغ مئات من الأميال لا كما ذكر ٧٨ فذاك العرج الذي في الطريق إلى المدينة .

وجاء في الكتاب الثالث مانصه : (والعرج بالفتح : بلد باليمن وواد بالحجاز ذو نخيل وموضع ببلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة ، منه عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الشاعر) .

انتهى . ويظهر أن صاحب القاموس وقد أقام في الطائف زمناً وألف رسائل عن بعض قراه أدرك خطأهُ ، ولهذا لما ذكر العرج في كتابه «المغانم المطابة في معالم طابة» قال ــ ص ٢٥١ ــ ماملخصه : العرج اسم موضع بين الحرمين على ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة .

والعرج أيضاً باليمن قريب المَهْجَم .

والعرج أيضاً قرية جامعة في واد من أودية الطائف وإليه ينسب العرجي الشاعر

عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان وقد عرفت هذه القرية ومكانها في مسيري إلى جبل إبراهيم وهي على ثلاثة أميال من الطائف للراكب المجد . انتهى .

وقد أشرت إلى رجوع صاحب القاموس عن قوله الأول في كتاب «نظرات في كتاب تاج العروس» ص ١٣٨ .

قد يتساءل قارىء : وعلى أي أساس كانت نسبة الشاعر إلى الوادي الواقع في أسفل وادي الطائف والذي لايزال معروفاً ؟ ولهذا التساؤل محل .

لقد أوضح عالم الحجاز في عصره الزبير بن بكار فيما أورده عنه صاحب «الأغاني» (ج ١ ص ٣٨٥ طبع دار الكتب) إذ ساق بسنده إلى الزبير قال : حدثني عمي أنه انما لقب العرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف وقيل بل سمي بذلك لماء كان له ومال عليه بالعرج وكان من شعراء قريش . ثم نقل أخباراً كثيرة كلها تؤيد نسبة الشاعر إلى ذالك الوادي وصلته باناس ممن كانوا ينزلون في نواحي الطائف كقصته مع العبلي الشاعر الذي كان نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مكة والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف . وكلمة (ثلاثة أميال) صوابها : (ثلاث ليال) لأن الفتق على مقربة من موقع عكاظ كما حدده الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (ص ٢٥٨ و٣٤٠) وذكر أنه قرية خربت : وقال : إذا صليت بالفتق استقبلت المغرب فوقعت الطائف بينك وبين مكة .

وإذا تتبعنا المواضع التي ذكرها العرجي في شعره نجد كثيراً منها في نواحي الطائف وبعضها لايزال معروفاً ، ومن ذلك (الأزهر) فقد ورد في شعره :

يادار عاتكة التي بالأزهر أو فوقه بقفا الكثيب الأعفر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم ياليت أنَّ لقاءهم لم يقدر

وقد ذكر ياقوت هذا الموضع في «معجم البلدان» بما هذا نصه : الأزهر موضع على أميال من الطائف فيه قال العرجي . وأورد البيتين .

وقد تحدثت عن هذا الموضع في مجلة «العرب» س ١٤ ص ٤٦٣ بما خلاصته :

اني كنت في مدينة الطائف وكانت رعاية الشباب في تلك الأيام تهيء أمكنة بقرب موقع سوق عكاظ ، استعداداً لاقامة مهرجان سنوي فيه ، فخرجت صباح يوم أنا والصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد كمال ـ مؤرخ الطائف ـ ومررنا بالأخ الشريف محمد بن منصور ، وكان يسكن قرية الجال ، وهو من أعرف الناس بالمواضع بمنطقة الطائف .

• ثم اتخذنا قصدنا من مدينة الطائف وخرجنا منها من ريع العيسي ـ بكسر العين والسين المهملتين ـ وبعد أن قطعت بنا السيارة تسعة أكيال من ذالك الريع في اتجاهنا إلى الشمال ، مع الطريق المعبد جزعنا وادياً صغيراً قال لنا الشريف منصور : هذا الوادي وما حوله يدعى الأزهر . يقال: «رب صدفة خير من ميعاد» لقد اهتدينا إلى موقع كنا بحاجة إلى معرفته بدون أن نبحث عنه .

وإذن فإن الأزهر الوارد في شعر العرجي لايزال معروفاً ويقع على مقربة من الطائف بحيث لاتزيد المسافة بينهما على بضعة أكيال ، في الجهة الجنوبية يجزعه الطريق المعبد وهذا يتفق مع قول ياقوت : (على أميال من الطائف) .

وشهرة عرج الطائف الواقع أَسْفَلَ وادي وجّ تغني عن الإطالة بتحديده .

حمد الجاسر

الزلفـي وقـراه

بعث الأخ أحمد بن حمود الباتل من قراء هذه المجلة من بلدة الزُلْفِي بكلمة حول منطقة الزُلْفِي ملخصها : الزُلْفِي ـ بضم الزاي وإسكان اللام وكسر الفاء بعدها ياء ـ اسم يشمل منطقة واسعة في شمال هضبة اليمامة ، وفي الشمال من مدينة الرياض على مسافة تقرب من ثلاث مئة كيل ، والمنطقة تتكون من سهل منخفض خصب تقع فيه المدينة ، ويُحَدُّ غرباً بالنفود وشرقاً بجبل طُوَيْق ، ويمتد من الجنوب إلى الشمال بمسافة تقارب مئة وخمسين كيلاً ، وفي هذه المنطقة الخصبة تكثر المزارع وحدائق النخيل .

ومن المنطقة قسم يقع على سطح جبل طُوَيْق ، وتنتشر فيه البادية ، وفيه روضة

واسعة تدعى السَّبْلَة ـ بالسين والباء المفتوحتين بعدها لام فهاء ـ وعندما تجود الأمطارُ في هذه المنطقة تزدهر بالأعشاب والمراعي أما الجانب الجنوبي من منطقة الزُّلْفِي وهو النفود فإنه يمتدُّ غرباً إلى حدود الْقَصيم ، وتتخلل كثبان الرمال في هذا الجانب أراضٍ واسعةٍ منبسطة ، تنتشر فيها القرى الكثيرة التي يشتغل أهلها بالزراعة وغرس النخيل وزراعة الخضروات .

ويقارب عدد السكان في منطقة الزلفي سبعين ألف نسمة ، موزعين على عدد من القرى تبلغ أَرْبعاً وثمانين قرية .

وبلدة الزُّلْفِي وان كانت مجهولة التاريخ في القديم إلا أنَّ في بعض المؤلفات مايشعر بقدمها ، فقد أورد البكري في «معجم مااستعجم» في ذكر الزُّلَيْفَات : انه موضع في ديار بني تميم ، وأورد من شعر تَأَبَّطَ شَراً :

ولَابْنُ رِبَاحٍ بِالـزُّلَيْفَـاتِ دَارُهُ   رِبَاحُ بنُ سَعْدٍ والمعاديُّ مَعْقِلُ

كما أورد ياقوت في «المعجم» اسم زلفة لموضع أورد عليه شاهدين من الشعر ليس من المستبعد أن يكون المقصود به مايعرف الآن باسم (الزُّلْفِي) .

ومن المواضع المعروفة الواقعة في منطقة الزُّلْفِي :

سَمْنَانُ اسم قرية لاتزال معروفة قال فيها زياد بن منقذ العَدَوِيُّ :

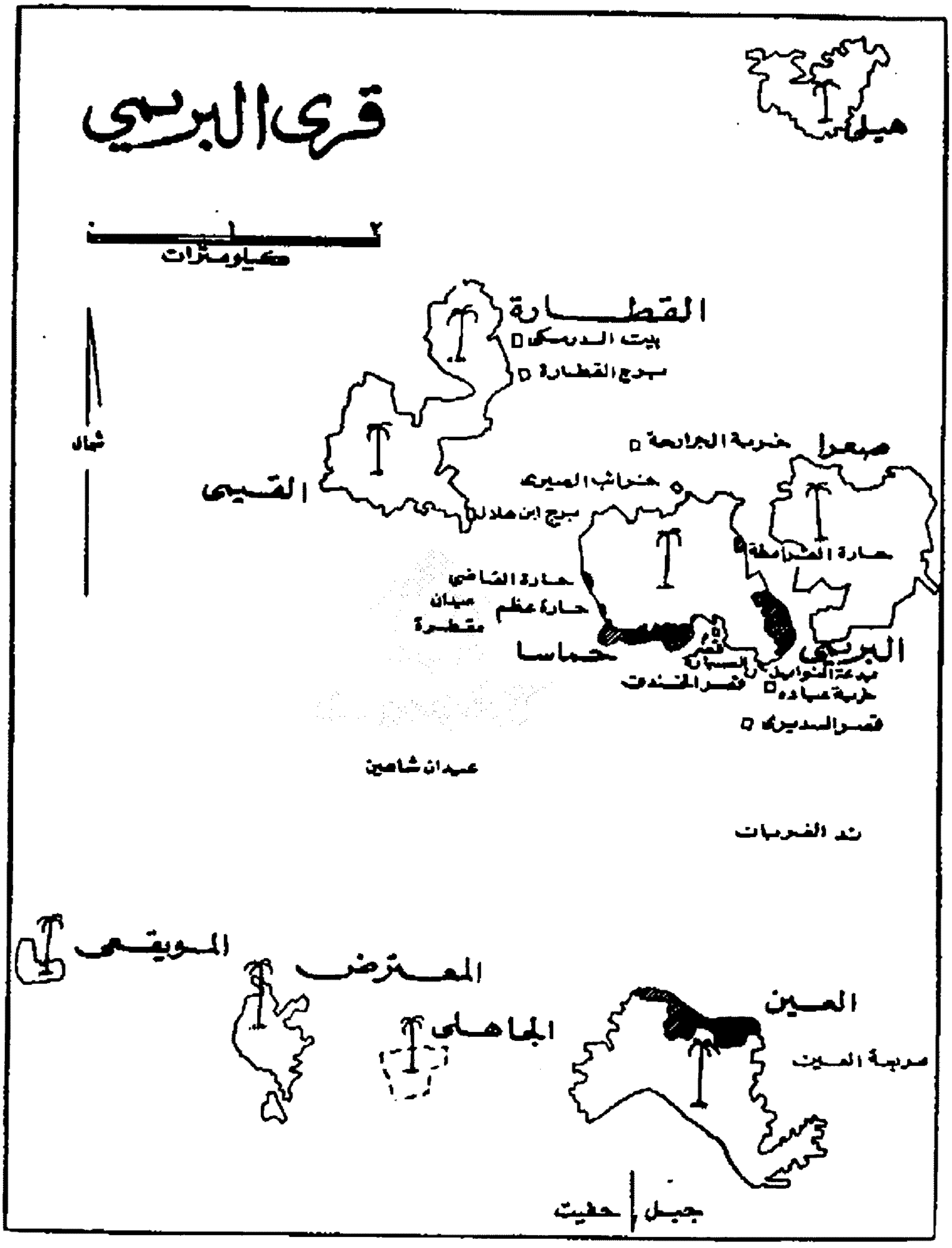
بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِي   جَرْدَاءُ سابِحَةٌ أَوْ سَابِحٌ قُدُمُ
نَحْوَ الْأُمَيْلِحِ أو سَمْنَانَ مُبْتَكِراً   بِفِتْيَـةٍ فِيهِمُ الْمَـرَّارُ وَالْحَكَمُ

وعُرَيْعِرَةُ وهو منهل في واد بهذا الاسم ذكره ياقوت وغيره وأورد شاهداً عليه من الشعر قول امرأة من بني مرة :

أَيَا جَبَلَيْ وادِي عُـرَيْعِـرَةَ الَّتِي   نَأَتْ عَنْ ثَوَى قَوْمِي وحُمَّ قُدُومُهَا
أَلَا خَلِّيَا مَجْرَى الْجَنُوبِ لَعَلَّهَا   يُدَاوِي فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ نَسِيمُهَا

هذا ملخص ماذكر الأخ أحمد بعد أن أضاف قلم تحرير المجلة مايوضح بعض جمله .

(انظر صفحة ٤٦١)


قرى البريمي
كيلومترات
شمال
هيلي
القطارة
بيت الدرمكي
برج القطارة
القسيمي
خرائب الصيرى
برج ابن هلال
صعرا
خربة الجارحة
حارة القرامطة
حارة القاضي
حارة عظم
ميدان
مقطرة
حماسا
البريمي
قصر المندث
خربة عباده
قصر السديري
عيدان شاهين
المويقعي
المعترض
الماهاي
العين
جبل حفيت

القريحاء من ضواحي مدينة سراة عبيدة

قال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» عند حديثه عن ديار جنب ـ ص ٢٥٢ طبعة دار اليمامة ـ وقريتا جَنْبٍ الكُبيبة لبني وَقْشَة، والقُرَيْحَاءُ حذاؤُها لبني عَبيدة، وصَنان غير صِنان خثعم. انتهى.

وقال عاتق بن غيث البلادي في كتابه «بين مكة وحضرموت» ـ ٧٢ ـ : والقريحاء اليوم تسمى القَرْحاء في بلاد عبيدة. انتهى.

وأقول: إنَّ القريحاء لاتزال معروفة بهذا الاسم في سراة عَبيدة، وعلى الوصف الذي ذكره الهمداني، وأما القرحاء التي أشار إليها البلادي فلم يَعُدْ لها ذكر في بلاد عبيدة لا شرقيها ولا غربيها، ولو أننا فرضنا أنها كانت قائمة على طريق محجة صنْعاء إلى مكة قرب الخنقة فإن ذالك لا ينطبق على القريحاء لكون الأخيرة تَبعد عن المحجة الرئيسة أكثر من خمسين كيلاً شرق سراة عبيدة ولكون الأولى لاتحَاذي شيئاً من قرى وقشة لا قديماً ولا حديثاً.

إن هناك قرية يقال لها القرحاء غرب سراة عبيدة بمساحة ٤٠ كيلاً في بلاد رُفيدة على الطريق المؤدي من خَميس مشيْط إلى نَجْران، وليس لها صلة بحديثنا إلا من باب العلم بالشيء ودَفْع الالتباس في المسميات، الذي وقع فيه كثير من كتاب تاريخ المنطقة.

هذا ويطيب لي قبل الحديث عن القريحاء أن أتحدث عن مدينة سراة عبيدة وجذورها التاريخية فأقول: إن سراة عبيدة كان يطلق عليها: سراة جَنْب، ومخلاف جنب، وبلاد جنب، وديار جنْب، وغير ذلك من المسميات التي تربطها بجَنْبُ. وجَنْبُ ليس اسماً لأب تنسب إليه قبيلة ولكنه اسم حلف كما تشير إلى ذلك كتب الأنساب، ويطلق حسب العرف المحلي على ثلاث قبائل هي عَبيدة وشُريف ـ بضم الشين ـ وبنو بشر، ولم يعد هذا المسمى مُتَداولاً إلاَّ في تهامة قحطان، حيث يوجد بها قبائل يجمعهم اسم جنب بن سعد، ولعل في

ذالك إشارة إلى محالفة جنب لسعد العشيرة . وقبائل عبيدة جنب إحدى أعضاء هذا الحلف قال الشاعر :

حنّا عَبيدة لا عبيدة غيرنا إلاّ عبيدة جَنْبْ وأهلَ بْرَادْ

إذَنْ هناك ثلاث قبائل تحمل مسمى (عبيدة)، عبيدة في نجد ومنهم الضّيَاغِمُ الذين هاجروا إلى حائل وماجاورها ، واستقروا فيها منذ القرن التاسع الهجري تقريباً وعبيدة أبراد الذين هاجروا إلى اليمن ، واستقروا في مأرب وماجاورها ، ولازالوا بها حتى الآن ويعدون من أكبر قبائل اليمن ، وأشدها بأساً . وعَبيدة جنب الذين يقطنون سراة عبيدة وماجاورها وكل هذه القبائل تنتسب إلى عبيدة بنت مُهَلهِل حسبما هو مشهور في كتب الأنساب وإنما تعددت الأسماء بحسب المواقع فقط .

وعلى مر العصور تلاشى اسم سراة جنب ليحل محله خَمِيس عبيدة ، نسبة إلى سوق أسبوعي كبير ، كانت تتولى حِرَاسة الأمن فيه قبيلتا آل الصقر وآل معمر ، من عَبيدة فكان له موقعان موقع لدى قبيلة آل معمر في قرية القريحاء التي هي موضع حديثنا وتقوم قبيلة آل معمر بحمايته ومنع حدوث أي أمر ضار كالاعتداء والثأر والسرقة والغش، مدة ستة أشهر، ثم ينتقل السوق بعد ذالك عند قبيلة آل الصقر في قرية آل عابس ، وبنفس المدة والمهمة ، وكان يَؤُمُّ السوقَ كثير من القبائل المجاورة وكان من الأسواق القديمة المشهورة ويقع بين مكاني السوق مسافة عشرة أكيال من مقره في القريحاء إلى مقرّه لدى آل عابس ، وكان المتسوقون والتجار يعانون من متاعب التنقل بين المكانين المذكورين، فاجتمعت القبيلتان المسؤولتان عن أمن السوق واتفقتا على تحديد موقع متوسط بين القبيلتين وفي قرية يسكنها بعض من قبيلة آل مُعَمِّر وبعض من قبيلة آل الصقر وهي قرية الْبُوطَة ويسكنها من آل الصقر جماعة أَلجُبَرَة وجماعة آل عُطَيَّة كما يسكنها من قبيلة آل معمر جماعة المحاميد وجماعة آل نُمَيلة ، واستقر السوق في هذه القرية على نفس المسؤوليات المذكورة من حيث رعاية الأمن وشاء الله بسبب هذا السوق أن تصبح قرية البُوطة نواةً لمدينة سراة عبيدة التي اتّسعت في هذا العهد الزاهر لتشمل

القريحاء وآل عابس ، وبعض قرى وقشة حيث توجد بها معظم الدوائر الحكومية منذ عهد الملك عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ الذي أسس بها محكمة شرعية وإمارة ، ثم توالى من بعد ذالك إنشاء جميع المرافق العامة التي أهلت مدينة سراة عبيدة لأن تكون قاعدة بلاد قحطان وثالث مدينة في منطقة عسير بعد أبها وخميس مشيط .

أما القريحاء التي هي موضوع حديثنا فهي تقع شمال مدينة سراة عبيدة ويحدها من الشرق الجبل الأسود الذي ذكره الهمداني وشبهه بجبال العارض في نجد ، كما يحدها من الشمال قرى قبيلة آل عائذ عبيدة أما من الغرب فتحدها قرى وقشة ، ومنها قرية الكبيبة التي سنلقي عليها الضوء بعد الكلام عن القريحاء . هذا وتبلغ مساحة هذه القرية خمسة وعشرين كيلاً مربعاً .

وأصبح تداول هذا الاسم محدوداً لدى كبار السن بسبب اتساع القرية وتكاثر سكانها فالسكان اليوم يزيدون على ألفي نسمة يسكنون عددا من القرى متفرعة عن القريحاء وكلهم من آل معمر على النحو الآتي :

١ ــ جماعة الغَلَقَة ويحاذون الجبل الأسود من الغَرب .
٢ ــ جماعة الزُّهْرة ويحاذون جماعة الغلقة من الغرب كما أنهم يحاذون وقشة من الشرق وفي قريتهم كان السوق المشار إليه والذي أصبح الآن مجمعاً للمرافق الحكومية في القريحاء .
٣ ــ جماعة الأشاعرة ولهم وطن في القريحاء ووطن في العِيْض مشترك بينهم وبين بعض من قبائل وقشة كما أن أوطان جماعة الزهرة والأشاعرة متداخلة ومتشابكة مع أوطان وقشة بحكم الجوار كما أنه يوجد ضمن القريحاء جماعة آل الورد وجماعة آل دريم وهم من آل مُعَمَّر أيضاً .

ويتوسط القريحاء جبل أسود منفرد يقال له العهار ، وحجارته صلبة رنانة ، ومن هذا الجبل إلى سلسلة الجبل الأسود الذي أشار إليه الهمداني حدباء منبسطة طولها كيلان اثنان تسمى حدباء حَام كما أن أعلى قمة في تلك السلسلة هي قمة جبل رندغ المسمى الآن جبل الزهرة ، ولعل في هذه الأسماء (رُنْدُغ ـالعهار ـ حَام) مايشير إلى جذور تاريخية قديمة بسبب العجمة التي وردت في هذه الأسماء

وإن كانت الأسماء لا تعلل . أما تضاريس القريحاء فأبرز مايميزها سلسلة الجبال السود الممتدّة من الجنوب إلى الشمال ، والتي تنزل سيولها لتغذي مزارع القريحاء عبر وادي السروي الذي ينحدر من جنوب قرى آل عابس جنوباً ثم يلتقي بوادي السرويّ الثاني الذي ينحدر من أعالي قرى وقشة فيتّجه شمالاً حيث يلتقي بأودية رفيدة وستران في اتجاه بيشة .

وبهذه المناسبة فقد وقع البلادي في وهم حين قال : إن أودية سراة عبيدة تتجه شرقاً حتى تصب في نجد نجران ص ٥٤ وفي الحقيقة ليس في بلاد قحطان قطرة ماء تصُب في وادي نجْران .

أما الحمرة والمنشر في بلاد سنحان فإن سيولها تتّجهُ شرقاً إلى وادي حبونا شمال نَجران وباقي بلاد قحطان تتجه سيولها إما إلى تَثليث أو إلى بيشة أو إلى بَيْش في تهامة .

ونعود إلى ذكر سلسلة الجبال السود فنقول : إنَّ ما سال سيله منها شرقاً فإنه يصب في وادي تثليث إما عن طريق وادي الخنقة ، وإما عن طريق وادي الجوف وهذه السلسلة تسمى القعم أو القُعُوْمَ مفردها قَعْمة ، وهي المقصودة في قول شهوان بن ضيغم .

لنا وَاْدِي ضَايِق بنا يَا آلْ ضيغَمْ ضَغِيْرْ ونَرْجِي منْ وراهَ الْفُوَايِدْ
من أسفله نَجْـدَ الحماذ يحدّنا والراس مَبْرِيُّ الْقُعُوم الْفـرَايِـدْ

وأرجو أن يتاح لي المجال للحديث عن وادي الضُياغم في مناسبات مقبلة .

وفي القريحاء كثير من الآبار القديمة التي ينسبها الأهالي إلى بني هلال فيقولون (بئر هلالية) وهي البئر المنحوتة في الصخر ، كما أن القريحاء تشتهر بخصوبة أرضها وقد كانت مصدراً للزبيب قبل حوالي مئتي سنة بدليل ماوجد من آثار تدل على ذالك في المنازل القديمة ، وتوزيع القطع الزراعية وذالك لتوفر الماء من الغيل الذي كان يسقي وادي الزهرة وهو عبارة عن عين جارية تستعمل في سقي الحقول عبر قنوات رَيٍّ وصرف ، لازالت آثارها قائمة ، مع أن هذه العين قد نضبت وأصبح الأهالي يعتمدون في مزارعهم على مياه الأمطار والآبار .

ويوجد في قرية الزهرة كثير من الأبراج لحماية قنوات الغيل والمزارعين الذين يعملون في الحقول ، وكانت أكثر حروبهم مع وقشة بحكم الجوار يقول شاعر وقشة :

من ضيمنا هَبْتُوا على الغَيل خندق ومن ضيمكم هبنا على القرن داير(١)

ولازال الخندق قائماً واضحاً لأنه منحوت في أرض صخرية على إمْتِدَادِ ثلاث مئة متر في مكان غربي الغيل ، يشكل خَطْراً على الوادي ، ولأن باقي الجهات يوجد بها مواقع طبيعية ومزارع تشكل عائقاً أمام فرسان الغزاة .

أما القَرْن فهو من قرى وقشة والمراد بالدائر السور ، فقد كان محاطاً بسور نظراً لصغر حجمه ، وسنتحدث عن وقشة لما لها من علاقة بموضوع هذا المقال ولأن القريتين الآن تتمتعان بحسن الجوار في هذا العهد الزاهر الذي خيم على الجميع بأمنه وإخائه وازدهاره ، والكُبَيْبة هي صنو القريحاء إلا أن القريحاء لبني عبيدة والكُبيبة لبني وقشة ، ووقشة فروع من رفيدة من قحطان الجنوب ، وليسوا من جنب كما أن مُسَمَّى الكبيبة قد اندرس تماماً حتى أنك إذا سألت عن الكبيبة لم تجد من يجزم بأنها تطلق على مكان كذا إلا أن من إضافتها إلى وقشة يتضح أنها إحدى قرى وقشة الحالية وهي : قَرْنُ وقَشَة والخُمْرة والجِزْعة لكن هناك من يقول من خارج القبيلة بأنها تطلق على الجبل المسمى (ظلم) وأنه كان يسمى الكبيبة لكنني أستبعد هذا الرأي ، وأرجح أن المراد بالكبيبة القرية التي تسمى الآن (قرن وقشة) وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ محاذاته لقرية القريحاء لبني عبيدة .
٢ ـ صلاحيته للسكنى لقلة ارتفاعه ووجود الآبار القديمة فيه .
٣ ـ إن جبل ظلم عظيم الارتفاع ولا يصلح للسكنى وليس به آثار تدل على أنه كان قرية باستثناء أثر برج واحد ربما كان يستعمل لإيقاد النار إيذاناً أو انذاراً بوجود حرب كغيره من الجبال إذ أنه من المعروف أن لكل قبيلة جبلاً تشب فوقه النار لاستنفار القبيلة وربما أنه يطلق على هذا الجبل الكبيبة وأن

قرية القرن قد سميت باسمه لاسيما وأنها لاتبعد عن الجبل سوى أقل من كيل واحد ، والجبل حتى الآن لبني وقشة بلا منازع ، إذ أنه يتوسط هذه القرى وهي تحيط به من الشمال والجنوب والغرب ، وأما من الشرق فيحده مدينة سراة عبيدة.

ولا ينبغي لي أن أنهي حديثي قبل الإشارة إلى صنان الذي ورد ذكره إلى جانب الكبيبة والقريحاء فالهمداني ذكر هذه المواقع لكونها على المحجة الفرعية من جرش حتى سروم والخنقة حيث المحجة الرئيسة طريق أصحاب الفيل الأثري ، وصنان يقع شرق مدينة سراة عبيدة على مسافة ٣ أكيال وهو أرض جبلية غير صالحة للسكنى والزراعة ويقطنه البدو وبصفة دائمة ، وتعود ملكيته لبعض قبائل آل الصقر ، ولا يوجد به من الآثار مايدل على أنه كان قرية في زمن الهمداني ، وربما كان محطة استراحة لقوافل الحجيج ونحوها ، وقد أنشأت الحكومة أيدها الله سداً في هذا الموقع تستفيد منه القرى التي تقع أسفل هذا السد ، بالإضافة إلى فائدته لسقيا المواشي كما يجلب منه الماء بواسطة السيارات لسقيا المزارع ولاحتياج العمران نظراً لقربه من مدينة سراة عبيدة.

وبهذا أرجو أن أكون قد أوضحت بعضاً مما يجب إيضاحه وكم أتمنى أن يطرح أمام القراء بعض هذه المسميات على غرار ما اتُّبِعَ من تحقيق موقع كُتْنَةَ وذالك لتتضح الصورة ، ويزول الالتباس بين المواقع التي تتشابه أسماؤها في هذه البلاد العزيزة والله من وراء القصد.

سراة عبيدة　　　عبدالله بن احمد ال ناجي

* * *

الحواشي :

(١) هبنا : جعلنا . داير : معناها : سور .

بنو رشيد وغطفان

علق الأخ عطا الله بن ضيف الله الرُّشيدي على مانشرته «العرب» ج ١ ، ٢ س ٢٢ (رجب/شعبان ١٤٠٧) ص ١٤٠ بتوقيع الأخ عبدالعزيز بن سعد العبدلي ــ علق الأخ عطا الله بكلام ملخصه : العتب على الكاتب عبدالعزيز من حيث أنه حاول نَفْيِ نِسْبَةِ بني رَشِيدٍ إلى غطفان .

وتحدَّث الأخ عطا الله عما يؤيد تلك النسبة مدافعاً عما أدْلَى به في مقاله الأول المثير لتعليق القاريء عبدالعزيز ، وكان مما استدل به عبدالعزيز أن ابن خلدون والقلقشندي لم يذكرا نسبة بني رَشيد إلى غطفان ، فعلق على هذا الأخ عطا الله بقوله : لادليل ولا حجة بعدم ذكر هذين المؤرخين لِنَسب بني رشيد ، فقد فاتهما الكثير من أنساب قبائل العرب التي كانت تَحِلُّ جزيرتها لبعدهما عن هذه الجزيرة ، وجهلهما بأنساب أهلها في العصر الذي عاشا به . وأضاف : إن القلقشندي كان فيما كتب ناقلاً لاقائلاً وأكثر تعويله على الحمداني الذي كان (مهمندارا) مدير ضيافة وكان مَعْنِياً بتدوين أسماء القبائل التي يفد منها وفود إلى حكام الدولة المصرية في عهده ، وماكل العرب كانت لها وفود إلى تلك الدولة .

وابن خلدون دَوَّنَ تاريخه في عصر كانت فيه الجزيرة العربية تَعِجُّ بالمنازعات القَبَلية ، وعدم الانقياد لأية سلطة تتولى فَرْضَ الأَمْنِ بين سكانها ، مما يجعل من الصعب ــ إن لم يكن من المستحيل ــ أن يحاول ابنُ خلدون أو غيره من العلماء جَوْبَ قِفَارِ الجزيرة للتنقل بين قبائلها لكتابة أنسابها .

ولهذا نجده حينما يتحدث عن القبائل العربية التي تحل في جزيرتها يأتي بعبارات تدل على جهله بحالة تلك القبائل ، ومن أمثلة ذالك قوله : أما بنو غطفان ، فبطن متسع كثير الشعوب والبطون ، منازلهم بنجد مما يلي وادي القُرَى ، وجبل طيء ، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية واستولت عليها طيء . ثم عدد بطون غطفان وقال: أما بنو أشجع فكانوا عرب المدينة وكان سيدهم مقعل بن سنان من الصحابة ، ومنهم نُعَيْمُ بن مسعود . . . الذي شَتَّتَ جموع

الأحزاب عن النبي ﷺ . . وليس لهذا العهد منهم بنجد أحد إلا بقايا حول المدينة . انتهى .

وأضاف الأخ عطا الله : من الواضح أن ابن خلدون حكم على غطفان بحكمين : الأول: حكم عام وشامل بتفرقها بلا استثناء ، واحلال طيء محلها . والثاني : حكم يناقض الحكم الأول ، وهو أن بقايا من قبيلة أشجع بقوا في منازلهم حول المدينة المنورة ، وهاؤلاء البقايا فيما ترجحه أوثق أقوال المحققين هم قبيلة (الذُّيَبَةِ) سكان الصلصلة والثمد جنوباً من خيبر ، فيما بينها وبين المدينة ، وتلك مواطن قبيلة أشجع منذ القدم ، أما عن بني ذبيان (فزارة ومرة وثعلبة) وبني عبس فشملهم بالحكم الأول وقل مثله في بني عبدالله .

وقد أجمعت أقوال المعنيين بعلم النسب في هذا العهد أن أولئك القدماء من غطفان هم هؤلاء المقيمون في عالية نجد وفي بعض السفوح الشرقية من حرة (سليم) .

وقال عن قبيلة فهم : فهم بطن متسع كانوا بأرض نجد . . وليس منهم الآن أحد .

قلت : مازال قسم من قبيلة فَهْمٍ القيسية ويعرف باسمها يعيش ويقيم في غرب السراة ، وآخر منها محالف لبني سُلَيم وهم بنو طرود .

وقال عن قبيلة بني سُليم : وكانت بلادهم في عالية نجد بالغرب وفي حرة خيبر ومنها حرة بني سليم ، وحرة النار بين وادي القرى وتيماء ، وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم .

قلت : لم ينزل الله على بني سليم ريحاً صرصراً ليقطع دابرهم كما مَرَّ بنا ، وبنو سُليم لايزالون يقيمون ويعيشون في جزء كبير من بلادهم ، ويعرفون باسمهم القديم ، ومنهم فروع دخلت في قبيلة حرب وأسر كثيرة متحضرة ، وليست حرة النار من معالم بلادهم .

وقال عن قبيلة هذيل : وقد تفرقوا على الممالك ولم يبق لهم حي .

ولست بحاجة إلى القول أن قبيلة هذيل لهذا العهد معروفة وتقيم في بلادها .

وقال عن هوازن : ولم يبق بالسروات منهم إلا من ليس له صولة .

قلت : هوازن جِذْمٌ عظيم يجمع بالنسب شعوباً وقبائل كثيرة ، منهم بنو عامر بن صعصعة وبنو جشم وبنو سعد وبنو ثقيف وغيرهم من الشعوب والقبائل ، مما لايتسع المجال لذكره ، وقد حكم ابن خلدون بأنهم جلوا عن منازلهم ، بحيث لم يبق فيها منهم إلا من ليس له صولة ـ سبحان الله ـ إن جل بطون قبيلة عتيبة الشهيرة ينتسبون إلى فروع معروفة من هوازن ، وبنو ثقيف معروفون في مواطنهم القديمة ، وقبيلة سُبيع عامرية من هوازن ، تنتمي إلى بني عامر بن صعصعة ، وغيرهم ممن هم اليوم معدودون في قبائل معروفة .

أما القلقشندي فهو وإن كان غطفاني النسب إلا أنه مصري المولد والنشأة ، ولهذا فهو لم يسجل في كتابه «نهاية الارب» جميع أنساب القبائل العربية التي تعيش في الجزيرة ، وأوضح الأدلة على ذالك أنه في كتابه المذكور ص ٣٣٨ و٣٤٠ حين ذكر بني عبدالله عَدَّ ثلاثة عشر بطناً من بطون العرب ممن يسمى ببني عبدالله ومع ذالك فقد فاته أن يذكر بني عبدالله بن غطفان وهم إخوته في النسب .

فهل يصح القول بأن ابن خلدون والقلقشندي ذَكَرا جميع أنساب القبائل العربية وأن نسب القبيلة إذا لم يرد في كتابي العالمين المذكورين لا أصل له ؟!

هذا ملخص ماعلق به الأخ عطا الله بن ضيف الله الرشيدي على الكلمة التي نشرت بتوقيع الأخ عبدالعزيز بن سعد العبدلي .

الكباكبة من هذيل

[ملخص رسالة بعث بها الأخ محمد بن علي الحتيرشي الهذلي]:

اطلعت على مانشر في مجلة «العرب» س ١٨ ص ٥٩ بقلم الأستاذ محمد جابر الحسني وخلاصته : ـ

١) الحوازم من حرب ولم يذكر متى دخلوا في حلف هذيل .

٢) القمشان قال: إن جدهم كان أميراً على مكة في زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز الذي احتل الحجاز عام ١٢١٨هـ وكان ذَا منزلة واسمه محمد القمشي.

يعني قبل عام ١٢١٨هـ لم يكن في الكباكبة قمشان واعتقد أنهم من قمشان مطير لمجرد تشابه اسم جدهم باسم قمشان مطير.

٣) المشاعلة قال هم من آل حميد من قحطان سكنوا نعمان منذ متي (٢٠٠) سنة.

٤) آل حسن وينتمون إلى الأشراف الحسينين سكان المغرب قدم جدهم يوسف بن اسماعيل الصالحي الحسني مع الجيش العثماني عام ٩٢٣هـ برتبة (باش جاويش) ثم اشترى بلاد تعرف باسم (ملاطم) شمال وادي نعمان عام ٩٥٧هـ من عمرو بن الحارث المناعي ثم حالفت ذريته من بعد قبيلة آل مناع ثم آل فضل أي إن الذين حالفوا ذرية (باش جاويش) يوسف بن اسماعيل الصالحي الحسني وليس هو وذالك بعد وفاته أي بعد شراء بلاده المعروفة باسم ملاطم عام ٩٥٧هـ ويفهم من ذلك أن أول من حالف الكباكبة هم آل حسن بعد عام ٩٥٧هـ ثم المشاعلة قبل متي سنة ثم القمشان بعد عام ١٢١٨هـ فماذا بقى من قبيلة الكباكبة المعروفة الآن غير العشائر التي عدها هو من هذيل وعشيرة الحوازم التي لم يذكر متى حالفت.

أقول وبالله التوفيق إن قبيلة الكباكبة كانت تعرف بهذا الاسم قبل هذه التواريخ التي ذكرها وأقدمها تاريخ شراء جده البلاد المسماة ملاطم عام ٩٥٧هـ فقد ذكر عبدالقادر الجزيري صاحب كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة» في أحداث عام ٩٦٠هـ ج ٢ ص ٩٢٣ ماهذا نصه (ومن الحوادث في هذه السنة غضب الشريف أبي نُمَيٍّ على أهل بجيلة فجهز لهم تجريدة حافلة من الدروع والبنادق، وثلاث عجلات وقيل خمس مدافع، لهدم حصونهم، وأمر عربان تلك الجهة هذيل والكباكبة وظهران وعدوان وصاهلة وبعيد ثقيف) الخ.. فقد عد قبيلة هذيل على وجه العموم ثم خص منهم

■ تهذيب الكمال في اسماء الرجال :

ألف الإمام الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي (٥٤٤/٦٠٠) كتاب «الكمال في معرفة أسماء الرجال» والمقصود بهم رجال الحديث من الأئِمّةِ المؤلفين فيه وحفاظه ورواته ، وأصبح ذالك الكتاب من أهم المراجع في موضوعه ، إلا أن مما أُخِذ عليه عدم الاستقصاء وعدم استيفاء جميع تراجم الأسماء التي ذكرها ، فتصدّى لتهذيبه وإكمال نقصه أجلة من علماء المحدثين من أشهرهم الحافظ يوسف بن عبدالرحمن المِزّي (٧٤٢/٦٥٤)، وقد تناول كتاب المزّي بالاختصار والتهذيب بعض مشاهير المحدثين من المتأخرين كالذهبي وابن حَجَرٍ وغيرهما .

أما كتاب «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المزي فقد نُشِرَ مصوَّراً في

الكباكبة وظهران ، والمقصود الظهوان بواو قبل الألف والنون وهم فرع من هذيل أهل نعمان وصاهلة وهي قبيلة هذلية قديمة معروفة .

ويظهر من كلام الجزيري ، أن الكباكبة كانت في ذالك العصر كبيرة ذات عدد وعدة ، وأنها تعرف قبل هذا التاريخ (٩٦٠هـ) بكثير فالكباكبة قبيلة هذلية موجودة قبل أكثر من خمس مئة عام ، ومعروفة قبل دخول العشائر التي قال إنها دخلت في حلف مع هذيل ثم عرفوا باسم جبل كبكب فمن المعروف أن الجبل يعرف بالقبيلة وليس بالعكس مثل جبل عوف وجبل صُبْح وهما قبيلتان من حرب وجبال بجيلة ، وسراة عسير ، وسراة عبيدة وغيرها من الجبال التي تعرف باسم القبائل التي تسكنها .

أما الكباكبة فهم يتوسطون بين هذيل الشام (الشمال) وهذيل اليمن (الجنوب) في بلاد آبائهم وأجدادهم حيث من المعروف أن قبيلة هذيل لازالت تسكن بلادها القديمة . هذا ماأردت الإشارة إليه مع التحية للأستاذ .

مكة : محمد بن علي بن هلال الحتيرشي

ثلاثة مجلدات ضخام عن مخطوطة محفوظة في (دار الكتب المصرية) سنة ١٤٠٢ (١٩٨٢) ، إلا أن كثيراً من صفحات المصورة اعتراها عدم وضوح ، يضاف إلى ذالك أن ضِخَم أجزاءِ الكتاب جعلت من الصعب سهولة اقتنائه .

ولقد اتجه الأستاذ رضوان دعبول لنشر الكتاب نشراً محققاً ، فعهد إلى الدكتور بشار عواد معروف إلى تحقيقه ، وضبط نصه والتعليق عليه ، فتم ذالك ، وقامت مؤسسة الرسالة التي يتولى الأستاذ رضوان دعبول إدارتها بنشره ، فصدر منه سبعة مجلدات تحوي من التراجم أول الكتاب ـ من حرف الألف إلى آخر حرف الحاء ـ بحيث بلغت الأسماء المترجمة (١٥٨٦) اسماً . ولاتزال الأجزاء تصدر متتابعة .

ويجد المطالع أسماء مصادر ترجمة كل من ذكر في هذا الكتاب مما يدل على الجهد العظيم الذي صرفه الدكتور بشار عواد معروف في إبرازه بصورة تستكمل منها الفائدة .

ولاشك أن الأستاذ رضوان دعبول في نشر هذا الكتاب وفي نشر كتاب «سير أعلام النبلاء» وأمثالها من الكتب التي نشرها اسدى يداً كريمة لطلبة العلم ، وأبرز من تراث السلف الصالح العلمي كنوزاً ماكانت تبرز لولا توفيق الله له وما أمده من عناية واهتمام .

وكتاب «تهذيب الكمال» هو الذي هذبه الحافظ ابن حجر في كتاب «تهذيب التهذيب» الذي طبع في حيدر آباد في الهند في اثني عشر مجلداً .

■ التكملة والذيل والصلة :

السيد محمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥/١٢٠٥) صاحب كتاب «تاج العروس من جواهر القاموس» تَتَبَّعَ في شرحه هذا مافات صاحب «القاموس» ذكره من المفردات اللغوية في كل مادة ، وأوردها بعنوان «المستدرك» ، وقد أفرد مااستدرك به من كلمات في كتاب سماه «التكملة والذيل والصلة ، لما فات صاحب القاموس من اللغة ، ومع أنه في «التاج» اورد جُلَّ مافي هذا الكتاب أو كله ، إلا أن إفراد ذالك المستدرك بكتاب قد يسهل للباحث إدراك الفائدة في أقصر ومن، ولهذا قام

مجمع اللغة العربية في القاهرة بنشر كتاب «التكملة» فصدر منه مجلدان يضم أولهما المستدرك من حرف الألف إلى نهاية حرف الجيم ، ويضم الثاني من حرف الحاء إلى نهاية حرف الراء وقام بتحقيق الجزءين الأستاذ مصطفى حجازي الذي كان مديراً عاماً لمجمع اللغة ، وهو الآن يشرف على طبع كتاب «التاج» في الكويت .

وصدر الجزءان مطبوعين في القاهرة بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦) .

■ **مسالك الابصار في ممالك الامصار** :

كتاب «مسالك الأبصار» لأحمد بن يحيى بن فضل الله ٱلْعُمَرِي (٧٠١/٧٤٩) من أشمل الكتب وأوسعها في مختلف العلوم والفنون ، وقد بُدِيءَ في نشر الكتاب سنة ١٣٤٢ (١٩٢٤) في مصر بتحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا فصدر المجلد الأول منه ثم توقف العمل . ومنذ سنوات اتجهت إحدى الجامعات في بلادنا إلى نشر الكتاب ، إلا أنه لم يصدر شيء من أجزائه من عمل تلك الجامعة فيما أعلم حتى الآن . وقامت مستشرقة تدعى دوروتيا كرافولسكي بنشر الجزء المتعلق بقبائل العرب فصدر ــ «العرب» س ٢٢ ص ١٤٤ ــ .

كما نشرت جزءاً آخر يتعلق بمصر والشام والحجاز لم أطلع عليه ، ولكنني اطلعت على هذا الجزء بتحقيق الأستاذ أيمن فؤاد السيد وهو عن ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، ويظهر أن القسم المتعلق باليمن أضيف إلى ماقبله بخلاف ترتيب الأصل ، وهو مما سبق أن قام الأستاذ أيمن بنشره مفرداً .

وقد اعتمد الأستاذ أيمن في نشر هذا الجزء على مخطوطات خمس وصفها في المقدمة ، وأضاف إلى الكتاب حواشي توضح غوامض كثير من الكلمات والجمل ، وجاء في طباعة حسنة بفهارس مفصلة في ٢٠٤ من الصفحات سوى المقدمة التي باللغة الفرنسية ، الواقعة في سبع صفحات .

وقد قام بنشر هذا الجزء (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة) ولم يذكر اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع .

٢٦١ - ٢٦٢

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص . ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩/١٠ س ٢٢ الربيعان ١٤٠٨ ـ تشرين ثاني/كانون أول (نوفمبر/ديسمبر) ١٩٨٧

لمحات عن :

جغرافية المملكة ، والمواضع التاريخية

[ضمن محاضرات معرض المملكة العربية السعودية بين الأمس واليوم الذي أقيم في القاهرة في الفترة مابين ١٤٠٧/١٠/٢١هـ حتى١٤٠٧/١١/١٤هـ (١٩٨٧/٦/١٧م ـ ١٩٨٧/٧/١٠م) ألقى رئيس تحرير هذه المجلة يوم ٢ ذي القعدة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧/٦/٢٩م) هذه المحاضرة]

لَعَلَّ الإِخْوَةَ المشرفينَ على تنظيمِ هذا المَعْرِض ، وقد أدركوا أنَّ المرءَ كُلَّما تقدمتْ به السنُّ تَضْعُفُ في نفسه البواعثُ والشهوات ، سوى شهوةِ الكلام ، نظروا إليَّ نظرةَ عطْفٍ وتقديرٍ فوقَ ما أستحق ، فأفسحوا لي هذا المجالَ الرَّحْبَ (جغرافية المملكة والمواضع التاريخية) لكي أُشْبعَ نَهَمِي من تلك الشهوة ، ولكنْ هيهاتَ ، لقد حال الجَرِيضُ دُونَ القَرِيض ، وأصبحتُ كما قال صَخْرٌ :

أَهُمُّ بِأَمْرِ الحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ . . .

وَلْنَحْمَدِ الله ـ أيها السادة ـ على كلِّ حال ، فلم يَمْنَحْنِي ـ يوما مًّا ـ من المعرفة مَا أُدِلُّ بهِ عَلَيْكُمْ ، إدْلاَلَ المُحاضر على طُلاَّبه ، ولم يَحْرِمْكُمْ منْ سَعَتِها ما يَسْمُو بكم عن مقاعد الدراسة ، فلا محاضرةَ تُتْلَى ، ولا معلوماتٍ مترابطةً منسقةً ، تكشفُ جوانِبَ مجهولةً من العلم ، ولكنها لَمَحاتٌ موجزةٌ ذاتُ صلة بالموضوع ، اسمحوا لي أنْ أُحادِثَكُمَ ـ أي أُشارِكُكُمُ الحديثَ فيها ـ فقد يكونُ مِنْ بينكم مَنْ هُوَ أَلْحَنُ بِالحُجَّة ، وأقْرَبُ إلى شَاكِلَةِ المحجَّة .

الأولى ـــ التدوين الجغرافي للمواقع التاريخية في الجزيرة :

المتتبع لما بين أيدي الباحثين من مؤلفاتٍ بالدراسة يُدرِكُ أنَّ أُولَى المحاولاتِ لتدوين المعلومات الجغرافية عن بلاد العرب ، قام بها علماءُ التفسير ، وشُرَّاحُ الحديث النبوي ، ومُدَوِّنُو مغازي الرسول ﷺ وسِيرَتِهِ ، لمحاولة إيضاح بعضِ الأمكنةِ التي جاء ذكرها في شيء من ذالك ، بما نقلوه عن علماء القرن الأول الهجري من أصحاب الرسـول ﷺ أو تابِعِيهم ، وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى مواضعَ تاريخيةٍ في بلاد العرب منها :

١ ـــ الأَيْكَـــةُ .
٢ ـــ الحِجْـــر .
٣ ـــ الـــرَّسُّ .
٤ ـــ الأَحْقَـاف .
٥ ـــ الأُخْدُوْدُ ـــ في نَجران .

وكلها في سياق الأخبار عن بعض الأمم الخالية .

٦ ـــ وبَـــدْرٌ .
٧ ـــ وحُنَيْنٌ . من مواقع غزوات المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وفي كتب التفسير نقولٌ كثيرةٌ في تحديد هذه المواضيع ، منسوبةٌ إلى كبار الصحابة كعلي وابن عباس ، وإلى مشاهير التابعين كقتادةَ وعِكْرمةَ والضحاكِ وغيرهم .

كما تَعَرَّضَ مؤلِّفو كتب سيرة المصطفى ﷺ ومغازيه لمحاولة تحديد مواقعها ، وكلُّ ذالك مما بُدِئَ بتدوينه في القرن الأول الهجري ، وبلغ حَدَّهُ من النُّمُوِّ والكَمال في القرن الثاني .

ومن هذا يتضحُ أنَّ بَدْءَ تدوينِ المعلومات الجغرافيةِ المتعلقةِ بجزيرة العرب كان ـــ في أول أمره ـــ ذَا صِبْغَةٍ دينية ، ولهذا جاءتِ المعلوماتُ غيرَ وافيةٍ بالغرض الذي يتطلبه الجغرافيُّ المتعمقُ في بحثِه ، فالقرآنُ والحديثُ يشيرانِ من إيراد الحادثة التاريخية إلى

مُجَرَّدِ العظةِ والعبرة ، ولا يسوقان الحادثة لمجرد كونها حادثةً تاريخية ، بل يكتفيان بذكْرِ مَكانِ العبرة والاتعاظ ، وسار علماءُ القرنِ الأول في إيضاح المواضع التاريخية على هذه الطريقة ، فجاء كلامُهُمْ في كثير من الأحوال أقربَ إلى الشمول منه إلى التحديد الدقيق للموضع التاريخي ، بل وقع في تحديدهم لكثيرٍ من المواضع اضطرابٌ شديدٌ ، وتصحيفٌ في الأسماء .

وفي القرن الثاني الهجري نجدُ طائفتَيْنِ من العلماءِ ، بالإضافة إلى علماء الدين ــ عُنِيَتَا بتدوين مايتعلق بأماكن جزيرة العرب .

١ ــ طائفة تفرغَتْ لدراسة تاريخ العرب ، وتسجيل أخبارهم وآثارهم ، وعلى رأس هاؤلاءِ محمد بنُ السائب الكلبيُّ ــ المتوفَّى في عام ١٤٦ ــ وابنه هشامٌ المتوفَّى سنة ٢٠٤ ــ وقد خلَّف هذانِ العالِمانَ ثروةً عظيمةً من المؤلفات التاريخية عن العرب ، ووصل إلينا منها قسم لا يستهان به ، في أربعة كتب هي كتابُ « الأصنام » و « كتابُ الخيل » وكتاب « جمهرة النسب » وكتاب « نَسَبِ مَعَدٍّ واليمن ، الكبيرُ » .

٢ ــ والطائفةُ الثانيةُ التي عُنِيتْ بدراسةِ مواضع الجزيرة وتحديد أماكنها : عُلماءُ اللغةِ والأدب ، فقد بدأ تدوينُ مفرداتِ اللغة في هذا القرن ، وشرع العلماءُ أوَّلَ ماشرعوا بجمع الشعرِ العربي ، ليتخذوا منه مادَّةً لدراسةِ اللغةِ ، واستخلاصِ قواعِدها من نحوٍ وصرف ، وترتيبِ مفرداتها ، وقد أدركوا أنَّ فَهْمَ هذا الشعرِ يحتاج إلى معرفة مواضع ماورد فيه من أسماءِ الأمكنة ، وقد كان الشعرُ ــ ومايزالُ ــ أوْسعَ سِجلٍّ حَفَلَ بِجُلِّ مافي الجزيرة من جبال وأودية ، وقُرى ومياهٍ ، ورياض وسهولٍ ، ورمالٍ وصحاري ، ومفاوزَ وقفارٍ ، فكان علماء اللغة والأدب يتلقون عن رواة الشعر ماحفظوه ، ثم يتلقفُون من أفواهِ الأعراب الذين يَفِدُون على الحواضر تَفْسِيرَ ذالك الشعر ، وتَحْدِيْدَ معانِيْهِ ، وإيضاحَ مواقِعِ الأمكنة الواردة فيه ، بل يرحلون إلى البوادي لكي يتلقوا ذالك عن سكانها ، حتى كان علماءُ اللغة من أهل البصرة يفاخرون علماءَ الكُوفة وبغدَادَ ــ وعلماءُ هذه الحواضر الثلاث هم أول من بدأ بتدوين هذه العلوم ــ فينقل ابنُ النَّدِيم عن ابن

دُرَيْدٍ قال : رأيتُ رجلاً في سُوق الوراّقِينَ في البصرة ، يَقْرأ « إصلاح المنطق » لابن السِّكِّيت ، ويُقَدِّمُ الكوفيّينَ ، فقلت للرِّياشيِّ ــ توفي ٢٥٧ ــ وكان قاعداً في الوراّقين ماقال ، فقال الرِّيَاشيُّ : إنما أَخذْنَا اللغة مِنْ حَرَشَةِ الضِّبَاب وأَكَلَةِ اليرابيع ، وهاؤلاء أخذُوا اللغةَ من أهل السواد ، وأَكَلَةِ الكواميخ والشواريز ــ الكواميخ : الأُدُمُ . والشواريز : الألبان الرائبةُ المستخرجُ ماؤها ــ والمعلوماتُ الجغرافيةُ التي وصلت إلينا من آثار علماء هذا القرن هي مانجده في تضاعيف كتب اللغة والأدب ، بدون ترتيب ولا تبويب .

وفي القرن الثالث الهجري بدأ التدوينُ الجغرافيُّ عندَ العرب ، ووصل إلينا من ذالك مجموعاتٌ على جانبٍ من الأهمية ، بحيث يصحُّ اعتبارها أصولاً لجغرافية جزيرة العرب ، ومراجِعَ استقىَ منها كلُّ من جاء بعد هذا القرن من علماء الجغرافية ، منها كتاب « جزيرة العرب » للأصمعي وكتاب « مناهل العرب » أو « بلاد اليمامة » لمحمد بن إدريسَ بنِ أبي حفْصة ، وكتاب « جبال تهامة وسكانها ومافيها من القرى » لعرام بنِ الأصبغ السلمي ، وكتاب « بلاد العرب » لِلُغْدَة الأصبهاني .

والأصمعيُّ أيها السادة ــ هو العالم اللغوي والأديب المعروف ، الذي ضرب بسهم وافر في كل نوعٍ من أنواع العلوم في زمنه ، وأسهم في تدوين علوم اللغة والأدب ، حتى بلغتْ مؤلفاتُه قريباً من خمسين كتاباً ، سرد أسماءها صاحب «الفهرست» وقد توفي سنة ٢١٧ وهو من قبيلة (بَاهِلَة) التي لاتزال بقيةٌ منها في مواطنها القديمة في عالية نجد ، وكتاب «جزيرة العرب» اطلع عليه ياقوتُ الحمويُّ برواية ابنِ دُرَيْدٍ عن عبدالرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه الأصمعي ، وقد نقل عنه البكريُّ وياقوت فأكثرا النقل ، ويَظْهَرُ للمتتبع للنقول الكثيرة التي أوردها أنَّ الأصمعيَّ استفاد في كتابه هذا من الأعراب الذين كانوا يفدون على الخلفاء في بغداد ، أو يأتون إلى البصرة ، وأضاف إلى ذالك معلوماتِهِ الخاصة أثناءَ أسفاره في الجزيرة ، وقد رَتَّبَهُ على أساسِ ذكر منازل القبائل ، فإذا ذكر منازِلَ القبيلة ومافيها من مياه وجبال انتقل إلى القبيلة التي تجاورها ، وقد أفاض

في الكلام على منازل القبائل التي كانتْ تسكن عاليةَ نجد ، كَأَسَدٍ وغَطَفَانَ ومُحَارِبٍ وسُلَيْمٍ وقَيْسِ عَيْلَانَ ، وبعضِ القبائل النجدية ، أما عن الحجاز فقد أشار إشاراتٍ موجزةً إلى بعض الأماكن الواقعةِ بقرب مكة فيما بينها وبين الطائف ، ولم يذكر شيئاً عن القسم الجنوبي من جزيرة العرب ، ولا عن الساحل الشرقي للجزيرة ، الأحساء ونواحيه سوى إشارات موجزة جداً .

وأما الحفصيُّ صاحب كتاب «مناهل اليمامة»[1] ، فاسمحوا لي ـ أيها الإخوة ـ أن أطيل الوقفةَ عند هذا العالم المغمور ، إنه محمد بنُ إدريس بن سليمان بن يحيى ابن أبي حَفْصة ، واسمه يزيد ، ويزيد هذا سُبِيَ مِن اصْطَخْرَ من بلاد فارس ، حينما فُتِحَتْ في عهد عمر بن الخطاب ، فاشتراه عثمان ، ثم وهبه لكاتبه ووزيره مروانَ بنِ الحَكَمِ ، وفي أثناء الثورة على عثمان رضي الله عنه ، دافع يزيدُ عن سيده مروانَ يوم الدار ، فأعتقه ، وزوجه جارية له ، كانت له منها بنت اسمها حفصة فحضنها يزيد ، وكُنِّيَ بها ، وحينما ولي مروانُ المدينةَ في أول العهد الأموي وَجَّهَ مولاه أبَا حفصة هذا إلى (اليمامة) وكانت في ذالك العهد مضافةً إلى أعمالِ المدينة ، لجبايةِ خراجها وحَمْلِهِ إليه ، وقد أقام أبو حفصة هذا في العَرْضِ (وادي الباطن) وتزوج مولاةً لبني عامر بن حنيفة في حَجْرٍ قاعدة اليمامة (الرياض) فَوُلِدَ له أبناءٌ تناسلوا وكثروا ، ونبغ من بينهم شعراء ، منهم مروانُ بن أبي حفصة ، ومروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، وحفيده مروان بن يحيى بن مروان الذي ولي اليمامة في عهد المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) وقد حظيتْ هذه الأسرةُ بسبب انتسابها بالولاءِ إلى بني أمية بتقديرِ خلفائِها الذين مَكَّنُوا أوائِلَهَا من الاستقرار في اليمامة ، وأسندوا إليهم جبايةَ خراجها ، ثم بعد أن نبغ منها أولئك الشعراءُ وفدوا على الخلفاء العباسيين ومَدَحُوهم ، ومدحوا وزراءهم من البرامكة وغيرهم ، فازداد نفوذُهُمْ وقوي مركزهم في هذا الإقليم[2] .

والمقتطفات التي حفظها لنا ياقوت الذي نقل عن الحفصي أكثر من ١٨٠ مرة في معجمه تحوي معلوماتٍ قيمةً عن الأماكن الواقعةِ في اليمامة ، كما تدل على تَمَكُّنِ ابنِ أبي حفصة من الأدب وسعة اطلاعه[3] ، ويَظْهَرُ أنَّ طريقَتَهُ في تاليف كتابه أن

يذكر البلدَ أو المنهل ، فإذَا وصفه ذكرَ أقربَ مكانٍ إليه ، وقد يَصِفُ الطُّرُقَ من اليمامة إلى مايجاورها من البلاد كطريق اليمامة إلى مكة ، وطريق حَجْرٍ إلى البصرة ، وطريق اليمامةِ إلى هَجْر ، وطريق البصرة إلى مكة(٤).

والمجموعة الرابعة التي وصلت إلينا من آثارِ أهل القرن الثالث الهجري في جغرافية جزيرة العرب كتاب «بلاد العرب» لأبي علي الحسن بن عبدالله الأصفهاني المعروف بِلُغْدَةَ .

وكتابه هذا جَمَعَهُ من أفواه الأعراب الذين يَفِدُوْنَ على أمراءِ اصْفَهان ، وقد يكون أصْلُهُ ماجمعه الأصمعيُّ ، مع إضافات يسيرة ، وقد رتَّبَ الأصفهانيُّ كتابَهُ ، بِحَسَبِ تجاوُرِ القبائل في منازِلها ، وقد يتخذُ من وصف طرق المدن ما يشذُّ به عن تلك القاعدة .

ومن هذا العرض الموجز لما وصل إلينا من آثار علماء القرن الثالث الهجري عن جغرافية الجزيرة يبدُو أنَّ المرحلةَ الأولى من مراحل التدوين بَدَأَتْ بجمع المعلوماتِ الجغرافيةِ كيفما اتفقَ الجمعُ بدون ترتيب .

ثم حاول العلماءُ أن يتخذِوا من تقارب الأَمكنِة طريقةً يسيرونَ عليها في ذالك كما في رسالة عَرَّامٍ ، وجاء آخرون فاتخذوا من القبيلة أساساً لجمع معلوماتهم عن المنازل والمناهل الخاصة بهذه القبيلة ، وبعدَ تَعْدَادِها ووصفِها ينتقلون إلى القبيلة الأُخرى التي تجاورها كالأصمعي والأصفهاني .

ولكنَّ ابنَ أبي حفصة ــ كما يفهم من كتابه وبما عرف من نصوصه ــ حاول أن يتحدث عن إقليمٍ واسع بِذِكْرِ قراه ومناهِله وجبالِه وأوديتِه وطُرُقِه .

وفي القرن الرابع الهجري تبدأ مرحلةٌ أخرى في التدوين الجغرافي حيث يحاول أحدُ علماءِ هذا الفنّ وَضْعَ مُؤَلَّفٍ شاملٍ لجغرافية جزيرة العرب ، ذالكم ــ أيها السادة ــ أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني اليمني في كتابه « صفة جزيرة العرب » .

ولئن بَرَّزَ أَبُو محمد فيما كتب عن بلاده ، فإنَّ نصيبَ غيرها من أقطار الجزيرة

لاتَعْدُو لُمَعًا موجزةً ــ باستثناء جنوب نجد المتصل باليمن ــ ومعلوماتٍ تَلَقَّفَهَا بدون تنسيق أوترتيب أو تثبت .

وعاصَرَ الهمدانيَّ عالِمانِ جليلان لهما أثرٌ واضحٌ في تدوين المعلوماتِ الجغرافية عن جزيرة العرب ، وإنَ لم يكونا من علماء الجغرافية ، أحدهما أديب والثاني لُغويٌّ .

فالأول : أبو علي هارون بن زكرياء الهجري ــ من هجر البحرين ــ وقد عاصر الهمدانيَّ واجتمعا في مكة حوالي سنة ٣٠٧ وكان الهجري مقيماً في المدينة يؤدب أبناء أحد أمرائها ، فكان يتلقى عن الوافدين إلى المدينة من أعراب الجزيرة نوادِرَ اللغة ، ويأخذُ عنهم علومَهم ، ويروي مايحفظونه من أشعارِهم ، ويسألهم عن حدود بلادهم وأوصافها ، فيدون جميع ذالك ، وقد وصل إلينا مما دونه الهجري معلومات قيمة(٥) ، منها مانجده في بعض المؤلفات القديمة منسوبا إليه ، ومنها ماحواه الجزء الباقي من كتابه المعروف باسم « النوادر والتعليقات » أو « نوادر الهجري » وهو كتاب سار فيه على طريقة من تقدمه من علماء الأدبِ الذين يتخذُونَ من الشعر مادّةً للعلوم من لغةٍ وأدبٍ ، وتاريخ ونَسَبٍ وغيرها ، وأورد في طَوايا ذالك فصولاً في تحديد الأمكنة ووصفِها ، على جانب عظيم من الدقة ، وحسبنا أن نشيرَ إلى الفصل الممتع الذي أورده أبو عبيد البكريُّ في تحديد حِمَى ضَرِيّة في « معجم ما استعجم » والذي يقعُ في أكثرَ من ثماني عشرة صفحة ، هو من كلام الهجري ، كما صرح بذالك السمهوديُّ المدني في كتابه « وفاء الوفاء » الذي نقل الفصل ملخصا عن كتاب الهجري مباشرة ، ونقل عنه أشياء كثيرة في تحديد المواضع .

والثاني : محمدُ بنُ أحمد الهرويُّ المعروف بالأزهري نسبة إلى جده أزهر ، صاحب كتاب « تهذيب اللغة » الذي عاش بين سنتي ٢٨٢ و٣٧٠ ، فقد سافر هذا العالِمُ إلى الحج في عام ٣١٢ وكانت بلاد العرب تحت سيطرة القرامطة ، ولما كانت قافِلةُ الحجيج التي فيها الأزهريُّ في الْهَبِير(٦) شَرْقِيِّ الدهناءِ ، هجمتِ القرامطةُ على القافلةِ فوقع في الأسر ، ولكن رُبَّ ضَارَّةٍ نافِعَة ، يقول الأزهري في مقدمة كتابه

المطبوع في ١٣ جزءا : وكنت امْتُحِنْتُ بالإِسَارِ سنة عارَضَتِ القرامطةُ الحجاجَ بالْهَبِير ، وكان القومُ الذين وقَعْتُ في سهمهم عربا عَامَّتُهُمْ من هوازن ، واختلط بهم أصرامٌ من تَمِيمٍ وأَسَدٍ ، نشأوا في البادية ، يتتبعون مساقِطَ الغيث أيَّامَ النُّجَعِ ، ويرجِعُونَ إلى أعْدادِ المياه إلى محاضرهم زَمَنَ الْقَيْظ ، ويرعون النَّعَمَ ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائِجِهِمُ التي اعتادوها ، ولا يكادُ يقَعُ في مَنْطِقِهم لَحْنٌ ، أو خطأ فاحش ، فبقيتُ في إسارهم طويلاً ، وكنا نَتَشَتَّى الدَّهْنَاءَ ونَتَرَبَّعُ الصَّمَّان ونَتَقَيَّظُ السِّتَارَيْنِ ، واستفدتُ من مخاطبتهم ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جَمَّةً ، ونوادِرَ كثيرةً ، أوقعت أَكْثَرَهَا في مواقعها من هذا الكتاب . انتهى .

ثم في القرن الخامس الهجري كان على رأس العلماء الذين عُنُوا بالمباحث الجغرافية عن الجزيرة العربية عالم ، عاش في الأندلس ، بعيداً عن هذه الجزيرة ، ولكنه أَسْدَى إليها يَداً كريمةً باتجاهه إلى جمع المعلومات الجغرافية التي تتعلق بها ، وترتِيبِها ترتيبا منظما ، يُيَسِّرُ للباحثين الاطلاعَ على تلك المعلومات بِيُسْرٍ وسُهُولة ، هو أبو عُبَيْدٍ عبدُ الله بنُ عبدالعزيز البكريُّ الأندلسيُّ المتوفي سنة ٤٨٧هـ مؤلف كتاب « معجم ما استعجم » من أسماء البلاد والمواضع ، وفي مقدمته قال : هذا كتاب ذكرت فيه جملة ماورد في الحديث والأخبار ، والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأمصار ، والجبال والآثار ، والمياه والأبار ، والدارات والحِرَار ، منسوبةً محدَّدَةً ، ومبوبةً على حروف المعجم مقيدة .

وقد صدَّرَ الكتابَ بمقدمة نفيسة عن تفرق القبائل العربية عن ابن الكلبي ، وابن شَبَّةَ وأبي الفرج الأصفهاني وغيرهم .

وفي هذه المقدمة تلخيص لكتاب ابن الكلبي « افتراق القبائل » أورد نصوصا مفرقة منه ياقوت في معجمه .

ومع ما لهذا العالم الجليل من يَدٍ طُوْلَى ، بما قَدَّمَهُ من علم غزيرٍ في هذا الكتاب إلا أنني لا أجد غضاضةً من القول بأن البكري ــ طيب الله ثراه ــ لِبُعْدِهِ عن

الأماكن التي ألّفَ كتابَهُ لتحديد موقعها ، ولكونه عَوّلَ على النقل من الكتب لم يسلمْ كتابُهُ من التحريف والتصحيف ، فوقع فيه الشيءُ الكثير منها ، بحيث لايستطيع المتثبِّتُ في البحثِ الاعتمادَ على كثيرٍ مما جاء في هذا الكتاب بدون الرجوع إلى غيره ، ويُضَافُ إلَى هذَا أنَّ البكريَّ ــ رحمه الله ــ قد ينقل نصوصاً طويلة عن كتبٍ قديمةٍ ، ولا يَنْسِبُ إليها ، كما فعل مع الْهَجَرِيِّ ــ كما سبق ــ ولم يذكره في كتابه هذا إلا في موضع واحد ، في مسألة لغويةٍ لا صلة لها بالموضوع الذي نقله من كتابه ، وكذا فعل مع الهمداني بنقله من « الإكليل » و « صفة الجزيرة » ــ ولم ينسب إليهما في بعض المواضع .

ومع كلِّ ذالك لا يسعُ الباحثُ المنصفُ تجاهُلَ ما لكتاب البكري هذا من قيمة علمية ، وما للبكري نفسِهِ من سعة الاطلاع التي مكنته من أن يُورِدَ جُلَّ مافي كتب الأدب واللغة ، وماذكره كثير من الشعراءِ المتقدمين من أسماء المواضع ، وأن يَضْبُطَها ضبطاً لغويا صحيحاً في الغالب ، ثم هو في كتابه هذا قد يكونُ أولَ من رَتَّبَ أسماءَ المواضع على حروف المعجم ، وتلك مَزِيَّةٌ لاتنكر فائِدَتُها ، تضاف إلى غزارةَ مادةِ هذا الكتاب بالنسبة إلى ما أُلِّفَ قبله في موضوعه .

ثم يأتي الزَّمَخْشَرِيُّ محمودُ بنُ عمرَ المفسرُ المعتزليُّ المعروف (٤٦٧/٥٣٨هـ) الذى وُلِدَ قبل وفاة البكريِّ الأندلسي بعشرين عاماً ، (من خوارزم في أقصى خراسان) فَيُجَاوِرُ في مكة ويقوم بتأليف كتاب «الجبال والأمكنة والمياه» ويسير على طريقة البكري في الترتيب على حروف المعجم ، ويخصص كتابَهُ هذا لمواضع بلاد العرب ، ويستقِي معلوماتِهِ من عالم من أبناء هذه البلاد هو السيدُ عُلَيٌّ بن عيسى ابن حمزة بن وَهَّاسٍ الحسني المكيُّ ــ المتوفي سنة ٥٥٦ .

وكتابُ الزمخشري هذا لايتجاوز أسماءُ المواضع التي أوردها فيه الألْفَيْنِ بكثير ، وهو مطبوع عدة مرات ، وميزةُ عملِ الزمخشري أنه تلقّى بعضَ مافي كتابه من معلومات عن أهل البلاد أنفسهم ، وفيها على إيجازها من الفوائد مالا يوجد في كلام كثير من الذين كتبوا عن المواضع ، وخاصة مارواه عن تلميذه السيد عُلَيٍّ في

تحديد المواضع ، فهي على غاية من الوضوح لِأَنَّ ابن وهّاسٍ هذا يتحدث عن خبرة ومشاهدة[٧].

وبعد الزمخشريِّ الذي توفي سنة ٥٣٨ ، لايجد الباحثُ شيئاً جديداً عن جغرافية جزيرة العرب ، سوى ماقام به العلامة ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي المتوفي سنة ٦٢٦هـ من جُهْدٍ ضخمٍ في تأليف كتابه العظيم ـ حين سُئِلَ سنة ٦١٥ عن ضبط اسم حُبَاشَة[٨] وهو أشهرُ سوقٍ قديم للعرب في تِهامة ، ورد في الحديث فقال : إنه بضم الحاء ، فانبرَى له رجلٌ من الْمُحَدِّثِينَ فقال : إنما هو بالفتح ، فجدَّ في البحث عن صحة الضبط ، ثم أُلْقِيَ في رُوْعِهِ ـ على حدِّ تَعْبِيرِه ـ افتقارُ الْعَالِمِ إلى كتابٍ في هذا الشأنِ مضبوطاً وبِالإتْقَانِ وتصحيح الألفاظِ بالتقييد مخطوطا ، فجمع «معجم البلدان» من تأليف من تقدمه من العلماء .

و«معجم البلدان» ـ أيها السادة ـ على غزارة مادته ، وجلالة قدر مؤلفه ، واحتوائِهِ على جُلِّ ماورد في كتب الجغرافية القديمةِ ، لايُضِيفُ جديداً في جغرافية الجزيرة العربية ، سوى ترتيبِ المعلوماتِ الجغرافية المتعلقة بها على حروف المعجم ، فياقوتُ المؤلفُ لَمْ يَأْتِ إلى هذه الجزيرة ، وماذَوَّنَهُ من معلوماتِهِ الخاصة عنها نادِرٌ جِداً ، ومع نُدْرَتِه فهو مَشُوبٌ بالأَخْطَاءِ ومن ذالك على سبيل التمثيل لا الحصر ، قوله عن (الْوَشْم) الإقليمِ المعروف في نجد : وأخبرنا بدويٌّ من أهل تلك البلاد أنَّ الْوَشْمَ خَمْسُ قُرَى ، عليها سورٌ واحدٌ من لَبِنٍ ، وفيها نخل وزرع لبني عائذٍ لآل مَزْيَد ، وقد يُتَفَرَّعُ منهم ، والقرية الجامعة فيها ثرمداءُ ، وبعدها شقراء وأُشيقر وأبو الرِّيْشِ والمحمدية ، وهي بين العارض والدهناء . انتهى . وفي هذا النص الموجز من الأوهام مايُرْبَأُ بقدر ذالك العالم الجليل عن تَقَبُّلِهِ على عِلاَّتِهِ .

١ ـ فالوشم إقليمٌ واسعٌ لايقلُّ طوله عن مئتي كِيْلٍ ، وعرضه يزيد على الخمسين .

٢ ـ وسكان الوشم ـ منذ القدم حتى العصر الحاضر ـ جلُّهُمْ بنو تميم ، ومعهم أَلْفَافٌ من القبائل الأخرى .

٣ ـ وموقعُ الوشم غَرْبَ العارض (عارض اليمامة المعروف الآن باسم طُوَيق) لاشرقه حيث تقع الدهناء .

وهو مع ذالك لم يَخْلُ من تصحيف كثير من الأسماء ، وقد يبلغ من شدة تحري المؤلف للصواب أن يوردَ ٱلاسْمَ مكرراً مختلف الحروف فاسم (رَنْيَةَ) قد يورده في (زِئْنة) و(زِبية) و(زَيْنة) بدون همز .

يضاف إلى هذا أنه قد فاته كثيرٌ من أسماء المواضع التي ذكرها المتقدمون ، ممن رجع إلى مؤلفاتهم ، ولكن مما لاشكَّ فيه أن هذا المعجم حفظ لنا ثروةً عليمةً ضاعتْ أصولُها ، ولولا عملُ ياقوتَ في معجمه لَخَسِرْنَا بفقدها جانباً مُهِماً من تراثنا العلمي .

وعن كتاب «المؤتلف وضعا، المختلف صقعا» لياقوت نفسه فما هو سوى معلوماتٍ موجزةٍ عن الأسماءِ التي يُسَمَّى بها أكثر من موضع ، اجتزأها من معجمه الكبير ، ومنها ماأوقعه اختلاف وصفِ الموضع في الوهم .

وقد يسأل سائل : وماذا عن «مراصد الاطلاع» لعبد المؤمن بن عبدالحق البغدادي الحنبلي (٦٥٨/٧٣٩) وهو مختصر معجم ياقوت ، الذي أعفاني من الإجابة بقوله ـ مستجيراً بالله من هذا العمل ـ : أنَّ المُخْتَصِرَ لكتابٍ كمن أقدم على خَلْقٍ سَوِيٍّ فقطَّعَ أطرَافَهُ ، فتركه أَشَلَّ اليدينِ ، أَبْتَرَ الرجْلَيْنِ ، أَعْمَى العينين .

الثانية : توقف الدراسات الجغرافية في هذا المجال :

مما تقدم يمكن استنتاج مايلي : ـ

١ ـ افتقار الباحث إلى مؤلف جغرافي يُعْنَى بتحديد المواضع التاريخية في جزيرة العرب وَحْدَهَا ، فكلُّ مؤلَّفٍ من المؤلفات التي تقدم ذكرها يتناول ـ في الغالب ـ ناحيةً أو نواحِيَ من تلك البلاد ويترك نواحِيَ أخرى . . .

٢ ـ أنَّ جُـلَّ المؤلفين المتقدمين لم يُدَوِّنُوا معلوماتِهِمْ عن خِبْرَةٍ ومُشاهدة ، بل

تلقوها من أفواه الرواة من الأعراب ، فجاءَتْ ناقصةً ، مشوبةً بالخطإ لنقلها عن مؤلفات دخلها التحريف والتصحيف .

٣ ــ أنَّ العلماءَ المتأخرِينَ عندما أرادُوا تهذيبَ تلك المعلومات وتصفِيَتَها وتَرْتِيبَهَا أعوزتهم المراجعُ الصحيحةُ المتقنةُ ، فنقلوا الأسماءَ على عِلاَّتِهَا في كثير من الأحيان ، ووقفوا أمامَها حائرين ، واْقرَأْ إنْ شِئْتَ في «معجم البلدان» ــ بعد كلام طويل عن (قَرْدَةَ): كذا ذكر جماعة من أهل اللغة ، ووجدتُ بخطِ ابْنِ الفرات مُقَيَّداً في غير موضع قَرْدة ، بالقاف ، وقال الواقديُّ : ذو اْلقَرْدَةِ من أرض نجد ، وقال ابنُ إسحاق : وسريةُ زيدِ بنِ حارثة الذي بعثه النبي ﷺ فيها ، حين أصابتْ عِيْرَ قُرَيْشٍ وفيها أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ على اْلقَرِدَةِ ماءٍ من مياه نجد . كذا ضبطه ابنُ الفرات بفتح الفاء وكسر الراء ، وقال غيرُ ابنِ إسحاق : هو موضعٌ بين المدينة والشام ، وقال موسَى ابْنُ عُقْبَةَ : وغزوةُ زيدِ بن حارثة بثنيَّة القردة ، كذا ضبطه أبو نعيم بالقاف ، قال : وهذا الباب فيه نظرٌ إلى الآن لم يتحققْ فيه شيء . انتهى .

وأتى الإمام المحدث محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ) فكرر في كتابه «ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع» قول الإمام الحافظ أبي نُعيمٍ أحمد بن عبدالله الأصفهاني (٣٣٦/٤٣٠هـ) وهو قولٌ ذُو مدلولٍ عميقٍ عن توقُّفِ الدراسات الجغرافية المتعلقة بتحديد المواضع التاريخية منذ عهدٍ مبكر ، وهذا يرجع إلى أنَّ جزيرةَ العرب وهي موطنُ تلك الدراسات ــ انعزلتْ عن اْلعَالَمِ مُنْذُ انتقالِ الخلافةِ الإسلامية منها إلى دمشقَ ثم الى بغداد ، فبقيتْ مهملةً من جميع النواحي ، فعادَتِ الحياةُ فيها إلى طبيعتها قبلَ اْلإسلام ، وهي الحياةُ القبليةُ المعروفةُ ، وكان من أثرها انتشارُ الفوضَى ، وعدمُ استتبابِ الأَمْنِ ، فَصَعُبَ الاسْتِقْرَارُ فيها لمواصلةِ تلك الدراسات ، وَضَعُفَتْ عنايةُ علمائِها وشُعَرَائِهَا بها ، ووجدوا في حواضرِ الخلافةِ مِنَ الاطْمِئْنَانِ وَرغدِ العيشِ ما حملهم على الاستقرارِ فيها .

الثالثة : قصور الدراسات المتقدمة :

إنَّ لعلماءِ السلفِ من الهيبة والإجْلاَلِ في النفوس ، ولهم من المنزلة العلمية مايوجب إسْدَالَ السِّتْرِ ضافياً على ماشابَ ما وصل إلينا من المعلومات التي دونوها في مؤلفاتهم عن تحديد المعالم التاريخية في الجزيرة .

لقدْ بَذَلُوا الوُسْعَ ، وقَدَّمُوا مااستطاعُوا تقديمه ، واعتذرُوا عما وقع منهم من تقصير ، مُفْصِحِينَ عن أسبابه غير مُجَمْجِمِينْ ، فياقوتُ قد جَأَرَ بالشكوى حين ذكر مؤلفات العلماء الذين تَصَدَّوْا لذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية ، من طبقة أهل الأدب كالأصمعي والهمداني والكندي والكلابي ، فقال في مقدمة معجمه العظيم عنهم: (فأسماء الأماكن في صحفهم مصحفة مغيرة ، وفي حَيِّزِ العدم مُصيرة ، قد مَسَخَهَا من نَسَخها) .

وبعده جاء الفيروزآبادي صاحب «القاموس» في كتاب «المغانم المطابة»(٩) حاذِياً حَذْوَ ياقوتٍ ، وسالكاً نَهْجَهُ ، فيما رسم ، فقال وقد أعجزَهُ تحديد موقع (فَدَكٍ) الواحة الواقعة في شرق واحة خيبر: (أين سقيفة بني ساعدة ؟ ، أَيْنَ ذُو الْحُلَيْفَةِ الذي لايُعْرف اليوم إلا ببئر علي ؟ ولو سماه أحدٌ ذَا الْحُلَيْفَةِ لكان كالمخترعِ له اسماً ، والْمُغَيِّرِ له لَقَبا ورسما .

وأغرب من ذالك أني سألت جماعاتٍ من أشرافِ المدينة الأُمَرَاءِ بها ، ومن الفقهاءِ والسُّوْقَةِ عن (فدك) ومَكَانِهَا فكلُّهُمْ عَنْ بَوَاءٍ واحِدٍ أجابُوا : بأنه لانعْرِفُ في بلادِنَا موضعاً يدعى فَدَك .

وهذه القرية لم تبرحْ في أيدي الأشرافِ والخلفاء ، يتداولونها ناسٌ عن ناس ، إلى أواخر الدولة العباسية) . انتهى .

إذَنْ فالأصولُ التي أمام الباحثين في تحديد المواضع التاريخية الواقعة في هذه البلاد ليست وافيةً ، وليس كلُّ مافيها من معلوماتٍ قائماً على أساسٍ صحيح ، ومؤلفوها معذُورُون أبلغَ العذر ، وجديرون بعظيم الشكر ، ورحم الله أحمدَ

شوقيٌّ إذْ يقول :

فَـإنَّـا لَمْ نُـوَفِّ النَّقْصَ حَتَّى نُـطَالِبَ بِـالْكَمَـالِ الْأَوَّلِـيْـنَـا

ومن هُنا لاغرابةَ إذَا وجدْنَا العلماءَ حين يتعرضون لتحديد موقع من تلك المواقع يسيرون سَيْرَ التَّائِهِ في صَحْرَاءِ المتنبي :

يَتَلَوَّنُ الْخِرِّيْتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَـا ، كَـمَا تَتَلَوَّنُ الْحِـرْبَـاءُ

لا أريدُ أيها الإخوة أن أغْرِقَ مسامِعَكُمْ بالرَّمِّ والطَّمِّ مما وقعَ في بعض مؤلفات المتأخرين من الاضطراب والخطأ والقصور ، وهم مع ذلك معذورون ، وبالشكر والتقدير حَرِيُّونَ ، واكتفي بتقديم أُنْمُوذَجَيْنِ من كتابينِ جليلينِ ، قد تدفعني هَيْبَةُ مُؤَلِفيهما إلى إجلالهم ، بعدم ذكر أسْمَائهم .

الأنموذج الأول : جاء في كتاب « المنتخب في تفسير القرآن الكريم » :

١ ــ ص ٢١٥ : (اتفق الثقات من أعلام المسلمين على أنَّ الأَحْقَافَ بأرض اليمن) . وفي ص ٧٤٧ : (وموقع الأحقافِ مختلفٌ فيه ، وبعضُ المؤرخين يذكرون أنه بين اليمن وعُمَان . . . وبعض المنقبين في الزمن القريب يَرَى أنه شَرْقِيُّ العقبة ، معتمدين على كتابات نبطية عثروا عليها في خرائِبِ مَعْبدٍ في جَبَلِ إرَم .

٢ ــ وفي ص ٥٣٦ : (وقد عبر الله عن قوم شعيبٍ مَرَّةً بأصحابِ الأيكة ، ومَرَّةً بأصحابِ الرَّسِّ) . كَذَا مع أن الله سبحانه وتعالى ذكر الأُمَّتَيْنَ في آية واحدة مما يدل على تَغَايُرِهِمَا ، فقال في سورة ق : ﴿ كذبتْ قبلَهُمْ قَوْم نُوحٍ وأَصْحَابُ الرَّسِّ وثَمُودُ وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لُوطٍ وأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ .

٣ ــ وفي ص ٢١٦ عن ثمود : (أما مساكِنُهم فالمشهور في كتب العرب أنها كانت بالْحِجْرِ ، بِمَدَائِنِ صالحٍ . في وادي القُرى ، وقد زارها الاصْطَخْرِيُّ وذكر أن بها بئرا تسمى بئر ثمود ، أما المسعودي فقد ذَكَرَ أنَّ منازِلَهُمْ كانتْ بين الشام

والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي) الخ . أليس هذا الكلام مما يوقع في الشك والحيرة ، والحِجْرُ معروف قبل زيارة الاصطخريّ وبعده ، وبئرُ ثَمُودَ بل آبارُهُمْ وَرَدَتْ في خبر غزوة رسول الله ﷺ ــ تبوك ــ « البداية والنهاية » ٥/١٠ .

٤ ــ وفي ص ٣٨١ : (أصحابُ الْحِجرِ هُم ثمود والحِجْرُ وادٍ بين المدينة والشام) .

ومثل هذا تحديد موقع الرَّسِّ ، ففي ص ٣٨ : (الرَّسُّ كما في « مفردات » الراغب هو وادٍ ، واستشهد بقول الشاعر :

وهن الوادي (؟) الرس كَالْيَدِ لِلْفَمِ

٥ ــ وفي ص ٣٢٢ : (أرضُ مَدْيَنَ واقِعةٌ بين شمال الحجاز وجنوبِ الشام ، وفيها مكان كثيف الأشجار يسمى الأيكة) .

٦ ــ وفي ص ٥٧٨ : (مَدْيَنُ قريةُ شعيب) .

وعلى هذه الأقوال فَمَدْيَنُ والأَيْكَةُ والرَّسُّ موضعٌ واحد ، وهذا من أغرب الأقوال .

الأنموذج الثاني : من كتاب « السيرة النبوية »[١٠] الذي ألفه عالم من أجلّ علماء المسلمين في هذا العصر ، وطبعه رئيس دولة عربية بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجري بعد أن صُحِّحَ من قبل الهيئة المعنية بشؤون الدراسات الدينية ، ووزع على المهتمين بدراسات السيرة النبوية في اجتماع عامٍّ ضَمَّ عددًا كبيرًا منهم ، جاء في هذا الكتاب مانصه : (وغزا رسول الله ﷺ بنفسه غزوةَ الأَبْوَاءِ ، وتُسَمَّى بُوَاطًا كذلك ، وهي أول غزوة غزاها بنفسه) .

ومعروف أنّ غزوةَ الأَبْوَاءِ غيرُ غَزْوَة بُوَاطٍ ، وأن بينَ الأَبْوَاءِ وبُوَاطٍ مسافة تبلغ مئاتِ الأميال ، فالأولُ يقع بين المدينة وبين مكة ، والثاني يقع شمال المدينة بما يزيد على ستين كيلا .

الرابعة - وفي هذا العهد الزاهر الميمون :

والآن بعد أن وهبَ الله بلادَنا من الأَمْنِ والاستقرار والازدهار ما تغبِطُنا به جميعُ أُمَمِ العالَمِ بدون استثناء ، وبعد أَنْ تعدَّدَتِ الجامعاتُ وتَنَوَّعَتِ الدراسةُ في مختلف العلوم واتَّسَعَتْ ، وتقدَّمَتْ وتطوَّرَتْ ، بتطور حياة هذا العالم ، متأثرة بمؤثراته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، سوى هذا الفرع من فروع المعرفة المتعلق بتحديد المواضع ، التي تعين معرفة مواقعها على فهم القرآن الكريم ، وأماكِن السيرة النبوية ، مع الإحاطة بمعاني النصوص اللغوية في مصادرها الأولى ، وهو الشعر القديم الذي كان مَهْدُهُ هذه البلاد .

ولكنَّ تباشِيْرَ الأملِ قد بَدَتْ في هذا العهد الميمون ، فلم تَقِفْ رعايةُ الدولةِ على ما تُنشيءُ من معاهدَ للعلم ، وجامعاتٍ ومراكزِ بَحْثٍ ودراسةٍ بل عمَّتْ وشَمَلَت .

وكان من أَثَرِ ذالك أن قامت وِزارةُ الإعلام بتوجيه من قائد الأمة المفدّى خادِمِ الحرمين الشريفين — أعزه الله ورعاه — برعاية القيام بتأليف معجم تاريخي جغرافي شامل ، دأبتْ مجلة « العرب » منذ إنشائها تدعو لتأليفه[11] ، وقد بَدَأَتْ بذالك بمشاركة بعض الإخوة، وحذا حَذْوَنا إخوةٌ آخرون، فكان من أَثَرِ ذالك أنْ شَمَلَتِ الدراسةُ جوانِبَ واسعةً من هذه المملكة السعيدة المترامية الأطراف ، فأصبح الباحث في هذا النوع من الثقافة يجد أمامَهُ أكثر من عشرين مجلدا[12] حاول مؤلفوها أن يقدموا خلاصة مشاهداتهم ودراساتهم مما يوضح مواقع كثيرٍ من المواضع التاريخية في هذه المملكة .

حمد الجاسر

الحواشي :

١ - كذا سماه ياقوت في مقدمة « معجم البلدان » حين عده من مصادره ، وفي رسم (روضة القطا) سماه « مناهل اليمامة »، وفي كتاب « المشترك وضعا ، المختلف صقعا » لياقوت سماه « كتاب اليمامة » في رسم (الخارجية) .

٢ — انظر مجلة « العرب » س ١ ص ٦٧٣ .

٣ — انظرها كلها في مجلة « العرب » س ١ ص ٧٦٩

كتاب وملاحظات :

الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري

الدكتور عفيف عبدالرحمن الأستاذ المساعد بدائرة اللغة العربية وآدابها بجامعة اليرموك بالأردن . بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨١ ــ ٦٦٣ ص

١ ــ هو جهد ولاشك ، ولكنه مما ينوء به باحث واحد من قطر واحد .

←

٤ ــ « معجم البلدان » رسم (الحنظلة ــ قرما ــ الخربة ــ روض القطا ــ الوحيد ــ المعا ــ الحفير) .

٥ ــ أفردتها في مؤلف دعوته « أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع » أغار عليه أحد (المُتَمَعْلمين) فـ (تَدَكْتَرَ) ــ انظر مجلة « العرب » س ١٦ ص ٣٢١/ ٤٨٥/ ٦٥٤/ ٨٠٧/ وس ١٧/ ص ١٠٣/ ٢٦١/ ٤٢٨/ ٥٨٤/ ٧٥٩/ ٨٤٢ وس ١٨ ص ٧٠/ ٢١٤/ ٣٨٢/ ٥٠١/ ١٠٦٢ وس ١٩ ص ٦٨ بعنوان (الدكاترة والعبث بالتراث) .

٦ ــ انظر عن تحديد هذا الموقع (قسم شمال المملكة) من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » وص ٢١٤ من كتاب « الجوهرتين » الذي حققته ونشرته ولايزال الموضع معروفا .

٧ ــ انظر مثلا (بُوانَة) : في كتاب الزمخشري ، و (الثَّلَبُوت) في « معجم البلدان » .

٨ ــ انظر عن تحديد موقع حباشة « العرب » س ٢٠ ص ٢٨٩ .

٩ ــ ص ٨٢ .

١٠ ــ ص ٢٣٨ .

١١ ــ « العرب » س ٢ ص ٤٨١ ، ٤٨٤ ذو الحجة سنة ١٣٨٧هـ .

١٢ ــ منها :

١ ــ مقاطعة جازان تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي في ٤٨٦ صفحة .
٢ ــ بلاد غامد وزهران للأستاذ علي بن صالح الزهراني في ٣١٦ صفحة .
٣ ــ عالية نجد للأستاذ سعد بن جنيدل (٣ أجزاء) في ١٣٩٠ صفحة .
٤ ــ بلاد القصيم للأستاذ محمد العبودي (٦ أجزاء) في ٢٦٣٢ صفحة .
٥ ــ شمال المملكة تأليف حمد الجاسر (٣ أجزاء) في ١٣٦٨ صفحة .
٦ ــ المنطقة الشرقية تأليف حمد الجاسر (٤ أجزاء) في ١٩٩٨ صفحة .
٧ ــ معجم اليمامة للأستاذ عبدالله بن خميس (جزءان) في ١٢٦٢ صفحة .
٨ ــ المعجم الجغرافي المختصر للبلاد العربية السعودية تأليف حمد الجاسر في ١٥٦٠ صفحة ، يحوي (١٦١٠٦) هي أسماء المدن والقرى والهجر والموارد في المملكة إلى سنة ١٣٩٥هـ مع مقدمة وافية عن الاقسام في المملكة (الإمارات) .

٢ ـ أدخل فيه علم البلاغة فزاد من تعقيد الموضوع ، والبلاغة علم مستقل لا بأس في أن يصنع فيه كتاب مستقل : الجهود البلاغية ... الخ .

٣ ـ أدخل كتباً هي خارج الموضوع ، وكأنه يعتمد على عنوانها أكثر من الرجوع إليها . ففي باب (جهود المستشرقين في تحقيق التراث اللغوي) يرد ص ٤١٠ : (ابن حجر العسلاني (يقصد العسقلاني) ٢٥١٩ ـ الدرر الكامنة ...) ومعلوم أن « الدرر الكامنة » كتاب تراجم « وطبقات » وعنوانه الكامل : « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » ولو كان الأمر كذالك ـ وما هو كذالك ـ لذكرنا « وفيات الأعيان » لابن خلكان بل « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » للسخاوي ... وهكذا .

ويرد ص ٤١١ (الدينوري ـ أبو حنيفة ١٥٣١ ـ « الأخبار الطوال ») وهو كتاب في التاريخ .

ويرد في باب (علوم البلاغة) ، ضيف ، أحمد ١١٣٣ ـ مقدمة كدراسة بلاغة العرب ، القاهرة ، مطبعة السفور ١٩٢١ ـ ١٨٧ ص) وماهو بكتاب بلاغة ولكن الدكتور أحمد ضيف يدعو لإحلال كلمة (بلاغة) محل (الأدب) فكتابه « مقدمة لدراسة أدب العرب ... »

ولوكانت المسألة مسألة اسم ، لطالبنا بكتاب « بلاغة العرب في القرن العشرين » (ط . القاهرة ١٩٢٤) والبلاغة منه في العنوان وليس في الدلالة والمحتوى .

على حين ذكر لجبر ضومط « الخواطر في المعاني والبيان » وصحيح العنوان بتمامه : « الخواطر الحسان في المعاني والبيان » ، وله طبعة بيروتية بعد الطبعة القاهرية التي ذكرها وحدها .

كما ذكر ص٢١٨ كتاب أحمد حسن الزيات باسم « دفاعاً عن البلاغة » والصحيح : « دفاع عن البلاغة » واكتفى منه بـ « ط ٢ . : ١٩٦٧م » ولم يذكر ط ١ (١٩٤٥) .

٤ ـ ورد في أعمال المستشرقين الفرنسيين ـ (هربلو (ت ١٦٩٥م ٢٩٠٠ ـ المعجم : دائرة معارف شرقية) لم يذكر مكان الطبع أو تاريخه ، ويحدث هذا له كثيراً بسبب من (ضخامة) البحث ، ولكنه غير صحيح .

ثم ان كتاب هربلو (أو أربلو) لم يكن بالعربية ، وإنما بالفرنسية . . وكان المفروض أن ينص صراحة على اللغة التي وردت عليها أعمال المستشرقين . . وما كان منها خصوصاً باللغة العربية وإلا ثبت بلغته .

٥ ـ في باب (التراث تحقيقه وشرحه ونشره) ص ١١٨ ـ فاته شروح لا تحصى للدواوين والمجاميع ، وإذا كان قد أغفلها عن عمد وذالك غير صحيح لأنه وضع لها عنوانا ، ولأنها أدخل بالجهود اللغوية من (البلاغة) . . . ولم يرد شرح لأي ديوان .

ومن أبسط ما يلاحظ أنه ذكر (الأخفش الأصغر ٤٠٢ ـ كتاب الاختيارين . . .) وفاته ـ فيما فاته ـ شروح « حماسة » أبي تمام .

٦ ـ ذكر في باب (المعجم العربي) ص ١٧٣ (الهلالي ، عبدالرزاق ٧٨٦ ـ معجم العراق ، بيروت ١٩٥٦م ـ في جزءين) ـ وما « معجم العراق » بمعجم لغة .

٧ ـ قلت إن العمل من (الضخامة) بحيث ينوء بحمله فرد ، وأقل مايعني هذا ما يتعرض له الكتاب من فوات ، وما يقصر دونه من حصر ـ ولا أريد ان أدخل لعبة (الاستدراك) تاركها للمؤلف نفسه ، ولمن يهمهم الموضوع مباشرة ، وإلا لذكرت ـ فيمن ذكرت ـ محمد سرور الصبان في كتاب « المعرض » ، و« اصلاحات في لغة الكتابة والأدب » لعبدالقدوس الأنصاري . . . وقس على ذلك . . .

وإذا كانت مصر مشهورة جدًّا ، وان محمود تيمور مشهور كذالك ، ورد في الكتاب مراراً . . . ولكن كتابه « معجم الحضارة » كم يرد كتاباً . . . مع أنه مطبوع في القاهرة ، المطبعة النموذجية ١٩٦١ .

وذكر لمصطفى جواد « قل ولا تقل » ولكنه لم ينص على أنه الجزء الأول ، وذكر له « فقه اللغة » ولا أحسب ان له كتابا مطبوعاً بهذا الاسم .

٨ ــ قلت اني لم أرد لنفسي أدخلها في (لعبة) الاستدراك ، لأن ذالك عمل قائم برأسه ومع هذا أقول إني لم أر بين المجلات التي رجع المؤلف الفاضل إليها مجلة « لغة العرب » التي كان يصدرها اللغوي المشهور الأب انستاس ماري الكرملي !!

٩ ــ وفي فهرس الأعلام تجد ص ٥٤٤ : أمين ، أحمد . . . وهويرد كذالك في صلب الكتاب ست مرات . والأمر غير صحيح لأن (أمينا) ليس اسماً لوالد أحمد ، أو لقباً لأحمد ، وانما الاسم (أحمد أمين) اسم واحد لشخص واحد هو أحمد أمين . . .

١٠ ــ الكتاب مرة أخرى ، مهم ، ولكن موضوعه ضخم لا يتحقق النجاح فيه إلّا إذا (توزع) العمل فيه مختصون باللغة من كل قطر . . . ومن ثم تجمع النتائج المجزّأة في كتاب واحد يقوم عليه (محرر) وليكن حينئذ الدكتور عفيف عبدالرحمن . .

أما الآن ، وقد قام الدكتور عفيف عبدالرحمن بقسط كبير ، فالمطلوب أن (يتنادىٰ) المختصون باللغة من كل قطر للاستدراك . : ليتحقق للكتاب طبعة جديدة مكتملة أو أقرب إلى الاكتمال . . أما إعادة طبع الكتاب ــ كما جرى فعلاً ــ باشراف مؤلفه وحده ، فلن يغير من الحقيقة كثيراً ، ولن يملأ الثغرات ويستدرك الفوات .

ويقال مثل هذا في أي موضوع واسع يتعدى حدود القطر الواحد ويفوق طاقة الفرد الواحد . . وإلّا جاءت الأعمال ناقصة وَوُصفنا بأننا لا نحسن العمل الجمعي ولا ندرك قيمة توزيع المهام . ثم مازلنا بعيدين جداً عن كُنْهِ (المنهج) معنىً ومبنىً . . وعما آلت إليه الأعمال (الواسعة) في العالم (المتحضر) منذ أيام ديدرو . . .

د. علي جواد الطاهر

مدن الواحة وقراها

لو ألقينا نظرةً من الجوّ على واحة القطيف ومدنها وقراها لترآى لنا شريطٌ أخضر ، يمتد على الساحل من الجنوب إلى الشمال ، ورأينا كُتَلاً بيضاء تتخلل هذا الشريط ، تارة تكون على مقربةٍ من الشاطيء ، وتارة متناثرةً في وسطه ، ونرى إلى الشمال من هذا الشريط قطعةً منفصلةً منه ، وأجزاء أُخرى صغيرة متفرقةً من الناحية الغربية ، وقطعةً أخرى تتوسط خليج (كيبوس)، وتقع في الجهة الشرقية .

أما الشريط الأخضرُ فهي الواحةُ ببساتينها الغنَّاء ، وظلالها الوارفة ، وأنهارها الجارية .

وأما البُقَعُ البيضاء التي تختلف في كبرها وصغرها ، والتي تتخلل هذا الشريط فهي مُدُنُها وقراها ، حيث تقع (سَيْهَات) على الساحل في الطرف الجنوبي ، تليها (عُنَك)، ثم مدينة القطيف ، أما القرى فتقع في قلب الواحة ، وهي (المَلَاّحَة) و(الجُشّ) و(أم الحمام) و(حِلَّةُ مُحَيْش) و(الجارودية) و(الخويلدية) و(التوبي) و(البِحَارِي) و(القُدَيْح) و(العَوَّامِية).

وأما الجزء المنفصل فهي مدينة (صَفْوَى) وواحتها والتي تفصلها عن الشريط سبخة صَفْوى ، وتقع إلى الغرب بعض الواحات الصغيرة .

(كأمّ الساهك) و(أبو معن) و(الدُّريدي) و(مشعاب) و(الآجام) وغيرها .

وأما الجزء العائم في وسط البحر فهي جزيرة (تاروت)، والتي تحولت إلى شبه جزيرة في الوقت الحاضر .

١ ــ مدينة القطيف

تعتبر هذه المدينة من أعرق المدن التاريخية ، وإذا أُطْلِق عليها اسم القطيف فهو

من قبيل إطلاق اسم الكل على البعض ، كما يطلق اسم الشام على دمشق ، ومصر على القاهرة ، فهذا الاسم يشمل جميع الواحة بما فيها من مدن وقرى ، شأنه شأن اسم الْخَطّ الذي يطلق على المنطقة الساحلية بأسرها ، وعلى هذه المدينة بالذات ، وذكر الطبريُّ بأن أردشير بن بابك (٢٢٢ ــ ٢٤١م) مؤسس الدولة الساسانية قد بنى مدينة بهذا الموقع ، وسماها (فسا اردشير)[١] وهي من جملة المدن التي بناها للتحصينات العسكرية ، وأعتقد أنها هي القلعة نفسها ، وتقول الرواية الفارسية : إن أردشير ابتنى هذه المدينة وسماها (بتن أردشير)، لأنه بنى سورها من جثث أهلها الذين شقُّوا عصا الطاعة ، فجعل سافاً من السور لَبِناً وسافاً جثثاً[٢]، وقد شاهدنا ونحن صغار بعضَ الجماجم في قلب جوانب السور المنهارة ، وسألنا كبار السن . فأخبرونا بأن السور بُنِيَ بجثث الأحياء . وهذا الخبر مصداق للرواية الفارسية ، وهي تدل على أنَّ تلك المدينة هي القلعة ذاتها ، وكما توحي بذالك الأسماء التي عَلِقَتْ بها حتى قبل ان تزال[٣] فـ(الدروازة) اسم فارسي كان يطلق على كل بَوابَةٍ فيها ، كما أن اسم (الخان) الذي هو بمعنى النُّزُل ، أو بيت الضيافة ــ كان يطلق على أحدِ أحيائها ، وهو الواقع في الجهة الغربية منها ، ويبدو من تخطيطها السابق أن البلاط الملكي كان يحتل الرقعة التي تتوسط القلعة ، يليه في الجانب الغربي الجنوبي قصور الضيافة (حارة الخان)، كما تقع حظائر المواشي في الجهة الغربية الشمالية (حارة الزريب)[٤]، وتحيط بالبلاط الملكى الحدائق الغناء ودوالي العنب[٥] بَدْءاً من مجرى (الكريدى)[٦] المجاور لجامع المنارة ، وانتهاءً بفريق الوارش في الجهة الشمالية .

وكانت مدينة الخط معروفةً حتى بعد ظهور الإسلام ، كما تحدثنا أخبار الرِّدَّةِ[٧] ولعل مركز الثقل انتقل إليها بعد أن دَمَّرَتْ عاصفةٌ هوجاءُ مدينة القطيف القديمة ، التي كانت تبعد عن الساحل بمسافة كبيرة ، فانتقل سكانها إلى هذا الموقع ، الذي يسمى بمحلة الصيادين سابقا ، فعمروه وأرخوا هجرتهم بكلمة (حجره)، أي سنة ٢١٦هـ[٨]، ثم تركزت هجرة السكان فيها بعد تدمير مدينة الزارة[٩]، أي سنة ٢٨٣هـ ، فغدت حاضرة لمنطقة الواحة بأجمعها .

ولمدينة القطيف مدخلان رئيسان ، أحد هما في الناحية الجنوبية ، وهو الذي يتجه إلى الدمام ماراً بعنك وسيهات ، وثانيهما من الناحية الشمالية حيث يخترق الواحة ماراً بالعوامية ، وصفوى باتجاه رأس تنورة والجبيل ، كما يوجد لها طريق ثالث يتجه غربا حيث يتصل بالطريق الصحراوي الرئيسي وهو المؤدي إلى قرية الأجام .

ومدينة القطيف تتألف من عدد من الأحياء القديمة والحديثة ، مُتَّصِلٌ بعضها ببعض ، فالأحياء القديمة كانت تعتبر سابقا بحكم الضَّوَاحِي ، لوجود فواصل وأسوار بينها وبين القلعة ، وهذه الضواحي هي الأحياء الموجودة الآن بمحاذاة شارع الملك عبدالعزيز ، وهي الشويكة ، والدبابية والكويكب ، والشريعة وميّاس والمدارس ، والجراري ، وباب الشمال(١٠)، وجميعها في منطقة السوق .

أما الأحياء الجديدة فقد امتدَّتْ من جميع الجهات ، لا سيما في الناحية البحرية ، وقد كان للانفجار السكاني بالاضافة إلى ازدهار الوضع الاقتصاديّ وإنشاء صندوق التنمية العقارية ، ومشروع تملك البيوت في (ارامكو) أكبر الأثر في امتداد العمران ، وانبثاق الأحياء الجديدة ، فالتهم العمرانُ البساتينَ المجاورة في أول الامر ، الشيء الذي دعا المسؤولين إلى أنَّ يضعوا له حَداً ، خشية على التهام الرقعة الزراعية ، فعمدوا إلى شق شارع المحيط غربا لتحديد الرقعة المسموح بها في البناء فانبثقت أحياء جديدة باسم البساتين التي الْتَهَمَهَا العمران ، كحيِّ البستان والبديعة ، وباب الساب ، والشماسية والوسادة والمدني ، والدويج والجعيل والشبيب والحر والفلاتية والامارة وغيرها وحين ضاقت تلك الرقعة عن استيعاب حركة العمران عمدت الدولةُ إلى دفن البحر ، فنشأت مناطق جديدة ، كالمنطقة البحرية الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، والدخل المحدود ، بالإضافة إلى مناطق بحرية أخرى دُفِنت ، وهي في طريقها إلى العمران ، كالمزروع ، وحي الحسين ، والناصرة والمنيرة ومشاري والتركية ، حيث اتصلت بجزيرة تاروت .

وتعتبر مدينة القطيف المركز الإداري لجميع مدن الواحة وقراها ، ففيها مركز الإمارة والشرطة وخفر السواحل ، والنجدة والمرور والمطافيء ، والهلال الأحمر ، ورئاسة البلدية ، ودائرة أملاك الدولة ، والمالية ، ومكتب الضمان الاجتماعي ومكتب الشؤون الاجتماعية ، وفيها فرع لوزارة الزراعة ، والبنك الزراعي ، ومندوبية لتعليم البنات ، وفيها مستشفى مركزي حكومي ، ومستوصف للرعاية الصحية ، وعدد من المستوصفات الاهلية ، والعيادات الطبية ، ومركز للتدريب المهني ، ومعهد للمكفوفين ، ومدارس للبنين ، منها ١١ مدرسة ابتدائية وثلاث متوسطة ومدرسة ثانوية عامة ، ومدرسة ثانوية تجارية ، ومدارس لتعليم البنات ، منها ١٢ مدرسة ابتدائية وثلاث متوسطة ، ومدرستان ثانويتان ، ومعهد تمريض ، وآخر للخياطة ، كما يوجد فيها نادٍ رياضي ثقافي ، وجمعية خيرية ، وروضتان للاطفال .

وتتركز فيها أيضا الحركة التجارية ، حيث يوجد فيها عدد من فروع البنوك التجارية كبنك الرياض والأهلي التجاري ، والبنك العربي الوطني ، والبنك السعودي البريطاني ، والبنك السعودي الفرنسي ، والبنك السعودي الهولندي ، وبنك القاهرة السعودي ، وعدد من مكاتب الصرافة ، كما يوجد فيها عدد من الورش والمصانع للحدادة ، والألمنيوم ، والطابوق والبلاط والخلطة الجاهزه .

٢ ــ سيهات

بفتح السين ، وهو من الأسماء القديمة ، كقدم تاريخ هذه المنطقة ، وله نظائر من أسماء البلدان في الخليج العربي كقلهات وبنكات ، وهي تقع على الساحل مباشرةً على طريق الدمام ، وعلى بعد أربعة أكيال من مدينة القطيف ، وقد أكسبها موقعها (استراتيجية) مهمة ، فنمت نمواً سريعا ، فانتشر فيها العمران ، وتحولت هذه القرية إلى مدينة كبيرة ، حتى اتصلت من الناحية الجنوبية بالدمام بعد دفن البحر ، أما من الناحية الشمالية فاتصلت بعنك ، وفي الجهة الغربية تقع سيحتها المسماه باسمها ، فتحميها من رمال الصحراء[١١] .

ويرى الاستاذ الشيخ حمد الجاسر أن هذه البلدة أقيمت على انقاض بلدة أقأن[١٢] التي ذكرها المسعودي في كتابة التنبيه والاشراف[١٣] وقد حاولت التقريب بين وجهة رأيه وبين النص فلم أره ينطبق على الموقع ، ووجدته بعيدا كل البعد .

وبحكم موقع هذه البلدة كان لها تاريخ سياسي حافل ، لاسيما في القرن الثالث عشر الهجري ، وكانت من المدن المهمة المزدهرة منذ القدم ، وقد تغنى بها الشاعر جعفر الخطيُّ المتوفى سنة ١٠٢٩هـ .

هَلاَّ سَأَلْتَ الرَّبْعَ مِنْ سَيْهَاتِ   عَنْ تِلْكُمُ الْفِتْيَانِ وَالْفَتَيَاتِ
وَبِجَرِّ أَرْسَانِ الْجِيَادِ كَأَنَّهَا   فَوْقَ الصَّعِيدِ مَسَارِبُ الْحَيَّاتِ
حَيْثُ الْمَسَامِعُ لاتَكَادُ تُفِيقُ مِنْ   تَرْجِيعِ نُوتِيٍّ وَزَجْرِ حُدَاةِ

وحتى في أوائل هذا القرن كانت مزدهرةً اقتصاديا ، فقد وصفها لوريمر[١٤] بأنها أغنى منطقة في الواحة ، تملك ثلاثين قاربا لصيد اللؤلؤ ، وتتكون من ٦٠٠ منزل ، منها ٤٠٠ داخل السور، و ٢٠٠ كوخ تقع خارجه ، وتملك حدائق النخيل .

وفي أيام ازدهارها كانت تُلْحَقُ بمركزها جملةٌ من القرى كالظهران ، وقد سمعت عن وثيقة قديمة تتضمن تملّك أحد مواطنيها نخلا بالظهران وموقعة من قاضيها التابع لسيهات .

غير أن هذه المدينة ضعفتْ أخيراً بفعل الغارات المتتالية عليها التي شنها الغزاة ، فتحولت إلى قرية فيما بعد ، ولكنها بعد اكتشاف النفط انتعشت من جديد ، وازدهرت اقتصاديا ، واتسع عمرانها ، بسبب انفتاحها وقربها من الدمام ، وأصبحت من المدن المهمة ، ونشأت فيها أحياء جديدة كحي الفردوس ، وحي السلام وحي النمر .

وتبعا لتقدمها العمراني اكتسبت أهميةً ، فأُنْشِىءَ فيها مركزٌ للإمارة ، وآخر للشرطة والمرور ، وتتبعها أربع قرى في الوقت الحاضر ، ومجموع سكانها وصل إلى ٢٢٣٣١ نسمة[١٥] .

وفيها الآن اربع مدارس ابتدائية للبنين ومدرستان متوسطتان ومدرسة ثانوية ، كما يوجد فيها للبنات سبع مدارس ابتدائية ومتوسطتان وثانويتان ، وفيها أيضا مستشفى حكومي ، وعدد من المستوصفات والعيادات الأهلية ونادٍ رياضي ثقافي ، وجمعية خيرية ، تعتبر من أنشط الجمعيات في المنطقة الشرقية ، وروضة أطفال ، ومطبعة وفرع لبنك الرياض ، وفيها حركة تجارية نشطة ، ومقاولون ورجال أعمال ، وعدد من الورش والمصانع لعل أهمها مصنع للورق (النايلون).

٣ ـ عُنَك :

بضم أوله وفتح ثانيه ، وهو من الأسماء المرتجلة كما يقول ياقوت الحموي ، أي التي لاترجع إلى اشتقاق لغوي .

ويبدو أنه من الأسماء الكنعانية الموغلة في القدم كسيهات ، وتاروت وتوبي ، وغيرها من الأسماء القديمة التي حافظت على صيغها الأصلية ، والتي لها نظائر في القطيف ومنطقة الخليج .

ويرى الاستاذ حمد الجاسر أن اسمها مشتق من عنك الرمل تعقد وارتفع ، وعناك الرمل الكثير[١٦] ـ ولا أعتقد ان هذا الوصف ينطبق عليها كما رأيناها ـ فالتلال الرملية فيها كانت ضئيلة جدًا ـ وهي المرتفعات التي يعتقد فيها انها تخفي تحتها أنقاض المدينة التاريخية ، وعلى العموم فهي واقعة في أرضٍ سبخة ، تقع على البحر مباشرةً ، وتحيط بها الواحة من جميع جهاتها الأخرى .

وعُنَكُ مدينة قديمة ، تتمتع بشهرة تاريخية ، ذكرها المسعودي في كتابه «التنبيه والإشراف»[١٧] فوصفها بأنها من مدن القطيف ، وفيها يقول الراجز

طَعْنُ غُلَامٍ لَمْ يَجِئْكَ بِالسَّمَكْ   وَلَمْ يُعَلَّلْ بِخَيَاشِيْمِ عُنَكْ

كما ذكرها الشاعر جعفرُ الخطيُّ

فَسَقَى الْغَمَامُ إِذَا تَحَمَّلَ رَكْبُهُ   تِلْكَ الرِّحَابِ الْفِيْحِ وَالْعَرَصَاتِ
وَاجْتَازَتِ الْمُزْنُ الْعِشَارُ فَطَبَّقَتْ   بِالسَّقْيِ مِنْ عُنُكٍ إِلَىَ بَنَكَاتِ

ويُسْتَدَلُّ على ما حولها من مرتفعاتٍ وآثارٍ عمران قديم على بقايا تلك المدينة المندثرة ، كما يوجد فيها قلعةٌ برتغالية على البحر ، اتخذهآ الأتراك مقرًّا لحاميتهم ، ومركزا للضبطية تعزيزا لحاميتهم في القطيف(١٨).

ولكن هذه المدينة تضاءل حجمُها أخيرا ، وتحولتْ إلى حيٍ صغير ، يتكون من ٢٠ منزلا ، تسكنه عائلة العْلَيْوَات ، التي تمتهن صيد الأسماك ، وهي كما رأيناها ــ طبقا لما وصفه لوريمر في أواخر القرن التاسع عشرَ ــ حيٌّ صغير على الساحل ، وخلال أشهر الصيف يقطن بجوارهم أناس من بني خالد ، ومن بني هاجر ، ومعهم قليل من آل مُرّة والعُجْمَان(١٩) ، وعند حلول فصل الخريف يرحلون إلى الصحراء هربا من الحُمَّى ، التي كانت منتشرةً في القطيف .

وتقع عُنَكُ على بعد ستة أكيال من مدينة القطيف وخمسة أكيال من سيهات ، إلّا أنَّ هذه المسافات تضاءلتْ هذه الأيام بعد امتداد العمران ، فاتصلت بمدينة سيهات ، والميل الذي يفصل بينها وبين مدينة القطيف في طريقه إلى التلاشي ، وقد ساعد على انتشار العمران فيها وقوعُهَا على طريق الدمام الرئيس ، بالإضافة إلى الكثافة السكانية من القبائل التي استوطنتها ، وعلى رأسهم بنو خالد ، وقد كانوا قبلا يَحِلُّونَ فيها صيفا ، هربا من لهب الصحراء ، وتتحول إلى قاع صفصف خلال بقية فصول السنة ، وحين تحضروا امتلكوا أراضيها وعمروها ، وأقاموا فيها بصورة دائمة ، فابتنوا البيوت والدارات (الفلل) والعمارات ، كما تطورت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية من بَدْوٍ رُحَّلٍ يمارسون رَعْيَ الأغنام والإبل ، إلى الاشتغال بالأعمال المدنية من تجارة ومقاولات ، ووظائف حكومية وأهلية ، إلى غيرها من الأعمال .

وحين انتشر فيها العمران أُقيم فيها مركز للبلدية ، وفتحت فيها مدارسُ للبنات والبنين ، ويوجد فيها الآن مدرستان ابتدائيتان للبنين ومدرسة متوسطة ، وثلاث مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة وثانوية ، كما يوجدفيها حركة تجارية نشطة ، ففيها عدد من معارض السيارات وفيها مستوصف اهلي ونادٍ رياضي .

٤ ــ الشــويكة :

تصغير شوكة ــ وكانت قرية مسورة تحيط بها النخيل من كل جانب، على بعد كيل من القلعة ، وهي كانت كما رأيناها طبقا لما وصف لوريمر[٢٠] ، تتكون من ٢٠٠ منزل معظمها من الأكواخ ، ويعمل أهلها بالفلاحة ، كما يوجد فيها بعض أنوال النسيج ، وتُلْحَقُ بها سيحة تسمى باسمها ، تروى من السيبان[٢١] وأشهرهاساب (أبوخمسة) وساب حميدة ، وهي القرية الوحيدة التي لاتوجد فيها عين .

أما الآن فقد تغيرت معالمها ، وامتدّ إليها العمران ، واختلطت بالحاضرة ، وأصبحت تشكل الحيَّ الجنوبيَّ لمدينة القطيف ، وقد أُقيمت فيها العمارات والمتاجر ، كما يوجدفيها مستشفى القطيف المركزي .

٥ ــ ألـمَلاَّحَــةُ :

بفتح الميم وتشديد اللام منبت الملح كما يقول الفيروز آبادي، ولا أعرف من أين علقت بها هذه التسمية ، وهي قرية صغيرة ، محاطة بالنخيل ، تقع إلى الشمال الغربي من سيهات ، ووصفها لوريمر بأنها تتألف من ٥٠ منزلا مبنية بالطين والحجارة[٢٢] ثم تدهورت فتضاءلت ، ولكنها في السنوات الأخيرة اتسعت فانتشر فيها العمران ، والتهم البساتينَ المجاورة دونما تخطيط ، وتوجد فيها مدرسة ابتدائية .

٦ ــ الجِشُ :

بكسر الجيم ، ولعل صوابها الجَش بفتح الجيم ، كما وردت في معاجم اللغة ، وهي مشتقة من جَشّ القومُ أي اجتمعوا أو تفرقوا ، أو أجشّ المكانُ اجتمع نبته وحشيشه . وهذا أقرب إلى معناها ، إن لم يكن من الأسماء المرتجلة القديمة ، وما اكثرها في الخليج .

وتقع هذه القريةُ في الطرف الجنوبي الغربي من الواحة ، على مقربة من الـمَلَّاحة ، وأم الحمام ، ويخترقها الطريق المؤدي إلى الشارع الرئيسي ، وكانت قريةً مسورةً تتكون من ٢٥٠ منزلا كما وصفها لوريمر ــ بعضها من الحجارة والطين وبعضها خارج السور، ويوجد فيها ثلاثة ينابيع عذبة ، بجوار المسجد خارج سور القرية ، وتحصل على مياهها من ينبوع يُسَمَّى كعبة[٢٣] .

أما الآن فقد اتسع فيها العمران ، فالتهم البساتين المجاورة ، ويوجد فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ومدرسة متوسطة ، ومدرسة ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة .

٧ ــ أم الحَمَــام :

بالحاء المهملة ، وكانت تسمى إلى عهد قريب بأم الخمام بالخاء المعجمة أو بأم خُمام حتى في السجلات الرسمية ، وكما جاء في كتاب « دليل الخليج » ــ ويبدو أنَّ هذا الاسم حديث العهد ، ولقصة هذه التسمية حكاية ، فيقال : إن الشعير كان يزرع في أرْضها بكثرةٍ ، حيث ينقل المحصول إلى القرية ، ويُدْرَسُ على أرضها الجبلية ، فكانت تتراكم في طرقاتها الأوساخ والْقَشُّ ، فيأوى إليها الحمام ليلتقط الحبَّ المتخلف ، ولكثرتها سميت بأم الحمام ، ولكن البعض استكثر عليها هذا الاسم الجميل ، فقال : إنَّ هذا الاسم لا تستحقه ، وكان أَحْرَى بها أَنْ تُسَمَّى بأم الخمام (أي الأوساخ) ، فغلب عليها الاسم الأخير ،وكان أول من أحيا الاسمَ الأول أَحَدُ علمائها الشيخ منصور المرهون ، وتمت له الغلبة على تسميتها بالاسم الأول .

وكانت مسوَّرة ــ كما وصفها لوريمر ــ على بعد ٣ أميال في الجنوب الغربي من القطيف ، تتكون من ٢٥٠ منزلاً من الحجر والطين ، أما خارجها فمن الأكواخ[٢٤] وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر على حساب البساتين التي حولها من جميع الجهات ، وهي واقعة على الطريق الريفي . ويوجد فيها ثلاث

مدارس ابتدائية للبنين ، ومدرسة متوسطة وثانوية ، ومدرستان ابتدائيتان للبنات ومتوسطة وثانوية .

٨ ــ حِلَّةُ مُحَيْش :

اسم مركب من مضاف ومضاف إليه وحِلَّة بكسر الحاء معناها في اللغة المجلس والمجتمع أو مجموعة من البيوت لا تتعدَّى مئة بيت ، ومُحيش تصغير مَحَش ــ بضم أوله وفتح ثانيه ــ معناها المكان الكثير الكلإ والخير ، كما في القاموس ، وقد يكون اسم علم . وهي قرية تقع في وسط النخيل ، على بعد ميلين عن مدينة القطيف ، ويربطها طريق معبد متفرع من الشارع العام في مدخل القطيف ،وكانت مسورة ــ كما يذكر لوريمر ــ تتكون من ١٣٥ منزلا ، بعضها خارج السور(٢٥) ، وقد اتسعت هذه القرية في الوقت الحاضر شأنها شأن القرى الأخرى . وفيها مدرسة ابتدائية ومتوسطة ، وفيها عدد من العيون أشهرها (أم عمار) التي تعتبر من أقوى العيون في واحة القطيف بعد عين داروش بصَفْوَى .

٩ ــ الجارودية :

قد تكون منسوبة إلى الجارود بِشْرِ بن عَمْرٍو العبدي ، وقد تكون المعنية باسم أجارد من بلاد عبدالقيس ، كما يذكر ياقوت ، وتقع هذه القرية إلى الغرب من حلة مُحَيش ، وقريبة من بَرِّ البدراني(٢٦) وعلى بعد ميلين عن مدينة القطيف ، وتستقر على مرتفع جبلي ، وكانت مسورة تتكون من ١٥٠ منزلا معظمها من الحجارة والطين ، وبعضها أكواخ ، وبعضها يقع خارج السور(٢٧)وسيحتها تعتبر من أجود الأراضي الزراعية ، ويُسْقَى أغلبها من العيون البرية(٢٨) ، ومن عيونها الشهيرة عين الصَّدَّيْن ، التي اشتهرت بعذوبة مائها ، وهي تقع على مقربة من القرية ، ومنها عين القشورية العذبة ، التي تستقي منها الطبقة الثرية في مدينة القطيف . وفيها مركز للبلدية ، كما يوجد فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة .

١٠ ـ الخويلدية :

مؤنث خويلد ، وهو من أسماء الأعلام ، قرية صغيرة تقع على بعد ميل من مدينة القطيف في الجهة الغربية الجنوبية ، وكانت مسورة تتكون من ١٥٠ منزلاً(٢٩) .

وقد ضاقت رقعتها في الوقت الحاضر عن استيعاب حركة العمران فالتهمت البساتين المجاورة دونما تخطيط ، وقد اشتهرت هذه القرية بإنتاجها الطين الخويلدي الذي يستخرج منه كميات كبيرة ، ويصدر منه للخارج ، والذي كان يستعمل بعد خلطه بصفار البيض لإزالة قشرة الرأس قبل ان يعرف (الشامبو) .

ويوجد فيها مدرسة ابتدائية ، ومدرسة متوسطة .

١١ ـ التُّـوبِي :

بضم التاء مُشْرَبة بفتح ، ويظهر من نطقها الغريب أنها من الأسماء القديمة جدًّا كسيهات وتاروت ، وهي قرية تقع إلى الغرب من مدينة القطيف ، على مسافة ميل تقريبا ، ولها طريق متفرع من شارع المحيط الدائري ، وهي تقع بين سَيْحتي الخويلدية والبحَارِي(٣٠) ، وتحيط بها البساتين من كل جانب ، وكانت قرية مسورة صغيرة تتألف من ١٠٠ بيت ، وسكانها يقدرون بـ : ٤٠٠ نسمة ، وتعتبر سيحتها من أجود الأراضي الزراعية في الواحة ، وفيها عدد من العيون ، أشهرها عين القصير ، التي كانت تستخدم لاستحمام النساء لاسيما في حفلات الأعراس .

وقد أنجبتْ عدداً من الشعراء الممتازين ، منهم الشيخ جعفر الخطي ، والسيد محمد الفلفل ، وفيها مدرسة ابتدائية للبنين ، ومدرسة متوسطة ، ومدرسة ابتدائية للبنات .

١٢ ـ البِحَـارِي :

بكسر أوله نسبة إلى البحار جمع بَحْرٍ على غير القياس(٣١) وربما جاءت هذه النسبة إلى القرية لغلبة أعمال أهلها في البحر ، وصيد الأسماك قديما ، بالإضافة

إلى الزراعة ، حيث كانوا يملكون سبعة قوارب للصيد كما يذكر لوريمر[٣٢] ، وقد يكون أسمها محرفا عن بحرة ، وهي بلدة بالبحرين كما جاء في « القاموس المحيط » وتقع على الطريق العام المؤدي إلى العوَّامِيَّة وصَفْوَى ، وكانت على بعد ميل ونصف عن مدينة القطيف بتقدير لوريمر[٣٣] مسورة تتكون من مئة بيت ، إلاَّ أنَّ امتداد عمرانها وتوسع عمران مدينة القطيف أدّيا إلى محو المسافة ، حتى أصبحتْ تشكل الطرف الشماليَّ منها ، شأنها شأن قرية الشويكة في الجنـوب ، وتتبعها سبحة كبيرةٌ مترامية الأطراف ، وفيها عدد من العيون الجارية المشهورة ، كالرواسية ، وحَمَّام (أبو لوزة) والحَبَّاكة ، والقصاري ، ولقرب هذه العيون من الحاضرة اتخذت مراكز للاستحمام وأشهرها :

أ ــ حَمَّام (أبو لوزة) : ومياهه معدنية ، وقد أُقيم عليه عدد من المباني ، التي تعتبر من المعالم الأثرية ، ويقال : إن بناءها يرجع إلى العهد العثماني ، ويقال : إنها أبعد من ذلك بكثير ، وأن بناءها جدد غير مَرَّة ، وهذه المباني المتلاصقة تتكون من قبة كبيرة تغطي النبع الخاص باستحمام الرجال ، ولها مدخل لغرفة مستطيلة ، بنيت في جوانبها مصاطب لنزع الملابس ثم في الجانب الشمالي مباشرة يقع حَمَّامُ للنساء ، وهو عبارة عن بركة متصلة بالنبع ، ويتألف من غرفتين ، ويجانبه من الشرق اصطبل للخيل والحمير ، التي كانت وسائط للنقل في ذلك العهد ، وإلى جواره مبنى مستطيل ، أُقِيم على المجرى ، وَمُقَسَّم لمحلاَّت صغيرة لاستعمال النوره ، وإلى جوار القبة من الغرب مسجد لأداء فريضة الصلاة .

ب ــ الحَبَّاكَةُ : وهي على بعد ٢٠ مترا تقريباً إلى الشرق من حَمَّام (أبو لوزة) وهي عين مكشوفة يستحم فيها الرجال ، وقد عمل في مجراها بركة كبيرة ، وأُقيم عليها مبنى لاستحمام النساء ، وإلى جوارها من الشرق حَيٌّ صغير مؤلف من الأكواخ يسمى فريق الحَبَّاكة ، وعلى مقربة منه إلى الشمال تقع مقبرة الحباكة ، بقسميها الشرقي والغربي ، المقبرة العامة ، ومقبرة العابدات ، وبجانبها مسجدٌ يسمى باسمها ، ويكاد القسم الغربي يختص بدفن موتى بعض العائلات كآل المسلم ، وفيها مدفن الشاعر الشيخ حسن الدمستاني، وإلى الشمال من المقبرة عين

تسمى البِشْرِي ، ويجانبها مسجد ومبنى لتغسيل الموتى ، وحيٌّ صغير يسمى بفريق البشري .

ج ـ القصاري : عين واسعة مكشوفة مخصصة لاستحمام النساء ، تقع إلى الغرب من حمام أبو لوزة على بعد ١٠٠ متر من حمام (أبو لوزة) .

د ـ الرواسية : عين قوية مكشوفة ، مخصصة لاستحمام الرجال ، وتقع على بعد ٥٠٠ متر من المقبرة غربا ، في الطريق المؤدي إلى قرية الأجام .

ولقرب قرية البحاري من القطيف أصبحت لا توجد فيها مدارس خاصة بها سوى مدرسة ابتدائية للبنات .

١٣ ـ القُدَيْح :

بضم أوله وفتح ثانيه ، وهو تصغير قَدَح أي الاناء الفارغ[٣٤] أو القِدْح بكسر القاف سهم الميسر . وأعتقد أن هذا الاسم محرفا عن القَدِيح بكسر الدال بمعنى مايتبقى في أسفل القدر ، فيغرف بجهد كما تقول معاجم اللغة ، ولعلها سميت به لما يتجمع به في واديها سابقا من المياه الضحضاحة ، وهذه البلدة تقع إلى الغرب من قرية البحاري ، على بعد كيلٍ واحد وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب .

وصفها لوريمر بأنها قرية مسورة ، تقع على بعد ميلين ونصف من مدينة القطيف ، وتتكون من ٣٥٠ منزلا ، نصفها أكواخ ، والباقي من الحجارة والطين ، ويملك سكانها عشرة قوارب للصيد[٣٥] .

إلاّ أنها تدهورت أخيرا ، وهجرها سكانها وانتقلوا إلى النخيل ، ولم يتمسك بالبقاء فيها بصورة دائمة إلا عدد قليل من أهلها، وكان هناك خلف السور من الجانب الغربي الجنوبي مُتَّسِعٌ من الأرض ، يسمى الوادي ، يستعمل في الصيف أفْدِية[٣٦] لجمع الغلال وتجفيف التمور ، وفي الشتاء يتحول إلى مستنقع كبير أشبه شيء بالبحيرة الواسعة ، ولكنها سرعان ماتجف حينما تهب الرياح الموسمية ، فتتحول إلى مملحة ، يستخرج منها كميات كبيرة من الملح . وإلى الغرب منه

بجوار النخيل كان هناك موضعٌ يستخرج منه الطين القُدَيْحِيُّ الأبيض على شكل منجم ، حيث يستعمل لغسل الملابس ، قبل انتشار استعمال الصابون . وإلى الجنوب تقع قرية (رسالة) وقد اندمجت فيها حين اتسع العمران فاندرس اسمها .

أما الآن فقد تغيرت هذه الصورة فاتسعت البلدة بصورة مذهلة ، وضاقت عن استيعاب حركة العمران ، فامتلأ الوادي بالمساكن والأبنية ، دونما تخطيط ، والتهمت ماحولها من البساتين المجاورة ، وساعد على ازدهارها انتعاشُ الحياة الاقتصادية فيها ونشوء طبقة من رجال الأعمال والتجار والموظفين .

وتوجد فيها حركة أدبية نشطة ، وظهر فيها أدباء وشعراء ، وهي موطن العلامة الشيخ علي القُديحي صاحب كتاب « أنوار البدرين » والشيخ أحمد بن الشيخ محمد صالح القُديحي وله ديوان شعر مطبوع ، والعلامة الشيخ حسين القُديحي ، وهم من أسرة علمية تتبوأ مكانتها الاجتماعية في البلدة .

ويوجد فيها مركز للبلدية ، وجمعية خيرية نشطة ، ونادٍ رياضي ، كما يوجد فيها أربع مدارس ابتدائية للبنين ، ومدرستان متوسطتان ومدرسة ثانوية ، بالإضافة إلى ثلاث مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة وثانوية ، ويرجع السكان نسبهم إلى مضر ، وينسبون مؤسساتهم الاجتماعية إليها ، والمعروف أن مضر مسكنها بالحجار[٣٧] .

١٤ ـ العوّامِيَّة :

نسبة إلى العوام ، ويوجد في تاريخ المنطقة علمان بهذا الاسم أحدهما أبو الحسن ابن العوام زعيم الأزد وأمير الزَارة [٣٨] والثاني العوام بن محمد بن يوسف الزجاج ، ونرجح أن تكون منسوبة إلى الأول ، وربما اتخذها ضاحيةً له لقربها من مدينة الزارة ، وإن كان مؤلف كتاب « أنوار البدرين » يذهب إلى أن أول من عمرها وسكنها أبو البهلول العوام بن محمد بن يوسف الزجاج فنسبت إليه [٣٩] ،

وهي تقع إلى الشمال من القُديح ، على طريق صَفْوَى وعلى بعد ثلاثة أميال من مدينة القطيف في الجهة الشمالية الغربية .

ويظهر أنَّ هذه البلدة كانت إحدى ضواحي مدينة الزارة ، التي كانت حاضرة للمنطقة ، والتي دمرها أبوسعيد الجنّابي عام ٢٨٣هـ حين استعصت عليه في بداية حركته ، فانتقل إليها مركز الثِّقَل ، وعُمِرَتْ على حساب تدمير تلك المدينة ، ومازال هناك بالقرب منها حَيٌّ بهذا الاسم ، في الناحية الجنوبية الشرقية ، ويتكون من مجموعة أكواخ ، يدعى (فريق الزارة) ويعتقد أنه جزء من موقع الزارة التي اندرست ، واختفت آثارها ، وطمرتها مزارع النخيل ، إذْ لم نجد لها ذكراً بعد ذالك في كتب التاريخ ، ويقول صاحب كتاب « أنوار البدرين » : أنَّ مدينة الزارة بقيت خرابا ، ثم صارت نخيلا وأشجارا وأنهارا ، تبعا للعوامية(٤٠) .

وتقع على الطريق الرئيس المؤدِّي إلى صَفْوَى ، ووصفها لوريس قبل ثمانين سنة بأنها قرية مسوَّرة ، تتكون من ٣٠٠ منزل وأنها على بعد ثلاثة أميال شمال غرب مدينة القطيف ، ويملك سكانها خمسة قوارب لصيد اللؤلؤ(٤١) .

أما في العهد الحاضر فقد اتسعت هذه المدينة ، وأصبحت مترامية الأطراف ، وامتدَّ العمران إلى البساتين المجاورة دونما تخطيط ، شأنها شأن القرى الأخرى في الواحة ، حتى أصبحت عدداً من الأحياء كالحميمة والزارة والكوع والبويب والمنيرة وغيرها .

وقد تبوأت هذه البلدةُ مكانةً اجتماعية خاصة ، ربما تكون ذات جذور عميقة ، ترجع إلى أيام كانت فيه الزارة عاصمة لهذه المنطقة ، وذالك باستمرار المصاهرة بين الأسر العريقة في كلتا البلدتين القطيف والعوامية ، بالإضافة إلى إنجابها عدداً من العلماء والأدباء كالشيخ محمد بن نمر ، والكاتب القصصي محمد حسن بن نمر ، ومشاطرتها سكنى بعض الشخصيات البارزة كالعلامة الشيخ على حسن على الخنيزي ، والعلامة السيد ماجد العوّامي بحكم زواجهما منها .

ويوجد في هذه البلدة عدد من المؤسسات الاجتماعية ففيها جمعية خيرية ، ونادٍ

رياضي ، كما يوجد فيها اربع مدارس ابتدائية ومدرسة متوسطة ومدرسة ثانوية بالإضافة إلى أربع مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة وثانوية .

أما الأجزاء المنفصلة عن هذا الشريط فهي :

١٥ ـ صَفْوَى :

بفتح أوله وتسكين ثانيه بألف مقصورة أما في عهد ابن المقرب[٤٢] فتنطق بألف ممدودة ، كما جاء في شعره .

وأَلْخَطّ من صَفْوَاء حَازُوهَا فَمَا أَبْقَوْ بِهَا شِبْرًا إِلَى الظَّهْرَانِ
نَزَلُوا على صفواء صُبْحًا وابْتَنَوْا فيها الْقِبَابَ وأَيْقَنُوا بِأَمَانِ

وفي عصر المسعودي المتوفي سنة ٣٤٥هـ تعرف بصفوان ، وكان يسكنها بنو حفص بن عبدالقيس[٤٣] ومن المحتمل أن يكون اسمها (الصفا) سابقا وهو اسم تردد ذكره في الشعر العربي وهو من أسماء المواقع في هذه المنطقة ، وقد تعرض اسم هذه البلدة للتغير غير مرة ، ومع هذا فإن جميع المعاني واحدة وهو الحجر الصلد الضخم أو الصخر الأملس .

وتقع مدينة صَفْوَى إلى الشمال من مدينة القطيف على بعد خمسة عشر كيلا ويصلها بالواحة طريق معبد يمر بالعوامية ، وتقع واحتها بمحاذاة الساحل شرقي المدينة ، وتفصلها عن سيحة العوامية من الجنوب سبخةٌ واسعة ، تسمى (سبخة صَفْوَى) وإلى الشمال منها تقع مقبرة جاوان الشهيرة ، وهي من المواضع التي تزخر بالآثار ، وإلى الغرب منها مرتفع يسمى حزم صَفْوَى ، وقد امتلأ بالعمران في الوقت الحاضر ، كما اتسعت مدينة صَفْوَى من جميع الاتجاهات ، فالتهم عمرانها ماجاورها من الأراضي الزراعية حتى أصبحت من المدن المهمة في واحة القطيف ، وتقع عين (داروش) الشهيرة وسط المدينة ، ويقال إنها سميت باسم الملك دارا (داريوس ٥٢١ ــ ٤٨٥ ق.م) حين نزل بصفوى[٤٤] وهي أقوى عين في واحة القطيف ، كان يتفرع منها سبعة أنهر ، لا تقل في قوتها عن عين (أم سبعة) في

الأحساء وتسقي معظم واحة صَفْوَى التي تبلغ حوالي خمسين الف نخلة ، ولا يبعد أنها المعنية بعين مُحَلِّم ، واذا اخذنا في الاعتبار أن أسماء هجر والخط والبحرين كانت تطلق على المنطقة كلها[٤٥] فلا يبعد أن تكون الصفا هي مدينة صفوى نفسها ، حيث كانت تقع سابقا غربي المنطقة الزراعية على حافة الصحراء ، ولا ننسى أن حزمها كان محطة لقبائل البادية منذ قديم الزمان ، فلا غرابة أيضا إذا كانت مشهورة عندهم ، وتردد ذكرها كثيرا في أشعارهم .

وقد وصفها لوريمر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بأنها قرية كبيرة مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلا ، على بعد ثمانية أميال من مدينة القطيف ، وهي آخر قرية في شمال الواحة ، وتقع في الطرف الغربي للمنطقة الزراعية[٤٦] ، ويبدو من سياق وصفه بأنها متصلة بسيحة العوامية ، ثم فصلتها رمال الصحراء ، وربما كانت هناك عين تسقي هذه الرقعة ثم طمرتها الرمال ، وأصبحت يبابا ، شأنها شأن المناطق الغربية في الواحة .

وقد انتعشت هذه البلدة منذ أنّ أُنشْيِءَ الخطُّ الذي يمر بها والذي يصل بين الظهران ورأس تنورة ، فاكتسبت موقعا (استراتيجيا) لقربها من مصافي النفط ، فاتسع عمرانها ، وأصبحت من المدن المهمة في المنطقة ، فأنشيء فيها مركز للامارة والشرطة وبلدية ومحكمة ، ودائرة لكاتب العدل ، وبموجب التقسيم الإداري أصبحت مركزاً تتبعها اربع عشرة قرية ، وقد بلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٠هـ واحدا وعشرين الف نسمة ، وهي الآن أضعاف مضاعفة بعد أن استوطنت فيها بعض القبائل .

ويوجد فيها الآن حركة تجارية نشطة ، وقد فتح فيها فرع لبنك الرياض ، كما يوجد خمس مدارس ابتدائية للبنين ، ومدرستان متوسطتان ، ومدرسة ثانوية ، كما يوجد فيها عدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنات ، بالإضافة إلى الأنشطة الاجتماعية من وجود جمعية خيرية ونادٍ رياضي .

وقد انجبت هذه البلدة علماء وأدباء بارزين كالعلامة الشيخ محمد صالح

الصفواني قاضي الأوقاف والمواريث الأسبق ، والكاتب الكبير الأستاذ سلمان الصفواني صاحب جريدة « اليقظة العراقية » .

١٦ ـ جزيرة تاروت :

وهذا الاسم يعتبر من الأسماء القديمة ، التي يعتقد بأنها فينيقية ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن اسمها في الأصل (عشتاروت) حذف منه المقطع الأول ، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين(٤٧) وتردد ذكرها في كتب المؤرخين الاغريق فسموها (تيروس TARRUS) ، أما بطليموس الجغرافي اليوناني فسماها (تارو) بحذف التاء الأخيرة (TARO)، وهو قريب من لفظها الحالي .

و(عشتاروت) اسم آلهة الاخصاب والجمال والحب عند الساميين ، وهي أهم آلهة عند الفنيقيين ، وهي تماثل (افروديت) الأغريقية(٤٨) وقد اكتشفت لها تماثيل في الجزيرة ، وكان لها معبد ، أقيمت على أنقاضه القلعة البرتغالية في مدينة تاروت ، وكانت هذه الجزيرة موطنا للفينيقيين قبل نزوحهم إلى شواطيء البحر الأبيض المتوسط ، فقد نقل الأب مرتين اليسوعي في كتابه « تاريخ لبنان » عن بعض مؤرخي الأغريق بأن أهل هذه الجزيرة كانوا يباهون بأنهم هم الذين أسسوا صور وأرواد (٤٩) ولا تخلو هذه الجزيرة من آثارهم ، فقد عثر منذ سنوات في أحد بساتينها على تمثال من الذهب الخالص للالهة (عشتاروت) كما اكتشفت في هذه الجزيرة آثار مهمة ، يرجع بعضها إلى عصر السلالات الأولى لبلاد مابين النهرين ــ أي قبل مدة تتراوح بين ٤٠٠٠ ، ٥٠٠٠ سنة ــ ويعود بعضها إلى فترات زمنية مختلفة معاصرة للحضارة العيلامية الفارسية وحضارة (الموهنجو دارو) على نهر السند ، وحضارة (أم النار) التي قامت بالمنطقة الجنوبية في الخليج العربي ، والتي تم أكتشاف بقاياها في (أبوظبي) بواسطة البعثة الدنمركية سنة ١٩٦٦م(٥٠) كما عثر فيها على آثار تنتمي إلى حضارة العُبيد ، وحضيارة (باربار)(٥١) ، ويوجد فيها الآن مواقع أثرية ، ومقابر قديمة تم اكتشافها مؤخرا ، وسنتحدث عنها في الفصل التالي (المواقع الأثرية والآثار) ، وأهم المعالم الأثرية البارزة فيها قلعتان أثريتان ، إحداهما في مدينة تاروت ، وقد بنيت على

أنقاض هيكل (عشتاروت) بالقرب من عين الحمام ، والثانية في دارين في الجنوب الشرقي من الجزيرة على الساحل .

وتَرَدَّدَ ذكر هذه الجزيرة في كتب جغرافي العرب ، فوصفها أبو الفداء في القرن الثامن الهجريّ بأنها بلدة في الشرق من القطيف ، تبعد عنها بنصف مرحلة ، ينحسر البحرُ مابينها وبين القطيف في حالة الجزر ، وتصبح جزيرةً في حالة الـمَدِّ ، وفيها كروم تنتج العنب المفضل(٥٢) ولعل ذالك راجع إلى خصوبة تربتها المتميزة عن أراضي الواحة ، وتقع الأراضي الزراعيةُ في الجهة الغربية والشمالية منها ، وكان بها من النخيل قديما حوالي مئة ألف نخلة ، لم يبق منها في الوقت الحاضر سوى ستين ألف نخلة ، وهي في تناقص مستمر ، وتُرْوَى كلها سابقا من مصدرين هُما عين الحمام الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من قلعة تاروت ، وعين الفرسان الواقعة على مسافة نصف ميل منها ، ومياههما عذبةٌ ساخنةٌ ، تزودان سكان الجزيرة بمياه الشرب كما يقول لوريمر(٥٣) وقد انتابهما الضعفُ في الآونَةِ الأخيرة ، فَعُوِّضَ نقصُ الريِّ بالآبار الارتوازية ، وبسبب حفر هذه الآبار انتشرت الزراعة في الجهة الشرقية من الجزيرة ،

وتقع جزيرة تاروت في قلب خليج القطيف ، أو خليج (كيبوس) أو المسمى حديثا بخليج تاروت ، على بعد ستة أكيال من مدينة القطيف إلى الشرق ، وتبلغ مساحتها ستة أكيال من الجنوب إلى الشمال ، ومثلها من الغرب إلى الشرق ، وكانت في سالف عهدها جزيرةً يحيط بها البحر من كل جانب ، أما في حالة الجزر فينحسر الماءُ في الجهة الغربية منها ، وتستعمل وسائل المواصلات البرية بينها وبين القطيف إلا من خور قليل العمق يسمى (المقطع) لا يتجاوز عمقه متراً واحداً . أما في حالة المدِّ فلا سبيل إليها الا باستخدام السفن .

وتتخلل سواحلها بعضُ الخلجان والرؤوس الصغيرة ، وينحسر البحر عن شواطئها في حالة الجزر ، باستثناء الطرف الجنوبي منها ، فهو عبارة عن رأس داخل في البحر، والذي يقع فيه مرفأ دَارِيْن، أشهر مرافيء شبه الجزيرة العربية، فهو الميناء الوحيد الصالح لرسو السفن في حالتي المدِّ والجزر ، وقد اشتهر هذاالمرفأ منذ

القدم ، فقد مرَّ عليه أحد قادة الاسكندر المقدوني عند عودته من الهند ، بعد أن زار مدينة فينيقية على الساحل الغربي من الخليج أثناء جولته الاستطلاعية ، وتقول الرواية : إنه عَرَّجَ على جزيرة (نيرين) ويعتقد أنها دَارِين ، كما حَظِيَ هذا المرفأ بشهرة واسعة في التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي .

وصفه ياقوت بأنه فرضة يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليه دَارِيٌّ ، قال الفرزدق :

كَأَنَّ تَرِيْكَةً مِنْ مَاءِ مُزْنٍ   وَدَارِيُّ الذَّكِيُّ مِنَ الْمُدَامِ

وجاء في « القاموس المحيط » داري : العطَّارُ منسوب إلى دَارِيْنَ ، فرضة بالبحرين ، بها سوق يحمل إليها المسك من الهند .

ويعتبر اسمها من الأسماء القديمة كتاروت وسيهات ، وقد حاول بعض الباحثين أن يتأول معناها فزعم انها جمع سالم لدار ، وانها تُرفع بالألفّ وتنصب وتجر بالياء ، أو أن المقطع الأخير (ين) أُلْحِقَتْ بها كأداة تعريف في اللغة الحِمْيَرِيَّةِ (أي الدار) كما فعلوا في تأويل لفظ البحرين[٥٤] أو أنَّ معناها باللغة الفارسية (عتيق) حسب ماروى الاصمعي أنَّ كسرى سأل مَنْ بَنَى هذه القرية ؟ فأجابوه : دارين أي قديم[٥٥] .

وقد تمتعتْ دَارِينُ بشهرة فائقة في العصور الخالية ، فكانت محطُّ الأنظار من طُلَّاب الثروةِ ، وقد عاشتْ فترة رخاءٍ ، وازدهارٍ كبيرين ، إذْ كانت السفنُ ترد إليها من الهند محملة بالتوابل والمنسوجات، والسيوف الهندية ، والمسك والبخور ، والأحجار الكريمة والعاج والخشب الفاخر النادر ، ومن الصين محملة بالحرير والمنسوجات الحريرية والغضار ، ومن بلاد العرب الجنوبية محملة بالْمُرِّ واللُّبَان ، والأفاوِيْهِ والبرود اليمانية ، والعاج الوارد إليها من سواحل افريقيا الشرقية ، ثم تُعيد تصديرَها إلى جميع أنحاء العالم ، ومنها كان أهل البادية وسكان أواسط شبه الجزيرة العربية يفدون إليها ، فيبتاعون معظم حاجاتهم ، فتمُّر قوافلهم عَبْرَ

الدهناء في طريقها إلى الأحساء والقطيف ، ثم تعبر الجزيرة عبر المياه الضحلة ، وفي ذلك يقول الأعشى (؟) :

يَمُرُّونَ بِالدَّهْنَا خِفَافاً عِيَابُهُمْ ... وَيَرْجِعْنَ مِنْ دَارِيْنَ بُجْرَ الْحَقَائِبِ
عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جلُّ أُمُورِهِمْ ... فَنَدْلاً زُرَيْقَ المالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ

ودارِيْنُ هي إحدى قرى جزيرة تاروت الأربع ، التي ذكرها (لوريمر) فوصفها بأنها قرية محمية بقلعة مربعة ، تتكون من مئة منزل للسادة ، ومعظم سكانها من بني خالد ، مع قليل من الجنيدات ، ولا يوجد بها حدائق ولا زراعات ، ويملك السكان خمسة عشرة قاربا لصيد اللؤلؤ ، كما أنَّ قرية تاروت مسورة تتكون من ٣٥٠ منزلا ، وهي أكثر كثافة سكانية من بقية القرى ، وتقع في وسط الجزيرة ، وكثير من منازلها خارج السور ، ويزرع بها النخيل بكثرة ، وأشجار الفاكهة ، ويعمل أهلها في الغوص لاستخراج اللؤلؤ وتجارته ، وبعضهم بالزراعة .

وتأتي بعدها قرية سَنابس ، وتقع على الساحل الشرقي ، وتتكون من مئتي منزل ، وهي غير مسورة ، وليس بها حدائق نخيل ويعمل أهلها بصيد اللؤلؤ والسمك ، ويوجد فيها ٦٨ قاربا لصيد اللؤلؤ .

أما القرية الرابعة فهي الزُّوْرُ ، وتسمى فنية ، وتقع على الساحل الشمالي للجزيرة ، وتتكون من ٤٠ منزلا ، وبها بعض الحدائق التي تُرْوَى من عين تاروت ، وسكانها من مهاجري (أبو ظبي) من قبيلتي (بوفلاسه)(وبني ياس) ويعملون بصيد اللؤلؤ ، ولديهم سبعة قوارب كما أن مجموع سكان الجزيرة في عهده كما يقول لايزيدون على أربعة آلاف نسمة[٥٦] .

أما في الوقت الحاضر فقد تغيرت تلك المعالم القديمة للجزيرة ، فقد دفن البحر في الجهة الغربية المواجهة لمدينة القطيف ، فاتّصلت بها ، وأصبحت تلك الأراضي التي يغمرها البحر سابقا مناطق سكنية ، فقامتْ في الغرب مدينة ذوي (الدخل المحدود) ومناطق في طريقها إلى العمران ، كالمنطقة التركية والمنيرة والمزروع

والناصر ، حتى انتفت صفة الجزيرة عنها ، وتحولت إلى شبه جزيرة ، لِإتّصالها بالبر من الجهة الغربية ، ويربطها الآن بمدينة القطيف شارع معبد ، منور بالكهرباء ، ذو اتّجاهَيْنِ ، يسمى (شارع أحد) وعند مدخلها توجد مصانع (الالمنيوم) والحدادة والطابوق ، وورش إصلاح السيارات ، كما ترتبط قراها بشوارع معبدة ، فيشق وسطها شارع رئيسيٌّ يمر بمدينة تاروت ، حيث السوق التجاري ، ويجتازها إلى الربيعية ــ وهي مدينة حديثة ــ ثم يصل إلى سنابس ، وبعدها ينعطف إلى الجنوب ، وينتهي إلى دارِيْن ، كما يوجد شارع من الغرب يربط دَارِيْنَ بتاروت ، وآخر بسنابس والزور ، ويتجه غربا ، ويلتقي الشارع العام بالقرب من مدخل الجزيرة ، وتبعا لنموّ السكان وانتشار حركة العمران فقد زحفت المباني في بلدة تاروت على البساتين المجاورة ، فتكونت أحياء جديدة ، كالخارجية والدشة والأطرش والحوامي ، والوقف وأرض الجبل ، وكذلك الأمر في سنابس ودارين والربيعية .

وتاروت تعتبر من المراكز العلمية والثقافية في القطيف منذ القدم ، فقد أنجبت بيوتا علمية كآل سيف وآل معتوق وآل الصفار ، وظهر فيها علماءُ مجتهدون أمثال الشيخ عبدالله المعتوق ، وشعراء مبرزون أمثال عبدالمحسن التاروتي ، وحسن التاروتي ، ومحسن الملهوف التاروتي .

ونظراً لأهمية الجزيرة فقد أُقيم فيها مركز للامارة والشرطة ومحكمة شرعية وبلدية ، وفتح فيها فرع لبنك الرياض ، كما يوجد في الجزيرة سبع مدارس ابتدائية ، ومدرستان متوسطتان ، ومدرسة ثانوية وكلها للبنين ، بالإضافة إلى عشر مدارس ابتدائية وأربع متوسطة ، ومدرستان ثانويتان للبنات . ويوجد فيها نشاطات أجتماعية ، ففيها جمعيتان خيريتان إحداهما في تاروت والأخرى في دارين ، وفيها ثلاث نوادٍ رياضية في تاروت وسنابس ودارين .

١٧ ــ الأجـــام :

يمكن أن تكون في الأصل جمع أَجَمَة ، وهي منبت القصب الملتف أو أنَّ أصلها

الأوجام كما ينطقها الآن أهلها ، وهي جمع الْوَجم (بتسكين الجيم أو تحريكها) ومعناها كما يقول صاحب « القاموس » حجارة مركومة على الأكام . أو أبنية يُهْتَدَى بها في الصحاري ، وهذا المعنى يناسب وضعها الحالي ، إذْ تحفُّ بها الصحراءُ من كل جانب ، ولعل لإسْمِها صلة بالأجاميين ، الذين رحلوا مع سليمان القرمطي عند رجوعه من هيت سنة ٣١٧هـ فانتظموا في جيشه ، وعرفوا بالأجاميين ، وكانوا قبلا من سكان الآجام والطفوف من أعمال الكوفة ، كما يذكر المسعودي(٥٧) .

وتقع الآجام في الصحراء في الجهة الغربية من الواحة ، على بعد تسعة أكيال من مدينة القطيف ، وإلى الشرق من هذه القرية منخفضٌ من الأرض ، تصب فيه فضلات مياه الأراضي الزراعية ، على غِرار بُحَيْرَةِ الأصفر في الاحساء ، وينبت فيه الحلفاء والقصب ، ولعل لاسمها صلة بهذا الموقع ، كما يوجد بها مزار ينسب لأحد الأنبياء ، والقرية كانت مسورة — كما وصفها (لوريمر) تتكون من ٥٠ منزلاً من الحجر والطين ، وتقع في وسط المنطقة الزراعية ، التي يغلب فيها زراعة النخيل(٥٨) .

ويوجد فيها مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة .

١٨ — أُمّ السَّاهِك :

والساهِك — لغة — الرمَدُ وحكة العين ، وربما سميت بهذا الاسم لوقوعها في أرض رملية ، تثير أتربتها الرياحُ الساهكة ، أي العواصف ، فتسبب الرمد وحكة العين ، وتقع هذه القرية إلى الغرب الشمالي من صَفْوَى على بعد ثلاثة أكيال منها ، وكانت منعزلة في الصحراء . أما الآن فقد أوشكت أن تختلط بمدينة صَفْوَى .

ذكرها (لوريمر) فوصفها بأنها قرية تتكون من ٦٠ منزلاً ، وتقع في منطقة زراعية(٥٩) .

وفيها الآن مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة .

۱۹ ــ أَبُو مَغْــن :

قرية تقع إلى الشمال من أُمّ الساهِك ، على مقربة منها ، في سبخة الرياس ، وهي منطقة زراعية يسكنها خليط من القبائل ، وفيها مدرسة ابتدائيةللبنين .

۲۰ ــ الدريدي :

نسبة إلى دريد ، وهو من أسماء الأعلام العربية ، قرية ذات نخل تقع على مقربة من أُمّ الساهِك إلى الجنوب ، وتبعد عن صَفْوَى بنحو عشرة أكيال وهي واقعة في حزم ــ أي مكان مرتفع ــ فتسمى أحيانا حَزْم الدريدي[٦٠] ذكرها (لوريمر) فعدها من مياه واحة القطيف .

۲۱ ــ شــعاب :

بفتح أوله وثانيه ــ قرية ذاتُ نخل من قرى القطيف ، تقع في الجنوب الشرقي من رأس القُلَيْعة وشمال جاوان وصَفْوَى .

وهناك واحات أُخرى صغيرة ، أو مراكز مياه قليلة الأهمية ، من بقايا الواحات التي كانت تزخر بها صحاري البيضاء ، كالرّويحة والنابية والفاقعة والعبا ، والعلاء ، منتشرة في الصحاري المجاورة ، وتابعة إداريا لمراكز إمارة منطقة القطيف .

وقد جاء في بيان (مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية والاقتصاد الوطني) لتقسيم الإمارات في المنطقة الشرقية الصادر عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) بأن للقطيف ١٩ قرية وتسعة موارد ولصفوى ١٤ قرية ولسيهات ثلاث قرى . وهذا العدد من القرى شامل لجميع الضواحي والقرى التابعة لكل مدينة ، حسب تقسيم مراكزالإمارات في ذالك الحين .

ومن الملاحظ أنَّ جميع قرى القطيف كانت قديما مؤسسة على أراضٍ صخرية ، ولعلها اختيرت هذه المواقع للسكن لتكون بمنأى عن رطوبة الواحة ، لاسيما في فصل الشتاء ، كما أنها كانت محاطة بأسوار ذات أبراج على شاكلة قلعة القطيف ،

لتكون مراكز دفاعية للسكان ، لتحميهم من سطو البدو وغاراتهم المتتالية ، في الأيام الغابرة ، أما الآن فقد أُهْمِلَ شأنُها لاستتباب الأَمْن في ربوع هذه المنطقة ، كما هو الشأن في سائر أنحاء المملكة ، فانمحت معالمها وتخطاها العمران .

كما يشاهد في السنوات الأخيرة أيضاً ازدهار الحركة العمرانية في مدينة القطيف وضواحيها على السواء ، فضاقت مساحَتُها القديمة المحاطة بالأسوار عن استيعاب هذه الحركة العمرانية فأخذت المباني تلتهم المساحات المجاورة ، والبساتين القريبة ، والمناطق البحرية ، فقامت أحياءٌ سكنية جديدة ، تزخر بالدارات الحديثة ، والأبنية المسلحة ، وكان لمشروع (صندوق التنمية العقارية) في منح القروض الطويلة الأجل(٦١) أعظم زِخم في انتشار الحركة العمرانية ، وانبثاق الأحياء السكنية الجديدة .

ولوزارة المواصلات في فتح الطرق وتبليطها ، وربط القرى بالمدن ، أكبر دَوْرٍ في تسهيل المواصلات وتحديث المنطقة ، ولا ننسى دور وزارة الشئون البلدية والقروية في العناية بتجميل المدن ، وتبليط الشوارع الداخلية وتنويرها .

ولقد تغير بالفعل الوجه الكالح لهذا البلد القديم ، بعدأن دخلت الكهرباء في كل مدينةٍ وقرية ، وكذالك الخطوط الهاتفية ، وبعد أَنْ قام مشروع هندسة المجاري ليشمل المدن والقرى . وكل ذالك من جملة المشاريع الحيوية التي جعلت البلاد تخطو خطوات نحو التقدم والازدهار .

القطيف/ محمد سعيد المُسْلِم

الحــــواشي

(١) الطبري ج ١ ص ٤٨٠

(٢) المفصل ج ٢ ص ٦٣٣

(٣) هدمت عام ١٤٠٥هـ بعد ان انتزعت ملكيتها من الأهالي ، وكنا نود لو بقيت القلعة بأسوارها وأبنيتها ومنازلها وجامعها القديم ، وأعيد ترميم ماتهدم من تلك الآثار ، وجعلتها الدولة مرفقاً سياحياً ، على غرار القلاع الأثرية في القاهرة ودمشق وحلب .

(٤) الزريب تصغير زرب : موضع المواشي .

(٥) كان اسم الدالية يطلق على كل بستان داخل القلعة ومعناها شجرة الكرم .
(٦) هو المجرى الأصلي ، ويرفد الماء إليه خلال قناة تخترق جدار السور من ساب الدوبج ، ويسقي بساتين القلعة مرتين في الأسبوع مرة صباح يوم الخميس والأخرى ليلة الثلاثاء ، وقد شاهدنا بعض النخيل بجواره كانت قائمة .
(٧) الطبري ج ٢ ص ٥٢١ ذكر أنّ الحطم بن ضبيعة استغوى الخطّ ومن فيها من الزط والسيابجه .
(٨) وهي بحساب الأبجدية ح ٨ + ج ٣ ر ٢٠٠ + هـ ٥ = ٢١٦ .
(٩) مدينة الزارة مشهورة في التاريخ الإسلامي ، وكانت حاضرة القطيف وكانت تقع بالقرب من العوامية وقد خربها أبو سعيد الجنابي نكاية بأهل القطيف المعارضين لحكمه ومبادئه .
(١٠) ستتحدث عن هذه الأحياء في الفصل التالي .
(١١) لكل قرية مجموعة من البساتين ملحقة بها ، تسمى سيحه (لربّما سيحا من العيون) ولا تفصلها عن السيحة الأخرى إلا فواصل وهمية ، وهذا الاصطلاح متعارف عليه . حتى في السجلات الرسمية للدولة .
(١٢) المعجم الجغرافي ج ١ ص ١٦٣ .
(١٣) ص ٣٤١ وقد وصفها المسعودي بأنها سبخة طولها ٧ أميال وهي على بعد يومين من الساحل وان بها ماء ونخيل ، وهي متاخمة للاعباء (العبا) ، وهذا الوصف ينطبق إلى حد بعيد على سبخة الرياس ، فهي متاخمة للعبا إلى واحة أبي معن ، وهي سبخة كبيرة جداً واقعة في الصحراء بعيدة عن الساحل ، بخلاف سبخة سيهات الواقعة مباشرة على ساحل البحر .
(١٤) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٥ .
(١٥) احصاء عام ١٣٩٤هـ وقد تضاعف هذا العدد فيما بعد .
(١٦) المعجم الجغرافي ج ١١٩٥/٣ .
(١٧) التنبيه والإشراف ص ٣٤١ .
(١٨) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٠ .
(١٩) المصدر السابق ج ١٨٨٦/٥ .
(٢٠) المصدر السابق ج ١٨٨٦/٥ .
(٢١) جيع ماب ، وهو نهر صغير ترفده مبازل النخيل التي تسقى من العيون .
(٢٢) المصدر نفسه ج ١٨٨٤/٥ .
(٢٣) دليل الخليج ١٨٨٢/٥ .
(٢٤) المصدر السابق ١٨٨٣/٥ .
(٢٥) المصدر السابق ١٨٨٤/٥ .
(٢٦) يعتبر المدخل البري لمدينة القطيف في الزمن الغابر ، ومنه المنطلق لقوافل الحجاج قبل ان توجد وسائل النقل الحديثة .
(٢٧) المصدر السابق ١٨٨٢/٥ .
(٢٨) كانت توجد أكثر من ١٥٠ عينا طمرتها الرمال .
(٢٩) المصدر نفسه ١٨٨٣/٥ .
(٣٠) حدد موقعها الشيخ الجاسر في معجمه ٢٩٦/١ بأنها تقع بين مدينة القطيف والجارودية ، وهو من جملة الأخطاء التي وقعت في معجمه ، والتي تحتاج الى تصحيح .
(٣١) القاعدة اللغوية بأن الجموع لا ينسب إليها إلا اذا غلبت كأنصارى .

(٣٢) دليل الخليج ١٨٨١/٥ .
(٣٣) المصدر نفسه ١٨٨١/٥ .
(٣٤) القدح في اللغة الاناء الفارغ فإذا امتلأ سمي كأساً .
(٣٥) دليل الخليج ١٨٨٥/٥ .
(٣٦) جمع فدا المكان أو الأوعية التي تجمع فيها التمر أو الحنطة أو الشعير .
(٣٧) نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤٢٢ . صبح الأعشى ٣٣٩/١ العبر ٣٠٥/٢ الجمهرة ٢٣٢ .
(٣٨) ساحل الذهب الأسود ص ٥٢ .
(٣٩) دليل الخليج ١٨٨٠/٥ .
(٤٠) أنوار البدرين ص ٢٢٧ .
(٤١) المصدر السابق ص ٢٧٧ .
(٤٢) توفي سنة ٦٢٩هـ .
(٤٣) التنبيه والاشراف ص ٣٤٠ .
(٤٤) المعجم الجغرافي ج ٦٥٩/٢ .
(٤٥) قد يكون اسم هجر يطلق في ذالك العهد على المنطقة كلها كما كان اسم الاحساء يطلق إلى عهد قريب على المنطقة التي تمتد من الكويت حتى قطر وكانت بلاد هجر تطلق على القطيف والاحساء وجزيرة أوال كما يقول ابن خلدون العبر ج ٣٠١/٢ .
(٤٦) دليل الخليج ج ١٨٨٥/٥ .
(٤٧) العرب قبل الإسلام . د. جواد علي ج ١٤١/١ .
(٤٨) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧١٣ .
(٤٩) صور مدينة ساحلية في لبنان أسسها الفينيقيون في الألف الثالث قبل الميلاد أما أرواد فهي جزيرة على بعد ثلاثة أكيال من شاطىء طرسوس في سورية وبالمقابل يوجد في الخليج صور بعمان وعراد بجزيرة البحرين .
(٥٠) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية الذي أصدرته إدارة المتاحف والآثار ص ٣٧ .
(٥١) منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث ق.م ص ١٤٠ .
(٥٢) تقويم البلدان ص ٧ .
(٥٣) دليل الخليج ٢٤٤٥/٧ .
(٥٤) المعجم الجغرافي ٢٠٥/١ ــ ٢٠٩ .
(٥٥) المصدر السابق ج ٦٥١/٢ ــ ٦٥٢ .
(٥٦) دليل الخليج ج ٢٤٤٦/٧ ــ ٢٤٤٧ .
(٥٧) التنبيه والأشراف ص ٣٣٩ .
(٥٨) دليل الخليج ج ٥ ص ١٨٨٣ .
(٥٩) المصدر السابق ١٨٨٥/٥ .
(٦٠) المعجم الجغرافي ٤٨٦/٢ .
(٦١) يسدد القرض على أقساط سنوية لمدة خمس وعشرين سنة بدون فوائد بل يحسم من كل قسط نسبة ٢٠٪ تشجيعا للمقترض على انتظام التسديد فإذا رغب في سداد القرض فيحسم له نسبة ٣٠٪ من أصل القرض .

معركة عنيزة ضدحملة خورشيد

بين المصادر النجدية والوثائق التركية المصرية

تمهيد : تعتبر حملة (خورشيد باشا) على نجد أهم حملات محمد علي باشا ــ حاكم مصر ــ على دولة الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود عام ١٢٥٤هـ ــ ليثأر من هزيمة حملة إسماعيل بك ومعه خالد بن سعود في الحوطة والحريق عام ١٢٥٣هـ(١) . وليقضي على الدولة السعودية الثانية في الجزيرة العربية . فقد وصل خورشيد بحملته (الحناكية) حيث وفد عليه كثير من رؤساء قبائل شَمَّر وحرب وعنزة وعُتَيْبَةَ وقحطان وسُبيع ، معلنين ولاءهم وطاعتهم(٢) له خصوصا بعد الحملات التأديبية التي شنتها قوات خورشيد ضدهم ، حيث أرسل خورشيد قوة بقيادة (حسن اليازجي) لقتال القبائل حول الحِنَاكية ونهبها . وأمرهم أن يأتوا إليه بآذان من يقتلونهم ، كدليل على صدق عملهم . وتذكر الوثائق أن (خورشيد) وصله ثمانون من آذان المقتولين ، وأنه أرسلها إلى المدينة وسُجّلَتْ في ديوانها (٣) ، وهذا العمل يُرينا بعض ما صاحب الحملات المصرية من وحشية .

وفي صفر ١٢٥٤هـ (أواخر ١٨٣٧م) بدأ (خورشيد) سيره بحملته من الحناكية إلى منطقة القصيم ، وفي تقرير بعثه خورشيد إلى حكومته في القاهرة عن طريق سيره من الحناكية إلى عنيزة ــ يُذْكَرُ أنه قسم جنوده إلى فرقتين أو قسمين ، كل قسم يغادر الموضع قبيل وصل القسم الآخر . ويعلل (خورشيد) ذالك بقوله : (حتى لا يزدحم العسكر على الماء وعلى الطريق) ويُذْكر أنهم عسكروا في قرية (الرُّوَيْضةِ)ــ شمال الرَّسِّ ــ لعذوبة مائها ، وكثرة الكلإ والمراعي حولها . ثم نزلوا (الشَّبيبيَّة(٤)) ثم توجهوا إلى (عُنيزة) وقبل وصولهم إليها وفد على خورشيد عبدالعزيز بن محمد آل أبو عُلَيان أمير بريدة ، ومعه أمراء قُرى القصيم يطلبون الأمانَ ويقدمون له الطاعة التامة .

أما أمير عنيزة يحيى بن سُلَيْم فَيُذْكَرُ أنه لَمْ يَأتِ لأنه خائف من مَغَبَّةِ ما عمله

من مخالفة ـــ دون ذكر نوع هذه المخالفة[٥] ـ بل أرسل أخاه بدله ، طالبا الأمان ، ولكن خورشيد ردَّهُ وأمر أن يأتي يحيى بنفسه . وفعلا جاء يحيى مع كبار أهل عنيزة طالبين الأمان . ثم سار خورشيد ودخل عنيزة في يوم ٢٠ صفر عام ١٢٥٤هـ ونصبوا الخيام في المعسكر خارج البلد[٦] .

معركة عنيزة :

لم تمض ثلاثة أيام على وصولهم حتى حصلت معركة بينهم وبين أهل عنيزة ، راح ضحيتها عدد من القتلى من الطرفين . وقد أوردها بعض مؤرخي نجد وأهمهم ابن بشر بصورة غير التي أوردتها الوثائق .

فابن بشر يذكر أن سبب ذالك هوأنه سُرِق لخورشيد باشا وهو مُعَسْكِرٌ في عنيزة ثُمانِيَّتانِ من الإبل ، فاتهموا بذالك أهل عنيزة ، ووضع خورشيد حرساً في الليل فصادفوا رجلًا خارجاً إلى مزرعته فامسكوه هو ووالده وقتلوهما . فعلم بذالك أمير عنيزة يحيى السليم . فامر أنْ تُرْمى جثتهما عند خيمة خورشيد ، ليراها ، ويتأكد مما فعله جنده ، ثم جاء أمير عنيزة إلى خورشيد ومعه سلاحه ـــ كالعادة ـــ فلما أراد الدخول على خورشيد نزع حُرَّاسُ خورشيد السلاحَ من على يحيى ، لأن العادة عندهم عدم الدخول على القائد أو الزعيم بسلاح ، فظنَّ خادمُ يحيى أن معنى ذالك أَسْرُ الأمير وقتله ، فهرب إلى البلد وصاح : أميركم قتل !! وكان هناك عدد من العسكر في داخل سوق عنيزة ، يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل البلد ، وقتلوا كُلَّ من وجدُوا منهم . وعلم يحيى السُّلَيم ، بالأمر ، وهو عند خورشيد باشا ، فاحْتال ، وهرب إلى داخل البَلد فوصلها بسلام . ثم نهضت العساكر فقتلوا من وجدوه من الأهالي خارج سور عنيزة ، وحاصروا قصر الضَّبَط ، وقتلوا من فيه من أهل عنيزة ، وعددهم خمسون ، بينما قتل الأهالي من العسكر تسعين رجلا . واستمرت الحرب بين الطرفَيْنِ ثلاثة أيام ثم وقع الصلح بينهم[٧] .

أما الوثائق[٨] فترويها بصورة أخرى ، بناء على التقرير الذي أرسله خورشيد باشا إلى حكومته في القاهرة . حيث ذكر أنه في اليوم الثالث لنزولهم عنيزة نزل

جنديٌّ من الترك إلى سوق عنيزة داخلَ البلد ، فحصل بينه وبين أحد البادية نزاعٌ من أجل كَرْمٍ (عنب) أدّى إلى قيام الجنديِّ بقتل هذا البدوي ، فما كان من أهل البلد إلا أن قاموا وقتلوا الجنديَّ التركيَّ . وبهذا شب القتال بين أهل البلد وباقي العسكر، وأغلقوا أبوابها، وبادروا إلى أسلحتهم، واحتلوا السور، والبروج المحيطة به، عند ذالك أمر خورشيد بنصب ثلاثة مدافع في ثلاثة أمكنةٍ، وأمام ثلاث جهات في عنيزة أحدها أمام (الباطن[٩]) والثاني أمام (قصر الصفا) . والثالث في مكان لم يعينه ، كما قام بعض الفرسان باحتلال بعض البساتين وبروجها . ونشب القتال بين الطرفين ، وأخذت المدافع تضرب سور المدينة بعد أن قام الأهالي بإطلاق النار من بنادقهم على العسكر ، واستمر ذالك يومين وليلةً ، ويُذْكَرُ أن أهل البلد كانوا يحاولون الخروج من السور ، والهجوم على العساكر فتتلقاهم الفرسان الذين في البساتين القريبة من السور فتجهز عليهم . ثم يذكر أن القتال أسفر عن قتل مئة قتيل من أهل البلد ، قتلوا عند خروجهم ، وعن مئتي قتيل قتلتهم المدافع ، كما انهدَّتْ بعض البروج ، وجزء من السور ، وأنه أراد تدمير البلد بكامله لكنه تراجع لأن البلدة مركز تجاريٌّ كبير في المنطقة ، يختلف إليه التجار من بغداد والشام ، ويقصده الأعراب ببضائعهم ، وفي تدميره خسارة على هاؤلاء من ناحية ، وضرر على طريق إمداد الحملة بِالْمُؤَنِ والذخيرة . ثم يذكر أن أهل البلد لم يلبثوا أن طلبوا الأمان فأجيب طلبهم ، بعد أن قتل من العسكر اثنا عشر قتيلا وثمانية عشر جريحا[١٠] .

ملاحظات على الروايتين :

وهكذا نرى تباين الروايتين خصوصا في سبب القتال وعدد القتلى[١١]. ولنا على الروايتين عدة ملاحظات :

١ ـ أن السبب الذي ذكره ابن بشر لنشوب القتال قد يكون أكثر قبولا . فمن المرجح أن خُورشِيدَ في تقريره حاول أن يُبَرِّيَّ نفسه من أن تكون له يدٌ في نشوب قتال بسبب سرقة عُمَانِيَّتَيْنِ له ، فاختلق هذا السبب أمام حكومته في القاهرة .

٢ ــ أن تقدير خورشيد لعدد القتلى غير مطابق للحقيقة ، إذ من المرجح أنه يحاول زيادة عدد قتلى عَدُوِّهِ وتقليل عدد قتلاه في تقريره الذي سيرفعه إلى حكومته .

٣ ــ تدل الواقعة وتفصيلاتها في الروايتين معاً على أنَّ سُكَّانَ المنطقة هناك لم يكن خضوعهم للحملات المصرية جُبْنًا بقدر ما هو سير في الطريق الأسلم لهم[١٢] ولمنطقتهم ، وعدم الدخول في حرب معها معروفة نتائجها لصالح عدوهم لكثرة عدده وعتاده .

٤ ــ دلت الوثيقة على ما تتمتع به منطقة القصيم عامة ومدينة (عنيزة) خاصة من حركة تجارية واسعة لم تنقطع حتى في ظروف مجيء الحملات المصرية ، وانعدام قيام سلطة مركزية وطنية .

ما بعـــد المعـــركة :

ومهما يكن من أمر فقد مكث خورشيد في (عنيزة) مدة طويلة ، تقدر بخمسة أشهر استطاع فيها جَلَوِي بن تركي ــ أخو الإمام فيصل ــ من الهرب إلى أخيه فيصل في (الدَّلَم) بعد أن استأذن خورشيد في الذهاب إلى بريدة لبعض حاجته ، فأذِنَ له ، ومن هناك اتجه فوراً إلى أخيه في الدلم ، ليطلعه على حقيقة الأمر ، وأن خورشيد باشا عازم على محاربته[١٣] .

وتتابعت الوفود على خورشيد في عنيزة تعلن ولاءها وطاعتها[١٤] له وكان من ضمن هاؤلاء وفدُ جبل شَمَّر بزعامة أميره عبدالله بن علي بن رشيد ، الذي جاء إلى خورشيد ــ بعد استيلائه على الإمارة من عيسى بن علي ــ الأمير السابق ــ مقدما له الطاعة ومُبْدِياً كامل استعداده لمساعدة حملته . وقبل خورشيد منه ذالك وأقره على إمارة حايل[١٥] ، وكان ذا فائدة له في توفير العديد من الإبل كوسائل نقل مهمة للحملة . يقول ويندر (Winder) بأن مشكلة الحصول على الإبل كوسائل للنقل هي شغل المصريين الشاغل بالنسبة لغزو نجد .

ورجع عبدالله بن رشيد من عند خورشيد محملاً بالهدايا ، وضامِناً إمارة حايل

٥ ــ الفاخري ، محمد بن عمر : « الأخبار النجدية » دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله الشبل . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بدون تاريخ) .

ــ المراجع الأجنبية :

1 - Musil (Alios).
Northern Nejd, New York 1928.
2 - Philby (H.S. & J.B.)
Arabia of the Wahabis, London 1977.
3 - Winder
Saudi Arabia in the Ninteenth Century, New York 1965.

الحـــواشي :

(١) انظر عن هزيمة اسماعيل بك ومعه خالد بن سعود في الحوطة والحريق في ابن بشر « عنوان المجد » جـ٢ ص ٩٣ .

(٢) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، « محمد علي وشبه الجزيرة العربية » ص ٣٠٣ ومحفظة رقم (٢٦٤) عابدين وثيقة (٢٠٨) .

(٣) دار الوثائق بالقاهرة محفظة (٢٦٢) عابدين وثيقة رقم ٢٦٦ من خورشيد باشا إلى محمد علي في ٢٤ ذي القعدة ١٢٥٣هـ .

(٤) تقع الرويضة شمال الرس . وتقع الشبيبة غرب عنيزة أنظر « معجم القصيم» ١٠٧٩/٣ و١١٩٦ .

(٥) لعل المقصود بالمخالفة قتل يحيى السليم عبدالله الجمعي الموالي للمصريين في عنيزة عام ١٢٣٩هـ وتولي إمارة عنيزة . أنظر ابن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» ص ١٥٣ .

(٦) دار الوثائق بالقاهرة محفظة (٢٦٤) عابدين وثيقة رقم (٢٠٨) زرقاء من خورشيد باشا إلى ــ الباشا السرعسكر في ٤ ربيع أول عام ١٢٥٤هـ ومحفظة (٢٦٤) وثيقة ١٢٩ حمراء .

(٧) أنظر ابن بشر جـ٢ ص ١٠١ و١٠٢ ومقبل الذكير : «تاريخ نجد» (مخطوط) ورقة ٦٦ . والفاخري : «الأخبار النجدية» تحقيق د. عبدالله الشبل ص ١٧٤ . وفي المخطوطة حوادث ١٢٥٤هـ .

(٨) الوثيقة السابقة رقم (٢٠٨) زرقاء .

(٩) كذا بالأصل وصحتها (البويطن) أحد أحياء مدينة عنيزة حتى الآن .

(١٠) الوثيقة السابقة رقم (٢٠٨)زرقاء .

(١١) يورد المؤرخ (واينذر) حصرا مخالفا في عدد القتلى من الجانبين فيذكر أنهم يتراوحون بين ١٤٠ ــ ٤١٨ . أنظر Winder, Saudi Arabia p. 198 أما الفاخري فيوافق ابن بشر في جعل قتلى العسكر (٩٠) وقتلى عنيزة (٥٠) انظر محمد الفاخري «الأخبار النجدية» ص ١٧٤ .

(١٢) ورد في وثيقة أخرى أن أهل عنيزة سيثورون إذا كلفوا بأقل شيء . وقد اطلق خورشيد على سور عنيزة ألف قذيفة فلم ينهدم سوى جانب من السور الذي يتراوح عرضه بين ٣ ــ ٤ أذرع من الطين المصبوب . محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٦٠) حمراء .

(١٣) ابن بشر جـ٢ ص ١٠٣ . ومحفظة (٢٦٢) وثيقة (٢١٨) .

(١٤) محفظة (٢٦٤) وثيقة (٢٤٠) زرقاء .

قصيدتان بائيتان جديدتان
لعَدِيّ بن الرقاع العامِلِيّ

نشرت مجلة « العرب » الغرّاء (س ٢١ ص ٢٤٢) قصيدتين لعَدِيّ بن الرِّقاع . وقد أثار نشرهما تساؤلات كثيرة عن مصدرهما من سائر البلدان العربية والإسلامية .

وأُحِب هنا أن أُشير إلى أنّ القصيدتين من ديوانه المخطوط بشرح أبي العباس ثعلب المتوفي سنة ٢٩١هـ .

وقد وفقنا الله تعالى فحصلنا على هذه المخطوطة وهي تضمّ تسعاً وعشرين قصيدةً فيها أكثر من ألف بيت .

وقمنا ، أنا وأخي الدكتور نوري القيسي ، بتحقيق هذا الديوان ولم ندفعه إلى المطبعة إلاّ قبل شهر واحد لأسباب نُحْجِمُ عن ذكرها .

واليوم أهدي قصيدتين بائيتين جديدتين إلى أخي حمد الجاسر حفظه الله تعالى راجياً له الصحة التامة ولمجلة العرب الغرّاء دوام التقدم والازدهار .

والقصيدتان هما الأولى والثانية في الديوان المخطوط ، وقد خلط بينهما مَنْ تصدّى لجمع شعر عدي بن الرِّقاع إذ وقف على سبعة أبيات منهما ، بينما تقع الأولى في أربعة وعشرين بيتاً ، وتقع الثانية في أربعة وأربعين بيتاً .

---

(١٥) دار الوثائق بالقاهرة محفظة (٢٦٢) وثيقة (١١٩) . ابن بشر ٢/١٠٢ ـ ١٠٣ و Musil, Northern Nejd p. 272.

(١٦) محفظة ٢٦٢ وثيقة (١٨٩) وانظر Winder , Op. cit p. 198.

(١٧) ابن بشر جـ ٢ ص ١٠٣ . ويذكر أنه وفد على خورشيد في عنيزة زعيم مُطير محمد الدّويش وزعيم سُبيع فهد الصُّبَيْحي ، وامير سُدَيْر احمد السديري .

(١٨) الوثيقة السابقة (٢٠٨) زرقاء و . Philby : Arabia of the Wahabis p. 170 وانظر عن معركة (بقعا) ابن بشر جـ ٢ص ١١٧ .

والحمد لله أولاً وآخراً إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير؟

بغداد ــ كلية الآداب بجامعة بغداد د. حاتم صالح الضامن

قالَ عَدِيُّ بن الرِّقاعِ العامِلِيّ :

١ لِمَنِ الدّارُ كَعُنْوانِ الْكِتابِ … هاجَتِ الشَّوْقَ وعَيَّتْ بِالْجَوابِ
٢ لم تَرِزْكَ الدّارُ إلاّ طَرَباً … والصِّبا غَيْرُ شَبِيهٍ بِالصَّوابِ
٣ مَوْضِعُ الأَنْضادِ لأْياً ماتُرى … وَرَمادٌ مِثْلُ كُحْلِ الْعَيْنِ هابِ
٤ صَدَّ عَنْهُ السَّيْلَ يَجْرِي تَلْعَةٍ … خُدَدٌ باقٍ كَأُخْدُودِ الْكِرابِ
٥ ضَرَبَتْهُ سَلْفَعٌ مَمْلُوكَةٌ … بِغُرابِ الْفَأْسِ فِي وَجْهِ التُّرابِ
٦ تَدْفَعُ السَّيْلَ بِهِ حتى جرى … صَحْصَحانُ الصَّحارِي وَالرِّكابِ
٧ وَبِها قَدْ كانَ فِيها ساكِناً … أَهْلُ أَنْعامٍ وَخَيْلٍ وقِبابِ
٨ وَرَعابِيبُ حِسانٌ كالدُّمى … لا يُنِلْنَ الشَّيْبَ لَذّاتِ الشَّبابِ
٩ فَذَرِ اللَّهْوَ لِمَنْ يَلْهُو بِهِ … واكْسُ أَقْتادَكَ جَوْناً ذا هِبابِ
١٠ حَمَلَتْهُ بازِلٌ كَوْداتَةٌ … فِي بِلاطٍ وَوِعاءٍ كالْجِرابِ
١١ سَنَةً حتّى إذا ما أَحْوَلَتْ … وَضَعَتْهُ بَعْدَ عَرْفٍ واضْطِرابِ
١٢ جَلْدَةً لَمْ يَتَخَوَّنْ دَرَّها … سُوءُ تَصْرِيمٍ وَلا جَهْدُ احْتِلابِ
١٣ فَغَذَتْهُ دِرَرًا حتّى بَدا … سامِقاً يَعْلُو مَصاعِيبَ النِّقابِ
١٤ جَذَعاً يَسْتَكْبِرُ الشَّوْلُ لَهُ … مُقْتَناً كالْفَحْلِ يَحْمِي بِاللُّعابِ
١٥ ثُمَّ أَثْنى وَهْوَ شَهْمٌ مُصْعَبٌ … قَرِدٌ يُذْعَرُ مِنْ صَوْتِ الذُّبابِ
١٦ فَخَلا سِتَّةَ أَيّامٍ بِهِ … رائِضٌ يَعْدِلُ أَضْغانَ الصِّعابِ
١٧ فِي خَلاءِ الأَرْضِ حَتّى قادَهُ … تَبَعَ الْمُهْرِ بِمَنْحٍ واجْتِلابِ
١٨ قَلَّما حَمَّلَهُ مِن رَحْلِهِ … غَيْرَ أَقْتادٍ ونِطْعٍ وقِرابِ
١٩ يَرْقُبُ الشَّخْصَ بِعالِي طَرْفِهِ … بَعْدَما يَنْضُو مَعانِيقَ الرِّكابِ
٢٠ نِعْمَ قُرْقُورُ الْمَرَوْراتِ إذا … غَرِقَ الْحِزّانُ فِي آلِ السَّرابِ
٢١ كَمُدِلٍّ ظَلَّ فِي عانَتِهِ … بِضُوَى الرِّجْلَةِ شَرْقِيَّ غُرابِ

٢٢ صائِمٌ يَغْصِمُ أدْنَى أمْرِهِ ... قد يَرَى جَبْلَتَهُ عَنْفُ الرِّقابِ
٢٣ أبِماءِ السِّرِّ يَسْقِينَهِنَّ أمْ ... يَرِدُ الجَيَّ إلى وَجْهِ الإيَابِ
٢٤ ثُمَّ قَفَّاهُنَّ مَحْبُوكُ الشَّوَى ... أصْحَلٌ في أخْدَرِيَّاتٍ لِهَابِ

وقال عَدِيّ أيضاً :

١ لِمَنِ الدّارُ مِثْلُ خَطِّ الْكِتابِ ... بِالْمَراقِيدِ أوْ بِذِكْرِ الْعِقابِ
٢ جَرَّت الرِّيحُ فَوْقَها مُذْلَئِبًّا ... مِنْ أهَابِيَّ تَرْتَمِي بِالتُّرابِ
٣ لَيْتَ لِي جِيرَةً كَآلِ خُلَيْدٍ ... حَسْبِي الذي مَاتِعِي الأحْسابِ (؟)
٤ بَذَلُوا الْمَاءَ يَوْمَ جِئْنَا وحَيَّوْا ... وسَقَوْنا على مَنَاقِي الرِّكابِ
٥ طَاهِرُو الأُنْسِ والعَفافِ إذا مَا ... لُزِّبِينَ البُيُوتِ بِالأطْنَابِ
٦ وَرَأَيْتُ الدُّخَانَ يَنْسِلُ قُدْماً ... نَسَلَ الذِّئْبِ مِنْ وَرَاءِ الحِجابِ
٧ عَادَ لِلقَلْبِ مِنْ رُوَيْمَةَ رَدٌّ ... بَعْدَ صَرْمٍ مُبَيَّنٍ واجْتِنابِ
٨ وسَبَتْهُ بِنَاصِعِ اللَّوْنِ حُرٍّ ... وَثَنَايَا مُفَلَّجَاتٍ عِذَابِ
٩ دُمْيَةٌ شَافَهَا رِجَالٌ نَصَارَى ... يَوْمَ فِصْحٍ بِمَاءِ كَنْزٍ مُذَابِ
١٠ أو مَهَاةٌ تَبْلُجُ اللَّيْلُ عَنْهَا ... بِاللِّوَى بَيْنَ عَالِجٍ فَالجَنَابِ
١١ وإذا النّاشِئُ الرِّفَلُّ رَآها ... لَجَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ في التَّصَابي
١٢ بَيَّتَتْنا تَزُورُ صَرْعَى نُعَاسٍ ... عَرَّسُوا مَوْهِناً بأرْضٍ يَبَابِ
١٣ فَتَرَى الغِرَّ بِالْمَنَاكِبِ يَكْبُو ... شَهْوَةَ القَوْمِ كالأَبِيمِ الـمُصَابِ
١٤ هُجَّداً فَاتِرِي العُيُونِ تَرَاهُمْ ... كَالثَّمَالَى وَمَا انْتَشَوْا مِنْ شَرابِ
١٥ راعَهُمْ بَعْدَ رَقْدَةٍ رَقَدُوهَا ... دَعْوَةٌ مِنْ صَمَخْمَحٍ غَيْرِ كَابِ
١٦ قدْ فَشَا في مُضْمَرِ الغِسْلِ مِنْهُ ... وَضَحُ الشَّيْبِ بَعْدَ غَضِّ الشَّبَابِ
١٧ قَدْ دَعَاهُمْ حتى تَفَلَّلَ لأياً ... صَوْتُهُ مِنْ رُؤُوسِهِمْ في النِّقابِ
١٨ مَائِلاً رَأْسُهُ نُعَاساً يُنَادِي ... ثُمَّ يَعْيَا لِسَانُهُ بِالجَوابِ
١٩ عَشِقَ الكَرِمَةَ الّتِي اسْتَنْكَحَتْهُ ... فَهْوَ يَنْضِي بِرَأْسِهِ وهْوَ آبِ
٢٠ فَاتَّقَوْا ظَاهِرَ الحَصَا بِرِحَالٍ ... مُثْبَتَاتٍ عَلَى ظُهُورِ الرِّكابِ
٢١ فَتَحَزْحَزْنَ إذْ سَمِعْنَ وَغَانَا ... جَزَعاً أو تَيَسُّراً لِلْهِبَابِ

٢٢ ضامِرَاتٍ عَلَى ذَخائِرَ كانَتْ   جِرَّةً يأْتَيِفْنَها بِاللُّعَابِ
٢٣ يَتَّدِيرْنَ الْقِيامَ يَجْمَزْنَ قُدْماً   نَاتِيَاتٍ وَهُنَّ خَيْرُ صِحَابِ
٢٤ قَدْ شَهِدْتُ الْجِيادَ يَخْرُجْنَ قُوتاً   مِن غُبَارٍ مُجَلِّلٍ مُنْجَابِ
٢٥ ساطِعٍ يَضْطَغِنَّ مِنْهُ ذُيُولاً   كَمُلاءِ الْعِرَاقِ فِي الْهُدَّابِ
٢٦ ضَرَبَتْهُ الرِّيَاحُ فاقْتَضَبَتْهُ   جَلَدَ الأَرْضِ وَقْعُ صُمٍّ صِلابِ
٢٧ جَانِحَات كَأَنَّهُنَّ رِجالٌ   مُسْتَغِيرُونَ طَارِحُو الأَسْلاَبِ
٢٨ فَوْقَهُنَّ الْمُسْتَلْئِمُونَ قُعُوداً   يَسْتَحِثُّونَهُنَّ بِالأَعْقَابِ
٢٩ بَيْنَ أَيْدِي عَرَمْرَمٍ ذِي دُرُوءٍ   جَحْفَلٍ فِيهِ رَايَةٌ كَالْعُقَابِ
٣٠ تَحْتَها واحِدٌ وعِشْرُونَ كَعْباً   رُدَيْنِياً ومُذْلَقٌ كالشِّهَابِ
٣١ وَكُمَاةٌ كَسَتْهُمُ الْحَرْبُ بِيضاً   وسَرَابِيلُ كُسِّرَتْ لِلضِّرَابِ
٣٢ مِنْ بَنِي قَاسِطٍ وأَبْنَاءِ زُهْدٍ   ذَانِكَ الْمِخْلَبَانِ ظُفْرِي وَنَابِي
٣٣ [. .] طَوَتْ طَلَّتِي إِلَى أَرْضِ قَوْمِي   وَشَجَاهَا تَقَلُّبِي وَاغْتِرَابِي
٣٤ وتَمَنَّتْ ...... أَنْ يَكُونُوا   بِالْمُعَيْنِ أَو بِوَادِي الذِّئَابِ
٣٥ بَعْدَمَا حَرَّتِ الْمِيَاهُ وقِظْنَا   والْمُنَى لَيْسَ مِنْ أُمُورِ الصَّوَابِ
٣٦ لَوْ تَقَدَّمْتِ أَمْسِ كُنْتِ شَفِيعاً   وتَأَخَّرْتِ أَشْهُراً فِي الْعِتَابِ
٣٧ سَوْفَ يَكْفِيكِ بَعْدَهُم إِذْ نَأَوْنَا   سَنِمَاتٌ قَنَاعِسٌ كَالْهِضَابِ
٣٨ طَرِفَاتٌ إِذَا اسْتَبَحْنَ مَكَاناً   صَاحَ فِيهِنَّ يَافِعٌ كَالْغُرَابِ
٣٩ حَبَشِيٌّ يُلاَعِبُ السَّقْبَ مِنها   فَرَحاً أَنْ يَمَضَّهُ بِالثِّيَابِ
٤٠ يَمْتَطِي كُلَّ صَعْبَةٍ وذَلُولٍ   سِمَنَ خَالِدٌ عَلَى الأَصْلاَبِ
٤١ فَتَرَاهُنَّ بُدَّناً رَهِلاَتٍ   وارِمَاتِ الشُّطُوطِ غُلْبَ الرِّقَابِ
٤٢ فَرَعَتْ شَابِكاً فَبَطْنَ شُهَيْبٍ   حَيْثُ مَجَّ الرَّبِيعُ مَاءَ السَّحَابِ
٤٣ وإِذَا بَرَكَتْ تَلَجْلَجَ مِنْها   سُرَرٌ يَقْتَحِمْنَ حُرَّ التُّرَابِ
٤٤ فِي دِيَارِ الْعَزِيزِ مِنْ أَرْضِ كَلْبٍ   بَيْنَ أَحْيَاءِ عَامِرٍ وجَنَابِ

اليهودية في اليمن : جذورها وثقافتها وأدبها
روبين أهروني ٢٢٧ص

[منشورات مطابع جامعة انديانا ، الولايات المتحدة
سنة ١٩٨٦ (باللغة الانجليزية)]

إذا رجعنا إلى أمهات كتب التاريخ اليمني باللغة العربية نكاد لا نجد فصلاً واحداً عن الجالية اليهودية اليمنية ، بل قَلّ من يأتي على ذكر اليهود من المؤرخين اليمنيين إلا عرضاً ، بمناسبة حادث أو واقع ، ولذا فإن لكتاب روبين أهروني أهمية ليس فقط بالنسبة إلى اليهود بل أيضاً بالنسبة إلى اليمنيين أنفسهم ، لأنه يلقي أضواء على تاريخهم ، ويتحدث عن أقدم جالية من أهل الذمة في الجزيرة العربية أُمِّتِ اليمن قبل الميلاد ، وعاشت وازدهرت خلال ألفي سنة ، ثم نزح معظم أفرادها إلى فلسطين ، وآثر العدد القليل منها البقاء في مسقط رأسه ، فلايزال يعيش منها نحو ألفي نسمة في ظلال الجمهورية العربية اليمنية .

إنَّ لِكِتَابِ (روبين أهروني) أهمية تاريخية أكيدة لأن المؤلف استقى جلّ معلوماته من الوثائق العبرية ، بالإضافة إلى المؤلفات العربية والغربية ، فكشف عن معالم مجهولة من الحياة الثقافية والدينية في جنوب الجزيرة العربية . ولكن من دواعي الأسف الشديد أنه لم يحرص على الأمانة التاريخية ، بل اتبع هواه ، وانقاد للعاطفة الدينية في موضوع يحتاج إلى صفاء الذهن والتفكير الرصين ، فهوّل الأمور ، وأثار الحِقْدَ، والسخط، ولم يُرَاعِ أصولَ البحث العلمي التي لا تقبل الدليل إلا بعد أن تتناوله بالنقد والتجريح ، والشك المبدئي ، فإذا به يقبل ــ دون تحقيق ــ أقوال الكتبة المتأخرين من اليهود ، ويرضى بها ، وإن كانت واهية ، ويعتمد عليها وإن كانت مناقضة لشهادة المؤرخين المسلمين الذين كانوا معاصرين للحوادث التي يتكلم عنها .

وقبل أن نُقْدِمَ على نقد هذا الكتاب وإظْهارِ مواطن الضعف فيه ، علينا أنْ نوضح أولاً الغاياتِ التي يرمي إليها المؤلفُ من وراء عمله . ومن الممكن اختصارُها بأوْجز العبارات : إنَّ يهودَ اليمن بزعمه ليسوا من أصل عربي ــ أي من العرب المتهودين ــ ولكن من أرومة يهودية محضة ، ولعلهم من سلالة القبائل العبرية المفقودة التي نزحت إلى الجزيرة العربية في زمن التوراة (ص ٣ ومابعدها) . ويذهب إلى أن (فولكلور) اليهود اليمنيين وموسيقاهم ورقصهم الشعبي تعبر عن تقاليد قديمة تعود إلى التراث القومي اليهودي (الخلاصة) .

وبناء على هذه المقدمات فإنَّ (روبين أهروني) يشكُّ في عدد من الحوادث التي يسلم بصحتها عادةً المختصون بالتاريخ اليمني ، منها تَهَوُّدُ ذِي نُوَاسٍ ، واستشهاد نصارى نَجْران ، (ص ٤٤ ومابعدها) . وعنده أن هذه الحوادث مبالغ بها جِدًّا ، وقد صحبها قسط كبير من الأمور الخيالية ، وهي لا تدل على أن يهود اليمن مُتَحَدِّرُون من سلالة عربية اعتنق بعضُ أفرادِها ديانة موسى في الأزمنة الغابرة ، بل تثبت فقط وجودَ عُنْصرٍ يهوديٍّ أصيل ، كان له أكبر أثر في القبائل الحِمْيَرِيَّةِ (ص ٤٧) .

وبمختصر الكلام ، يذهب (روبين أهروني) إلى أنَّ يهودَ اليمن هم من أرومة عِبرية . وهذه النظرية تحتاج إلى مزيد من الدعم التاريخي ، بل إنَّ عدداً من العلماء اليهود أنفسهم ، منهم (ارتو ريبّان) ، ينكرون صحتها ، وَلا يُدْلِي المؤلفُ بأيِّ شاهدٍ على ما ادّعاه ، إنما يكتفي بإنكار ما قررته الأبحاث التاريخية (انظر : عرفان شهيد ، استشهاد نصارى نجران ، باللغة الانجليزية) . والبرهان القاطع على خطإِ هذه النظرية العنصرية تقدمه لنا جامعة تل أبيب في بحث لها عن (الجينات) الوراثية (Hool genetique) إذْ تبين لها أنَّ (جينات) يهود اليمن لا تختلف في شيء عن (جينات) القبائل العربية المجاورة (أنظر : N. MEYERS: Genetic Links for Scattered Jews, Nature, 1985, No. 314:208. ومعنى ذلك انهم من العرب المتهودة وانه لا يصح علمياً أن نتكلم عنهم كجالية .

ثم ينتقل المؤلف إلى البحث عن أحوال يهود اليمن تحت الحكم الإسلامي . فنراه يتحامل تحاملاً شديداً على الإسلام ، ويطعن خاصة بالزيدية ، وينسب إليها قسطاً وافراً من التّعصب الديني ، ومما لاشك فيه أن الإسلام ما كان ينظر بعين الرضا إلى أهل الذمة ، ومما لاشك فيه أيضاً أنّ حقوق اليهود في اليمن هُضِمَتْ أحيانا ، وأنهم اضْطُهِدُوا بنوع خاص في أيام حكم المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ، إذْ أمر سنة ١٦٧٩ بإجلائهم إلى موزع ، ثم رجعوا إلى قراهم بعد سنة كما بسطه مفصلا المؤلف (ص ١٢١ ومابعدها) إلا أنه كتَبَ مندفعاً بعواطفه فشوَّهَ الحقيقة تشويهاً قبيحاً ، فاصبح تاريخ اليهود في اليمن سلسلة غير منقطعة من الإرهاق والاضطهاد ، والعذاب والإدلال ، والاكراه الديني والمذابح ، حتى انّ بقاء الجالية اليهودية في حَيِّز الوجود بعد كل ما قاسَتْهُ من شدائد وأهوال يدخل في عداد العجائب (ص ٥٥) ، وقد غاب عن فكر المؤلف ماقرره هو نفسه من أن حكم الإعدام على يهودي في اليمن من الأمور النادرة جدًّا (ص ١١١) .

وقد يتساءل القارئ عن المصادر التاريخية التي أخذ عنها المؤلف ؟ إنه رجع خاصة إلى الوثائق العبرية ، ومن أهمها « يوميات حاييم حبشوش » وهو من أهل القرن التاسع عشر ، كان صحب (جوزيف حاليفي) الفرنسي وقت رحلته إلى اليمن . وبناء على مذكرات (حبشوش) طعن (أهروني) بالإمام الهادي ، مؤسس الدولة الزيدية في اليمن سنة ٨٩٨م أي نحو ألف سنة قبل يوميات (حبشوش) ونسب إليه أعمالاً لم يسطرها التاريخ وادَّعَى أنَّ الإمام الهادي أرهق اليهود واستبدَّ بهم ، بل انَّ (حاييم حبشوش) يذهب إلى أبعد من ذالك ويزعم أنَّ عدداً من اليهود فضَّلُوا أن يموتوا شهداء ويبقوا على دينهم ، إذْ خَيَّرَهُم الهادي بين الإسلام والموت ، ولكن اعتنق بعضهم الإسلام كُرْهاً لينقذ حياته (ص ٥٤) ، إلا أن (حبشوش) لا يذكر المصادر التي أخذ عنها ليلصق بالإمام الهادي هذه التهمة الشنيعة المخالفة لمباديء الإسلام ، لِأَنَّهُ يُخَيِّرُ بين الشهادة والجِزْية ، ومع ذالك فإن (أهروني) يقبل راويته على الرغم من أنها تناقض ماجاء في كتب التاريخ عن ورع هذا الإمام وعدله ، وتخالف ماكتبه مؤلف « سيرة الإمام

الهادي » ، علي بن محمد العلوي ، وكان ابْنَ عم الهادي وصاحِبَهُ ، عن حسن معاملة الإمام لأهل الذمة ، وللتوفيق بين هذين القولين المتضاربين - أي بين الذم والمدح والقدح والإطراء ـ يزعم (أهروني) دون أنْ يُدْلِيَ بأي إثبات ، أن (حبشوش) يتكلم عن فترة من حكم الهادي غير الفترة التي حدّث عنها السيد العلوي (ص ٥٦) .

وهذا التشويه للحقائق نراه أيضاً عندما يستشهد (أهروني) بكاتب عُرِفَ بصدقه ودقة وصفه ، مثل الرحالة (نيبور) الذي زار اليمن سنة ١٧٦٣ ، وتجول فيه وتكلم عن أحوال اليهود . فإنَّ المؤلف لم يكن أميناً في نقله عن (نيبور) لأنه تحدث بادِيَ بَدْءٍ عن اضطهاد اليهود ، والقوانين المجحفة بحقوقهم ، وعن بيوتهم الجميلة التي هدمها الحكام ، وعن دور العبادة التي دمَّرَها المسلمون . أجَلْ إنَّ (نيبور) أشار إلى كل هذه الأمور ، ولكنه ذكر أوّلاً رفاهة عيش اليهود ، وسعة رزقهم ، وتكلم عن أحد كبرائهم (شالوم عراقي) الذي كان له حظوة عند الإمام ، ويشغل منصبا هَامًّا في الدولة ، إذْ ظل مدة ثمان وعشرين سنة المفتش الأول لجميع الجمارك والأبنية والبساتين ، ثم فقد حَظْوَتَهُ وسُجِنَ لأسباب نجهلها ، لأنَّ (نيبور) لم يتكلم عنها ، ولكنه يعلمنا أنَّ القوانين ضِدَّ اليهود اتُّخِذَتْ بعد أنْ غضب الإمام على (شالوم عراقي) ـ (نيبور ، رحلة إلى الجزيرة العربية ، ج ١ ، ص ٣٣٦ ، الطبعة الفرنسية سنة ١٧٧٦ ـ ١٧٨٠) . فكيف لا نتساءل عن الأسباب التي حملت الإمام على أنْ يقلب لكبير مفتشيه ظَهْر الْـمِجَنّ ؟ ولا جَرَمَ أنَّ زوال النِّعْمة لا يدل دائما على جُرْمٍ أوْ خطإ ، ولطالما استبدَّ الحاكم برعيته لاسيا في العصور المظلمة . إلاَّ أنَّ الاَسْتِبْدَادَ لم يكن فقط من نصيب أهل ذمة ، ولقد لاقتْ قبيلة المعازِبة (أي الزرانيق) من القتل والاضطهاد وتشتيت الشمل ما يصعب تصوره (انظر : ابنَ الدَّيْبَع « بغية المستفيد وذيله الفضل المزيد ، الفهارس[1] ، مادة المعازبة) . وكان لليهود حظ وافر من الرخَاءِ أيَّام الدولة الرسولية (١٢٢٩ ـ ١٤٥٤) وخلال الاحتلال التركي والبريطاني .

إنَّنا نأخذ على (روبين أهروني) بنوع خاص ، ثقته العمياء بالمصادر التي

يستقي منها ، فينقلَ عنها دون أن يحقق عن نصيبها من الصحة ، مع اننا نرى أنّ رحالة مثل (نيبور) عُرِفَ بأمانته ، يقع أحيانا في أخطاء فادحة . ومن ذالك قوله : إن في خيبر ثلاث قبائل يهودية كانت تعادي المسلمين ولا تُحجِمُ عن نَهب قوافل الحجاج (نيبور ، وصف الجزيرة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ومابعدها ، الترجمة الفرنسية ، سنة ١٧٧٩) . ونحن نعلم أن هذه الأخبار لا أساس لها من الصحة . إنّما ذكرناها ونحن نعلم أنّ رجلاً مثل (نيبور) ينقل أحيانا الرواياتِ الخاطئة . فكيف الحالة عند كاتب مُتاخر مثل (حبشوش) يتكلم عن عصور خلتْ ، معتمداً فقط على الذاكرة الشعبية ؟! ومن العجب أنْ يُولِيَهُ (أهروني) ثقته دون فحْص أو تدقيق . ومع أن المؤرخين اليمنيين لا يذكرون اليهود إلاّ نادراً ، فإنّ في كتبهم إشارات إلى أن حقوقهم لم تكن دائما مهضومة ، كما يذهب إليه المؤلف . ومن ذالك ماجاء في « الفضل المزيد » لابن الدَّيْبَعِ قال : وفي أواخر شهر صفر من سنة خمس وتسع مئة (١٥٠٠م) تجهز مولانا السلطان لغزو بني عبد ، إذْ بلغه أنَّ قاتِلَ ابْنَ مخارش منهم . فلما علموا بذلك لجأوا إلى عَدُوِّ الله اليهودي الملعون ، الناقض للعهد ، الذي ببلد بَيْحَان . وكان مخالفاً على السلطان ، ناقضاً للعهد ، ناكثاً للأيمان ، يطعن في دين الإسلام ، ويركب الخيل بالسرج المعرقة ، ويتطاول على المسلمين ، وتبعه خلق كثير من اليهود ، وخصوصاً من كان أسلم منهم ثم تَهَوَّدَ ، ومن خالف على مولانا السلطان من المسلمين ، فتجهز الملك الظافر إلى بَيْحَان في عساكر كثيرة . . . (الفضل المزيد ، تحقيق شلحد ، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١) وذكر هذه القصة أيضاً بافقيه الشحري في كتابه : « تاريخ الشحر » ــ مخطوطة المكلا ، و رقة ١٦ ــ وهي تدل على السلطة التي كان يتمتع بها اليهود في بيحان . وعلى ذكر ابن الدَّيبع نرى أن (أهروني) أهمل تماماً الدولة الطاهرية ، مع انها حكمت قِسْماً كبيراً من اليمن من سنة ١٤٥٤ إلى سنة ١٥٢٦ .

وعلاوة على الأخطاء التاريخية والتحامل على الزيدية ومؤسسها ، إننا نجد في هذا الكتاب طعناً شديداً باليمنيين ، ويستند المؤلف لاثبات أحكامه الصارمة إلى

ماكتبه أمين الريحاني عن وضع القبائل والفوضى القبلية (ص ١٥) . فَيُعَمِّمُ (أهروني) هذا الوصف ويطلقه على الشعب اليمني بأسره ، على سكان المدن والريف ، ناسياً ماكان للقبائل من أيادٍ كريمة على اليهود لأنهم كانوا يعيشون في جوارها ، وكانت تدافع عنهم ، وتحفظهم من جور الحياة واستبداد الحكام . وعلى الرغم من اختلال الأمن خلال الثورة اليمنية سنة ١٩٦٢ والحرب الأهلية التي طالتْ أكثر من ثماني سنوات وذهب ضحيّتها عشراتُ الآلاف من اليمنيين ، فإن مابقي من الجالية اليهودية في اليمن ، بعد الهجرة إلى فلسطين ، لم يُنْتَقَضْ له عهد ، ولم يُهْدَرْ له دَم ، إذ حافظت عليه القبائل من كل عائلة .

ثم يصف (أهروني) حالة يهود اليمن حين وصولهم إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فيزعم أنهم كانوا في حالة لا توصف من التأخر الحضاري ، حتى أنهم كانوا يجهلون استعمال الأسِرَّة ، فرقدوا تَحْتَهَا وليس فيها(ص ٢) إني زُرْتُ اليمن مِرَاراً منذ سنة ١٩٦٩ واتصلت باليهود في عمران ورَيْدَة وصعدة ويوسعي أن أؤَكِّدَ أنهم يعرفون الأسِرَّةَ وينامون عليها كما يفعل جميع الناس .

أما الوجهة الإيجابية في هذا الكتاب فهو كشفه عن نقاط غامضة أَوْ مجهولة من الأدب العبري اليمني . ونخص بالذكر كتاباً عنوانه « بستان العقول » لابن الفيّومي ، قرر فيه مبدأ الاعتصام بالتَّقِيَّة في أمور الدين . وعلى أساس هذه الفلسفة يستطيع اليهودي ، إذا أُكْرِهَ ، أن يقول شهادة الإسلام ، ويبقى على دينه (ص ٥٦ ومابعدها) . وقد عاب ابن ميمون هذا المبدإ في رسالته الى اليمن .

ويجب أنْ نُشير أيضاً إلى الصفحات الكثيرة التي وصف فيها المؤلف تأثير الاعتقاد بِالْمَسِيح المنتظر في الأدب العبري اليمني . ولما قام (سبّاتي زيفي) بدعوته في ازمير سنة ١٩٤٨ وقال عن نفسه : إنه المخلّص ، تبعه عدد كبير من اليهود في الشرق الأوسط ، ووصلتْ أخباره إلى اليمن ، فاهتزتْ لها الجالية اليهودية ، وقامتْ بتحركات كادتْ ان تُخِلّ بالأمن ، مما أدّى إلى غضب الإمام المهدي إسماعيل ، فأمر باحضار رؤسائها وكبرائها مقيدين بالحديد ، وهددهم بإنزال العقوبات الشديدة بهم إنْ لم يُخْلِدُوا إلى السكون . وأمام توتر الحال حكم

بالأعدام على (الحاخام سليمان الجمال) ونُفِّذَ الحكم به ، ونكرّر ما قاله (أهروني) وذكرناه آنفاً من ان الحكم بالموت على اليهود في اليمن من الأمور النادرة جداً (ص ١١١) . ثم عاد السكون إلى الربوع بعد أن فشلتْ دعوة هذا المخلص إذْ أعلن إسلامه هو وزوجته سارة سنة ١٩٦٦ (أنظر : وِيلْ دورانْ ، تاريخ الحضارة ، ج ٢٤ ، ص ٤١٨ ومابعدها ، سنة ١٩٦٤ ــ الترجمة الفرنسية) .

وشهد اليمنُ نفسهُ مثل هذه الدعوات ، واهتزت الجالية اليهودية في صنعاء وتكهرب جوُّها لما قال (شُكْرٌ كحيل) عن نفسه أنه المخلص ، سنة ١٨٥٩ ، مما أدّى إلى اضطراباتٍ داخلية ، فأمر الإمام بقطع رأسه . ولكن بعد خمسة أعوام ادعى أحد أبْناءِ دينه أنه (شكر كحيل) قُتِلَ وقام من بين الأموات ، ولا نعلم كيف كانت نهايته (ص ١٤٧) .

ولابُدَّ لنا من التعليق على مصادر الكتاب ، لأنَّ المؤلف ذكر نحو خمس مئة عنوان . إلاَّ أنَّ عدداً كبيراً منها لا علاقة له بالموضوع . وبعكس ذلك نراه يجهل بعض المصادر العربية الرئيسة . والواقع أنَّ أهميَّةَ الكتاب تنحصر برجوعه إلى الوثائق العبريَّة ، وهو بذالك يؤدي خدمة جليلة إلى كل باحث لا يحسن اللغة العبرية .

ونرى من المفيد ختاماً أنْ نذكر كلمة قالها أحد كبار المستشرقين الفرنسيين ، وهو الأستاذ (كلود كاهن) : (إن الإسلام في العصور الوسطى ليس فيه مانستطيع أن نقول عنه أنه مُضَادٌّ للعنصر السامي) . (الموسوعة الإسلامية الجديدة ، مادة : ذمة) .

باريس : د. يوسف شُلْحُد
مدير أبحاث فخري في
المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي

الحواشي :

(١) تحقيق يوسف شلحد ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٨٣ . واني اغتنم الفرصة لأنبه إلى خطإ هام وقع في فهارس الفضل المزيد ، من جراء تبديل أرقام صفحات الكتاب بعد الانتهاء من الطبع . ولتصحيح ذلك يكفي أن يضيف القارىء ٣٠ على الارقام المذكورة في فهرس الاعلام كما في فهرس الأمم والقبائل والأماكن (مثلاً : ابراهيم البجلي ٣٠٠ ، يصبح ٣٣٠) .

حول «رسالة فضل جدة»

حَسَنٌ أن يُعْنَى علماؤنا والباحثون في النواحي المختلفة من جوانب الثقافة العربية بكل ما يتصل بتاريخ بلادنا، وأن يُولوا هذا الجانب من عنايتهم واهتمامهم ألْجُهْدَ البارزَ من أعمالهم.

ففضلا عما تُبرِزُه جهودهم من آثار نافعة تنير المسالك للمهتمين بتاريخ هذه البلاد، فإنَّ ذالك مما يوجه ناشئتنا في مراحل دراستهم إلى التعلق بتاريخ بلادهم والاهتمام به.

ولقدْ حَمِدتُ للأستاذ الكريم الدكتور عبدالمحسن بن مدعج المدعج تناولَهُ هذا الجانب بنشره (رسالة في فضل جُدَّةَ وشيء من خبرها) لجار الله بن فهد، في المجلد الحادي والثلاثين من مجلة «معهد المخطوطات العربية» ـ ص ١٨٩ إلى ٢١٠ ـ تاريخ جمادى الأولى/شوال ١٤٠٧هـ (يناير/يونيو ١٩٨٧م).

ومع أنني في حالة تحول بيني وبين مطالعة ما أهواه مما ينشر من أبحاث أو مؤلفات إلاَّ أنَّ صلةَ تلك الرسالة بمدينة من مدننا التي عُنيتُ فيما مضى في البحث عن تاريخها عناية استفادة واستزادة معرفة.

فكان حين طالعت صفحات منها ذكرتُ أنني قرأتُ تلك الصفحات، وهذا مادفعني إلى التقصيِّ عن أصل ماقرأتُ، فتذكرت أنني نشرتُ لجار الله بن فهد الذي أُضيفتْ إليه تلك الرسالة كتابا صغيرا هو «حسن القِرَى في أودية أم القرى» نشرته في مجلة «العرب» س ١٨ في الجزء الأول من هذه السنة مفرَّقا في أجزاء متتابعة.

و«حسن القرى» قد عده الدكتور المدعج من مؤلفات ابن فهد، وأشار إلى المخطوطة التي قد تكون وحيدةً لهذا الكتاب، في إحدى مكتبات حضرموت، كما أشار إلى وجود نسخة مصورة منه في مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن.

وكنت حين قرأتُ بحثًا للمستشرق (سرجنت) عنه وعن كتاب «النسبة

للمواضع » لباخرمة طلبتُ من أخي الأستاذ الدكتور عبدالله الناصر الْوُهَيْبِي المساعدة في الحصول على مصورة من نسخة مكتبة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن ، ولكن الدكتور الوهيبي أخبرني بأنَّ أحد الإخوة الذين يدرسون هناك بحث في تلك المكتبة فلم يجد فيها مصورة للكتاب .

وأخيراً هيأ الله لي نسختين مصورتين من الأصل ، إحداهما بمساعدة الابن الكريم الدكتور عبدالله العثيمين من معهد المخطوطات في القاهرة .

والثانية بواسطة الأخ الأستاذ هادون العطاس مصورة أيضا .

فكان أنْ نشرت الكتاب بعد أن يئست من وجود نسخة أخرى .

لِأَدَعَ هذا وأطالع ماكتبه الأستاذ الدكتور المدعج الذي يظهر أنه لم يطلع على مجلة « العرب » لأنني لا أعتقد أنه يهضم أحداً حَقَّهُ ، كيف هذا وقد أشار إلى أنني نَوَّهْتُ في مجلة « العرب » ــ س ٢ ص ١٩٧ ــ إلى أنَّ ابنَ فهد اقتبس من كتاب ابن المجاور في حديثه عن مدينة جدة ــ حاشية ص ١٩٧ مقدمة الدكتور ــ .

مع أنني لا أدري لماذا أغفل الدكتور الإشارة إلى ماتحدثت به عن هذه التي سميت رسالة ، تحدثت به قبل عشرين عاما في مجلة « العرب » في شهر شعبان سنة ١٣٨٧هـ (تشرين الثاني ١٩٦٧م) وذكرت أنني اقتني نسخة مصورة منها .

وهذا أمرٌ أتركه لضمير الدكتور وما تقضي به الأمانة العلمية ، وهو قد قرأ كل ماكتبت عنها .

ثم أعود إلى الرسالة بعد أن أَقِفَ وقفتين قصيرتين على ماورد في المقدمة مما يستدعي الوقوف :

١ ــ ص ١٩١ : عَدَّ من مؤلفات ابن جار الله « اقتطاف النُّورِ عما ورد في جبل ثَوْر » وغيره معتمدا على بروكلمان .

وبروكلمان قد خلط بين مؤلفات آل فهد ، ولا أتوسع في هذا فلدى المحقق من المصادر ما هو أوثق من بروكلمان في هذه الناحية ، وهي الدراسة التي كتبها

الدكتور ناصر الرُّشَيْد عن آل فهد وقد رجع إليها في بعض المواضع .

٢ ـ ص ١٩٣ : قال عن الرسالة : نعتقد أنها كتبت حوالي عام ٩٥٠ ، ودليلنا على ذالك أنَّ المؤلف أشار إلى تجديد المسجد العتيق بجدة في منتصف القرن العاشر الهجري .

كذا قالَ مع ان نص مافي الرسالة : ان تعمير الجامع العتيق عام سبعة وأربعين وتسع مئة أي قبل منتصف القرن ، وقد دققت في هذا لكي يتفق مع ما سأثبته فيما بعد من أن تاريخ مخطوطة كتاب « حسن القرى وفضائل جدة » منقول منه كما سيأتي ، هذا التاريخ كان سنة ٩٤٧ كما يتضح من طرة المخطوطة [انظر ص ٢١ س ١٨ من مجلة «العرب»] .

أصل رسالة فضل جدة :

يظهر أن ابن فهد لم يفرد مدينة جدة بتأليف خاص ، لأنه ذكر أن شيخه قاضي قضاة الحرمين نجم الدين محمد بن يعقوب المالكي ألف فيها تأليفا لطيفا سماه « تنسم الزهر المأنوس عن ثغر جدة المحروس » وقال : بأنه لم يقف عليه . وأضاف في آخر ماكتب عن جدة في كتابه « حسن القرى » قائلا : (وقد أطَلْتُ الكلامَ في هذا النظام ، وبسطته كثيرا في بلدانياتي المسماه « الفرائدالبهيات في فوائد البلدانيات » فليراجعه طالبه في أصله) وهو يقصد مايتعلق بمدينة جدة .

أما مانشره الدكتور المدعج في مجلة « معهد المخطوطات العربية » مما اطلع عليه مفرداً في ورقات كنتُ اطَّلَعْتُ عليها ووصفتها ، فإن هذا المنشور قد ساقه ابن فهد في كتابه « حسن القرى » بعد أن تكلم عن مكة وذكر جوانب من فضائلها ، فقال : (وذكره الشريف الفاسي في فضلها ، وذكر الموت فيها ، فلا نطول بإيراده ولنذكر بعده من قَصْدِنَا بعد مُرَادِهِ ، وهو ذكر شيء من فضل جدة ساحل مكة ، وشيء من خبرها كما أعده وملخصه) . . . الخ المنشور في المجلة ، وانظر « العرب » س ١٨ ص ٣٦ ومابعدها .

ولم يلاحظ المحقق الكريم الدكتور المدعج أن عبارة (كما اعده ولخصه) يُقْصَدُ بها تقيٌّ الدين الفاسي ، وصواب الكلمة الأخيرة : (وملخصه) لا (ولخصه) .

ويلاحظ وقوع أخطاء في مانشر في مجلة المعهد كما وقع فيه نقص يقارب الصفحتين سأورده بعد الإشارة إلى بعض الأخطاء :

١ ــ ص ٢٠٠ : قال الشريف القاضي فيها :

الصواب : قال الشريف الفاسي .

٢ ــ ص ٢٠١ : رأى بجدة سور محدق بها .

الصواب : رأى بجدة أثَرَ سورٍ مُحْدِقٍ بها .

٣ ــ ص ٢٠١ : مسجد الأبنوس وهذا المسجد معروف الآن .

الصواب : مسجد الأبنوس لساريتين فيه من خشب الأبنوس ، وهذا المسجد معروف الآن .

٤ ــ ص ٢٠١ : ثم بعده في زمن سلطان الزمان .

الصواب : ثم بعده في زمن سلاطين الزمان ــ كما يفهم من بقية العبارة ــ .

٥ ــ ص ٢٠٢ : مدى الزمان ثم عمر الجامع .

الصواب : مدى الزمان عمروا فيها كثيراً من مُؤَخَّرِهِ وَمُقَدَّمِهِ ، وذالك من فضل الله وكرمه ، وتقام فيه الجمعة ، وكذا في المسجد المتجدد آخر القرن التاسع في جهة البحر من الشام ، ويعرف بالخواجا علي الشيرازي العجمي .

٦ ــ ص ٢٠٣ : يصلي فيه ناس جدة .

الصواب : يصلي فيه نائب جُدة .

٧ ــ ص ٢٠٣ : يصلي فيه الصلوات الخمس كل يوم .

الصواب : بل يصلي فيه الصلوات الخمس كلُّ عابد ــ لكي تتفق السجعة مع ماتقدم .

٨ ــ ص ٢٠٣ : قبة مشيلة يذكر أنها منزل حواء .

الصواب : قبة مشيدة عتيقة يذكر أنها منزل حواء .

٩ ــ ص ٢٠٣ : من الزمن اختفى .

الصواب : من الزمن أَخْفَى .

١٠ ــ ص ٢٠٣ : ذكر في مسودة اثباته .

الصواب : وقد رأيت جَدِّي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد المكي رحمه الله تعالى ذكر في مسودة بلدانياته .

١١ ــ ص ٢٠٣ : انها منزل أم البشر .

الصواب : لأنها نزلتها أم البشر .

١٢ ــ ص ٢٠٤ : وكان مدورا بالبحر .

الصواب : وكان يَدُورُ ماءُ البحر .

١٣ ــ ص ٢٠٤ : شبه جزيرة وفي شط البحر .

الصواب : شبه جزيرة في وسط لُجَجِ البحر .

١٤ ــ ص ٢٠٤ : وخافوا من ضيقة الماء .

الصواب : وخافوا من ضيعة الماء .

١٥ ــ ص ٢٠٥ : بها أجناب معقودة في الحجر .

الصواب : بها أجباب منقورة في الحجر .

١٦ ــ ص ٢٠٥ : موسم الهندي المنحدر في هذه السنين .

الصواب : موسم الهندي المتجدد في هذه السنين .

١٧ ــ ص ٢٠٥ : وفيها نواب من صاحب مكة والله أعلم .

الصواب : وفيها نواب من صاحب مكة يقبضون متحصلها .

ثم يأتي مايكمل النقص وهو : وفي أيام الموسم الهندي يصل لها أمير من صاحب مصر ، يقبض لوازمها ومكوسها ، وفيها جلاب كثيرة تنصرف إلى جهات شهيرة ، ويُصاد بها السمك الكثير على أجناس مختلفة ، وأنواع متعددة ، انتهى كلام جَدِّي رحمه الله تعالى .

إلى آخر مانشر في مجلة « العرب » س ١٨ ص ٣٩/٤٠/٤١ ـ مما لا أُطيلُ بذكره .

وتحسن الإشارة إلى أنه ورد في هذه القطعة المفردة من كتاب « حسن القرى » كلام يتعلق بما قام به محمد العجمي من عمارة الجامع العتيق في جدة ـ ص ٢٠٢ ـ ونصها : (ثم عمر الجامع العتيق عمارة حسنة تسر الناظر وتشرح القلوب والخواطر من موخره ومقدمه ، ذالك بفضل الله وكرمه على يد مفخر التجار في هذه الأمصار ذي القدر العلي محمد العجمي نزيل مكة المشرفة ، عقب وصوله من الهند في عام سبعة وأربعين وتسع مئة ، ووصل صحبته بآلات مفتخرة من الأبواب والطبقات الحديد والأخشاب لسقفه وأساطينه وغير ذالك مما يريد ، وجعل له ثلاثة أبواب كبار عرض أبوابه الأولى الصغار ، وقاه الله قيود النار وضاعف له ولمن أعانه على فعله الأجر والثواب ، من الكريم الوهاب .

وصارت تقام فيه الخطبة على ما طلبه وأحبه ، وبدأ في المسجد المتجدد آخر القرن التاسع في جهته التي من الشام ، ويعرف بالخواجة علي الشرابي العجمي ، رحمه الله تعالى ، وقد جددت عمارته أيضاً من منارته في نصف المئة العاشرة أول الدولة الشريفة الرومية والحضرة المعظمة السليمانية خلد الله ملك مالكها وأدام أيام دولتهم بمحمد وآله آمين) . فهذا مما لم يرد في أصل الكتاب .

حمد الجاسر

كتاب « الجوهرتين »

[صدر في هذه الأيام كتاب « الجوهرتين » في تعدين الذهب والفضة للهمداني العالم الجغرافي المشهور ، بتحقيق صاحب هذه المجلة ، ولعل مما يفيد القراء أن يعرفوا شيئا عن هذا الكتاب ، وهاهي مقدمته كما وضعها محققه].

قبل مايقرب من أربعين عاماً اطُّلعتُ على مصورةٍ مَخْطُوطة هذا الكتاب القيم ، فاسترعى انتباهي لمطالعته نسبته للهمداني ، العالم الجغرافي اليمني المعروف ، صاحب كتاب «صفة جزيرة العرب» ، الذي كنت اهتممت بمباحثه اهتماماً صرفني للتحرِّي والبحث عن مؤلفات صاحبه .

وبعد مطالعتي كتاب «الجوهرتين» اتضح لي أنه نادر في موضوعه ، فأنا لاأعرف مُؤَلِّفاً عربياً عُنِيَ بالتعدين في بلاد العرب ، وفي ذكر معادنها المشهورة ، وفي كل مايتعلق بصناعة الذهب والفضة قديماً كهذا الكتاب .

يُضاف إلى هذا أنَّ مؤلفه جمع معلوماتِ أكثرِ مباحثِ كتابه مما اكتسبه وعرفه هو عن مشاهدة وخبرة ، أو تَلَقِّ عن أناسٍ عاصرهم ، باستثناء أشياء نقلها عن بعض المتقدمين ، تتعلق بتكون الذهب والفضة ، وبصلة البروج والكواكب بتغيرات الأرض التي منها التأثير في المعادن ، مما أشرت إليه في وصف لهذا الكتاب نشرته مجلة «المجمع العلمي العربي» في دمشق في المحرم سنة ١٣٧١/١٩٥١ في المجلد الـ ٢٦ ص ٥٣٣/٥٤٤ ، حين قلت : إنَّ هذا الكتاب القيم يدل دلالة واضحة على أنّ لسلفنا الصالح آثاراً نافعة في جميع العلوم ، وإنْ شاب تلك الآثار نقصٌ ، أو اعتراها ضعف في بعض المواضع ، إلاّ أنّ مَردَّ ذالك ثقةُ اؤلئك السلف بكلِّ ماأُثِرَ عن اليونان من حكمة وفلسفة ثقةً دفعتهم الى تلقي كثير من علوم القوم بدون تحقيق وبغير تمحيص ، كما يظهر من صنيع الهمداني في مواضع من كتابه هذا .

وكنتُ منذ اطلعتُ على تلك المصورة حَرِيْصاً على نشر الكتاب ، دَؤُوباً في البحث عن أصل صحيح يمكن الاعتماد عليه عند تحقيقه ، إلاّ أنني لم أَعْثُر بعدَ تلك المصورة إلاّ على نسختين ناقصتين إحداهما منسوخة عن أصل تلك المصورة الموجود في مكتبة جامعة (أبسالة) في بلاد السويد ، والأخرى في مكتبة (الامبروزيانا) في مدينة ميلان في إيطالية ، وسيأتي وصف النسخ الثلاث .

ثم في سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) قام الأستاذ كريستوفر تُلّ (Christopher Toll) من السويد بدراسة المخطوطة الموجودة في جامعة (أبسالة) وتقدم بدراسته إلى هذه الجامعة فنال شهادة (الدكتوراه) بعد أن قدمها بمقدمة ضافية عن موضوع الكتاب وعن مؤلفه ، ونقل أصله إلى لغته السويدية ، وكتب الأصل بخط يده ، واضعاً مقابل كل صفحة ترجمتها ، وقامت تلك الجامعة بنشر هذه الدراسة فكان الحلقة الأولى من سلسلة منشوراتها التي بعنوان : (ACTA UNIVERSITATIS UPSALIENSIS studia semitica upsaliensia -I-).

ولقد كان الأستاذ كريستوفر تل على درجة رفيعة من سُمُوّ الخلق ، فقد أشار إلى ماكتبته في وصف هذا الكتاب في مجلة «المجمع العلمي العربي» بدمشق وفي مجلة «قافلة الزيت» التي تصدر في مدينة الظهران .

وعندما نشرتُ ملاحظاتٍ حول مطبوعته هذه في مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق ـ المجمع العلمي العربي ـ (المجلد الرابع والأربعين ص ٥٥٤/٥٦٨) واطلع عليها أكرمني بالزيارة وكنت في بيروت ، وأظهر لي سروره بما كتبته ، ثم توثقت الصلة بيننا فكان يتحفني ببعض ماينشره عن الهمداني .

والواقع أنَّ عمل الأستاذ كريستوفر تل حيالَ هذا الكتاب لم يَقِفْ عند حدِّ دراسته التي تضمَّنتها نشرته تلك ، بل واصل ذالك العمل ، فنشر في عام ١٩٧٠م في مجلة[1] (Oriental Suecana Vol XVIII, UPPSALA (1970) ، بحثاً ممتعاً عن بعض المعايير والأوزان في كتاب «الجوهرتين» يدل على عمق بحث ، وسعة اطلاع ، وهذا لا يمنع من القول بأن تلك الدراسة القيمة للكتاب بقيت محصورة في دائرة ضيقة ، بحيث أنَّ الكتاب لايزال مجهولاً لدى كثير من المعنيين بدراسة ماللعرب من آثار علمية .

ومنذ بضع سنوات تلقيت من وزارة الإعلام اليمنية كتاباً برقم ٤١٥٢ تاريخه ١٩٨٠/١٢/٦ تعرض عليّ استعدادها للقيام بطبع الكتاب بعد أن أقوم بتحقيقه .

وكنت قد علمت من مؤرخ اليمن الأستاذ القاضي محمد بن علي الأكوع أنه يُعْنَى بتحقيقه ، فكتبت إلى وزارة الإعلام اليمنية بذالك ، وأن الأستاذ الأكوع أولى وأقدرُ مني على تحقيق الكتاب ، وخاصة أنَّ فيه عباراتٍ وكلمات وأسماء استقاها المؤلف من بيئته (اليمن)، وإذَنْ فابْنُ هذه البيئة أقدرُ من غيره على فهم ماورد فى هذا الكتاب .

أمّا الآنَ وقد مضى زمنٌ لم أرَ لِلصَّديق الكريم الأستاذ القاضي الأكوع مايَدُلُّ على اتجاهه لنشر الكتاب ، يُضاف إلىَ هذا أنَّ مايُنْشَرُ في ذالك الجزء الحبيب من وطننا يكاد يكون محصوراً في ذالك الجزء ، ثم إنَّ التعاونَ في نشر كتاب من الكتب قد يبرزه بصورةٍ خيرٍ من الصورة التي ينفرد بها واحد ، وإن كان من الخير توحيدُ الجهد ، واهتمامُ كلِّ ناشر بما لم يقم به غيره ، إلا أنني وقد حرصت منذ اطَّلَعْتُ على هذا الكتاب أنْ أجمع معلومات هي وإنْ كانت يسيرةً إلا أنني أعتقد أنَّ المعنيين به وبأمثاله قد يستفيدون منها ، وهذا مادفعني إلى إعداده للنشر .

ولا أدَّعِي بأنني سآتي بشيء جديد ، حول قيامي بنشر هذا الكتاب ، غير أنَّ جهداً صرفته حياله لم أرِدْ أنْ أحْرِمَ القراء من ثمرته على ماهي عليه .

وبعد أنْ أوشكت أنْ أنتهي من إعداد الكتاب للنشر قمت برحلة إلى صنعاء في ٨ ذي القعدة سنة ١٤٠٦ (١٥/٦/١٩٨٦م) لعل من بواعثها أنّني توقعت أنْ أجد بين الإخوة في هذه البلاد من أستعين به في فهم بعض الكلمات اليمنية الواردة في الكتاب مما استغلق عليَّ فَهْمُهُ ، ومنها أسماء الموازين ـ الواردة في (باب صحة الوزن ومعرفة التقسيم) ومع أنه لم يتمّ لي ما توقَّعْتُ إلاَّ أنني استفدت كثيراً من الأخوين الكريمين الباحث المحقق الأستاذ عبد الله محمد الحِبْشي والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبدالله ـ وكانت مفاجاةً لي أن قدم لي الدكتور يوسف نسخة من الكتاب مما نشرته (وزارة الإعلام والثقافة) أخيراً ، كتب في طرتها : (حققه وقدم له: الدكتور كريستوفر تُلّ ـ طبعة ثانية منقحة ـ أشرف على طبعه وترجم الدراسة الدكتور يوسف محمد عبدالله ـ صنعاء ـ ١٩٨٥م) وهذه الطبعة مِمّا لم أطّلِعْ عليه ولم أعلم به ـ وهي الحلقة الـ (١٥/٣) من (مشروع

الكتاب) الذي تنشره وزارة الإعلام وتمتاز هذه المطبوعة ــ على منشورة الأستاذ (تل) الأولى بأمور : منها نَقْلُ دراسةِ (تل) لهذا الكتاب إلى اللغة العربية ، ومنها طباعة الكتاب بحروف طباعة واضحة بينما المطبوعة الأولى كانت مصورة عن كتابة الأستاذ (تل) التي حاكى بها المخطوطة الأصلية محاكاة تامة ، ومنها الرجوع إلى مانشرته من ملاحظات في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ــ مج ٢٦ ص ٥٤٤/٥٣٣ وإنْ لَمْ يُشرْ إلى ذالك .

كانتْ مفاجأةً لي حيالَ ما عزمتُ عليه من نشرِ الكتاب ، إلاَّ أنَّني بَعْدَ أنْ أمْعنتُ النظرَ في تلك المطبوعة ، وفكَّرْتُ في ضِيقِ مَجَالِ توزيعها ، وفيما بَذَلْتُ منْ جُهْدٍ في دراسةِ الكتاب ، أقْدمتُ على ما عزمت عليه ، بل وجدتُ من العبارة اللَّبِقَة التي قدم بها الأخ الدكتور يوسف نسخة من المطبوعة لي ما قوَّى ذالك العزم إذْ قال أكرمه الله ورعاه : ــ هذه طبعة ثانية منقحة أسهمنا فيها بترجمة المقدمة من الألمانية ، ومراجعة بعض الألفاظ بالاتفاق مع المحقق نرجو أن تكون عند حسن الظن فيما لو تَسَنَّى لكم الوقت لإصدار طبعة وافية .

وقابلت شيخنا الجليل مؤرخَ اليمن العلامة القاضي محمد بن علي الأكوع الحواليّ فقدَّمَ لِيَ مُفْضِلاً مشكوراً ــ مخطوطته التي نسخها بقلمه من كتاب «الجوهرتين» وأعدَّها للنشر ، وحثَّني على أنْ أتولَّى ذالك .

واطَّلَعْتُ على مطبوعة حديثة من الكتاب كُتب في طرتها : (إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبي) عن مطبوعة الأستاذ (تل) استفدت منها أن الحكومة اليمنية ــ على ضوءِ ماذَكَرَ الهمدانيُّ في كتابه هذا ــ اتجهتْ للبحث والتنقيب في بلاد نِهْمٍ ، في موقع مَعْدِنِ الرُّضْرَاض .

بعض من كتبوا عن المعادن :

لاريب أن العلماء ألفوا مؤلفات عن المعادن بصفة عامة ، وتطرقوا لما في جزيرة العرب منها في العصور القديمة ، كشأنهم في كل ناحية من نواحي العلم ، إلا أنَّ ماوصل إلينا من تلك المؤلفات قليل جداً ، بل أقل من القليل إذا صح هذا

التعبير ، ويظهر أنّ فقدانَ ماألفه المتقدمون في هذه الناحية ، أو عدم الاهتمام بمعادن الجزيرة ناشيء عن انصراف الدولة الإسلامية عن هذه البلاد انصرافاً لم يقف عند حدّ إهمال ماأُلّفَ عن نواحيها الاقتصادية ومنها التعدين ، بل شمل كل الجوانب ، باستثناء ماله صلة بالمشاعر المقدسة ، أو مايمرّ في سياق الأخبار التاريخية المتصلة برجال الحكم والسياسة في العهود الغابرة ، وقد عرفت مما أُلّفَ عن المعادن معلوماتٍ موجزة أجملها فيما يلي :—

من أقدم من عرفته ألف في هذا الموضوع الجاحظ ، (عمرو بن بحر ١٦٣ — ٢٥٥هـ) فقد ألّف كتاباً لايزال مفقوداً ، ويظهر أنه مختص بطريقة التّعدين ، وما تُعالج به المعادن من وجوه الصنعة ، كما يتضح هذا من قوله في مقدمة كتابه «الحيوان»: وعِبْتَني بكتاب المعادن ، والْقَوْلِ في جواهرِ الأرض ، وفي اختلافِ أجناس الْفِلزِّ ، والإخبارِ عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلابُ إلى بعضها ، ويُبْطِيءُ عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولاينصبغ ، وبعضها ينصبغ ولايصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، ومالقول في الإكسير والتلطيف . انتهى .

ويرى المستشرق سارتون (SARTON) أن عطار بن محمد الحسيب — عاش في آخر القرن الثاني وأول الثالث الهجري — هو مؤلف أقدم كتاب عربي في علم المعادن وهو كتاب «منافع الأحجار» الذي أشار إليه الرازي في كتاب «الحاوي»(٢) .

أما الهمدانيّ مؤلف هذا الكتاب فيعتبر ماكتبه عن التعدين بصفة عامة من أوفى ماوصل إلينا في موضوعه ، وفي كتابه «صفة جزيرة العرب» معلومات قيمة عن تحديد بعض أمكنة المعادن ، في بلاد نجد وفي تهامة ، وبإضافته إلى مافي في كتاب «الجوهرتين» يُمِدُّ الباحثَ بذخيرة طيبة في الموضوع .

وفي الكتب التي أُلّفَتْ عن تحديد المواضع والأمكنة ككتاب «بلاد العرب» للاصفهاني و«معجم البلدان» لياقوت وغيرهما ، معلوماتٌ عن المعادن في بلاد

العرب ، هي على قلتها تفيد دارسي هذا العلم والباحثين فيه .

وألف أبو الفتح عثمان بن جِنّي رسالةً تتصل بالمعادن من حيث الناحية اللغوية ، قال عنها[3]: وقد كنت عملت رسالة في أسماء الذهب والفضة . انتهى . وهذا لايدخل في نطاق هذا البحث إلا من حيث الصلة اللغوية .

ومن المتقدمين علماء تحدثوا عن المعادن في مؤلفاتهم عن الأحجار الكريمة ـ الجواهر التي تُتَّخَذُ للحلية للزينة .

ومن أشهر هاؤلاء فيلسوف العرب أبو إسحاق الكندي ، الذي نجد أُطرافاً مما كتب عن المعادن في بعض المؤلفات التي وصلت إلينا عن الجواهر .

كما نجد شيئاً من ذالك في كتاب «الجواهر وصفاتها» تأليف الطبيب يحيي بن ماسويه المتوفي سنة ٢٤٣ ، وقد نشر بمصر سنة ١٩٧٧ .

ومنهم محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢/٤٤٠هـ) وله كتاب معروف مطبوع هو «الجماهر في معرفة الجواهر» .

وأحمد بن يوسف التيفاشي التونسي المصري (٥٨٠/٦٥١هـ) وكتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» طبع في هولندا وإيطاليا سنتي ١٧٨٤ و١٩٠٦م ، ثم في القاهرة سنة ١٩٧٧م ـ .

ومنهم محمد بن إبراهيم بن ساعد السنجاري المعروف بابن الأكفاني المتوفي سنة ٧٤٩هـ ، صاحب كتاب «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» مطبوع أيضاً في القاهرة سنة ١٩٣٩ بتحقيق الأب أنستاس ماري الكِرْملي .

وهناك كتب أخرى عن الجواهر تعرضت للمعادن تعرضاً يكاد ينحصر في الصنعة والخاصية .

ولاتخلو الكتب التي أُلِّفَتْ عن خواص الأشياء من ذكر المعادن باعتبارها من وسائل الطب عند المتقدمين ، ولهذا يوجد في كتاب «الشفاء» لابن سينا ،

و«الحاوي» للرازي و«الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار وفي كتاب «التذكرة في الطب» لداوود الأنطاكي ـ وغيرها من المؤلفات الطبية ـ معلومات عن المعادن تتصل بالنواحي التي ألفت هذه الكتب في موضوعها .

وكتب أحد علماء اليمن المتأخرين عن معادن اليمن رسالة موجزة ملحقة بالجزء الثامن من كتاب «الإكليل» في بعض نسخه الخطية وتاريخ نسخ هذه الرسالة كما جاء في آخرها ـ ٢٥ القعدة ١١١٢ ، وكاتبها يدعى علي بن يحيى بن جابر الخيشني المخلافي .

وهي في (دار الكتب المصرية) رسالة بعنوان : «ذكر ماعرف موضعه من معادن اليمن» ، تقع في بضع صفحات ملحقة بإحدى مخطوطات الجزء الثامن من كتاب «الإكليل» للهمداني ، وهي مفيدة في معرفة المعادن في بلاد اليمن ، وكثير مما فيها مستقى من كتابي الهمداني «صفة جزيرة العرب» و «الإكليل» ويظهر أن مؤلفها ، متأخر بعد القرن العاشر الهجري .

وقد نشرها الأستاذ سالم الكرنكوي ـ فريتس كرنكو ـ في آخر كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» للبيروني المطبوع سنة ١٣٥٥ وقد لخصها الأمير شكيب ارسلان في رحلته إلى الحجاز «الارتسامات اللطاف» وهي كما وصفها الأستاذ كرنكو : (جمع فيها مؤلفها المجهول بين الصحيح والباطل).

وممن كتب عن المعادن من المتأخرين المستشرق الألماني برنهارد موريتس (١٨٥٩ / ١٩٣٩م) فقد ألف رسالة دعاها «المعادن في البلاد العربية القديمة» نشر خلاصتها الأمير شكيب أرسلان في كتابه «الارتسامات اللطاف» ، ثم نشرتها مجلة «العرب» كاملة ـ س ٢ ص ٥٨٠ مترجمة بقلم الدكتور أمين رويحة ـ المتوفى سنة ١٤٠٤هـ .

ونشر الاستاذ د.م. دنلوب (Dunlop, D.M.) من جامعة كولومبيا بحثاً عن معادن الذهب والفضة في الإسلام عند الهمداني نشره في مجلة Studia Islamica 8 (1957): 29-49) استفاد منه الأستاذ تل في تحقيقه لكتاب «الجوهرتين».

وقام الأستاذ رُشْدِي الصالح مَلْحَس ، المتوفى قبل عشر سنوات ، بجمع معلومات عن معادن المملكة العربية السعودية ، طبعها في رسالة دعاها «معجم البلدان العربية ـ قسم الحجاز ونجد وملحقاتها ـ بحث المعادن».

وقد حاول في رسالته عن المعادنِ جَمْعَ ماعثر عليه في المؤلفات التي كانت تحت يده كـ «معجم البلدان» و«صفة جزيرة العرب» و«وفاء الوفاء» و«تاج العروس» ، وهو جَمْعٌ مع عدم استيعابه حصل فيه كثير من الخلط ، بسبب إطلاق الاسم الواحد على عدة مواضع مختلفة في البلاد ، ومَنْ لم يعرفها ويعرف تباينها يظنها موضعاً واحداً ، فيورد كل ماذكره المتقدمون في تحديد المواضع المختلفة ، ويحاول تطبيقه على موضع واحد ، وهذا الوهم وقع فيه كثير ممن كتب عن مواضع الجزيرة . قديماً وحديثاً .

وقد شحن الأستاذ رشدي رسالته بذكر مواضع الملح من السبخات وأسماء المياه المرة ، باعتبارها تحتوي على معادن ملحية ، مما هو خارج عن المعادن في نظر المتقدمين .

وتقدم الأستاذ محسن العابد من علماء تونس في عام ١٩٦٦م إلى جامعة بون في ألمانيا برسالة عن «المناجم في القرون الوسطى» وأماكن وجودها في البلاد العربية ـ عند الجغرافيين والمؤرخين ، نال بها إجازة (الدكتوراه) وهي باللغة الألمانية ، وتقع ـ مطبوعة ـ في ١٣٥ صفحة بالحرف الدقيق ، وفيها معلومات مفيدة عن المعادن في الجزيرة ، مستقاة من الكتب المعروفة .

أما التقارير الرسمية التي كتبت عن المعادن في بلاد العرب في الآونة الأخيرة فهي كثيرة ، ولكنها تبحث في المعادن الموجودة فِعْلاً ، أو التي لاتزال آثارُها بارزةً ، ومن أقدم هذه التقارير تقرير (ك.س. تويتشل) عن «المياه والمعادن في الحجاز» وقد نشرته جريدة «أم القرى» في تسعة أعداد منها في خلال عام ١٣٥٩ (١٩٤١م).

ونشرت (المديرية العامة للمعادن) نشرات مختلفة في الموضوع كلها باللغة

الانكليزية ومن أوفاها بالمقصود : (Mineral Resources of Saudi Arabia – Bulletin N.I. 1965).

التعدين عند العرب : [انظر « العرب » س ٢ ص ٨٠٧] .

وسائل الاستدلال على الذهب والفضة :[« العرب » س ٢ ص ٨١١] .

الهمداني مؤلف «الجوهرتين» :

شهرة مؤلف هذا الكتاب بما عُرِف من آثاره ككتاب «الإكليل» وكتاب «صفة جزيرة العرب» تغني عن التوسع في كتابة ترجمته ، وقد فصَّلْتُ جوانب منها في مقدمة كتاب «صفة جزيرة العرب»[٤] اجتزيء بما سأورده هنا .

اسمه ونسبه: هو الحسن بن أحمد بن يعقوب ، ويعرف بابن يعقوب وبالنسابة .

ويُنْبَزُ بابن الدُمينة وبابن الحائك .[٥]

ويدعو نفسه (لسان اليمن)[٦] وبالكنية بابنه محمد كثيراً ، وباسمه الحسن ، وبالهَمْدَاني .

وأسرته من همْدَان: من بني عليان بن أرحَبَ ثم من بَكِيل ، وقد أفرد للكلام عن قبيلته همدان الجزء العاشر من كتاب «الإكليل» ، وفصل فيه نسبه متحدثاً عن أسرته وتفرعها من تلك القبيلة .

وفي المقالة العاشرة من «سرائر الحكمة»[٧] مايفهم منه أنه ولد في ١٩ صفر سنة ٢٨٠هـ في مدينة صنعاء .

ولاتفصح المصادرُ التي اطَّلَعْتُ عليها عن وصف حياته في أول نشأته ، ولعله شارك أهله في عملهم وكانوا — على مايفهم مما ورد في «الإكليل» — يمتهنون (الجمالة)[٨] — أي نقل الحجاج والتجار من صعدة إلى مكة — بل قد نَصَّ الهمداني

نفسه على ذالك إذ قال : وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صعدة يأكلون سُفَرَهُمْ طَرِيَّةً إلى نصف الطريق ، ويابِسَةً تُدَقُّ إلى مكة(٩).

وكان كثيرَ الصلة ببعض مشاهير زمنه ، مادحاً لهم طالباً رفدهم ، وهذا يدل على أنه كان يلاقي عَوَزاً وحاجة ، فقد ذكر القفطي في «إنباة الرواة» أنه قصد مَرَّةً أحد أجلاَّءِ اليمن ــ ويعرف بابن الرَّويَّة المُرَادي من مَذْحِج ، وامتدحه في سنة شديدة ، فأكرمه ، وأنزله أجمل منزل ، وطوّل عليه في تأخير ، فأقام شَهْراً ، وهو قلق من أمر أهله ، وما تركهم عليه من الإعْسَار في ذالك الوقت ، فلما انقضى الشهر استأذنه في الرجوع إلى أهله ، فأَذِن له ، فرجع كثيباً صِفْرَ اليَدِ مما قصده له . ولما صار قريباً من أهله تلقاه بنوه وأقرباؤه على هيئة جميلة ، ومراكب نفيسة ، فأُعْجِبَ بذالك ، وسألهم عن سببه ، فقالوا : هو مابعثت لنا . ففطن للأمر ، وسألهم صورة ماسير إليه ، فذكروا جملة كثيرة ، من مال وملبوس ومركوب ومفترش ، ففرح وأمعن في مدح ابن الروية المذكور وبالغ في وصفه ، واشتهرت هذه المكرمة بالبلاد اليمنية ، وسار مَديحُهُ له .

وكان ابنُ الرويَّة هذا قد ولي أعمال صنعاء زماناً ، ثم استقر أمره بالسِّرِّ ، وبها ولده . انتهى .

ويظهر أن الهمدانيَّ أطال الإقامة في مكة ، وأنه تَلَقَّى العلم عن بعض علمائها كالخضر بن داود ، وأنه اجتمع فيها بأبي علي الْهَجَرِي ، وكان ذالك في شبيبته حين جاور هناك ، وكتب صدراً من الحديث والفقه ، والتأريخ ، ثم رجع إلى اليمن فنزل صعدة .

ومن أشهر مشائخه في اليمن الأوساني الحِمْيَري محمد بن عبدالله (٢٧٦/٣٧٠)، وأكثر معارف الهمداني تلقاها عن رواة وعلماء وأناسٍ من أهل قطره ، ويظهر أنَّ الكتب المعربة عن اليونانية وصلتْ إلى اليمن في زمن متقدم ، ولهذا تأثَّرَ الهمداني ببعض الآراء الواردة في تلك الكتب ، المترجمة عن اليونانية

والفارسية أو الهندية تأثراً دفعه إلى الأخذ بها .

وهذا مما يؤخذ عليه ، كما يؤخذ عليه شِدَّةُ تعصبه شدةً قد تُحِيدُ به في بعض الأحيان عن جادَّةِ الصواب ، ومن ذالك اعتقاده بتأثير النجوم في تكون المعادن وفي البشر ، وتأثير بروج الشمس ، واعتقاده بصحة تحويل بعض المعادن ذهباً .

ويؤخذ عليه أيضاً تصرفه في رواية الشعر .

وللهمداني مع ذالك نظراتٌ صائبةٌ حينما يورد بعض الأخبار التي لايقبلها العقل ، وقد تدفعه عصبيته إلى النقيض من ذالك .

وكان عصرُ الهمداني عَصْرَ صراع بين تيَّاراتٍ سياسية مختلفة ، فالأئمةُ الزَّيديُّون طرأوا على اليمن في عهد الهمداني ، وانضم لمؤازرتهم بعضُ القبائل اليمنية والأَبْنَاءُ من الفُرْس .

والأُمَرَاءُ اليُعْفِريُّون[١٠] قاعدتهم صنعاء تنحاز إليهم أكثر قبائل اليمن بِحكم العصبية القبلية .

وهناك أمراء آخرون من رؤساء القبائل يميلون مع هاؤلاء آونةً ومع أولئك أخرى ، وقد ينضمون إلى غير الفئتين في بعض الأحيان ، كما فعلوا مع القرامطة ، وكان الخلاف بين أصحاب هذه التيارات يتجاوزُ حَدَّ المقارعة بالسنان إلى المجادلة بالحجة واللسان ، فكان أنِ اشْتعلتْ نارُ العصبية بين القحطانية والعدنانية ، وكانَ بَعْضُ الأَبْنَاءِ من الفرس يُذْكي أوارَها ، وليس من المستبعد أنْ يَوجَدَ وراءَ هاؤلاء من ذوي النفوذ في بغداد من له أثر في ذالك .

من هنا خاض الهمدانيُّ المعمعة ، وكان من أثر ذالك أن أُوذِي من قبل الإمام الناصر لدين الله صاحب صَعْدَةَ ، فخرج إلى صنعاء فكتب الناصر إلى واليها ابن يُعْفِرَ بسجنه ، فسجنه .

وقد أشار في المقالة العاشرة من «سرائر الحكمة» إلى أنه أُدْخِلَ السجن في شوال

سنة ٣١٩ ، ثم أُخرج وأُعيد إلى السجن ، وبلغ مكثه في السجن على ماذكر ٦٤٩ يوماً ثم هرب من سجنه .

ويظهر أنه شارك في الحروب التي قامَتْ من بعض القبائل لإزالة ملك الناصر وقتل أخيه الحسن سنة ٣٢٢ كما ذكر أنه أقام في صعدة ٢٠ سنة[11].

ولعل أَبْرَزَ صفةٍ للهمداني تَعَصُّبُهُ لقومه أو للقحطانيين بصفة عامة ، ومن يُعْنَى بدراسة هذا العالم لايستطيع إغفالَ هذه الناحية التي تتضح منها معالم شخصيته .

ويضاف إلى ذالك اتِّساعُ آفاق المعرفة عند الهمداني اتساعاً يدعو إلى الاستغراب والدهشة بالنسبة لرجل عاش في بقعةٍ تُوشك أن تكون في ذالك العهد منعزلةً عن العالم ، ولكنَّ هذا الرجل استطاع أَنْ يمتح من كل علوم عصره بالدِّلاَءِ المِلاَءِ .

وليس من المبالغةِ القول بأنه طَرَقَ آفاقاً قلَّ أن يُوجَدَ في البلاد العربية في ذالك العهد مَنْ طرقها ، فقد تَنَوَّعَتْ مؤلفاتُه ، وتعددتْ في مختلف العلوم المعروفة في عهده ، وبَرَّزَ في جوانب منها كعلمِ الأَنساب ، ومعرفةِ مواقع البلدان ، والاهتمام بالآثار ، يضاف إلى ذالك علم الفلسفة الذي وصفه صاعدٌ الأندلسي بأنه لايَعْلَمُ أحداً من صَميم العرب شُهِرَ بعلم الفلسفة إلا أبا يوسف الكندي وأبا محمد الهمداني .

أما اللغةُ فإنَّ الباحثَ يجد في مؤلفات الهمداني كـ «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» و«شرح القصيدة الدامغة» من المباحث اللغوية مايدل على سعة علم الهمداني بها . ولهذا تُرْجم بين علمائها .

أشهر مؤلفات الهمداني : عرف من مؤلفات الهمداني ثلاثة وعشرون كتاباً ، لم يصل إلينا منها حتى الآن سوى :

١ ـ «الإكليل» وقد طبع منه أربعة أجزاء ، الأول والثاني والثامن والعاشر ـ والأولان باختصار محمد بن نشوان بن سعيد الحِمْيَري .

٢ ـ كتاب «الجوهرتين» ـ هذا الكتاب .

٣ ـ «شرح القصيدة الدامغة» القصيدة التي فتحت على الهمداني أبواب الطعن وسبل الاتهام بأنه كان سبّاباً لأهل البيت ، وهذه القصيدة تقرب من ست مئة بيت ، ردٌّ فيها على قصيدة لِلْكُمَيْت بن زيدٍ الْأَسَديِّ فضَّل فيها عدنان على قحطان[١٢]؛

وقد قام بتحقيق هذا الشرح ونشره صديقنا مؤرخ اليمن القاضي محمد بن علي الأكوع سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م وقد نُسِبَ هذا الشرح إلى محمد بن الحسن ـ أي ابن المؤلف ـ وما أرى النسبة صحيحةً .

٤ ـ «صفة جزيرة العرب» وقد نشر عدة مرات . لعل من أَصَحِّهَا مطبوعة «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» بتحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع .

٥ ـ «سرائر الحكمة» : هذا الكتاب على ماوصفه صاعدُ الأندلسيُّ في علم هيئة الأفلاك ومقادير حركات الكواكب ، ولعله لَمْ يَطَّلِعْ على الكتاب كاملاً ، وإنما اطّلَع على المقالة العاشرة منه التي وصلت إلينا ونشرها الأستاذ الأكوع ، ولكن الهمداني يُحِيلُ إلى هذا الكتاب في مسائل أخرى لاتتعلق بعلم النجوم كما في قوله ـ ١٥ ـ من كتاب «الجوهرتين» : ـ عن أصل الحرارة وأنه من دؤوب دَوْر الأجرام العلوية ـ : وقد بيَّنا فساد هذا القولَ فأفردنا فيه بابا من كتاب «سرائر الحكمة» .

وفاة الهمداني : يظهر أن الهمداني في آخر حياته انتقل إلى رَيْدَةَ البلدة التي ألف فيها «الإكليل»[١٣] وهي في وسط بلاد قبيلته همدان ، حيث يقيم أهله ، وفيها توفي ، وعرف قبره فيها ، كما أشار إلى ذالك القفطي في ترجمته في «إنباه الرواة».

ويذكر بعض المؤرخين ومنهم صاعد الأندلسي في «طبقات الأمم» أنه توفي سنة ٣٣٤ في سجن صنعاء ولكن الهمداني نفسه ذكر أنه خرج من السجن ، ومكث مدةً طويلة تضعضع في خلالها نفوذ الحكام المسيطرين على اليمن في عهده ممن قام بسجنه كالإمام الناصر المتوفى سنة ٣٢٢ وأسعد بن أبي يعفر المتوفى سنة ٣٣٢ ،

ولهذا فمن المستبعد ماذكره صاعد ومن تابعه .

ويقرر مؤرخ اليمن القاضي الأكوع أنَّ وفاةَ الهمداني تأخرتْ إلى مابعد سنة ٣٤٤ وإذا صحت النصوص الواردة في الجزء الثاني من «الإكليل» عن محمد بن عبدالله الأوساني شيخ الهمداني فإن الهمداني عاش إلى سنة ٣٦٠هـ ، وقد يكون من تلك النصوص ماهو مُضاف إلى كلام مؤلف «الإكليل» ويحدث مثل هذا في كثير من المؤلفات القديمة .

هذا الكتاب

كتاب «الجوهرتين»: نسبةُ هذا الكتاب إلى الهمداني من الأمور التي لاشك فيها ، كما توضح ذالك نصوص وردتْ فيها أسماءٌ من مؤلفات الهمداني ، كما في الورقة (٧٤ب): (وقد ذكرناه ومأتى فيه من الأخبار في كتاب «الإبل» وكتاب «الإكليل»).

وكقوله في الورقة (١٥ب): (وقد بيَّنّا فساد هذا القول فأفردنا فيه بابا من كتاب «سرائر الحكمة»). وذكر كتاب «القوى» ــ الورقة (٧٢ب).

ثم إنَّ نَفَسَ الهمداني وأُسْلُوبَهُ ومايتصل ببيئته ، كل ذالك واضحٌ في ثنايا هذا الكتاب الذي هو في الواقع من أَجَلِّ ما وصل إلينا من تراثنا في موضوعه .

والكتاب نفسه يدفع الباحثَ إلى التفكير هل كان الهمداني على درجة من العلم بالموضوعات التي طرقها وتحدث عنها من أمور الصناعة على تَنَوُّعِها ، ومنها مايدل على عُمْقِ معرفةٍ بخصائص المعادنِ عامَّة وطبائعها ، أم أنه كان في عمله هذا الكتاب لايَعْدُوْ دَوْرَ الناقل ؟

أما أنا ــ بعد أن طالعته ــ فَأَكَادُ أَجْزِمُ بأنه عانَى جوانِبَ من التجارب التي أوردها معاناةً تدل على خبرة ومعرفة ، مما لايتسع المجال لتفصيله في هذه المقدمة ــ وهذا مما لم يُشِرْ إليه من ترجمه من المتقدمين أو المتأخرين ممن اطلعت على كلامهم .

وقد أَوْرَدَ نَصاً يدل على أنه قام بتأليف كتابه هذا بعد أن تجاوز الخمسين من سني عمره ، إذ ذكر ـ الورقة الـ ٥٥ أ ـ أنّ الدنانير الحُبَابِيَّة التي بُدِيءَ بِسَكِّها في اليمن سنة اثنتين وثلاثين ومئتين مضى على التعامل بها ثمان وتسعون سنة (٢٣٢ + ٩٨ = ٣٣٠) أي أنه ألف الكتاب سنة ثلاثين وثلاث مئة ، ومعروف أنَّ الهمدانيَّ وُلِدَ سنة ثمانين ومئتين .

قد يُقَال : إنَّ هذا الكتاب يحوي فيما يحوي الغثّ والسمينَ ، والحقُّ أننا كما قال أحمد شوقي :

فَـإنَّـا لَمْ نُسَوِّقْ النَّقْصَ حَتَّى نُـطَالِبَ بِـالْكَـمَـالِ الْأَوَّلِيْـنَـا

وما يؤخذ على الهمداني في هذا الكتاب ناشيءٌ مِنْ أنَّ علماءَنَا المتقدمين كانوا يتلقون عن الأُمَمِ الأخرى ـ كاليونان والهنود وغيرهم ـ بعضَ العلوم ، فتبلغ بهم الثقةُ درجَةَ تَقَبُّلِهَا بدون تمحيصٍ ، ومن ذالك :

١ ـ محاولة الربط بين تأثير البروج الشمسية وبين تكون المعادن وطبائعها .

٢ ـ تحويل بعض المعادن بطريق الصنعة لتصير ذهباً .

والواقع أنَّ الْهَمْدانيَّ لم يَنْفَرِدْ بذالك ، بل كثير من المتقدمين كالبيروني وغيره ذكروا أطرافاً منه في بعض مؤلفاتهم ، جاء في كتاب «الجماهر في معرفة الجواهر» للبيروني ص ٢٢٦ : ولكيميائيين نسب الرموز والألغاز ألقاب للأجساد بأسماء الكواكب يُظَنُّ بها موافقة ماعليه المنجمون ، وهي مخالفة لآرائهم ، وقد عللوا منها تعاشق الرصاص والنحاس بأن جعلوا النحاس للزهرة ، والرصاص للمريخ ، والشابة تلهج الشاب فتلازمه ، والمنجمون يجعلون دلالة الرصاص على المشتري ، والنحاس للمريخ وليس بينهما إلا تلاصق الأفلاك .

وفي الكتاب أيضاً ـ ص ٢٦٧ ـ: والكيمياثيون يجعلون الأُسْرُبَّ لِزُحَل وهو هرم سمج فالخريدة تنفر منه وتكره قربه فتبعده عن نفسها ولاتخالطه . انتهى .

والغريب حقاً أنَّ الحصولَ على الذهب بطريق الصنعة حُلُمٌ لايزال يُدَاعِبُ

أخْيِلَةَ بعض العلماء ، فقد نقلت وكالات الأنباء العالمية : أن العلماء السويديين حققوا حلماً طالما راود الكيميائيين الذين مابرحوا منذ القدم يحاولون صنع الذهب من الرصاص والمعادن الأخرى ، إلا أنَّ الطريقة التي تمكنوا بها من تحويل معدن غير ثمين إلى ذهب لاتُعَدُّ جالبة للربح ، فقد أعلن العالم الكيميائي اليكسيس باباس رئيس معهد أوسلو للكيمياء الذرية في المجلس النرويجي للأبحاث العلمية أن طريقة صنع الذهب حدثت بالفعل في جامعة ابسالة ـ أثناء تجاربهم القائمة على أساس طرق إشعاعية بإطلاق قذائف عبارة عن ذرات من الرصاص ، إلا أنَّ كمية الذهب الضئيلة التي أمكن الحصول عليها بهذه الطريقة كلفت مبلغاً كبيراً يجعل الطريقة غير مربحة بحال من الأحوال . انتهى(١٤)؟

بل قد يجد الباحث في كتاب «الكيمياء عند العرب» للأستاذ روحي الخالدي تفصيلاً في محاولة إثبات هذا الأمر لمن أراد التوسع في ذالك ـ ص ٩٠ إلى ٢٦ ـ .

مالنا ولهذا ، فهو من شأن العلماء ، والذي يَعْنينا أَنْ نَسْتَفيدَ من هذا الأثر النفيس الذي خلفه لنا أحد علمائنا فننتفعَ بما فيه مما ينتفع به ونَدَعَ ما عدى ذالك .

من هنا حاولتُ أن أقدِّم للقاريء هذا الكتاب بعد أن أضفت إليه مااستطعت إضافته مما له صلة بموضوعه .

وإنني لواثق الثقة كلها بأنني لم أُقَدِّمْهُ على وجهه الصحيح من جميع جهاته لتعسر فهم كثير من نصوصه عليّ ، ولكن هذا هو غاية جهدي ، وعسى أن يجود الزمنُ بأصلٍ صحيح لهذا الكتاب تكون الاستفادة منه أوفى وأكمل .

إنني لم أُزِدْ في عملي على :

١ ـ محاولة تقديم أَقْرَبِ صورةٍ مما وصل إليَّ من مخطوطات الكتاب ، فقد حافظتُ مااستطعت على نصوص النسخة التي اعتبرتُها أَصْلاً ، ورأيتها كاملة وأضفتُ إلى الأصل ـ ملحقاً به من الايضاحات مارأيت في إضافته فائدة للقاريء

لكي يستعين به على فهم النص ، مع استعصاء كلمات كثيرة على فهمي ، أوردتها كما هي ، كما أوردتُ في حواشي الأصل الاختلاف بين الأصل وبين ماورد في مطبوعة الأستاذ كريستوفر تل الثانية ، وإن كنت لا أتّفِق معه على كثير مما خالف فيه الأصل ، ولا يمنع هذا من الاعتراف بأنه بذل جُهْداً ليس باليسير في فكّ كثير من مغلقات كتابة الأصل ، واستطاع تصحيح كثير من أخطائه ، واستفاد مما نَشَرْتُه عن مطبوعته الأولى في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» .

٢ ـ في الكتاب كلمات وأسْماء آلاتٍ ذاتُ صلةٍ بالتعدين ، استقاها الهمدانيُّ من أهْل عصره من ذوي الصناعة في اليمن ، وأَغْلَبُهُمْ من الفرس، مما لم أَجِدْهُ فيما اطلعت عليه من كتب اللغة ، ومن هذه الأسماء أو الكلمات ماوردت في المخطوطات بصور تقرأ على عدة أوجه ، لإهمالها من الإعْجَام ، وقد حاوَلْتُ إبرازَها كما وَردَتْ عندما لا أستطيع إدراكَ الوجه الصحيح منها ، وكثير منها غير عربي .

وقد حاولت الاستعانة بأحدِ الإخوة الذين يحسنون اللغة الفارسية ، وهو الأستاذ أحمد الواساني ـ الملحق الثقافي في السفارة الإيرانية في بيروت في عشر التسعين من القرن الماضي ، وبقيت صورة المخطوطة عنده أياماً ، ولكنه بعد أن أرْجَعها إليّ قال لي : إنّ الكلمات الفارسية الواردة في الكتاب خلاف اللغة الفارسية المستعملة الآن ، ولهذا لم يستطع معرفة أكثرها .

٣ ـ رأيت القارىء بحاجة إلى إيضاح بعض جمل وردت في الكتاب فوضعت لذالك حواشي موجزة ، ولكي لا أثقل بكثرتها رأيت أن ألحقها بآخر الكتاب مرتبة حسب صفحات المخطوطة السويدية ، وأن ألحق بالكتاب فهارس مفصلة لأسماء المعادن ، وأسماء آلات الصياغة وأدويتها ، وذكر الأعلام عامة ، للأشخاص والجماعات والمواضع وغيرها . وقد أبسط القول في الكلام على المعادن أو ماله صلة بها من الآلات لأن كثيراً من قرّاء هذا الكتاب قد لا تكون صلتهم بكتب المعادن بالدرجة التي تمكنهم من فهم بعض عباراتها ، وإن لم أكُنْ خبيراً بشيء مما له صلة بالموضوع .

٤ ــ موضوع الكتاب عن التعدين ، وعن المعادن في بلاد العرب ، وهذا مما لم يستوف الهمدانيُّ الكلامَ فيه ، ولهذا أُلحَقْتُ بالكتاب بياناً يحوي ماعرفت من أسماء المعادن القديمة في بلاد العرب ، كما تحدثت في المقدمة عن التعدين حديثاً موجزاً .

اصول هذه المطبوعة :

١ ــ المخطوطة السويدية : إنَّ أولى نسخة اطلعت عليها هي مصورة مخطوطة مكتبة جامعة (أبسالة) في السويد ، وهذه المصورة في (دار الكتب المصرية). ويظهر أنَّ تلك المخطوطة كانت مضافةً إلى غيرها ، إذِ الصفحةُ التي تحوي طُرَّةَ الكتاب تتضمن كلاماً لا صلة له بموضوع النسخة ، بل يتعلق بسيرة عمر بن عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ ومنه : (وربما عظمت المحنة في حق الإنسان مع جوارحه ، وطال السؤال وخفت في حق الكثير الرعية كعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الذي انعص (؟) نفسه وزهد في الدنيا ، ونهض بحقوق رعيته ، حتى لحق بربه ــ رضي الله عنه وأرضاه ورزقنا الاقتداء به إن شاء الله تعالى ــ وافق الفراغ منه أول شهر جمادى الأولى من سنة ٨٩٨ . يتلوه كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا ، تأليف الشيخ الإمام العلامة أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني العبدي البَكِيلي تغمده الله بغفرانه).

وفي حاشية الورقة : (حسبي الله وكفى في يد عبدالله بن أمير المؤمنين) [. . .] بن شمس الدين بن أمير المؤمنين وفقه الله تعالى وأصلح شانه كما يحب ويرضى إنه حميد مجيد ، والحمد لله ، وصلى الله على . . .) .

ومكان النقط كلمات غير واضحة ، ويدل هذا على أن أصل هذه النسخة يمني (انظر الصورة رقم ١) وأنها كانت في اليمن في القرن الحادي عشر الهجري ــ كما يفهم من تاريخ شمس الدين من أئمة اليمن ، وهو من أجداد صديقنا الأستاذ أحمد حسين شرف الدين، على ماذكر لي . وفي الصفحة التي تليها البسملة ثم أول الكتاب الذي يقع في إحدى وثمانين ورقة (١٦٢ صفحة) في الصفحة مابين

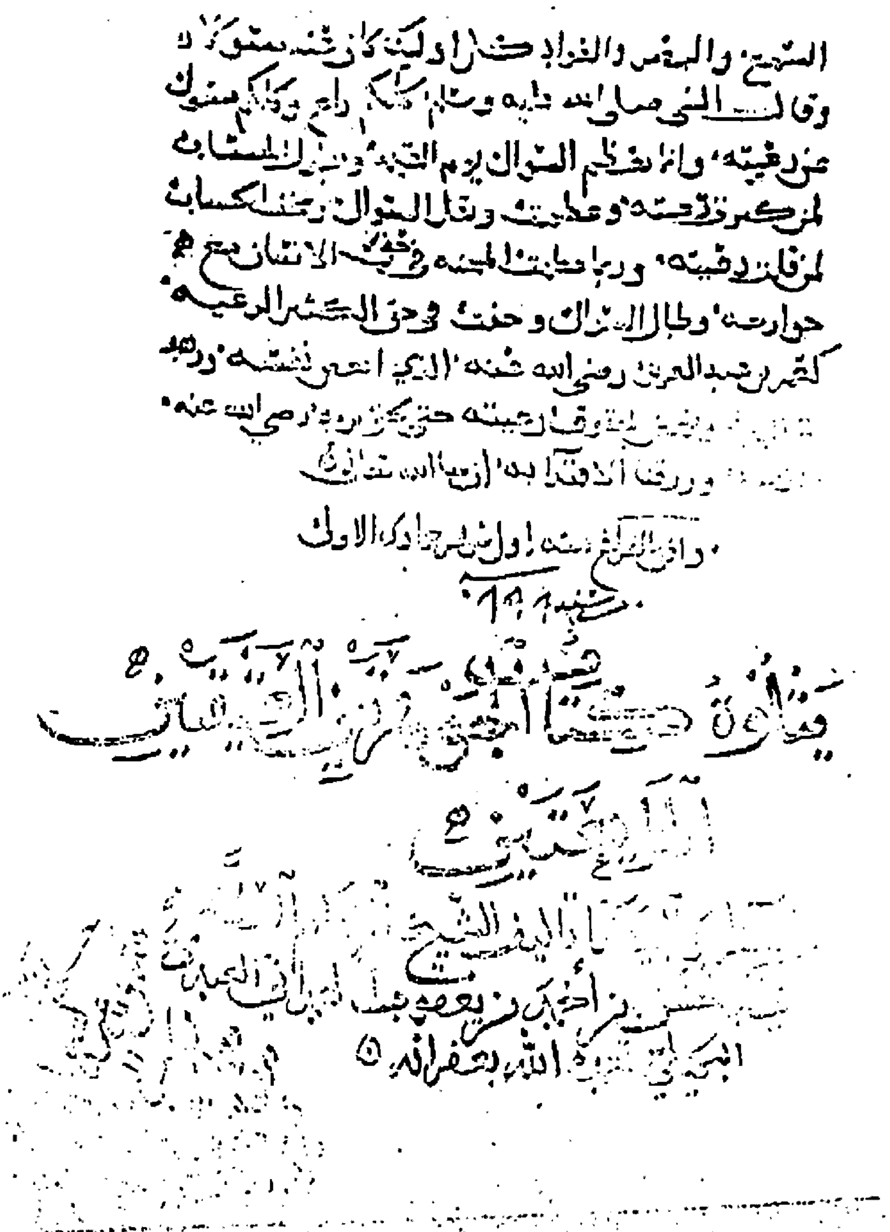
عشرين وواحد عشرين سطراً .

ويظهر من ورقة في أول النسخة كتب فيها : (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا ، للهمداني البكيلي) أنها انتقلت إلى ملك غَيْرِ مَنْ كُتِبَتْ له ، ممن ليس يَمَنياً كما يتّضح من : (في ملك الفقير إليه سبحانه محمود بن حسن السى) والكلمة الأخيرة مهملة من الإعجام ، و : (صاحب ومالك كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين شريفي مصطفى متصرف اسكندرية سابقاً في ٥ ن سنة ٢٥١) ثم ختم لم يتضح لي من كتابته سوى اسم (مصطفى) ولعل المالِكَيْنِ تُرْكِيَّانِ ، وأن النسخة لم تصل إلى مكتبة جامعة (أبسالة) إلا في عهد متأخر ــ حدده الأستاذ (تل) . بسنة ١٩٢٤م وقد أُلحِقَ بها خَمْسُ صفحاتٍ تحوي معلوماتٍ في فنون مختلفة أولها : (الحمد لله وحده: مَقْدِشُو: بفتح الميم وكسر الدال المهملة ، والعامَّةُ تفتحها ــ وضم الشين ــ: بلد كبير بين الزِّنْج والحبشة . حُرْقُوصُ بن زُهير الخارجي : ذُو الثُّدَيَّة . الْعَفْصُ : شجرة تحمل سنةً بَلُّوطاً ، وسنةً عَفْصاً ، يتخذ منه الحِبْرُ ــ مولد ، أو عربي ــ الأعياصُ من قُريش) الخ ثم معلومات مفرقة لارابط بينها آخرها : (بُجَاوة ــ كرغاوة ــ منها النوق البُجَاويات) والكتابة مغايرة لكتابة كتاب «الجوهرتين» وعلّق كاتب زيديٌّ ، على هذا بقوله في حاشية على جملة : (ذاتُ وَدْقَيْنِ : الداهية ، كأنها ذات وَجْهَيْنِ ، ومنه قول علي بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهه :

تِلكُم قُــرَيْشُ تَمَنّــاني لِتَــقْتُــلَني ... فَلاَ وَرَبِّكَ مَــابَرُّوا ولا ظَفِــرُوا
فــإنْ هَلَكْتُ فَــرَهْنٌ ذِمَّتِي لَهُمُ ... بِــذَاتِ وَدْقَيْنِ لايَعْفُــو لَهَــا أثَــر

قال المازنيُّ : لم يصحَّ أنه تكلم بشيءٍ من الشعر غير هذين البيتين[١٥] وَصَوَّبهُ الزمخشري . وفي الهامش : (ينظر في هذا القول ، فإن فيه مجال (؟) للنظر ، وكيف يصح هذا وكتب أهل الكتب مشحونةٌ بشعره ، لاسِيَّما «تفسير غريب القرآن» للحسين بن القاسم عليهما السلام) وكتابة هذه الحاشية متأخرة عن كتابة الأصل .

وتاريخ كتابة نسخة الجوهرتين يبدُو من آخرها ونصُّ ماورد فيه : (تم كتاب


السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته، وإنما يعظم السؤال يوم القيامة ويطول الحساب
لمن كثرت رعيته [illegible] وثقل السؤال [illegible] الحساب
لمن قلت رعيته [illegible] الانسان مع
جوارحه [illegible] الرعيه
لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه [illegible]
[illegible] رضي الله عنه
[illegible] به إن شاء الله تعالى
[illegible] جمادى الأولى
سنة [illegible]
[illegible]
تأليف الشيخ [illegible]
[illegible] أحمد بن يعقوب [illegible]
[illegible] الله بغفرانه

الصورة رقم (١)

الصفحة الأولى من مخطوطة (ابسالا)

الجوهرتين العتيقتين بحمد الله وبركات من أمر بنقله ، وصلواته على محمد وآله وسلامه) وفوق كلمة (العتيقتين) في الهامش (سنة ٨٩٨) ويظهر أنَّ هذا هو تاريخ النسخ ، كما يتضح من الصلاة على (آل المصطفى) أن الناسخَ زَيْدي . (انظر الصورة رقم ٢).

والكتابة بخط النسخ ، والعناوينُ بالقلم الْعَرِيض ، وبَعْضُ الكلمات مُشَكَّلٌ بالحركات ، وبعضُ الحروف المهملة توضع لها علامةُ الإهمال غالباً ، وهي تشابه رقم (٧) ولكنها صغيرة فوق بعض الحروف كالحاء والعين . والراء ، أو نقطة صغيرة تحت الحرف (٠) كالدال والطاء، ولايلتزم الناسخ هذا دائما . ــ انظر الصورة رقم ٣ ــ .

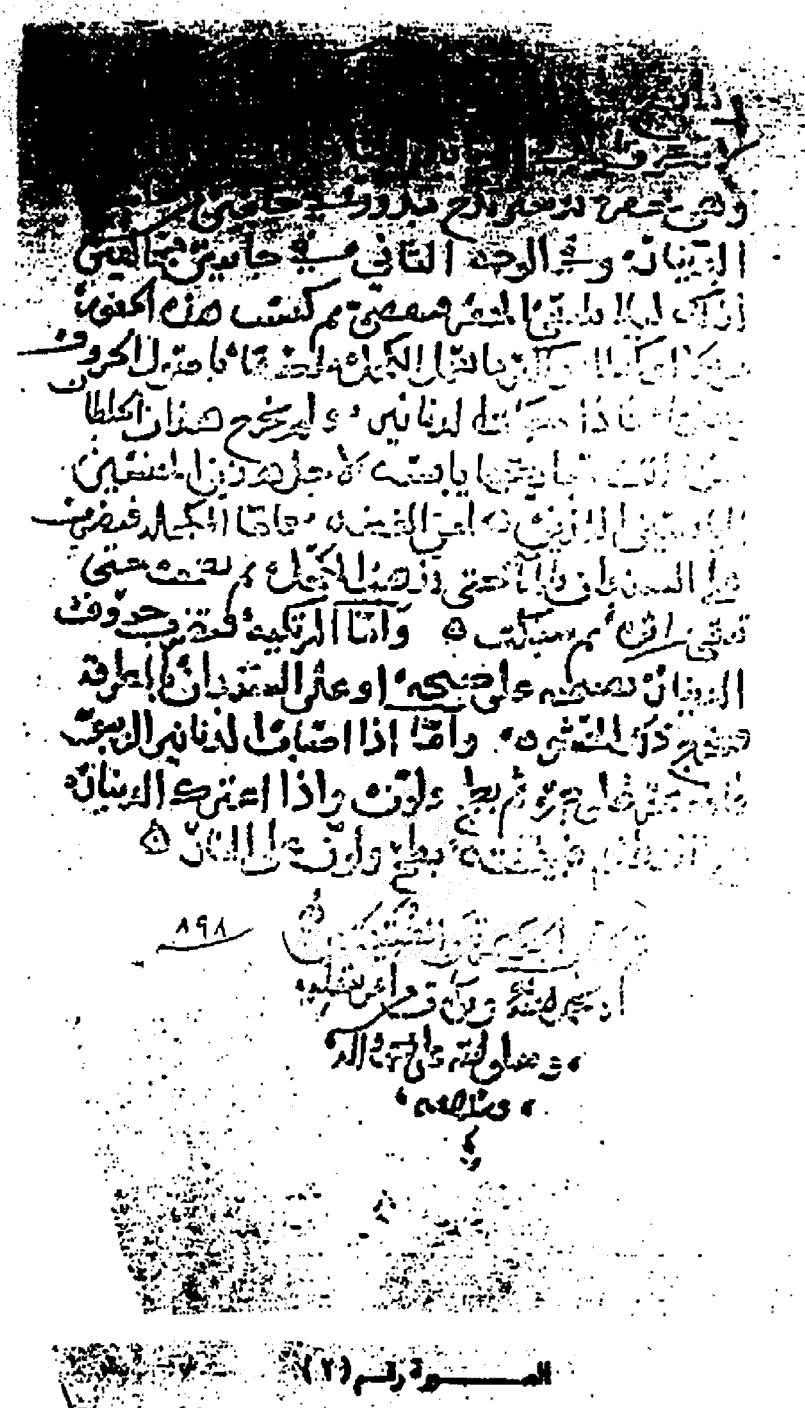
ويبدو أنَّ هذه المخطوطة قد قُوبِلَتْ على نسخة أخرى ، إذْ في بعض الهوامش إشارة إلى ذالك ، بإيراد كلمة مخالفة للكلمة التي في الأصل ، وقد وضع فوقها حرف (ن)، بل ورد في أحد المواضع تصريح بالنقل من إحدى النسخ ، كما في (ص ٢٥ ب) في الكلام على معدن الرضراض .

ويظهر أَنْ أَحَدَ القراء حاول إيضاحَ بعض الكلمات بما كتبه في الهامش واضعاً فوقه حرف (ظ)، لعله إشارة إلى (الظاهر). ــ انظر الصورة رقم ٤ ــ .

ومع كل ذالك فَإنَّ من عيوب هذه النسخة :

إهمال كثير من الكلمات التي تصعُبُ قراءتُها من الإعجام ، وخاصة الأسماء غير العربية التي يظهر أن المؤلف استقاها من المشتغلين بالتعدين وهم أعاجم ، مما سيمر كثير منه على القارىء .

ومن عيوبها أيضاً حدوثُ تحريفٍ وأخطاء في كثير من الكلمات ، حتى في الآيات القرآنية ، مما يدل على أنَّ الكاتب ليس على درجة من معرفة ماينقل ، وكان جاهلاً بقواعد الإملاء جَهْلاً يدفعه إلى كتابة كثير من الكلمات كتابة غير صحيحة ومن أمثلة ذالك : (لـس ــ ســواحا ــ ــادا ــ لــا ــ اردى) في (لأن ــ تواخى ــ تأدى ــ أتى ــ أردأ) وعدم إثبات الهمزة في كل كلمة مهموزة ، فكلمات



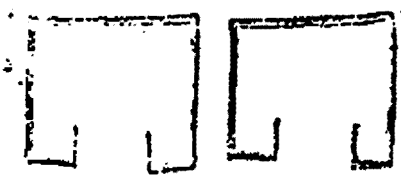
الصورة رقم (٢)

آخر الكتاب في مخطوطة (ابسالا)

واحسن الصفر تعمله بعضهم لرطوبته ويبس والاترويه
[illegible] البينا الزكيا اذا رق [illegible] الا ان ياخذه
من سائر اجزاء الخلط تسقيه من الصدوف وسائرها للذهب
الذي وان كان تستخرج من النار دهما صب وايه فانه عكر فيه
رقه بالذلك السواد الى الصفره والبياض [illegible] فيسلخ الا انه
الذهب والذهب الاحمر تخرج سائرها من الاحجار [illegible] فكيف
ما زالت رطوبته اكثر حتى [illegible] رقائق [illegible] ساكنا
حمره

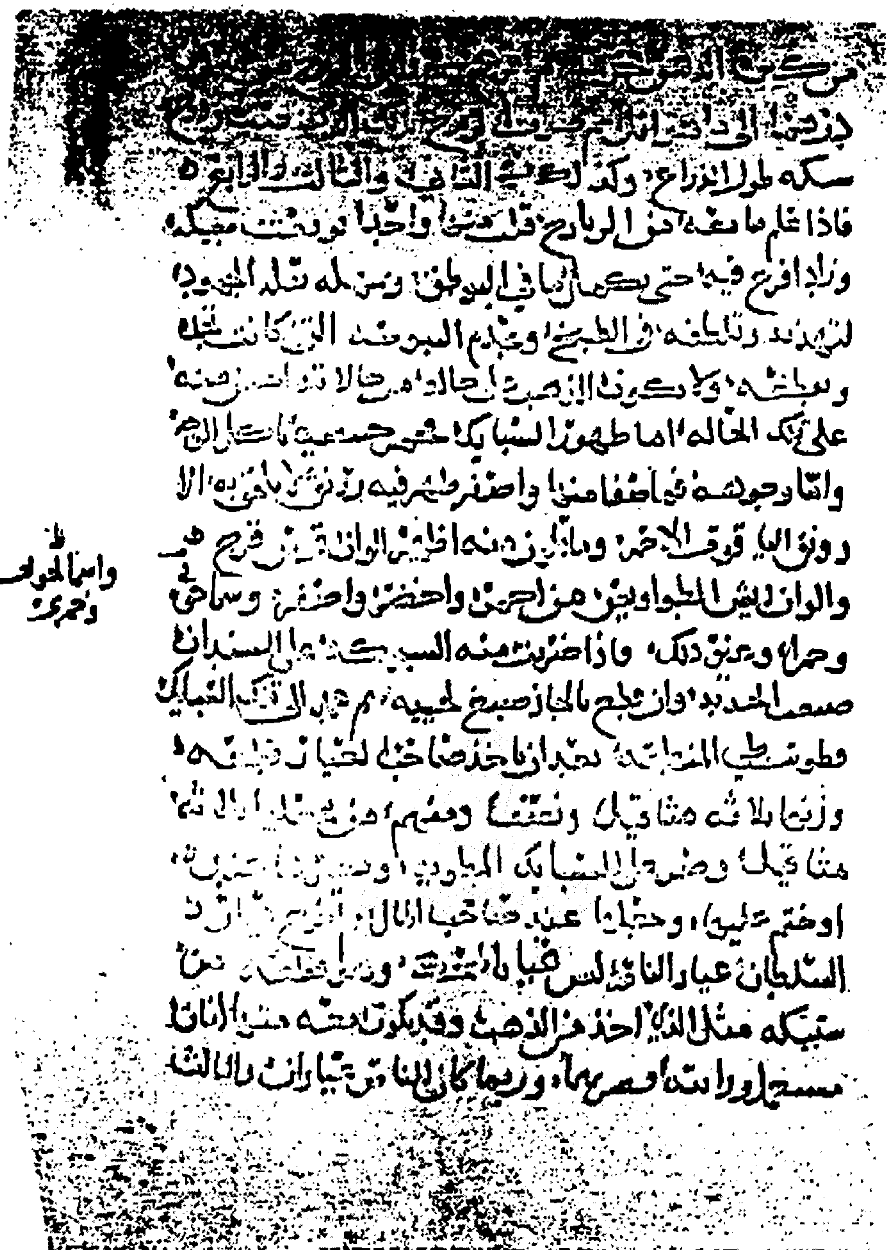
باب [illegible]

[illegible] ونسبه الدوا
وسائر اربطا الرقوق والجلبات والابواب والتوابيت ويباع الكل [illegible]
من ذلك وما كان ان يحدث في الطين من الالواح [illegible]
له والخشب [illegible] العلم [illegible]
فهو طين ، وقيل له [illegible] الاتان [illegible] في
وتانيثا للذهب بين [illegible] الارفاه
البالغ وحمرته مع الارقاق اليسير وبين [illegible] هو
اقل [illegible] [illegible] ان
[illegible]
وحدث ان يكون بمساحته اشباها [illegible]
دراتا على هذا [illegible] الباب
[illegible] اشكاله [illegible]



الصورة رقم (٣)

الصفحة الأولى من الورقة الـ (٣٠) من مخطوطة (أبسالا)



الصـــــورة رقم (٤)

الصفحة الأولى من الورقة الـ (٣٨) من مخطوطة (أ - ١)

(الرداءة ـ الزئبق ـ الرديء ـ الذؤابة ـ الهواء) وأمثالها يكتبها (الرداه ـ الزبق ـ الردى ـ الدواب ـ الهوا). أما عدم إعجام الحروف المعجمة فأمر يوشك أن يكون عاماً.

ومنها أن الناسخ أهمل رسم بعض الصور التي أوردها المؤلف كما في الورقة الـ(٥١ أ)، حيث قال المؤلف: (وهذا رسم شَواهينِ دُورِ الضَّرْبِ وشواهين الجهابذة) ولكن الناسخ لم يورد الرسم.

ومع كل ماتقدم فَإِنَّ هذه النسخة أوفى نسخة اطلعت عليها وأَقْدَمُهَا. فهل وصلت إلينا تامَّة؟ إنَّ الأستاذ (كريستوفر تلّ) لايرى هذا، بل يرى أنه سقط منها باب واحد، وهو (باب حكومة العيار وفقهه) مستدلاً بما ورد ـ ص ١٧٦ ـ من طبعته الثانية وص (١٣٤) من طبعتنا هذه، ونصُّه عنده (ثم باب حكومة العيار وفقهه وما أشبهه، باب صفة الوزن) قرأ الكلمة (ثم) بالثاء المثلثة أي باعتبارها حرف عطف، ويزيد هذا إيضاحاً في مقدمته حيث قال: ـ ٢٩ ـ: والباب السابع عشر والذي يُفْتَرَض أنه يتناول حكومة العيار وفقهه بالنسبة للعملة، فقد سقط من الكتاب وبقي العنوان فقط، ونحن نعلم أن الهمدانيَّ كتب مع أمور الفقه من خلال ماذكره القفطي عن كتاب «اليعسوب» الذي يتناول أحكام الصيد، كما يتعرض قليلاً في الباب الأول من هذا الكتاب لتحريم المقايضة. انتهى.

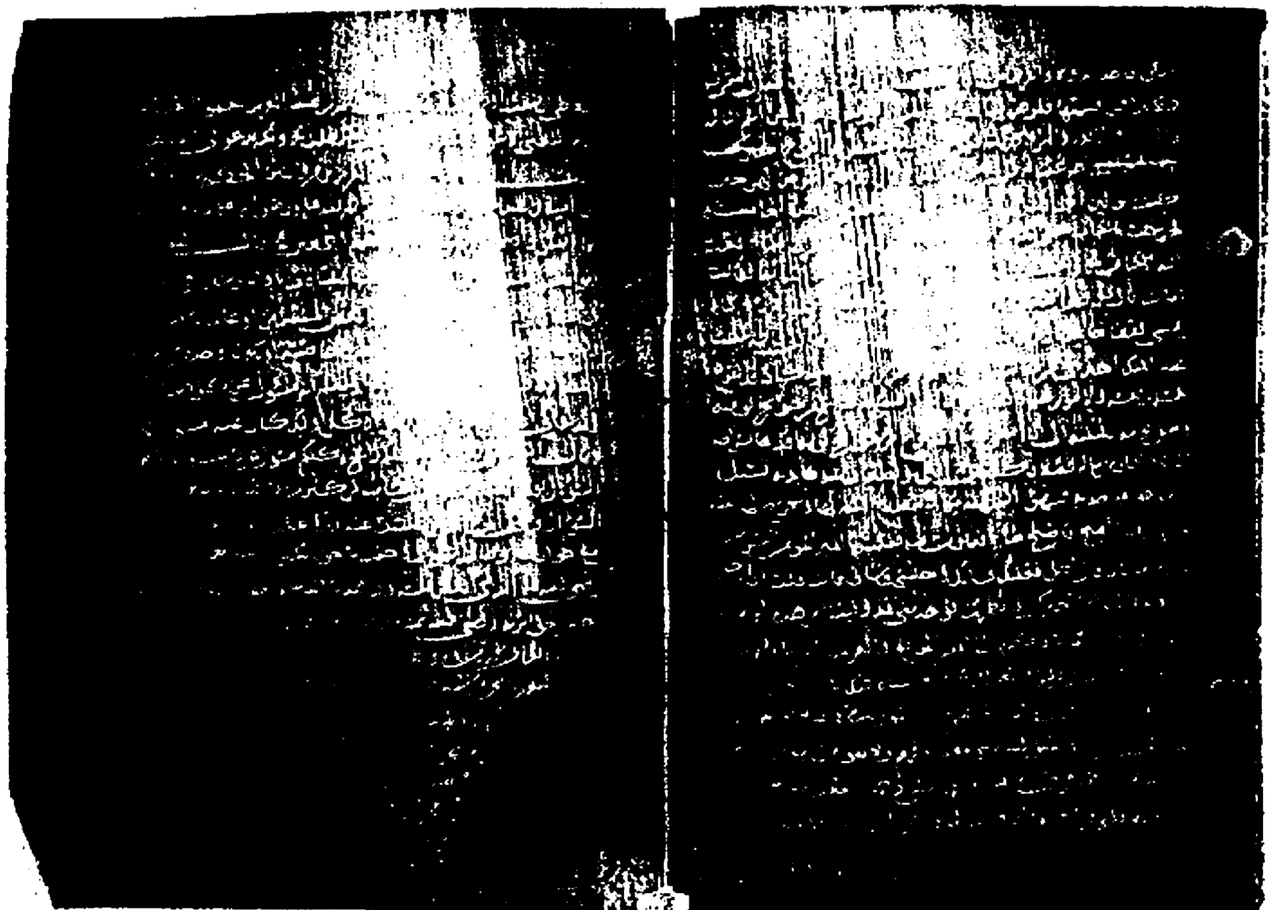
إلا أنني أرى الصواب قراءتها (تَمَّ) بالتاء المثناة ـ من التمام، فقد وردت في المخطوطتين مهملة من الإعجام، والأبواب الثلاثة التي قبلها كلها تتعلق بالعيار، فكأنَّ المؤلف يقول: تَمَّ مايتعلق بالعيار، ومايتصل به، ولم يقصد مدلول كلمة (باب حكومة العيار) لِأَنَّ أحكام العيار تقدمت في الأبواب المتقدمة وهي (باب ضرب العيار) و(باب مثالات في صورة الوضع) و(باب حدود الرد والاستجازة) وبها استوفى مايتعلق بالعيار من أحكام. أما مالَمَحَهُ الأستاذ (تل) من معنى لكلمة (فقه) بحيث استنتج أن الهمداني تحدث عن مدلول هذه الكلمة الخاص وهو الناحية الشرعية، فما أراه، وإنما أرى أن المقصود المعنى العام، وهو

العلم والمعرفة . وكذا كلمة (أحكام الصيد) فما أعتقد أن الهمداني قصد الأحكام الشرعية ، وإنما قصد جميع أمور الصيد .

ويظهر أن في آخر (باب ضرب العيار) نَقْصاً ، ففي المخطوطة ـ ٤٠ ـ: (.. كما يتثل على صفوف الورق المالية لمطلق القدر ، ولما يجب من إيضاح ذالك فإذا سب باب مثالات في صورة الوضع) . كذا والكلام مبتور بعد كلمة (فإذا ثبت) .

٢ ـ **المخطوطة الالمانية** : وفي خزانة جامعة (توبنجن) نسخه مصورة مخطوطة أخرى ، ولكنها منقولة عن النسخة السويدية ، وقد صُوِّرَتْ لي بواسطة (المعهد الألماني للدراسات الشرقية) في بيروت سنة ١٣٨٧ ـ عن الأصل الذي في مكتبة ميونخ العامة ، وقد اطلعت عليه .

وهذه النسخة مجموعة مع غيرها كالنسخة التي تقدم وصفها ، والتي هي أصلها ، إذْ قبلها كلام يتعلق بعمر بن عبدالعزيز لم يصور لي منه سوى الصفحتين الأخيرتين ، جاء في آخرهما : تمت أحاديثُ عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رحمة الله عليه ورضوانه ، على مارواه مالك بن أنس وأصحابه رحمة الله عليه وعليهم أجمعين . قال الفقير الأجل أبو الحسن ... بن ابراهيم : فمن وقف عليها فليتأدب بآدابه ، وسيرته في رعيته إنْ كان راعياً للمسلمين). إلى : (وربما عظمت المحنة في حق الإنسان مع جوارحه ، وطال السؤال وخفت في حق الكبير الرعية كعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الذي أنقض نفسه ، وزهد في الدنيا ، ونهض بحقوق رعيته حتى لحق بربه ، رضي الله عنه وأرضاه ورزقنا الاقتداء به إن شاء الله تعالى . تم الكتاب بحمد الله تعالى ولطفه يوم الأحد ثالث وعشرين من شهر القعدة الحرام سنة ٩٦٦ والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى) ـ (انظر الصورة رقم ٥) وهذا آخر سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الحكم وهي مطبوعة تولى نشرها وتحقيقها الأستاذ أحمد عبيد بدمشق ، ثم أُعيد طبعها في القاهرة ، ولم يطلع على هذه المخطوطة التي قد تصحح بعض الكلمات التي استشكلها .



رقم (٥)

الورقة الأولى من المخطوطة الألمانية (١م) وهي من غير الكتاب

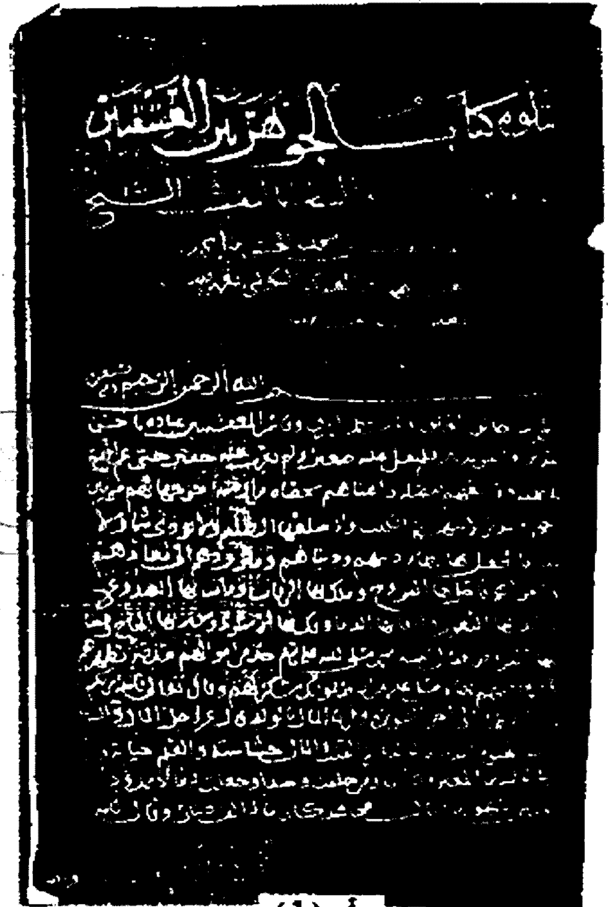
وفي الهامش : الحمد لله من كتب الوالد العلامة ضياء الإسلام وبهجة الأنام وزينة اليمن والشام العباس بن عبدالله . ثم كلمات غير واضحة ، وتحتها : الحمد لله من كتب الفقير إلى الله الغني عن من سواه العباس بن عبدالله . ثم كلمات لم تتضح في التصوير ، وما اتضح منها يدل على أنَّ النسخة يمنية أيضاً .

وبعد تلك الورقة في ورقة أخرى أولها : (يتلوه كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا تأليف الشيخ الإمام العلامة أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني العبدي البكيلي تغمده الله بغفرانه). ثم البسملة والاستعانة ومقدمة الكتاب . ــ انظر الصورة رقم ٦ ــ .

وآخر هذه النسخة : (باب الطلاء بالذهب) وفيه : فإذَا أخذَ الماءُ الحمرةَ من الجفنة والشقف صفَّيْتَ الزِّئبق من ذالك الماء الكدر ، وأصفيته في الجفنة بماءٍ نقي ، ثم صببته في سفرة أديم ، او قطعة من أديم فراء من المغابن الرقيقة والأرفاغ، وصَرَرْتَهُ صراً شديداً مضاعف اللَّـيِّ ، ثم امتزَيْتَهُ ومَصَرْتَهُ في الجفنة ، فخرج زيبقه من سموم الشعر ، وبقي ذهبه فأخرجته أشد بياضاً من الزُّبْدِ والين مَساً منه ، ثم أخذته بِمِطْعَمِ الطِّـلَاءِ وهو قطعة من مَسٍّ كأنها البادنق الغليظ العريض ، وأنت تلقي بها ماأردت على القطعة المعروكة بالزيبق لأِنَّ الذهب المسحوقَ لايقبل إلا الأشياءَ قبل الزيبق فيتصل به ، وإلا لم يقبله ، فتطلى ماشئت طلاءاً). وهو يوافق في المخطوطة السويدية ــ الورقة (٦٦ب)، وبتلك الجمل تنتهي الصفحة ويليها في الصفحة المقابلة : (وأما صفة طبخ الحلبة وهي أن تُغلى وحدها أولاً على النار). ثم كلام يتعلق بذكر أنواع من النباتات تستعمل أدوية ، مِمَّا لاصلة له بالكتاب . (انظر الصورة رقم ٧).

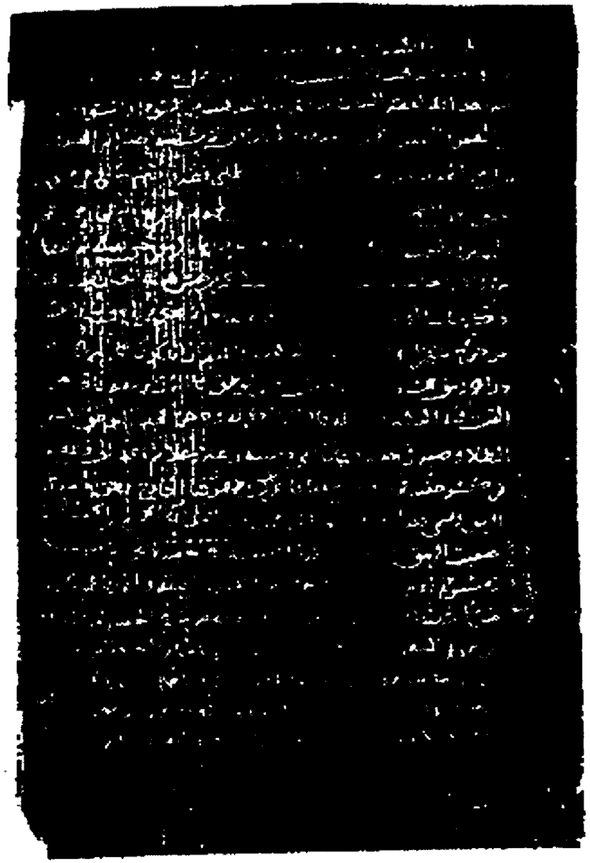
وتاريخ كتابة هذه النسخة هو يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة سنة ٩٦٦ ــ كما يتضح من آخر الكتاب الذي قبلها . (انظر الصورة رقم ٥).

وتقع هذه النسخة في ٤٠ ورقة (٨٨ صفحة ــ في الصفحة من السطور ٢٢ سطراً) ماعدا الورقة الأولى والتي لاتتعلق بموضوع الكتاب والصفحة المقابلة للصفحة الأخيرة .



رقم (٦)

الصفحة (أ) من الورقة الأولى المخطوطة الألمانية



رقم (٧)

الصفحة الأخيرة منها التي عندها ينتهي الكلام

هذه النسخة منقولةً عن المخطوطة السُّوَيْدِية ، كما يبدُو من مطابقة النسختين حيث يتضح اتفاقهما حتى في الأخطاء في كثير من الكلمات ، يضاف إلى هذا أن ناسخ هذه المخطوطة قد يسهو أثناء النقل عند انتهائه من نقل صفحة من المخطوطة الأولى ، فينتقل إلى صفحة أخرى غير التي تلي الصفحة التي نقلها ، كما فعل حين نقل الورقة (١٦ ب) حيث قفز صفحة كاملة ، وفعل مثل هذا بعد نقل الورقة (٣٤ أ).

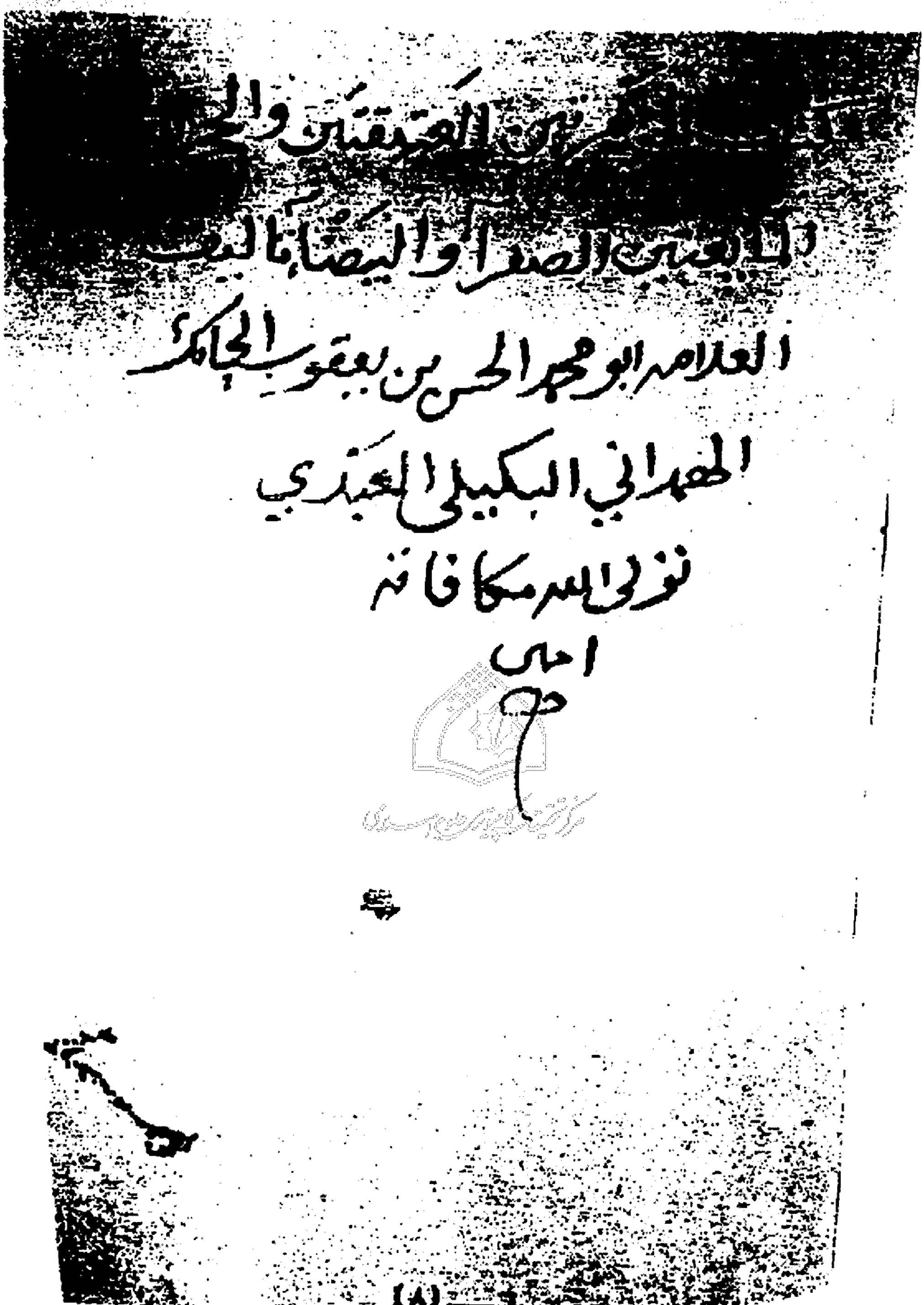
٣ ــ النسخة الايطالية : وهي في الواقع قطعة من الكتاب ، تقابل من النسخة السويدية ٣٧ صفحة من أول الكتاب إلى ماجاء في آخر (باب تكون الذهب والفضة في معادنهما) من قول المؤلف : (ومن طباعِ الجبال أن تجتذبَ بقواها المياه والرطوبات من أعماق الأرض كما تجتذب الشجرةُ أَنْدَاءَ الأرض لاغير بعروقها ، ثم تحول ذالك الندا في الشجرة). ثم ينقطع الكلام في آخر الصفحة العشرين من المخطوطة ، ويليه في الصفحة الحادية والعشرين ــ من غير الكتاب ــ: (الباب الحادي عشر في امتحان الإكسير فنقول : إن هذين الفصلين من لواحق العلم فإن ابتلاء الشيء بالامتحان يظهر مافيه من بهرج وزيف). إلى آخر كلام لاصلة له بالكتاب .

وهذه القطعة أصلها في مكتبة (الامبروزيانا) في مدينة ميلان في ايطاليا .

وهي تقع في عشرين صفحة في الصفحة الأولى : (كتاب الجوهرتين العتيقتين والحجرتين المائعتين الصفرا والبيضا تأليف العلامة أبو (؟) محمد الحسن بن يعقوب الحائك الهمداني البكيلي العبدي تولى الله مكافأته آمين). انظر الصورة رقم ٨).

وفي الصفحة الثانية بعد البسملة : (وبه نستعين الحمد لله خالق الخلق) ومابعدها .

وسطور كل صفحة ستة وعشرون سطراً في الغالب ، وقد تزيد أو تنقص ، والقطعة تقع في مجموع في طرته أشعارٌ لاصلة لها بالكتاب ، إلا أنها تدل على أنَّ كاتبها زيدي المذهب . كما تدل جملة (تولى الله مكافأته) ووصفه بـ (الحائك)



رقم (٨)

طرة مخطوطة (الامبروزيانا)

بذالك ، إذ مترجموه من علماء الزيدية ينالون منه .

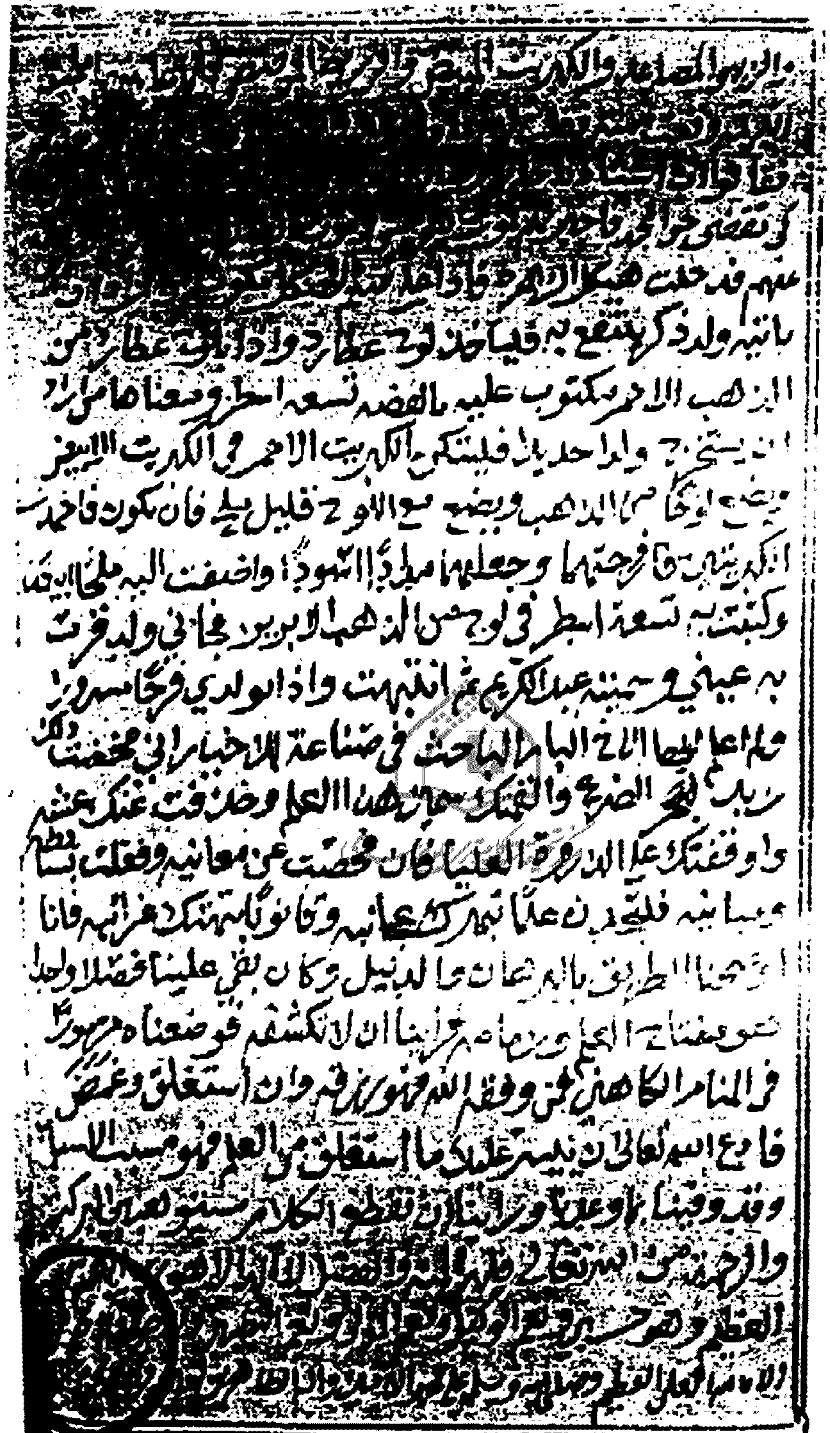
ثم في الصفحة الثانية بعد البسملة : (الصحيفة الأولى من جملة سبع صحائف الشيخ البهيج النهيج الموضوعين بعد تسطير الوضع الخطير) إلى أن قال : (ثم اعلم أيها الحكيم أن هذه الأربعون الصحيفة إكراماً للنهيج البهيج هي بمحضر من الحكماء والتلاميذ والكهنة) ثم كلام يتعلق بالكيمياء على رأي المتقدمين عن الأحجار وبعض المعادن آخره: (السابعة من سبع صحائف من صحف شيث المكرمات الكرام المحكمات). وبعده كلام هو إلى التخريف أقرب منسوب إلى صحف شيث الحكيم ، يقع هذا في خمس عشرة صفحة .

ثم (كتاب الجوهرتين).

ثم (الباب الحادي عشر في امتحان الإكسير) يتعلق بالكيمياء ، يقع في عشر صفحات ، جاء فيه ــ ص ٧ ــ: (ولو أن الكيمياء يدرك بهذه العلوم فقط لأدركه علي بن سيناء البخاري وأبو نصر محمد بن طرخان الفارابي ، وأبو الريحان البيروني ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي المعروف بفيلسوف العرب ، وأبو عبدالله محمد بن حزم ، كل هاؤلاء العلماء تكلموا في الكيمياء كلاماً مضطرباً).

آخره في الكلام على (الباب الثاني عشر في المنام الكاهين الذي هو زمام الكتاب : كنت زماناً مبتهلاً برب الأرباب ، ومسبب الأسباب أن يوفقني على معرفة الطبيعة الكريمة وأن يريني إياها في منامي). ثم بعد سَرْدِ رُؤْياً خرافية ينتهي الكلام : (وقد وفينا بما وعدنا ورأينا أن نقطع الكلام مستوهبين البركة من الله تعالى). وكلام يدل على تاريخ الفراغ من الكتاب وانه في شهر محرم سنة ١٣١٤ ، يتلوه أول كلام نصه : باب الصنعة الالهية بالعلم والعمل كما روي عن بعض الأكابر).

وآخره : (هذا منقول من كتاب الأسرار في الصنعة الشريفة). آخره : (تم بعون الله كما وجد في الأم وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين آمين).



بانيه ولد كريم ينتفع به فليأخذ لوح عطارد ولدا ... عطارد من
الذهب الاحمر مكتوب عليه بالفضة تسعة اسطر ووضعناها ...
ان يستخرج والما حديد فليكن الكبريت الاحمر في الكبريت الابيض
... الذهب ويضع مع الاوح قليل ... فان يكون فاخذ
الكبريتين ... وجعلتها ميلا ... واضيفت اليه ...
وكتبت به تسعة اسطر في لوح من الذهب الابريز ... ولد قرت
به عيني وسميته عبد الكريم ثم انتبهت واذا بولدي ...
ثم اعلم ايها الاخ الباحث في صناعة الاحبار اني ...

رقم (٩)

صفحة من مخطوطة (الامبروزياتا) ليست من الكتاب ولكنها توضح تاريخ نسخه

وخطُّ هذا المجموع كله متماثل مما يدل على أن الكاتب واحد ، وأنَّ تاريخ النسخ هو شهر المحرم سنة ١٣١٤ . ـ انظر الصورة رقم ٩ ـ .

ولاشك أنَّ ما أُضيفَ إلى تلك القطعة التي من كتاب «الجوهرتين» مما أُلِّفَ حديثاً ، وأنَّ النسخة كانت يَمَنِيَّةً يدل على هذا الاقتصار بعد الصلاة على الرسول ﷺ على الآل الطاهرين ، كما تدل جملة : (تولى الله مكافأته) على أنَّ الكاتب ممن ينظر إلى الهمدانيِّ نظرة كراهة ، ولهذا لم يترحم عليه ، وتلك عادة بعض إخواننا من الزيدِيَّة اليمنيين .

ولاتُضِيفُ هذه القطعةُ جَدِيداً إلى الكتاب سوى فتح باب الأمل بإمكان العثور على مخطوطة من الكتاب في اليمن ، لحداثة عهد كتابتها .

يضاف إلى هذا الاختلاف في التسمية ، فهي في النسختين الأوليين : (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفرا والبيضا)[١٦].

وفي هذه النسخة : (كتاب الجوهرتين العتيقتين والحجرتين المائعتين الصفرا والبيضا)، أي بزيادة (الحجرتين) وبحذف (من) قبل الصفراء ، ولاأستبعد أن الصواب حذفها ، ويستأنس لهذا بإطلاق كلمتي (الصفراء والبيضاء) على الذهب والفضة في كلام متقدمي العلماء كالبيروني ــ محمد بن أحمد المتوفى في عشر الأربعين بعد الأربع مئة ــ فقد قال في كتابه «الجماهر في معرفة الجواهر» ــ ٨ ــ: لما سهل الله على الناس تكاليفَ الحياةِ وتصَاريفَ المعاشِ بِالصفراءِ والبيضاء ، انطوت الأفئدةُ على حُبِّهما ، ومالت القلوب إليهما ــ إلى أن ذكر ــ أنهما حَجَرانِ لايُشْبِعَانِ بذاتهما من جوع ، ولايُرْوِيَان من صَدى ــ إلى آخر ماقال .

أما تأنيث الحجر ، فعلماء اللغة وَإِنْ ذَكَرُوا أنَّ الحَجَرَيْنِ هما الذهب والفضة ، إلا أنني لم أر الاسم مؤنثاً فيما بين يديَّ من كتب اللغة ، ولو صَحَّ هذا عن الهمداني لكان مقبولاً ، إذْ هو عالم لغوي عاش في عصر متقدم . ولم أَرَ في ترجمة الهمداني فيما اطلعتُ عليه من كتب التراجم من ذكر هذا الكتاب من مؤلفاته ، سوى ما ورد في «إنباه الرواة» ولكن باسم «الجواهر العتيقة» .

٤ ــ مطبوعتا الأستاذ تل CHRISTOPHER TOLL : رجع الأستاذ كريستوفر تل في طبعته الأولى إلى النسخ التي أشرتُ إليها ، وبذلَ جُهْداً مُجْدِياً نافِعاً في دراسة الكتاب ، وفي نقله إلى لغته ، فوضع أمام كل صفحة من صفحات المخطوط ترجمتها ، ونسخ المخطوطة بيده ونشرها مصورة في صفحات مماثلة لصفحات الأصل ، ووضع فهارس أسماء الاعلام والمواضع والشعر ، وقدم للكتاب بدراسة بلغته تقع في خمس وأربعين صفحة .

ثم أعاد النظر حين أرادت (وزارة الاعلام اليمنية) نشر الكتاب ــ في طبعته الأولى فصحح كثيراً من الأخطاء التي وقعت فيها ، وحافظ على اثبات اختلاف المخطوطات الثلاث ، فامتازت الطبعة الثانية صحةً وجودة حروف ، ومقدمة معربة .

يضاف إلى هذا أنَّ الأستاذ (تل) اطَّلع على المخطوطة التي لديه في جامعة (ابسالة) وهي الأصل ، ولهذا فلاشكَّ أنه بإطِّلاعِهِ عليها اتَّضَحَتْ له كلماتٌ قد لاتظهر في التصوير ، ومع ذالك فقد استعصتْ عليه قراءة كلماتٍ يسيرة ، فوضع أمكنتها في الطبعتين نقطاً ، وأشار في الحواشي إلى ذالك .

من هنا كان الرجوع إلى مطبوعته من الأمور التي تُعِينُ على تحقيق هذا الكتاب .

٥ ــ مخطوطة القاضي الأكوع : وكان العالم المحقق مؤرخ اليمن القاضي محمد بن علي الأكوع قد نسخ ــ عن مطبوعة (تل) نسخة أعدَّها للنشر ولما قابلته في صنعاء في شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٦ ــ واستوضحته عن كلماتٍ وردت في هذا الكتاب ، وعلم بأنني سأقوم بنشره ، وَعَدَ ببعث نسخته إليَّ فوفى بوعده . فرأيته ــ رعاه الله ــ قد زيَّنها بالحواشي التي استفدت منها بما لايزال معروفاً في اليمن من المسميات ، وأشرت إلى ذالك عند ذكره .

لقد رجعت إلى ماتقدم ذكره ، ورمزت لذالك على التوالي بالحروف : (اب) و(ال) و(ام) و(تل) ــ أي نسخة (أبسالة) والنسخة (الألمانية) ، ومخطوطة

(الامبروزيانا) ومطبوعة الأستاذ كريستوفر تل . أما مخطوطة صديقنا القاضي فصرّحت بما نقلت عنه .

حمد الجاسر

[الحواشي] :

(١) عربها الصديق الدكتور يوسف محمد عبدالله ـ عميد كلية الآداب في جامعة صنعاء ، ونشرت في «العرب» س ٢٢ ص ١٧٥ رمضان وشوال سنة ١٤٠٧هـ .

(٢) مجلة «القافلة» ج ربيع الثاني ١٤٠٧هـ ـ ديسمبر ١٩٨٦م ـ ص ٧ ـ (أسماء المعادن في التراث العربي الإسلامي) للدكتور أحمد عبدالقادر المهندس جامعة الملك سعود .

(٣) «التمام في شرح أشعار هذيل» ـ ٢٤٧ ـ

(٤) طبع «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» ، وانظر مجلة «العرب» س ١٤ ص ١٣٤ وس ١٧ ص ١٢٦ .

(٥) وقد أوضح في «الإكليل» ١٩٦/١٠ أن ذي الدمنة من صفات أحد أجداده لعنايته بالإبل ، كما ذكر صاحب كتاب «إنباه الرواة» أن جده سليمان بن عمرو كان شاعراً فسمي حائكاً لحكوكه الشعر .

(٦) «الإكليل»: ١٩٨/١٠ .

(٧) ص ٩٦ ومابعدها .

(٨) «الإكليل»: ١٩٩/١٠ ـ عن يوسف ـ الجد الثالث للهمداني: سكن صنعاء في آخر عمره ، وحمل بها وأولاده ، وكان لهم بصر بالإبل ، وبنو الأزهر من قومه ، قال عنهم: نزعوا من الظاهر إلى بوسان والرحبة ، فحملوا ، وخالطوا بلحارث بالرحبة .

(٩) «صفة جزيرة العرب»: ٣٥٦ .

(١٠) يُعْفِر ـ هذا بضم الياء المثناة التحتية وإسكان العين المهملة وكسر الفاء وآخره راء ـ كما نصَّ الهمداني على هذا في آخر الجزء الثاني من كتاب «الإكليل» .

(١١) «الإكليل» ١٩٦/١ .

(١٢) انظر «قصيدة الكميت» مع شرحها لأبي رياش في مجلة «العرب» س ١٣ ص ٦٨٧ .

(١٣) «الإكليل» ٨٢/٨ وانظر رسم (تلفم) من «معجم مااستعجم» .

(١٤) انظر جريدة «الأهرام» تاريخ ٩ جمادى الآخرة ١٣٨٠ (٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٠م) بعنوان (حلم الكيميائيين يتحقق بتحويل الرصاص إلى ذهب) . وتناقلت وكالات الأنباء منذ شهور نبأ نجاح العالم الأمريكي بول كوتل في تحويل الذهب إلى رصاص وقرر أنه من الممكن تحويل الرصاص إلى ذهب ، ولكن العمل غير مربح ـ انظر جريدة «الشرق الأوسط» ع ٣٠٢٧ في ١٣ رجب ١٤٠٧ (١٣ مارس ١٩٨٧م) بعنوان (الذهب يتحول رصاصاً) الصفحة الأخيرة .

(١٥) انظر «تاج العروس» ـ ودق ـ لتفصيل هذه المسألة .

(١٦) «إنباه الرواة» ٢٨٣/١ .

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٤٨ ـ

٢٣٣ ـ بابُ جِيزَةَ ، وجَنْزَةَ ، وجَيِّرَة وحِيرَةَ ، وحِبْرَة ، وَخَبْرَة ، وخَيْرَةَ(١)

أمّا الأوَّلُ : ـ بِكَسْرِ الجِيمِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنة ، ثُمَّ زَايٌ ـ : جِيزَةُ مِصْرَ مَشْهُورَةٌ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بنُ إِسْحَاقَ الجِيزِيُّ ، يَرْوِي عَنْ مُؤَمَّلِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، وغَيْرِهِ ، وأَبُو مُحَمَّدٍ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الأَعْرَجُ الجِيزِيُّ ، يَرْوِي عَنْ أَسَدِ بْنِ مُوسَى ، وعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الحَكَمِ ، وصَحِبَ الشَّافِعِيَّ ، وكَانَ ثِقَةً مَاتَ فِي ذِي الحِجَّةِ سنةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِئَتَيْنِ(٢).

وأمّا الثّانِي : ـ بِالجِيمِ مَفْتُوحَةً ، وبَعْدَهَا نُونٌ سَاكِنَةٌ ـ : أَشْهَرُ مُدُنِ أَرَّانَ أَحَدِ الثُّغُورِ ، بَيْنَهَا وبَيْنَ بَرْذَعَةَ ستَّةَ عَشَرَ فَرْسَخاً يُنْسَبُ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الجَنْزِيُّ ، قال الدَّارَقُطْنِيُّ : كَان يَكْتُبُ مَعَنَا الحَدِيثَ ، وَيَتَفَقَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وكَانَ شَدِيداً ، ونَفَرٌ سِوَاهُ(٣).

وأمّا الثّالِثُ : ـ بَعْدَ الجِيمِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَكْسُورَةٌ مُشَدَّدَة ، ثُمَّ رَاءٌ ـ : مَوْضِعٌ حِجَازِيٌّ فِي دِيَارِ كِنَانَةَ(٤).

وأمّا الرّابِعُ : ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ ، ثُمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ وَرَاءٌ ـ : البَلْدَةُ المَعْرُوفَةُ بِظَهْرِ الكُوفَةِ ، يَسْكُنُهَا مُلُوكُ قَحْطَانَ وَغَيْرُهُمْ ، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُهَا فِي غَيْرِ حَدِيثٍ ، وَأَيْضاً : مَحَلَّةٌ بِنَيْسَابُورَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحِيرِيُّ ، يَرْوِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ

الدَّارِمِيُّ ، وأَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الحِيْرِيُّ ، شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ بِنَيْسَابُورَ ، وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ حَمْدَانَ ، وغَيْرُهُمْ(٥).

وأَمَّا الخَامِسُ : ــ بِكَسْرِ الحَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ ــ : أُطُمٌ مِنْ آطَامِ اليَهُودِ بِالمَدِينَةِ(٦).

وأَمَّا السَّادِسُ : ــ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ ــ : مِيَاهٌ لِبَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ [مِنْ حِمَى الرَّبَذَةِ ، وَعِنْدَهُ قَلِيبٌ لِأَشْجَعَ ، وأَوَّلُ أَخْيِلَةِ هذَا الحِمَى] من نَاحِيَةِ الخَبِرَةِ(٧).

وأَمَّا السَّابِعُ : ــ بَعْدَ الخَاءِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ــ : خَيْرَةُ الأَصْفَرِ ، وَخَيْرَةُ المَمْدَرَةِ جَبَلَانِ بِمَكَّةَ ، مَاأَقْبَلَ مِنْهُمَا عَلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ حِلٌّ ، وَمَاأَدْبَرَ حَرَمٌ(٨).

(١) عند نَصْرٍ في حرف الحاء : (بَابُ الحِيرَةِ ، والحِبْرَةِ ، والجِيزَةِ ، والخَتْرَةِ ، والحَبْرَةِ ، وَجَبْرَةَ ، وجَنْزَةَ ، وخَبْرَةَ) ذكر ثمانية أسماء ، ولكنه لم يتحدث عن (الخَتْرَةِ) .

(٢) لَمْ يَذْكُرْ نَصْرٌ جِيزَةَ مِصْرَ ، وإِنَّمَا قال : وأَمَّا بِالجِيمِ المَكْسُورَةِ ، والْيَاءِ التي تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَزَاي مُعْجَمَةٍ: هَضْبَةٌ في دِيَارِ بَنِي عَبْدِ الله بْنِ كِلَابٍ . انتهى ولَمْ أَرَ لِاسْمِ هذه الهَضْبَةِ ذِكْراً فِيمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الكُتُبِ . والجِيزَةُ ــ في اللُّغَةِ ــ عَلَى مانقل ياقوتُ عَنْ أَبِي زِيَادٍ ــ : الوَادِي أَوْ أَفْضَلُ مَوْضِعٍ فِيهِ ، وجِيزَةُ مِصْرَ أَوَّلُ مَنِ اخْتَطَّ فيها خِطَطاً طوائفُ من القبائل التي غَزَتْ مِصْرَ في صَدْرِ الإِسْلَامِ مَعَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ بَعْدَ فَتْحِ الاسكندريَّة ، وقد اتَّصَلَ عُمْرَانُهَا بالقَاهرة ، وتَشْمَلُ كُورةً واسِعَةً قال عنها ياقوت : مِنْ أفضل كُوَرِ مِصْرَ ، والمَنْسُوبُونَ إليها من المشاهير كَثِيرُون ذكر بعضَهم ياقوتُ بإيجاز .

(٣) قال نَصْرٌ عَنْ جَنْزَةَ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الجِيمِ وسُكُونِ النُّونِ ، والزَّاي مُعْجَمَةٌ ــ : مِنْ مُدُنِ أَذْرَبِيجَانَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْدَعَةَ سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخاً . وقال ياقوتُ : جَنْزَةُ ــ بالفتح ــ أعْظَمُ مَدِينَةٍ بِأَرَّانَ ، وهي بَيْنَ شَرْوَانَ وأَذْرَبِيجَانَ ، وهي التي تُسَمِّيهَا العامَّةُ كَنْجَةَ . . . خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ ، وذكر عَدَداً مِنْهُمْ مُعَوِّلاً عَلَى السَّمْعَانِيِّ ، صَاحِبِ كتاب «الأنساب» وقال مُؤَلِّفُ كِتَابِ «بُلْدَانِ الخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ» في كَلَامِهِ عَلَى إِقْلِيمِ كِيلَانَ ــ ص ٢١٣ ــ : وجَاءَ ذِكْرُ مَدِينَتَيْنِ في الرَّانِ إلى شمال غَرْبِيِّ بَرْذَعَةَ في طَرِيقِ تَفْلِيسَ أولاهُمَا مَدِينَةُ كَنْجَةَ ، والأَشْهَرُ في تَسْمِيَتِهَا اليَوْمَ (اليزابث بول Elizabet Pol) وقد كتبها البلدانيون العربُ بِصُورة جَنْزَة .

(٤) جَبْرَةُ : قَالَ نَصْرٌ : وَأَمَّا بِجِيمٍ مَفْتُوحَةٍ وَبَاءٍ مُشَدَّدَةٍ مَفْتُوحَةٍ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَرَاءٍ مُهْمَلَةٍ: مَوْضِعٌ بِالحِجَازِ في دِيَارِ كِنَانَة ، وقِيلَ : عَلَى سَاحِلِ مَكَّةَ . انتهى . ونَقَلَ ياقوتُ هَذَا الكَلَامَ في «معجم البلدان» غَيْرَ مَنْسُوبٍ لِقَائِلٍ . ويَظْهَرُ أَنَّ مَصْدَرَ هذا القَوْلِ مَاجَاءَ في كتاب «شرح اشعار الهُذَلِيين» لِلسُّكَّرِي ــ ٣١١ ــ ومُلَخَّصُهُ: أَقْبَلَ الأعلمُ الهُذَلِيُّ وأخوه صُخَيْرٌ ، ومَعَهُ صاحبٌ له ، حتى أَصْبَحَا مُدْخِلَيْنِ بِجَبَلٍ يُقَالُ لَهُ السِّطَاعُ ، بِجَبَّرَةَ ، بَلْدَةٍ مَعْرُوفَةٍ ، في يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ ، شَدِيدِ الحَرِّ ، وهُوَ مُتَأَبِّطٌ قِرْبَةً فِيهَا مَاءٌ ، فَأَيْبَسَتْهُمَا السَّمُومُ حَتَّى لَمْ يَكَادَا يُبْصِرَانِ مِنَ العَطَشِ ، فَقَالَ الأعلم لِصاحبه: اشْرَبْ مِنَ القِرْبَةِ لَعَلِّي أَرِدُ المَاءَ فَأَشْرَبَ مِنْهُ ، وبَنُو عَبْدِ بنِ عَدِيِّ بن الدِّيلِ مِنْ كِنَانَةَ عَلَى ذَالِكَ المَاءِ ، وهو مَاءُ الأَطْوَاءِ ــ ثم بقية

الخبر عن مطاردة القوم الكنانيين للأعلم الشاعر الهذلي ، ولكنه نجا منهم ، وقال في ذالك شعراً .
فالموضع في بلاد بني الدِّيل من كنانة ، ولكن ياقوتا أورد في «المعجم» في رسم (حَيرة) بالحاء المهملة وياءٍ مشددة وراءٍ وهاءٍ : بلدة في جبال هذيل ، ثم في جبال سِطاع . ولاشك أن الموضع واحد ، فهل هو بالجيم أو بالحاءِ المهملة؟! اتفاق نصر والحازمي على ماورد في كتاب «شرح أشعار الهذليين» يقوي القول بأنه بالجيم ، على أن قول ياقوت أنه في سطاع ، في جبال هذيل لايتفق مع ما في كتاب «شرح أشعار الهذليين» فسطاع في بلاد كنانة ، وياقوت نفسه قال عنه : ورد في أشعار هذيل ، وورودُهُ في أشعارهم ، لايلزم منه أنه في بلادهم ، وجبل سطاع لايزال معروفا ، يقع في تهامة جنوب مكة بنحو ثمانين كيلا ، على مقربة من الساحل ، يمر به طريق المتجه إلى اليمن المار بمنهل الأطواء الواقع في ذالك الجبل . وسكانه من الجحادلة الآن ، وهم ينتسبون إلى كنانة ، وبلاد هذيل اليمن متصلة ببلادهم .

(٥) الحِيرَةُ : قال نصرٌ : أما بكسر الحاء تليها ياءٌ تحتها نقطتان ، وراء مهملة : الصُّقع المعروف بظهر الكوفة ، من منازل ملوك قحطان . انتهى . وأطال ياقوت الكلام على الحيرة بعد أن ذكر أنها مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة ، على موضع يقال له النجف . وأضيف بأن اسم النجف طغى على اسم الحيرة حتى كاد أن يجهل هذا الاسم .
أما الحيرة التي هي محلة بنيسابور فقد أورد ياقوت بعد ذكر بعض من نسب إليها قول أبي موسى محمد بن عمر الأصفهاني ــ شيخ الحازمي : أما أبو بكر الحيري فقد ذكر سبطه مسعود بن عبد الرحيم أن أجداده كانوا من حيرة الكوفة ، وجاؤوا إلى نيسابور فاستوطنوها . قال : فعلى هذا يحتمل أن يكونوا توطنوا محلة بنيسابور فنسبت المحلة إليهم ، كما تنسب بالكوفة والبصرة كل محلة إلى قبيلة ، نزلوها . وللتوسع في معرفة بعض أحوال المنسوبين إلى الحيرة ممن ذكرهم الحازمي وغيرهم يحسن الرجوع إلى كتاب «الأنساب» للسمعاني .

(٦) حِبْرَةُ : قال نصرٌ : وأما بكسر الحاء وسكون الباء الموحدة : أطم بالمدينة لليهود ، في دار صالح بن جعفر . انتهى ولم يزد ياقوت على هذا سوى بيان المعنى اللغوي إذ قال : حِبرة ــ بالكسر ثم السكون ــ : هي في اللغة صفرة تركب الأسنان ، وأورد القول غير منسوب . وفي «وفاء الوفاء» ــ ١١٨١ــ : حبرة ــ بالكسر ــ : أطم بالمدينة ، قاله الصاغاني ، وقال ابن زبالة : إن بني قينقاع كان لهم أطمان عند الحشاشين ، عند المال الذي يقال له حبرة . قلت وأظنه بالحاء ثم الموحدة . انتهى كلام صاحب «وفاء الوفاء» وكلام ابن زبالة أورده صاحب «المغانم المطابة» ــ الورقة الـ ٣٦ ــ ولكن كلمة (حبرة) بلون نقط ، وقال السمهودي في «وفاء الوفاء» : الحشاشين ــ بصيغة الجمع ــ : بمنازل بني قينقاع ، ولم يزد . وأورد صاحب «القاموس» كلام نصر بنصه غير منسوب ، وهو في الغالب يرجع إلى «معجم البلدان» ولكنه في «المغانم» أورد قول الصاغاني . ولم أره في كتابه «التكملة» . ومنازل بني قينقاع في المدينة كانت في جنوبها فيما بين المسجد النبوي وقباء ، كما يفهم من النصوص التي أوردها السمهودي في «وفاء الوفاء» ــ ١٠٧٢/١٠٧١/١٦٤ ــ وقد زالت آثارهم بزوالهم . وموقع ذالك الأطم في وسط عمران المدينة الآن .

(٧) خَبِرَةُ : قال نصرٌ : وأما بفتح الخاء المعجمة ، والباء الموحدة المكسورة ، والراء المهملة : ماءٌ من حمى الربذة لبني ثعلبة بن سعد ، وعنده قليب لأشجع ، وأول أخيلة هذا الحمى من ناحية الخبرة . انتهى .
وفي «معجم البلدان» : خَبِرَةُ ــ بفتح أوله وكسر ثانيه وراءٍ مهملة ــ : وهو لغة في الخبراء ، يقال : خبراء وخبرة للأرض التي تنبت السدر ، وهو علم لماءٍ بني ثعلبة بن سعد ، من حمى الربذة ، وعنده قليب لأشجع ، وأول أخيلة هذا الحمى من ناحية المدينة الخبرة . انتهى . ويلاحظ أن في التعريف في نسخة

الأصل من كتاب الحازمي نقصاً أكمل من النسخة الثانية فيما بين المربعين [. . .] ومع ذالك لم يكمل وهذا ماحمل ياقوت على زيادة كلمة (المدينة) على أن فيما ورد في «معجم مااستعجم» ماتفهم منه مخالفة النصوص المتقدمة ، ونصه — ٦٣٣ في الكلام على حمى الربذة : «وسرة حمى الربذة الخبرة . وهي من الربذة مهب الشمال ، وهي في بلاد غطفان ، وإن أدنى المياه من الخبرة ماء لبني ثعلبة بن سعد ، وأول أجبل حمى الربذة في غربيها زخرخان — إلى آخر ماذكر وفيه أن بين زخرخان وبين مضب المنحر تقع الخبرة . وكلمة (سرة) وردت في كتاب «وفاء الوفاء» ومختصره «خلاصة الوفاء» بهذا النص : وأن سرة حمى الربذة الحرة ، ثم زاد الولاة بعد في الحمى — إلى أن قال —: وأول أعلامه زخرخان جبل غربي الربذة على أربعة وعشرين ميلاً منها — وهو ينقل عن الهجري ، ولا شك أن كلمة (الحرة) تصحيف (الخبرة) إذ لاحرة في حمى الربذة ، فقد سرت فيه وشاهدت جميع أعلامه ، وهو في أرض منبسطة ، تنتشر الجبال في نواحيها . ولهذا فإنني أرى صواب كلام نصر والحازمي وياقوت: (وأول أجبله — أي هذا الحمى — من ناحية الخبرة) وهو جبل زخرخان — كما في كلام صاحبي «معجم مااستعجم» و«وفاء الوفاء» أما كلمة (المدينة) التي زادها ياقوت فلا محل لها .

وأضيف : لقد طالعت مخطوطة « وفاء الوفاء » في المكتبة العامة في مدينة (ميونيخ) بعد كتابة ماتقدم في رمضان سنة ١٤٠٧هـ فوجدت فيها كلمة (الخبرة) مكتوبة بدون إعجام (الحبرة) فيظهر ان التصحيف تطبيع — أي خطأ مطبعي — .

وحمى الربذة أصبح معروفاً في عهدنا ، وكثير من أعلامه كجبل زخرخان وغيره باقية على أسمائها ، إلا أن جل المياه القديمة قد نضبت فدرست ، ومنها الخبرة التي يفهم من وقوعها في سرة الحمى وقوعها على مقربة من موقع قرية الربذة التي كشفت آثارها .

(٨) خبيرة : ماأورده الحازمي هو نص كلام نصر ، وكذا أورد ياقوت في «معجم البلدان» وعنه نقل صاحب «القاموس» على أن في المخطوطة الثانية من كتاب الحازمي . وأما السابع : — بعد الحاء المهملة ياء تحتها نقطتان ساكنة —: حيرة الأصفر وحيره جيلان بمكة ، ماأقبل منها على مر الظهران حِل وما أدبر حرم — كذا ورد الكلام محرفاً ، وماأرى كلمة (المهملة) إلا مزيدة على كلام الحازمي ، مع أنه لم ترد في الأصل كلمة (المعجمة) ولكن الخاء فيه منقوطة في ثلاثة مواضع .

ومع عناية الأزرقي بتدوين معالم حرم مكة في كتابه «أخبار مكة» فإنني لم أجد لإسم خبرة أو خبيرة ذكراً فيه ، وإنما وجدت — ج ٢ ص ٣٠١ آخر الكتاب مانصه : التخابر بعضها في الحل وبعضها في الحرم ، وهو على يمين الذاهب إلى جدة ، إلى نصب الأعشاش ، وبعض الأعشاش في الحل وبعضها في الحرم ، وهي بحبرة البهيما وبحيرة الأصفر والرغباء ، ماأقبل على بطن مر منهن فهو حل ، وماأقبل على المريرا منهن فهو حرم . انتهى بنصه ، ولا شك أن مدلول النصين واحد ولكن أيهما الصحيح ؟! وقد كرر محقق الكتاب الجملة في الملحق الثاني الذي أضافه إلى الكتاب بعنوان (حدود الحرم) — ج ٢ ص ٣٠٩ — بهذا النص : الحديبية من الأعشاش ماأقبل على بطن مر فهو حل ، وماأقبل على المريرا فهو حرم . انتهى لاشك في وجود صلة بين كلمتي (خبرة) و(التخابر) ولا أستبعد أن تكون الأخيرة محرفة عن (الخباير) لو صح اعتبارها جمعاً لخبرة ، أو ماقارب تلك الكلمة ، وكذا كلمة (المريرا) في كتاب الأزرقي ، قد تكون (المذيرا) كما في النصوص المتقدمة ، التي هي أقرب إلى الضبط والصحة . إلا أنني رأيت فيما كتبه الشيخ المحقق عبدالله بن عبدالرحمن البسام في تحديد الحرم المكي ونشر في مجلة «العرب» س ٢٢ ص ١٢ — ذكراً للأعشاش ، واتصالها من الشرق بـ (النخائر) وأن سيلها يصب في (المرير) من الحرم ، وقبل ذالك ذكر (النخائر) وأن بعضها في الحل وبعضها في الحرم ، كما ذكر الشيخ ثنية المرير ، وأن العلم الموضوع ليوضح حد الحل من الحرم يبعد عنها بنحو كيل ونصف ، وأورد خبر بروك ناقة الرسول ﷺ في ثنية المرار ، وقول ياقوت ثنية المرار مهبط الحديبية .

حديث الكتب :

« تاريخ ابن لعبون »

أول من قال بأن ابن لعبون لم يؤلِّف كتاباً واحداً وإنما ألف كتابين اثنين أحدهما في التاريخ وثانيهما في الأنساب هو الشيخ حمد الجاسر .

وهذا كلام مطابق للواقع ، لأن الموجود بين أيدينا من آثار ابن لعبون المخطوطة والمطبوعة :

افتتاحية لكتاب خصّصه للأنساب ، ومقدمة له .

وافتتاحية ومقدمة أُخريان لكتاب في التاريخ .

وقد أوهم تداخل هاتين الافتتاحيتين والمقدمتين بأن ما ألفه ابن لعبون هو كتاب واحد في التاريخ .

فالكتاب المطبوع في مطبعة أم القرى سنة ١٣٥٧هـ بدأ بافتتاحية كتاب الأنساب ، ثم مقدمة كتاب الأنساب . ثم جاءت مقدمة كتاب التاريخ على هيئة فصلين من فصول هذا الكتاب المطبوع من قوله [فصل : قال أهل السير والأخبار . .] ص ٥٧ إلى آخر الكتاب .

والكتاب المخطوط وهو نسخة الشيخ عبدالرحمن بن سليمان بن حمدان ــ رحمه الله ــ بدأت بافتتاحية كتاب التاريخ . فمقدمة كتاب الأنساب ، ثم مقدمة كتاب التاريخ على هيئة فصلين أيضا كما في الكتاب المطبوع .

ومعنى ذالك أن المطبوع لا يختلف عن المخطوط إلا في الافتتاحية فقط .

والسؤال : أين باقي هذين الكتابين اللذين لا يوجد منهما إلا الافتتاحيتان والمقدمتان ؟

هل ضاع ضمن الكتب التي ضاعت ؟ أم كما قال الجاسر عن هذين الكتابين : إن ابن لعبون [لم يكملهما ، وإنما كتب جملاً منهما] ــ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد القسم الثاني ــ ص ٧٥٥ ط ١٤٠١هـ ــ .

أما كتاب الأنساب فيوجد منه ـ عدا ما تقدم ذكره ـ النبذة التي كتبها المؤلف ، وتختص بنسب آل مدلج من بني وائل . وهذه النبذة لاتزال مخطوطة أورد الشيخ الجاسر لها نسختين تحدث عنهما في مجلة العرب ص ٥٩٣ ومابعدها ج ٨/٧ س ١٦ .

أما كتاب التاريخ . فليس بين أيدينا منه إلا ماتقدم ذكره . ولا أثر لباقيه فيما يتعلّق بـ [ماحدث بعد الألف من الهجرة من الولايات والوقائع المشهورة من الحروب ، والملاحم والجدوب ، وملوك الأوطان ، ووفيات الأعيان ، وغير ذلك مما حدث في هذه الأزمان ، خصوصاً في الدولة السعودية الحنيفية] ـ الورقة الأولى من مخطوط ابن حمدان كلُّ ذالك مما ذكره ابن لعبون في المقدمة ووعد بالحديث عنه ، ليس له أثرٌ البتة ، ولا وجود له ، والشيخ حمد الجاسر مرجع في ذالك ولم يذكر مخطوطاً لهذا الجزء المتبقي من الكتاب ، ولم أجد من ذكر شيئاً عن هذا الكتاب ـ عدا ماتقدم ذكره ـ إلا الشيخ عبدالله بن بسّام في رسالة بعثها للشيخ حمد فتفضّل بنشر خلاصتها في مجلة العرب ص ٤٥٥ س ١٦ ج ٦/٥ ، يقول فيها ابن بسّام :

[عندي تاريخ حمد بن لعبون بعضه بخطّه ، وبعضه بخط ابنه زامل ، وصفته كما يلي : . . .] ثم وصفه .

ومما يعنينا مما وصف به هذا المخطوط قوله :

[يوجد عندي التاريخ النجدي الحديث من عام ١١٥٨ إلى ١٢٤٠هـ] والكلام عن تاريخ ابن لعبون .

أقول وبالله التوفيق : إن صحّ فهمي لرسالة ابن بسّام ، فقد عثرنا على أهم مافي كتاب التاريخ لابن لعبون .

وإن صحّ فهمي أيضا فلا أعتقد أن حمداً الجاسر سيهدأ له بالٌ ما لم يطّلع على ماذكره الشيخ ابن بسّام .

ولعلّي بعد ذالك أجد عند الشيخ حمد من الجواب ما يشفي ويكفي إن شاء الله ، وما قصدي إلا معرفة الحقيقة ، والله من وراء القصد .

حرمة (سدير) : عبدالمحسن بن إبراهيم بن لعبون

أنساب اسر بلدتي الحَريق ونعام

أشير إلى مؤلفكم القيم « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » فإنه يعد بحق مؤلف جيد وهام لما يضم من معلومات عن أسر نجد وما أريد قوله هنا هو أنني وجدت به نقصاً كبيراً من ناحية عدم ذكر كثير من أسر بلدتي الحريق ونعام المتجاورتين ففضلت التنويه عن ذالك فيما سيأتي راجياً من أستاذنا الفاضل تدارك ذالك حين إعادة طباعة الكتاب المذكور ان شاء الله .

وهذا سرد لكافة أسر بلدة الحريق :

المزازنة : أمراء الحريق ومشاهيره وهم من البدور من الأشاجعة من الـمَخْلَف من الجلاس من ضنا مُسلم من بكر بن وائل (من عنزة) وحول هذه الأسرة الكريمة ورد التباس وخلط فيمن ينتسبون ومن ينتسب إليهم وسبق نقاش شيء من ذلك في جريدة الجزيرة ومجلة « العرب » وأرى أن إعادة هذا النقاش قد يطول هنا ولكن ما أحب قوله وأحاول اختصاره هنا أن ماحدث يكمن في نقطتين رئيستين هما :

أولاهما : الخلط بين بني هزان القبيلة القديمة العريقة التي تنسب إلى هزان بن صباح من عنزة بن أسد والتي وُجدتْ في ذالك الوادي (نَعام وما حوله) وبين المزازنة .

وأجزمُ في أن من خلط بينهما وجعل هذه امتداداً لتلك لم يستند على شيء سوى نواح سطحية فقط وهو مانستطيع تسميته أنه تقريب واجتهاد وظن فقط بأن المزازنة بهذا الاسم هم امتداد لبني هزّان المشابهة لهم اسماً وهذا استناد على ظاهر الاسم فقط وهذا لايصح ثم وجود هؤلاء وأولئك في أرض واحدة تقريباً ثم ماصار لكلٍ منهم من شأن ومجد ، إذَنْ كل هذه توقعات وظنون لا يجب الأخذ بها والاعتماد عليها إلا في حالة غموض الأمر تماماً . ولكن النسب الذي هو الدليل القاطع لحسم مثل هذه المسائل والذي لا أظنه مبنياً على توقع أبداً يخالف هذه

التوقعات الآنفة الذكر ومن خلط بين المزازنة وبني هزان لو أراد معرفة الحقيقة واختصار الطريق ونظر بِتَمعُّنٍ في نسب كل منهما لاتضحت له الرؤية وعرف الحقيقة الناصعة أي أنه يجب أن يبدأ بهذه المسألة من جذورها وأساسها لا من فروعها وتشعّباتها .

الثانية : السنون والدهور التي مرت على وجود بني هزّان وسيادتهم في ذلك الوادي ومرور المنطقة بحقب من الزمن سادت فيها الفوضى والحروب والكوارث والجهل كل ذالك وغيره جعل بقايا هذه القبيلة العريقة يجهلون إلى حد كبير نسبهم الحقيقي وتسلسله ثم ما تحقّق للمزازنة فيها بعد ـ أي مانسْتطيع تسميته العصر الحديث ـ من شأن ومجد وسؤدد جعل بعض بقايا بني هزان يتعلقون بالمزازنة وهو جهل منهم فقط بنسبهم الحقيقي .

وخلاصة القول علاوة على ماذكر حقيقة مبسطة أخرى توضح الأمر أكثر لمن جهله ، وهي هل يصح أن ننسب بني هزان القبيلة إلى الفرع المتفرع الصغير نَسَبًا وهو (البدور) ، الذي تتفرع منه أيضا أسرة المزازنة ؟ أو هل يجوز أن نخطىء هذه الحقيقة فنلغي التسلسل المعروف والمدون لنسب المزازنة لكي نزجَّ بهم عشوائيًّا وبدون قيد أو شرط في بني هزّان بحجة تشابه الاسم ، إذن لابُدَّ لمن خلط بينهما أن يكون آخذاً بإحدى هاتين الطريقتين الخاطئتين .

وزيادة في الإيضاح فإن الجدّ الأول للمزازنة وهو مسعود بن سعد بن سعيدان . . قد قدم من بلدة حَرْمة في سُدَير ، في أوائل القرن الحادي عشر الهجري وهذه حقيقة معروفة لاتقبل الجدال ، ثم تمكن ابنه رشيد من انتزاع السلطة في نعام في قصة معروفة ومتداولة يطول ذكرها ، وأقرب مايكون إلى المزازنة نسَباً هم آل عسكر أصل المجمعة فهم جميعاً من البدور .

أما تفصيل المزازنة ومن يشملهم هذا الاسم فهم :

١ ـ آل عبدالله .
٢ ـ آل تركي .
٣ ـ آل ناصر .

٤ ــ آل مشاري المقيمين الآن بمكة وهم رهط الشاعر الشهير محسن الهزاني .
٥ ــ آل فيصل .
٦ ــ آل زومان .
٧ ــ آل ماجد أهل الأحساء .
٨ ــ آل هلال أهل نعام .

هؤلاء هم الهزازنة المعنيُّون بهذا الاسم وإذا ألحقنا بهم أحداً فهم آل سعد .

نعود لسرد باقي أسر الحريق :

آل خثلان من الجبور من سبيع .

آل الكُثْرَان من بني لام من طيء .

الشبانات من قحطان وأظنهم من آل عفالق ، ومن الشّبانات آل جَدُوع ، وآل عشوان .

آل سليمان من عائذ العدنانية .

آل رزق أو (آل رزوق) من بني خالد .

آل الشيخ من أسرة آل الشيخ المعروفة من وهبة تميم والموجود منهم في الحريق يعرفون عند انفرادهم بآل حمد بن حسين نسبة إلى الشيخ حمد بن حسين ابن محمد بن عبدالوهاب عليهم رحمة الله .

آل مسعد من النّبطة من سبيع وأيضا آل وطبان نبطة .

آل دغيم من سبيع ــ أبناء عمهم في المزاحية .

آل هويدي من آل حسين من الأشراف .

آل عمر من الأشراف .

آل عميرة وآل سعيّد من تميم .

آل حوتان من العبادل من تميم وهم أبناء عم للذين في نعام والحوطة .

آل سهل وآل شقران من الشثور من زعب (؟) .

آل حتوش من المضييات من سبيع .

آل فرحان من المضييات من سبيع .

آل قويزاني من الشهاسات من سبيع .

آل عشبان من المصارير من الدواسر ولهم أبناء عَمٍّ في الخرج .

آل زامل وآل ذَرىَ وهم من بني هزان القبيلة المشهورة .

أما بلد المُفَيْجر فجل سكانه آل حسين من بني الأخيضر من الأشراف .

ومادمنا في سياق الحديث عن أسر الحريق فهذه أيضاً أسر بلد نعام القريب من الحريق :

آل عثمان من بقايا بني هزان القبيلة المشهورة والوارد ذكرها في كتب الديار وآل عثمان أقدم السكان الحاليين في ذالك الوادي حسب ما يتناقله الناس هناك ومرجع ذالك جدًّا ، فلقد كان أجدادهم يعيشون سابقاً في مكان يقال له الغابة مكان قديم وهو قريب من البلد نفسه وهذا مما يؤكد وجود بقايا لقبيلة بني هزان في ذلك الوادي حتى قبل وجود القواودة ثم الهزازنة بعدهم . وآل عثمان كانوا عدة أشخاص في الغابة ولا يعرف من أين جاؤوا ومَتىَ ، بعكس جميع الأسر تقريباً فمعروف زمن ومكان قدومهم . وهذا مما يدل على قدم هؤلاء وأنهم من بقايا بني هِزَّان المشهورين، وقد ذهب شخص منهم ـ أي آل عثمان ـ إلى بلد المزاحمية لطلب الرزق أو لغيره ويدعى رشيد بن حسن وسلالته باقية في المزاحمية إلى الآن ويعرفون بآل هزان الآن ، وهم يحسبون اسمهم هذا نسْبة إلى هزازنة الحريق أما علاقتهم بأبناء عمهم في نعام فهي شبه منقطعة وربما كان السبب اختلاف ظاهر اسم كل منهم ثم جهلهم بهذه الصلة الأكيدة .

آل ذوّاد من القواودة من بني عامر من سبيع ، وهم سلالة القواودة الذين حكموا وادي نعام رَدْحاً من الزمن حتى سنة ١٠٤٠هـ بداية سلطة وإمارة الهزازنة هناك .

آل هلال من الهزازنة أهل الحريق الذين سبق الحديث عنهم .

آل عجلان من المطارفة من عنزة .

آل حركان من المدارية من سبيع .

آل فارس من العرينات من سبيع .

←

حـــول كتـــاب :

الخطيئـــة والتكفـــير

[نشرت جريدة « الرياض » في العدد ٧٠١٨ تاريخ ١٧ محرم ١٤٠٨هـ مقالاً للأستاذ صالح بن عبدالرحمن الصالح بعنوان (جدل الفكر المعاصر في المملكة العربية السعودية) وحيث أن مجلة « العرب » قد تحدثت عن كتاب أثار جانباً من ذالك فانها ترى في نشر مقال الأستاذ صالح وَصْلاً للحديث .] :

قبل سنتين صدر عن نادي جدة الأدبي كتاب أحدث من الدّويّ في ساحتنا الثقافية ما لم يحدثه كتاب آخر ، وتناولته الصحافة والمنابر بالنقد والتعليق ، ولم يبق مجلس دار فيه حديث ثقافي إلا وظهر من يسأل ماهي (البنيوية) ؟ أو يصيخ السمع لما يدور عنها ، أو عن الكتاب الذي أعلنها منهجا في النقد ومضى في اقتراحها ، وكأنه لم يسبق قبل عام ١٤٠٥هـ أن وجد شيء اسمه (البنيوية) . الكتاب هو « الخطيئة والتكفير » من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج

آل حوتانٍ من العبادل من تميم .

آل شعلان من العبادل من تميم .

الروافع من المشاعيب من السهول .

آل فراج سهول .

آل ثواب من العصمة من عُتيبة .

المصاري من جيلات عنزة .

آل ادريس من عائذ أقاربهم في الحوطة .

آل منيع من آل غملاس أهل الخرج من المصارير من الدواسر .

العقيلات من العقيلات أهل الحلوة وهم من بني خالد .

آل شديد من آل ادريس من عائذ .

هذا وأرجو أن أكون موفقاً في ذالك .

الحريق : أحمد بن علي آل سليمان

إنساني معاصر يقع في ٣٧٩ صفحة من القطع الكبير لمؤلفه الدكتور عبدالله محمد الغذامي .

وعبدالله الغذامي من مواليد مدينة عنيزة بمنطقة القصيم عام ١٣٦٥هـ تلقى تعليمه حتى الثانوي هناك ، وحصل على الليسانس من كلية اللغة العربية بالرياض/جامعة الامام محمد بن سعود حاليا ، ودرس الماجستير والدكتوراه في بريطانيا ــ جامعة اكستر ــ وكان تخرجه سنة ١٩٧٨م واطروحته العلمية كانت عن أحمد بن جعفر بن شاذان ــ ت ٦٢٠هـ تقريبا ــ وكتابه « أدب الوزراء » ــ دراسة عن شخصيته من خلال لغته ــ والآن يعمل بدرجة أستاذ للأدب والنقد في قسم اللغة العربية بكلية الآداب ــ جامعة الملك عبدالعزيز ، ونائبا لرئيس نادي جدة الأدبي الثقافي .

وقد عرفت الغذامي أول ما عرفت من خلال أول بحث نشر له في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية/ جامعة الملك عبدالعزيز بعنوان : « الشعر الحر والموقف النقدي حول آراء نازك الملائكة » المجلد الأول ١٤٠١ ــ ١٩٨١م .

وقد شاكسته حينها في ذلك البحث من خلال جريدة « الجزيرة » مشاكسة انعقدت بعدها بيننا صحبة لا تنفصم .

والكتاب الذي بين أيدينا هو أول كتاب يصدره وكان ثمرة تفرغ علمي مدة سنة قضاها في الولايات المتحدة الامريكية (جامعة بيركلي) بين عامي ١٩٨٤/٨٣م وفي يناير ١٩٨٦م حصل بمقتضاه على جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في العلوم الانسانية ، وبعد هذا الكتاب توالت مقالاته في الصحف ، ومحاضراته في النوادي الأدبية ، ومؤلفاته في الاتجاه الذي حاول أن يؤسس له في هذا الكتاب .

والغذامي بعد هذا رجل على غير قليل من اللباقة ودماثة الخلق ، والقدرة على اظهار التواضع ، ولكنه في المقابل متحدث بارع ، يعرف كيف يحافظ على العلاقة مع الخصوم وفي الوقت نفسه كيف يصادر الآراء ويفرغ الحجج من مضامينها ، رجل لا يمكنك إلا ان تعجب به ، وبقدراته برغم ما يسم طريقته في النقاش من

زئبقية ، وأسلوبه في النقد من ليّ عنق النصوص ، ولعلها قدرة اكتسبها من (بارت) الذي أوجد له ولكثيرين غيره مندوحة من عبء (التمركز المنطقي !!) .

ـ لنا وقفة مع بارت من خلال كتابه : الدرجة الصفر للكتابة .

في كتابه « الخطيئة والتكفير » يستخدم الغذامي منهجا يسمه بالألسنية (من البنيوية إلى التشريحية) بهدف بناء (الشحاتية) من خلال ما خطه قلم حمزة شحاتة من شعر ، أو نثر يرقى إلى درجة (القول الشعري) ص ٨٩ ليعلن في الختام ان الدراسة تمخضت عن نموذج دلالي لادب حمزة شحاتة يقوم على ثنائية (الخطيئة/ التكفير) ص ١٤٨ .

وحمزة شحاتة (١٩٠٩ ـ ١٩٧٢) واحد من جيل رائد منه الجاسر ، والعواد ، وعبدالله عبدالجبار ، والسباعي ، والجهيمان والمسلم والفلالي ، وهو الجيل الذي قاد أول حركة للفكر والأدب في المملكة ، وشق طريقا في اتجاه المضامين الإنسانية يتجاوز جلبة الألفاظ ، وفي نفس الوقت يرقى على العامية ، وذلك من خلال اتصاله بحركة احياء التراث في العالم العربي ، وبمدارس مثل الديوان ، وأبولو في مصر .

تشير المصادر إلى مخطوطة شعرية بعنوان « شجون لا تنتهي » صدرت للشاعر عن مطبوعات دار الشعب/ القاهرة ١٩٧٥م .

وفي عام ١٩٧٧ تم جمع أول مقالات يوحد بينها موضوع واحد ، وقام عبدالله الماجد باصدارها عن طريق داره ـ دار المريخ للنشر بعنوان : حمار حمزة شحاتة .

وسنة ١٣٩٧هـ كتب عنه عزيز ضياء رسالة بعنوان « حمزة شحاتة قمة عرفت ولم تكتشف » صدرت عن دار الرفاعي ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة برقم (٢١) .

وفي عام ١٤٠٠هـ أصدرت تهامة مجموعتين من مقالاته أولاهما : « رسائل إلى

ابنتي شيرين » وثانيتهما : « رفات عقل » بعد ان جمع الأخيرة عبدالحميد مشخص . ثم أردفتهما تهامة بعد ذلك بسنة بمحاضرة له عنوانها : « الرجولة عماد الخلق الفاضل » كان قد ألقاها في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٩هـ في جمعية الاسعاف الخيري بمكة المكرمة .

وقد أشار الغذامي إلى كل هذه المصادر .

أما شعره وقد ظل بمنأى عن الجمع فهو إما مفقود وهو أكثره ص ٦٩ عزيز ضياء ، وإما بين اصدقائه ومعارفه . أو في حضانة بالصحف التي نشر بها ، أو في بعض التراجم (ينظر مرصاد الفلالي ص ٩١ النادي الأدبي بالرياض) .

ويكاد يجمع كل من كتب عن حمزة شحاتة أو تناوله ولو بالحديث الشخصي على ان شحاتة كان شاعراً متميزاً حتى لقد تردد بشكل متواتر عند مقارنته بالعواد ان العواد كان مفكراً والشاعر حمزة شحاتة .

من أهم ماقرأته نقداً لكتاب « الخطيئة والتكفير » ثلاث دراسات :

الأولى للدكتور نعمان عثمان بعنوان (جواد فاره ــ عربة أصيلة) في البدء تناول من خلالها ظاهرة ما لقيه الكتاب من اهتمام الصحافة ولم يجد له جوابا إلا ان ما نعيشه فكريا مما يمكن مقارنته بعهد النشوة بالنسبة للتصنيع في أمريكا اللاتينية ــ التي تحولت إلى كابوس فيما بعد .

ثم لما تفحص المنهج الذي خصص له المؤلف الربع الأول من الكتاب (وهو القسم النظري) توصل إلى ما خلاصته : ان الغذامي يستعرض بعض نقاد البنيوية ويشير في أماكن متعددة إلى تعريفات مقبولة للبنيوية مثل تعريف (بياجيه) إلا انه يزج مع ذلك شتاتا لا توافق فيه مثل كلام القرطاجني على اللغة ص ١٦ ، ١٨ .

أما التشريحية فبالرغم من ان المؤلف يقول بتشريحية(بارت)التي يفضلها على تشريحية (ديريدا) فان التشريحية التي اعتمدها خاصة في تحليل أبيات الحكمة

لزهير بن أبي سلمى ـ الميزة المحتسبة للكتاب ـ كانت تشريحية (ديريدا) التي تضع النصَّ على المشرحة ، في حين ان (بارت) يصر على ان البنيوية هي على الدوام نشاط واسلوب قراءة مفتوحة وليس منهجا أو طريقة ، ويخلص من كل ذلك إلى ان المنهج الذي اتبعه الغذامي يجمع اشتاتا من آراء لكتاب مختلفين مثل أفكار (ينج) في الشعور الجمعي و (فراي) عن الرموز الإنسانية والنماذج و (ستراوس) في دراسته لبعض الأساطير ، الأمر الذي يجعل تحليل الغذامي لحمزة شحاتة مناقضا لكثير مما تحاول البنيوية والتشريحية طرحه مثل موت المؤلف ، واستقلالية النص .

وعن الجانب التطبيقي يمضي الدكتور نعمان فيقول : ينجح الدكتور الغذامي في كتابة سيرة لحمزة شحاتة مستعينا ببعض من شعره استعانته بآراء زملاء وأصدقاء وأفراد أسرة الشاعر ، وعندما يخلص إلى ما يسميه نموذجا تكون فيه المرأة (عذاب/ رحمة) لا نجد في النصوص ما يدعم فكرة النموذج ، وانما هي فكرة أمليت املاء ، أما المرأة ودورها في النموذج كوسيلة وهدف للاغراء فان ذلك نظرة مجتمعية تقليدية لا شأن لها بتشريح أو تحليل نص أدبي .

وفي الختام يتساءل الدكتور نعمان لماذا لا نستورد سيارة المنهج جاهزة ؟ ويسارع فيجيب : كيف يكون لها قيمة ان لم يسبقها تمهيد للطرق وإيضاح للاتجاهات ونكون على معرفة بتشغيلها وادارتها وصيانتها وربما نستطيع حينئذ ان نخترعها ـ انظر جريدة الرياض عدد ٦٤٥١ في ١٤٠٦/٦/١١هـ ـ .

الدراسة الثانية للدكتور يوسف شُلْحُدْ وقد أعدها بناء على طلب من أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر .

وقد تحدث فيها عن الغموض الماثل في المقدمة النظرية بسبب :

١ ـ أن المؤلف يحاول ان ينقل دفعة واحدة للقارىء العربي ما كان قد تلقاه نظيره في الغرب على مراحل .

٢ ــ كونه ذكر من كبار المؤلفين من تحتاج دراستهم إلى مزيد من العناية والتعمق فهو مثلا يكتفي باشارات خاطفة إلى ركن من أركان البنيوية ، وهو الأستاذ (ليفي ستراوس) .

٣ ــ كونه يترجم عن الانجليزية ترجمة تكاد تكون حرفية .

٤ ــ أما النصوص المكتوبة بالفرنسية فانه يترجمها أيضا عن الانجليزية .

٥ ــ كونه لم يفرد مسرداً بالمصطلحات الفنية مع نظائرها باللغة العربية ليسهل فهمها على القاريء مما أدى إلى ان تأتي العبارة متقلقلة وأحيانا مخطئة .

وللتدليل على هذا الاضطراب نجد الدكتور شلحد يورد عدداً من الأمثلة :

ــ مصطلح (السياق) الذي جاء بمعاني مختلفة من بينها ما ينقله عن (ياكبسون) من ان السياق (هو الطاقة المرجعية التي يجري القول فوقها فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها ــ ص ٨) ليس هذا فحسب وانما أيضا دون ان يذكر نص (ياكبسون) بالانجليزية ، أو يذكر المرجع ، خصوصا وان هذا التعريف لا يوجد في مقال (ياكبسون) الالسنية والشاعرية .

ــ ما ينقله عن (بياجيه) عندما يقول : ولكن (بياجيه) يطرح تعريفاً (للبنيوية) يكاد يشفي غليل كل متطلع إلى تعريف محدد ، وذلك حين قال : ان البنية تنشأ من خلال (وحدات) تتقمص أساسيات ثلاثة هي : (١) الشمولية ، (٢) التحول ، (٣) التحكم الذاتي ، (ص ٣١) مما لا يغدو معه أي معنى لهذا القول (تتقمص أساسيات) ذلك ان العلامة السويسري يقول بعد شرح وجيز ما ترجمته (وعليه ان للبنية ثلاث خصائص تمتاز بها وهي : الاجتماعية ، التحول ، الضبط الذاتي) وليس في تعريف (بياجيه) إشارة إلى وحدات سابقة للبنية .

ــ ترجمته لمصطلح (التزامن) بـ (الأنية) وإحجامه عن تعريف (سيميولوجي) بعلم الاشارات مع أنه قال عن اللغة انها نظام من الاشارات ص ٢٩ .

ـ تقديمه حيناً الابداع اللغوي على الحساسية المرهفة وعلى المعنى ص ٩٥ كما تراه المدرسة الاسلوبية ، وحيناً آخر الحساسية على الابداع اللغوي ص ١١٤ ، والمعنى على المبني ، والنثر على الشعر عندما يذهب إلى أن رسائل حمزة شحاتة هي أعظم ما ترك لنا ، وذلك لشدة صدقها وأمانة الكلمة فيها ص ١٥٦ .

ـ تناوله (للسيميولوجية) بعد (البنيوية) بالدرس والتحليل ص ٤١ ثم انكبابه على التشريحية ص ٥٦ ، وكلامه عن المفكر الفرنسي (بارت) وشرحه لمباديء مدارس النقد الألسني (التي ترتكز على النص وتنطلق منه مثلما تتجه إليه ، ص ٨٥ ، ليعود بعد ذلك فيقوم بتحليل طويل لفلسفة النموذج (١١٨ ـ ١٥٢) يتساءل فيه عن وظيفة القراءة (وهل يجوز لنا فنيا وخلقيا ان تستقريء من نص ما غير ظاهر معناه ؟ ص ١١٩ ليستخلص ثنائية أدبية أولى : آدم / حواء ، حب / خوف ، شفقة / خضوع ، خطيئة / تكفير .

بعد هذا يعود شلحد ليؤكد انه اذا كان الغذامي قد استغل مفهوم (صوتيم) فانه لم يعمل به دائما ، مع ان ما يقوله عن الوحدة الشعرية لا صلة له بوضعية (الصوتيم) فها هو (ستراوس) عندما درس الأسس البدائية استعار كلمات القرابة لتقوم مقام (الصوتيم) في العلاقات الالسنية .

ـ وملاحظة ثانية : وهي أن المبدأ الثنائي الذي يأخذ به الغذامي لا يسلم به جميع علماء اللغة ، كما في بحث (ستراوس) نفسه عن « المثلث الطعامي » .

واخيراً يشير الدكتور شلحد إلى أن الغذامي إذ يذكر ان شخصية الشاعر وحياته لا محل لها في النقد الالسني الحديث إذ به يستكشف جوانب حياة شحاتة ليفسر أعماله ومنها معرفة بعض الحقائق عن هذا الشاعر الفذ أكثر من جميع ماقاله الغذامي استناداً إلى مباديء الالسنية ـ تنظر مجلة « العرب » ٧ / ٨ محرم / صفر ١٤٠٧ هـ ـ .

الدراسة الثالثة للأستاذ عابد خزندار وفيها يعقد مقارنة بين فصول كتاب الغذامي وفصول كتاب نورثروب فراي ـ « تشريح النقد » لينفي من خلالها ان

يكون كتاب الغذامي نسخة من كتاب (فراي) التهمة التي وجد البعض فرصة للنيل بها من سمعة الغذامي بسبب تشابه ـ وقع بالمصادفة بقصد أو بغير قصد ، من المطبعة أو من غير المطبعة ـ بين غلاف الكتابين ـ تنظر جريدة « عكاظ » عدد ٧٦١٥ في ١٤٠٧/٩/٧هـ ـ .

بهذه الأهمية التي أعطيت للكتاب نستطيع القول ان الدكتور الغذامي بالنسبة للساحة الثقافية السعودية هو أول من لفت الأنظار إلى البنيوية كمنهاج للبحث والنظر ، وان كانت بعض عناصرها قد دخلت منذ الستينات مع بعض المؤلفات النقدية ، ومع مرحلة الانتشار الأدونيسي ، وبعض طروح الحداثة ، وكذلك مع مناهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

وشخصيا فانني اعتبر أدونيس ممثلا ابداعياً للالسـنية لغة ، وأدبا ، حتى على الصعيد الفلسفي .

غير ان دخول البنيوية من خلال كتاب الغذامي إلى ساحتنا الثقافية يجيء متأخراً نحو عشرين عاماً عن الفترة التي شهد ازدهارها في البيئات التي أفرزتها ـ خاصة في فرنسا ـ حيث لم يقدر لها ان تعيش عمراً طويلاً فما هي إلا سنوات حتى آفل نجمها كعلم أوهم بالانضباط والقدرة على تقديم معرفة بديلة بالإنسان .

ونستطيع في هذا المجال ان نذكر تطبيقات لهذا المنهج تمت على أيدي أساتذة أفذاذ من مثل :

التراكم على الصعيد العالمي للدكتور سمير أمين .

الاستشراق لادوارد سعيد .

الثابت والمتحول لاودنيس .

نظرية الدولة لـ (نيكولاس بولانتزاس) ترجمة ميشيل كيلو .

نقد العقل العربي للدكتور محمد عابد الجابري .

جدلية الخفاء والتجلي: للدكتور كمال أبو ديب .

فإنه لم يبق لهذه التطبيقات (منهجاً وممارسة) إلا ما له صلة بالشرط التاريخي ، الذي جهدت (التقويضية) في ان تقفز عليه .

(انني هنا استخدم (التقويضية) بدلا من (التشريحية) حسبما ذهب إلى ذلك د. ميجان الرويلي في محاضرته بالنادي الأدبي بالرياض ـ تنظر جريدة الرياض عدد ٦٧١٠ في ١٤٠٧/٣/٤هـ ـ وعلى أساس ان تشريحية (فراي) ليست من البنيوية أو من تشريحية (ديريدا) الفلسفية في شيء . فتشريحية فراي تحليلة (استقراء/ استنتاج) أما تشريحية (ديريدا) فمقولة مضادة لما تطلق عليه (وهم التمركز المنطقي) الذي هو في النهاية ما نعنيه بحقائق التاريخ والوجود الموضوعي) .

ويتساءل البعض هل نستطيع القول عن (بنيوية اجتماعية) ليتسنى بالتالي افتراض بنيوية ثقافية يتوجب البحث عنها ؟ واذا قلنا ببنيوية اجتماعية فما هو (صوتيمها !!) ولا يسعف الجدل أحداً . لا على مستوى بلادنا ، ولا على مستوى اي بلد عربي أو أي بلد من بلدان العالم الثالث ، فانها مجتمعات لاتزال في طور التَشَكّل والنمو وتحتاج إلى زمن حتى تتضح قسماتها ، وتأخذ شكلها الواضح والمحدد في بنية العالم الحديث .

اذن كيف وَجَدَتَ البنيوية (بمفهومها الالسني) هذا المناخ لتصبح حديث الثقافة ؟

منذ ما يقرب من عشرين عاماً دخلت بلادنا السعودية مرحلة من التنمية ، نجم عن التنمية طفرة هائلة ، بقدر ما كانت ايجابيات الطفرة كانت متاعبها ، المتاعب دائماً تبحث عن حلول ، الحلول تحتاج إلى مناهج ، وليست هناك مناهج جاهزة يمكن (ابتياعها) وانما هناك رصيد معرفي انساني ، من هذا الرصيد منهج اسمه (البنيوية) ولو فتشنا فيما اتبع من أساليب ادارية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وتعليمية خلال العشرين سنة الماضية لاكتشفنا ملامح للاتجاهات

البنيوية كما هي ملامحها في الثقافة ـ الثقافة مرآة ـ .

من هذه الفروض نستطيع ان نتلمس الجواب على سؤال كهذا بصرف النظر عما إذا كان الغذامي قد هضم النظرية قبل ان يبسطها أم لا ، نجح عندما حاول أن يبسطها بعد انتزاعها من سياقاتها المرجعية أم لا ؟ انه حسم حتى يتجاوز درجة الافتراض يحتاج إلى ان يدعمه العلم من خلال بحوثه المتخصصة في اللغة والاجتماع والاقتصاد والطرائق المتبعة في كل ذلك ، وهو ما نأمل ان تسهم بقسطها الوافر فيه جامعاتنا السبع من خلال كلياتها المتخصصة وعلمائها النابهين ، ولنا في انضباط المنهج الاكاديمي وأعرافه الراسخة ما يوفر مناخاً هادئاً لانجاز مشروع مهم كهذا له القدرة لا على التشخيص فحسب ، وانما أيضاً على اقتراح الحلول المرحلية لمشاكلنا المرحلية .

لقد ظهر هذا المنهج (بمفهومه البنيوي) أول ما ظهر من خلال أبحاث (سوسير) اللغوية ، وهنا نؤكد على (مفهومه البنيوي) لانه مفهوم التماسك موجود منذ ان وجد أول نظام معرفي (ينظر فؤاد زكريا ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية الأولى ١٩٨٠م) فالبنيوية اذن كنسق صوتيمة (المدار المقفل) ـ في تزامنه ، وتعاقبه تنظر يمنى العيد ص ٣٢ في معرفة النص هو الشيء الذي ظهر بظهور كتاب العالم السويسري (فريدناند دي سوسير) عن « علم اللغة » منتصف العقد الثاني من هذا القرن ، ومع الشكلانيين الروس اقتحم ميدان الأدب في العشرينات غير انه (لم يبلغ ذروته من حيث هو اتجاه فكري وفلسفي إلا في السنوات الأخيرة من الستينات ـ الجذور الفلسفية للبنائية لزكريا) .

من هذه المقدمة نكون بازاء أمرين أولهما : الغذامي وكتابه ، وثانيهما : البنيوية .

وقد رأينا بالنسبة للأمر الأول طرفاً من شهادات من نعتبرهم من أهل الاختصاص ، واذا كان لنا ما نضيفه في هذا المجال فهو أن تلك الشهادات قد

ركزت على تقنيات البحث أكثر مما هي على الخيط الذي ظل واضحاً برغم ما لفه من الغموض ، نعني بذلك التوجه البنيوي للكتاب .

ونقطة ثانية هي هذه الموضوعة (موت المؤلف) التى لا أدري كيف فهمها السادة النقاد ومعهم الباحث نفسه ، ذلك ان هذه الموضوعة مما يتصل بمفهوم (الدرجة الصفر للكتابة) عند بارت . . ينظر الهامش ص ٣١ الدرجة الصفر ترجمة محمد برادة ط ٣ ، وليست مما يتصل بمفهوم (الخارج/ الداخل) الذي يتسنى علاجه في اطار مفاهيم (النسق/ التزامن/ التعاقب) البنيوية .

والآن لنتخيل ان الغذامي اعاد صياغة كتابه مستفيداً من كل الملاحظات الواردة والتي لم ترد عليه ، وأنه لم يبق مما قاله شحاتة أو خطه قَلَمُهُ أو علمه اصدقاؤه عنه أو احتفظ في سره . . . واستنطق كل هذا استنطاقا بنيويا ، على أساس ان ما نحن بصدده (نص انساني) وليس نصاً أدبياً ، هل بوسع منهج كهذا أو ممارسة نقدية بهذا المنهج ان تنقذه من الثنائية المطلقة ؟ التي يحيل بها هذا المنهج ــ ومن خطوط التوازي التي لا تتقاطع بين (الصورة والحقيقة) الصورة القابلة للتشويه والحقيقة القابلة للادراك ، سواء كانت هذه الثنائية هي (الخطيئة/ التكفير) بوصفها الرمز الدلالي للشحاتية ، أو أي ثنائية أخرى قد تظهر ، ولكن يبقى البحث أكبر شاهد عليها .

هذا عن الأمر الأول ، أما عن الأمر الثاني فنفهم من قراءاتنا ــ نحن الذين لا نحسن النطق بغير العربية ــ ان البنيوية أجلى صيغها منهج يعني بالظاهرة (موضوع البحث) نصاً كان ، أو فرداً ، أو مجتمعاً ، أو قضية فكرية ، أو كونية ، يقوم بعزلها عن مرجعيتها ـ عندما تكون هذه المرجعية هي الخارج بكل دلالاته ــ بحيث لا يبقى أي تأثير على ما يجري استنطاقه من داخل/ النص/ الظاهرة/ الموضوع . . في مسعى للبحث عن انساق كلية للعالم انطلاقاً من معطيات اللغة لا معطيات غيرها من اقتصادية ، اجتماعية ، بيئية ، ثقافية ورجال عظام .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

سلع مرة أخرى!

إلى الأستاذ حمد الجاسر :

قرأت ماتفضل به الأستاذ حمد الجاسر من تعليق فى جريدة « الشرق الأوسط » بتاريخ ١٦/٥/١٩٨٧ على ما كنت كتبته فيها في ١٩/٤/١٩٨٧ عن (سلع) وأين هي ، وكنت توخيت فيما كتبته ان ــ أبين قدر الامكان ــ ماهي سلع وأين هي . ولم يكن غرضي الأول أن أبحث هل هو ابن السليماني أو ابن البيلماني ، أو أن أذكر قائل الشعر الذي غنت به حَبابة مادام ان القصد في إيراد الشعر والحكاية هو الاشارة إلى ان سلعاً مبنية بالحجارة . ثم ان قول الأستاذ حمد الجاسر عن مهيار

ومنهج بهذه الصورة هو من الاغراء بحيث لا تتكشف نقائصه إلا مع التطبيق عندما يأتي نسفاً لما عليه الواقع الذي لا يقوم بغير الانسان ، وما ينسجه هذا الانسان من تاريخ .

ومجمل القول أنه لو قدر للبنيوية أن تصوغ فكر العالم ــ وهو الأمر غير الممكن ــ لأدخلته في سرادق مظلم .

بقي أن أنوه بميزة أحسب انها مما يعد من حسنات الكتاب وهي النزوع في أكثر من مناسبة لربط ما ينقله عن البنيويين بموروثنا النقدي عندما يلفت النظر لقول ورد عند الجرجاني ، أو عند حازم القرطاجني أو غيرهما ثم يقارنه ، أو يمهد به لما ورد عن (ياكبسون)أو عند بارت . . . (تنظر الفهارس) .

وأخيراً أقولها صادقاً وبتجرد لو لم يكن من هذا الكتاب إلا أنه فتح الباب مشرعاً بهذا العرض للحوار لاستحق عليه أكثر من جائزة ، ومن بعد فيبقى لما ينفع الناس أن يمكث في الأرض .

صالح بن عبدالرحمن الصالح

الديلمي وعمر بن الفارض انهما تغزلا بسلع من قبيل تقليد الاقدمين أو المتقدمين بما يحنون إليه من معاهد الاحباب ومواطنهم ، ولكن هل يقف الأمر عند حد التقليد والمحاكاة إذا لم تكن سلعاً مما يتغنى به ومما هو أهل للتغني به سواء من حيث الموضع نفسه أو من حيث الذكريات عن ذلك الموضع ؟

أما القول عن ابن السلياني (أو ابن البيلماني) بانه لا صلة بين اليمامة وبين البصرة بالنسبة إلى طريق الشاعر ، كما قال الأستاذ حمد الجاسر ، ففيه نظر ، لأن المتنقل من اليمامة كان يذهب إلى البصرة أو الكوفة فإذا اراد بلاد فارس قطع الفرات والدجلة وإذا أراد بلاد الحجاز لم يمر بالمدينة بل مر بسلع أولا ، وإذا أراد المدينة أو مكة كان يتحاشى المرور في الصحراء لأن الصحراء كانت مخوفة ، وأرى أن ابن السلياني مر وهو مأسور بسلع الشام . والدليل على ان الطريق من العراق إلى الحجاز كانت مخوفة ، ولاسيا بين البصرة ومكة ، ان المنصور العباسي ارسل شبيب بن شبة إلى البادية لما كثر قطع الطريق بين البصرة ومكة بسبب غزوات أهل البادية ، وأوصاه بأن يمر في مناهل المياه على الطريق ويؤنب أهلها ويوبخهم على أعمالهم ويردعهم عنها . ولم تكن أعمال أهل البادية في قطع الطريق هذه أمراً جديداً ، بل كانت متمادية من قديم الزمان ، ورأيي أن ابن السلياني سار الى المدينة عن طريق في الشام إلى الشمال من المدينة ، كما ذكرت في كلمتي الأولى .

والغريب أن الذين علقوا على أبيات الشعر التي ورد فيها اسم سلع لم يعلقوا بشيء يفهم منه أين سلع هذه وما هي ، واكتفى التبريزي في تعليقه على بيت ابن السلياني بالقول : سلع موضع وحكى ان السلع شق في الجبل ، ومنه قيل تسلعت رجله إذا تشققت . ولم يعلق عبدالعزيز الميمني على سلع بشيء عند ايراده اشعار الشنفرى في كتابه (الطرائف الأدبية). وقال محمود محمد شاكر في تعليقه على قصيدة للاحوص ورد اسم سلع فيها في «طبقات فحول الشعراء» ان سلعاً جبل بسوق المدينة . ولم يعلق عبدالعزيز الميمني بشيء على سلع في تعليقه على (الحماسة الصغرى). وهذا غريب ان يصدر عن رجال قطعوا العمر في قراءة الأدب واللغة والشعر . وهذا مع الأسف شأن الكثيرين .

وأقول انه مادمنا في تحقيق ما هو (أو ما هي) سلع وأين موضعه (أو موضعها) فالأجدر بنا ان نأتي بأقوال تساعدنا على هذا التحقيق لا ان تبعدنا عنه . ولهذا أعود إلى البحث الاصلي عن سلع ، واقول ان سلعاً موضع يقال له الآن وادي موسى في الأردن ، ويقولون عنه هناك (البتراء) جهلا بالاسم الحقيقي ومحاكاة للاسم (بيترا) الروماني . وقد ذكرت في كلمة سابقة لي اصل التسمية ومعناها ، وذكرت شيئا عن علاقة هذا الموضع تاريخياً . والآن اريد ان ابين ان (سلعاً) هو وادي موسى على الاغلب ، وذلك بالاستناد إلى الشعر العربي . اذكر اولاً ابياتا لِهَرِم الغَنَوي أو هي لطفيل الغنوي وردت في الحماسة الصغرى لابي تمام ، وهي قوله .

ألا ابلغْ أبَا حَفْصٍ رسولاً   فدًى لكَ من اخِي ثقةٍ إزاري:
فلاتِـصَنا هداكَ الله إنَّا   شُغلنا عنهمُ زمنَ الحصارِ
لمنْ قُلُصٌ تُركنَ معقَّلاتٍ   قفا سَلع بمختلفِ التِّجار

إلى آخره . ويهمنا من هذه الأبيات : قفا سَلْع بمختلف التجار ، ومختلف التجار هو الموضع الذي يختلف إليه ويتردد عليه اصحاب التجارة . ولا يعقل ان يكون هذا الموضع في غير وادي موسى لان سلعاً كانت معروفة منذ القديم بانها مجتمع القوافل التجارية من الشمال والشرق والجنوب ، وكانت القوافل تتخذها محطة لها .

وأبيات أخرى للاحوص الشاعر في مدح عبدالعزيز بن مروان اخي عبدالملك ابن مروان ، وكان الأحوص من المدينة مثل عمر بن أبي ربيعة .

أقول بعمَّانٍ ، وهل طربي به   إلى اهل سلعٍ ، ان تشوَّفتُ نافعُ
أصاحِ الَمْ تحزُنْك ريحٌ مريضةٌ   وبرق تلالا بالعقيقين لامعُ
فان الغريبَ الدار مما يشوقه   نسيمُ الرياح والبروقُ اللوامعُ

والذي يهمنا قول الاحوص إلى أهل سلع . وهذا القول يدل على قرب العهد بسلع وأهله . وعمان بعيدة عن سلع بعداً تجعل الاحوص يحن إليها وهو في

عمان . ولابد ان يكون الاحوص عارفا بسلع بني هذيل ان كان في بلادهم سلع . وقد يتبادر إلى الذهن انه كان يتكلم عن سلع وادي موسى ، كما كانت حَبَابة تتكلم عن سلع وادي موسى ايضا حينما غنت بشعر قيس بن ذَريح :

لعَمْرِكَ انّني لأحبُّ سلعاً لرؤيتها ومنْ اضحىٰ بسلْع . . وقال لها يزيد . . ان شئت ان انقل إليك سَلْعاً حجراً حجراً أمرت والاحتمال الأول أنه اراد قرية سلع حينما قال . . تقر بقربها عيني ، والاحتمال الثاني ، وذكره الاستاذ الجاسر ، انه أراد محبوبته لأن عينه تقرّ بالقرب منها ، ولعل هذا الاحتمال معقول وذلك لان يزيد لما قال لها : لانقلنه حجراً حجراً ، قالت . . وما اصنع به ، ليس اياه اردت ، انما اردت صاحبه . وحَبَابة من مولدات المدينة ، وسلع جبل قرب المدينة ، فهل كان قيس بن ذريح يعني هذا الجبل أو جبل بني هذيل أو سلعاً في وادي موسى؟ لقد فهم يزيد بن عبدالملك من الشعر انها تغني سلعاً في وادي موسى ، ولم تنكر هي عليه ذلك . وقيس بن ذريح كان رضيع الحسن بن علي رضي الله عنهما في المدينة .

ولم أجد حتى الآن خبراً موثوقاً به يدل على ان سلعاً جبل في بني هذيل ، فهل لاستاذنا حمد الجاسر أن ينورنا عن ذلك بواسع علمه ومعرفته ، ونحن بالانتظار .

لندن : حسن سعيد الكرمي

مع الأستاذ الكرمي مرة أخرى :

سلع طيبة : أشهر الأسلاع وأذكرها

وللأستاذ الكريم حسن سعيد الكرمي منزلة في نفسي تحملني على الاستمرار في محادثته ، محادثة استفادة واستزادة من علمه الغزير ، وإن كان الموضوع الذي سأتناوله بالحديث قد كثر القول فيه وطال ، حتى مُلّ ممن يهوى مطالعة المباحث الأدبية والتاريخية ، فضلا عن جمهرة قراء الصحف اليومية الذين قد يوجد من بينهم من يعتبر الحديث فيه من فُضُول القول ، إن لم يكن من لغوه .

علق الأستاذ الكرمي في جريدة «الشرق الأوسط» [ع ٣١٣٠ في ٢٨/١٠/١٤٠٧ ص ١٣] على مانشرته هذه الصحيفة مما كتبته في الموضوع، وملخص ماعلق به الأستاذ في كلمته الأخيرة :

١ ـ عدم قناعته بقولي : بأنه لا صلة بين اليمامة وبين البصرة بالنسبة إلى طريق الشاعر ابن البيلماني ، وتحدث عن طرق المتنقل من اليمامة إلى البصرة أو الكوفة أو بلاد الحجاز ، وخلص من ذالك إلى القول : بأنّ ابن السليماني (كذا قال وهذه هفوة من الأستاذ قلد فيها من قبله ، وقد أوضحت فيما تقدم من أحاديث أن الصواب : ابن البيلماني ، صُحِّفَ فصار ابن السلماني (انظر العرب س ٢٢ ص ٥٥٤) مَرَّ وهو مأسور بسلع الشام ـ كذا قال الأستاذ ـ

وتوضيح الأمر هو أن الشاعر ابنَ البيلماني كان قد هجا ابراهيمَ بن عَرَبيٍّ صاحب اليمامة ، وكان هذا الشاعر ذَا صلةٍ بالوليد بن عبدالملك ، يفد إليه بالشام ، وفي إحدى المرات حين عاد من هذه البلاد مَرَّ بالمدينة في طريقه إلى بلاده نجران ، ونفوذ ابراهيم بن عربي والي اليمامة كان ذا صلة بالمدينة لما بين واليي البلدين من صلات ، فأُلقِيَ القبض عليه فذكر سَلْعاً في شعره ، ولاشكَّ أن سلعا الوارد في شعر ابن البيلماني هو سلع المدينة الجبل الذي يقع في وسطها الآن ، لا سلعا الواقع ببلاد الشام ، ولا صلة بطريق الشاعر ببلاد اليمامة ، فقد قدم من اليمن مارا ببلاد الحجاز إلى الشام ثم عاد إلى بلاده .

٢ ـ استدلال الأستاذ الكرمي بالأبيات الواردة في «الحماسة الصغرى» والتي ورد فيها :

لِمَنْ قُلُصٌ تُرِكْنَ مُعَقَّلاَتٍ   قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التِّجَارِ

استدلالُه على أن سلعا هو وادي موسى على الأغلب ، استدلال في غير محله ، يوضحه إيراد القصة التي توضح معاني هذه الأبيات وهي كما رواها ابن سَعْدٍ في «الطبقات الكبرى» ـ ٣/٢٨٥ ـ وابن شَبَّةَ في كتابه «تاريخ المدينة المنورة»

ـ ٧٦١/٢ ـ وهذا نصه : (قدم على عمر رضي الله عنه رجلٌ من بعض الفروج فنثل كِنَانَتَهُ فإذا صحيفة فيها :

أَلاَ أَبْـلِغْ أبا حَـفْصٍ رَسُـولاً   فِدىً لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي
فَـمَا قُلُصٌ وُجِـدْنَ مُعَـقَّـلاَتٍ   قَفَـا سِلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التِّجَـارِ
قَلاَئِصُ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ   وَأَسْلَمَ أَوْ جُهَيْنَـةَ أَوْ غِفَـارِ
يُعَقِّـلُهُنَّ جَعْـدَةُ مِنْ سُلَيْمٍ   مُعِيـداً يَبْتَغِي سَقْطَ العِـذَارِ
قَـلاَئِـصُـنَـا هَـدَاكَ الله إِنَّـا   شُغِلْنَـا عَنْكُمُ زَمَنَ الْحِصَـارِ

قال : فقال ؛ أدعوا لي جعدةَ مِنْ سُليم ، فضربه مئة معقولا ، ونهاه أن يدخل على مُغَيَّبَةٍ .

ثم روى ؛ كان جعدة بن عبدالله السُّلمِيُّ يحدثُ النساء ويُخْرِجُ الجواريَ إلى سَلْعٍ يحدثهن ، ثم يعقل الجارية ويقول : قُومي فِي العقال فإنه لاَيَصْبِرُ على العقال إلا حصانٌ . انتهى .

فأول الخبر كما ترى (قدم على عمر) ومَقَرُّ عمر هو المدينة ، وسَلْعٌ الجبل الذي فيها بقرب السوق حيث يجتمع التجار ، وسعد بن بكر وأسلمُ وجهينة وغِفَار وسُليم كانوا من سكان المدينة .

٣ ـ أما سَلْع الوارد في شعر الأحوص واستدلال الأستاذ الكرمي بأنَّ المقصود بسلع في ذالك الشعر هو سلع الشام لقرب عهد الشاعر بسلع هذا معللا أن الأبيات في مدح عبدالعزيز بن مروان ـ الذي كان مقيما بالشام ـ ومضيفا إلى هذا قوله : وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان يتكلم عن سلع وادي موسى .

فيتضح خطأُ هذا حينَ ندرك أنَّ الشاعر الأحوص قال تلك الأبيات وهو في عُمَّانَ يتشوق إلى سلع :

أقـولُ بِعَمَّانٍ وَهَـلْ طَـرَبِيْ بِـهِ   إلَى أَهْلِ سَلْعٍ إنْ تَشَوَّقْتُ نَافِعُ؟

إلى أن قال :

فَإِنَّ الْغَرِيْبَ الدَّارِ مِمَّا يَشُوقُهُ نَسِيْمُ الرِّيَاحِ والْبُرُوقُ اللَّوامِعُ

إنه شاعر من أهل المدينة يتشوق إلى بلاده . ومن أشهر اعلامها جبل سلع ، وكيف يتشوق إلى سلع الشام وهو في عَمّان القريبة من سلع ، وما الذي يربطه بسلع الشام حتى يتشوق إليه وهو مدني ؟!

٤ ــ قول الأستاذ الكرمي : أنَّ يزيد بن عبدالملك فهم من غناء حبابة :

لَعَمْـرُكَ إِنَّنِي لأُحِبُّ سَلْعًا لِـرُؤْيَتِهَـا وَمَنْ أَضْحَى بِسَلْعِ

أنها تعني سلعا في وادي موسى كذا يرى الأستاذ ، وهو رأي يمكن قبوله فيما لو كان يزيد بن عبدالملك ذَا جَهْلٍ بسلع المدينة ، البلد الذي عاشَتْ فيه جاريته المدنية حَبَّابَةُ التي غنت بذالك الشعر ، وذا جهل بقائله قيسٍ بن ذَرِيح المدني ، وذا جهل بمحبوبة قيس التي هي من أهل المدينة ، ولكن أنى لأي عارف بأحوال الخليفة الأموي أن يتصوره بتلك الحالة من الجهل المطبق ؟!!

وخلاصة القول: أن سلعا المذكور في كلمة استاذنا الكرمي الأخيرة هو سلع المدينة ، وكل الشواهد التي أورد تدل على ذالك .

وكما سبق أن اوضحت في كلمة قبل هذه أن الأسلاع كثيرةٌ ، ولكن أشهرها وأذكرها هو سلع طيبة الطيبة ، التي كانت مطمح القلوب ، ومهوى الأفئدة من شعراء عرفوها وآخرون تشوقوا إليها ، فقلدوا بذكر المرابع والمراتع التي بقربها .

اما سلع الواقع في بلاد هُذيل ، فقد أوضحت في كلمتي الأولى التي علقت بها أول ماعلقت ــ على ماكتب ــ موقعه وأوردت الشواهد من الشعر ، ومن سياق خبر مقتل تَأَبَّطَ شَرًّا ، وأنه بقرب وادي ثُمَارٍ المعروف الآن ، الواقع جنوب مكة ، حيث ينبغي أن يكون سلع الذي قتل تأبط شرا بشعب بقربه في تلك الجهة .

ابن البيلماني مرة أخرى :

ولا أدري هل من حقي أن أتساءل : لماذا يُصِرُّ أستاذنا على تسمية الشاعر النجراني ـ بـ (ابن السليماني) بعد أن أوضح لنا عالم من بلاد الأستاذ الكرمي خطأ تلك التسمية ، قبل ثمانية قرون ، وقرر أن الصواب (ابن البيلماني) كما تقدم توضيح هذه الكلمة التي ابتليت بالتصحيف في كثير من المؤلفات من أقوال متقدمي العلماء ؟! وقد اوردت فيما سبق الاختلاف في موقع (البيلمان) بين اليمن والهند والسند ، والذي أرى أن الرجل منسوب إلى بيلمان ، وهي بلدة تقع غرب بحر الخزر في الديلم ، بقرب خط الطول ٤٨/٥٥° وخط ٣٧/٤٠° ، كما يفهم مما ورد في كتاب « بلاد الخلافة الشرقية » ص ٢٠٨ و٢٢١ في تحديد موقع (بيلمان) ، وأن أحد آباء الرجل قدم من تلك البلاد البعيدة إلى بلاد العرب فعرف بالنسبة إلى بلدته التي كانت مجهولة لدى من كتب عنه .

ما أكثر ما سمعنا من أستاذنا الكرمي فيما يفيضه من علمه الغزير في برنامجه (قول على قول) تصحيحاً لكثير مما وقع في بعض المؤلفات من أوهام ، إذ الحق أحق بأن يتبع ، وان الرجوع إليه فضيلة ؟!

ومعذرة فقد تأخر هذا التعليق لأنني لم أقرأ كلمة الأستاذ إلا في هذا اليوم (١٤٠٧/١٢/٢) وله مني أطيب تحية . .

جريدة « الشرق الأوسط » في ١٤٠٧/١٢/٢١هـ

حمد الجاسر

كسوتني حلة تبلى ...

نشرت مجلة « الفيصل » [ع ١٦ في شوال سنة ١٣٩٨هـ] بحثا بعنوان (شاعر من السعودية محمد بن عثيمين) بقلم الأستاذ عبدالله بن سعد بن رويشد ، أورد فيه (ص ١١٣) قطعة من الشعر في خمسة أبيات مطلعها :

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ونسبها كاتب البحث للشاعر محمد بن عثيمين ، لأنه وجدها ضمن خطاب بعثه الشاعر للإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود ، مؤرخ في ٤ رجب سنة ١٣٤٦ .

ثم جاء مؤلف كتاب « محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز »السيد أحمد أبو الفضل ، فنسب الأبيات للشاعر المذكور ـ ص ١٧ ـ وعند إعادة طبع « العقد الثمين ، من شعر محمد بن عثيمين » المرة الثالثة ـ على نفقة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله السليمان سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ أدخلت القطعة في الديوان ـ ص ٥١٠ ـ تأكيداً لنسبتها لصاحبه .

والواقع أن البيت المذكور ـ وقد تكون تلك القطعة ـ لم يُقَلْ في مدح الإمام عبدالرحمن ، لكنه قيل قبل عصر الاثنين بنحو ثلاثة عشر قرنا ، في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ـ قالها أحد الأعراب كما أوضح ذالك ابن رشيق القيرواني (٣٩٠/٤٦٣هـ) في كتابه « العمدة في صناعة الشعر ونقده » وهاهو نص ماذكر ـ ج ١/ص ٢٩ طبعة دار الجيل في بيروت سنة ١٩٧٢م : ويروى أن اعرابيا وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك ، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك ، فقال له علي : خط حاجتك في الأرض ، فإني أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابي على الأرض (اني فقير) . فقال علي : ياقنبر ادفع إليه حلتي الفلانية ، فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كَسَوْتَنِي حُلَّةً تَبْلَى مَحَاسِنُهَا   فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَا حُلَلَا
إِنَّ الثَّنَاءَ لَيُحْيِي ذِكْرَ صَاحِبِهِ   كَالْغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ والْجَبَلَا
لَا تَزْهَدِ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأْتَ بِهِ   فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَا

فقال علي : ياقنبر ، أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » .

فأنت ترى أن ابن رشيق المتوفي قبل وجود ابن عثيمين بنحو تسعة قرون قد أورد أول ذالك الشعر . ويظهر أن الشاعر ابن عثيمين اتى به في مقام الاستشهاد ، إذ لايعجزه أن يأتي بنظم يماثله .

أحد قراء المجلة

حــول كتــاب :

تاريخ المخلاف السليماني

أتيحت لي الفرصة في الاطلاع على كتاب « تاريخ المخلاف السليماني » للمؤرخ والكاتب الكبير الشيخ محمد بن أحمد العقيلي ـ هذا الكتاب الذي يعتبر بدون مجاملة موسوعة تاريخ الجنوب ، ولإعجابي الشديد بهذا الكتاب كنت أُدَقِّق في كل كلمة فيه ، ووجدتُ ما أعتقد أنه من الهفوات التي ليس لها تأثيرٌ او تقليلٌ بمعلوماته ، إنما أعرضها رغبةً في استدراكها خاصة وأن هذا المؤلف مرجعٌ ومصدر هام للباحثين .

١ ـ ورد ص ٣٧٤ : أن اسم الشريف أحمد بن غالب هو أحمد بن غالب البركاتي . .

بينما كتب ومشجرات أنساب الأشراف تشير إلى أنه أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن الحسن بن محمد أبي نُمَيٍّ الثاني . فهو إذَنْ ليس من ذوي بركات الذين نسبتهم تعود في بركات بن محمد أبي نُمَيٍّ الثاني ومحمد بن أبي نُمَيٍّ الثاني انحصر في لقبه حكام مكة من الأشراف إلى عهد موحد الجزيرة العربية المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود .

٢ ـ وفي نفس الصفحة : ورد أن الذي تولى حكم مكة بعد خروج الشريف أحمد ابن غالب هو محمد بن الحسين بن زيد . .

بينما يشير نَسَّابَة الأشراف الشريف مساعد بن منصور صاحب كتاب « جداول أمراء مكة وحكامها » أن الذي تولى حكم مكة هو محسن بن الحسين بن زيد .

٣ ــ وفي ص ٣٨٧ : أن الشريف خيرات بن شُبير من ذوي زيد . .

ويبدو أن هذا القول وقع فيه المؤلف سهواً حيث أن الشريف خيرات ليس من ذوي زيد فنسبه هو خيرات بن شبير بن بشير بن محمد أبي نُمَيٍّ الثاني . وآل زيد يعودون في الشريف زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن محمد أبي نمي الثاني .

٤ ــ أشار المؤلف ص ٥٣٧ : إلى أن نسب محمد بن عون يعود إلى ذوي زيد . .

وهو في الحقيقة ينتمي إلى الأشراف العبادلة وليس إلى ذوي زيد فنسبه الكامل محمد بن عبدالمعين بن عون بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن محمد أبي نمي الثاني وذوو زيد ذكرت نسبهم سابقاً .

٥ ــ أشار المؤلف ص ٦٢٠ : أن اسم الجد الأول لمؤسس دولة الأدارسة في تهامة هو السيد أحمد بن إدريس المغربي دون ان ينسبه إلى أسرته وهم الأشراف الأدارسة .

ثم أورد أنه وُلد ببلدة العرائش من أعمال القيروان وأنه أخذ عن الشيخ عبدالوهاب التّازي .

وهذه المعلومات لا تكون واضحة للقاريء وتحتاج إلى تحقيق فالسيد أحمد ابن إدريس هو السيد أحمد بن إدريس الإدريسي نسبة إلى جده الأول إدريس الأول ابن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وجده إدريس هو الذي هرب إلى المغرب من وجه العباسيين بعد موقعة فَخّ عام ١٦٩هـ وقد علمت من أستاذي وجَدِّي الخال الشريف مساعد بن منصور مؤلف « جداول أمراء مكة وحكامها » بان فَخًّا بقرب حيِّ الزاهر بمكة المكرمة .

واستطاع السيد إدريس أن يؤسس أول دولة للاشراف العلويين بشمال

أفريقية ودفن بمنطقة زرهون ، بالمغرب الأقصى بالقرب من مدينة فاس التي أسسها ابنه إدريس بن إدريس وبقيت قاعدة للأشراف الادارسة .

والسيد أحمد بن إدريس ولد ببلدة العرائش بشمال المغرب الأقصى وتلقى علومه في قاعدة أجداده فاس على يدي السيد عبدالعزيز الدباغ الإدريسي ، والشيخ عبدالوهاب التازي ، ثم رحل إلى الحجاز ، وممن تتلمذ على يد السيد أحمد : السيد محمد علي السنوسي الإدريسي جد ملوك ليبيا السابقين فنسبة الإدريسي لا تعود إلى اسم أبيه بل إلى اسم جده الأول إدريس بن عبدالله ، فصياغة ترجمته التي صاغها الأستاذ العقيلي تعطي الانطباع بأنه مجرد شخص مجهول ، يدعى السيد أحمد بن إدريس قدم من البلاد التونسية مغمور النسب ، وإلاّ لذكر نسب قبيلته وكان لنسب قبيلته العلوية الهاشمية الأثر الكبير في ترسية دعائم دولة الادارسة بتهامة وقبول حكمهم فيها ، فهو السيد أحمد بن إدريس الإدريسي نسباً ، المغربي وطناً .

واني لأرجو أن تسع رحابة صدركم لنشر هذه الملاحظات عن هذه الموسوعة التاريخية العظيمة التي تمكن الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي حفظه الله من إنجازها وحده .

جدة : وجدي بن عبدالله الإدريسي

آل الخريصي من الخرصة من شمَّر

لُوحِظَ أنكم تجاهلتم في الكتاب الذي أصدرتموه عن الأسر المتحضرة في نجد (آل الخريصي) المنتشرين في الزلفي وبريدة وحائل وبعض مدن الشمال . مع أنّهم يرجعون إلى العودة من الدعاجنة من البريك من الخُرصَة من شمَّر .

وهذا شيء معروف وثابت وتؤكده الأحداث القديمة والحديثة ، ولكن يبدو أنكم أخذتم بما يشاع عنهم بأنّهم (خضيريّة) وحسبنا الله ونعم الوكيل . .

ثم أضاف الأخ الكاتب : جَدُّ (حمولة آل الخريصي) اسمه حسين بن سمران بن جابر العود ، جاء إلى الزلفي إثْرَ شتات الخرصة بسبب معارك الجِلْوة التي وقعت في عام ١٢٠٥هـ ثم تفرق أبناؤه وأحفاده بين منفوحة ، وبُريدة ، وحائل ، بالإضافة إلى الزلفي ، ومنهم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي المعروف ، وبندر بن عبدالرحمن الخريصي المعروف .

العرب : هذا ماكتب به الأخ هشال بن عبدالعزيز الخريصي ـ في مدينة الرياض ـ ويظهر أنه لم يكن على علم تامٍّ بما يتَّصِفُ به مؤلف كتاب « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجدٍ » من حرص شديد على أن يسجِّل جميع ما يطلع عليه من المعلومات الصحيحة حين اتجَهَ لتأليف ذالك الكتاب ، وأنه حرص على أن يحوي كُلَّ ماعُنِي به المهتمُّون بهذا الجانب من تاريخ أمتنا وبلادنا في جميع المؤلفات والمشجرات والوثائق التي اطلع عليها مما يتعلق بالنسب .

وكان عَتْبُ الأخ الكاتب في مَحَلِّه لَوْ وَجَّهَ إلى مؤلف كتاب « جمهرة أنساب الأسر » مايدل على تجاهُلِه أوْ إهماله لذكر نسب أسرة مذكورة في مؤلف أو مشجَّر معروف . إذْ الأسَرُ المذكورة في ذالك الكتاب ماكان موقف المؤلف حيالها إلاَّ تسجيل مايتعلق بها من تلك المصادر المعروفة ، فكيف والأمر كما ذكر ـ يجوز للأخ الكاتب أن يصف المؤلف بالتجاهُل ؟

ثم بعد ذالك (يُوصَمُ) بأنه أَخَذَ بما يشاع عن أصل تلك الأسرة الكريمة ؟

وما الذي يدعوه للأخذ بالإشاعات وترك الحقائق وموقفه في كل ما يكتبه عن الأنساب محاولة نفي كل ما يلصق بأية قبيلة من نسبة سيئة ، وإيراد ما يصحح انتساب تلك القبيلة إلى أصل ثابت ؟

وبعد : فما على الأخ الكريم أي أخ كان ومن أية أسرة كانتْ إلا أن يوضح بطريقة لاتقبل الشك ولا التردُّدَ نسب أسرته الكريمة وفروعها . . ثم يوجه بعد ذالك ما يريد توجيهه من عتاب أو اتهام .

أسماء مواضع محرفة
في منطقة القطيف

اطلع الأخ الكريم الأستاذ محمد سعيد المُسْلم على مانشر في «العرب» ص٤٠ س٢٢ بعنوان (الدمام والقطيف) وكانت المجلة قد استوضحت من الأستاذ مايراه في الأسماء المحرفة الواردة في ذالك المقال ، فأفضل — مشكوراً — بكتابة هذا التعليق —

المقال — كما يعرف أستاذنا الفاضل — مترجم من لغة أجنبية ، ومنقول من جريدة «الليفانت هرلد» وطبيعي أن يحدث فيه التحريف ، لاسيما إذا عرفنا أن المترجم بدوره يجهل هذه الأماكن وأسماءها ، فمن ثم حرفت تَنُّورة إلى (تموره) وصفوى إلى (سافويا) وسيهات إلى (صيحات) ودمام إلى (داماان) وعنك إلى (اينك) وهي الأسماء التي اهتديتم إلى تصحيحها بحكم معرفتكم بالمنطقة . وهذا بالضبط ماحدث لمترجم كتاب «دليل الخليج» لمؤلفه ج .ج . لوريمر في تحريف أسماء المدن والقرى والأماكن .

وهناك أسماء محرفة تحريفاً شنيعاً ، يستدل عليها من مجرى الأحداث التاريخية ، كمدينة المبرز التي حُرِّفتْ إلى (البورز) وصفحاف التي هي مدينة الهفوف وأوانه (العواميه) وقاده (القديح) وتهاريه (تاروت) . وهذه الكلمات وإن ابتعدت عن لفظها الأصلي إلا أن قرب العهد بها وهو أواخر القرن التاسع عشر الميلادي حيث استقرت أسماء المدن وفق صيغها الحالية كل ذالك يؤكد أن تلك الأسماء قد حرفت في ذلك المقال ، إذ لا وجود لهذه الألفاظ في ذلك العهد ، كما يشهد لوريمر مؤلف « دليل الخليج » .

أما عين (الرافين) فاعتقد أنها العين المعروفة بعين (جاوان) وهي أقرب عين لمنطقة رأس تنورة .

هذا ماعنّ لي من ملاحظات فيما يتصل بالموضوع .

* أخبار مكة للفاكهي :

منذ أمدٍ قريب صدر الجزء الأول من كتاب « أخبار مكة » للإمام محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي المكي ، من علماء القرن الثالث الهجري ، بتحقيق الأستاذ الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دُهَيش ـ « العرب » س ٢٢ ص ٢٨٧ ـ .

وهاهو الشيخ عبدالملك ـ وفقه الله وزاده قوة ونشاطا ـ يواصل عمله النافع ، فيصدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في طبعة جيدة ، ورقاً وحروفاً وحسن تنسيق ، فقد جاء هذا الجزء في ٣٩٦ صفحة وصدر عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) عن مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، وفي آخر الكتاب فهرس لموضوعاته العامة ، إذِ المحقق الكريمُ سيضع فهارس مفصلة للكتاب جميعه عند إكمال نشره ـ كما أشار إلى ذالك في مقدمة الجزء الأول ـ .

ويعد كتاب الفاكهي من أقدم الكتب المؤلفة في تاريخ مكة ، والمؤلف معاصر للأزرقي صاحب كتاب « أخبار مكة » ، ولهذا يعتبر كتاب الفاكهي من أهم المصادر وأوثقها في موضوعه .

* جمهرة النسب لابن الكلبي :

سبق أن تحدثت « العرب » عن هذا الكتاب مراراً ومن آخرها مايتعلق بنشره من قبل الأستاذ محمود فردوس العظم في ثلاثة مجلدات ـ «العرب » س ٢٠ ص ٤٢٩ ـ وقبلها قامت به وزارة الاعلام في الكويت بنشر جزء منه بتحقيق الأستاذ عبدالستار أحمد فراج ـ « العرب » س ١٩ ص ١٣١ ـ .

وهاهي طبعة ثالثة للكتاب عن أصل واحد ، هو مخطوطة المتحف البريطاني ، وهذه الطبعة الجديدة حققها الدكتور ناجي حسن ، وصدرت عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) في مُجلد واحد ، أُلْحَقت به فهارس شاملة ، فجاء في ٧٣٦ صفحة

مطبوعا في بيروت طباعة حسنة ، وقد رجع المحقق إلى كتاب « المقتضب » لياقوت الذي ذكر أنه حققه وأنه نشر حديثاً .

وحَبَّذا لو أنَّ المحقق الفاضل رجع إلى كتاب أهم من كتاب ياقوت وهو « المختصر » الموجود أصله في مكتبة راغب باشا في (استنبول)، والذي اتضح لي أنه من تأليف المبارك بن يحيى بن المبارك الغساني الملقب مُخْلِص الدين المتوفي سنة ٦٥٨ ـ « العرب » س ٢١ ص ٢٨٩ ومابعدها ـ فهذا المختصر أوفى بكثير من كتاب « المقتضب » ونسخته أوثق وأصح ضبطا ، وفي هوامشها إضافات قيمة من المختصر تزيد الكتاب فائدة .

ومع كل ماتقدم فلعل أوثق مطبوعة وصلت إلى يد القارىء الآن هي مطبوعة الأستاذ العظم الذي حاول فيها أن يتخلص من أخطاء الطباعة فنسخها بيده وبذل جهداً مشكوراً في عمله ، ورجع إلى المختصر المشار إليه .

* الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب الإمام أحمد :

ويُعْنَى الأستاذ المحقق الدكتور عبدالرحمن بن سليمان بن عثيمين ـ فيما يُعْنَى به من جوانب البحث ـ بجمع كتب الطبقات ودراستها وتحقيق مايراه جديراً بالتحقيق منها ، وخاصة مايتعلق بتراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وكان من أثر اهتمامه بهذه الناحية تحقيق كتاب « الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب الإمام أحمد » ليوسف بن الحسن بن عبدالهادي (٨٤٠/٩٠٩هـ) ، وكتاب « المقصد الأرشد في تراجم أصحاب الإمام أحمد » لإبراهيم بن محمد بن مفلح (٨١٥/٨٨٤هـ) إلى كتب أخرى يعنى بها الأستاذ الدكتور ـ زاده الله قوة ونشاطاً ليتحف بها طلاب العلم ورواد المعرفة ، فهو من المنقبين في خزائن الكتب في أرجاء العالم العارفين بنفائسها ، وقد جمع من ذالك ذخيرة طيبة .

وقد صدر كتاب « الجوهر المنضد » لابن عبدالهادي بتحقيق الدكتور بمقدمة ضافية عمن ألف في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، مع ترجمة مفصلة للمؤلف تقع هذه المقدمة في ٨٩ صفحة ثم الكتاب محققا مفهرسا فهارس وافية ، جاء كل

ذالك في ٢٥٠ صفحة بالمقدمة ، والطباعة حسنة جيدة ورقا وحروفا ، والناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة وتاريخ النشر ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .

* نظم الفرائد وحصر الشرائد :

وصدر بتحقيق الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين كتاب « نظم الفرائد وحصر الشرائد » للمهلب بن حسن بن بركات المهلبي المتوفي سنة ٥٨٣ ، وهي منظومة مشروحة في الأشباه والنظائر النحوية مُصَدرة بمقدمة للمحقق الكريم أوضح فيها اتجاهه للعناية بهذا الكتاب ، الذي عثر على مصورة منه عن مكتبة الاسكوريال ، فدرسها ونسخها وقابلها بأصلها ، وعلق عليها ، ثم اطلع على مخطوطتين أخريين استعان بهما في التصحيح ، فكان أنْ نشر الكتاب نشراً علميا ، وصدر عن مكتبة الخانجي في القاهرة ومكتبة التراث في مكة المكرمة سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م) مطبوعا في القاهرة بمطبعة المدني ، طباعة جيدة ورقا وحروفا في ٣١٢ صفحة .

* فصيح العامي في شمال نجد :

كثيراً ما كنت أتَمَنّى أن يُعْنَى الدارسون والباحثون من أبناء بلادنا بما هو أوثق ارتباطاً بها ، وأعمق أصالة بماضيها فذالك أجدى نفعاً من بذل الجهود العظيمة في دراسات هي أبعد ماتكون عن هذه البلاد مما يقف الجهد فيها على ما يناله الدارس من تقدير علمي أو مادي خاص ، وما هكذا غاية العلم والعلماء الذين يدركون أنه لا فائدة في الوجود في هذا الكون ما لم يكن الموجود فيه ذا نَفْعٍ مستمر .

ولقد سعدت حين تلقيت كتاباً يحمل عنوان « فصيح العامي في شمال نجد » في جزءين بلغت صفحاتها ١١١٤ من تأليف الأستاذ عبدالرحمن بن زيد السويداء ، تناول في هذا الكتاب دراسة كثير من الكلمات التي يستعملها العامة في شمال المملكة وهي من الفِصَاح ، وقد رتب هذا المؤلف على حروف المعجم حسب نطق الكلمة ، وحاول إرجاع كل كلمة إلى أصلها العربي الفصيح ، فَوُفِّق في كثير منها ، لأنني لم أقرأ بعد الكتاب ، ولكنني أُعْجِبت باتجاه مؤلفه ، وهو اتجاه حميدٌ ، ولاشك انه سيجد من المعنيين بالشؤون الثقافية وبالدراسات اللغوية تقديراً واهتماماً . وفقه الله وزاده قوة ونشاطا .

٢٦٣-٢٦٤

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
منشئها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٩٩١٥
ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١١ ، ١٢ س ٢٢ الجمادیان ١٤٠٨هـ ـ كانون ثاني/شباط (يناير/فبراير) ١٩٨٨م

مـن ذكـريات الرحـلات :

بـين ميـونخ وفينـا

ـ ١ ـ

في ميـونخ :

يزداد تَشَبُّثُ المرءِ بالحياة بازديادِ سِني عمره ، إذْ يضعفُ في نفسه عدمُ الاكتراث من مجابهة المجهول ، ويقوى تعلقه بما اعتاد ، وأَلِفَ من وسائل البقاء .

وحين كنت أقضي الصيفَ في جزيرة (ميورقة) قبل بِضْعِ سنوات [١٤٠٣/١٢/٢٣هـ ـ ١٩٨٣/٩/١٣م] وفي الساعة السابعة من مساء يوم ١٩٨٣/٩/١٢ ـ وأنا مُتَّجِهٌ من مقهى في وسط المدينة إلى الفندق الذي أحِلّ فيه ، ويقع فوق تلٍّ على شاطىء البحر ـ أحْسَسْتُ كأن يداً قويةً تضغط على صدرِي بحيثُ توتَّرَتْ أعصابُ أصابع يدي . فتوقفتُ عن المشيِ نحو ثلاث دقائق فبدأ يزول الألمُ تدريجاً ، ثم حدث لي مرة أخرى مثلِ ذالك في الساعة التاسعة من ذالك المساء ، وأنا متمدِّدٌ فوق السرير ، وأحسستُ بضغط في أعلى البطن ، ومَغْصٍ يسير في الأمعاء ، وفي صباح اليوم الثاني ـ وبتوجيه من أم محمد بالهاتف من الرياض لابنتيها وكانتا معي ـ كان تأجيلُ السفر لاستشارة أحد أطباء القلب ، فتمَّ ذالك بمساعدة الأخ عبدالله العثمان ، وهو من خير مَنْ عرفته في جزيرة (ميورقة) من إخواننا من أهل شقراء ، وفي مستشفى المدينة ، ولدى أشهرِ أطبائها في أمراض القلب ، وبعد تخطيطه وفحصه بدقَّةٍ ، قرَّر أن ماحدث لي كان نوبة قلبية ، ولكنها ليست شديدة ، ولا تستدعي التأخر عن السفر بالطائرة ، ولكن يلزمُ عند وصول الرياض إجراءُ فَحْصٍ شاملٍ من قبل طبيب

مختص ، كما ينبغي استعمالُ حبوب كتبها لي خمسة أيام في الأسبوع .

كان التردُّدُ على (مستشفى الملك فيصل التخصصي) وإجراء أنواع من الفحوص الطبية ، بإشراف الدكتور جلال زيادي ، رئيس قسم أمراض القلب في المستشفى ، ثم كان أن قرر (بتاريخ ٢٠ محرم ١٤٠٤ ــ ٢٦ أكتوبر ١٩٨٣م) حدوثُ مرضٍ في القلب نشأ عنه ضعفُ عمله ، وتأثُّر شريانَيْنِ من شرايينه ، ووصفَ لي العلاج الذي داومتُ على استعماله من ذالك التاريخ ، مِمَّا يوسع الشرايين ، وينشط حركة القلب .

وفي إحدى زياراتي لِمِصْرَ وُصِفَ لي الدكتور عبدالعزيز الشريف ، باعتباره من أشهر أطباءِ القلب ، فزرته [في مساء ١٩٨٤/٢/٢٩م] فَأَيَّدَ ماقرره الدكتور جلال زيادي ، وأمر بالاستمرار في تناول ما وصفَ من أدوية .

غير أنِّي بتأثير ما أُحِسُّ به من آلامٍ في الرقبة والكتفين ، وفي أسفل المتن الأيمن ، مع مايقابله من الصدر بمحاذاة الثُّدْيِ كنت أَتوَهَّمُ أنَّ ماحدث لي من آلام في صدري ، وما أُحِسُّ به في بعض الأوقات من وَخَزاتٍ خفيفةٍ فيه ، قد يكون منشأُ ذالك مرضاً لا صلة له بالقلب ، ولهذا سارَعْتُ عندما ذُكِر لي طبيبٌ مشهور في مستشفى جامعة ميونخ في المانيا ــ بالذهاب إليه . غير أنه بعد إجراء الفحوص المعتادة قرر [بتاريخ ١٩٨٤/٨/٩م] وفق ماقرره الدكتور الزيادي ، وأوصى بالاستمرار في استعمال ماوصفه من دواء .

كنت ــ فيما مضى ــ أَتَشَبَّثُ بِالأَمَلِ بِأَنَّ القلب سليم ، أما الآن فقد داخلني الوهم بعد إيضاح الدكتور الألماني أنَّ الحاجة تدعو لتغيير اثنين من شرايينه ــ فَتَوَهمت بأن الأمر يستدعي اهتماما مِنِّي فوق ما أَتَصَوَّرُ ، وأنَّ من عادة الأطباء ــ في الغالب ــ محاولة تقوية روح التفاؤل في نفوس مرضاهم ، ولو أدَّى ذالك إلى عدم مكاشفتهم بحقيقة أمراضهم ، وإذَنْ فلابُدَّ من البحثِ عن طبيب يمنحني من الثقة ما أَطْمَئِنُّ به ، وعَلى أية حال كان ذالك المرض .

وصديق العمر الشيخ عبدالله الخيَّال ــ الذي عرفته وصادقته منذ أكثر من ستين

عاما ـ من عام ١٣٤٦هـ ـ يشكو من قلبه مثل ما أشكو ، ولكثرة تردده على الأطباء أصبح ذا معرفة بكثير منهم في أشهر مستشفيات العالم ، وقد ارتاح بمراجعة أحدهم في مستشفى في مدينة (ميونخ) يقال عنه : إنه يمتاز على غيره بمقدرة أطبائه ، وحسن معاملته ، فليكن الذهاب إلى تلك المدينة ، بعد تحديد موعد زيارة ذالك المستشفى .

وعلى متن إحدى طائرات الخطوط النمساوية ، وفي الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق من صباح يوم الاثنين [غرة رمضان ١٤٠٧هـ ـ ٢٧/٤/١٩٨٧م] كان الأقلاعُ من (مطار الملك خالد في الرياض) وفي الساعة الثالثة كان الهبوط في مطار (لَارْنكَا) في قبرص ، وكان الطيران مريحا ، والمعاملة حسنة ، إلا أنَّ البقاء في الطائرة ساعة وربع الساعة كان مُمِلًا ، وكان المفروض أنه لايزيد على ٤٥ دقيقة ، فتجاوز الساعة والربع .

لم نبلغ مطار (فينا) إلا الساعة السادسة والنصف ، ولم يزد المكثُ فيه على نصف ساعة ، بحيث كان الوصول إلى(ميونخ) بعد خمس وأربعين دقيقة .

وكان النزول في فندق (شِيرَتُون) وأُجْرَةُ الغرفة ـ بعد المماكسة ـ ٢٣٠ (ماركا) أي مايقارب مئة وخمسين دُوْلاراً ، فقيمة الدولار منخفضة هذه الأيام (الدولار = ١,٧ من المارك) وكان الجو معتدلاً ، لا قَرٌّ ولا حَرٌّ ، والغرفةُ في الدور العشرين تُطِلُّ على المدينة فتبدو معالمها ، بل تَبْدُو المدينة كُلهَا كَغَابَةٍ تزدان بانتشار الحدائق التي تكثر فيها الأشجار الباسقة ، تَتَخَلَّلُهَا الميادين الفسيحة ، فتبدو شوارع المدينة الطويلة المتعرجة في المساء رائعة الحسن ، بما ينتشر فيها من المصابيح الكهربائية القوية الإضاءة واللمعان .

كنت عرفتُ بأن في (مكتبة الدولة في ميونخ) مخطوطات عربية ، من بينها نسخة ناقصة من كتاب « الجوهرتين » للهمداني ـ وصفتها في مقدمة الكتاب الذي نشرته هذا العام ، اعتمادا على مصورة كان المركز الألماني للدراسات الشرقية في بيروت ساعدني في الحصول عليها ، وهي تقع أثناء مجموع رغبتِ الاطلاع عليه

كاملا ، فكان الذهابُ إلى تلك المكتبة في صباح يوم الثلاثاء [أول رمضان ١٤٠٧هـ ــ ٢٨/٤/١٩٨٧م] .

كان استقبالُ السيدةِ التي تشرف على قسم المخطوطات كريماً ، وتدعى (رِنّر RENNER) فقد سارعتْ إلى البحث عن المخطوط الذي أردتُ مطالعته ، فأحضرته ، وأخبرتني بتغير رقمه القديم ، ثم كتبت لي بطاقة ــ حين علمت برغبتي بالتردد إلى المكتبة ــ تهيء لي ذالك عاما كاملاً ، وقدمت لي فهرسا ألفه (منش وجوزيف هومر) مطبوعا سنة ١٨٦٦ يحوي أغلب مافي تلك المكتبة من مخطوطات عربية ، وقد أُضيفَ إليها مخطوطات اخرى أُفْرِدتْ في فهرس غير مطبوع .

وبَدَا لي من عنايتها واهتمامها بي وبغيري من زُوّارِ هذا القسم ما أزال اكتئابًا في نفسي ، لعلّه نشأ عن الإحساس بالغربة في هذه المدينة ، ظَلّ ينتابني ساعة وطئت أرضها ، وأنني سَأَهْرَعُ إلى هذا المكان الهادئْ ، لأجد فيه الراحة والاطمئنان والاستفادة ، وذكرتُ من جرّاء كلام استقبال هذه السيدة الفاضِلة ماحدث لي في مناسبة مماثلة ، مع إنسان عرفني حقَّ المعرفة ، ولكنّ موقفه معي كان على النقيض ، لجهله بغاية ما أُسْنِدَ إليه من عمل .

كان المجموع ذو الرقم ١٢٦١ يحوي ثلاثة كتب أولها كتاب « سيرة عمر بن عبدالعزيز » رواية مالك رحمة الله عليهما ــ على ماكتب فى طرته ، وفي الصفحة الثانية بعد البسملة (•• وبه نستعين : قال أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالحكيم (كذا) حدثني أبي عبدالله بن الحكم ، قال حدثني مالك بن أنس) الخ ، وهو الكتاب الذي نشره الأستاذ أحمد عُبيد الدمشقي ــ صاحب المكتبة العربية ــ سنة ١٣٤٥ بعنوان « سيرة عمر بن عبدالعزيز » على ماروواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، تأليف أبي محمد عبدالله بن عبدالحكم المتوفي سنة ٢١٤ ، رواية ابنه أبي عبدالله محمد المتوفي سنة ٢٦٨ ــ رحمة الله عليهم أجمعين ، ثم أعاد نشره سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) في القاهرة .

وهذه المخطوطة لم يطلع عليها الأستاذ أحمد عُبيد ، ومع اعتماده على مخطوطات بينها مخطوطتان أجود منها وأقدم زمناً إلا أنّ من الممكن الاستفادة منها في تصحيح

كلمات لم يتضح للناشر الكريم وجه الصواب فيها .

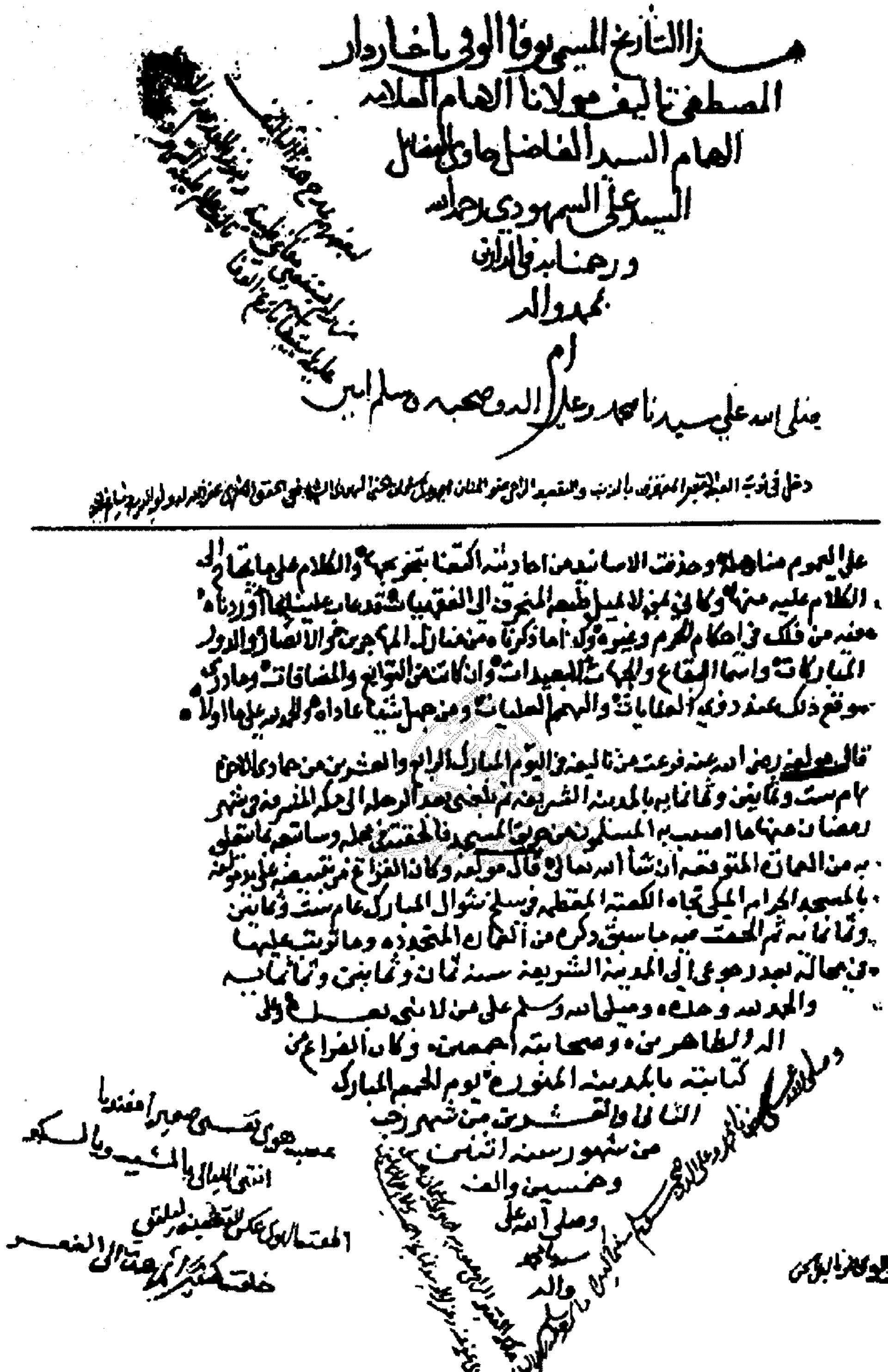
والكتاب الثاني : كتاب « الجوهرتين » .

والثالث : كتاب في الطب ، يظهر أنه نُقُولٌ من عدة كتب ، لم يُسَمَّ ، ولم يذكر جامعه ، وهو يمني كما يدل على ذالك نوع كتابته ، وفي الصفحة الأولى من المجموع مايفيد أن عيسى بن لطف الله بن المطهر طالعه في ٥ رجب سنة ١٠٣٧ – وعيسى هذا مؤرخ يمنيٌ مشهور ، كان ضالعا مع الأتراك حين استيلائهم على اليمن ، وألَّفَ لأحد وُلَاتِهم كتابٌ « روح الروح ، فيما جرى بعد المئة التاسعة من الفتن والفتوح » ابتداء بذكر حوادث سنة إحدى وتسع مئة ، وانتهى فيه إلى ذكر بعض حوادث السنة التاسعة والعشرين بعد الألف – على مافي النشرة اليمنية من سلسلة (مشروع الكتاب) التي تصدرها وزارة الإعلام في (الجمهورية العربية اليمنية) وعيسى من أحفاد الأمام شرف الدين ، وقد ترجمه الشوكاني في كتابه « البدر الطالع » ١ /٥١٦ – وذكر أنه توفي سنة ثمان وأربعين بعد الألف ، وأنه كان شاعرا ، وأورد نماذج من شعره .

لم يكن الفهرسُ وافياً من حيث وَصْف مايحويه من أسماء الكتب ، ولكنني رأيت من بينها ما رَغَّبني في زيارة المكتبة مرة أخرى ، بعد أن نقلت أسماء ما أردت الاطلاع عليه .

وفي صباح يوم الاربعاء [١٤٠٧/٩/٢هـ – ١٩٨٧/٤/٢٩م] كانت الزيارة الثانية للمكتبة العامة – التي قيل لنا : إنها تحوي من الكتب نحو ثلاثة ملايين ، وفي القاعة المخصصة لمطالعة المخطوطات – بأية لغة كانت – مايزيد على الخمسين من شيوخ وشباب ، من الجنسين ، أما المخطوطات العربية الموصوفة في الفهرس فعددها ٩٣٧ – ولكن المكتبة تضم أكثر من ألفي مخطوط عربي على ماقيل لي – لم تفهرس كلها .

قَدَّمْتُ للسيدة المشرفة على ذالك القسم أسماء خمسة كتب ، فأخبرت الأستاذ عبدالله – باللغة الانجليزية – بأنَّ إحضارها من المخزن يستدعي الانتظار وقتاً قد يبلغ الساعة ، وقدمت لنا ثلاثة كتب مطبوعة تحوي نماذج مصورة من المخطوطات الشرقية من عربية وفارسية وعبرية وغيرها ، في مكتبات متفرقة في العالم – لكي



الصفحة الأولى والأخيرة من كتاب « وفاء الوفاء »

نطالع فيها حتى نُوثّق بالكتب التي طلبنا .

والكتبُ الخمسة التي رغبتُ الاطِّلاعَ عليها هي :

١ ـ خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى : للسمهودي :

هو الكتاب المعروف في تاريخ المدينة ، وقد طبع مراراً ، ورقم هذه المخطوطة (٣٨٢) وورقها (٢٠٥) وتاريخ كتابتها ٦ ربيع الثاني سنة ٩٧٦هـ (ست وسبعين وتسع مئة) وكاتبها يدعى عبدالرحيم بن أحمد الشيرازي بن علي بن ابراهيم بن يوسف العجمي الشافعي ، وليس فيها مايضيف جديدا على المطبوعة ، على ماظهر لي مما تصفحت من أوراقها .

٢ ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى : للسمهودي أيضا :

والكتاب كما هو معروف طبع مرتين ، وهذه النسخة تقع في (٢٣٥) وتاريخ نسخها ٢٢ رجب سنة ١٠٥٢هـ وليس فيها اسم الناسخ ، ولكنها منسوخة في المدينة المنورة ، وممن ملكها أحمد بن سليمان الحسني السمهودي الشافعي ، ورقمها (٣٨١) ، وميزتها على المطبوعة تمييزُ أسماءِ المواضع التي زادها المؤلف السمهودي على من قبله بكتابة حرف (ز) بعد ذكر الاسم مباشرة ، وفي مخطوطة مكتبة الحرم المكي مثل هذا ولكنها أتقن وأقدم من مخطوطة مكتبة ميونخ .

٣ ـ التبيين ، في أنساب الصحابة القرشيين :

والكتاب طبع حديثا طبعة تحدثت عنها في مجلة « العرب » س ١٨ ص ٥٥٣/٤٣١ وس ١٩ ص ٧٨١/٦٩١/٥٢١/٣٨٨/١٨٨/١٠٧ ، وهذه النسخة حسنةُ الكتابة ، وتاريخ نسخها ١٣ صفر سنة ٨٦٩ وكاتبها يدعى عيسى بن عبدالله بن عيسى ، ورقمها (٥٥٣) وقدْ عَبِثَ في كتابة عنوانها عابثٌ لعله أرادَ ترويجها ، فصار (كتاب غاية الكمال ، في سائر الأمثال ، وأنساب العرب الجاهلية ، والتبين في أنساب الصحابة القرشيين ، شيخ الإسلام موفق الدين اسماعيل (؟) أبو محمد عبدالله أحمد بن قدامة المصري (؟) قدس الله روحه) وكان حرف الباء من كلمة (كتاب) ممدوداً فاتسع لاضافة الاسم الملحق ، وألحق قبل الاسم الصحيح حرف (و) ـ انظر الصورة ص ٧٢٨ ـ .

معجم ويقال قتل الجمل وروى عنه زيد بن اسلم وابنه سعد بن نفادة بن يزيد بن حذيفة
والنجار وزر بن يزيد الاسديان ثبتا على اسلامهما حين ما كان من امر طليحة ما كان ذكر
ابن اسحق اميمه بنت قيس بن عبد الله الاسدي كانت مع ام حبيبه بارض الحبشه
زر بن حبيش بن حباشه بن اوس بن هلال ابو هلال الاسدي يكنى ابا مريم وقيل ابا مطرف
ادرك الجاهلية ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم وهو من جلة التابعين وكبار اصحاب عبد الله بن
مسعود وادرك ابا بكر وروى عن عمر وكان عالما بالقران قارئا فاضلا روى عن عاصم
قال ـــــ كان زر بن حبيش اكبر من ابي وائل فكانا اذا اجلسا جميعا لم يحدث ابو
وائل مع زر بن حبيش وقال اسماعيل بن ابي خالد رايت زر بن حبيش في المسجد
تختلج لحياه من الكبر ويقول انا ابن مايه وعشرين سنة قال اسماعيل وعاش زر مايه
وعشرين سنة وتوفي سنة ثلث وثمانين سنة بدير الجماجم وقيل مات سنة احدى
وثمانين ابو وائل شقيق بن سلمة الذي يروي عن ابن مسعود كان من اهل البلد ميتا
ر[illegible] بن جعد استعمله عمر على الشعود وكان عابدا زاهدا له اخبار حسنه قبيصه
بن جابر الاسدي له صحبه وهو القايل حين بايع طلحه عليا اول يد بايعت هذا الرجل
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يد شلا والله ما ارى ان يعد هذا الامر قسمه
ابو جابر بن وهب بن مالك بن عمير بن جعدا روى عن عمر رضي الله عنهما وسمع من
ابن معاوية بن سفيان بن منقذ بن عمير بن ابي اسامة ابن نصر كان شيخا ابو سمال
البرا بن سمعان وربيع بن وهيب بن سامي كانا من روسا بني اسد يوم القادسيه
اسليهم الاحنف بن قيس من اهل الشام سماك بن ... بن حنين بن ثعلب بن الهالك صاحب
مسجد سماك بالكوفة خال سماك بن حرب وبه سمي وكان سماك بن حرب ذهليا
نعيم بن دحاحة الاسدي البرا بن ناجية الكاهلي روى عن عبد الله بن الزبير الاسدي
الشاعر بفتح الزاي ابو حصين الاسدي عثمان بن عاصم بن حصين ومن مواليهم يحيى بن وثاب
مولى لبني كاهل كان يومهم وكان قاريا فلما قدم الحجاج قال لا يومكم الا عربي اللسان فوثبوا بابن
وثاب وقالوا نعزله عن الامامه فبلغ الحجاج فقال ويحكم انما قلت عربي اللسان فابى ابن وثاب
ان يصلي بهم سليمان بن مهران الاعمش مولى لبني كاهل ولد ايام قتل الحسين وشهد ابوه عين الورده
مع سليمان بن صرد فقتل ابو بكر واكثر لتلعاب النقهات ابو دلامة وابو عطا السندي

الشاعران

والحمد لله ... وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم ...

وكان الفراغ من نسخه ...

٨٦٩

الصفحة الاخيرة من كتاب "التبيين"

٤ ــ مجموع أشعار ، برقم (٥٧٧) :

لا عنوان لهذا الكتاب ، ولا رابطة بين ما يحويه من قصائد لشعراء قدماء ومحدثين ، ومن بينهم من المتأخرين من الجزيرة من ورد ذكرهم في مؤلفات القرن الثاني عشر الهجري ، وتاريخ نسخه (ختام عاشورا المحرم سنة ١٢٢٨) والكاتب عبدالله بن ناصر بن دبيان ، ولم أر فيه ماهو جدير بالذكر أو النقل .

٥ ــ أما الكتاب الخامس فقد أخطأت في كتابة رقمه وهو (٧٩١) فكتبته حين طلبته (799) فكان أن أُحْضِرَ فإذا هو جزء في تعليم حروف الهجاء ، ما يُعْرف باسم (قاعدة بغدادية) والمطلوب كان في الفهرس بعنوان (رسالة أحمد بن الواثق إلى المبرد) وسيأتي الحديث عنها .

وفي الفهرس وصف لنسخة من كتاب « مجمع الأمثال » للميداني ، رقمها (٦٤٣) مخطوطة سنة ٦١٥م لم أطلع عليها ، إذ الابن الكريم الدكتور أحمد بن محمد الضُّبّيب وهو الحَفِيُّ بهذا الكتاب ، المعني بالبحث عن مخطوطاته القديمة لن تخفى عليه هذه النسخة .

زيارة الأستاذ الدكتور (پاول كونيتش PAUL KUNITZSCH):

بعد العودة من المكتبة ــ في المساء ــ قُدِّمَ لي كتابٌ جاء فيه : لقد علمت ، عند مروري في قاعة مطالعة المخطوطات ، صباح هذا اليوم ، بوجود سيادتكم داخل المكتبة وكم وددت ان اقابلكم . . . إلا أنني امتنعت عن إزعاجكم خلال عملكم ، ولجأتُ إلى تدوين هذه السطور لأقدم لكم نفسي ، وأعرض عليكم كلَّ مافي وسعي من مساعدة وتسهيل خلال اقامتكم في ميونخ . اسمي پاول كونيتش ، أستاذ الدراسات العربية في جامعة ميونيخ ، ولي تجارب سعيدة موفقة في التعارف على المملكة ــ وأشار إلى مشاركته في (الندوة العالمية الثانية لدراسات الجزيرة) عام ١٣٩٩/١٩٧٩م ، وأضاف : ومازلت أحافظ خير الذكريات لهذه الزيارات . ولو كان لديكم فراغ ، والرغبة في الحديث أو اي طلب ــ يمكنني ان

Prof. Dr. P. Kunitzsch
Davidstr. 17
8000 München 81

ص يوم الثلاثاء ٢٨/٤/٨٧

الشيخ حمد الجاسر المكرم ،

لقد علمت ، عند مروري في قاعة مطالعة المخطوطات ، صباح هذا اليوم ، بوجود سيادتكم داخل المكتبة وكم وددت ان اقابلكم واعرض عليكم كل مساعدة من طرفي لتسهيل اعمالكم الجارية هنا في مونيخ ، الا اني من الناحية الاخرى ، امتنعت من ازعاجكم خلال عملكم ، ولجأت الى تدوين هذه السطور لأقدم لكم نفسي واعرض عليكم كل ما في وسعي من مساعدة وتسهيل خلال اقامتكم في مونيخ . اسمي باول كونيتش ، استاذ الدراسات العربية في جامعة مونيخ ، ولي تجارب حسنة موفقة في التعاون مع المملكة (كما تدون من هذه الورقة نفسها !) وما زلت احافظ خير الذكريات لهذه الزيارات . ولو كان لديكم فراغ والرغبة في الحديث او - فوق الكل - اي طلب يمكنني ان اساعدكم على تحقيقه ، فارجو الاتصال بالهاتف على رقم 916280 في مونيخ (يعني في بيتي) ، مع العلم انه عندي فراغ في كل من الاربعاء والخميس والجمعة صباحا ، واما بعد الظهر او مساءً حسب الظروف .

واتشرف بان اتمنى لكم اقامة ناجحة سعيدة في مونيخ ومواصلة سفركم في كل امان وتمام الصحة وعودة سليمة الى الوطن الحبيب

مع فائق الاحترام والتقدير ،

Paul Kunitzsch

أنموذج لخط الدكتور بـــاول كونيتـــش

اساعدكم على تحقيقه ، فأرجو الاتصال بالهاتف على رقم ٩١٦٢٨٠ في ميونيخ — في بيتي — مع العلم أنه عندي فراغ في كل من الأربعاء والخميس والجمعة صباحا ، وأما بعد الظهر أومساء فحسب الظروف ، وأتشرف بأن أتمنى لكم اقامة ناجحة سعيدة في ميونيخ ، ومواصلة سفركم في كل أمان ، وتمام الصحة ، وعودة سليمة إلى الوطن الحبيب ، مع فائق الاحترام والتقدير — انظر الصورة في الصفحة المقابلة — .

لم يسبق لي أن اجتمعت بالدكتور كونيتش ، ومع شهرته في البلاد العربية ، واختصاصه في عصرنا على ماعرفتُ — بمعرفة علم الفلك عند العرب - بعد المستشرق الايطالي (كارلو نلينو ١٢٨٨/١٣٥٧هـ) لا اعرف عنه أكثر من أنه هو الذي أَعَدَّ فهرسَ كتب ذالك العلم المصورة في (معهد المخطوطات) في القاهرة ، وأنه شارك في ندوة (دراسات تاريخ الجزيرة) التي عقدت في جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ (نيسان سنة ١٩٧٩م) ببحث عنوانه : (ملاحظات عن احتمال علاقات مابين الجزيرة العربية القديمة والحضارات المجاورة ، مما هو موجود في بعض الأسماء القديمة للنجوم) نُشِر باللغة الانجليزية في الكتاب الثاني لـ « دراسات تاريخ الجزيرة العربية » ص 201 - 206 . وكانت مبادرة كريمة من الأستاذ ، فأنا بحاجة إلى معرفة أمثاله من العلماء ، وأتّوقُ إلى الاجتماع بهم ، ولَدَيَّ فسحة من الوقت قبل الذهاب لميعاد الطبيب المقرر صباح يوم الخميس .

كان الاتصال ، وتحديد وقت الاجتماع في بيت الأستاذ الساعة التاسعة غداً (الاربعاء ١٤٠٧/٩/٢ — ١٩٨٧/٤/٢٩م) والبيت لا يبعدُ عن الفندق سوى كيلين اثنين ، وخارج المنزل عند وصولي أنا والأستاذ الخيال وجدنا الأستاذ في استقبالنا ، ولقد كان على غاية من اللطف والبشاشة ، واستعمال عبارات الترحيب الرقيقة ، بلهجة عربية فصيحة ، وهو في الثامنة والستين من عمره (ولد سنة ١٩٢٠م) على ما أخبرني ،

كان يعيش وحدَهُ في بيتٍ حسنِ الترتيب ، منه غرفة أُعِدّت مكتبة ، تحوي طائفة من الكتب العربية وغيرها ، ويظهر أنّ الأستاذ يهوي العزف ففي المدخل آلته الموسيقية (البيان) ومع أن كثيراً من الكتب العربية التي تحويها مكتبته تشتمل

على علوم منوعة إلا أن اختصاصه (علم الفلك)كما يتضح مما أكرمني بتقديمه لي من أبحاثه ، ومن بينها مؤلف باللغة الالمانية نشر سنة ١٩٨٦م بعنوان Peter Apian und Azophi :

Arabisch Sternbilder in Ingolstadt im Frühen I6.Jahrundert

عن تأثر عالم فلكي الماني يدعى (بتر أپيان PETER APIAN) بعالم فلكي عربي هو الصوفي ، كما نشر في مجلة « الورود » اللبنانية في تشرين الثاني سنة ١٩٨١م (س ٣٤ ج ١١ ، ١٢) بحثا بعنوان : (مساهمة العرب في التسمية والاصطلاح الفلكيين) وألقى في الندوة التاريخية التي عقدت منذ بضع سنوات في (المنامة) بحثا عن (جزيرة البحرين) اعتمادا على وصف الربّان النجدي أحمد بن ماجد لهذه الجزيرة في كتابه .

ونشرتْ مجلة « معهد الدراسات الإسلامية » في مدريد عام ١٩٧١م في مجلدها السادس عشر له بحثاً بعنوان (آثار التراث العربي في اللغة الألمانية) .

ولعلماء الألمان ــ بصفة عامة ــ من الاهتمام بالدراسات العربية(١) مايفوق اهتمام غيرهم من العلماء الغربيين ، وخاصة في نشر كثير من المصادر العلمية القديمة محققة ، كتاريخ الطبري و « معجم البلدان » و « تواريخ مكة » و « معجم ما استعجم » وغيرها .

ولقد تكرر الاجتماع بالأستاذ كونيتش ، فكان له فضل تعريفي بعالم الماني ذي عناية بالأدب العربي القديم ، وبالشعر منه خاصة هو الأستاذ (راينهارت ڤايپرت REINHARD WEIPERT ومع أن هذا الأستاذ عمل في (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية) في بيروت أثناء إقامتي في هذه البلاد ، ومع صلتي بهذا المعهد فلم يكن من بين من عرفته أثناء ترددي عليه .

كانت أطروحة الأستاذ (راينهارت) لنيل جائزة درجة (الدكتوراة) عن الشاعر النُّمَيْريّ وعنوانها : (STUDIEN ZUM DIWAN DES RA i) وشعر الراعي النميري جمعه الدكتور ناصر الحاني ، وصدر في مطبوعات (مجمع اللغة العربية

بدمشق) سنة ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) ثم نشر في بغداد بتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي والأستاذ هلال ناجي في مطبوعات (المجمع العلمي العراقي) سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)[٢] .

وللأستاذ اعتناءٌ قوي بدراسة آثار المقلين من متقدمي الشعراء ، فقد نشر في مجلة « الأبحاث » التي كانت تصدر عن (الجامعة الأمريكية) في بيروت [س ٢٨ عام ١٩٨٠م] بحثا عن (أُنيف بن حكيم النبهاني) حين كان أستاذنا الدكتور إحسان عباس يرأس تحريرها جاء فيها : (حققت الدراساتُ والأبحاثُ حول الشعر الجاهلي والإسلامي المبكر تَقَدُّماً على مستويات شتى في عقود السنين الأخيرة ، ويعود ذالك إلى حد كبير إلى اكتشاف مخطوطات لمجموعات شعر قديمة اهمها وأوسعها كتاب « منتهى الطلب » لمحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، انتهى ابن ميمون من تصنيف مجموعته عام ٥٨٩هـ (١١٩٣م) ، لكن مخطوطتها للأسف لم تصل إلينا كاملة ، ولكنها رغم ذالك كانت المستند الرئيس لباحثين كثيرين في مجال ضم شتات (شعر) بعض الشعراء في دواوين كبيرة ، تحتوي على حوالي الألف بيت ، وأخرى متوسطة الحجم يبلغ ماتحتويه قرابة الخمس مئة بيت ، أما الشعراء (الـمُقِلُّون) ممن لم يصلنا من أشعارهم غير قصيدة أو قصيدتين ، وليس لهم ذكر في المصادر فإنهم لم يلقوا اهتماما كافيا باستثناء محاولة ظهرت في مجلة « المورد » العراقية . والحقُّ أنَّ هاؤلاء (المقلين) هم اللذين ينبغي توجيه النظر إليهم الآن ، إذ أنَّ المعروفين والمكثرين من الشعراء ظهرتْ دواوينهم ومجموعاتهم وتراجمهم كما ظهرت دراسات عن أكثرهم . لقد أكثر العلماء من الاستشهاد بهاؤلاء المقلين في اللغة والنحو ، لكن الغموض يحيط بكثير من هذه الشواهد لاختلاف روايات الأبيات وتضاربها أحيانا .

وَإذًا كان الاهتمامُ بهاؤلاء الشعراء (الصغار) سائغا بل ضروري ، فإن الانشغال بهم ليس بالأمر السهل . والمثل الأقربُ على ما نعنيه هنا تلك الصعوبة البالغة التي واجهتنا في التعرف على الشاعر المقل الذي اخترناه هنا واستخرجنا شعره من « منتهى الطلب » إنه أُنيف النبهاني .

وبدايات القضية فيما يتصل به محاولة تحديد الحقبة التي عاش فيها ، فمع أن القليل الذي وصلنا من شعره لايدع مجالا للشك في أنه شاعر إسلامي ، غير أن الفترة التي عاش فيها تبقى صعبة التعيين .

وقد اقترح فؤاد سزكين اعتباره من شعراء صدر الإسلام، وهو أمر ممكن لكن ليس هناك من شعره أو أنباءِ المصادر عنه مايجعل هذه الفرضية مرجحةً . ومايقال عن عصره يمكن أن يقال عن نسبه القريب ، بيد أن قبيلته معروفة بالنسبة لنا ، فقد كان الشاعر ينتمي إلى بني نبهان بن عمرو ، وهم بطن من بطون قبيلة طَيِّءٍ ، وفي « حماسة » أبي تمام و « منتهى الطلب » أن أباه اسمه حكيم ، لكن رواية متأخرة لابن جِني تجعل اسم الأب (زبان) بينما يبقى اسم جده الأدنى مجهولا ، وكذا بقية سلسلة النسب التي تصله ببطنه القبلي .

إن هذه المعلومات الضئيلة عنه هي كل ما يمكن استمداده من المصادر حتى الآن . وكما لم يكن هناك اهتمام بشخصه من جانب رجال التراجم ، وكذالك لم يكن هناك اهتمام بشعره من جانب اللغويين ، ولذا فإن ما وصلنا منه قليل جداً . إن المثل الوحيد على شعره تلك القصيدة الفريدة التي وصلتنا منه) انتهى .

ثم أورد القصيدة المشار إليها في مجلة « العرب » ـ س ١٩ ص ٨٢١ و س ٢٠ ص ٤١٩ ـ موضحا ما وقع من الاختلاف في بعض ابياتها وما اضيف إليها مما ليس منها . ولقد أشارت مجلة « العرب » س ١٩ ص٨٢٧ إلى أن تحديد زمن الوقعة الوارد ذكرها في قصيدة أنيف ومنها :

أَلاَ هَلْ أَتَى أَهلَ المدينة عرضُنَا   خِصَالاً مِنَ الـمَعْرُوفِ يُعْرَفُ حَالُهَا

وإلى التعريف بأمية الوارد اسمه في القصيدة وانه ابن عبدالله بن عمرو بن عثمان الذي قتل يوم قُدَيْدٍ سنة ثلاثين ومئة (١٣٠) وأن يوم المنتهب وهو يوم الوقعة ، حدث قبل ذالك في عهد إمارة عبدالواحد بن سليمان للمدينة الذي تولى الإمارة سنة ١٢٩ وهرب بعد وقعة قُدَيد ، وعلى هذا فالوقعة حدثت سنة ١٢٩ ، وقائل القصيدة شاعر إسلامي لاشك في هذا وإن اختلفت الرواية في اسمه هل هو انيف أم معدان ؟

وللأستاذ (رينهارد) بحث آخر عن (مُعَقِّرٍ البارقي) باللغة الألمانية في مجلة ألمانية سنة ١٩٨٠م ، وله ملاحظات على كتاب « تاريخ التراث العربي » للدكتور فؤاد سزكين في طبعته الالمانية نشر بعضها في مجلة « تاريخ العلوم العربية والإسلامية » التي تصدر عن (معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية) في جامعة (فرانكفورت) سنة ١٤٠٦هـ (١٩٨٥م) ص ٢٣٥ إلى ٢٧٦ — باللغة الألمانية — حول المؤلفات المتعلقة بمتقدمي الشعراء .

وقد رأيته — حين أكرمني أنا والأستاذ عبدالله — بدعوته إلى بيته يُعْنَى بتحقيق كتاب « قلائد الجمان » المخطوط الذي سيأتي الحديث عنه .

ورأيت مكتبته حافلة بالمؤلفات العربية ، بَلْ هِيَ جُلُّ مافيها ، وكان جُمَّاعَةً للكتب اللغوية والأدبية ، بحيث يندر أن تخلو مكتبته من أي مؤلف مطبوع في اللغة أو الأدب القديم ، مما هو معروف ، وهو يجيد اللغة العربية ، ويتحدث اللهجة اللبنانية بطلاقة ، وزوجه سيدة لبنانية فاضلة متعلمة ، وهي على جانب كبير من اللطف والأدب درسا وخلقا ، وتساعد زوجها في دراساته ، ولهما ابنة في الخامسة من عمرها .

معرض الحضارة والفن اليمني :

ولأبي فهد الشيخ عبدالله الخيال صديق ألماني من وجهاء مدينة ميونخ ، وقد أخبره بأنه في مساء هذا اليوم [الأربعاء ١٤٠٧/٩/٢ — ١٩٨٧/٤/٢٩م] سيفتتح (معرض الحضارة والفن اليمني على مدى ثلاثة آلاف سنة) الذي أقامته الحكومة الألمانية ، وشاركت فيه اليمن بتقديم كثير من معروضاته ، وحضر افتتاحه نائبُ رئيس وزراء اليمن ووزير الخارجية فيه السيد عبدالكريم الارياني ، ووزير الزراعة الأستاذ حسين العمري ، وقد حبذ الصديق الخيال زيارة المعرض في هذا المساء ، ثاني يوم من افتتاحه ، وتوقعتُ أن أرى الأستاذ حسين العمري الذي عرفته حين كان يعمل في سفارة بلاده في دمشق ، ويعنى بتحقيق كتاب في « تاريخ صنعاء » ، إلا أنني لم أر هناك من أعرفه ، ولم أستفد من هذه الزيارة سوى مرافقة الصديق الكريم ، وتعريفي بمستشرق نمساوي مشهور ، ذي عناية

بالدراسات الأثرية في جنوب الجزيرة ، وقد عمل في جامعة الرياض ــ مع الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري ــ فترة من الزمن ، ولكن لم يسبق لي الاجتماع به ، وهو الأستاذ (دوستال) . وعلى ذكر هذا الأستاذ فقد علمت حين مررت بمدينة (فينا) أنه لايزال ذا صلة بالدكتور الأنصاري ، كما علمتُ أن أحدَ مرافقيه في رحلاته إلى نجران للدراسة ، أعدَّ بإشرافه رسالة لنيل درجة (الماجستير) إلا أن هذا التلميذ حين طبع الرسالة تجاهل موقف الأستاذ (دوستال) من توجيهه في تلك الدراسة ــ على ماسمعت من الدكتور حسن محمد الشماع .

والأستاذ دوستال WALTER DOSTAL ممن شارك في (ندوة تاريخ الجزيرة العربية) التي نظمتها كلية الآداب في جامعة الرياض في جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ (نيسان سنة ١٩٧٧م) ببحث عنوانه : (نحو بناءِ هيكل للتطور الحضاري في الجزيرة العربية) نشر في الكتاب الثاني من « دراسات تاريخ الجزيرة العربية » ص 185 - 191 باللغة الانجليزية .

كان الجَوُّ دَاخِلَ المعرض يبعث في النفس الانقباضَ ، وكان الصعود إلى مكان الاجتماع حيث تلقى الأحاديث متعباً ، والتحدث باللغة الألمانية التي نجهلها ، ومع ذالك فقد استدعى الأمرُ تَكَلُّفَ الإنصات على مَضَضٍ ، خلال فترة من الزمن تجاوزت ساعة . كدتُ أن لا استطيع القيام من الكرسي ، فقد أُصِيبتْ رجلي اليمنى بِعُقَّالٍ شَدَّ ركبتها ، وخَدَّرَ قدمها ، فنزلت بمعونة أبي فهد وصاحبه ، وحَرَمْتُ الأستاذَ من مشاهدة مافي المتحف من معروضات يمنية ، نُقِلَتْ وأُحْضِرَتْ من اليمن ومن بعض المتاحف الألمانية لعرضها في هذه المناسبة .

ومع أنني كنت حريصا على زيارة المعرض في مساء اليوم الثاني حين سمعت من سيدة يَبْدُو من سُحْنَتِهَا ومظهرها وملامحها أنها من أبناء اليمن الأقحاح ــ سمعتها تَعِدُ بإلقاء محاضرة عن (اليهود في اليمن) ولكنني خشيت أن تكون بلغة لا أفهمها ، واستبعدتُ أن يتحدث أحد باللغة العربية في مكان لم أرفيه عربيا سوى ثلاثة أُدْخِلُوا عند بَدْءِ إلقاء المحاضرة الأولى من مدير المتحف ، وأُجْلِسُوا أمام الحاضرين في جانب من صدر المكان . تبدو أجسامهم لا تختلف عن بعض

المنحوتات الصخرية المعروضة في جوانب المكان ، إلا أن اختلاف أزيائهم أبرزَهُمَ أبعد مايكونون عن التناسق في مظاهرهم وحداثة بعض ما يَلْبَسُون ، ولَمْ أُدرِك الغاية مِنْ حَشْرِ هاؤلاء الإخوة المساكين ، ليَزداد بهم عدد التماثيل المنحوتة من الصخر ، أو المصنوعة من الطين ، مع عدم التناسق بين هذه واولئك ، وعدم مراعاة ماينبغي لاؤلئك الإخوة من الارتفاع بهم عن مستوى الجمادات .

في المكتبة العامة أيضا :

وكانت الزيارة الثانية للمكتبة ، فكان مما اطلعت عليه :

١ ــ مجموع رقمه (٨٨٥) ــ فيا يحوي ــ بعض رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن محتوياته :

١ ــ قصيدة بعنوان (مرثية لبعضهم) :

لـو كان ينفعني عليـك بكـائي   لجَـرَتْ سـوابقُ عـبرتي بـدمـاءِ

في نحو اربعين بيتا ، ويظهر أنها في رثاء الشيخ أحمد بن تيمية ، كما يفهم من بعض أبياتها ، وتقع في ثلاث صفحات .

٢ ــ فتوى للشيخ في السفر لمجرد قبور الأنبياء (من ق ٢ ب إلى ٢٣ أ) مخطوطة في ٢١ جمادى الأخرة سنة ٧٣١ بدمشق .

٣ ــ نقول منوعة من كلام الغزالي وغيره ليست من كلام الشيخ ، ولا توافق مشربه من حيث الاعتقاد (من ق ٢٣ ب إلى ٤٠) .

٤ ــ مسألة العُلوّ ــ للشيخ ابن تيمية (٥١/٤١) .

٥ ــ رسالة للشيخ في السفر إلى غير المساجد الثلاثة (٦٨/٥٢) آخرها : فكان يرد عليهم فاولئك سلموا عليه ــ ثم بياض في آخر الصفحة مما يدل على أن الرسالة ناقصة .

٦ ــ رسالة للشيخ أولها بعد الخطبة : فصل فيا جعل الله للحكام ان يحكموا فيه ، وما لم يجعل لواحدمن المخلوقين الحكم فيه (٦٩ / ٨٩) مخطوطة بدمشق في

سلخ شعبان سنة ٧٣٥ .

٧ ــ بعد البسملة والحمد له : صورة الفتاوي المرسلة من بغداد إلى دمشق في أواخرسنة ست وعشرين وسبع مئة ، لما حُبِس شيخ الإسلام ، الإمام العالم ، تقي الدين ، أبو العباس أحمد بن تيمية ، بسبب فُتيا أُنكِرَتْ عليه (٩٠/١٠١) ، وفي الصفحة الأخيرة : فتوى لتقي الدين . . عن امرأة ذهبت في يوم العيد إلى قبر بنتها . . والرجال الفسقة دائرون بين القبور ، يتفرجون على نساء المسلمين . . .

٨ ــ كتاب « من عاش بعد الموت » لابن أبي الدنيا (من ق ١٠٢/١٢٢) مخطوط سنة ٧٣٩ .

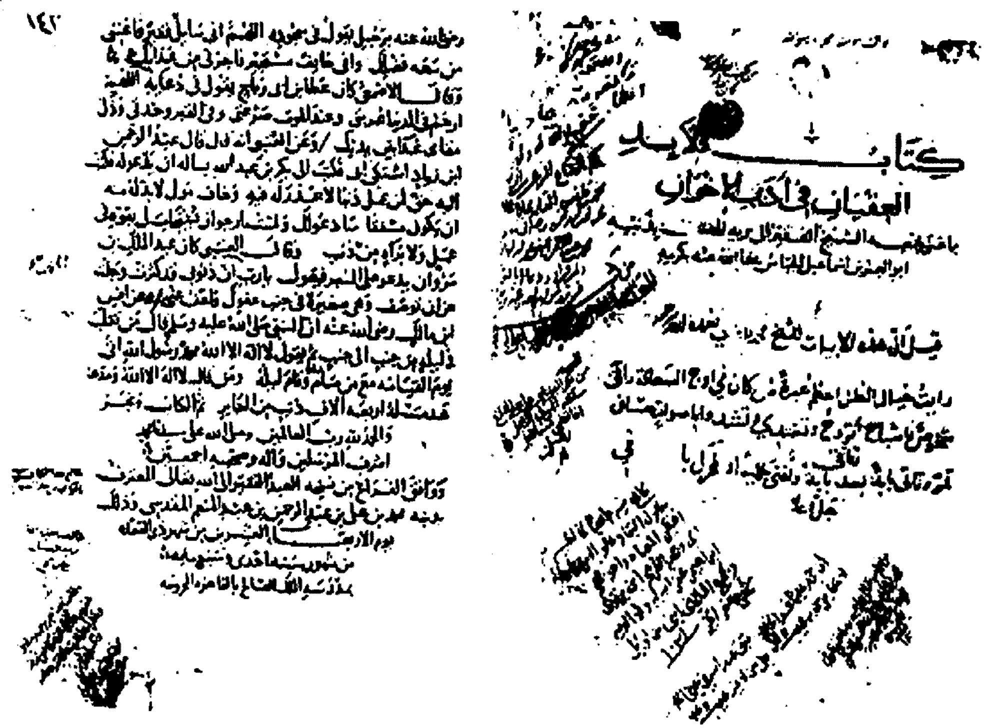
ثم ورقتان تحويان أَشْعَاراً وأَخْبَاراً ، وورق المجموع ١٣٤ وكتابته بالخط النسخي الجيد في ٢٦٨ صفحة صغيرة ، في كل صفحة خمسة عشر سطرا .

٢ ــ قلائد العقيان ، في أدب الإخوان :

كذا ورد الاسم في طرة الكتاب ، وتحته : مما عُنِيَ بجمعه الشيخ الفقير إلى ربه ، المعترف بذنبه ، أبو العز بن اسماعيل الجبَّاس ، عفا الله عنه بكرمه . وتكرر الاسم في مقدمة الكتاب إذ ورد : (قال الشيخ الفقير إلى رحمة ربه المستغفر من ذنبه ، أبو العز ابن اسماعيل المعروف بالجباس) . ويكاد الكتاب أن يكون شاملا للآداب الإسلامية يورد الأيات والأحاديث والأقوال المشهورة والأشعار المأثورة ، والحكايات الطريفة .

وجاء في آخره : ووافق الفراغ من نسخه العبد الفقير إلى الله تعالى ، المعترف بذنبه ، محمد بن على بن عبدالرحمن بن عبدالمنعم المقدسي ، وذالك في يوم الاربعاء العشرين من شهر ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة ، بمدرسة الملك الصالح بالقاهرة المحروسة ــ انظر الصورة في الصفحة المقابلة .

ويقع الكتاب في ١٤٤ ورقة (٢٨٨ صفحة) من القطع الكبير ، في الصفحة ٢٣ سطرا ، والخط نسخي حسن ، وكثيرمن الكلمات مشكلة بالحركات ،



الصفحة الأولى والأخيرة من «قلائد العقيان»

والعناوين بالقلم الثلث ، وفي الهوامش كلمة (بلغ) مما يدل على مقابلة النسخة بأخرى ، مع تصحيح بعض الكلمات بشطبها وكتابة غيرها .

ورقمه في الفهرس (٦٠٣)

٣ ــ رسالة أحمد بن الواثق إلى المُبَرِّد :

رقم هذه الرسالة (٧٩١) وقد كتب في طرتها المزوقة بالذهب في أعلى الصفحة : (لخدمة سيدنا الوزير الأعز شرف العلي) وفي أسفلها : (أبي القاسم بن مولانا فخر الملك أطال الله بقائهما وأعز نصرهما وسلطانهما) وبين الكتابتين في وسط الصفحة : (رسالة أحمد بن الواثق إلى أبي العباس محمد بن يزيد الثمالي ، يسأله عن أفضل البلاغَتَيْن شعراً أَمْ نثراً ، وجواب أبي العباس عنها) .

ثم في الصفحة الثانية : (بسم الله الرحمن الرحيم كتب أحمد بن الواثق إلى أبي العباس محمد بن يزيد الثمالي النحوي : أطال الله بقاك ، وأدام [ق : ٢]

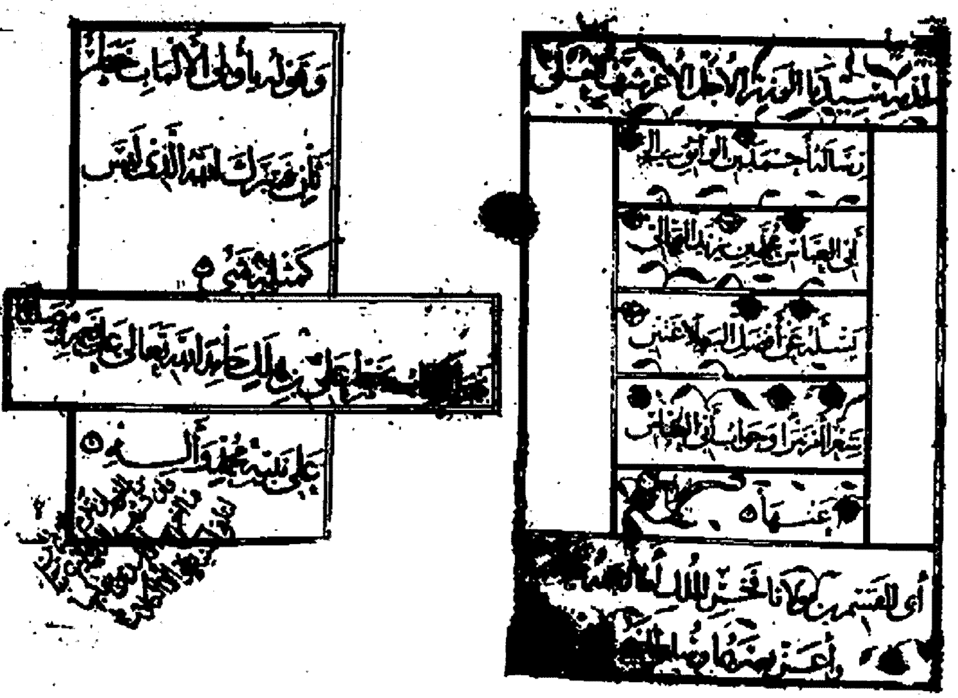
عزك ، احببتُ ــ أعزّك الله ــ أنْ أعْلَم ايّ البَلاغَتَيْنِ أبلغ . أبلاغة الشعر أم بلاغة الخطب ، الكلام المنثور والسجع ، وأيهما [ق : ٢ ب] عندك ــ أعزك الله ــ أبلغ ، عرفني ذالك إن شاء الله .

فكتب إليه : أطال الله بقاك ، وأدام عزك ، سألت ــ أعزك الله ــ عن [ق : ٣] البلاغتين في الشعر المرصوف ، والكلام المنثور أيَّتُهُمَا أوْلَى بأنْ تكون المُقدمة ، وأحَقُّ أنْ تكون على الكمال مشتملة [ق : ٣ ب] والذي سألت عنه ــ أعزك الله ــ من مسائل العقلاء الفضلاء ، وكل ذالك فأنت ذُرْوَتُهُ وسَنَامُهُ ، فزادك الله ولا نقصك [ق : ٤] وأعلاك ولا وضعك ، الجواب فيما سألت : أنَّ حق[3] البلاغة إحاطةُ القولِ بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم [ق : ٤ ب] حتى تكون الكلمة مقاربة أختها ، ومعاضِدةً شكلها ، وأن يقرب بها البعيد ، ويحذف منها الفضول ، فإن استوى هذا الكلام المنثور والكلام المرصوف المسمى شعراً فلم[4] يفضل أحدُ القِسْمَيْنِ صاحبه .

فصاحب الكلام المرصوف [ق : ٥ ب] أحمد ، لأنه أتى بما أتى به صاحبه ، وزاد وَزْناً وقافيةً ، والوزن والقافية تضطر إلى الحيلة ، وبقيت بينهما [ق : ٦] واحدة ليست مما توجد عند استماع الكلام منهما ، ولكن يُرْجَعُ إليهما عند قولهما فَيُنْظَرُ أيُّهما أشَدُّ على الكلام اقتداراً (ق : ٦ ب] وأكثر تَسَمُّحاً ، وأقلُّ مُعَانَاةً ، وأبْطَأُ معاسرةً ، فَيُعْلَم أنه المقَدَّم . . .

وآخر الرسالة : [ق : ٢٣ ب] وقوله : يا أُولي الألباب خَطَرٌ ثانٍ ، فتبارك الله الذي ليس كمثله شيْءٌ . نجز الكتاب بخط علي بن هلل ، حامداً لله تعالى على نعمه ، ومصليا على نبيه محمد وآله ــ انظر الصورة في الصفحة المقابلة .

والخط من نوع الثلث الجميل ، والكلمات مشكلة ، والصفحات الثلاث الأولى مذهبة الفواصل ، ومزينة بنقوش أزهار مذهبة ، والصفحة الأخيرة مقسمة بخطوط مستقيمة مربعة مذهبة ، وتقع الرسالة في ٢٣ ورقة (٤٦ صفحة) في الصفحة خمسة سطور ، وقد كتب في أحد الهوامش بخط مغاير لكتابة الأصل : (بخط علي بن هلال استاذ ياقوت المستعصمي) وما أرى هذا صحيحا ، وإنْ بَدَا



(الصفحة الأولى والأخيرة من "رسالة أحمد بن الواثق")

خطّ الرسالة على درجة من الأناقة والجمال ، إلا أنني لا أستبعد أن ناسخها حاكَى أو قلد خط ابن هلال .

وتكررت زيارة المكتبة للحصول على صور من مخطوطات « وفاء الوفاء » و « التبيين » ورسالة المبرد ، وكتاب «قلائد العقيان» فدفعت ما طُلِبَ مني دَفْعُه ، ووُعدتُ بإرسال الصور — على شريط (ميكروفلم) إلى الرياض ، فكان ذالك في خلال مدة لم تتجاوز الشهر .

٤ — ولفت نظري — في الفهرس — اسم « ديوان صفي الدين الحلّي » فتوهمته ماحققه أستاذنا الدكتور علي جواد الطاهر ، خلطت الذاكرة بينه وبين « ديوان الطغرائي » الذي حققه الدكتور مع الدكتور يحيى الجبوري ، ونُشر مرتين آخرتهما سنة ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) — وديوان الحلِّي قد نشر في دمشق ثم في بيروت قبل مئة عام — لا بأس ، لقد طالعت « ديوان الحلي » ورقمه في الفهرس (٥٢٧) فوجدته مجلدا يحوي (٢٨٩) ورقة من القطع الكبير ، مبدوءًا بالبسملة ثم

(الحمد لله الذي علم الانسان البيان . . . وبعد : إني كُنْتُ قبل أن أشبَّ عن الطوق ، وأعْلمَ مادواء الشوق ، لَهِجاً بالشعر للكسب بالتعريض ، إذ دَيْدَني أن لا تتسخ يدي (؟) . . . — ثم ذكر أنه نظم قصائد مجملة ومفصلة ، فالمجملة ماجعله كتابا مفرداً كالديوان ، لكونه تسعة وعشرين قصيدة كل قصيدة منها تسعة وعشرون بيتا على حروف المعجم وسماه « دُرَرُ النُّحُوْرِ ، في مدح الملك المنصور » وسُمّي بالملك المنصور : السلطان نجم الدين أبي الفتح غازي ، والمفصلة ما انتخب أحسنها واودعه هذا الديوان ، الذي يضم أثنى عشر بابا في ثلاثين فصلا هي :

الباب الأول : في الفخر والحماسة ، والتحريض على الرياسة ، وهو فصلان .

الباب الثاني : في المدح والثناء ، والشكر والهناء ، وهو فصلان .

الباب الثالث : في الطرديات ، وأنواع الصفات ، وهو فصلان .

الباب الرابع : في الإخوانيات ، وصدور المراسلات ، وهو فصلان .

الباب الخامس : في مراثي الأعيان ، وتعازي الإخوان ، وهو فصلان .

الباب السادس : في الغزل والنسيب ، وطرائق التشبيب ، وهو فصلان .

الباب السابع : في الخمريات ، والنبذ (؟) والزهريات ، وهو ثلاثة فصول .

الباب الثامن : في الشكوى والعتاب ، وتقاضي الوعد والجواب ، وهو ثلاثة فصول .

الباب التاسع : في الهدايا والاعتذار ، والاستعطاف والاستغفار ، وهو ثلاثة فصول .

الباب العاشر : في التعريض والألغاز ، والتقييد (؟) للايجاز ، وهو ثلاثة فصول .

الباب الحادي عشر : في الملح والأهاجي ، والإحماض في التناجي ، وهو ثلاثة فصول .

الباب الثاني عشر : في الآداب والزهديات ، ونوادر مختلفات ، وهو ثلاثة فصول .

ثم (الباب الأول ، في الفخر والحماسة ، والتحريض على الرياسة ، وهو فصلان : الفصل الأول في الفخر والحماسة :

لَئِنْ ثَلَمَتْ حَدِّي صُرُوفُ النوائِبِ　　فَقَدْ أَخْلَصَتْ سَبْكِي بِنَارِ التَّجَارِبِ

ـ ثم الاستمرار في سَرْدِ تلك الأبواب مُرَتَّبَةً بقصائد ومقطوعات ـ إلى الورقة الـ ٢٣٢ ففي أولها : وقال في المواليات ، مما اخترعوه (؟) أهل واسط ، من بحر البسيط (؟) :

مابين أكناف راكشْ منحنا التسليم　　شرقي حزوى المازات الغضا ترسيم(؟)
ودون آرام حاجز بسيف التسليم　　نَبْلٍ يشق المراير من لحاظ الرِّيم

ـ كذا والخط رديء ، أكثر الكلمات محرفة (راكس) و(حُزْوا) و(غضا) و(حاجر) .

وأشعار من هذا النمط إلى الورقة الـ (٢٤٩) ففي أثناء صفحتها الأولى : (رسالة الامتحان ، في مناظرة الجواري والغلمان) ـ وبعد البسملة : حدثنا مازح بن مجان . . . إلى الورقة الـ (٢٥٤) وهي رسالة مشحونة بالمجون .

ويأتي الديوان المرتب على حروف الهجاء في مدح الملك المنصور ، المتقدم ذكره من (٢٥٤ إلى ٢٧٨) في (١٩ ورقة) وألحق به ورق من كتاب «العاطل الحالي» ـ من ٢٧٨ إلى ٢٨٩ ـ آخر الديوان وفي الصفحة الأخيرة : وافق الفراغ في شهر ذي القعدة سنة ثمانين وسبعمائة ، على يد الفقير . . . عبدالرحمن بن ابراهيم بن عبدالنبي بن ابراهيم زين العابدين . . . والكتابة سيئة ، مشحونة بالأخطاء ، والناسخ ـ فيما يظهر ـ لايحسن القراءة .

٥ ـ كتاب «العاطل الحالي ، والمرخَّص الغالي» :

رقمه في الفهرس (٥٢٨) كتب تحت اسم الكتاب في المخطوطة : (تأليف

الشيخ الإمام الأديب الكامل صفي الدين عبدالعزيز بن سرايا الحِلِّي ، فسح الله في مدته) .

وقد أشار الحِلِّيُّ ـ في مقدمة ديوانه ـ الذي تقدم الحديث عنه إلى هذا الكتاب بقوله : (وقد أعْرَيْتُ هذا الكتاب عن كلِّ ما أُعْرِيَ من الإعراب ، والفنون الأربعة التي لَحْنُهَا إعرَابُهَا ، وخَطَأُ نَحْوِهَا صَوَابُهَا ، وجعلتها جُزءاً بمفرده ، خارجاً عمَّا نحن بصدده) .

وقال في مقدمة الكتاب : (فإني كنت أضفْت إلى ديوان أشعاري فنَّيِ المُوشح والدُّوْبيت لِتَحلِّيْهِمَا بالإعراب ، ونَسْجِهِمَا على مِنْوالِ لفظ الأعراب ، وأعْرَيته من الفنون الأربعة التي لحنُها إعْرابُها ، وخَطأُ نَحْوِها صوابُها ، ووعدتُ في خطبته أن أجعلها جزءاً بمفرده ، . . . وهي الزجل ، والمُّواليا ، والكان كان ، ومجموع فنون النظم عند سائر المحققين سبعة فنون ، لا اختلاف في عددها بين أهل البلاد ، وإنما الاختلاف بين المشارقة والمغاربة في فنَّيْنِ منها . . . والسبعة المذكورة هي عند أهل المغرب ومصر والشام الشعر القريض ، والموشح والدُّوبيت ، والزجل ، والمواليا ، والكان كان ، والحمَّاق ، وأهل العراق وديار بكر ومن يليهم يثبتون الخمسة منها ، والحمَّاق بالحجازي ، والقوما ، وهما فنَّان اخترعهما البغاددة للغناء بهما في سحور ليالي رمضان خاصة ، في عصر الخلفاء من بني العباس ـ إلى أن قال ـ : وسميته بـ «العاطل الحالي ، والمرخص الغالي» لكونه عاطلاً من الإعراب ، خالياً (؟) من المعاني والآداب (؟) مرخصاً بين ذوي الخلاعة والهزل ، غالياً على ذوي الجِدِّ والجزل ، وجعلتُ كتابة كلِ ما أشكل من لفظه على صورة النطق به والتلفُّظِ ، لا على قاعدة الضبط والتحفُّظ ، اقتداء بما فرضه أربابه من الفروض ، واتباعاً لأئمة علم العروض ، إذْ كان غرضهم تصور المنظوم ، وصحة الوزن المفهوم .

وفي الصفحة الأولى من الورقة الـ (٧٧) : هذا آخر العاطل الحالي ، والمرخص الغالي ، نقل من أصل نقل من خطِّ مصنفه ، ونجز على يد الفقير إلى الله الغني محمد بن أحمد بن معمر المعري (؟) البغدادي عفا الله عنه ، في يوم الاربعاء

كتاب « عارف حكمة ... » وملاحظات على تحقيقه

« عارف حكمة ـ حياته ومآثره » أو « شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحِكَم » تأليف شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبدالله الألوسي (١٢٠٧ ـ ١٢٧٠هـ) . حقق نصوصه وخرج أحادِيْثَهُ وعلق عليه الدكتور محمد العيد الخطراوي . دمشق ـ بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة دار التراث بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٣/١٩٨٣ ـ ٢٤٧ ص . يطلب من الوكالة العامة للتوزيع ـ دمشق . ص.ب ٤٦٢٠ ـ الحلقة رقم (٢) من سلسلة (دراسات حول المدينة المنورة) .

١ ـ عارف حكمة : عارف حكمت ، لأن الاسم تركي (عثماني) ويرسمه أهله وصاحبه والألوسي بالتاء الطويلة (حكمت) ، فلهذه التاء معنى ودلالة تاريخية ، ثم إنها هكذا وجدت فلماذا التصرف بها . ولا نجد في الذكور من اسمه حكمة .

السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة سبع وأربعين وسبعمائة هلالية هجرية .

وصفحات الكتاب (١٥٤) في الأولى عنوان الكتاب والأخيرة خالية من الكتابة ، وفي الصفحة ١٩ سطراً ، والخط حسن واضح ، إلا أنه لايخلو من التحريف والخطاء .

حمد الجاسر

الحواشي :

١ ـ انظر «الدراسات العربية في ألمانيا ـ تطورها التأريخي ووصفها الحالي» للأستاذ البرت ديتريش ـ أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة جوتنجن .

٢ ـ يحسن الرجوع إلى البحث الممتع الذي نشره الدكتور خليل أبو رحة من جامعة اليرموك في مجلة «معهد المخطوطات» في الكويت [م ٣٠ ج ١ تاريخ جمادى وشوال سنة ١٤٠٦ ص ٣٩١/٤٢٨] ـ عن الراعي النميري وشعره .

٣ ـ كذا في الأصل ولعل الصواب (أن حد البلاغة) .

٤ ـ كذا ولعل الصواب (لم يفضل) .

٢ ـ لقد تصرف (المحقق) بالعنوان على خلاف مقتضيات (علم التحقيق) أي انه لم يحتفظ بالعنوان الأصلي ، الذي اختاره المؤلف نفسه ، وهو « شهي النغم . . . » فلم يجعل المؤلف عنوان كتابه « عارف حكمت » .

وإذا كان ولابد وشاء المحقق أن يوضح دلالة العنوان للقاريء المعاصر ، فليكن بعد أن يذكر العنوان الأصلي أولا هكذا : « شهي النغم . . . » [أو عارف حكمت : حياته ومآثره] .

ثم إن المحقق ، حين تكلم على عمله في التحقيق (ص ١١) لم يذكر للقاريء أنه غيّر العنوان الأصلي أو تصرف فيه !

٣ ـ ذكر من مؤلفات الألوسي (ص ١٧ ـ ١٨) « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » . وقال (طبعة المطبعة المنيرية بمصر في اثني عشر مجلداً) . وفي « فهرست المطبوعات العراقية » لعبدالجبار عبدالرحمن أنه (٣٠) جزءاً في (١٥) مجلداً ، ثم انه ذكر سنة الطبع ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م .

وقال المؤلف : (وكان الطبع لأول مرة في مطبعة بولاق بمصر سنة ١٣٠١ في تسعة مجلدات ضخام) ، ويزيد « فهرست المطبوعات العراقية » ما يدل على أن الطبع استغرق عدة سنوات ١٣٠١ ـ ١٣١٠ = ١٨٨٣ ـ ١٨٩٢م .

وذكر « الفهرست » طبعة أخرى هي : القاهرة ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ١٩٦٤م ، تحقيق محمد زهدي النجار .

وكان المناسب أن يبدأ المؤلف بأقدم الطبعات . .

٤ ـ وذكر من المؤلفات ص ١٩ : « غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب » (طبع بمطبعة الشابندر ببغداد سنة ١٣٢٧هـ) . ونقل في وصفه أقوال آخرين بدون أن يدل على رؤيته إياه واطلاعه عليه وإفادته منه . وهذا يقلل من قيمة عمله ، لما لهذا الكتاب من صلة مباشرة بالكتاب المحقق ، ولأنه يتضمن وصف رحلته من بغداد إلى أستانبول قاصداً عارف حكمت شيخ الإسلام هناك ، ثم العودة إلى بغداد . ولعارف حكمت مكان

واسع جداً من الرحلة « غرائب الاغتراب » .

ومن الزيادة في وصفها (حقوق إعادة الطبع محفوظة لنجل المصنف ... السيد أحمد شاكر أفندي الألوسي) (طبع في مطبعة الشابندر في بغداد على نفقة صاحبها ...) ويقع الكتاب في (٤٥١) صفحة تسبقه في المقدمة (١٢) صفحة للفهرس .

٥ ـ تحدث المحقق (ص ١٠) عن اسم الكتاب فقد ورد مرة أنه « شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم » ، ومرة أنه « شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم » وصوّب الأول (كما هو مثبت بظاهر النسخة المخطوطة) للكتاب . ونذكر هنا ـ ما لم يطلع عليه من « غرائب الاغتراب » فقد قال المؤلف الألوسي نفسه وهو يتحدث ص ١١٣ (عن شيخ الإسلام ... في نعوته الباهرة رجل الدنيا والآخرة) ، ص ١٣٣ (وقد ذكرنا بعض ذالك في كتابنا شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم) .

ذكر هذا في كتابه « غرائب الاغتراب » (ص ١٣٢ ـ ١٣٣) وواضح أن المؤلف الألوسي كتب ترجمة عارف حكمت وهو يعتزم التوجه إليه يشكو عزله ، في الأستانة ، فقد قال لما وصل إسلامبول والتقى بأحمد عارف حكمت لأول مرة (ص ١١٧) : (سيدي وسندي السيد أحمد عارف بك أفندي وقد أفردت ترجمته بالتدوين وقدمتها إلى حضرته المشبهة حظائر عليين ...) .

يتضح من هذا أن « ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم » أسبق في التأليف من « غرائب الاغتراب » . ويكفي أن يصرح الألوسي نفسه بما صرّح .

يبقى أنك تجد في كتاب « ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم » وهو « شهي النغم ... » أخباراً وأموراً متأخرة عن تاريخ اللقاء الأول ولا تدل هذه ـ بالضرورة ـ على تأخر تأليف الترجمة عن «غرائب الاغتراب» وإنما تدل على أن المؤلف الألوسي شرع ـ بعد اللقاء الأول ـ يزيد على الترجمة مايراه مناسبا مما يجد له من أخبار وآراء ومآثر . ومن هذه الزيادة ما يمكن أن يعود إلى أيام الرحلة نفسها ، ومنها ماكان لدى العودة وبعد تأليف « غرائب الاغتراب » (تنظر ص ٢٢٩) ـ

ولم تطل حياته فقد وصل إلى بغداد في (خامس شهر ربيع الأول ثالث شهور سنة تسعة وستين بعد الألف والمائتين . . .) وتوفي في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ .

٦ ــ ترجم المحقق للشهاب الألوسي (ص ص ١٣ ــ ٣٠) ولو اطلع على « غرائب الاغتراب » لوجد مادة نافعة للترجمة ويكفي أنْ يكون من فصولها تراجم لشيوخه ، بل ترجمة لوالده بل ترجمة (ذاتية) للمصنف نفسه (تنظر ص ص ٥ ــ ٢٥ . . .) وفيها يحدد ميلاده بـ (قبيل ظهر الجمعة رابع عشر من شعبان . . .) وفي هذه الترجمة السبب الصريح في الرحلة إلى شيخ الإسلام بالأستانة يشكو إليه حاله وقد عزله محمد نجيب باشا من منصبه مفتياً للحنفية ببغداد .

٧ ــ تكلم المحقق (ص ٣١) ــ على مكتبة عارف حكمت . ونَزيد أن في « غرائب الاغتراب » ما ينفع ويجدي مباشرة .

٨ ــ ان لعدد من التقاريظ والإجازات الواردة في « شهي النغم » مشابهاً أو مطابقاً في « غرائب الاغتراب » ــ ومن ثم فهو يعين في التحقيق ، وكذالك المساءلات الشعرية . .

٩ ــ ذكر المؤلف الألوسي في مقدمة كتابه « شهي النغم » : (. . . خرجت من زوايا الزوراء . . .) يقصد بدء رحلته إلى إسلامبول . وذكر المحقق في الحاشية : (الزوراء : بغداد . وكان خروجه منها سنة ٢٦٧) وأَزِيدُ أن المؤلف حَدَّدَ خُروجَهُ في «غرائب الاغتراب» باليوم والشهر : (غرة جمادىٰ سنة . . .) يقصد جمادى الأخرة (تنظر ص ٢) .

١٠ ــ ص ٨٣ (ظهور الشمس في رابعة النهار) : رائعة النهار .

١١ ــ ص ١٥٥ ــ (وله تقاريض) لرسم تقاريض بالضاد هذه وجه معجمي ولكن الأولى أنْ ترسم بالظاء ، فهكذا ترد عادة ، وهكذا وردت في « غرائب الاغتراب » ، وفي « شهي النغم » نفسه (ص ١٥٧) .

١٢ ــ ص ١٥٨ (وقد قيل :

إن الكــلام لفي الفؤاد وإنمــا جعل الكلام عــلى الفؤاد دليلا

قال المحقق : (وهذا البيت من شعر الأخطل) ولم يُؤلَّف عن الأخطل (وعن صاحبيه جرير والفرزدق) هذه المعاني العقلية إنها إن كانت في العصر الأموي فأولى أن تعود إلى البصرة وشعرائها المتأخرين قليلاً ــ أو كثيراً ــ عن الأخطل . وكم كان مناسباً أن يعود المحقق إلى ديوان الأخطل ويؤيد به نسبة البيت . رجعت إلى ديوان الأخطل الذي نشره صالحاني فما وجدت البيت ، وإلى ديوان الأخطل (صناعة السكري) تحقيق : قباوة فما وجدت البيت . استعنت بالدكتور حاتم الضامن فأفاد أن سبق له العلم بالبيت من حيث هو بيت ثم رجع فوجد أنه مما استشهد به ابن هشام في « شذور الذهب » قال : (قال الأخطل) . قلت : هذا لا ينفعنا كثيراً فابن هشام متأخر (جدًّا من القرن الثامن) ولم يكن الأخطل من اهتمامه وزاد الدكتور الضامن أن صالحاني أثبت هذا البيت مع بيت يليه في ملاحق ديوان الأخطل نقلا عن ابن هشام . قلت : وهذا لا يغير شيئا من الحقيقة .

وأفاد الدكتور الضامن بأن البيت ورد (مع بيت آخر) في « البيان والتبيين » : (وقال آخر)[١] . قلت : لو علم الجاحظ أنه للأخطل لنسبه إليه . والبيت ــ ورواية الجاحظ ــ يؤيد أنه من بيئة عقلية كالبصرة[١] .

١٣ ــ ص : ١٦٣ :

وكــذاك أنت أجدت من قضى أعــلى القضــاة وأعــظم الأحيــاء

قال المحقق في الحاشية : (كذا في الأصل) .

وأقول : صحيحه في « غرائب الاغتراب » (ص ٣٧٣) : (وكذاك أنت محدث ممن قضى . . .)

١٤ ــ ص ١٦٨ وغيرها ص ١٧٤ ، ٢١٨ يرد رسم مشائخ ، مشائخه بالهمز وهكذا كانوا يرسمون في عصر المؤلف ــ كما يبدو ــ ولكن الصحيح الذي يحسن أن ينبه عليه المحقق : مشايخ ، مشايخه بالياء .

١٥ ــ ص ٢٠٢ (ولا يبعد أن يكون قد أخذه كلّه بالمرة) .

تنفع لمن يؤرخ ورود (بالمرة) في الكلام ــ وهي من الاستعمال المتأخر زمناً .

١٦ ــ ص ٢٠٢ (شطْر التاريخ ــ يقصد التأريخ بالشعر . وقال المحقق في الهامش (هو تاريخ إجازته للشيخ بالحساب الأبجدي . . .) .

وأقول : إن للتأريخ بالحساب الأبجدي اسماً خاصاً هو حساب (الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم .

١٧ ــ ص ٢٢٨ (حقائق الألفاظ اللغوية الغير الداخلة فيه . . .) .

تنفع لمن يؤرخ دخول الألف واللام على (غير) ــ وهو من الاستعمال المتأخر زمناً .

ووردت ص ١٢٢ (المسافر حانه) .

١٨ ــ لم يتبع المحقق في « مراجع التحقيق » (ص ٢٣٢ ــ) أي نظام منهجي ولم يلتزم التسلسل الهجائي للمراجع ، وربما اكتفى من المرجع بقليل لا يكفي كأن يقول : (العبر للإمام الذهبي) . ولم ترد مؤلفات الألوسي نفسه في المراجع ، وذالك يمكن أن يعني أن المحقق لم يرجع إليها .

١٩ ــ يمكن أن نضيف إلى مراجع دراسة الألوسي كتاب استاذنا الدكتور محمد مهدي البصير : « نهضة العراق الأدبية » ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٤٦/١٣٥٦ ص ص ٢١٩ ــ ٢٥١ وقد وقف خصوصاً عند « مقاماته » و « غرائب الاغتراب » و « شعره » .

ونضيف كذالك كتاب الأستاذ عباس العزاوي (المحامي) ــ « ذكرى أبي الثناء الألوسي » ، بغداد . شركة الطباعة والتجارة ١٩٥٨/١٣٧٧ .

٢٠ ــ ص ٨٠ (الشاب السريُّ : أحمد عزة أفندي العمري)

أترى (عزة) ورد في الأصل على هذا الرسم (بالهاء) أم انه رسم (عزّت) كما هو المألوف آنذاك وبدلالة العصر العثماني أو التأثر به ؟ أرجح انها ــ في الأصل ــ (عِزّت) .

من مراجع المحقق عن العمري « الأعلام » : ١٦٩ وهو في الأعلام ــ أعلام الزركلي ١٦٩/١ : (أحمد عزت) .

٢١ ــ ص ٨٧ : (وقع في مجلس عارف حكمت سؤال عن معنى بيتين من الشعر (فتحيّرت بزات أفكار من حضر حظيرته المنورة . . .) .

ويشرح المحقق (البزات : جمع بزة ، وهي الهيئة) .

أترى الأصل ورد على (بزات) بتاءٍ ؟

أما يكون الأفضل (بُزَاة) جمع بازي ، والبازي يصيد ، وتحيرت أفكار الحاضرين بصيد المعنى المطلوب . وفي المؤلفات القديمة ما اسمه : « صيد الخاطر » لابن الجوزي .

٢٢ ــ ص ١٠٣ :

لَوْلَاهُمْ فِي الْحَيِّ مَادَاعٍ دَعَا ◆ للهِ : حَيِّ على الصَّلَاةِ وَأَذَّنَا
لَوْلَاهُمْ فَوقَ المَنَابِرِ مَارَقَى ◆ رَاقٍ ، ولا قَرأَ الحدِيثِ مُعَنْعِنا

أ ــ فتح القاف من رقى والصحيح كسر القاف لإنها رَقِيَ كَرَضِيَ .

ب ــ وقال في ذيل الصفحة عن (داع) : في الأصل (الداعي) ، وعن راقٍ : في الأصل (الراقي) بمعنى أن المحقق تصرف بالأصل ، وهذا يجوز ــ إذا جاز ــ في حالة وضوح الخطإ على وجهٍ لا نقاش فيه ، مع استحالة صدوره عن المؤلف الأصلي . وليست حال (الداعي) و (الراقي) من هذه الحال . وكان للمحقق ــ إذا كان ولابُدَّ ــ أن يُبقي الأصل على أصله ، ويسجل ملاحظاته للوجه الذي يذهب إليه في ذيل الصفحة .

وتتكرر الحال . . . ولا يخلو المحقق ــ أحيانا ــ من صواب . . . ولكن النقاش ــ أصل النقاش فيما لا يتضح فيه الخطأ أو ما يبقى فيه للمؤلف وجهٌ .

جاء في متن ص ١٣٥ (. . . وأضحى الفلك دائراً بكِسوته الخضراء فَرحاً بهذا المولى دوران مُوَلَّهٍ أسكره بَعْدَ النَّأْيِ وِصَالُ الأحباب . . .)

والمعنى منسجم ولكلمة (مُوَلَّه) ، مناسبتها للمطلوب .

ولكن المحقق سمح لنفسه ان يرفع (مُوَلَّه) ويضع موضعها (مولدي) وهذا غير صحيح في علم التحقيق ، فَمُوَلَّه في حاقِّ مكانها و (مولدي) نسبة ــ فيما يبدو ــ إلى حفلات (المولد النبوي) متصلةً بالتصوف ــ بوجه من الوجوه ــ وليست هذه النسبة من مألوف اللغة . ثم ماذا كان يمنع لو أبقينا الأصل (موله) على أصله وفي مكانه من المتن ، ونثبت وجة نظرنا بالمولدي في ذيل الصفحة ؟ وتنظر ص (٢٢٨) .

٢٣ ــ ص ١٣٦ جاء في المتن : (الذي . . . لو حاز الفجر بعض ضيائه لما وُجِد إلى أن تكوُّر الشمسُ وتموُّر الجرباء : غيهب . . .)

قال المحقق في ذيل الصفحة : الجرباء : السماء .

وقوله وارد ، ولكنه قد يثير تعجُّبَ قارئٍ ، فيكف تكون السماء : الجرباء وهنا يتولَّى « لسانُ العرب » الشرحَ : (الجرباء : السماء ، سميت بذلك لموضع المجرّة كأنها جَرِبَتْ بالنجوم (. . .) وقيل الجرباء من السماء الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر) .

ويبقى في النفس شك لأنَّكَ تقول عن أرض ممحلة : جرباء .

ويمكن أن يزول الشك بوجود يمور مع الجرباء ، والآية الكريمة : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْرا ﴾

٢٤ ــ ص ١٥٦ : (حيث أني . . .) : حيث إني

٢٥ ــ ص ١٦١ (رأس الجحاجح في النهى)

وفي الشرح : (الجحاجح : جمع جحجح (بالفتح) وهو السيد السمح الكريم)

صحيح أن (الجحجح : السيد الكريم)

ولكن الأولى أن يرد في مفرد الجحاجح : الجحجاح ــ أو أن يرد الاثنان مَعاً ؛

الجحجح والجحجاح ــ إذا كان ولابُدّ .

٢٦ ــ ص ١٩٠ في الحاشية يقول المحقق : (يشير إلى قول المتنبي :

وَعَيْنُ الرضا عن كل عَيْبٍ كليلةٌ   كما أنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَساوِيا

والبيت ليس للمتنبي . وإنما هو لعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ــ ينظر في مجموع شعره الذي عمله الأستاذ عبدالحميد الراضي ، بغداد ١٩٧٥ ص ٩٠ .

٢٧ ــ ص ٢١٠ (الشيخ أحمد الطحطاوي الحنفي) وفي الحاشية : (أحمد الطحطاوي) : كذا في الأصل ، والصحيح) الطهطاوي .... (الأعلام ١ : ٢٤٥) .

أ ــ في ذهني ، وخلال قراءات سابقة عن الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، ربما ورد كذالك الطحطاوي ، وكأن طهطا تلفظ ــ كذلك ــ طحطا .

ب ــ رجعت إلى « الاعلام » (٢٤٥/١) فوجدت : « أحمد محمد بن إسماعيل الطهطاوي ... ان أباه رومي (تركي) حضر إلى مصر مُتَقَلِّدًا القضاء بطحطا (وهي طهطا) وربما قيل له (الطحطاوي) . وعلى هذا فمن المبالغة . أن نعد (الطحطاوي) خطأ « والصحيح : الطهطاوي) .

٢٨ ــ قد يشرح المحقق كلمة في مكان ... وتتكرر هذه الكلمة مرة أخرى في مكان بعيد عن الأول من المتن ، فيقول : (سبق تفسيرها) فيصعب بل يستحيل على القاريء ضبط المكان الأول . من ذلك (فروق) وردت ص ٢١٧ فقال : (سبق تفسيرها) وعلى القاريء أن يبحث في الحواشي ويبحث ليقع ــ مثلا ــ عليها ص ٨٤ (فروق : لقب القسطنطينية ... » ومناسب في هذه الحال إعادة التفسير أو عمل فهرس خاص للأماكن يستدل به على المطلوب .

بغداد : د. علي جواد الطاهر

الحـــواشي :

(١) البيتان في رواية الجاحظ ــ « البيان والتبين » تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، ط ١٩٤٨ ، ٢١٨/١ :=

عنيزة وتاريخها السياسي

اشتقاق التسمية : عُنيزة : ـ بضم العين وفتح النون وسكون الياء وفتح الزاي مع تاء مربوطة ـ : هكذا نطقها الفصيح ، أما نطقها العامي فتسكن العين مع وجود ألف لينة قبلها مع كسر النون والزاي ـ وهي كُبرى مدن منطقة القصيم ، بعد قاعدته بُرَيْدة ، وتقع شمال غرب الرياض على مسافة ٣١٧ كيلاً .

وجاءت تسميتها بهذا الاسم ـ على الأرجح ـ تصغيراً من كلمة العنز التي تعني الأَكَمَةَ السوداء ، ويؤيد ذالك مارواه الأزهريُّ عن الأعرابي من أن العنز القارة ـ أو الأكمة ـ السوداء[١]، كما ذكر ياقوت الحموي في معجمه أنَّ من معاني العنز مافيه حُزْنة من أَكَمة أو تلٍّ أو حجارة ، والتاء فيه لتأنيث البقعة[٢]، ويعتقد البعض أنها الأكمة الواقعة شمال الشارع التجاري الآن عند مدخل سوق السدرة[٣] وقيل : الأكمة الواقعة شرق مسجد الضُلَيعة على بعد ٣٠٠ متر ، وقال آخرون : إنها الأكمة التي بُني عليها مستشفى عنيزة العام[٤].

ندرة معلوماتها التاريخية : تاريخ المدينة القديم يكتنفه بعضُ الغموض ، مثل باقي مدن منطقة القصيم وإقليم نجد عموماً ، وكذا الحال في تاريخها الإسلامي في الفترة الواقعة بين ظهور الإسلام ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى ، ويبدُو أنَّ انتقالَ مركز الخلافة من المدينة المنورة إلى خارج الجزيرة العربية وفَقْدَها أهميتها السياسية والتاريخية له الأثر الكبير[٥] في هذا الغموض إضافة إلى سيطرة الجهل والأُمِّيَّة وعدم وجود علماء اهتموا بتاريخ

= (وقال آخر :

إن الكـلامَ من الفؤادِ وإنمـا   جُعِلَ اللسـانُ على الفؤاد دليلا
لا يُعجبنْـك من خـطيبٍ قولُـهُ   حتى يكون مع البيان اصيلا)

ويقول المحقق في تعليقه على (وقال آخر : هـو الأخطل كما نص ابن هشام في شرح « شذور الذهب » ٢٧) ويقول في تعليقه على (خطيب قوله) : عند ابن هشام (خطيب خطبة) . . وينص المحقق على أن البيتين ليسا في الديوان .

أوطانهم ، زد على ذالك انتشار الفوضى والفتن والاضطرابات وانعدام الأمن والاستقرار بين قرى المنطقة ومدنها بسبب انعدام السلطة العامة . كل ذالك سبب في غموض تاريخ المنطقة ، وندرة المعلومات التاريخية حولها ، وإذا وجدت بعض الكتابات التاريخية في الوقت المتأخر من الفترة المذكورة فهي قليلة جداً لانصراف كاتبيها إلى دراسة العلوم الشرعية والكتابة فيها أكثر من غيرها[٦].

تاريخها القديم : على الرغم من ذالك فهناك معلومات تدل على وجود تعمير للمنطقة قبل الإسلام ، مثل القريتين (وهما الْجُوَيّ والْعَيَّارِيَّة ـ على بُعْدِ ٤ أكيال شمال غرب عنيزة) وهما اللتان يعتقد أنهما لطسم وجديس من العرب البائدة[٧].

وقد وجدت في المنطقة بعض الآثار التي تدل على تعميرها مثل الأواني والنقوش والزخارف ، كما كشف التنقيب البسيط عن وجود أسواق تجارية مطمورة وتوابيت من طين فخار فيه جثة إنسان[٨]. بل وجد في العيَّاريَّة ـ في القرن الماضي سيفان ذهبيان بيعا بقيمة كبيرة[٩] كما ذكر ذالك الرحالة الأوربي (تشارلز داوتي) في رحلته إلى نجد ـ ومنها القصيم ـ عام ١٢٩٢هـ تقريباً ـ وكل ذالك يدل على تعمير المنطقة وغناها منذ القديم .

وتردد ذكر عنيزة في كثير من أشعار الجاهلية والإسلام إلا أن ذالك لا يعني أنها المقصودة في كل ذالك ، فقد يوجد عدة مواضع يسمى كل منها باسم (عنيزة) وقد أَوْرَدَها ياقوت الحموي في معجمه في رسم (عنيزة)[١٠] ومع ذالك فإن هناك أبيات يتضح من تمعن القصيدة أن المقصود بها عنيزة المدينة الثانية في القصيم لوجود قرائن جغرافية تدل عليه ، كأن يرد ذِكْرُ أماكن أخرى قريبة من عنيزة في نفس القصيدة التي ورد ذكر عنيزة فيها . فمن ذالك قول الشاعر الجاهلي بشر بن أبي خازم الأسدي :

عفَا رَسْمٌ برامة فَالتِّلاعِ * فَكُثْبَانِ الْحَفِيرِ إلَى لِقَاعِ
فَجَنْبِ (عُنَيْزَةٍ) فَذَوَاتِ خَيْمٍ * بِهَا الغِزْلان والْبَقَرُ الرِّتَاعُ[١١]

وقول امرئ القيس :

تَرَاءَتْ لَنَا بَيْنَ النَّقَا وَ(عُنَيْزَةٍ) * وبَيْنَ الشَّجَا مِمَّا أَحَالَ عَلَى الْوَادِي

وقوله عن السحاب :

فمرّ على ٱلْخَبْتَيْنِ خَبْتَيْ (عُنَيْزةٍ) * فذاتِ النِّقاعِ فانْتحى وتصوَّبا

وقوله أيضاً :

تَراءتْ لَنَا يَوْماً بِسَفْحِ (عُنَيْزةٍ) * وقَدْ حَانَ مِنْهَا رحْلَةٌ وقُلُوص[١٢]

ومثل ذالك قول الشاعر الإسلامي كعب بن زُهَير :

ويَضْبَضْنَ بَيْنَ أُدَانِي ٱلْغَضَا * وبَيْنَ (عُنَيْزَةَ) شَأْواً بَطِينَا[١٣]

وقول جبهاء ٱلأشجعي :

فَهَمَمْتُ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَيْلَ لِقَاحِنَا * بِلِوَى (عُنَيْزَةَ) أَوْ بِنَعْفِ قُشَام[١٤]

وقول مالك بن الرَّيْبِ المازني في قصيدته اليائية المشهورة :

إذَا عُصَبُ الرُّكْبَانِ بَيْنَ (عُنَيْزَةٍ) * وَبَوْلَانَ عَاجُوا ٱلْمُنْقِيَاتِ النَّوَاجِيَا[١٥]

وقول النابغة الجعديّ في السحاب :

فَلَمَّا دَنَا لِلْخُرْجِ خُرْجِ (عُنَيْزَةٍ) * وذِي بَقَرٍ أَلْقَى بِهِنَّ ٱلْمَرَاسِيَا[١٦]

وقول جرير :

وسَقَى ٱلْغَمَامُ مُنَيْزِلاً (بِعُنَيْزَةٍ) * إمَّا تُصَافُ جدى ، وَإمَّا تُرْبَعُ

إلى أن قال :

هَلْ تَذْكُرِيْنَ زَمَانَنَا (بِعُنَيْزَةٍ) * والأَبْرَقَيْنِ وَذَاكَ مَالاَ يَرْجِع[١٧]

إن تلك الأبيات التي جاء فيها ذكر عنيزة تدل على أن موضعها كان معروفاً عند العرب في الجاهلية والإسلام ، وهي على كل لا تتعدّى أن تكون روضة تنتهي إليها السيول من بعض الأودية الصغيرة ، وكانت تنتشر فيها بعض القبائل العربية الرحّل ، وخصوصاً من قبيلة بني أسد ومن المعروف ـ تاريخياً ـ أن بني أسد دخلوا في الإسلام في السنة التاسعة من الهجرة[١٨].

عنيزة في العهد الإسلامي : لقد بدأت تظهر أهميتُها في العهد الإسلامي لأنها أصبحت ممّراً لقوافل الحجاج من الشرق إلى الحجاز ، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي عام ٢٩هـ عهد بولاية البصرة إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيز ، فاهتم بحفر آبار في طريق الحج العراقي إلى الحجاز ، فحفر آباراً في أماكن متفرقة من منطقة القصيم ، حيث حفر في النّباج (الأسياح الآن) وفي عيون ألجِواء ، وفي القَرْيَتَيْن[١٩] (ألجُوَيّ والعَيَّارية) .

وفي العصر الأموي أمر الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق بحفر بئر بين عنيزة والشّجى ــ كما ورد في بيت امرىء القيس السابق الذكر ــ وقال : احفروا بين عنيزة والشجى حيث تراءت للملك الضليل ، فإنها والله لم تترآى له إلا على ماء[٢٠] .

وفي العصر العباسي تولى البصرة عام ١٤٦هـ جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ، فحفر بئراً اخرى في القريتين ، وقام أخوه محمد بن سليمان فحفر بئراً ثالثة في عنيزة[٢١] لأنه رآها روضة تنتهي إليها السيول . وقد استعذب الأهالي ماءها أكثر من غيرها وهي التي تسمى الآن (أم القبور)[٢٢] .

عمارة المدينة وبداية تاريخها السياسي : لقد استمرت عنيزة على هذه الحال ــ ماء في طريق الحجاج العراقيين ــ عدة قرون حتى ابتدأت عمارة عنيزة بالقسم الشمالي منها وهو (الجناح) الذي يُعَدُّ أقدمَ أحياءِ عنيزة عمارة ، وفي تاريخ عمارته خلاف بين الباحثين والمؤرخين . حيث بكر به بعضهم فأرجعه إلى عام ٤٩٤هـ (١١٠٠م)[٢٣] وذهب المؤرخ ابراهيم بن ضُوَيَّان في نبذته التاريخية إلى أن ذالك كان أثناء المئة السادسة من الهجرة[٢٤] ولكن المشهور أن ذالك كان في مطلع القرن السابع الهجري وبالتحديد عام ٦٣٠هـ[٢٥] (١٢٣٢م).

كان أول من سكن عنيزة بطن من بني خالد يسمون (الجناح) وبهم سمي المكان ، ثم سكنها فريق من سُبَيْع ، بزعامة زهْرِي بن جرَّاح من آل ثور ، وكثر جيرانه والنازلون حوله ، فتكونت بذالك عنيزة من أربع دِيَر ، أو (حارات) كل دِيرة لها سور خاص بها وهي : ألجَناح ويتبعه الضِّبط ، والخُرَيْزة ، والعُقَيْلية ،

والمُلَيْحة . وكان النزاع مستمراً بين هذه الدِّيَر ، أو الحارات[٢٦] واستمرت الحال على ذالك عدة قرون حتى غزا الشريف أحمد بن زيد أمير مكة نجداً عام ١٠٩٧هـ فهجم على العُقَيْلية ونكَّلَ بأهلها ، ونهبها وهدم سورها[٢٧]، فاجتمع أهل العقيلية والخُريزة والمليحة وكونوا إمارة خاصة بهم ، وبقي الجناح منفصلاً عنهم ، وصارت إمارتهم لآل فَضْل من سُبَيع ، وعُرِفت باسم (عنيزة)[٢٨] وقد تولى إمارتها منذ ذالك الحين :

١) فوزان بن حميدان بن حسن بن مُعَمَّرٍ . من آل فضل من سُبيع تولى الإمارة منذ عام ١٠٩٧هـ إلى أن قتل عام ١١١٥هـ على يد آل الجناح من الجبور من بني خالد ، واستولوا على عنيزة بزعامة إدريس بن صعب الخالدي .

٢) ادريس بن صعب بن شايع الخالدي : وقد تولى إمارة عنيزة مع الجناح معاً من عام ١١١٥هـ حتى عام ١١١٧هـ حيث أخرجه حُمَيدَان بن فوزان بن مُعَمَّرٍ .

٣) حيدان بن فوزان بن مُعَمَّرٍ : من عام ١١١٧هـ حتى عام ١١٢٨هـ حيث أخرجه المشاعِيبُ من آل جراح من سُبيع ، بزعامة حسن بن مشْعاب .

٤) حسن بن مشعاب : من عام ١١٢٨هـ حتى عام ١١٥٥هـ حيث قتله آل جناح من بني خالد ، واستولوا على الإمارة ، لكن لم يلبثوا أن أخرجهم رَشِيد بن محمد من آل فضل من سُبَيْع عام ١١٥٦هـ .

٥) رَشِيد بن محمد : من عام ١١٥٦هـ حتى عام ١١٧٤هـ ويبدو أنَّ إمارة عنيزة قد قويت في عهده ، حيث انضمَّ رَشيد مع قبائل الظَّفِير ، وحاصروا بُريدة عام ١١٥٦هـ في محاولة لنجدة (آل أبو عُلَيَّان) أمراءِ بُريدة السابقين ضِدَّ (راشد الدُّرَيْبِي) الأمير حينذاك[٢٩] ولم يفلحوا ، واستمر رَشِيد في إمارة عنيزة حتى قتل على يد (سعود بن مشعاب) عام ١١٧٤هـ . حيث قتله هو وأمير الجناح (فراج) من بني خالد وهما جالسان في مجلس عنيزة[٣٠].

٦) سعود بن مشعاب : من عام ١١٧٤هـ حتى قتل عام ١١٨٥هـ[٣١] على يد دخيل وعبدالله ابني رَشيد بن محمد .

٧) عبدالله ودخيل ابنا رَشِيد بن محمد : توليا إمارة عنيزة بعد قتلهما سعود بن مشعاب عام ١١٨٥هـ ويبدو أنَّ الإمارة كانت بيد عبدالله وينوب عنه أخوه (دخيل) حين غياب الأول عن البلد[٣٢] وفي عهدهما دخلت عنيزة في حظيرة الدولة السعودية الأولى . مثل باقي منطقة القصيم وعموم نجد .

عنيزة في عهد الدولة السعودية الأولى : يحدد المؤرخون عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م) بداية قيام الدولة السعودية الأولى[٣٣] ففي ذالك العام عقد (اتفاق الدِّرعية) المشهور بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبين الأمير محمد بن سعود بن مُقْرِن أمير الدرعية ، الذي تعهد بنصرة الشيخ في سبيل نشر دعوته السلفية ، ومحاربة البدع والخرافات الشركية ، التي كانت منتشرة بدرجات متفاوتة في المجتمع النجدي خاصة والمجتمع الإسلامي عامة[٣٣]. وبعد سنتين أي في عام ١١٥٩هـ ابتدأت الدرعية مرحلة الجهاد والقتال في سبيل نشر الدعوة والدفاع عنها ضد خصومها . فاستطاعت الدرعية أن توسع نفوذها جنوباً وشمالاً حتى وصلت إلى منطقة القصيم ، وكانت الدعوة السلمية تسبق الجهاد ، وهذا ماحصل بالنسبة للقصيم حيث أرسل الشيخ محمد بن عبدالوهاب عام ١١٦٠هـ رسائل إلى علماء القصيم ــ ومنهم الشيخ عبدالله بن عُضَيْب يدعوهم إلى نصرة دعوته ونشرها[٣٤] ثم أخذت الدرعية ترسل جيوشها للمنطقة منذ عام ١١٨٢هـ بعد أن رأت الفرصةَ مواتيةً لذلك بسبب الصراع الأُسَرِيِّ على إمارة بُريدة بين أُسرتي (آل أبو عُلَيّان) وآل (الدِّريبي) واستمرت الأمور بين مدٍّ وجَزْر[٣٥] حتى تم دخول القصيم ــ ومنها عنيزة ــ في حظيرة الدولة السعودية الأولى أواخر القرن الثاني عشر الهجري[٣٦]. ويلاحظ أن عنيزة بقيت إمارة مرتبطة مباشرة بالدرعية ومنفصلة عن إمارة بريدة وباقي القصيم . وقد تولى إمارة عنيزة في هذه الفترة :

١) عبدالله بن رَشيد : ففي عهده دخلت عنيزة في طاعة الدرعية ، كما استولى على (الجناح) وأدخله في إمارة عنيزة عام ١٢٠١هـ حيث يذكر ابن عيسى أن

عبدالله بن رشيد هدم الجناح تجملاً مع ابن سعود بسبب مكاتبة أهل الجناح لثويني بن عبدالله ، زعيم قبائل المنتفق ــ على حدود العراق[٣٧] ــ وقد استمر عبدالله بن رشيد أميراً على عنيزة حتى عزله الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١٢هـ بسبب وشاية حصلت ضِدَّهُ من حُجَيْلان بن حمد آل (ابو عليان) أمير القصيم ــ عدا عنيزة ــ لخصومة بينهما[٣٨]. وبقي عبدالله بن رشيد في الدرعية بأمر الإمام عبدالعزيز حتى حصار ابراهيم باشا لها منتصف عام ١٢٣٣هـ .

٢) عبدالله بن محمد اليحيى (أبا الشحم) من بني ثور من سُبَيع[٣٩] : تولى إمارة عنيزة بعد عزل عبدالله بن رشيد وبقي فيها حتى عزل عام ١٢٢٥هـ . وتولى بعده إبراهيم بن عُفَيْصان .

٣) إبراهيم بن سليمان بن عُفَيصان العائذي : من عام ١٢٢٥هـ حيث ولاه الإمام سعود بن عبدالعزيز (سعود الكبير) إمارة عنيزة بعد أن عزله عن إمارة الأحساء ، وبقي في عنيزة حتى توفي منتصف عام ١٢٢٩هـ بعد وفاة الإمام سعود . فولى الإمام عبدالله بن سعود على عنيزة ابراهيم بن حسن آل سعود .

٤) ابراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود : من عام ١٢٢٩هـ حتى ذي الحجة عام ١٢٣٢هـ حيث رحل عندما سلمت عنيزة لإبراهيم باشا بعد هجومه عليها .

عنيزة في فترة الاضطراب : وهي الفترة التي تلت سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا في ذي القعدة ١٢٣٣هـ وانفراط عقد الدولة السعودية الأولى . وقد تولى عنيزة في هذه الفترة :

١) عبدالله بن رَشيد (الأمير السابق) الذي خرج من الدرعية بعد اتجاه إبراهيم باشا لحصارها في جمادى الثانية ١٢٣٣هـ ووصل إلى عنيزة فرحب به الأهالي وولوه إمارة بلدهم . لكن لم يلبث أن قُتِل على يد رئيس الحامية التركية

المصرية في عنيزة أوائل عام ١٢٣٤هـ بوشاية من (عبدالله الجمعي)[٤٠] الذي تولى من بعده إمارة عنيزة على كُرْهٍ من الأهالي .

٢) عبدالله بن حمد الجمعي ـ من سُبيع : ولاه الأتراك إمارة عنيزة بعد قتلهم عبدالله بن رشيد أوائل عام ١٢٣٤هـ واستمر حتى رحيل ابراهيم باشا من نجد فاخرجه أهالي عنيزة من البلد[٤١] وولوا محمد بن حسن الجَمَل ، أواخر عام ١٢٣٤هـ .

٣) محمد بن حسن الجمل : من سُبيع أيضاً : من أواخر عام ١٢٣٤هـ واستمر حتى قتله (حسن بك) قائد الجيوش التركية المصرية في نجد ، وذالك في ثرمدا في شعبان عام ١٢٣٦هـ وأعاد عبدالله الجمعي .

٤) عبدالله بن حمد الجمعي (الأمير السابق) من عام ١٢٣٦هـ حيث ولاه (حسن بك) إمارة عنيزة واستمر فيها حتى قتله (يحيى بن سليمان الزامل) وأخوه عبدالله في شعبان ١٢٣٨هـ[٤٢].

عنيزة في عهد الدولة السعودية الثانية : يعتبر المؤرخون عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م بداية لقيام الدولة السعودية الثانية ، عندما نجح تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود في بعث الدولة السعودية من جديد ، حيث تمكن من الاستيلاء على الرياض ، وإخراج الحامية التركية منها ، واتخذها عاصمة لدولته الجديدة ، ودخلت البلدان المجاورة في طاعته سلماً أو حرباً . وكانت منطقة القصيم من المناطق التي دخلت في طاعته سلماً ، ومنها عنيزة ، حيث وفد عليه أميرها يحيى بن سليمان بن زامل المعروف بـ(يحيى السُّلَيْم) وبايعه في عام ١٢٤٠هـ[٤٣].

وقد استمرت الدولة السعودية الثانية من عام ١٢٣٨هـ إلى عام ١٣٠٩ / ١٨٩١م عندما خرج عبدالرحمن بن فيصل من الرياض عام ١٣٠٩هـ واستأثر محمد بن عبدالله بن رشيد ـ حاكم جبل شمر ـ بحكم نجد بعد موقعة (المُلَيْدَا) عام ١٣٠٨هـ وقد تولى إمارة عنيزة في تلك الفترة :

١) يحيى بن سليمان الزامل[٤٤]: تولى إمارة عنيزة بعد قتله الجمعي عام ١٢٣٨هـ ويبقى فيها حتى عزله الإمام تركي بن عبدالله عام ١٢٤٦هـ وعين بدله (خير الله) تابع الإمام سعود بن عبدالعزيز.

٢) خير الله : من عام ١٢٤٦هـ ويبدو أنه استمر شهوراً قليلة نصب الإمام بدله محمد بن ناهض الحربي ، في نفس العام .

٣) محمد بن ناهض الحربي : استمر من عام ١٢٤٦هـ إلى أن عزل عنها عام ١٢٤٨هـ وعين الإمام تركي بن عبدالله بدله صالح المحمد القاضي .

٤) صالح بن محمد القاضي ، من تَميم: تولى الإمارة من عام ١٢٤٨هـ إلى أن تنازل عن الإمارة[٤٥] للأمير الأول (يحي السليم) أوائل عام ١٢٥٠هـ وكان ذلك بعد مقتل الإمام تركي بن عبدالله على يد ابن اخته مشاري بن عبدالرحمن بن حسن آل سعود ، في ذي الحجة عام ١٢٤٩هـ وتولى الإمامة بعده ابنه فيصل بن تركي أوائل عام ١٢٥٠هـ .

٥) يحيى السليم (الأمير السابق): من عام ١٢٥٠هـ واستمر أميراً على عنيزة إلى أن قُتِل في موقعة (بقعا) ــ جنوب شرق حائل ــ في جمادى الأولى ١٢٥٧هـ والتي هُزِمَ فيها أهلُ القصيم أمام جيش عبدالله بن علي بن رَشيد ، أمير حائل ، وقد تولى إمارة عنيزة بعد يحيى أخوه عبدالله السليم .

٦) عبدالله السليم : من جمادى الأولى عام ١٢٥٧هـ إلى أن قتل في موقعة (ألغَرِيْس) أو (ألجُوَيِّ) في رمضان ١٢٦١هـ[٤٦] بين أهل عنيزة وبين عُبَيْد ابن علي بن رَشيد ، فتولى بعده أخوه ابراهيم .

٧) ابراهيم السُلَيْم : من رمضان عام ١٢٦١هـ حتى عزله الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٦٣هـ ــ بعد غَزْوِ شَريف مكة لنجد ، ونزوله عنيزة عام ١٢٦٣هـ[٤٧] وولى بدله ناصر السُحَيْمي ، الذي استطاع هو وأخوه مطلق قتلَ ابراهيم السليم غدراً عام ١٢٦٥هـ[٤٨].

٨) ناصر بن عبدالرحمن السُحَيْمي : من آل اسماعيل ثم من آل بكر من

سبيع[٤٩] وقد تولى الإمارة منذ عام ١٢٦٣هـ واستمر حتى هزيمة أهل القصيم في موقعة اليَتَيِّمَةِ[٥٠] أمام جيش الإمام فيصل بن تركي في جادى الأولى عام ١٢٦٥هـ ، وقد ولى الإمام فيصل على القصيم أخاه (جَلَوِيّ بن تركي) وجعل مقره ومركزه عنيزة .

٩) جَلَوِيُّ بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود : استمر والياً على عنيزة وسائر القصيم منذ عام ١٢٦٥هـ حتى قيام حرب عنيزة الأول عام ١٢٧٠هـ وبعد نهايتها ولى الإمام فيصل على عنيزة عبدالله بن يحيى السليم .

١٠) عبدالله بن يحيى السليم (وهو ابن الأمير الأول): من عام ١٢٧١هـ حتى توفي عام ١٢٨٥هـ فتولى إمارة عنيزة بعده ابن عمه زامل بن عبدالله السليم[٥١].

١١) زامل بن عبدالله السليم (وهو ابن الأمير السادس): من عام ١٢٨٥هـ إلى أن قتل في موقعة (المُلَيْدَا) في جمادى الثانية عام ١٣٠٨هـ والتي هُزِمَ فيها أهلُ القصيم أمامَ محمد بن عبدالله بن علي بن رَشيد ـ أمير حائل ـ واستولى بها ابنُ رشيد على نجدٍ كلها ، وخرج الإمام عبدالرحمن بن فيصل من الرياض عام ١٣٠٩هـ فانتهت بذالك الدولة السعودية الثانية .

عنيزة وفترة حكم آل رشيد نجداً : وهي فترة استمرت من هزيمة أهل القصيم في موقعة (المُلَيْدَا)عام ١٣٠٨هـ حتى قيام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي ببعث الدولة السعودية من جديد عام ١٣١٩هـ ، وقد تولى إمارة عنيزة في تلك الفترة الأمراء :

١) عبدالله بن يحيى الصالح اليحيى : من أهل زُهْرِي بن جراح من سُبيع[٥٢]، وقد ولاه محمد بن عبدالله بن رَشيد أميرُ نجدٍ حينذاك إمارة عنيزة بعد انتصاره في (المُلَيْدَا) عام ١٣٠٨هـ واستثاره بحكم نجد ، واستمر عبدالله اليحيى أميراً على عنيزة حتى توفي عام ١٣١٢هـ فولى ابنُ رشيد بعده أخاه صالحَ اليحيى .

٢) صالح بن يحيى الصالح اليحيى : من عام ١٣١٢هـ واستمر حتى عام ١٣١٨ حيث عزله عبدالعزيز بن مُتعِب بن عبدالله بن رَشيد (الذي تولى حكم نجد بعد عمه محمد) وقد جاء هذا العزلُ بعد موقعة (الصَّرِيْفِ) في ذي القعدة عام ١٣١٨هـ[٥٣] وقد جعل ابنُ رشيد على إمارة عنيزة بعد صالح اليحيى ابنَ أخيه حمد بن عبدالله اليحيى .

٣) حمد بن عبدالله بن يحيى الصالح اليحيى : من عام ١٣١٨هـ واستمر أميراً على عنيزة حتى قتله آل سُلَيم في ٥ محرم عام ١٣٢٢هـ ـ وتعرف بسنة السطوة ـ ودخلوا عنيزة مع الملك عبدالعزيز وجيشه ، وبذالك خرجت عنيزة من حكم ابن رشيد ـ وتبعها باقي القصيم ـ وعادت إلى الحكم السعودي من جديد .

عنيزة في عهد الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية):

ويعتبر المؤرخون بدايتَها منذ استرداد الملك عبدالعزيز الرياض في شوال عام ١٣١٩هـ ، وبعد فترةٍ استطاع التوسع جنوباً وشمالاً حتى وصل إلى القصيم ودخل عنيزة ـ ومعه آل سُليم ـ في محرم ١٣٢٢هـ[٥٤] (سنة السطوة) ويلاحظ أن عنيزة استمرت ـ كما كانت في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية ـ منفصلة عن إمارة القصيم ، ومرتبطة مباشرة بالرياض ، ولها (بيرق) علم خاص اشترك في حروب الملك عبدالعزيز في نجد وخارجها . يقول فؤاد حمزة : مع أن عنيزة تحسب من القصيم جغرافياً إلا أنها من حيث الإدارة مستقلة ، ولها (بيرقها) ، وعليها جهاد خاص ، فهي من هذا القبيل يمكن حسبانها خارجة عن إدارة القصيم[٥٥] . وقد استمرت عنيزة على هذا الوضع حتى عَيَّنَ الملكُ فيصلُ بن عبدالعزيز على منطقة القصيم الأمير فهد بن محمد بن عبدالرحمن آل سعود في ربيع الثاني عام ١٣٨٩هـ فأصبحت عنيزة إحدى الإماراتِ التابعة لمنطقة القصيم الادارية[٥٦] .

وفي جمادى الأولى عام ١٤٠٠هـ أصدر الملك خالد بن عبدالعزيز مرسوماً بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالإله بن عبدالعزيز أميراً على منطقة

القصيم خلفاً للأمير فهد بن محمد بن عبدالرحمن . كما صدر عام ١٤٠٤هـ مرسوم بتعيين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعد بن عبدالعزيز نائباً لأمير منطقة القصيم .

أما إمارة عنيزة فقد تولاها في الفترة من محرم ١٣٢٢هـ إلى وقتنا الحاضر الأمراء :

١) عبدالعزيز بن عبدالله بن يحيى السليم : ولاه الملك عبدالعزيز إمارة عنيزة في محرم ١٣٢٢هـ واستمر حتى تنازل عن الإمارة لإبنِ أخيه عبدالله بن خالد السُليم[٥٧] في عام ١٣٣٥هـ .

٢) عبدالله بن خالد بن عبدالله بن يحيى السليم : من عام ١٣٣٥هـ حتى تنازل عن الإمارة عام ١٣٧٤هـ لابن عمه خالد بن عبدالعزيز بن عبدالله السليم[٥٨] .

٣) خالد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن يحيى السليم : من عام ١٣٧٤هـ واستمر حتى تقاعد عام ١٣٩١هـ فخلفه محمد بن خالد السليم .

٤) محمد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن عبدالله بن يحيى السليم : من عام ١٣٩١هـ حتى تقاعد عام ١٤٠٣هـ فخلفه محمد الحمد السليم[٥٩] .

٥) محمد بن حمد بن ابراهيم بن عبدالله بن ابراهيم السليم : تولى إمارة عنيزة عام ١٤٠٣هـ ولايزال على رأس العمل .

قضاة عنيزة في مختلف العهود :

كانت سلطة القاضي تعتبر في المرتبة الثانية بعد سلطة الأمير ، وبالطبع كان القضاة يستمدون أحكامهم طبقاً للشريعة الإسلامية ، وكانت في الغالب على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، المنتشر في إقليم نجد منذ القرن العاشر الهجري[٦٠] .

والقاضي يُعينه الإمام أو الأمير ، وقد يلزم بالقضاء كما حصل مع الشيخ علي

ابن محمد الراشد ، حينما ألزمه الإمام فيصل بن تركي بتولي قضاء عنيزة بعد رحيل قاضيها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بُطَيْنْ عام ١٢٧٠هـ[٦١] كما أن عزل القاضي يأتي من الإمام نفسه لأي سبب من الأسباب[٦٢].

وقد يوجد في البلد رجالٌ على درجة عالية من العلم الشرعي ومع ذالك يمتنعون عن تولي القضاء خوفاً على أنفسهم من الوقوع في أخطائه ، كما حصل ذالك للشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، الذي امتنع عن تولي القضاء في عنيزة ومع ذالك بقي عالمها وخطيب جامعها . بل عالم نجد في عصره[٦٣]. حتى وفاته عام ١٣٧٦هـ .

وكان يوجد بعنيزة قاضٍ واحد فقط . ثم تعدد القضاة فيها ــ كغيرها من المدن ــ في السنوات الأخيرة .

أما من تولى القضاء في عنيزة فيمكن تقسيمهم حسب عهودهم إلى مايلي :

١ ــ ماقبل العهد السعودي :

أي ماقبل ظهور الدولة السعودية الأولى ودخول عنيزة ــ وباقي القصيم تحت حكمها فقد ذكرت المصادر بعضاً منهم وهم :

(١) الشيخ عبدالله بن أحمد بن عُضَيب : تولى قضاء عنيزة من عام ١١١٠هـ ثم اعتزل في الضبط عام ١١٣١هـ وتوفي عام ١١٦٠هـ .

(٢) ثم خلفه الشيخ سليمان بن عبدالله بن زامل حتى اعتزل عام ١١٤٥هـ وتوفي عام ١١٦١هـ .

(٣) ثم خلفه الشيخ محمد بن ابراهيم أبا الخيل حتى وفاته عام ١١٧٠هـ بعد أن مكث في القضاء أكثر من عشرين عاماً .

(٤) ثم خلفه الشيخ عبدالله بن أحمد بن اسماعيل فترة من الزمن ثم اعتزل وتوفي عام ١١٩٦هـ .

(٥) ثم خلفه الشيخ محمد بن علي بن زامل المشهور بـ (أبو شامة) فترة من

الزمن ثم اعتزل وتوفي عام ١١٩٠هـ تقريباً .

(٦) ثم خلفه الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله الصائغ حتى وفاته عام ١١٨٤هـ[٦٤] .

ب ـ في عهد الدولة السعودية الأولى :

وهي الفترة التي امتدت من دخول عنيزة في حظيرة الدولة السعودية الأولى حتى سقوط الدرعية في يد ابراهيم باشا عام ١٢٣٤هـ . وقد تولى قضاء عنيزة في تلك الفترة مايلي :

(١) الشيخ عبدالله بن سُويلم[٦٥] من الدرعية واستمر فترة من الزمن .

(٢) ثم خلفه الشيخ غُنيم بن سيف ، من ثادق واستمر حتى توفي عام ١٢٢٥هـ .

(٣) ثم خلفه أخوه الشيخ عبدالله بن سيف[٦٦] من عام ١٢٢٥هـ حتى رحل عن عنيزة بعد حملة ابراهيم باشا على نجد .

جـ ـ في فترة الاضطراب :

وهي الفترة التي امتدت من سقوط الدرعية عام ١٢٣٤هـ حتى قيام الدولة السعودية الثانية ودخول عنيزة مع باقي القصيم في حكمها عام ١٢٤٠هـ ـ كما مر ـ وقد تولى القضاء خلال تلك الفترة مايلي : ـ

(١) الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبدالوهاب : وهو سبط الشيخ محمد بن عبدالوهاب . ويذكر محمد بن حُميد في كتابه « السحب الوابلة » أنه تولى قضاء عنيزة عام ١٢٣٤هـ واستمر فيها حتى انتقل قاضياً إلى (سوق الشيوخ) عند قبائل المنتفق في العراق ، حتى توفي عام ١٢٤٠هـ[٦٧] .

(٢) الشيخ عبدالله بن فائز أبا الخيل : تولى القضاء في تلك الفترة أيضاً حتى عزله الإمام تركي بن عبدالله عام ١٢٤٣هـ[٦٨] .

د ـ في عهد الدولة السعودية الثانية :

وتمتد من عام ١٢٤٠هـ حتى عام ١٣٠٩هـ باستئثار محمد بن عبدالله بن رشيد بحكم نجد . وقد تولى قضاء عنيزة في تلك الفترة القضاة :

(١) الشيخ عبدالرحمن بن محمد القاضي : من عام ١٢٤٣هـ إلى عام ١٢٤٨هـ .
(٢) ثم خلفه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين حتى عام ١٢٧٠هـ .
(٣) ثم خلفه الشيخ محمد بن إبراهيم السناني لمدة ستة أشهر فقط .
(٤) ثم خلفه الشيخ علي بن محمد الراشد إلى وفاته عام ١٣٠٣هـ .
(٥) ثم خلفه الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مانع إلى وفاته عام ١٣٠٧هـ فخلفه الشيخ عبدالله بن عائض .

هـ ـ في فترة حكم آل رشيد نجدا :

من عام ١٣٠٩هـ حتى عام ١٣٢٢هـ وهي سنة دخول الملك عبدالعزيز عنيزة . وقد تولى قضاء عنيزة في تلك الفترة :

(١) الشيخ عبدالله بن عائض حتى عام ١٣١٨هـ .
(٢) فخلفه الشيخ صالح بن قِرناس ـ مع قضاء الرس ـ لمدة ثمانية شهور[٦٩] .
(٣) فخلفه الشيخ ابراهيم بن حمد الجاسر من بريدة إلى عام ١٣٢٣هـ بعد أن مكث خمس سنوات تقريباً .

و ـ في عهد الدولة السعودية الثالثة (المملكة العربية السعودية) :

وتمتد منذ دخول الملك عبدالعزيز عنيزة ـ ومعه آل سُليم ـ في محرم ١٣٢٢هـ (سنة السطوة) حتى وقتنا الحاضر . وقد تولى قضاء عنيزة خلال تلك الفترة مايلي : ـ

(١) الشيخ صالح بن عثمان القاضي : من عام ١٣٢٤هـ حتى وفاته عام ١٣٥١هـ[٧٠] .

(٢) فخلفه الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع حتى وفاته عام ١٣٦٠هـ .

(٣) فخلفه الشيخ محمد بن عبدالله الحسين أبا الخيل من بريدة مدة تسعة شهور .

(٤) فخلفه الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عَوْدَان من شقراء من عام ١٣٦١هـ حتى عام ١٣٦٩هـ .

(٥) فخلفه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عَقِيل من عام ١٣٧٠هـ إلى عام ١٣٧٥هـ .

(٦) فخلفه الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوّع من عام ١٣٧٥هـ إلى عام ١٣٧٨هـ .

(٧) فخلفه الشيخ سليمان بن عُبيد من عام ١٣٧٩هـ إلى عام ١٣٨٣هـ .

(٨) فخلفه الشيخ محمد بن صالح الخُزَيِّم حتى أواخر عام ١٣٨٤هـ .

(٩) فخلفه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عَبّدان لفترة طويلة زادت عن خمسة عشر عاماً(٧١).

(١٠) ثم صار لعنيزة عدة قضاة كما هو الحال في وقتنا الحاضر .

والله المستعان

كلية العلوم الاجتماعية بالقصيم :   الدكتور محمد بن عبدالله السلمان

(الحواشي) :

(١) الأزهري، «تهذيب اللغة» : ٢/١٤٠

(٢) ياقوت الحموي، «معجم البلدان»: ٤/١٦٣

(٣) «عنيزة بين الماضي والحاضر والمستقبل»: ص ٢١ . .

(٤) محمد العبودي « بلاد القصيم » ٤/١٦٦٥ .

(٥) محمد الفاخري، «الأخبار النجدية»، دراسة وتحقيق د. عبدالله الشبل ص ٢٠ و٢١

(٦) عبدالعزيز الخويطر، «عثمان بن بشر منهجه ومصادره»: ص ٥ و٦

(٧) العبودي، المرجع السابق: ١/٥٢

(٨) عبدالله العبدالرحمن البسام، «علماء نجد»: ٩/١
(٩) Doughty, Travels in Arabia Deserta, P 420
(١٠) ياقوت الحموي «معجم البلدان»: ١٦٣/٤ و ١٦٤
(١١) ديوان بشر الأسدي تحقيق د. عزت حسن ص ٣٩٦ والكلمات التي تحتها خط مواضع قريبة من عنيزة.
(١٢) انظر البكري، «معجم ما استعجم» ص ٣٢٧ وديوان امرئ القيس ص ٦٦ و ١٢٢ ـ والحموي ١٦٣/٤
(١٣) ديوان كعب بن زهير ص ١٠١ و ١٠٢ عن العبودي، المرجع السابق ١٦٦١/٤
(١٤) ابراهيم الحربي، كتاب «المناسك» ص ٥٩٠
(١٥) أبو علي القالي، «الأمالي» ١٣٨/٣ والعبودي ١٦٦١/٤
(١٦) العبودي، المرجع السابق ١٦٦٣/٤
(١٧) ديوان جرير ص ٣٤٢، عن العبودي ١٦٦٨/٤
(١٨) الطبري، «تاريخ الأمم والملوك» ١٣٩/٣ ومقبل الذكير، «معجم البلاد السعودية» (مخطوط) ورقة ١ بينما ـ يذكر عبدالرحمن الشريف في كتابه منطقة عنيزة ص ٢٧١ أن المنطقة كانت يسكنها بنو أسد في الجاهلية وبنو تميم في الإسلام. ولم يذكر لقوله مصدراً !!
(١٩) العبودي، المرجع السابق ٩٠/١ و ٣٢٣
(٢٠) البكري، المصدر السابق ص ٣٢٧
(٢١) الحربي، «المناسك» ص ٥٨٨ و ٥٨٩ وتوجد قرب عنيزة بئر تسمى بئر زبيدة نسبته إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد على بعد ١٠ أكيال شمال عنيزة. وقد تم تسويرها من إدارة الآثار لحين اجراء حفريات فيها، أنظر «عنيزة الماضي والحاضر والمستقبل» ص ٢٢
(٢٢) مقبل الذكير، المعجم ورقة ١٢١، ١٢٢ وسميت البئر بـ (أم القبور) لكثرة قبور الحجاج فيها ولا تزال تزرع حتى الآن. انظر عنيزة ص ٢٢
(٢٣) تقرير د كسيادس عن مدينة عنيزة رقم ٥ وعبدالرحمن الواصل، منطقة عنيزة ص ١٩٩
(٢٤) ابراهيم بن ضويان، «نبذة تاريخية مختصرة» (مخطوط) ورقة ٢٥
(٢٥) مقبل الذكير، المعجم (مخطوط) ورقة ١٢٠، ومحمد بن مانع، «امراء وقضاة عنيزة» ضمن «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» لابن عيسى ص ٢٣٢
(٢٦) مقبل الذكير، المرجع السابق ورقة ١٢١ وابراهيم بن ضويان المرجع السابق ورقة ٢٥
(٢٧) محمد بن ربيعة، تاريخه (مخطوط) ورقة ٤ وفي تاريخ أحمد بن منقور يذكر عنيزة وليس العقيلية ورقة ٣
(٢٨) مقبل الذكير المرجع السابق ورقة ١٢١ وقد استمر الجناح على ذالك حتى هدمه عبدالله بن رشيد عام ١٢٠١هـ وأدخله في عنيزة كما سيأتي ويبدو أنه بعد ذالك صار لعنيزة سور عام لكل حاراتها وكان له دور كبير في حروبها وخاصة حرب عنيزة الأول عام ١٢٧٠هـ والثاني عام ١٢٧٩هـ وكان شاملاً لمزارع البلد مما يجعلها مكتفية ذاتياً في حالة حصارها كما حصل في الحربين المذكورتين.
(٢٩) ابن عيسى، «تاريخ بعض الحوادث»: ص ١٠٦ ومحمد بن مانع، المرجع السابق ص ٢٣٣
(٣٠) عبدالله البسام، «تحفة المشتاق» (مخطوط) ورقة ٨٣ ومقبل الذكير، تاريخه (مخطوط) ورقة ٣١
(٣١) عبدالله الشبل: «التاريخ السياسي لعنيزة» مجلة معهد عنيزة العلمي العدد الخامس ص ٢
(٣٢) أنظر عبدالله البسام، «علماء نجد»: ٢٥٦/١
(٣٣) عثمان بن بشر، «عنوان المجد»: ٢٤/١ و ٢٥ وانظر عبدالله العثيمين، «تاريخ المملكة العربية السعودية»: ص ٥
(٣٤) أنظر عبدالرحمن بن قاسم، «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»: ١٤/١ ـ ١٧ وابن غنام، «تاريخ نجد»: ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ وللتوسع في معرفة مبادئ دعوة الشيخ يمكن الرجوع إلى كتاب دعوة الشيخ محمد بن

عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي لكاتب هذه السطور ص ٣٣ ـ ٧٢ .

(٣٥) انظر ابن بشر ٦٧/١ وابن عيسى ص ١١٣ ومابعدها .

(٣٦) لمعرفة تفاصيل دخول منطقة القصيم في عهد الدولة السعودية الأولى يمكن الرجوع إلى بحث لكاتب هذه السطور بعنوان: (القصيم في عهد الدولة السعودية الأولى): مجلة «العرب» س ٢٢ رجب ١٤٠٧هـ ص ٣٥

(٣٧) غزا ثويني بن عبدالله القصيم في محرم ١٢٠١هـ واستولى على التنومة ـ شمال بريدة ـ وحاصر بريدة فترة ثم فك عنها الحصار وعاد فاشلاً إلى بلده ، أنظر ابن غنام ، المصدر السابق ص ١٦٤ وابن عيسى ص ١٢٢ .

(٣٨) أنظر تفاصيل ذالك في البحث السابق عن القصيم لكاتب هذه السطور في مجلة «العرب» رجب ١٤٠٧هـ ص ٤٠

(٣٩) ابن بشر، المصدر السابق ٢٥٨/١ . ومحمد العبودي، مدينة عنيزة . مجلة «العرب» السنة ١٥ ص ٣٧٨

(٤٠) عبدالله البسام، «علماء نجد» ٧٥٤/١

(٤١) محمد بن مانع، «نبذة عن امراء وقضاة عنيزة ضمن تاريخ بعض الحوادث» لابن عيسى ص ٢٣٦ .

(٤٢) عبدالله البسام، «تحفة المشتاق» (مخطوط) ورقة ١٢١ وابن عيسى ص ١٥٣ ومحمد القاضي «روضة الناظرين» ٨/١

(٤٣) ابن بشر ، المصدر السابق ٢٤/٢

(٤٤) يعرف بـ (يحيى السليم) وسُليم تصغير ترخيم لـ (سليمان) من آل زهري بن جراح من سبيع وهو أول امراء عنيزة من أسرة السليم ويخطىء واينder Winder في كتابه P 509 (Saudi Arabia) فيجعله الأمير رقم (٥) من أسرة السليم . وانظر شجرة أسرة الزامل في لوريمر، «دليل الخليج» القسم التاريخي وقارنها بشجرة نسب آل زامل وضع عبدالعزيز الزامل .

(٤٥) أنظر عبدالرحمن الزامل، أمراء عنيزة ضمن «بلاد القصيم» للعبودي ١٦٥١/٤ ومحمد القاضي، «روضة الناظرين» ٨/١ اللذين يجعلان محمد بن حسن الجمل تولى بعد محمد بن ناهض مع أن الجمل قتل عام ١٢٣٦هـ كما ذكر ذالك ابن بشر ٣٠١/١ وابن عيسى ١٥٠ وعبدالله البسام، «تحفة المشتاق» ورقة ١١٨ . وقد سبق ذكر ذالك .

(٤٦) لمعرفة تفاصيل موقعتي بقعاً والغريس بأسبابها ووقائعها ونتائجها يمكن الرجوع إلى كتاب «الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية» لكاتب هذه السطور ص ١٢٢ و ١٥٥ .

(٤٧) ابن بشر ١٥٢/٢ و ١٥٧ . وأنظر محمد بن عبدالله السلمان، «الأحوال السياسية في القصيم» ص ١٧٧ .

(٤٨) ابن عيسى ، المصدر السابق ص ١٧٣

(٤٩) ابن عيسى ، «عقد الدرر» ضمن ابن بشر ص ٢٢ ، ٢٣

(٥٠) أنظر تفصيل موقعة اليتيمة بأسبابها ووقائعها ونتائجها في محمد السلمان المرجع السابق ص ١٨٠ وكذالك حربي عنيزة الأول والثاني ص ١٨٧ و ١٩٩ وموقعه المليدا ص ٢٥٣

(٥١) ابن عيسى ، عقد الدرر ص ٦٢

(٥٢) عبدالرحمن الزامل ، المرجع السابق ١٦٥٢/٤ ومحمد القاضي ، المرجع السابق ٨/١

(٥٣) أنظر تفصيلها في محمد السلمان، «الأحوال السياسية في القصيم» ص ٢٨٨

(٥٤) ابراهيم القاضي ، تاريخه (مخطوط) ورقة ١٤ وعبدالرحمن الزامل ، المرجع السابق ١٦٥٢/٤

(٥٥) فؤاد حمزه ، «قلب جزيرة العرب» ص ٧٤ و ٧٥ وفي تلك الفترة تذكر بعض الروايات والمراجع أن سور عنيزة قد جدد بناؤه عام ١٣٢٢هـ ولازالت بعض آثاره موجودة حتى الآن . أنظر عبدالرحمن الشريف ، «منطقة عنيزة» ص ٢٠٢

(٥٦) عبدالرحمن الواصل ، المرجع السابق ص ١٢ . ويتبع عنيزة حالياً ست إمارات تابعة هي : البدايع ، العوشزية ، الروغاني ، وادي أبو علي ، وادي الجناح، الأبرق .

(٥٧) عبدالعزيز القاضي ، «العنيزية» ص ٣١

(٥٨) عبدالرحمن الزامل ، المرجع السابق ١٦٥٢/٤ ومحمد بن مانع ، المرجع السابق ص ٢٣٨ وعبدالله البسام «علماء نجد» ٣٠٠/١

(٥٩) من إمارة عنيزة ـ مكتب الأمير .

(٦٠) منصور الرشيد ، قضاة نجد أثناء العهد السعودي مجلة «الدارة» السنة الرابعة العدد الثاني ص ٢٧ و ٢٨

(٦١) عبدالله البسام، «علماء نجد» ٧٢٩/٢

(٦٢) محمد السلمان، «الأحوال السياسية في القصيم» ص ٢٩٨

(٦٣) محمد القاضي، «روضة الناظرين» ٢٢٧/١ وعبدالرحمن آل الشيخ ، «مشاهير علماء نجد» وغيرهم ص ٢٥٧ .

(٦٤) أنظر عبدالله البسام ٣٠٠/١ و٧٧٢/٣ و٥٠٧/٢ و٥٦٥ ومحمد القاضي ١٦٦/٢.

(٦٥) محمد بن مانع المرجع السابق ص ٢٤٠ بينما يذكر ابن بشر ١٧٧/١ أن اسمه عبدالعزيز بن سويلم وأنه كان قاضياً على القصيم.

(٦٦) ابن بشر، «عنوان المجد» ٢٣٨/١ ويذكر أنه (قاضي على بريدة وماحولها من ناحية القصيم) وانظر عبدالله البسام ٥٥٢/٢ .

(٦٧) محمد بن حُميد، «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» (مخطوط) ورقة ١٥٩ بخط حفيده عبدالله بن علي بن حُميد، وفي مخطوطة (خدا بخش) بالهند ورقة ١٧٣

(٦٨) محمد القاضي ٣٢٨/١

(٦٩) ابراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن ، تذكرة أولي النهى والعرفان ٣٤٥/١

(٧٠) محمد القاضي ١٥٢/١ .

(٧١) محمد العبودي ، بلاد القصيم ١٦٥٧/٤ .

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر والمراجع غير المنشورة :

أ ـ المخطوطات :

١ ـ البسام ، عبدالله المحمد : تحفة المشتاق من أخبار نجد والحجاز والعراق . بخط نورالدين شربيه من خط المؤلف .

٢ ـ ابن حميد ، محمد بن عبدالله : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ، مخطوطة ، بخط حفيد المؤلف الشيخ عبدالله بن علي الحميد ونسخة أخرى من مكتبة خدا بخش بالهند .

٣ ـ الذكير ، مقبل : تاريخ نجد مخطوط في مكتبة الدراسات العليا بكلية الأداب ، جامعة بغداد بخط المؤلف رقم ٥٦٩ .

٤ ـ معجم للبلاد السعودية بخط المؤلف (مقبل الذكير) ولم يجعل له اسم .

٥ ـ ابن ربيعة ، محمد : تاريخ ابن ربيعة ، ملحق بمخطوط عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر (الجزء الأول) في قرابة ٩ ورقات بخط الجد عبدالله العبدالرحمن السلمان .

٦ ـ ابن ضويان ، ابراهيم : رسالة مختصرة في التاريخ في ٢٢ ورقة بخط منصور الرشيد .

٧ ـ القاضي ، ابراهيم المحمد : تاريخ ابراهيم القاضي مخطوط بخط المؤلف .

٨ ـ ابن منقور ، أحمد بن محمد : تاريخ ابن منقور . مخطوط ملحق بعنوان المجد لابن بشر بخط الجد عبدالله السليمان .

ب ـ رسائل جامعية :

٩ ـ الواصل ، عبدالرحمن بن عبدالله : منطقة عنيزة ، دراسة في العمران الريفي رسالة ماجستير لم تنشر من قسم الجغرافيا بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٧هـ .

ثانيا : المصادر والمراجع المنشورة :

أ ـ المصادر والمراجع العربية :

١ ـ الأزهري ، أبو منصور: تهذيب اللغة (محقق) نشر دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م

٢ ـ الأصبهاني ، الحسن بن عبدالله : بلاد العرب تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي ـ نشر دار اليمامة بالرياض ـ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

٣ ـ البسام ، عبدالله بن عبدالرحمن : علماء نجد خلال ستة قرون . الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .

٤ ـ ابن بشر ، عثمان : عنوان المجد في تاريخ نجد تعليق عبدالرحمن آل الشيخ طبع وزارة المعارف السعودية ـ الطبعة الثانية ١٣٩١هـ

٥ ـ البكري ، أبو عبيد : معجم ماإستعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفى السقا ـ القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م .

٦ ـ الحربي ، أبو إسحاق ابراهيم : كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة . تحقيق حمد الجاسر نشر دار اليمامة بالرياض . الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

٧ ـ حمزة ، فؤاد : قلب جزيرة العرب . الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ـ الرياض .

٨ ـ الحموي ، ياقوت : معجم البلدان : دار صادر ـ بيروت . بدون تاريخ . المجلد الرابع .

٩ ـ الخويطر ، عبدالعزيز بن عبدالله (الدكتور): عثمان بن بشر منهجه ومصادره ـ الرياض . الطبعة الأولى .

١٠ ـ ابن ربيعة ، محمد : تاريخ ابن ربيعة . تحقيق الدكتور عبدالله الشبل . نشر النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٦/١٩٨٦م .

١١ ـ السليم ، عبدالرحمن بن عبدالعزيز : نبذة مختصرة عن تاريخ أمراء عنيزة ضمن بلاد القصيم لمحمد العبودي جـ ٤ ص ١٦٥٠ ـ ١٦٥٢ .

١٢ ـ السلمان ، محمد بن عبدالله (الدكتور): الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية ١٢٣٨ ـ ١٣٠٩ / ١٨٢٣ ـ ١٨٩١ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٣ ـ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي الرياض ١٤٠٧ / ١٩٨٧م .

١٤ ـ الشريف ، عبدالرحمن صادق : منطقة عنيزة . دراسة اقليمية ـ مصر ١٩٦٩م .

١٥ ـ آل الشيخ ، عبدالرحمن بن عبداللطيف : مشاهير علماء نجد وغيرهم . الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ .

١٦ ـ الطبري ، ابن جرير : تاريخ الأمم والملوك . الطبعة الثانية ـ بيروت .

١٧ ـ العبودي ، محمد بن ناصر : معجم البلاد العربية السعودية ـ بلاد (القصيم) ـ ستة مجلدات نشر دار اليمامة الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .

١٨ ـ آل عبدالمحسن ، ابراهيم بن عبيد : تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان . الطبعة الأولى بالرياض (بدون تاريخ) الجزء الأول .

١٩ ـ العثيمين ، عبدالله الصالح (الدكتور): تاريخ المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ نشر دار العلوم بالرياض .

٢٠ ـ ابن عيسى ، ابراهيم بن صالح : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ـ نشر دار اليمامة بالرياض الطبعة الأولى .
٢١ ـ كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ـ ملحقاً بعنوان المجد لابن بشر ـ طبع وزارة المعارف . تعليق عبدالرحمن آل الشيخ الطبعة الثانية ١٣٩١هـ .
٢٢ ـ ابن غنام ، حسين : روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الإسلام طبع أبا بطين .
٢٣ ـ وتاريخ نجد تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد الطبعة الأولى عام ١٣٨١هـ .
٢٤ ـ الفاخري ، محمد بن عمر : الأخبار النجدية . دراسة وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله الشبل نشر جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض (بدون تاريخ).
٢٥ ـ ابن قاسم ، عبدالرحمن : الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع عبدالرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ .
٢٦ ـ القاضي ، عبدالعزيز المحمد : العنيزية ، قصيدة تضم مختصر تاريخ عنيزة منذ تأسيسها حتى وقتنا الحاضر ـ مطبعة الصباح بغداد ١٣٦٧هـ .
٢٧ ـ القاضي ، محمد بن عثمان بن صالح : روضة الناظرين من مآثر علماء نجد وحوادث السنين ـ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ جزءان .
٢٨ ـ القالي ، أبو علي : الأمالي الطبعة الثالثة بتحقيق محمد جواد الأصمعي ـ القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .
٢٩ ـ لوريمر ج.ج : دليل الخليج : القسم التاريخي (سبعة أجزاء) طبع امارة قطر .
٣٠ ـ بن مانع ، محمد بن عبدالعزيز: نبذة في امراء عنيزة وقضاتها ضمن كتاب تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد لابراهيم بن عيسى ـ نشر دار اليمامة ص ٢٣٣ ـ ٢٤٤ .
٣١ ـ نشرة عن عنيزة في الماضي والحاضر والمستقبل ـ وضع ادارة لجنة تجميل مدينة عنيزة عام ١٤٠٦هـ .
٣٢ ـ شجرة نسب آل زامل . وضع عبدالعزيز بن زامل السليم عام ١٤٠٠هـ .
٣٣ ـ تقرير دكسيادس عن عنيزة ـ المنطقة الوسطى رقم ٥ وزارة البلديات عام ١٩٧٤م .

ب ـ الدوريات :

٣٤ ـ الرشيد ، منصور : قضاة نجد أثناء العهد السعودي ـ مجلة دارة الملك عبدالعزيز السنة الرابعة ـ العدد الثاني عام ١٣٩٨هـ .
٣٥ ـ السلمان ، محمد بن عبدالله (الدكتور) : القصيم في عهد الدولة السعودية الأولى . مجلة العرب السنة ٢٢ رجب وشعبان ١٤٠٧هـ .
٣٦ ـ الشبل ، عبدالله بن يوسف (الدكتور): امراء عنيزة . مجلة معهد عنيزة العلمي . العدد الخامس ١٣٨٥هـ .
٣٧ ـ العبودي ، محمد: مدينة عنيزة . مجلة العرب جـ ٥ و ٦ ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٠هـ السنة الخامسة عشر .

جـ ـ المراجع الأجنبية :

٣٨ ـ Doughty (Charles)». - Travels in Arabia Deserta London 1936.
٣٩ ـ Winder (R. Boyly). - Saudi Arabia in the Nineteenth century New York 1965.

حول ضرائر النثر في النحو العربي(*) :

- ٢ -

قضايا نحوية حول التناسب في الفاصلة القرآنية

« القرآنُ الكريمُ » كتابُ العربية الأول ، شَغَلَ من الدراسة قديماً وحديثاً ما لم يَشْغَلْهُ كتابٌ ؛ وذالك لأنه بلغَ الذروةَ في الفصاحةِ والبلاغة ، فعبارتُهُ أبلغُ العباراتِ وأعذبُها ، وأسلوبُه أرقىٰ الأساليب وأروعها ، وألفاظُه أفصحُ ألفاظ اللغة العربية وأنصعُها . ولغتُه هي – كما قال « الراغِبُ » :

(لُبُّ كلام العرب وزُبْدَتُهُ ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء الحكماء وحِكَمهم ، وإليها مفزعُ حذَّاقِ الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وعدا الألفاظَ المتفرِّعات عنها ، والمشتقَّات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنَّوَىٰ بالإضافةِ إلى أطايب الثَّمَرَةِ ، وكالحُثَالة والتبنِ بالإضافة إلى لبوب الحنطة[١]) .

ولغةُ « القرآن الكريم » لغةٌ فريدة ، حارَتْ في جمالها العقولُ ، وافتتنتْ من روعتها الأفئدة .

وهو :

كَالبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التفتَّ رَأَيْتَـهُ   يُهْدِي إلىٰ عَيْنَيْكَ نُـوراً ثَاقِبـاً
كالشَّمْسِ في كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا   يَغْشَىٰ البِلَادَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبـاً[٢]

لكن محاسنُ أنوارِه لا يَثْقَفُهَا إلاَّ البصائرُ الجليةُ ، وأطايبُ ثمره لا تقطفها إلاَّ الأيدي الزكية ، ومنافع شِفائِهِ لا ينالُها ألا النفوس النقية ، كما صَرَّحَ – تعالىٰ – به فقال في وصف متناوليه : ﴿ إنه لقرآنٌ كريمٌ . في كتابٍ مكنونٍ . لا يَمَسُّهُ إلاَّ المُطَهَّرونَ ﴾ (الواقعة : ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) .

وقال في وصف سامعيه : ﴿ قُلْ هُوَ لِلّذينَ آمَنُوا هُدًى وشِفَاءٌ والذينَ لا يُؤْمِنُونَ في آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾(فصلت : ٤٤)[٣] .

و « القرآنُ الكريمُ » نزل بلغةِ العربِ ولسانهم ، وعلى نَهْجِ كلامهم ، وجنس ألفاظهم ، ويؤكد لنا هذا قولُه تعالىٰ : ﴿ وهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النّحل : ١٠٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف : ٢) .

وقوله : ﴿ وكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فيهِ مِنَ الوَعِيد ﴾ (طه : ١١٣) .

وقـوله : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت : ٣) .

وقوله : ﴿ وكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ (الشورى : ٧) .

وبالرغم من كل ذالك فقد أعجزهم ، وحاروا في أمره ، لا يَرَوْنَ في آدابهم له نظيراً ، ولا يرون في أنفسهم قدرةً على معارضته ، وذالك لسمّو أسلوبه ، وجمالِ نسجه ، وما اشتملَ عليه من تشريع وإخبار بالغيب ، وقصص للأنبياء .

ففصحاء العرب وبلغاؤهم الذين يتسابقون في حسن القول وإجادته قد أحسُّوا منذ الوهلة الأولىٰ أن أدب « القرآن الكريم » أرقىٰ وأسمىٰ من آدابهم ، وأنْ لا سبيل إلى محاكاته ، على الرغم من تألُّف آياته من الألفاظ نفسها التي أَلِفُوهَا وعَهِدُوهَا والحروف نفسها التي تركبت منها كلماتُهم[٤] ، وهنا يكمن سرُّ الاعجازِ ، فكلامُ الله هو كلامُ الله ، وكلامُ الخَلْق هو كلامُ الخَلْقِ .

قال تعالىٰ : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور : ٣٤) .

وهذا خيرٌ من وصفه بأنه كلامٌ خارج عن كُلِّ مناهجِ الكلام والأدب عند العرب[٥] وإنَّني أريد أن أجلي قضيةً خطيرة وظاهرةً بارزةً من ظواهر « القرآن الكريم » الكثيرة ، وأكشفَ عن حقيقتها ، وهذه الظاهرة تدور حول :

« الإيقــــــاع » :

لأن النظمَ القرآنيَّ نظمٌ يبدو فيه الجمالُ الحسيُّ ، وحلاوةُ النغمةِ ، ونسقُ الإيقاعِ ، وائتِلافُ الجَرْسِ ، مع مواكبة ما اقتضته المعاني ، على نَحْوٍ تتقاصر

دونه طاقة البلغاء .

و « الإيقاع » أو « نسق الكلام » يحصل به « التناسبُ » في مقاطع الفواصل ، ومبنى الفواصل على « الوقفِ » .

و « التجانُسُ الصوتيُّ » أو « الانسجامُ الصوتيُّ » ظاهرةٌ بارزة في اللغة العربية تُحْدِثُهَا « الإمالةُ » إلى مافيها من خفة ومشاكلة ، وتناسبٍ ، و « التناسُب » مقصودٌ في كلام العرب .

وأقدِّم بين يدي « التناسب في الفاصلة القرآنية » الكلامَ على « السجع » .

و « الفاصـلة » في « القرآن الكريم » ، وأديرُ الحديثَ تجاه « الإمالة » و « الوقف » ، مع التماس نماذج في قراءات القرَّاء .

و « المناسبةُ » أمرٌ مطلوب في « العربية » يُرتَكَبُ لها أمورٌ من مخالفة الأصول .

وسأجول جولةً في كُتُبِ « تفسير القرآن الكريم ، وعلومه » ، ذاكراً الأحكامَ التي وقعت آخر الآي ، مراعاة لـ « المناسبة » ، موضحاً ذلك بالآيات البينات ، والشواهد القاطعات ، عَلَّهَا تضيء مداخِلَ ما قصدت إليه ، وألمعت عليه .

« السجعُ » و « القرآن الكريم » :

تَفَرَّدَ « القرآنُ الكريم » بِخُلُوِّه من الشعر الموزون خلوّاً تاماً ، ومن السجع المتكلّف والابتذال[٦] .

قال « الخليل » في « العين » (سجع ١ : ٢٤٤) : (سجع الرجلُ : إذا نَطَقَ بكلامٍ له فواصِلُ كقوافي الشِّعْرِ من غير وَزْنٍ) .

والسجع « عظيم الاستعمال في ألسنة البلغاء ؛ لأنه حلية يزدان بها النثر ، وهو مقبول مادام يجري في حدود الاعتدال والقصد .

أما وجودُه في كلام الله ــ تعالى ــ فقد انقسم العلماء في ذلك إلى قسمين[٧] :

ــ قسم تَهَيَّبَ من القول بوجوده في «القرآن الكريم » .

ــ وقسم صَرَّحَ بوجوده فيه .

قال « حازم »[٨] : (كيف يُعابُ « السجع » على الإطلاق . وإنما نزل « القرآنُ » على أساليبِ الفصحاء من كلام العرب ، فوردت « الفواصلُ » فيه بإزاء الأسجاع في كلام العرب ، وإنما لم يجئ على أسلوبٍ واحدٍ ، لأنه لا يحسُن في الكلام جميعاً أن يكون مستمراً على نَمَطٍ واحدٍ ، لما فيه من التكَلُّف ، ولما في الطبع من المَلَلِ عليه ، ولأن الافتنان في ضروبِ الفصاحة أعلىٰ من الاستمرار على ضربٍ واحدٍ ، ولهذا وردتْ بعضُ آي القرآن متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثل[٩]) .

وأفاد «الشهابُ الخفاجي[١٠] » بأن « السجع » ليس كـ « الشعر » ، ففي « الشعر » التزامُ التقفية ، وهي تنافي جزالة المعنىٰ وبلاغته ؛ لاستتباعه للحشو المخلّ . . .

ثم قال : والحق أن « السجع » موجود في « القرآن الكريم » من غير التزامٍ له في الأكثر ، وكأنَّ مَنْ نَفَاهُ نَفَى التزامه ، أو أكثريته ، ومَنْ أثبته أراد وروده فيه في الجملة . فاحْفَظْهُ ولا تَلْتَفِتْ إلىٰ ماسواه ، وهذا مما ينفعك . والذي جرىٰ عليه العلماءُ المحققون من المفسرين والنحاة أن تطلق « الفواصل » عليه دون « السجع[١١] » .

وقال « السيوطيُّ » : («الفواصلُ » أواخرُ الآي ، وهي جمع « فاصلة » ، وتسمى في غير « القرآن » : « السجع » ، ولا يطلق على « القرآن » تأدُّباً[١٢]) .

قال « الزركشيُ[١٣] » : (وتقع « الفاصلة » عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام . وتسمىً « فواصل » ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فَصَلَ بينها وبين مابعدها ، ولم يسموها أسجاعاً .

فأما مناسبةُ « فواصل » فلقوله ــ تعالىٰ : ﴿ كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُه ﴾ (فصلت : ٣) . وأما تجنُّب أسجاع فلأن أصلَه من « سَجَعَ الطيرُ» فَشُرِّفَ « القرآن الكريم » أن يستعار لشيءٍ فيه لفظٌ هو أصلٌ في صوت الطائر ؛ ولأن « القرآن »

من صفاتِ الله ــ عز وجل ــ ، فلا يجوزُ وصفهُ بصفةٍ لم يَرِد الإذنُ بها ، وإنْ صحَّ المعنىٰ .

ثم فَرَّقُوا بينها فقالوا : « السَّجْع » هو الذي يُقْصَدُ في نفسه ، ثم يحيل المعنىٰ عليه . و « الفواصل » التي تَتْبَعَ المعاني ، ولا تكون مقصودةً في نفسها[١٤] .

ثم قال : ويمتنع استعمال « القافية » في كلام الله ــ تعالى ــ ؛ لأنَّ الشرع لما سَلَبَ عنه اسمَ « الشعر » وَجَبَ سلبُ « القافية » أيضاً عنه . ولا تطلق « الفاصلة » في « الشعر » ؛ لأنها صفة لكتاب الله ، فلا تتعداه[١٥] .

الفاصلة القرآنية :

ــ لمادة « فصل » في اللغة معانٍ : الفصلُ : بَوْنُ مابين الشيئَيْن ، ومن الجسد موضعُ المَفْصِل ، والحاجز بين الشيئَيْن .

والفاصِلة : الخرزة التي تفصِل بين الخرزتَيْنِ في النِّظام ، وقدفَصَّلَ النَّظْمَ ، وعِقْدٌ مفصَّل ، أي : جَعَلَ بين كل لؤلؤتين خرزة . والتفصيلُ : التبيين .

وقوله ــ عز وجل ــ : ﴿ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ ﴾ (الأعراف : ٥٢) له معنيان :

أحدهما : تفصيل آياته بالفواصل . والثاني : بَيَّنَّاه .

وقوله ــ عز وجل ــ : ﴿ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ ﴾ (الأعراف : ١٣٢) بَيْنَ كُلِّ آيتين فَصْل ، تمضي هذه وتأتي هذه ، بين كل آيتين مهلة .

وقيل : مفصَّلات : مُبَيَّنَات[١٦] .

وقال « الداني[١٧] » (« الفاصلة » كلمة آخر الجملة) .

والملاحظ أن في الآيتين الكريمَتَيْنِ السابقتين إيحاءً باسم « الفاصلة » .

ــ وفي العرف : « الفواصل » : حروف مُتَشَاكِلَةٌ في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ، أو يقع بها إفهام المعاني .

قال « ابنُ منظور[١٨] » : أواخر الآيات في كتاب الله « فواصل » بمنزلة « قوافي الشعر » ــ جَلَّ كتابُ الله عزَّ وجل . واحدتها : « فاصلة » .

قال « الزركشيُّ » : « الفاصلة » هي كلمة آخر الآية ، كـ « قافية الشعر » ، وقرينة « السجع[19] » .

ــ ولقد وردت على هذه التعريفات استدراكاتٌ واعتراضاتٌ ، ولا أُراني مضطراً لذكرها ، فأنا أراها تعاريف يُكَمِّلُ بعضُها بعضاً .

ــ وقال « الجاحظ[20] » : سمىَّ الله كتابَهُ اسماً مخالفاً لما سمَّى العرب كلامَهم على الجملة والتفصيل ، سمَّىٰ جملتَهُ « قرآنا » ، كما سَمُّوا « ديواناً » ، وبعضَه سورةً ، كـ « قصيدةٍ » ، وبعضها « آية » ، كـ « البيتِ » ، وآخرَها « فاصلةً » كـ « قافيةٍ[21] » .

وفرق « الداني » بين « الفواصل » ورؤوس الآي فقال : « الفاصلة » هي الكلام المنفصل عما بعده ، والكلامُ المنفصل قد يكون رأسَ آية ، وغيرَ رأس آية ، وكذلك « الفواصل » يكنَّ رؤوس آيٍ غيرها ، وكل رأس آية « فاصلة » ، وليس كلُّ فاصلة رأسَ آية[22] .

وأشار « سيبويه » لـ « الفاصلة القرآنية » في « الكتاب » (٤ : ١٨٤) بقوله : (وجميع مالا يحذف في الكلام وما يُختار فيه أن لا يُحْذَفَ يُحْذَفُ في الفواصل والقوافي .

فـ « الفواصل » ــ قولُ الله ــ عز وجل ــ : ﴿ والليلِ إذا يَسْرْ ﴾ (الفجر : ٤) . و ﴿ ما كُنَّا نَبْغِ ﴾ (الكهف : ٦٤) ، و ﴿ يَوْم التناد ﴾ (غافر : ٣٢) ، و ﴿ الكبيرُ المتعالِ ﴾ (الرعد : ٩) .

والأسماءُ أجدرُ أن تُحْذَفَ ، إذ كان الحذفُ فيها في غير الفواصل والقوافي .

وأما القوافي فنحو قوله : وهو « زهير » :

وأراكَ تَفْـرِي ماخَلَقْتَ ، وبَعْـــ ـــضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْرْ[23]

وإثبات الياءات والواوات أقيسُ الكلامين ، وهذا جائز عربيٌّ كثير) .

وفي « الكتاب » (٤ : ١٨٥ ــ ١٨٦) : (هذا باب ما يحذف من الياءات

في الوقف التي لا تذهب في الوصل ولا يلحقها تنوين .

وذالك قولك : « هذا غلامْ » وأنت تريد : هذا غلامي . وقد أسقان ، وأسْقِنْ ، وأنت تريد : أسْقاني ، وأسْقِني ، لأن « ني » اسمٌ .

وقد قرأ « أبو عمرو » : ﴿ فيقولُ ربيِّ أكْرَمَنْ ﴾ (الفجر : ١٥) ، و﴿ رَبيِّ أهَانَنْ ﴾ (الفجر : ١٦) على الوقف . . .) .

يستفاد مما ذكره « سيبويه » مايلي :

(١) الإيحاء باسم الفاصلة .

(٢) الإشارة في تمثيله إلى أنه لا يشترط في الفاصلة أن تكون رأس آية .

(٣) تحديد معنى مايقوله النحاة : « هذا جائز في الشعر لا في الكلام ، أو في الاختيار » بأنَّ المقصود من قولهم : « الكلام » ــ في الغالب ــ غيرُ الفواصل ، وغير السجع .

قال « الزمخشريُّ » في « المفصل » : (وكل واو وياء لا تحذف تحذف في الفواصل والقوافي ، كقوله تعالىٰ : ﴿ الكبير المتعال ﴾ (الرعد : ٩) و﴿ يوم التَّناد ﴾ (غافر ٣٢) و﴿ والليلِ إذا يسر ﴾ (الفجر : ٤) .

وقال « ابنُ يعيش » في « شرح المفصل » (٩ : ٧٨) : المراد بـ « الفواصل » رؤوس الآي ، ومقاطع الكلام ، وذالك أنهم قد يطلبون منها التماثل ، كما يطلب في القوافي ، والقوافي يشترط فيها ذالك ، ولذلك سميت قافية ، مأخوذة من قولهم : قفوت ، أي : تبعت ، كأن أواخر الأبيات يتبع بعضُها بعضاً فتجري على منهاج واحد ، فإذا وقفوا عليها فمنهم من يسوي بين الوصل والوقف ، كأنهم يفرقون بين الشعر والكلام بذلك . . .

وقد يحذفون من الياءات الأصلية والواوات مالا يحذف في الكلام ، وذلك إذا كان ماقبلها رويًا فإنها يُحذفان كما يُحذفان الزائدان(٢٤) ؛ لإطلاق القافية إذا كان ماقبلها رويًا ، كما أن تلك كذالك ، فلما ساوَتْها في ذالك جَرَتْ مجراها في جواز الحذف ، وهو في الأسماء أمثلُ منه في الأفعال ؛ لأن الأسماء يلحقها التنوين في الكلام فيحذف له الياء .

فمما جاء في الأسماء قولُه تعالى : ﴿ يوم التَّناد ﴾ (غافر : ٣٢) فحذف الياء ، وكان فيها حسناً ، وإن كان الحذف في نحو : « القاضي » مرجوحاً قبيحاً ، ومثله : ﴿ الكبيرُ المتعال ﴾ (الرعد : ٩) ، وقالوا في الفعل : ﴿ والليل إذا يسر ﴾ (الفجر : ٤) و ﴿ ذلك ما كُنَّا نبغِ ﴾ (الكهف : ٦٤)[٢٥] .

ولايجوز في الكلام : « زيد يَرْمِ » ولا « زيد يَغْزُ » : لأن الأفعال لا يلحقها تنوين يوجب الحذف . .) .

« التناسب » لأجل « الفاصلة » :

قال « الزركشيُّ » : إن ايقاعَ المناسبةِ في مقاطع الفواصل حيث تطَّرد متأكِّد جداً ، ومؤثر في اعتدالِ نَسَق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً ، ولذلك خرج عن نَظْم الكلام لأجلها في مواضع[٢٦] .

وفي « شرح الكافية » (١ : ٣٨ ــ ٣٩) : قال « الأخفش » : إنَّ صرفَ مالاينصرف مطلقاً ــ أي في الشعر وغيره ــ لغة الشعراء ، وذالك أنهم يضطرون كثيراً لإقامة الوزن إلى صرف مالا ينصرف ، فتمرن ألسنتهم على ذالك ، فصار الأمر إلى أن صرفوه في الاختيار أيضاً ، وعليه حُمِلَ قوله تعالىٰ : ﴿ سَلَاسِلًا وأَغْلَالًا ﴾ (الإنسان : ٤) ، و ﴿ قواريراً ﴾ (الإنسان : ١٦) .

وقال هو و « الكسائيُّ » : إن صَرْفَ مالا ينصرف مطلقاً لغةُ قومٍ إلَّا « أفعلَ منك » وأنكره غيرُهما ؛ إذ ليس بمشهور عن أَحَدٍ في الاختيار ، نحو : « جاءني أحمدٌ وإبراهيمٌ » ونحو ذالك .

و «سلاسلًا» صُرِف ؛ ليناسب المنصرف الذي يليه ، أي : « أغلالًا » فهو كقولهم : « هنأنِي الشيء ومرأني » ، والأصل : أمرأني .

و « قواريراً » في قراءة من نَوَّنَ ، لا إذا وقف عليه بالألف ، وإنما صرف ليناسب أواخر الآيِ في هذه السورة ؛ لأن أواخرَ الآي كالقوافي يعتبر توافقها وتجانسها وكذا كلُّ كلامٍ مسجَّع . . .

قال تعالىٰ : ﴿ والفجر ﴾ (الفجر : ١) ثم قال : ﴿ يسر ﴾ (الفجر : ٤) ويُمَال ﴿ سَجَىٰ ﴾ (الضحىٰ : ٢) ؛ لموافقة : « ﴿ قَلَىٰ ﴾ (الضحىٰ : ٣) .

وفي « مغني اللبيب » (ص ٢٥١) : صحَّ تنوينُ « سلاسلاً » ؛ لأنه اسم أصله التنوين فرُجع به إلى أصلِهِ للتناسب . نقلاً عن « ابن حيان » .

ولمراعاة المناسبة ورد في « معاني القرآن »(١ : ٢٠١): قال تعالى ﴿ كيف نذير ﴾ و ﴿ فكيف كان نكير ﴾ (الملك : ١٧ ـ ١٨) ، وذلك أنهن رؤوس الآيات .

وفيه (١ : ٢٠٠) أيضاً : للعرب في الياءات التي في أواخر الحروف أن يحذفوا الياء مرة ، ويثبتوها مرة . مثل ﴿ اتَّبَعَنِ ﴾ (آل عمران : ٢٠) ، و ﴿ أَكْرَمَنِ ﴾(الفجر : ١٥) و ﴿ أَهَانَنِ ﴾ (الفجر : ١٦) و ﴿ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة : ١٨٦) ، و ﴿ قَدْ هَدَانِ ﴾ (الأنعام : ٨٠) .

وقال « ابنُ عصفور » عن « المناسبة » : وقد جاء ذلك في فواصل القرآن ؛ لتتفق . قال ـ تعالى ـ : ﴿ فأضلونا السَّبِيْلا ﴾ (الأحزاب : ٦٧) ، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ (الأحزاب : ١٠) ، فزيادة الألف في « الظنونا » و « السبيلا » بمنزلة زيادة الألف في الشعر على جهة الإطلاق[٢٧] .

فالعلماء من المفسرين والنحاة ذكروا « التناسب » ، ولا يعنون به أن « القرآن الكريم » اهتمَّ بالجانب الشكلي ، وأَهْمَلَ جانبَ المعنى ؛ لأنه لم يكن ليعتني بالصياغة اللفظية ، ويترك المعنىٰ ، وإنَّما اعتنى بهما معاً .

والنظم القرآني نظمٌ يبدُو فيه الجمالُ الحسيّ ، وحلاوةُ النغمة ، ونسقُ الإيقاع ، وائتلاف الجرس ، مع مواكبة مااقتضته المعاني ، على نَحْوٍ تتقاصرُ دونه طاقةُ البلغاءِ .

والفاصلةُ كما أنها حليةٌ لفظيةٌ ، مُحَرِّكَةٌ للأحاسيس الوجدانية فهي صالحة للحجاج العقلي .

وفائدتُها إيقاظ المشاعر ، واتساقُ النغمة ، وهي من روعة النظم وجماله .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

٩) ، ونحو : ﴿ إنِّي أخَافُ عليكم يومَ التَّنادِ ﴾ (غافر : ٣٢) .

(٧) حذف « ياء » الفعل غير المجزوم ، نحو ﴿ والليلِ إذا يَسْرِ ﴾ (الفجر : ٤) .

(٨) حذف « ياء » الإضافة ، نحو : ﴿ فكَيْفَ كانَ عَذَابِي ونُذُرِ ﴾ (القمر : ١٦) ، ونحو : ﴿ فكَيْفَ كانَ عِقَابِ ﴾ (غافر : ٥) .

(٩) زيادة حرف المد ، نحو : « الظنونا » ، و « الرسولا » ، و « السبيلا » .
ومنه : إبقاؤه مع الجازم ، نحو : ﴿ لا تَخَافُ دَرَكاً ولا تَخْشَىٰ ﴾ (طه : ٧٧) ، ﴿ سَنُقْرِئُكَ فلا تَنْسَىٰ ﴾ (الأعلىٰ : ٦) على القول بأنه نهي .

(١٠) صرف مالا ينصرف ، نحو : « قواريرَ . قواريرَ » .

(١١) إيثار تذكير اسم الجنس ، كقوله : ﴿ أعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ (القمر : ٢٠) .

(١٢) إيثار تأنيثه ، نحو : ﴿ أعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقة : ٧) .

ونظير هذين قولُه : ﴿ وكلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾ (القمر : ٥٣) ، وقوله : ﴿ لا يغـادِرُ صَغِيرةً ولا كَبِيرةً إلاَّ أحْصَاهَا ﴾ (الكهف : ٤٩) .

(١٣) الاقتصـار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قرئ بهما في السبع في غير ذالك ، كقوله تعالىٰ : ﴿ فأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً ﴾ (الجن : ١٤) ، ولم يجئ « رَشْدا » في السبع .

وكذا : ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أمْرِنا رَشَدًا ﴾ (الكهف : ١٠) ؛ لأن الفواصل في السورتين بحركة الوسط .

وقد جاء في ﴿ وإنْ يَرَوْا سبيلَ الرُّشْد ﴾ (الأعراف : ١٤٦) .

وبهذا يبطل ترجيح « الفارسي » قراءةَ التحريك بالإجماع عليه فيما تقدم .

ونظير ذلك قراءةُ ﴿ تَبَّتْ يدَا أبي لَهَب ﴾ (المسد : ١) ، بفتح الهاء

وسكونها ، ولم يُقرأ : ﴿ سَيَصْلَى ناراً ذات لَهَبٍ ﴾ (المسد : ٣) إلاَّ بالفتح ؛ لمراعاة الفاصلة .

(١٤) إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية ، كقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمنا بالله وباليومِ الآخرِ وما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة : ٨) . ولم يطابق بين قولهم : « آمنا » وبين مارد به فيقول : ولم يؤمنوا ، أو ما آمنوا لذالك .

(١٥) إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذالك .

نحو : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت : ٣) ، ولم يقل : الذين كذبوا .

(١٦) إيراد أحدِ جزأي الجملتين على الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى ، نحو : ﴿ أُولَئِكَ الذينَ صَدَقُوا وأُولَئِكَ هُمُ المتقون ﴾ (البقرة : ١٧٧) .

(١٧) إيثار أغرب اللفظين ، نحو : ﴿ تلكَ إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ (النجم : ٢٢) ، ولم يقل : « جائرة » .

ونحو : ﴿ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ في الحُطَمَةِ ﴾ (الهمزة : ٤) ، ولم يقل : جهنم ، أو النار . ونحو : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (المدثر : ٢٦) ، ونحو : ﴿ كلَّا إنَّها لَظَىٰ ﴾ (سأل : ١٥) ، ونحو : ﴿ فَأُمُّهُ هاوِيَة ﴾ (القارعة : ٩) ، لمراعاة فواصل كل سورة .

(١٨) اختصاص كل من المشتركين بموضع ، نحو : ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (إبراهيم : ٥٢) ، ونحو : ﴿ إنَّ في ذَلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴾ (طه : ٥٤) .

(١٩) حذف المفعول به ، نحو : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ واتَّقَىٰ ﴾ (الليل : ٥) ، ونحو : ﴿ ماوَدَّعَكَ رَبُّكَ ومَا قَلَىٰ ﴾ (الضحىٰ : ٣) . ومنه : حذف متعلق « أفعل » التفضيل ، نحو : ﴿ فإنه يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَىٰ ﴾ (طه : ٧) .

ونحو : ﴿ والآخرة خَيْرٌ وأَبْقَىٰ ﴾ (الأعلىٰ : ١٧) .

(٢٠) الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو : ﴿ فلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ (طه : ١١٧) ، ولم يقل : فتشقيا ، لأن « آدم » وهو المخاطب ، وفي فعله اكتفاءٌ من فعل المرأة .

ومثله قولُه : ﴿ عن اليمين وعن الشمالِ قَعيد[٣٢] ﴾ (ق : ١٧) ، واكتفى بـ « القعيد » من صاحبه ؛ لأن المعنىٰ معروف[٣٣] .

(٢١) الاستغناء بالإفراد عن الجمع ، نحـو : ﴿ واجْعَلْنَا للمُتَّقِينَ إمَامًا ﴾(الفرقان) ٧٤) ، ولم يقل : أئمة ، كما قال : ﴿ وَجَعَلْنَاهم أئِمَّـةً يَهْدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٧٣) ، ونحو : ﴿ إن المتقينَ في جناتٍ ونَهَرٍ ﴾ (القمر : ٥٤) أي : أنهار .

(٢٢) الاستغناء بالجمع عن الإفراد ، نحو : ﴿ لا بَيْعٌ فيه ولا خلال ﴾ (إبراهيم : ٣١) ، أي : ولا خلة ، كما في الآية الأخرى ، وجَمَعَ مراعاةً للفاصلة .

(٢٣) إجراء غير العاقل مجرىٰ العاقل ، نحو : ﴿ رأيتُهم لي ساجدين ﴾ (يوسف : ٤) ، ﴿ كلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ (الأنبياء : ٣٣) .

(٢٤) إمالة مالا يُمال ، كآي طه ، والنجم .

(٢٥) الإتيان بصيغة المبالغة ــ كـ « قدير » و« عليم » ، مع ترك ذالك في نحو : « هو القادر » ، و« عالم الغيب » .

ومنه : ﴿ وما كانَ ربُّكِ نَسِيّاً ﴾ (مريم : ٦٤) .

(٢٦) إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو : ﴿ إنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ ﴾ (ص : ٥) . أوثر على « عجيب » لذالك .

(٢٧) الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو : ﴿ ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ (طه : ١٢٩) .

(٢٨) إيقاع الظاهر موقع الضمير، نحو: ﴿ والذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتابِ وأقاموا الصَّلاةَ إنَّا لا نُضِيعُ أجْرَ المُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف : ١٧٠) . ولم يقل: أجرهم . وكذا آية الكهف .

(٢٩) وقوع « مفعول » موقع « فاعل »، كقوله ﴿ حِجاباً مستوراً ﴾ (الإسراء : ٤٥) ، ونحو: ﴿ كان وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم : ٦١) ، أي: ساتراً ، وآتياً .

(٣٠) وقوع « فاعل » موقع « مفعول »، نحو: ﴿ فهو في عيشةٍ راضيةٍ ﴾ (الحاقة : ٢١) ، أي: مرضية ، ونحو: ﴿ خُلق من ماءٍ دافقٍ ﴾ (الطارق : ٦) أي: مدفوق .

(٣١) الفصل بين الموصوف والصفة ، نحو: ﴿ والذي أخْرَجَ المَرْعَىٰ . فَجَعَلَهُ غُثاءً أحْوَىٰ ﴾ (الأعلىٰ : ٤ ، ٥) ، إنْ أُعْرِبَ « أحوىٰ » صفة « المرعىٰ » أي: حالاً .

(٣٢) إيقاع حرفٍ مكان غيره ، نحو: ﴿ بِأَنَّ ربَّك أوْحَىٰ لها ﴾ (الزلزلة : ٥) ، والأصل: إليها .

(٣٣) تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ .

ومنه: « الرحمن الرحيم » و « رؤوف رحيم » ، والرأفة أبلغ من الرحمة .

(٣٤) حذف الفاعل ونيابة المفعول ، نحو: ﴿ وَمَا لأَحدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾ (الليل : ١٩) .

(٣٥) إثبات هاء السكت ، نحو: ﴿ ما أغْنَىٰ عني مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ (الحاقة : ٢٨ ، ٢٩) ، ونحو: ﴿ وما أدراك ماهِيَهْ ﴾ (القارعة : ١٠) .

(٣٦) الجمع بين المجرورات ، نحو ﴿ ثم لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعًا ﴾ (الأسراء : ٦٩) ، فإن الأحسن الفصل بينها إلاَّ أنَّ مراعاة الفاصلة اقتضت عدمَه ، وتأخير « تبيعاً » .

(٣٧) العدول عن صيغة المضيّ إلى صيغة الاستقبال ، نحو : ﴿ ففريقًا كَذَّبْتُمْ وفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة : ٨٧) ، والأصل : قتلتم .

(٣٨) تغيير بنية الكلمة ، نحو : ﴿ طُورِ سِينِينَ ﴾ (التين : ٢) ، والأصل : سيناء . قال « ابن الصائغ » : لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ؛ فإن « القرآن الكريم » كما جاء في الأثر : « لا تَنْقَضي عَجَائِبُهُ[٣٤] » .

(٣٩) الأعداد من الثلاثة إلى العشرة وما بينهما حقُّ ماتضاف إليه كونه للتكسير ، وهو الأكثر وروداً في الكلام الفصيح .

ويجوز أن يكون جمعاً للتصحيح إذا جاور ما أُهْمِلَ تكسيرُه في الكلام ، نحو : ﴿ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ ﴾ (يوسف : ٤٣) ، فإنه مجاورة في الآية الكريمة لـ ﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وقال المَلِكُ : إنِّي أرى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ، وسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ ، وأُخَرَ يابِساتٍ ﴾ ، فقال لمراعاة التنسيق : ﴿ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ ﴾ بدل « سنابل » ؛ لمناسبة « بقرات » التي تُرك جمع تكسيرها في الآية[٣٥] .

« الإمالـــة » :

تعريفها : أن تنحوَ بالألف نحوَ الياء ، وبالفتحة التي قبلها نحوَ الكسرة ؛ لضربٍ من تجانس الصوت[٣٦] .

ولهذا فهي من المظاهر الصوتية التي يدعو إليها تقريب الصوت من الصوت[٣٧] .

قال « ابن يعيش » : (الإمالة : مصدر « أَمَلْتُهُ ، أُميلُه ، إمالةً » ، والميل : الانحراف عن القصد .

و « الإمالة » بالعربية عدولٌ عن الألف عن استوائه ، وجنوح به إلى الياءِ فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة ، وبين مخرج الياء ، وبحسب قرب ذالك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة ، وبحسب بعده تكون خفتها ، والتفخيم هو

الأصلُ ، والإمالة طارئة .

ولهذا فالتفخيم لا يحتاج إلى سبب ، والإمالة تحتاج إلى سبب .

و « الإمالة » لغة بني تميم ، والفتح لغة أهل الحجاز .

و « المهال » كثير في كلام العرب ، وكان « عاصم » يفرط في الفتح ، و « حمزة » يفرط في الكسر . وأحسنُ ذالك مابين الكسر المفرط ، والفتح المفرط .

والغرض من الإمالة : تقريبُ الأصوات بعضها من بعض ، لضربٍ من التشاكل[٣٨] .

وذالك إذا ولي الألفَ كسرةٌ قبلها أو بعدها ، نحو : « عِمَاد » و « عالِم » ، فيميلون الفتحةَ قبلَ الألف إلى الكسرة فيميلون الألفَ نحوَ الياءِ ، فكما أن الفتحة ليست فتحةً محضة ، فكذلك الألف التي بعدها ؛ لأن الألف تابعة للحركة ، فكأنها تصير حرفاً ثالثاً بين الألف والياء ، ولذالك عدُّوها مع الحروف المستحسنة ، حتى كملت حروف المعجم خمسة وثلاثين حرفاً[٣٩]) .

ومحل « الإمالة » : الأسماء المتمكنة والأفعال ، ولا تمالُ الحروف ، لعدم تصرفها ، والإمالة تصرّف ، وقد أميل من الحروف « بَلَى » و « يا » في النداء ؛ لأن هذه الأحرف نابت عن الجمل فصار لها بذلك مزية على غيرها . وما سُمِعَ غير ذالك فيحفظ ، ولا يقاسُ عليه مثل « حتّى[٤٠] » .

« الإمالة » والتجانس الصوتي : ظاهرة « التجانس الصوتي » أو « الانسجام الصوتي » من الظواهر البارزة في اللغة العربية ، وكثيراً مايكون هذا التجانس ، أو الانسجام الصوتي على حساب الإعراب نفسه .

قال « ابن جني » : (وقد دعاهم إيثار قرب الصوت إلى أن أَخَلُّوا بالإعراب ، فقال بعضهم :

وقالَ : اضربِ الساقَين إمِّكَ هابِل[٤١])

فقد كسر الميم في « إمِّك » إتباعاً لكسر الهمزة ، وهذا إخلال بإعراب المبتدإ

على سبيلِ الانسجام الصوتيّ ، وروي :

وقالَ : اضرِبِ الساقينُ أُمُّكَ هابِل

بضم النون في « الساقين » إتباعاً لهمزة « أُمُّكَ » ، وفي تلك الرواية أَخَلَّ بالإعرابِ أيضاً ، لتقريب الصوت من الصوت[٤٢] .

إذن ترجعُ « الإمالة » إلى « التجانس » أو « الانسجام الصوتي » ، وإلى مافيه من خفة ومشاكلة ؛ ذالك لأنه وَإنْ كانت الألف تشبه الياء في اللين ، فبينهما تباعد لانفتاح الألف ، وانسفال الياء فقاربوا بينهما في الصوت[٤٣]) .

قال « ابنُ يعيش » : (قربوا في « الإمالة » الألفَ من الياء ؛ لأن الألف تُطلب من الفم أعلاه ، والكسرةَ تطلب أسفله وأدناه فتنافرا ، ولما تنافرا أُجْنِحَتِ الفتحة نحوَ الكسرة ، والألف نحو الياء ، فصار الصوت بَيْنَ بَيْنَ ، فاعتدل الأمرُ بينهما ، وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر[٤٤]) .

وهكذا تتجلىٰ ظاهرة الانسجام الصوتي في اللغة العربية واضحة ، وقد لاحظ المتقدِّمون تأثيرَ الأصوات بعضها في بعض ، ومخرج حرف على آخر[٤٥] .

والتعبير بـ « الانسجام الصوتي » أو « التجانس الصوتي » اصطلاحُ المُحْدَثين ، و « التناسب » و « الإمالة للإمالة » اصطلاح القدامىٰ[٤٦] .

قال « ابن يعيش » : (وقد أمالوا الألف لألف ممالة قبلها ، فقالوا : رأيت عمادًا ، ومغزانًا ، وحَسَبْتُ حسابًا ، وكتبتُ كتابًا أجــروا الألف الممالة مجرى الياء لقربها منها فأجنحوا الألف الأخيرة نحوَ الياء ، والفتحة قبلها نحوَ الكسرة ، كما فعلوا ذالك فيما قبلها من الألف والفتحة . والغرض من ذالك تناسبُ الأصوات ، وتقارب أجراسها[٤٧] .

وهكذا اتضح أن « التناسب » مقصود في كلام العرب ، والمقصود بـ « الإمالة » تناسبُ الصوت .

أسباب الإمالة :

ولـ « الإمالة » أسباب عديدة ، ترجع إلى شيئين ، هما : الياء ، والكسرة .

ومن أسبابها « مراعاةُ الفواصل » كإمالة : ﴿ والضحىٰ . والليل إذا سَجَىٰ ﴾ (الضحىٰ : ١و٢) ؛ لمراعاة ﴿ قَلَىٰ ﴾ (الضحىٰ : ٣) ، وما بعده من رؤوس الآي (٤٨) .

و « الإمالةُ » في « الفواصل » هي في الحقيقة « إمالةٌ للإمالة » ؛ وذالك لأنه يمال « الضحىٰ » لإمالة ﴿ قَلَىٰ ﴾ ؛ لتناسب رؤوس الآي ، وسهل ذالك كونهُ في أواخر الكلم ، ومواضع الوقف (٤٩) .

وإمالة ألف « تلا » من قوله تعالىٰ : ﴿ والقمرِ إذا تَلَاها ﴾ (الشمس : ٢) ؛ لمناسبة مابعدها مما ألفه ياء ، أعني ﴿ جـلَّاها ﴾ (الشمس : ٣) و ﴿ يغشاها (٥٠) ﴾ (الشمس : ٤) .

وأجاز إمالةَ نحوِ : ﴿ القُوَىٰ ، والعُلَىٰ ، والضحىٰ ﴾ في « القرآن الكريم » ؛ لكونها رؤوسَ الآي ، فتناسب سائر الكلم التي هي رؤوس الآي (٥١) .

قال « ابن يعيش » : (« الضحىٰ » مقصوراً حين تشرق الشمس ، وهو جمع : ضحوة ، كـ« قرية » و « قرًى » ، والقياس يأبىٰ « الإمالة » ؛ لأنه من الواو ، وليس فيه كسرة ، وإنما أمالوه حين قرن بـ « جَلَّاها » و « يغشاها (٥٢) » ، وكلاهما مما يمال ؛ لأن الألف فيهما من الياء ؛ لقولك : جليته ، وكذالك ألف « يغشىٰ » ؛ لقولك في التثنية : يغشيان ، فأرادوا المشاكلة ، والْمُشاكَلَةُ بين الألفاظ من مطلوبهم ، ألا تَرَىٰ أنهم قالوا : « أخذه ما قدُم وما حدُث (٥٣) » ، فضموا فيهما ، ولو انفرد لم يقولوا إلّا « حدَث » مفتوحاً .

ومنه الحديث : « ارجعْنَ مأزوراتٍ غير مأجوراتٍ (٥٤) » . والأصـل : « موزورات » ، فقلبوا الواو ألفاً مع سكونها ؛ لتشاكل « مأجورات » ، ولو انفرد لم يقلب .

وكذالك « الضحىٰ » إذا انفرد لم يمل ، وإنما أُميل لازدواج الكلام حين اجتمع مع ما يمال (٥٥) .

ففي « التصريح » (٢ : ٣٤٩) : (قراءة « أبي عمرو » والأخوين :

« والضحىٰ » بالإمالة ، مع أن ألفها منقلبة عن « واو » الضحوة لمناسبة : « سجىٰ » و « قلىٰ » وما بعدهما ، فإن رعاية التناسب في الفواصل عندهم غرض مهم[٥٦]) .

وفي « حاشية الصبان » (٤ : ٢٣١) : (التناسبُ سببٌ ضعيف ، إنما يعتبر عند عدم غيره ، أي : من الأسباب) .

أقول : قوله : « التناسبُ سبب ضعيفٌ » توجيهٌ غيرُ مقنع ؛ لأن قصدَ التَنَاسُبِ الذي يحقق الغرضَ مطلبُ البلغاء ، وقد درجوا عليه في أدبهم الرفيع ، فكانت لهم عناية بالقافية والسجع ؛ للتناسب .

وليس أدل على هذا ما حفلت له لغة الكتاب المبين من أفانين المناسبة، مع سمو المعنىٰ .

والحاصل : قد تجيُ « الإمالة » لأجل الفاصلة ، أي : لِتُحَقِّقَ نَسَقاً صوتياً ، وموسيقىٰ منظمة .

مثال ذالك ماجاء عن العرب من قولهم : « هَنَأَنِي ومَرَأَني[٥٧] » ، فحذفوا الهمزة من « مرأني » ، وأصلها : « أمرأني » ، وإنما حذفوا لتتسق « مرأني » مع كلمة « هنأني » ، والدليل على أنها جاءت لِحَبْكِ النسق الصوتي أنهم إذا أفردوها قالوا : « أمرأني » .

ويُشبه هذا ما جاء عنهم من قولهم : « حيَّاك الله وبيَّاك » ، وأصل « بيَّاك » بَوَّأك منزلاً ، إلا أنها لما جاءت مع « حَيَّاك » حذفت همزتُها ، وحُوِّلت واوها ياء ، فكأن « بَوَّأك » حولت إلى « بيَّاك » ؛ لازدواج الكلام ، ليكون تابعاً لـ « حَيَّاك » ، ومراعاة النسق والموسيقىٰ . كما قالوا : « جاء بالعَشايا والغَدايا » ، يريدون الغَدَوَات ، وقالوا : الغدايا ؛ للازدواج ، ومراعاة النسق والإيقاع[٥٨] .

الــوقف :

وهو في اللغة : الكف عن مطلق شيء ، يقال : وقفت عن كذا إذا تركته ، وانتقلت عنه لغيره .

وفي العرف : هو قطع الصوت عن الكلمة زمناً يمكن التنفسُ فيه عادة ، بنية استئناف القراءة بما يلي الحرف الموقوف عليه ، أو بما قبله ، لا بنيّة الإعراض عن القراءة[٥٩] .

والوقف : استراحة ، ويتفرع عن قصد الاستراحة في الوقف ثلاثةُ مقاصد :

١ ـ يكون لتمام الغرض من الكلام .

٢ ـ يكون لتمام النظم في الشعر .

٣ ـ لتمام السجع في النثر[٦٠] .

وقد أفاض القرّاء في تقسيماتِ « الوقف » وأنواعه .

فمنها : التام ، والحسن ، والقبيح .

ومنها : الاختياري ، والاضطراري ، والانتظاري .

ومنها : المختار ، والكافي ، والجائز ، والاستحساني[٦١] .

وقد ذكر القراء علاماتٍ بها يكون « الوقفُ » أولى من الوصل ، أو الوصل أولىٰ من الوقف ، وقد يتساويان ، ومرجع ذالك خوفُهم من البدء بما يفسد المعنىٰ ، ويقطع الآياتِ ويمزقها ، أو تجزأة المعنىٰ الواحد ، ولتحري القرَّاء في ذالك وضعوا معالمَ للوقف والوصلِ يُهْتَدَىٰ بها في قراءة القرآن الكريم[٦٢] .

أوجه الوقف : أما « النحاة » فقد خصُّوه في كتبهم بفصل خاص .

أشار « السيرافيُّ » في شرحه على « الكتاب » إلى أنَّ أوجه الوقف خمسة ، وهي :

(١) الوقف بالسكون . (٢) والرَّوْم .

(٣) والإشمام . (٤) والتضعيف[٦٣] . (٥) والنقـل .

كما أشار « ابنُ يعيش[٦٤] » إلى مثل هذا .

وزادت كتب القراءات على ماسبق :

(١) الوقف بالحذف . (٢) والوقف بالإبدال[٦٥] .

أفاد « ابن جني » : (أن « الوصل » مما تجري فيه الأشياء على أصولها ، و « الوقف » من مواضع التغيير ، ألا ترى أن من قال من العرب في الوقف : « هذا بكُرْ » ، و « مررت ببَكِرْ » ، فنقل الضمة والكسرة إلى الكاف في « الوقف » ، فإنه إذا وصل أجرى الأمر على حقيقته ، فقال : « هذا بكْرٌ » ، و « مررت ببكْرٍ[٦٦]) .

وقد جرت محاورة لـ « ابن جني » في قوله : (فإن قلت : ولِمَ جرت الأشياء في الوصل على حقائقها دون الوقف ؟ قيل : لأن حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف . وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة ، والفائدة لا تُجْنَىَ من الكلمة الواحدة ، وإنما تجيء منَ الجُمَل ، ومدارج القول ، فلذالك كانت حال الوصل عندهم أشرف وأقوم وأعدل من حال الوقف[٦٧]) .

وأوْضَحَ « ابنُ مالك » إن في الوقفِ علىٰ المُنَوَّنِ ثلاثَ لغاتٍ :

إحداها : لغةُ « ربيعة » ، وهي أن يُوقَفَ عليهِ بحَذْفِ التنوين ، وسكون الآخر ــ مطلقا ــ ، كقولك : « هذا زيْدْ » ، و « مررتُ بزيْدْ » و « رأيت زيْدْ » .

والثانية : « لغة الأزد » ، وهي أن يُوقَفَ عليه بإبدال التنوينِ ألفاً بعد الفتحة ، وواواً بعد الضمة ، وياءً بعد الكسرة ، كقولك : « رأيتُ زيدًا » ، و « هذا زيدُو » ، و « مررتُ بزيدِي » .

والثالثة : لغة سائر العرب ، وهي أن يوقف علىٰ المنصوب والمفتوح بإبدال التنوين ألفاً ، وعلى غيرهما بالسكون ، وحذفِ التنوين بلا بِدل . والمراد بالمفتوح ما فتحته لغير إعراب ، نحو : « إيها » و « واها[٦٨] » .

وقد أكثر « ابنُ مالك » من وقف « ربيعة » في « ألفيته » ، والأوْلَىٰ به أن يحمل على الضرورة . من ذالك :

(كَلَمْ يَفُوا إلاَّ امرُؤٌ إلا عَلِي[٦٩])

والقياس : إلاّ عليّاً . فـ « امرؤ » بدل ، و « علي » منصوبٌ . ووقف عليه بالسكون على لغة « ربيعة » .

(وأيُّ فِعْلٍ آخِرٌ منه أَلِفْ[٧٠])

والقياس : ألفاً . على تقدير : « كان » محذوفة ، أي : (كان آخِرٌ منه ألِفاً) .

. (وَوَضَعُوا لِبَعْضِ الأجناسِ عَلَمْ[٧١])

والقياس : علمًا[٧٢] .

فقريش وأكثرُ العرب يلتزمون الوقفَ بالسكون إلاّ مع المنصوبِ المنون ، فيوقف عليه بالألف .

مثال ذالك : يقولون « جاء زيد » في حالة الرفع ، بسكون الآخر ، كما يقولون أيضاً : « مررت بزيدْ » بالسكون أيضاً في حالة الجر .

ولكنهم يقولون : « رأيت زيدًا » بالألف[٧٣] .

تلك هي اللغة الفصحىٰ في مثل هذا الوقف ، ولاشك أن «النحو العربيّ» يقتضي لغة « قريش » ، ويشير إليها بكلمة « الفصحىٰ[٧٤] » تارة ، أو « الأفصح » تارة أخرى .

ولغةُ الحجاز هذه هي الشائعة في فواصل « القرآن الكريم » .

(ونظام الفواصل في «القرآن» يتطلب الوقوف على رؤوس الآيات ؛ لتبرز موسيقاها ، ولا تتضح موسيقىٰ الآيات إلا بالوقوف على رؤوسها[٧٥]) ففي سورة « الرحمن » لا يُحَسُّ بموسيقىٰ الفواصل إلاّ إذا وُقِفَ عليها جميعاً بالسكون[٧٦] .

وقد ورد في حديث « أم سلمة » ــ رضي الله عنها ــ أنَّ النبي ﷺ كان إذا قرأ قَطَّعَ قراءته آيةً آيةً ، يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ثم يقف ، ثم يقول : « الحمد لله رب العالمين » ، ثم يقف ، ثم يقول : « الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين[٧٧] » .

فالوقف على رؤوس الآي من سنن رسول الله ﷺ .

ولا أريد التوسع في الحديث عن « الوقف » ، كيلا أخرج عن مسار بحثي ، وكلُّ الذي يَعْنِيْنِي أن أوضح أن نظام « الفواصل » في « القرآن الكريم » يتطلب معرفة « الوقف » .

ففي «البرهان » (١ : ٦٩) : (إنَّ مبنىٰ « الفواصل » على « الوقفِ » ، ولهذا شاع مقابلةُ المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنوَّن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنَّا خَلَقْنَاكُمْ من طينٍ لازبٍ ﴾(الصافات : ١١) ، مع تقدم قوله : ﴿ عَذَابٌ واصِبٌ[٧٨] . . . شِهَابٌ ثاقب ﴾ (الصافات : ٩ ، ١٠) . وكذا : ﴿ بماء مُنْهَمِرٍ . . . قد قُدِر ﴾ (القمر : ١١ ، ١٢) . وكذا : ﴿ مالَهُم من دونهِ من والٍ . . . ويُنْشئُ السَّحابَ الثِّقالَ ﴾(الرعد : ١١ ، ١٢) .

ثم قال (١ : ٧١) : (ولاشك أنَّ كلمةَ الأسجاعِ موضوعة على أن تكون ساكنةَ الأعجاز ، موقوفاً عليها ؛ لأن الغرضَ المجانسةُ بين القرائن والمزاوجة ، ولا يتم ذالك إلاَّ بالوقف ، ولو وصلتَ لم يكن بدٌّ من إجراء كلِّ القرائن على ما يقتضيه حكُم الإعراب ، فَعَطَّلْتَ عَمَلَ الساجع ، وفَوَّتَّ غَرَضَهُمْ .

وإذا رأيتَهم يُخرجون الكلم عن أوضاعها ؛ لغرض الازدواج ، فيقولون : « آتيك بالغدايا والعشايا » ، مع أن فيه ارتكاباً لما يخالف اللغة ، فما ظنك بهم في ذالك !) .

و « الغداة » لا تجمع على « الغدايا » ، ولكنهم كسَّروه على ذلك ؛ ليطابقوا بين لفظهِ ولفظِ « العَشايا » فإذا أفردوه لم يكسِّروه[٧٩] .

وأخيراً : إذا تتبعنا نصوص المحققين من النحاة نراهم يُخَرِّجُونَ بعض قراءات « القرآن الكريم » بعللٍ مُتنَوِّعَةٍ موافقة لمناهج اللغة ، ومقاصد العرب ، منها :

التناسب ، والوقف ، والإمالة ، وأحسنُ الضرورات ، والعلَّةُ الأخيرة تعود لواحدةٍ من الثلاثة المذكورة .

وإني مقتصر على طرفٍ من النماذج عَلَّهَا توضح ما لوحتُ به ، وما قَصَدتُ إليه بالإضافة إلى ما قدمته .

هذا « ابنُ هشام » في « مغني اللبيب » (ص ٦٢٥) يقول : (قرأ السبعةُ : ﴿ ولا يُؤْذَنُ لهم فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات : ٣٦) ، وقد كان النصب ممكناً ، مثله في : « فيموتوا » من قوله تعالىٰ : ﴿ ولا يُقْضَىٰ عليهم فيموتوا ﴾ (فاطر : ٣٦) ، ولكن عُدِلَ عنه لتناسب الفواصل) .

وفي « شرح قطر الندى » (ص ١١٣ يقول : (قرأ « الحسن البصري » : ﴿ تستكثِرْ ﴾(المدثر : ٦) بالجزم . ويحتمل ثلاثة أوجه :

أحدُها : أن يكون بدلاً من « تَمْنُنْ » ، كأنه قيل : لا تستكثِرْ ، أي : لا تَرَ ما تعطيه كثيراً .

والثاني : أن يكون قَدَّرَ الوقفَ عليه ؛ لكونه رأسَ آيةٍ ، فَسَكَّنَهُ لأجل الوقف ، ثم وَصَلَهُ بِنِيَّةِ الوقف .

والثالث : أن يكون سكَّنَهُ ؛ لتناسب رؤوس الآي ، وهي : « فأنذِر » ، « فكَبِّرْ » ، « فَطَهِّرْ » ، فَاهْجُرْ » .

وأعرب « شيخُ زاده » في « حاشيته على البيضاوي » (٣ : ٥٧٠) قولَه « تستكثِرْ » مضارعاً مجزوماً على أنه جوابُ النهي ، على أن يكون المنُّ بمعنى المِنَّة .

والمعنىٰ : لا تمننْ بعطيتك تستكثِرْ وتتزوَّدْ من الثواب الجزيل ، سلامةَ عطيتك من الإبطال بالمنّ ، قال تعالىٰ : ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ والأَذَىٰ ﴾ (البقرة : ٢٦٤)[٨٠] .

ويذكر « ابنُ عصفور » في « شرح الجمل » (٢ : ٥٥٩ ــ ٥٦٠) : من ضرائر الزيادة : زيادةُ « الكاف » في نحو قوله تعالىٰ : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (الشورىٰ : ١١) .

فقال : ألا ترىٰ أنَّ المعنىٰ ليس مثله شيءٌ ، ولو كانت الكاف غيرَ زائدة لكان في ذالك مثل الله تعالىٰ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

«الحـــواشي» :

(★) «العرب» ٣٥٩، وقد سقط من المقال الأول كلمة (حول) ووقع خطأ كلمة (الأدب» بدل (النحو).

(١) مقدمة «مفردات ألفاظ القرآن».

(٢) قالها المتنبي من قصيدة يمدح فيها «عليَّ بنَ منصور الحاجب». ديوانه: (١:٢٥٧).

(٣) مقدمة «مفردات ألفاظ القرآن».

(٤) انظر «موسيقى الشعر» (ص ٣٥٦).

(٥) قال «الباقلانيُّ» في «إعجاز القرآن»: (نَظْمُ القرآنِ على تصرُّفِ وجوهه، واختلافِ مذاهبه خارجٌ عن المعهود من نظام جميع كلامِهِمْ، ومباينٌ للمألوفِ من ترتيب خطابهم ...).

(٦) انظر «النثر الفني» (ص ٤٦،٧١).

(٧) انظر «الصناعتين» (ص ٢٨٥)، و«سر الفصاحة» (ص ٢٠١)، و«منهاج البلغاء» (ص٣٨٨)، و«الإتقان» (٢:٩٦ ـ ٩٩).

(٨) هو «أبو الحسن، حازم بن محمد القرطاجني الأنصاري القرطبي» المتوفى سنة ٦٨٤هـ.

(٩) «منهاج البلغاء» (ص ٣٨٨)، و«البرهان» (١:٦٠).

(١٠) هو «شهاب الدين، أحمد محمد بن عمر» المتوفى سنة ١٠٦٩هـ.

(١١) «عناية الراضي» (١:٢٣٠)، ونقل عبارة «الخفاجي» هذه صاحبُ «خلاصة الأثر» (١:٣٣٦).

(١٢) «التحبير» (ص ٣٠٣).

(١٣) هو «محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين» المتوفى سنة ٧٩٤هـ.

(١٤) «البرهان» (١:٥٤).

(١٥) «البرهان» (١:٥٩).

(١٦) «لسان العرب» (فصل ١١:٥٢١،٥٢٢،٥٢٤).

(١٧) هو «عثمان بن سعيد، أبو عمرو» المتوفى سنة ٤٤٤هـ، والمعنى الذي ذكره يُلحق بالمعاني اللغوية.

(١٨) هو «محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين» المتوفى سنة ٧١١هـ.

(١٩) «الإتقان» (٢:٩٦).

(٢٠) هو «عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان» المتوفى سنة ٢٥٥هـ.

(٢١) «الإتقان» (١:٥٠).

(٢٢) «الإتقان» (٢:٩٦).

(٢٣) «شرح شعر زهير» لـ«ثعلب» (ص ٨٢). برواية «ولأنت تفري»، و«ثم لا يِفْرِي». قاله في مدح «هرم بن سنان». «الفري»: القطع. الخلق: التقدير.
ضُرب هذا مثلاً لتقدير الأمر وتدبيره، ثم إمضائه والعزم فيه.
الشاهد فيه: حذف الياء في الوقف من قوله «يفْرِي» فيمن سكن الراء.

(٢٤) هكذا.

(٢٥) انظر «همع الهوامع» (٢:٢٠٦).

(٢٦) «البرهان» (١:٦٠).

(٢٧) «ضرائر الشعر» (المقدمة).

(٢٨) «دلائل الاعجاز» (ص ٢٦٧)، وانظر «حسن التوسل» (ص ١٧٨).

(٢٩) انظر مقدمة «في أصول التفسير» (ص ٣٨).

(٣٠) « البرهان » (١ : ٧٢)، وقد عزاه لـ « الزمخشري » في « كشافه القديم ». و« الفَتِيلُ » مايكون في شَقِّ النَّوَاةِ. و« النقير » النكتةُ في ظهر النُّواةِ « المصباح ».

(٣١) المتوفى سنة ٧٧٦هـ. وله ترجمة في « الدرر الكامنة » (٣ : ٥٠٠)، و« بغية الوعاة » (١ : ١٥٥)، و« شذرات الذهب » (٦ : ٢٤٨).

(٣٢) « قعيد » أي : مَلَكٌ يترصده ، ويكتب له وعليه .

(٣٣) « معاني القرآن » (٢ : ١٩٣).

(٣٤) قطعة من حديث أخرجه « الترمذي » في (أبواب فضائل القرآن) من حديث « الأعور » انظر « عارضة الأحوذي » (١١ : ٣٠ ـ ٣١).

(٣٥) « أوضح المسالك » (٤ : ٢٥٤)، و« شرح التصريح » (٢ : ٢٧٢)، و« النحو الوافي » (٤ : ٥٢٧).

(٣٦) انظر « سر صناعة الإعراب » (١ : ٥٢).

(٣٧) « اللهجات العربية في التراث » (١ : ٢٧٥).

(٣٨) انظر « الكتاب » (٤ : ١١٧).

(٣٩) « شرح المفصل » (٩ : ٥٣ ـ ٥٤).

(٤٠) انظر « شرح الشافية » (٣ : ٣٦)، و« شرح الأشموني » (٤ : ٢٢١، ٢٣٢).

(٤١) « الخصائص » (٢ : ١٤٥).

(٤٢) « اللهجات العربية في التراث » (١ : ٢٧٦).

(٤٣) من « شرح الجمل الكبيرة » لـ « ابن الصائغ » كما عزاه في « الإمالة في القراءات » (ص ٣٣٩).

(٤٤) « شرح المفصل » (٩ : ٥٥).

(٤٥) « الإمالة في القراءات » (ص ٣٢٣).

(٤٦) انظر « الإمالة في القراءات » (ص ٢٤٧).

(٤٧) « شرح المفصل » (٩ : ٥٨) وانظر « المساعد » (٤ : ٢٩٣).

(٤٨) « همع الهوامع » (٢ : ٢٠١ ـ ٢٠٣)، و« التصريح » (٢ : ٣٤٨).

(٤٩) « شرح الشافية » (٣ : ١٣، ١٤).

(٥٠) « شرح الأشموني » ومعه « الصبان » (٤ : ٢٣٠).

(٥١) « شرح الشافية » (٣ : ١٢).

(٥٢) انظر « شرح الأشموني » (٤ : ٢٣٠).

(٥٣) انظر « درة الغواص » (ص ٦٦).

(٥٤) أخرجه « ابن ماجَهْ » في « سننه » في (كتاب الجنائز ـ باب ماجاء في اتباع النساء الجنائز) (١ : ٥٠٣) من حديث « علي » رضي الله عنه .

(٥٥) « شرح المفصل » (٩ : ٦٤).

(٥٦) انظر « المساعد » (٤ : ٢٩٤).

(٥٧) « ضرائر الألوسي » (ص ٣٠).

(٥٨) « الفاخر » (ص ٢)، و« اللهجات العربية في التراث » (٢ : ٧٠٨).

(٥٩) « النشر » (١ : ٢٤٠)، و« الوافي » (ص ١٧٣).

(٦٠) « شذا العرف » (ص ١٨٨).

(٦١) « إتحاف فضلاء البشر » (ص ١٠١).

(٦٢) « اللهجات العربية في التراث » (٢ : ٤٨٠).

(٦٣) « شرح السيرافي » (٥ : ٤١٨) مخطوط في التيمورية . كما في « اللهجات العربية في التراث » (٢ : ٤٨٠).

(٦٤) «شرح المفصل» (٩: ٦٦).
(٦٥) «الإضاءة في بيان أصول القراءة» (ص ٤٥)، كما في «اللهجات العربية في التراث» (٢: ٤٨٠).
(٦٦) «سر صناعة الإعراب» (٢: ١٥٩).
(٦٧) «الخصائص» (٢: ٣٣١).
(٦٨) «شرح الكافية الشافية» (٤: ١٩٨٠).
(٦٩) «شرح الأشموني» (٢: ١٥٢).
(٧٠) «شرح الأشموني» (١: ١٣٤).
(٧١) «شرح الأشموني» (١: ١٠١).
(٧٢) «اللهجات العربية في التراث» (٢: ٤٨٣).
(٧٣) شرح الكافية الشافية» (٤: ١٩٨١).
(٧٤) انظر «شرح الأشموني» (٢: ١٥٢).
(٧٥) «من أسرار اللغة» (ص ١٤٩).
(٧٦) انظر «اللهجات العربية في التراث» (٢: ٤٨١).
(٧٧) «النشر» (١: ٢٢٦). وفيه (رواه «أبو داود» ساكناً عليه، و«الترمذيُّ»، و«أحمد»، و«أبو عبيدة»، وغيرهم. وهو حديث حسن، وسنده صحيح).
(٧٨) واصب: دائم.
(٧٩) «لسان العرب» (غدا ١٥: ١١٧).
(٨٠) ذكرتُ قولَ «شيخ زاده» مستطرداً؛ للفائدة، ولأن الحديث ذو شجون.
(٨١) وفي «القاموس» (حار): (مشددةَ الآخر، وتكسر الحاء، و«حَيْرِيْ دَهْرٍ» ساكنةَ الآخِرِ، وتُنْصَبُ مخففةً، أي: مُدَّةَ الدَّهرِ).
(٨٢) كلمةٌ مِنْ قَوْلِ «جندل بن المثنىٰ الطُّهَوِيِّ»:

وكَحَّـلَ العـينين بالعـواوِرِ

«العواور» جمع: العوار، وهو الرمد، انظر «الخصائص» (١: ١٩٥)، و«شرح شافية ابن الحاجب» (٣٧٤).

«أهم المراجع»:

١ ــ «إتحاف فضلاء البشر» للبنا. حنفي ١٣٥٩هـ، بمصر.
٢ ــ «الإتقان» للسيوطي. طبع مصطفى البابي. الثانية ١٣٥٤هـ.
٣ ــ «الإمالة في القراءات» د/عبدالفتاح شلبي. دار الشروق. الثالثة ١٤٠٣هـ.
٤ ــ «البرهان» للزركشي. تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر. الثالثة ١٤٠٠هـ.
٥ ــ «بغية الوعاة» للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. عيسى البابي ١٩٦٤م.
٦ ــ «التحبير في علم التفسير» للسيوطي. تحقيق د/فتحي عبدالقادر فريد. دار العلوم. الأولى ١٤٠٢هـ.
٧ ــ «حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي» دار صادر. بيروت.
٨ ــ «حاشية الصبان على شرح الأشموني» طبع عيسى البابي.
٩ ــ «حسن التوسل» لشهاب الدين محمود الحلبي. تحقيق أكرم عثمان. ١٤٠٠هـ. بغداد.
١٠ ــ «الخصائص» لابن جني. تحقيق محمد علي النجار. طبع دار الكتب ١٣٧١هـ.
١١ ــ «درة الغواص» للحريري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار نهضة مصر.

١٢ ـ « دلائل الإعجاز » للجرجاني . تعليق محمود شاكر . الخانجي بالقاهرة .
١٣ ـ « سر صناعة الإعراب » لابن جني . تحقيق د/حسن هنداوي . دار القلم بدمشق . الأولى ١٤٠٥هـ .
١٤ ـ « سر الفصاحة » للخفاجي ـ تعليق/ عبدالمتعال الصعيدي ، طبع محمد علي صبيح ١٣٧٢هـ .
١٥ ـ « سنن ابن ماجَهْ » تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . طبع عيسى البابي ١٣٧٢هـ ـ مصر .
١٦ ـ « شذا العَرْف » للحملاوي . طبع مصطفى البابي . السادسة عَشرة ١٣٨٤هـ .
١٧ ـ « شرح ديوان المتنبي » للبرقوقي . دار الكتاب العربي . بيروت ١٤٠٠هـ .
١٨ ـ « شرح الشافية » للرضي . تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين . طبع حجازي .
١٩ ـ « شرح شعر زهير بن أبي سلمىٰ » لثعلب . تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة . بيروت . الأولى ١٤٠٢هـ .
٢٠ ـ « شرح قطر الندى » لابن هشام . تحقيق/ محمد محيي الدين ، السعادة بمصر . الثانية عشرة ١٣٨٦هـ .
٢١ ـ « شرح الكافية » للرضي . مصورة عن طبع إستانبول ١٣٠٥هـ .
٢٢ ـ « شرح الكافية الشافية » لابن مالك . تحقيق د/ عبدالمنعم الهريدي ، من مطبوعات جامعة أم القرىٰ . الأولى ١٤٠٢هـ .
٢٣ ـ « شرح المفصل » لابن يعيش . الطبعة المنيرية . بمصر .
٢٤ ـ « الصناعتين » لأبي هلال العسكري . تحقيق د/ مفيد قمحية . دار الكتب العلمية ـ بيروت . الأولى ١٤٠١هـ .
٢٥ ـ « ضرائر الشعر » لابن عصفور . تحقيق السيد إبراهيم محمد ـ دار الأندلس ـ الأولى ١٩٨٠م .
٢٦ ـ « الضرائر » لمحمود الألوسي ـ دار صعب . بيروت .
٢٧ ـ « الفاخر » لأبي طالب المفضل . تحقيق الطحاوي . طبع عيسىٰ البابي ١٣٨٠هـ .
٢٨ ـ « كتاب سيبويه » تحقيق عبدالسلام هارون . الثانية . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٢٩ ـ « لسان العرب » لابن منظور ـ دار صادر . بيروت . ١٣٧٤ ـ ١٣٧٦هـ .
٣٠ ـ « اللهجات العربية في التراث » د/ أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م .
٣١ ـ « المساعد » لابن عقيل . تحقيق محمد كامل بركات . من مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز . مكة المكرمة ١٤٠٠هـ .
٣٢ ـ « معاني القرآن » للفراء . تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .
٣٣ ـ « مغني اللبيب » لابن هشام . تحقيق د/ مازن مبارك ، ومحمد علي حمد الله ـ دارالفكر بدمشق ١٣٨٤هـ .
٣٤ ـ « مفتاح السعادة » لطاش كبري زاده ـ تحقيق كامل كامل بكري ، وعبدالوهاب أبو النور ـ الاستقلال .
٣٥ ـ « مفردات ألفاظ القرآن » للراغب . تحقيق نديم مرعشلي . دار الكاتب العربي .
٣٦ ـ « مقدمة في أصول التفسير » لابن تيمية تحقيق د/عدنان زرزور . دار القرآن . بيروت . الثالثة ١٣٩٩هـ .
٣٧ ـ « منهاج البلغاء » للقرطاجني . تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه ، دار الكتب الشرقية . تونس ١٩٦٦م .
٣٨ ـ « موسيقىٰ الشعر » د/ إبراهيم أنيس . دار القلم . بيروت . الرابعة ١٩٧٢م .
٣٩ ـ « النثر الفني » لزكي مبارك . دار الجيل . بيروت ١٩٧٥م .
٤٠ ـ « النشر في القراءات العشر » لابن الجزري . دار الكتب العلمية . بيروت .
٤١ ـ « همع الهوامع » للسيوطي . دار المعرفة . بيروت .
٤٢ ـ « الوافي في شرح الشاطبية » لعبدالفتاح القاضي . مكتبة الدار . الأولى ١٤٠٤هـ .

رحلة في بلاد يام

حسب رغبة الشيخ حمد الجاسر في خطابه لي برقم ٢/٣٨٦ في ١٩ جمادى الأولى من عام ١٤٠٧هـ المتضمن سؤاله عن بعض أسماء مواضِعَ في بلاد يام وردت في كتاب «الجوهرتين» الذي قام بتحقيقه .

قمت برحلة إلى تلك المنطقة العزيزة من بلادي . . . تفاصيلها فيما يلي :

نظراً لارتباطي بعملي في مدينة تثليث كان لزاماً عليّ أن اختار إما يوم الخميس أو يوم الجمعة من الأسبوع فقررت أن تكون بداية الرحلة صباح يوم الجمعة الموافق ٢٩ جمادى الآخرة من عام ١٤٠٧هـ لظروف وأسباب كثيرة حتمت عليَّ اختيار هذا اليوم بالذات في صبيحة ذالك اليوم تحركت بي سيارتي الخاصة من قريتي «المعتلأ» من قرى وادي جاش الذي لا يبعد كثيراً عن تثليث ضمن دائرة بلاد قحطان وكانت وجهتي جنوباً شرقيًّا ميمماً ناحية منطقة نجران وقد كنت وحيداً في سيارتي حيث باءَت جهودي بالفشل في الحصول على رفيق في هذه الرحلة التي هي من الصعوبة بمكان بسبب وعورة الطريق وعدم معرفتي بمسالك بلاد يام .

وقد مررت في طريقي بعد دقائق من بداية الرحلة بعدد من القرى المترابطة على ضفتي وادي جاش الكبير هي على الترتيب :

كحلة ، الشُّهَيْد ، المرازة ، السفح .

ويطلق على هذه القرى المتقاربة قرى برقا جاش وهي قرى حديثة .

ثم بعد ذالك بقليل عرض لي الطريق المعبد الذي يربط المنطقة الوسطى بالمنطقة الجنوبية وهو طريق حديث يخترق منطقة تثليث ويحف بوادي جاش من جهة الشرق انعرجت مع هذا الطريق شمالاً نحو ثلاثة أكيال ثم تركته عن

يساري سالكاً في طريق برّي يتجه إلى الأمواه وأعالي تثليث جاعلاً جبل الربوض[١] عن يميني ووجهتي الآن ناحية الشرق وقد أسفت على مفارقة الطريق المعبد وكرهت مفارقته لأنني مقدم على طرق ترابية غير معبدة غاية في الصعوبة والسوء ، حولتها السيارات إلى حفر ومطبات ، تهز السيارة هزاً عنيفاً وتسبب للراكب متاعب نفسية وجسدية .

بعد حوالي ربع ساعة من مفارقة الطريق المعبد نزلت وادي الرُّسَيْن[٢] ، وهو أحد روافد تثليث الكبرى ، يرفده من جهة الجنوب الغربي ، وأعلاه فيه بلدان لقبائل آل سليمان وآل سلمان من عبيدة ، أهمها عرقة والعرين .

ثم بعد ذالك بقليل عرض لي وادي تثليث العملاق الذي يتجه من الجنوب إلى الشمال . . . وكان لابد من السير معه جنوباً حتى قرب الأمواه ، نظراً لوجود سلسلة جبال القهر وأطراف العشة التي تحف الوادي من الشرق والمنفذ الوحيد من هذه السلسلة الجبلية هو طريق (الرهوة) الذي يحف بأطراف هذه السلسلة الجبلية من الجنوب .

هاأنذا في قرية (اللصدود) وقد عزمت على مواصلة السير جنوباً عبر وادي تثليث وهكذا فعلت حيث مررت بعدد من القرى والمياه هي على الترتيب :

الهدود ، البُغْبُغْ ، برودان ، مرابخ ، الرانة .

ثم دخلت حدود بلدة الحمضة ، وفيها إمارة تابعة لأمارة تثليث ، وقراها : الحمضة البلدة القديمة ، ورغوان .

وكانت المسافة من الهدود إلى الحمضة حوالي ٣٥ كيلاً ، وحول الحمضة تركت الوادي غرباً وواصلت سيري على حوافِّهِ الشرقية ، متجهاً ناحية الجنوب قاصداً (الرهوة) ، وبعد مسافة حوالي ثلاثين كيلاً دخلت حدود إمارة الأمواه الإدارية ، وبدت لي قرية الجعيفرة الأثرية التي تعرف قديماً بالهجيرة[٣]، يشاهدها المسافر عن بعد في الجهة الغربية على يمين المسافر إلى نجران ، شامخة بأطلالها وأسوارها وقلعتها الفريدة ، وكأنها تتحدى الزمن بطول صمودها أمام العوامل الجوية المختلفة ، وعبث العابثين من أهلها .

وقد انشيء حول هذه القرية الأثرية عدد من القرى الحديثة لأخلاط من قبائل الحباب والجحادر ، وكل هذه القرى تابعة لإمارة الأمواه .

من هذه النقطة تركت وادي تثليث وقرى الأمواه يميناً ، وانحرف بي الطريق يساراً في اتجاه نجد الرهوة ، الذي يعبر منه الطريق إلى بلاد يام ، وكنت حريصاً على أداء صلاة الجمعة في بلدة يدمة ، وهي أقرب منطقة مأهولة من قرى منطقة نجران .

في رأس نجد الرهوة وجدت أن الساعة تشير إلى تمام الحادية عشرة صباحاً ، وقد قطعت من مسافة الرحلة مئة وعشرة أكيال تقريباً . من موقعي هذا لاحظت أن شعيب الرهوة يتجه سيله غرباً ناحية سهل العمق والأمواه ، ويقابله في الجهة الأخرى وادي الجَحِرْ ، الذي تفضي سيوله شرقاً ناحية بلاد يام ، ومنه يتجه الطريق إلى يدمة ، وقد قررت الإسراع قليلاً لأتمكن من الصلاة في يدمة ، التي تبعد حوالي ٥٦ كيلاً من رأس نجد الرّهوة . وبعد حوالي ٢٥ كيلاً تقريباً قابلني مركز أمني في منتصف وادي الجحر ، به عدد قليل من أفراد الأمن ، وكنت على سابق معرفة مع بعض منهم حيث مكثت عندهم برهة من الوقت ، استعلم عن الطريق ، وشربت معهم القهوة وأكلت قليلاً من التمر .

ثم واصلت سيري إلى يدمة وبعد حوالي عشرة أكيال اتسع الوادي وتشعبت الطرق إلى ثلاث شعب : طريق عين قحطان اتجه شمالاً ، وطريق نجران يتجه شرقاً لا إلى نجران وإنما إلى طريق وادي الدواسر ثم نجران الذي يعترضه حول مركز النُّصَيْلَة ، الذي يبعد عن نجران بحوالي ١٢٠ كيلاً .

أما الطريق الثالث فيتجه جنوباً شرقاً إلى يدمة بطول يقدر بحوالي ٣٥ كيلاً .

كل هذه الطرق الثلاث عبارة عن مسالك صحراوية متعبة للرَّاكب والسيارة . كان لابد مما ليس منه بُدٌّ لقد اتجهت عبر طريق يدمة مسرعاً وكان أول ماصادفني وادي الحبط وهو من أكبر أودية تلك المنطقة ، ويتميز بأشجاره الباسقة الطول ، التي من أهمها السمر ، وتربته الطينية الخصبة ، إلا أنه لازال مقفراً ، ويظهر أن عليه نزاع بين قبائل قحطان وقبائل يام ، ويقع في منتصف الطريق بين إمارتي

يدمة وعين قحطان ، وتتبع الأولى منطقة نجران ، والأخرى تابعة لإمارة منطقة عسير .

بعد أقل من نصف ساعة من مفترق الطرق الثلاث ، وصلت إلى يدمة في حوالي الساعة الثانية عشرة وتمكنت من الصلاة مع الجماعة ، وبعد أداء الصلاة ، حللت ضيفاً على أحد الإخوان هناك ، نسيت أن أكتب اسمه ، وتناولت طعام الغداء مع مجموعة من جماعته ، ويظهر لي أنهم من قبيلة آل فهاد[٤] من يام ، وبعد أن فرغنا من تناول الطعام جرى النقاش في موضوع مهمتي ، واتضح أن معرفتهم قليلة بالمواضع التي أردت معرفتها ، وقالو لي : ستجد مبتغاك عند قبائل آل مطلق[٥] أهل (ثار) ، ولكن المشكلة في الطريق إما أن تذهب شرقاً إلى طريق نجران ــ وادي الدواسر ، ومن هناك تتجه إلى نجران وعند الحصينية تعود غرباً سالكاً الطريق الزراعي المعبد الذي يربط ثار وحبونا بالحصينية ، قاطعاً مسافة تقدر بحوالي ١٦٠ كيلاً ــ هذا هو الخيار الأول .

أما الخيار الثاني فهو أن تتجه جنوباً إلى ثار عبر طرق ترابية وعرة ، ومسالك رملية صعبة ، وعقبات جبلية كثيرة ، مخترقاً عدداً غير قليل من الأودية والشعاب ، والنجود ، قد تؤدي بك إلى متاهات ومتاعب تستنفد كثيراً من الوقت والجهد . هكذا قالوا . ثم أشاروا أن الطريق الثاني يختصر المسافة إلى أقل من النصف . وبعد تردد لم يدم طويلاً قررت أن أتوجه إلى ثار ، عبر الطريق الأقصر وإن كان فيه شيء من المجازفة ، إلا أنه سيمكنني من معرفة مناطق وأماكن لم أكن أعرفها من قبل .

هاأنا الآن في طرف بلدة يدمة الشمالي ، وقد جاوزت ثلاثة من الأودية السبعة التي ترفد وادي السليل ، وتنحدر تجاه جبل سنح شرقاً الذي يقول فيها الشاعر الشعبي :

سبعة الوديان مجمعها الشغايا[٦] ماحدر منها فسنح في محيره

وهذه الأودية السبعة الكبار التي تقع ضمن الحدود المؤدية لبلدة يدمة هي من الشمال إلى الجنوب :

١) وادي الجحر ـ ٢) وادي الحبط ـ ٣) وادي اللجام (عَبَالم) قديماً ـ ٤) عشارة ـ ٥) مخضوب ـ ٦) طلحام ـ ٧) وسط .

كل هذه الأودية ترفد السُليل ـ بالتصغير ـ عكس سليّل تمرةَ ، وهو عبارة عن سهل فسيح يجمع هذه الأودية السبعة شرق مدينة يدمة .

لازلت في بلدة يدمة التي تقع على وادي اعشارة ، وكان لابد من المرور من وسط المدينة لأرصد ماطرأ عليها من تغيير ، بعد زيارتي لها قبل بضع سنوات ، وتحركت بي السيارة في اتجاه الجنوب ، مروراً بوسط بلدة يدمة ، وقد لاحظت أنها تطورت كثيراً ، وأوجد فيها مجمع قروي قام بسفلتة الشوارع ، وانارتها وتشجيرها ، وقد سررت كثيراً برؤية أعمدة الكهرباء تنتشر في كل مكان في تلك المنطقة ، والعمل جارٍ على قدم وساق ، لربط قرى يام الشمالية بشبكة من الطرق الزراعية المعبدة .

تركت يدمة مواصلاً سيري جنوباً ، حيث مررت بوادي مخضوب غير بعيد من يدمة ، فوادي طلحام ، ثم وسط ، وعلى بعد ٣٥ كيلاً من يدمة خرجت من حدود يدمة الادارية ، مخلفاً منطقة الوديان السبعة التى تفيض سيولها ناحية الشرق والشمال ، ودخلت منطقة أخرى تتجه سيولها إلى الجنوب والشرق ، مخترقاً عقبة جبل أحمر ، غاية في الصعوبة ، وبعد تجاوز هذه العقبة الْكَأْداء بحوالي عشرة أكيال ظهرت على مركز حمى أو حما ، وفيه إمارة حمى ، وهو مركز حكومي صغير تابع لإمارة نجران ، أسس على ماء حمى القديم جميع بيوته حوالي خمسة عشر منزلاً جميعها من الصنادق (الزنك) ، وأبرز مافي هذا المركز من معالم تلفت النظر هو المسجد الكبير ، الذي بني حديثاً على أحسن طراز ومنارته السامقة الطول ، وقد أديت فيه صلاة العصر مع الجماعة ، ومعظمهم من الإخوان السودانيين والمصريين ، وحوالي ثلاثة أفراد يبدو أنهم من (أخويا) الإمارة ، وقد استعلمت عن الطريق فقام معي أحدُ (الأخويا) ووصف لي الطريق وصفاً جيداً ، وحذرني من الابتعاد عن (الردمية) ردمية الطريق تحت الإنشاء ، الذي سيربط قرى المنطقة عند استكمال تنفيذه .

تحركت من حمى الساعة الرابعة عصراً متجهاً جنوباً ، حيث مررت بوادي نعوان ، وفيه عدد من القرى الحديثة ثم بمركز قطن ، وهو عبارة عن بلدة متوسطة الحجم ، وفي قطن وجدت أن الطريق الذي يربط قطن بثار وحبونا قد اكتمل تعبيده ، وحمدت الله على ذالك ، وواصلت المسير إلى ثار ، ووصلت هناك قبيل صلاة المغرب بقليل ووجدت أن بلدة ثار تنقسم إلى قسمين : البلدة الحديثة ، وفيها معظم المرافق الحكومية وتقع في جهة الشرق في متسع من الأرض ، والبلدة القديمة وتقع في وسط سفوح الجبال في مضيق الوادي غرباً عن طريق الاسفلت بحوالي ثلاثة أكيال ، وقد توجهت على الفور إلى البلدة القديمة (ثار) ما ان دخلت وسط البلدة حتى وجدت حانوتًا صغيراً في زاوية أحد البيوت الطينية القديمة وفيه رجلان مُسِنَّانِ أوقفت سيارتي بجواره ، وترجلت منها ، ودخلت عليهما ، فرحبا بي ، ترحيباً حاراً ، بعد أن تأكدا أنني غريب ، أخبرتهما بمهمتي وقصدي من المجيء إليهما ، فرحبا بي مرة أخرى ، وقالا : أنت ضيف والعلم بعد الضيافة . الخ. أخبرتهما أنني لن أستريح ولن أقيم عند أحد إلا إذا ضمنت قضاء مهمتي ، ووجود ضالتي ، وكان جوابهما : إن هذه الأسماء التي ذكرت تقع في وادي حبونا ، والعلم الأكيد ستجده هناك ، وبالذات عند (ابن قعوان) . ولأن الطريق إلى حبونا الآن أصبح مسفلتًا وهو سهل وقريب ولم يعد هناك تعب ولا صعوبة . . قررت التوجه إلى حبونا التي تبعد من ثار حوالي ثلاثين كيلاً أو أقل جهة الغرب وقد أدركت صلاة المغرب بعد فوات الوقت بدقائق في أقرب نقطة من حبونا .

ثم واصلت السير مع وادي حبونا غرباً ، ووصلت وسط المدينة بعد صلاة المغرب بحوالي نصف ساعة ، وقد رأيت على جانب الطريق الأيسر مركزا للدفاع المدني ، اتجهت إليه وسألت عن بيت ابن قعوان ، وطلبوا مني الجلوس وشرب القهوة ، وألحوا عليَّ في ذالك ، ولكنني اعتذرت ، فَدَلُّوني على موقع سكنه غرب المدينة قرب محطة الكهرباء ، في ربوة عالية في أحد سفوح الجبال هناك ، اتجهت ناحية الدار وهي دَارَةٌ (فيــلا) كبيرة ، حولها بستان فيه عدد من أشجار الفاكهة والكروم ، وجدت الباب مفتوحًا وحوله سيارات كثيرة ، وما أن أوقفت سيارتي وترجلت منهــا حتى خرج صاحب الدار ورحب بي وأدخلني إلى مجلسه

الكبير ، الذي يجلس فيه عدد كبير من الضيوف من أهل تلك المنطقة ، جاءوا ليتحاقّوا عند ابن قعوان في خصومات قبلية ، وابن قعوان كما علمت ، من العُرّاف ويعتبر منهلا في الحقوق القبلية ، والمنهل في عرفهم الذي لاينقض حكمه حق آخر .

اتضح أن مضيفي هذا (عوض بن مهدي بن قعوان) هو عمدة حبونا وابن أخيه عبدالرحمن بن قعوان هو شيخ القبيلة ، وانهما من قبيلة لسلوم (الاسلوم) من يام .

بعد واجب الضيافة والترحيب والتسهيل سألني ابن قعوان عن علومي ، فأخبرته بمهمتي بالتفصيل ، فما كان منه إلاّ أن نبه على عدد من الرجال الثقاة بعدم المغادرة حتى يتسنى لنا جميعاً مناقشة الموضوع الذي من أجله جئت إليهم ، وقد رحبوا جميعاً وأبدوا استعدادهم ومعظم هاؤلاء من آل سالم الوعلة ، ومنهم رئيس فرقة المواصلات هناك ويدعى حسين بن مسفر بن علاس ، وهو رجل ثقة يتميز بالذكاء وسرعة البديهة يعول عليه في معرفة بعض الأماكن والقبائل والأنساب .

ومن خلال النقاش الذي استمر حتى منتصف ليلة السبت ١٤٠٧/٦/٣٠هـ اتضح لي الآتي :

١ ـ أن وادي حبونا الذي يعرف قديماً بحبونن والذي يمتد من الغرب إلى الشرق بطول قد يتجاوز مئة وخمسين كيلاً ابتداء من مصابه شرق ظهران الجنوب إلى التقائه بوادي نجران شرق مدينة نجران من أكبر أودية يام ولايقل أهمية عن وادي نجران .

٢ ـ وأنه يضم عدداً كبيراً من المدن والقرى مثل : حبونا ، وبدر الجنوب ، وهدادة ، وملاح ، وغير ذالك كثير جداً .

٣ ـ ويرفده عدد من الأودية التي فيها بعض البلدان مثل : نعوان ، وحمى ، وقطن ، وثار ، ملاح ، الحيفة ، صيحان ، هدادة . أي ان معظم البلدان التي تمتد شمال نجران إلى حدود يدمة الادارية تعود سيول أوديتها لحبونا .

٤ ـ إن مدينة الحصينية ذات الطابع الزراعي المهم والتي تتميز بتربة خصبة نادرة ، ومياه وفيرة ، تقع في أسفل وادي حبونا ، حيث يتسع الوادي هناك وتبتعد الجبال ، في سهول فسيحة واسعة ، تتخللها خلجان سيول حبونا ، حاملة معها الطمي من السلسلة الجبلية الغربية ، التي تتشعب فيها روافد حبونا .

٥ ـ إن معظم قبائل يام الوعلة ولسوم (الاسلوم) ـ يضمهم وادي حبونا وروافده ويدمة وماحولها .

أما بخصوص المواضع التي شَدَدْتُ الرحال من أجلها وهي :

جبل يام الأصحر ، الحيفة ، ملاح ، حارة ، جلاجل ، سروم ، والتي ورد ذكرها في كتاب «الجوهرتين» وكذالك سمنان ، خليف دكم ، الحظيرة ، صيحان ، هدادة والتي ورد ذكرها في كتاب «صفة جزيرة العرب» فقد سألت عنها كثيراً واتضح لي بشأنها الآتي :

١ ـ جبل يام الأصحر : لا يوجد في بلادِ يام جبل بهذا الاسم في الوقت الحالي . . ولعل الجبل المذكور يقع في بلاد يام القديمة التي نزحو منها إلى بلادهم الحالية ، وقيل لي : إن بلاد يام سابقاً تقع ضمن بلاد همدان ، شرق منطقة صحار وربما المقصود بجبل يام الأصحر في ذالك الوقت جبل همدان الذي يعرف الآن باسمهم جنوب غرب مدينة نجران في الأراضي اليمنية .

٢ ـ الحيفة : واد في أعالي وادي حبونا ، شرق ظهران الجنوب حوالي ٣٥ كيلاً ، وتعرف عند أهالي المنطقة بحيفة الجنائز ، لأنه سبق أن وقع فيها معركة بين قبيلة الوعلة من يام ، وقبائل من همدان ، وهذا الوادي لقبيلة الوعلة .

٣ ـ ملاح : وادٍ يسيل في وادي إمطارة ، أحد روافد صيحان ، وصيحان وادٍ كبير ، من أهم روافد حبونا ، ووادي ملاح هذا أعلاه لقبيلة سنحان من قحطان ، وأسفله لقبائل الوعلة من يام .

٤ ـ سمنان : قرية في الجزء الأوسط من وادي حبونا ، لا تبعد كثيراً عن مدينة حبونا في الجهة الجنوبية الغربية منها ، وسكانها بنو هميم من قبيلة لسلوم

(الاسلوم) ، وبها عدد من الآثار القديمة عبارة عن آبار وحصون .

٥ ــ خليف دَكم : لربما يكون النجد المعروف عندهم بالخليف ، وهو نجد يعبر منه الركبان قديماً من منطقة حبونا إلى ظهران الجنوب وملاح فإلى بلاد سراة عبيدة .

٦ ــ الحظيرة : قرية كبيرة تتوسط قرى وادي صيحان ، في منتصف الطريق بين بدر وهدادة ، وسكانها من آل سالم الوعلة .

٧ ــ بدر : وهو المعروف ببدر الجَنُوب ، بلد قديم جداً ، يعتبر من أهم بلدان نجران ، ويقع في غرب بلاد يام ، في أعلى وادي صيحان حبونا ، ويسكنه أخلاط من قبائل نجران ، ويعرف قديماً بمخلاف يام .

٨ ــ صيحان : من أكبر أودية حبونا ، ويصح القول أنه أعلى وادي حبونا ، ويرفده أودية كثيرة ، مثل : كهلان ، إمطارة ، خَيرة ، قاب . وفيه عدد كثير من القرى منها : الحظيرة . رضية ، وآل فايد ، وبها موقع أثري مشهور .

٩ ــ هدادة : مجموعة قرى متقاربة ، يضمها وادي هدادة أحد روافد حبونا ، وتبعد عن بلدة حبونا جنوباً بحوالي ٣٨ كيلاً ، وسكانها من قبائل الوعلة وآل فاطمة .

١٠ ــ حارة : هناك شعب في أسفله قليب ماء قديم مطوي بالحجارة ، ويعرف هذا الشعب باسم حارة ، ويقابل هذا الشعب في الجانب الأخر شعب آخر اسمه الحوارة ، شَعْبَانِ قَرِيْبَانِ من بعضهما ، هما الحارة والحوارة ، كلاهما من روافد (سَرُو) من روافد وادي الفيض من أودية حبونا (بالفاء المفتوحة) .

وبجوار ماء حارة قبر قديم ، ومسجد محاط بما يشبه السور من حجر ومنبره محاط بحجر أبيض ، كان يصلي فيه الركبان قديماً ، والذين تجبرهم ظروف السفر على الارتواء من ذالك الماء والراحة حوله بعض الوقت . قلت : ربما يكون قبر عبدالله بن الصمة أخو دريد الذي قتل في تلك الجهة (صفة جزيرة العرب ص ٢٥١) .

على هامش الرحلة :

١ ــ كنت أثناء رحلتي منذ أن تجاوزت نجد الرهوة ، مروراً بقرى يدمة وحبونا ونجران ، وحتى منتصف الطريق المعبد بين مدينة نجران وظهران الجنوب ، أشاهد عن يميني سلسلة جبلية سوداء متداخلة تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وتنحدر منها أودية قبائل يام ومعظم سكان هذه الأودية من قبائل الوعلة من يام ، وتعتبر هذه السلسلة الجبلية الامتداد الطبيعي لسراة عبيدة إلى جهة الشرق .

٢ ــ في أثناء الحديث عن التنمية والتطور الحاصل في منطقتهم ، عبر مجموعة من أهالي حبونا عن سرورهم واغتباطهم بالخدمات التي وصلت إليهم كالطرق والكهرباء والمرافق الأخرى ، وكانت ألسنتهم تلهج بالدعاء والشكر لحكومة هذه البلاد السعيدة ، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك المفدى ، وعبروا عن النعمتين الكبيرتين : الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان ، وقالوا : إنها من أكبر النعم التي يعيشها الإنسان ولايقدرها حق قدرها .

وفي سياق الحديث عن التنمية والتطور الحاصل في المنطقة ، وعن الأمن والاستقرار والخير العميم ، الذي تعيشه هذه البلاد السعيدة بإذن الله ، حدثنا أحدهم بحديث طريف ، تطرق فيه للوضع السائد قبل حكم الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ، وماكانت عليه البلاد من فوضى وجهل ومرض وخوف ، ثم أردف قائلاً : قبيل استيلاء الملك عبدالعزيز على الرياض بوقت قصير ، رآى أحد مشائخنا فيما يرى النائم أن رجلاً طويل القامة له سلطة وشأن ، جمع الناس في مكان عام ، ثم وقف على باب سور عظيم ، ومعه عصا طويلة ، وأمر أن يدخل الناس في هذا السور ، وكلما مر عليه رجلٌ طويلٌ ضرب رأسه بتلك العصا قائلاً سواء . سواء . ثم إن ذالك الرجل الذي رآى الرؤيا ، ذهب في اليوم الثاني إلى بدر الجنوب لغرض تعبير رؤياه ، وأتى إلى أحد الفقهاء ، وقص عليه الرؤيا ، وكان جواب الفقيه قوله : إن صدقت رؤياك فسيتولى حكم البلاد إمام عادل يساوي بين الناس ، ويقوم بقمع المجرمين المتعالين على عباد الله .

٣ ــ سألت عن قبيلة بني كعب بن الحارث ، أو بني الحارث بن كعب وهل

لازال لهم بقية ؟ قيل لي : انه يوجد أناس في جنوب مدينة نجران ، يقال لهم آل الحارث ، أو بني الحارث ، تعدادهم في حدود ألف نسمة تقريباً ، إلا أنهم خَامِلوُ الذكر ، وكثير من قبائل يام تأنف الزواج منهم ، لا لشيء سوى أن ألوانهم تميل إلى السمرة ، ورغم أنهم قبيلة مستقلة ، إلا أنهم يميلون إلى التحضر ، وامتهان المهن البسيطة ، التي لازال يعزف عن امتهانها كثير من أبناء البادية ، بسبب بعض العادات والتقاليد البائدة .

قلت : وقبيلة بني كعب بن الحارث بن كعب كانت من القبائل العربية القديمة ، ذات الصولة والجولة قبيل ظهور الإسلام وفي صدر الإسلام ، خصوصاً في عهد الدولة العباسية ، التي لأحد خلفائها علاقة نسب بزعماء هذه القبيلة آل عبد المدان وآل الديان ــ فسبحان مبدل الأحوال ــ .

قال محدثي : إن آل الحارث يميلون إلى السمرة بصفة عامة . قلت : يذكرني هذا الوصف بقول الرسول الكريم ﷺ حين وفد عليه بالمدينة وفد بني الحارث : « من هاؤلاء الرجال الذين يشبهون رجال الهند »[٨].

٤ ــ بعد قضاء مهمتي من حبونا ، قررت أن تكون العودة عن الطريق المسفلت الذي يربط نجران بظهران الجنوب ، فسراة عبيدة فخميس مشيط ومن ثم إلى تثليث .

وقد صار ذالك فعلاً حيث اتجهت من حبونا صباح يوم السبت الموافق ١٤٠٧/٦/٣٠هـ في اتجاه الشرق مروراً بعدد من قرى حبونا حتى الحصينية ، ومن الحصينية اتجهت عبر الطريق العام الذي يربط المنطقة الوسطى بنجران ، إلى مدينة نجران ، ومنها إلى ظهران الجنوب جاعلاً معظم بلاد يام الشمالية عن يميني ، وقد أمضيت معظم يوم السبت في ظهران الجنوب ، في ضيافة بعض الإخوان في فرقة المجاهدين الثانية ، وأميرها أخي الشيخ عبدالمحسن بن شافي الذي له اطلاع واسع بجغرافية تلك المنطقة وأنساب القبائل فيها ، حيث جمعت بعض المعلومات التي آمل نشرها في موضوع آخر إن شاء الله .

بعض المواضع التي ورد ذكرها في الرحلة :

١ ـ المُعْتَلَا : قرية كبيرة آهلة بالسكان من قرى برقا جاش .
٢ ـ كُحْلَة : من الكحل قرية حديثة سميت على اسم شعيب كحلة .
٣ ـ الشُّهَيْد : قرية . والاسم في الأصل يطلق على جبيل صغير منفرد في أرض براح .
٤ ـ المَرَازَة : قرية .
٥ ـ السُّفِحْ : قرية زراعية في سفح جبل الربوض الغربي .
٦ ـ الرَّسَيِن : وادٍ كبير من روافد تثليث العظام .
٧ ـ عِرْقَة : بلدة قديمة .
٨ ـ العَرين : المركز الرئيس لآل سليمان وآل سلمان ـ عبيدة .
٩ ـ القَهر : سلسلة جبال شرق وادي تثليث مشهورة .
١٠ ـ الزَّهَوَة : نجد يصل بلاد قحطان ببلاد يام .
١١ ـ الهَدُود : بلدة آهلة بالسكان لقبيلة المشاعلة .
١٢ ـ البُغَيْبغ : ماء قديم في جَرٍّ تثليث .
١٣ ـ برُودَان : ويعرف قديماً بالبردان منهل ماء قديم .
١٤ ـ مَرَابِخ : أرض سهلة في ضفاف تثليث الغربية وفيها بعض القرى الصغيرة .
١٥ ـ الزَّانَة : قرية زراعية للمشاعلة .
١٦ ـ الحمضة : بلدة قديمة لآل مسفر من آل مسعود .
١٧ ـ رُغْوان : مركز حكومي وهو من الحمضة .
١٨ ـ الجُعَيْفِرَة : بلدة تاريخية قديمة تعرف قديماً بالهُجَيْرَة .
١٩ ـ يَدَمَة : مركز حكومي في شمال منطقة نجران .
٢٠ ـ العَمْق : سهل فسيح على شبه دارة شرق مركز الامواه .
٢١ ـ الجَحَر : وادي ـ بفتح الحاء ـ .
٢٢ ـ النُّصَيْلَة : تصغير نصلة مركز حكومي تبع نجران . وهذا الاسم يطلق في الغالب على الحجارة العظيمة البعيدة من الجبال .

٢٣ ـ الحَبَط : وادي .
٢٤ ـ ثار : بلدة قديمة ومركز حكومي .
٢٥ ـ الحُصَيْنِيَّة : بلدة زراعية مشهورة .
٢٦ ـ السُّلِيل : وادٍ يجمع أودية يدمة .
٢٧ ـ سِنخ : جبل مشهور في شمال بلاد يام .
٢٨ ـ اللُّجَام : وادٍ ويعرف بَعَبالِم .
٢٩ ـ إعْشَارَة : وادٍ من أودية يدمة .
٣٠ ـ مَخَضُوب : من خَضَب وادٍ ، حدثت فيه نجران .
٣١ ـ طِلْحَام : من أودية يدمة .
٣٢ ـ وَسَط : من أودية يدمة .
٣٣ ـ جِمَى أو جِمَا : مركز حكومي وماء قديم .
٣٤ ـ نَعْوَان : وادٍ وقرى .
٣٥ ـ الجيفة : وادٍ من أودية حبونا .
٣٦ ـ مَلاَح : وادٍ من أودية حبونا .
٣٧ ـ سَمْنَانْ : قرية من قرى حبونا .
٣٨ ـ خَلِيف دَكَمْ : نجد معروف في منطقة حبونا .
٣٩ ـ الْخَظِيرة : قرية من قرى حبونا .
٤٠ ـ بَدر : مدينة من مدن نجران .
٤١ ـ صَيْحَان : من أودية حبونا .
٤٢ ـ هَدَادَة : قرية .
٤٣ ـ حَارَة : شعب .
٤٤ ـ الحُوارَة : شعب .
٤٥ ـ سَرُو : من أودية حبونا . من روافده حارة والحوارة .
٤٦ ـ سروم : وادٍ آخر في حبونا .
٤٧ ـ سروم : وادٍ من روافد أعلى تثليث ويعرف بسروم الفيض وهو الأكثر

الشرارات من قبيلة كلب

[نشر صديقنا الباحث المحقق روكس بن زائد العزيزي نقداً لكتاب «تاريخ مأدبا الحديث» نشره في إحدى الجرائد الأردنية ولصلة جانب من هذا النقد بإحدى القبائل الكريمة من سكان هذه البلاد، رأت مجلة «العرب» إعادة نشره ولما فيه من معلومات قيمة].

في أقوال العرب: «اقتل ولا تشتم!»

قال المؤلف الفاضل في الصفحة ال ٧٦ من الكتاب ما حرفه: «الشرارات القبيلة الوضيعة!»

والحقيقة أن الشرارات إذا سألت أحدهم عن أصله، بادرك بقوله: «انا من

شهرة.

٤٨ ـ الفَيْض: من أودية حبونا.

وادي جاش: فراج بن شافي الملحم

[الهوامش]:

(١) ورد ذكر الرُّبُوض في قول الشاعر:
جرى منه جاش فالربوض فما رأى ... هويلاً فإزعيلاء فالبردان
انظر كتاب «أبو علي الهجري» ص ٢٢١ تأليف حمد الجاسر، والمواضع التي وردت في البيت لازالت موجودة على اسمائها القديمة حتى الآن.

(٢) الرُّسَيْن من الأودية الفحول التي ترفد تثليث من جهة الغرب، ولعله المقصود بقول الشاعر:
اقرت به نجران ثم حبونن ... فتثليث فالأرسان فالقرطان
وكل هذه المواضع معروفة ماعدا القرطان «صفة جزيرة العرب» ص ١٣٨.

(٣) تكرر اسم الهجيرة في كثير من المراجع الجغرافية، خاصة في «صفة جزيرة العرب» وقد ورد ذكرها في محجة حضرموت، قال المؤلف في ص ٣٤٣ مبتدياً من الشمال: نجران حبونن الملحات، لوزة. عبالم. مربع. الهجيرة. تثليث. جاش. مصامة بني عامر... الخ.

(٤) قبيلة آل فهاد: قبيلة عريقة، من أكبر فروع قبائل الوعلة من يام، تسكن في المنطقة الشمالية من منطقة نجران، ومركزها الرئيس يدمة.

(٥) آل مطلق: من الوعلة، وتسكن في حواشي حبونا الشمالية، وحاضرتها بلدة ثار.

(٦) الشغايا: جمع شَغية، أي شُعَبْ متعددة، ويقال ذالك عندما تكثر فروع الشجرة أو الوادي حول مكان واحد.

(٧) عبالم: واد كبير من أودية يدمة، ويطلق عليه أيضاً (اللجام)، وقد ورد ذكره في وصف المحجة ص ٣٤٣ «صفة جزيرة العرب» للهمداني ولازال يحتفظ باسمه القديم.

(٨) ورد ذالك في عدد من كتب السيرة، انظر كتاب «الروض الأنف» ص ٢١٨ جـ ٤.

بني شرار بن سليمان بن هلال بن مكلب ، فهم يتهربون من (كلاب إلى مكلب) والشرارات من قبيلة (كلب) التي كانت إلى عهد قريب على درجة من الثروة وهم من القبائل العربية الصريحة النسب ، وكان (بنو كلب) في زمن من الأزمان هولا من الأهوال ، فعليهم كان بنو أمية يعتمدون في الدفاع عن ملكهم ، وقد صاهرهم (معاوية بن أبي سفيان) ليضمن ولاءهم ، وقصة زوجه (ميسون ابنة بحدل الكلبية الشاعرة) معروفة فقد كان أبوها والياً وكان مسيحياً ، فلما نقلها (معاوية) من البادية ، اسكنها قصراً في دمشق ، وعلى الرغم من كل ما هيأ لها من أسباب النعيم فإنها ظلت تحن إلى البادية ، حتى بعد أن ولدت ابنها (يزيد)! . .

وقد سمعها (معاوية) في احد الأيام تنشد هذه الأبيات ــ على اختلاف في روايتها : ــ

لَلُبْسُ عباءَةٍ ، وَتَقَرَّ عيني، أحبُّ إليَّ من لبس الشفوف
وبيت تخفق الأرواح فيه، أحبُّ إليَّ من قصر منيف
وبَكْر يَتبع الأظعان صعبٌ، أحبُّ إليَّ من بغل زفوف
وكَلْبٌ ينبح الأضياف دوني، أحبُّ إليَّ من هز الدفوف
وخِرْقٌ من بني عَمّي نقيف أحَبُّ إليَّ من عِلْجٍ عنيف

وهناك روايات مختلفة جعلت الأرياح بدلاً من الأرواح وجعلت مكان هز الدفوف ــ أحب إليَّ من قط اليف ، وجعلت مكان علج عنيف عجل عليف ! . .

فلما أنهت كلامها قال (معاوية): «ما رضيت يابنة (بحدل) حتى جعلتيني علجا ؟ الحقي بأهلك فمضت إلى قومها (كلب) وابنها (يزيد) معها ! .

فلمـا قرأت قول الأستاذ (مؤلف تاريخ مادبا الحديث) المملوء بالمغالطات والأوهام . لم أكتف بمعلوماتي الخاصة بالقبائل ، بل ذكرت قضية (الشرارات) لصديقي علامة الجزيرة الشيخ .(حمد الجاسر) يوم ذهبت للسلام عليه في (ريجنسي) لدى حضوره (مؤتمر آل البيت السادس) . فقال : « الذي يقول هذا القول ــ الشرارات قبيلة وضيعة ــ يجهل التاريخ . فالشرارات من القبائل

العربية الصريحة النسب القوية ، التي ثبتت ملك (بني أمية) لكن ازدياد قوة القبائل المجاورة لها من (الرولة) وغيرهم ، جعل القبيلة تبدو بحالة من الضعف ، حتى اعتبرها بعضهم من القبائل المجهولة النسب ، وهذا خطأ باطل .

فالذي أقوله : « ان كل عظيم إذا هوى عن منزلته ، نال من الاحتقار أضعاف ماكان له من العزة والاحترام . وشاهدنا من التاريخ أن الناس في أيام عز (البرامكة) كانوا إذا أرادوا الثناء الطيب على انسان ، قالوا : تبرمك الرجل ، أي تشبه بـ (البرامكة) ويوم نكبهم (الرشيد) حرم على الناس ذكرهم ، لا بل صار ذكرهم سبة ، فإذا أراد بدونا اليوم تحقير رجل قالوا : —

(سبة بهالوجه الأصفر اللي لون وجه البرمكي !) فهل يعني ذالك أن (البرامكة) أسرة وضيعة ؟؟!

لقد كانت قبيلة (بني كلب ــ الشرارات) وقبيلة (طي) وهما قبيلتان قحطانيتان أقوى قبيلتين تحلان شمالي الجزيرة العربية ، وتمتد منازل (بني كلب) حتى تصل إلى (العراق) شرقاً ، وإلى (الشام) شمالاً ، وقد سمي (وادي السرحان) باسم قبيلة عريقة في القدم ، لبطن من (الاسبع) من (كلب بن وبرة) من (قضاعة القحطانية) تنسب إليهم عشيرة (السراحين) في قضاء (بير السبع ــ فلسطين ــ و(الهديبات) في الخليل[1].

كما أن (ابن الكلبي) النسابة ، وهو من (كلب) ذكر في (أبناء كلب السرحان) ولكنه أشار إلى انقطاع النسب (في شمال غرب الجزيرة ص ٤٣ حمد الجاسر الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م) .

ويقول الشيخ حمد الجاسر : ولاشك في أن بعض فروع (الرولة) يرجعون في الأصل إلى قبيلة (كلب القحطانية) كما أن قبيلة (الشرارات) كغيرها ، دخل منها فروع في قبائل أخرى من (طي) ومن (ذبيان) ومن (غطفان) ومن (عنزة) ومن غيرها .

وقد اشتهرت ابل (كلب) شهرة واسعة ومايزال البدو إلى يومنا هذا يضربون المثل بالذلول الشراري قال الشاعر : —

يا راكبٍ من عندنا فوق مذعور، حرٍّ اضمري من ركاب الشرارات !

واشهر إبل (كلب) تلك الابل المسماة (الماطلية) نسبة إلى (ماطل).

ذكر صاحب «الأغاني» أن (الرماح بن ابرد) المعروف بـ (ابن ميادة) وفد على الخليفة الأموي ، ومدحه ، فأمر له بِمِئَةِ ناقة من نعم (بني كلب) لكن عمال الزكاة حاولوا أن يدفعوا له ابلا أخرى فرفض ، وأخبر الخليفة ، فأكد الأمر مرة أخرى . وليس للشرارات خيل ، لكنهم يربون أرفع أنواع الابل وأحسن فصيلة هي المسماة بـ (بنات عدهان).

ومن عشائر الشرارات المعروفة عشيرة (اللحاوي) الذي سماه المؤلف اللهاوي ، واللحاوي في الأصل من قبيلة العجارمة انضم إلى قبيلة الشرارات ، وهو شيخ عشيرة (الحميرة).

وقد اتفق أن أحد الضيوف ذم (سليم اللحاوي) ظلماً ، بقوله :

تلفي على ربعة (سليم اللحاوي) الغلمة اللي ما يهلون بالضيف
يا ضيفهم كنه بدوٍّ خلاوي، لو اقووا الخطار ما قال : (يا حيف)

فلما رفع اللحاوي هذه الإهانة إلى القاضي حكم له حكماً قاسياً جدًّا على الزعيم الذي ذمه ، لكنه اكتفى بالراية أيضاً ، وتجاوز عن الغرامات !

هذه بعض معلومات يا عزيزي الأستاذ (سامي) عن القبيلة التي دعوتها وضيعة .

روكس بن زائد العزيزي

المراجع :

- حديث مع الشيخ حمد الجاسر صاحب دار اليمامة للنشر . ومجلة «العرب» الشهيرة والمؤلفات الخالدة .
- منها في شمال غرب الجزيرة ـ حمد الجاسر .
- الاغاني . لأبي الفرج الاصفهاني طبعة دار الفكر ـ بيروت
- ابن الكلبي النسابة مؤلف الأصنام .
- الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام ج ١ ص ١٧٤ مصطفى الدباغ .
- فوائد مسجلة مخطوط للعزيزي .

١ ـ الجزيرة العربية موطن العرب ، ومهد الإسلام الجزء الأول الصفحة ال ١٧٤ الأستاذ مصطفى الدباغ .

ماإتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤ هـ)

— ٤٩ —

٢٣٤ ـ بابُ جِيلانَ : وجَيلانَ[١]

أمّا الأوّلُ : بِكَسْرِ ٱلجِيمِ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ـ : بِلَادٌ عُجَمِيَّةٌ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ ذَكَرْنَاهُم فِي «ٱلفَيْصَلِ» و«ٱلمُخْتَلِفِ ، وَٱلمُؤْتَلِفِ»[٢]

وَأَمَّا الثَّانِي : بِفَتْحِ ٱلجِيمِ ـ : مَوْضِعٌ .. قَالَ الشَّاعِرُ :

يَاهَلْ تَرَى ظُعُناً تُحْدَى جَنَائِبُهَا ‍ ‍ ‍ ‍ مِثْلَ ٱلمَخَارِفِ مِنْ جَيْلَانَ أَو هَجَرا

كَذَا وَجَدتُهُ مُقَيَّداً مَضْبُوطاً بِخَطِّ ابْنِ ٱلفُرَاتِ[٣].

الهوامش :

(١) لَمْ أرَ هَذَا ٱلبَابَ فِي كِتَابِ نَصْرٍ.

(٢) قال يَاقوت في «مُعْجَمِ البُلْدَانِ» : جِيلَانُ ـ بالكَسْرِ ـ اسْمٌ لِبِلَادٍ كَثِيرَةٍ مِنْ وَرَاءِ بِلَادِ طَبَرِسْتَانَ ـ ثم نَقَلَ عن ابْنِ الكَلْبِيِّ : جِيلَان ومُوقَان ابْنَا كَاشِجِ بن يَافِثِ بن نُوحٍ ، وأضَافَ : ولَيْسَ في جِيلَانَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ ، إِنَّمَا هِيَ قُرَى في مُرُوجٍ بَيْنَ جِبالٍ يُنْسَبُ إليها جِيلَانِيٌّ وجِيلِيٌّ ، والعَجَمُ يقولُونَ : كِيلَان ، وقَدْ فَرَّقَ قَوْمٌ فَقِيلَ : إذا نُسِبَ إلى ٱلبِلَادِ قِيلَ جِيلَانِيٌّ وإذا نُسِبَ إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ قِيلَ : جِيلِيٌّ ، وقَدْ نُسِبَ إِلَيْهَا مَنْ لَا يُحْصَى مِنْ أَهْلِ ٱلعِلْمِ فِي كُلِّ فَنٍّ ، وعلى ٱلخُصُوصِ في الفقهِ ، ثم ذَكَرَ بَعْضَ ٱلمَنْسُوبِينَ إليها ، كما ذكرهم السمعانيُّ في «الأنساب» ـ ٣/١٦٢ ـ وأطالَ صاحِبُ كتاب «بُلْدانِ الخلافة الشرقية» ص : ٢٠٦ ومابعدها ـ الكلامَ على جِيلَانَ ، وسَمَّاهَا ـ (كيلان) ورَسَم لها مُصَوَّراً جغرافياً بين خطي الطول : ٤٦° و٥٥° وبَيْنَ خطَّيِ العرض : ٣٢° و٣٨° ـ ص : ٢٢١ ـ وذكر أنَّ قصبةَ كِيلَانَ الآنَ مدينة (رَشْت) وتقع هذه بِقُرْبِ السَّاحِلِ الجنوبيِّ لبحر ٱلخَزَرِ ، شرق إقليم أذربيجان فيما بينه وبين مَازَنْدَران ، بِقُرْبِ خط الطول : ٥٠,٠٠° وخطِّ العَرْضِ : ٣٧,٠٠° ـ

وكتابا «الفيصل» و«المختلفُ والمؤتلف» مِنْ مؤلَّفاتِ المؤلِّف ، ذُكِرَا في المقدِّمة ـ

(٣) قال ، ياقُوتُ ـ عَنْ جَيْلَانَ ـ : بالفَتْحِ ، قال :

قال عمدُ بنُ ٱلمُعَلَّى الأزْدِيُّ في قول تميم بن أُبَيِّ بن مُقْبِل ومن خطه نقلته :

ثُمَّ احْتَمَلْنَ أُنَيْـاً بَعْـدَ تَضْحِيَـةٍ ‍ ‍ ‍ ‍ مِثْـلَ ٱلمَخَارِفِ مِنْ جَيْـلَانَ أَوْ هَجَرِ

طَافَتْ بِهِ ٱلعُجْمُ حَتَّى بَذَّ نَاهِضَهَـا ‍ ‍ ‍ ‍ عُمٌّ لَقِحْنَ لِقَاحـاً غَيْرَ مُنْتَشِرِ=

٢٣٥ ــ بَابُ جَيٍّ : وَجِيٍّ(١) .

أَمّا الأَوّلُ : بِفَتْحِ الجِيمِ والياءُ مُشَدَّدةٌ : مَدِينَةٌ عِنْدَ أصْبَهانَ ، يُقالُ : كانَ سَلْمانُ الفارِسيُّ مِنْها ، كَذَلِكَ جاءَ في حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ وَغَيْرِهِ(٢) .

وأَمّا الثّاني : ــ بِكَسْرِ الجِيمِ ــ : وادٍ عِنْدَ الرُّوَيْثَةِ ، بَيْنَ مَكَّةَ ، وَالْمَدِينَةِ وَيُقالُ لَهُ المُتَعَشّى ، وَهُناكَ يَنْتَهي طَرَفُ وَرِقانَ ، وهُوَ في ناحِيَةِ سَفْحِ الجَبَلِ ، وَهُوَ الَّذِي سالَ بِأَهْلِهِ وهُمْ نِيامٌ فَذَهَبُوا(٣) .

= أُبَيٌّ : تصغير أُبَيٍّ ، واحد آناء الليل قال : وجيلانُ قومٌ من أبناءِ فارسَ ، انتقلوا من نواحي اصْطَخْرَ ، فنزلُوا بِطَرَفٍ مِنَ البَحْرَيْنِ ، فَغَرَسُوا وزرَعُوا وحفَرُوا وأقامُوا هُناكَ ، فَنَزَلَ عَلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي عِجْلٍ فَدَخَلُوا فِيهِمْ ، قالَ امْرُؤُ القَيْسِ :

أطافَتْ بِهِ جِيلانُ عِنْدَ قِطافِهِ وردَّتْ عَلَيْهِ الماءَ حَتّى تَحَيَّرا

قالَ : ويَدُلُّكَ على صِحَّةِ ذالِكَ قَوْلُ تَميمٍ بَعْدَهُ : طافَتْ بِه العُجْمُ .

وقال المرقّشُ الأَصْغَرُ :

وَما قَهْوَةٌ صَهْباءُ كَالمِسْكِ رِيحُها تُعَلُّ عَلى النّاجُودِ طَوْراً وتُقْدَحُ
ثَوَتْ في سِواءِ الدَّنِّ عِشْرِينَ حِجَّةً يُطانُ عَلَيْها قَرْمَدٌ وتُرَوَّحُ
سَباها تِجارٌ مِنْ يَهُودَ تَواعَدُوا بِجِيلانَ يُدْنِيها إلى السُّوقِ مُرْبِحُ
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيها إذا جِئْتُ طارِقاً مِنَ اللَّيْلِ ، بَلْ فُوها أَلَذُّ وأَنْصَحُ

وفي «ديوان ابن مُقْبِلٍ» ــ ٩٢ ــ :

طافَتْ بِهِ العُجْمُ حَتّى بَدَّ ناهِضَها عُمٌّ لَقِحْنَ لِقاحاً غَيْرَ مُبْتَسَرِ

وانظر شرحه هناك ــ وأبياتُ المُرَقِّشِ الأصْغَرِ : رَبيعة بنِ سُفْيانَ من بني ضُبيعة ــ في «المفضليات» مِنَ المُفَضَّلِيَّةِ الـ (٥٥) .

وفي «تاج العروس» : وَجَيْلانُ ــ بالفَتْحِ ــ حَيٌّ من عَبْدِ القَيْسِ نقلهُ الصاغانيُّ ، وأَوْرَدَ بَيْتَ امْرِئِ القَيْسِ ، وجَيْلانُ بِخِلافٍ بِالْيَمَنِ ــ إلى أنْ قال ــ : وجَيْلانُ قَوْمٌ رَتَّبَهُمْ كِسْرَى بِالبَحْرَيْنِ ، لِخَرْصِ النَّخْلِ أَوْ لِمِهْنَةٍ مّا ، نقلهُ ابنُ سِيْدة والصّاغانِي ، وضَبَطَاهُ بالفَتْحِ ــ انتهى . إذَنْ : جَيْلانُ قومٌ من العجم ، نَزَلُوا البَحْرَيْنِ فدَخَلُوا في سكانِهِ مِنَ العَرَبِ ، وكانتْ لهم صِلَةٌ بِمُلُوكِ الفُرْسِ أَثْناءَ اسْتِيلائِهِمْ على تِلْكَ البلادِ .

(١) في كِتاب نَصْرٍ كَما هُنا .

(٢) عِنْدَ نصرٍ : مَدِينَةُ أَصْبَهانَ ــ وَلَمْ يَزِدْ ، وقال ياقوتُ : جَيٌّ ــ بِالفَتْحِ ثُمَّ التَّشْدِيدِ ــ : اسْمُ مَدِينَةٍ ناحِيَةِ أَصْبَهانَ القَدِيمَةِ ، وهي الآنَ كَالخَرابِ مُنْفَرِدَةٌ ، وتسمّى الآنَ عِنْدَ العَجَمِ شَهْرِسْتانَ ، وعند المحدثين المدينة ، ومَدِينةُ أصبهان يقال لها اليهودية ، وبينها وبَيْنَ جَيٍّ نَحْوُ مِيلَيْنِ ، وفي جَيٍّ مشهدُ الراشد بن =

٢٣٦ ـ بابُ جَيْشَانَ : وخَيْشَانَ(١)

أمَّا الأوَّلُ : ـ بِفَتْحِ ٱلجِيمِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ شِينٌ مُعْجَمَةٌ وآخرهُ نُون ـ: نَاحِيَةٌ بِٱلْيَمَنِ ، نَزَلَهَا جَيْشَانُ بْنُ عَبْدَانَ بْنِ حَجْرِ بْنِ ذِي رُعَيْنٍ ، فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ(٢).

= المسترشِد ، وهي على شاطِيء نَهرِ زَنْدَرود ، وفي «معجم مااستعجم»: جَيٌّ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وتَشْدِيدِ ثانيه ـ : مَدِينَةُ اصْفَهَانَ ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

نَظَرْتُ وَرَائِي نَظْرَةَ الشَّوْقِ بَعْدَمَا ... بَدَا ٱلجَوُّ مِنْ جَيٍّ لَنَا والدَّسَاكِرُ

وَبِجَيٍّ قَتَلَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ الرِّيَاحِيُّ الزُّبَيْرَ بنَ عَلِيٍّ رَئِيسَ ٱلخَوَارِج ، وانْهَزَمَتِ ٱلخَوارِجُ ، قال الشاعِرُ يَمْدَحُ عَتَّابًا :

وَيَوْمَ بِجَيٍّ تَلاَفَيْتَهُ ... وَلَوْلاَكَ لاَصْطُلِمَ ٱلعَسْكَرُ

واطال صاحب كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» ـ ٢٣٨ ـ الكلام على جَيٍّ .

وحَدِيثُ ابنِ عَبَّاسٍ أورَدَهُ الذَّهَبِيُّ في «سِيَرِ أَعْلاَمِ النُّبَلاَءِ» : ٥٠٦/١ ـ بطوله، وفيه : عن ابْنِ عبَّاسٍ قال : حَدَّثَنِي سلمانُ الفارِسيُّ قال: كُنْتُ رَجُلاً فارِسياً مِنْ اهْلِ اصْبَهَانَ ، مِنْ اهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لها جَيٌّ إلى آخر الخبر .

(٣) عند نصْرٍ : ـ بعدَ كلمة (ٱلمدِينَة) : (وَهُوَ الَّذِي سَالَ) إلى آخر ٱلجُمْلَةِ بِدُونِ زِيَادَة ـ أمَّا يَاقُوتُ فَنَقَلَ كَلاَمَ ٱلحَازِمِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبٍ إِلَيْهِ وَلَمْ يَزِدْ ، ومازَادَهُ ٱلحَازِمِيُّ اقْتَبَسَهُ من رسالِ عَرَّامٍ «أسماء جبالِ تِهامَةَ وسُكَّانها» وفيها ـ ص ٤٠١ نوادر المخطوطات ـ : وَلِمَنْ صَدَرَ مِنَ ٱلمدِينَةِ مُصْعِدًا اوَّلُ جَبَلٍ يَلْقَاهُ عَنْ يَسَارِهِ وَرِقَانُ ، وهُوَ جَبَلٌ أَسْوَدُ عَظِيمٌ كَأَعْظَمِ مَايَكُونُ مِنَ ٱلجِبَالِ ، مُنْقَادٌ مِنْ سَيَالَةَ إِلَى ٱلمُتَعَشَّى ، بَيْنَ ٱلعَرْجِ والرُّوَيْثَةِ ، ويُقَالُ لِلْمُتَعَشَّى ٱلجِيُّ . انتهى .

امَّا جُملة : (وَهُوَ الذِي سَالَ بِأهله) إلى آخِرِها ، فَلَمْ أَعْرِفْ مَصْدَرَهَا ، وأخْشَى أنْ يكُونَ ٱلتَبَسَ عَلَيْهِ هذا الاسم بِاسْمِ (الجُحْفَةِ) فهو الذي سَالَ بِأهْلِهِ وكَذا وَادِي إضَم ـ المعروف الآن باسم (وادي الحَمْض) ـ انظر رسم (الجحفة) ورسم (إضم) في «معجم مااستعجم» للبكري ، وغيره .

وَوَادِي ٱلجِيِّ لاَيَزَالُ مَعْرُوفًا ، يَجْزَعُهُ طَرِيقُ مَكَّةَ من المدينةِ القَدِيمِ ، الذي كانَ يَحْبِلُ مِنَ ٱلمُنْصَرَفِ (المُسَيْجِيد) شمالاً ماراً بِمَنْهَلِ الرُّوَيْثَةِ في سَفْحِ جَبَلِ وَرِقَانَ في وادي الجِيِّ ، فَوَادِي ٱلجِيِّ ، فَأُمِّ ٱلبِرَكِ المَعْرُوفَةِ قَدِيمًا باسْم (السُّقْيَا) وسَيْلُهُ يَنْحَدِرُ من وَرِقَانَ وجَبَلِ قُدْس (القُدس) ومن المرتفعات الوَاقِعةِ على مقربة من السُّقْيا ، ثمّ يَتَّجِهُ غَرْبًا حتّى يفيض في وادِي الصَّفْرَاءِ ، فوق المَضِيق الواقِعِ غَرْبَ (المُسَيْجِيد) مضيق الصفراء حيث الطريق الحديث .

(١) في كتاب نصر : (بَابُ جَيْشَانَ ، وجَهْسَانَ ، وخُشْبَانَ) .

(٢) قال نصر: أمَّا بِفَتْحِ الجِيمِ ـ: نَاحِيَةٌ يَمَانِيَةٌ ، أَهْلُهَا آلُ ذِي رُعَيْنٍ . وقَالَ ابْنُ الكَلْبِيِّ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ ، وَلَيْسَ تُبَّعٌ ، كَمَا أَنَّ خَوْلاَنَ اسْمٌ لِبَلَدٍ ثُمَّ غَلَبَ عَلَى مَنْ حَلَّهُ مِنَ ٱلْيَمَنِ . انتهى . وفي «صفة جزيرة العرب» للهمداني: مِخْلاَف جَيْشَانَ : مِنْ مُدُنِ ٱلْيَمَن ، ولَمْ يَزَلْ بِهَا عُلَمَاءُ وفُقَهَاءُ وتُجَّارٌ أَبْرَارٌ ، وكان مِن =

يُنْسَبُ إِلَيْهَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَيْشَانِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَاضِي الْجَنَدِ ، سَمِعَ[منه] جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى النَّيْسَابُورِيُّ بِالْمَوْضِعِ(٣).

وَثَمَّ جَمَاعَةٌ يُنْسَبُونَ إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَقَدْ مَيَّزْنَا بَيْنَهُمْ فِي «الْفَيْصَلِ»(٤).

وأَمَّا الثَّانِي : ــ أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ الْأَوَّلِ ــ : مَوْضِعٌ أَظُنُّهُ بِسَمَرْقَنْدَ(٥).

= شُعرائِها ابن جُبْرانَ . . . ومِنْ جَيْشانَ كانَ مَخْرجُ القَرامطةِ بِالْيَمَنِ ومِنَ الْجَنَدِ ، ويَسْكُنُ مِخْلافَ جَيْشانَ بُطونٌ مِنْ يَرِيم ذِي رُعَيْنٍ إِلَى آخرِ ماذكر ــ وعَلَّقَ القاضي الأكوعُ قائلاً : قَدِ اخْتفى اسم هذا المِخْلافِ لِاخْتِفاءِ مَدِينَتِهِ . كما اخْتَفَتْ قَبائِلُهُ ، ودَخَلَ المِخْلافُ في عِدادِ مِخْلافِ الْعَوْدِ ، وحَجَر ويَفُر : بلاد قعطبة الْيَوم ، ونُسِبَ إلى جَيْشان واسمه عَبْدانُ بن حَجر من ذي رعين كما في «الاكمال» لابن ماكولا : ٣/٣٨٦ ــ كذا ولَمْ أَرَ هَذا في كِتاب «الإكليل» لِعالم اليمن ونَسَّابِ قبائله الْهَمْدانِي ، فَقَدْ فَرَّعَ أبناءَ ذِي رُعَيْنٍ وذَكر عَبْدان بن حَجر بن يَرِيمِ ذِي رُعَيْنٍ في «الإكليل» ج ٢ ص ٣٢٠ ــ ط : بغداد سنة ١٩٨٠م ــ فَلَمْ أَرَ ذِكْراً لِجَيْشانَ حَيْثُ فَرَّعَ .

وفي «معجم البلدان» لِياقوت : مِخْلافُ جَيْشَانَ باليمن ، كانَ يَنْزِلُها جَيْشانُ بن غيدان الصواب عبدان كما في «الإكليل» ٢/٣٢١ حاشية ــ بن حَجر بن يَرِيم ذِي رُعَيْنٍ . . وهي مَدِينَةٌ وكُورَةٌ تُنْسَبُ إِلَيْهَا الْخُمُرُ السُّودُ ، قال عَبِيدٌ :

فَأَبْنا ونازَعْنا الحَدِيثَ أَوانِساً عَلَيْهِنَّ جَيْشَانِيَّةٌ ذاتُ أَغْيالِ

ــ أَيْ خُطوط وَوَشْيٌ . . . وقِيلَ : جَيْشانُ مَلَّاحَةٌ بِالْيَمَنِ ، وجَيْشانُ أَيْضاً : خُطَّةٌ بِمِصر ، بالفُسْطاطِ ، وقالَ القُضاعِيُّ : هُمْ جَيْشانُ بن خَيْرانَ بْنِ وائِلِ بْنِ رُعَيْنِ مِنْ حِمْيَر ، وهذِهِ الْخُطَّةُ الْيَوْمَ خرابٌ . انتهى ملخصاً .

وحَدَّدَ القاضي الأكوعُ موقعَ مدينة جَيْشانَ في حاشيته على كتاب «صفة الجزيرة» بأنها تقعُ في عُزْلة الأعشور ، من مخلافِ الْعَوْدِ ، شمال قَعْطَبة ، وهي أطلالٌ وخرائِب . . وحَدَّدَ المسافة بينها وبين قَعْطَبَةَ الْمَقْحَفِيُّ في كتابه « معجم البلدان والقبائل اليمنية» بخمسة عشر كِيلاً ، وقَعْطَبَةُ تَقعُ في الجَنُوب الشرقي من مدينة إِبَّ بمَسَافَةِ ٦٢ كِيلاً .

(٣) ورد هذا كله في «معجم البلدان» وكلمة [منه] ساقطة من كتاب الحازمي ، وهي عند ياقوت ، وعنده بدل (بالموضع) : (بجيشان) وعَدَّ ابن ماكولا في «الاكمال» ٢/١٩١ كثيرين من الرُّواةِ المَنْسُوبِينَ إِلى جَيْشانَ ، ولكنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ إسماعيلَ بن محمد . وكذا فعلِ السمعانيّ في «الأنساب» .

(٤) يَظْهَرُ أَنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى جَيْشَانَ كانُوا مَنْسُوبِينَ إِلَى الْقَبِيلَةِ التي انْتَشَرَتْ فُرُوعُها أَثْناءَ الْفُتُوحَاتِ الإِسْلامِيَّةِ في مِصْرَ وفي غيرها من الأَقْطارِ ، كما يُفْهَمُ مِمَّن ذَكَرَهُم ابنُ ماكولا والسمعانيُّ ، ولهذا مَيَّزَ الحازِمِيُّ بَيْنَ الْمَنْسُوبِينَ إِلَى الْمَوْضِعِ والْمَنْسُوبِينَ إلى القَبِيلة في كتابه «الفَيْصَل» الَّذي لا يَزالُ مَخْطوطاً .

(٥) خَيْشَانُ : لَمْ أَرَهُ في كِتاب نَصْر ، وأوردَ ياقُوتُ في «معجم البلدان» كَلامَ الحَازِمِيِّ فِيهِ بِنَصِّهِ مَنْسُوباً إِلَيْهِ وَزادَ فيه : وقَدْ نُسِبَ إِلَيْهِ أَبُو الحَسَنِ الْخَيْشَانِيُّ ، رَوَى جامِعَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عامِرٍ السَّمَرْقَنْدِي ، ومَعَ أَنَّ السمعانيَّ ذَكَرَ أَبَا الْحَسَنِ الْخَيْشانيَّ وشيخَهُ الَّذي رَوَى عَنْهُ كِتابَ التِّرْمِذِيِّ ، إِلَّا أَنَّ اسْمَ الْمَوْضِعِ الَّذِي نُسِبَ إِلَيْهِ لَمْ يَرِدْ ذِكْرُهُ في كتاب «الأَنْسابِ» بَلْ وَقَعَ بَياضٌ في أَصْلِ الكِتابِ =

ابلى وما يقربها من المواضع

أبْلَى : سلسلة جبال سُود تقع جنوب شرق المدينة المنورة، في الشمال الغربي شمال غرب من مدينة المهد، مهد الذهب (معدنِ بني سليم قديما) وتتخللها أودية وسهول.

وتلك السلسلة يقدر طولها بنحو ثمانين كيلاً تقريباً وعرضها بنحو ستين كيلاً، وهي من عالية نجد، ومن بلاد بني عبدالله من مطير.

وقد ورد فيها أشعار كثيرة قال أحد الشعراء:

= مكانَ عَلَى النِّسْبَةِ. ومِمّا زادَ نصرٌ:

١ ـ جَيْشَان ـ بالسين المهملة وأوّلُهُ جيمٌ ـ وقالَ: مَوْضِعٌ في شِعْرِ عَبْدِ القَيْسِ، ولا آمَنُ أنْ يكونَ مُصَحَّفا، وَوَجَدْتُ في كِتابٍ بِلَهُجَيْمٍ بِالحَاءِ المُهْمَلَةِ. انتهى. ولَمْ يَرِدِ الاسْمانِ في مَوْضِعِهِما مِنْ «معجم البُلْدان» ولَمْ أرَهُما في غير كتاب نصرٍ مِنْ أسْماءِ المواضعِ.

٢ ـ خُشْبَانُ ـ قال نصرٌ: وأمّا بالخَاءِ المُعْجَمَة وبَعْدَهُ شينٌ مُعْجَمَةٌ ثُمّ باءٌ مُوَحَّدَةٌ ـ: بِخَطِّ ابْنِ الكُوفِيِّ صَاحِبِ أبي العَبّاسِ أحْكَمَ ضَبْطَ الاسْمِ في قَوْلِهِ:

هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرِّعُوا ... بِخُشْبَانَ مِنْ أسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا

نَقَلَ يَاقُوتُ في «المعجم» كَلامَ نصرٍ بِنَصِّهِ مَنْسُوباً إلَيْهِ ولَمْ يَزِدْ، مَعَ أنَّهُ أوْرَدَ البَيْتَ شاهِدا على جَيْشَانَ مَنْسُوباً إلى أمِّ صَرِيعٍ الكِنْدِيَّةِ، وبَعْدَهُ:

أبَوْا أنْ يَفِرُّوا وَالقَنَا في صُدُورِهِمْ ... وَأنْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا

وَلَوْ أنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أعِزَّةً ... وَلَكِنْ رَأوْا صَبْراً عَلَى المَوْتِ أكْرَمَا

والأبْيَاتُ الثَّلاثَةُ في المَرَاثي من «الحماسة» لأبي تمّامٍ، مَنْسُوبَةٌ لأمِّ الصَّرِيحِ (بالحاء) الكِنْدِيَّةِ، وقالَ مُحَقِّقُ «الحماسة» الدكتور عبدالله عُسَيْلانَ: لَمْ يَقِفْ لَها عَلَى تَرْجَمَةٍ. وهي مُتَقَدِّمَةٌ فقد اسْتَشْهَدَ عُلَماءُ اللُّغَةِ بِشِعْرِها ـ انظر «لِسَانُ العرب» فقد ورد فيه أنّها كانَتْ زَوْجَةً لِجَرير الشاعر، وَوَقَعَتْ بينَها وبين أخْتِهِ مهاجاةٌ ومفاخرة ـ انظر رسم (حضب) وورد البَيْتُ الذي أوْرَدَهُ نصرٌ في «اللسان» وفي «تاج العروس» رسم (ن ي ب) هكذا:

هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَامُهُمْ يَوْمَ صُرِّعُوا ... بِبَيْسَانَ مِنْ أنْيَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا

ـ وفي «التاج» بِبَيْسانَ ـ والَّذِي في «الحماسة» ١/٤٥٩ ـ بِجَيْشَانَ ـ فأنْتَ تَرَى الاختلافَ في اسْمِ الموضع الوارد في الشعر: (خشبان) عند نصر، و(جيشان) في «الحماسة» و«معجم البلدان» و«نيسان» في مطبوعة «اللسان» و(بيسان) في مطبوعة «تاج العروس» وابن الكُوفِيِّ الذي نَقَلَ نصرٌ عَنْ خَطِّهِ هُوَ عَلِيُّ بنُ مُحَمّدٍ الأسَدِيُّ النَّحْوِيُّ (٢٥٤/٣٤٨) مِنْ أجَلِّ أصْحَابِ أبي العبّاس ثَعْلَبٍ، وخَطُّهُ مَشْهُورٌ بالصِّحَّةِ والضَّبْطِ، وكانَ جَمّاعاً للكتبِ، ألَّفَ في اللغة والشعر ـ انظر «معجم الأدباء» و«إنباه الرواة» و«بغية الوعاة». أما كلما (مَاذَامُهُم) و(أنياب) في «اللسان» و«التاج» فتصحيف (مَاذَابِهِمْ) و(أسْبَاب).

وهَـلْ تَـركتْ أبْــلَى سَـوَادَ جِبَــالِهَـا وهَلْ زالَ بغْدِي عن قُنَيْنَتِه الحِجْرُ[1]

حدودها : يحدها من الشمال وادي الشعبة[2] ، ومن الشمال الغربي وادي الخليج[3] ، ومن الغرب : قرية الصُّعْبية ، ووادي الجُعْمَيْر ، ومن الجنوب : جبال الصفرة[4] ، ومدينة المهد ، وجبل رايان[5] ، ومن الشرق : وادي العرج[6] .

وهذه أسماء الهجر والأماكن والمياه والأودية والجبال والآثار وأسماء بعض الأشجار والنباتات الدائمة الخضرة في منطقة أبلى :

١ ـ الصُّعْبية : حَدُّ السهل (أبلى) من الحرَّة (حَرَّة بني عبدالله) وتقع في الجهة الغربية من أُبْلَى ، وقد تأسست فيها هجرة لقبيلة المهالكة من الصعبة ، من بني عبدالله من مطير ، جماعة الشيخ خلف الأفشح ، فيها مركز إمارة وهي تابعة إداريًا لإمارة المدينة المنورة عن طريق مركز إمارة المهد .

٢ ـ المزرع : قامت عليها هجرة الشيخ نائف بن دويلان السناح وبها مخطط سكني وزراعي . وتقع في الجهة الغربية من أُبْلَى .

٣ ـ سهلة المزرع : تقع شمال المزرع ، وفيها آبار ارتوازية ماؤها عذب ومزارعها جميلة .

٤ ـ المرارة : تقع في شمال أُبْلَى يوجد فيها مزارع وآبار قديمة وحديثة ، وفيها مخطط زراعي وسكني ، وأميرها مبارك بن عامر المشرافي .

٥ ـ الجُرَيْبِيَّة : تقع في شرق أُبْلَى ، قامت عليها هجرة ابن نيف الدِّيحاني .

٦ ـ الجُمَيْماء : تقع في شرق أُبْلَى ، قامت على أنقاضها هجرة الذويب بن عياد الديحاني .

٧ ـ الغمر : آبارٌ ، قامت عليها هجرة لِلرِّزْنَان ، من الشُّطُر ، من الصعبة ، وتقع في شرق جنوب أُبْلَى .

٨ ـ مَزْرَع اليَبْس : يقع في جنوب أُبْلَى بوادي حوس، ويصب جنوب الصعبية .

٩ ــ العُقيلة : تقع في جنوب شرق أُبْلَى لِلّيبِّس ، من الهويملات من بني عبدالله من مطير .

١٠ ــ الذْبال : أرضٌ منبسطة وتتخللها أودية تفيض في قاع الخبرية .

١١ ــ الهبرة : من أشهر سهول أُبْلَى مع سهلة المزرع والذّبال ، وبها مخطط زراعي للظوافرة من الهويملات ، وهي مشتركة بين الظوافرة والمشاريف .

بعض المياه الشهيرة في أُبْلَى : ١ ــ المشاش بوادي الجعير ، للسنحان من المشاريف .

٢ ــ ساعدة بوادي حوس ، لليّبِّس من الهويملات .

٣ ــ المعدن . ٤ ــ الهرارة . ٥ ــ الغمر . ٦ ــ الجميباء .

٧ ــ المندسَّة : للمجالدة من الشُّطُر ، وتقع بوادي المزرع .

٨ ــ المديوسية : للجمافرة من الهويملات ، وتقع بوادي المزرع .

٩ ــ اليحامرية : لِلصُّعران ، أولاد علي من بُرَيْه ، من مطير ، وتقع بوادي المزرع .

أهم الأودية : ١ ــ وادي الجُمَيْر : يفصل بين أُبْلَى وحَرْةِ بني عبدالله ، ويقع في الجهة الغربية من أُبْلَى ، ويتجه شمالاً ، ويفيض في الخليج ، ومنه في الشّعبة ، وهو للسَّنْحان من المشاريف من الصعبة من بني عبدالله من مطير ، وفيه أكثر من مئة وعشرين بئراً وعدة مزارع ومن أشهر الموارد المائية فيه قديماً :

١ ــ المشاش .

٢ ــ أبو دَوْمَة : يبتدئ من رقبة جبل احامر شَرْقاً ، اسفله الحجون ، وعلوّه أبو دومة ، ويفيض في وادي الشعبة .

٣ ــ أبو بطحاء : يبتدئ من رأس وادي الغرنق ، ويفيض في وادي الحجون .

٤ ــ الغرنق : يبتدئ من رأس وادي (أبو بطحاء) ويفيض في وادي حوس .

٥ ــ الغمر: يبتدئ من مزرع الْيُبّس ، بوادي حوس ، ويفيض في وادي العرج .

٦ ــ حوس : يبتدئ من جبل خَطْمَة ، ويفيض في قاع الخبرّة .

٧ ــ وادي المزرع : يبتدئ من جبل أحامر ، والفراشيح ويمر بالسهلة ويفيض في الخليج .

٨ ــ العِشْرِقيّة : تبتدئ من ملحاء ، وتفيض في الخليج .

٩ ــ العرج: يبتدئ من كُشُب ويفيض في وادي الشُّعبة .

١٠ ــ وادي الهرارة : وتقع فيه الحوارة .

١١ ــ السليم : مجموعة أودية تفيض في العرج .

١٢ ــ الغضّان : مجموعة أودية .

١٣ ــ وادي العمود : يبتدئ من جبال عُويشِقة ، ويفيض في الخبرّة .

أهم الجبال : جبل ثمران ، جبال حوينات ، أحامر ، ضربون ، نوبة ، خطمة ، عرفة ، رمرم ، زَخْرحان ، حزرة ، الموقعة ، رايان ، جبال المهد ، ضبع ، المدراء ، هضبة الغرنق الحمراء ، كتيفة ، صعيب ، الشُّعَث ، القنانة ، جبال ملحاء ، الحرشا ، أذات اللحاء ، طوال قنية ، الغرمطي، أنياب المصلوخة ، صفراء سعيدة ، أبو نبطة ، قيّ ، ضباعة ، جبال الحصير .

أما أكثر الأشجار والنباتات الدائمة الخضرة فهي : السدر ، والسلم ، والسمر ، والقتاد ، والعوسج ، والسيال، والسرح ، والتنضب ، والعرداء ، والأراك ، والقطف ، والأذخر ، والثمام ، والخصاب ، والعُشر .

الآثــار : في أُبْلَى بئر أثرية تنسب لبني هلال دفنوها عند رحيلهم ، وذكر شاعرهم أوصافها ، وعلامات للاهتداء إليها وجاء في كتاب الأخ منديل الفهيد

« من آدابنا الشعبية » ج ٣ ص ٥٠ ـ أن الشاعر الكويتي سالم بن تُويم الدوّاي أفاده بأن الأبيات التي فيها صفة البئر تقع في الربع الخالي لَمْ يُهْتَدَ إليها حتى الآن ذالك أن جماعة الشاعر لما نزحوا عن البئر دفنوها ، وأن القصيدة لعبد ابْنَ جامع شيخ العوازم قبل نزوحهم من نجد .

تعقيب : أولاً : ليس بصحيح أن الأبيات لعبد ابن جامع شيخ العوازم كما ذكر الشاعر الكويتي سالم بن تويم الدواي .

ثانياً : البئر ليست في الربع الخالي كما ذكر ، بل في عالية نجد في أُبْلَى شمال شرق مدينة المهد .

ثالثاً : جميع المعالم المذكورة في القصيدة معروفة بأسمائها حتى الآن في أُبْلَى .

ولتأكيد ماذكرت أورد رسالةً بعثها أخي عبدالعزيز بن راشد النمر المطيري إلى الشيخ عبدالله بن خميس ، وأورد الأستاذ ابن خميس نصَّها وجوابه عليها في كتابه « من القائل ؟ » ج ٣ ص ٣٥٣ .

من الأخ عبدالعزيز بن راشد النمر المطيري ـ المدينة المنورة ـ مهد الذهب ـ ثانوية الحكم بن هشام الصف الثالث علمي ـ وردتنا رسالة مطولة تعلق على الأبيات الهلالية التي تصف بئراً والتي تقول :

قليب على الْبَطْحَا ، وتُلْجِي مْنَ الصَّفَا ، عَـذِيْ المشارِبْ بَـرْدِمَـاه زْلاَلْ
إلَى روَى مِنْهَـا الْمِـرِوِّي صِـمِـيْلَهْ حَوْلْ عَلَ وَادِي (الْحَجُون) وقـالْ
قِبَـلِّ ضِـرْبُـونٍ وشَرْقِي (غـافـل) وعَن الْمِضَـابَ النَّـايْفَـاتْ شـمـالْ
عَـلَى مفيض الـرِّيْـعْ بِمِـةّ الـوطـا وَالْعَصْرْ مِنْ (خِطْمَةْ) عَلَيها ظْلاَلْ
جْـنْبَهَـا يِـرْوِي ثْـمانـين أبـاعِـرْ وْغَـرْافْـهَـا يِـرْوِي الْبَـدَاهْ كمَـالْ
وأنـا لـوانِّي نَـاجْـعٍ ثُـم رَاجِـعْ لاَحُطّ عَـلَ جَـالَ القليْبْ خَيَـالْ
أَخْفَيْتْهـا يَـاعَـمّ مـا آغـرّكْ بِهْـا من خَـوْفْ رْجَالٍ تـذخرهـا لرجـالْ

يقول الأخ عبدالعزيز في رسالته : البئر أنا أعرف موقعها ، وجميع من في منطقة المهد يعرفون موقعها ، فهي تبعد عن المهد بحوالي ٣٥ كيلاً شمالاً شرقيًّا ، وتبعد عن هجيرة (الحوارة) التي أميرها مبارك بن عامر المشراقي حوالي ٦ أكيال جنوبها ، وقد نقب أناس كثيرون عنها ولكن لم يجدوها أو بالأصح : لم يهتدوا

وادي نعمان: قُراهُ وسُكّانُهُ

يقع وادي نَعْمان جنوبَ مكة المكرمة ويتجه إلى الشرق على شبه قوس ثم ينعطف شمالا ، ويتراوح عرضه بين كيل واحد وعشرين كيلا ، وهذا في الشمال الشرقي منه .

ويسكن هذا الوادي أسَرٌ من الأشراف وقريش وهذيل وغيرهم ، وكان يسكنه قديما بنو حارثة بن تميم بن سعد بن هذيل وبطون أخرى من هذيل .

وفي الطرف الغربي منه قريةُ (الحُسَينية) ويسكنها الأشراف آل زيدوالْفُهَدَة من

إليها . والبئر أسمها (بئر دغفل) ووادي الحجون لايزال معروفاً بهذا الاسم ، وجبل غافل لايزال معروفاً بهذا الاسم وكذالك ضربون وخطمة ، التي هي ملاذ للوحوش قال أحد شعراء الصعران من مطير :

يـازيْنِ مِضْبَاحٍ بْـراسَ الـطويلهْ   في رَاسْ خَطْمَهْ مَرْتَعٍ للوحوش

وأجاب الشيخ عبدالله بن خميس : أما عن تحديد موقع البئر فهو صحيح ، ويؤخذ من كلام الأخ عبدالعزيز أنها ليست كما وصفنا في جنوب نجد جهة ضربون الذي يلي سيح الدَّبْول ، والدِّجي ، وما إليه ، بل هي في العالية قرب المهد .

ثانياً : وجدت هذه البئر أولم توجد المهم ان جهتها تحددت.

الرياض : عبدالعزيز بن سعد المطيري

(الحواشي) :

(١) الحجر في هذا البيت يعني الحجرية التي شمال الصمية .

(٢) وادي الشعبة يتجه شمالاً غرباً ، ويفيض في الخنق ، ومنه للمالول .

(٣) وادي الخليج يتجه شمالاً ويفيض في وادي الشعبة .

(٤) جبال الصفرة تقع جنوب شرق المهد .

(٥) جبل رايان جنوب غرب المهد .

(٦) وادي العرج يتجه شمالاً ويفيض في وادي الشعبة . . ويقع غرب قرية العمق .

دَعْدٍ ، من هُذَيل ، وفي بطن الوادي شرقا قرية (العابِدِيَّة) ويسكنها الأشراف العبادلة وآل زيد ، ويشاركهم غيرهم .

وفي قريتي الحُسَيْنِيَّة والعابدية آبار كثيرة ينقل منها الماء إلى مكة المكرمة بالسيارات .

وبعد العابدية تقع قرية (اسهار) فيها مزارع للأشراف آل غالب والصعبان من دعد .

وبعدها في بطن الوادي (الْهَاوَةُ) و (الْعَقْمُ) وهما للشريف شاكر بن هزَّاع العبدلي قائم مقام العاصمة وقومه ، وفي بطن الوادي أيضا مزارع للأشراف العبادلة من آل (أبو جمال) ومزرعة كبيرة تدعى المحمودية للشريف سعود بن هزّاع العبدلي .

ومزرعة أُخرى بفم (رَهْجَان) تدعى الرهجانية .

وببطن الوادي فم شعب برقة وضلعة ، ومزارع أخرى .

وفي فم (عرعر) وهو شعب يمين الطريق الصاعد إلى الطائف وبه طريق إلى الخشعة بساتين في قرى الجبل للجوابرة ، وجَوُّهَا يشبه جو الْهَدا (الهدة) .

وعن يمين الطريق (الضَّيْقَةِ) وهي شعب يصب في الجانب الجنوبي من وادي نعمان ، وينحدر من جنوب غرب الطائف ، ويسكن (الضيقة) آل زيدان وبنو إياس ، والمجاريش وآل علية ، والمطارفة وغيرهم .

وبعده شرقا شعب (علق) و (الْكُرُّ) ويسكنه العلويون والظهران .

وشرق وادي نعمان شعب (يَعْرِج) و (تفتفان) و (العشرة) و (عناق) وتدعى تلك ديرة الحساسنة لأنها اشتراها عودة بن عويد الحساني ورفاقه سنة ١٠٧٣ بثلاثة آلاف وخمس مئة اشرفي من الشريف الحسن بن قايت باي بن الحسن بن محمد أبي نُمَيٍّ الثاني .

والحساسنة – فيما أرى – يرجع نسبهم إلى ذبيان ، لأنّ الشيخ عبدالرحمن

المُغِيري ذكرهم في « المنتخب » وهم ثلاثة بطون : آل عويد والوعول ، والخدايجة ، وهم الآن في عداد هُذَيل بن مدركة .

ثم هناك (وادي الشُّرى) يصبُّ في وادي نَعْمان من الشمال ، وفي أعلى هذا الوادي شعب اسمه (طاد) يقول القطبي والزواوي في تاريخهما : إنَّ (عين زُبيدة) تنبع من هذا الشُّعْب ، وطاد هذا يصب بوادي الشرا ، ووادي الشرى هذا امتداد لوادي نعمان ، وهناك قول بأن آدم ـ عليه السلام ـ كان من طينة في منطقة اسمها (دَجْنَاء) وهذه المنطقة تعد نهاية وادي نعمان من الشمال ، ويسكن الشرى الجلاجلة ، وهم آل فاضل ، والسودة ، وآل محسن ، والوقدة ، والخبتة ، ويقال : إن الوقدة من وَقْدَانِ لِيَّة .

ويصب في وادي نَعْمان من الشمال (ربع أنف) و (مِذْفار) ويسكنه السهمة ، وآل جابر .

وفي بطن وادي نعمان قرى ومزارع كثيرة يملكها آل حسن منها بلاد ملاطم. الذي اشتراها جدهم يوسف بن اسماعيل الصالحي الحسني عام ١٩٥٧هـ من الشيخ عمرو بن حارثة المناعي .

وفي وادي نعمان بلاد الريفة لآل مناع ، وهناك بلاد تسمى (الحِصْن) للأشراف الجوازين وبعضها لآل حسن .

وفي بطن الوادي أرض (شَدَّاد) للسراونة ، وآل حسن وقريش ، والأشراف العبادلة وغيهم وهناك شعوب ـ جمع شعب ـ بوادي نعمان لو وضعت فيها سدود لَغَذَّتِ الآبار (الارتوازيات) وعين زبيدة وهي :

علي ، الضيقة ، علق ، يعرج ، تفتفان ، العشرة .

وفي يوم الأربعاء ٢٨ / ١٠ / ١٣٨٨هـ نزل مطر شديد على وادي نعمان أتى بسيول جارفة وصلت البحر وبعدها فاضت عين زُبَيْدة في عرفة من فوق جراب العين حتى ان سكان عرفة قاموا بزراعتها من كثرة المياه الفائضة من العين ، وكذالك خلف مزدلفة من الجنوب ، ولو وضعت سدودٌ لاحتفظت بالمياه الجوفية

لأنَّ وادي نعمان عبارة عن حوض ماءٍ في بطن الأرض ، ولو قامت وزارة الزراعة بوضع السدود لأصبح الماءُ على وجه الأرض بدلا من باطنها .

ولقد قامت الدولة ـ أعزها الله ووفقها ـ بحفر آبارٍ (ارتوازية) تزيد على المئة تَمَّ إجراءُ مياهها بواسطة أنابيب تصب في خزانات في عرفة ومزدلفة ومنى ، وهي خزانات كبيرة جدًّا بحيث تَرْوي حجاج بيت الله في أيام الحج .

وفي بطن وادي نعمان مصنع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود للمياه المبردة التي توزع على حجاج بيت الله الحرام .

مكة المكرمة ـ مدرسة الكر : محمد جابر الحسني

تعليقٌ على هذا المقال من محرر المجلة :

١ ـ نَعْمَـــان :

مِمَّا يلاحظ عند دراسة تحديد المواضع القديمة أن كثيرا منها لايزال باقيا على اسمه القديم ، وخاصة مالاَزِمَهُ سكانُهُ الأقدمون ، وهذا ينطبق على وادي نَعْمان ، فلاتزال بطون من قبيلة هُذَيْلٍ تَحُلُّ فيه ، ولهذا بقيت أكثر المواضع محتفظة بأسمائها القديمة .

وجاء في كتاب « بلاد العرب » ـ ص ٢٠/٢١ ـ : ثُمَّ ما بِنَعْمان من جبال هُذيل ـ ونَعْمَانُ وادٍ يسكنه عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل ، وبين أدناه وبين مكة نصف ليلة ، وفيه جبل يقال له المَدْرَاء .

وبنَعْمان الأَصْدَارُ ، وهي صُدُور الوادي التي يجيء منها العَسَلُ إلى مكة .

وبالأَصْدارِ جبل يقال له ذَاتُ الأَقْبُرِ .

وجبل يقال له يَعْرِج ، فيه طريق يظهرُ إلى الطائف أسفلُهُ لبني المُلَجِّمِ من هُذيل ، وأعلاه لِزُلَيْفَةَ من هُذَيل أيضا .

ولهم أيضا واد يقال له رَهْجَانُ يَصُبُّ في نَعْمان ، به عسلٌ كثير . انتهى .

ولقد وردَ اسمُ نَعْمان هذا الوادي في شعر هذيل كثيرا ، فقال أميةُ بن أبي عائذ :

أفَـاطِـمَ حُـيِّيتِ بِـالأسْـعَـدِ ... مَتَى عَهْـدُنَـا بِـكِ لا تُبْعِـدِي
تَـصَـيَّـفْـتُ نَـعْـمَان واصَّـيَـفَـتْ ... جَـنُـوبَ سَـهَـامٍ إلى سُـرْدُدِ

وقال أيضا :

وَنَحْنُ مَصَالِيتٌ إذَا الحَرْبُ شَمَّرَتْ ... وسَـالَمَ رَنَّـانُ المُعَـدِّينَ بَهْـدَلُ
مَتَى رَجُـلٌ آسَادُ نَعْمَان دُونَـهُ ... خُثَيْمٌ ومَـطْرُودٌ وَرِيشَـةُ مُبْسَـلُ
لَهُ حَرْشَفٌ بِاللَّيْلِ سَدَّ فُروجَهُ ... بِـأَحْصَـدَ لا يَمْشي بِـهِ المُتَغَلْغِـلُ

وقال أيضا :

إذَا ما بَنُو عَمْرٍو تَأَلَّقَ عَـرْضُهُمْ ... بِنَعْمَانَ فَاعْلَمْ أنَّ نَعْمَانَ مَحْفِلُ
أولائِـكَ آبـائِي وَهُمْ لِيَ نَـاصِرٌ ... وهُمْ لَكَ إنْ صَانَعْتَ ذَالِكَ مَعْقِلُ

وقال حذيفةُ بن أنس الهذليُّ ــ من قصيدة :

وَقَـدْ هَرَبَتْ مِنَّـا مَخَافَـةَ شَـرِّنَـا ... جَذِيمَةُ مِنْ ذَات الشُّبَاكِ فَمَرَّتِ
وَهَلْ نَحْنُ إلاَّ أَهْلُ دَارٍ مُقِيمَةٍ ... بِنَعْمَانَ مَنْ عَادَتْ مِنَ النَّاسِ ضَرَّتِ

وقال أيضا :

وكَانَ لَهُمْ فِي أَهْلِ نَعْمَانَ بُغْيَةٌ ... وهَمُّكَ مَا لَمْ تُمْضِـهِ لَكَ مُنْصِبُ
فَكَانَتْ على العَبْسِيِّ أَوَّلَ شَـدَّةٍ ... وآبُـوا عَلَيْهِ ثُمَّ صَـدُّوا وجَنَّبُـوا

آبوا : رجعوا . جنبوا : عدَوْا وقرَّبوا .

٢ ــ رَهْجَان : بفتح الراء وسكون الهاء بعدها جيم ثم ألف ونون ــ من الأودية المعروفة قديما ذكره صاحب « معجم البلدان » وقال إنه يصب في نعمان ، وفيه عسل كثير . وهو نصُّ ما في كتاب « بلاد العرب » وتقدم .

٣ ــ عَرْعَرُ : اسم لمواضع أشهرها وادي عَرْعَرَ في شمال المملكة ، وهو الوارد

في شعر امرئ القيس . أما هذا الذي في بلاد هُذَيْل فقد أكثر شعراؤهم من ذكره ، وفي « معجم البلدان » : في كتاب السُّكَّرِي ـ وذكر الأبحّ بن مُرَّة في خبر فقال : ضِيمٌ من عرعر ، وعَرْعَرٌ من نَعمان في بلاد هُذَيْل واورد للأبحّ بن مُرَّة الهُذَلي :

لَعَمْـرُكَ سَارِيَ بْنَ ابي زُنَيْمٍ   لأَنْـتَ بِعَـرْعَـرَ الـثَّـأْرُ المُنِيْمُ
عَلَيْـكَ بني مُعاوِيـةَ بنِ صَخْـرٍ   فَـأَنْتَ بِعَـرْعَـرٍ وهُـمُ بِضِـيْمِ

وبعدهما ـ في كتاب « شرح أشعار الهذليين » :

تُسَـاقِيهِمْ عـلى رَصَفٍ وظَـرٍّ   كَـدَابِغَـةٍ وقـد حَلِمَ الأدِيْـمُ

ومن شعر أبي ذُؤَيْب الهُذَلي ـ أو مالك بن خالد الخُناعي الهذلي على مافي الكتاب المذكور :

يامَيُّ إن تَفْقِدِي قـوما وَلَـدْتِهِمُ   أَوْ تُخْلِسِيْهِمْ فإِنَّ الدَّهْرَ خلَّاسُ
عمرٌو ، وعَبْدُ مَنَافٍ ، والَّذِي شَهِدَتْ   بِبَطْنِ عَرْعَرَ آبِي الضَّيْمِ عَبَّاسُ

وورد في شعر تأبط شرًّا في خبر يوم نُمَارٍ الذي فصَّلَهُ صاحب كتاب « شرح اشعار الهذليين » قال تأبط في ذالك اليوم الذي أغار فيه على بني صاهلة من بني الحارث بن تميم من هذيل :

ولَوْ نالَتِ الكفَّان أصحابَ نَوْفَلٍ   بِمَهْمَهَـةٍ مِنْ بَيْنِ ظَـرٍّ وعَـرْعَـرَا

٤ ـ يَعْرِجُ : بفتح الياء المثناة التحتية وسكون العين المهملة وكسر الراء واخره جيم ـ تقدم ذكره فيما نقل من كتاب « بلاد العرب » . وان أسفله لبني المُلَجَّم من هُذَيل واعلاه لزليفة من هذيل أيضا ، وفيه طريق إلى الطائف .

٥ ـ أَنْفُ : بالفتح ثم السكون وآخره فاء ـ ورد في شعر هُذَيْل وفي اخبارهم ، وقد غزت بنو سُليم بني قِرْدِ بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل وهم في أَنْفٍ في قصة فصلها صاحب كتاب « شرح اشعار الهذليين » وسماه ابن ربع الهذلي أنف عاذ ، وقال في خبر غزوة سليم :

فِدًى لِبَنِي عَمْرٍو وآلِ مُؤَمِّلٍ غَدَاةَ الصَّبَاحِ فِدْيَةٌ غَيْرَ بَاطِلِ
هُمُ مَنَعُوكُمْ من حُنَيْنٍ ومَائِهِ وهُمْ أَسْلَكُوكُمْ أَنْفَ عَاذِ المَطَاحِلِ

ـ والمطاحيل : موضع .

وقال مُليحُ بنُ الحكم القِرْديُّ :

بِنَعْمَانَ أَسْيَافٌ أَقَمْنَ عَلَيْهِمُ نَوَائحَ شُؤْبُوبٍ مِنَ المَوْتِ مُصْعِقِ
وَنَحْنُ بَطَحْنَا يومَ أَنْفٍ فَلَمْ تَعُذْ سُلَيْمُ بنُ مَنْصُورٍ بِجَأْوَاءَ فَيْلَقِ

وفي أنفٍ نَهَشَتْ أبا خُرَاشٍ الهُذَليَّ أفعى فقتلته ـ قال حين نُهِش :

لَقَدْ أَهْلَكْتِ حَيَّةُ بَطْنِ أَنْفٍ عَلَى الأَصْحَابِ سَاقًا ذَاتَ فَقْدِ

٦ ـ مِدْفَار : ورد اسم هذا الموضع في كتاب « شرح اشعار الهذليين » بما ملخصه : كانت بين بني ظفر من بني سُلَيْمٍ وبني خُنَاعة حربا ، فدل رجل من بني خُنَاعة بني ظَفَرٍ على بني واثلة بن مِطْحَلٍ وهم بالقَدُوم من نَعْمَان ، فبيتوهم وقتلوا منهم فقال المعترضُ بنُ حَبْواءَ الظفريُّ من أبيات :

فَإِمَّا تَقْتُلُوا نَفَرًا فَإِنَّا فَجَعْنَاكُمْ بِأَصْحَابِ القَدُومِ
تَركنَا الضَّبْعَ سارِيَةً إليهِمْ تَنُوبُ اللَّحْمَ في سَرَبِ المَخِيمِ
لِهَامِهِمُ بِمِدْفَارٍ صِيَاحٌ يُدَعِّي بالشَّرَابِ بَنِي تَمِيمِ
رَغِبْنَا عَنْ دِمَاءِ بَنِي جُرَيْبٍ ونَعْشُو بالصَّمِيمِ إلى الصَّمِيمِ
إلى الفَرْعَيْنِ مِنْ قِرْدٍ وَسَهْمٍ نُحَاوِلُ كُلَّ ذِي حَسَبٍ كَرِيمِ

ـ المخيم : واد أو جبل .

وعَنْ مدفارٍ جاء في شرح الأبيات : مِدْفار بَلَدٌ لبني عامر ، وإنما هو مِدْفَرٌ ، فَمَدَّهُ ، فقال : مدفار . انتهى .

ولعل قائل هذا لم يعرف أن في بلاد هذيل موضعا يسمى مدفارًا .
وبنو خناعة وبنو واثلة بن مطحل وقرد وسهم وتَمِيم كلهم من هذيل .

والقدوم والمخيم ومدفار كلها مواضع في بلادهم في جهة نَعْمَان .

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم

حول كتـاب :

« نظرات في كتاب تاج العروس »

. . . تصفحت الكتاب الذي نَشَرْتُمْ هذه الأيام باسم « نظرات في كتاب تاج العروس » فرأيتكم تُحاوِلُونَ تصحيح الأخطاءِ الواقعة في طبعته الأخيرة ـ الطبعة الكويتيّة ـ فهل سَتُوَاصِلُونَ العملَ بتصحيح ما صدر وسيصدر بعد الجزء العشرين من ذالك الكتاب ؟ وهل يُعْتَبَرُ عَمَلُكُمْ تامًا مِنْ حَيْثُ التنبيه على جميعِ الأَخطَاءِ في الأجْزاءِ التي تحدثتم عنها ؟

جامعة أم القرى : أحمد عيساوي

العـرب : ما الكتاب المذكور سوى ملاحظات عرضَتْ لمؤلفه أثناء تصفحه لما صدر من أجزاء « تاج العروس » دفعه إلى نشرها في « العرب » ثم جمعها في ذالك الكتاب ، تعبيرا عن تقدير إخوة أَحْسَنُوا الظنَّ بالمؤلف ، فرغبوا منه المشاركة في تحقيق « تاج العروس » حين فكروا في نشره ، ولما لَمْ تَتَسَنَّ له تلك المشاركة رأى في إبداء تلك الملاحظات إسْهاماً بذالك العمل الجليل ، مع اؤلئك الاخوة من ناشرين ومحققين .

وليست الملاحظات المنشورة تُبرِزُ كُلَّ أَخطَاءِ الكتاب ، إذْ إبرازُهَا كُلُّها مما يَنُوءُ بجهد الْفَرْدِ مهما أوتي من سعة الإطلاع ، وغزارة المعرفة .

ولعل من غريب ما وقع أنني كنتُ أرَاجع فيه مادَّةَ (جَيَشَ) أَثْنَاءَ عرض كتاب الأخ السائل عَلَيَّ ، فوقع نظري على جُمْلَةٍ هذا نصها ـ ج ١٧ ص ـ : (قال ابنُ الكَلْبِيّ : هُو رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ ، لَيْسَ بِمُمْتَنِع ، كما أَنَّ خَوْلان اسمٌ لِرَجُلٍ قد غَلَبَ على مَرْحَلَةٍ مِنَ الْيَمَنِ) . وكُنْتُ حَدِيْثَ عَهْدٍ بِقِرَاءَةِ هذه الجملة في مخطوطةِ كتاب نَصْرٍ فِي المواضِعِ ، ومَعَ رَكَاكَتِهَا وغُمُوضِ مَعَانِي بعضِ كلماتِهَا لَمْ أَقِفْ عِنْدَهَا أَثْنَاءَ قِرَاءَتِها عِنْدَ تصَفُّحِي هذا الجُزْءَ وَقْتَ صُدُورِه ، كَكَثِيْرٍ غَيْرِهَا من الجُمَلِ

المُضطَرِبَةِ ، والكلماتِ المُحَرَّفَةِ في أَصْلِ الكِتَابِ ، وفي مطبوعَتِه ، مِمَّا لَمْ يُلاحِظْهُ القائِمُونَ بالتَّصْحِيحِ .

وصَوَابُ عِبَارَةِ ابن الكَلْبِيِّ ــ على مافي كتاب نَصْرٍ في (باب جَيْشَانَ ، وَجَيْسَانَ ، وَخُشْبَانَ) : أَمَّا بضم الجِيم : ناحِيَةٌ يَمانيةٌ ، أَهْلُهَا آلُ ذِي رُعَيْنٍ . وقال ابن الكَلْبِيِّ : هُوَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ ، ولَيْسَ بِتُبَّعٍ ، كما أَنَّ خَوْلَانَ اسْمٌ لِبَلَدٍ ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى مَنْ حَلَّهُ مِنَ الْيَمَنِ . انتهى فكلمة (بِتُبَّعٍ) حُرِّفَتْ إلى (بِمُمْتَنِع) وكلمة (لبلد) غُيِّرَتْ إلى (لِرَجُل) وكلمة (مَنْ حَلَّهُ) صُحِّفَتْ (مَرْحلة) .

وفي الجزء الرابع عشر ــ ص ٣٢٥ ــ : وقالت الْكِنْدِيَّةُ تَرْثِي إِخْوَتَهَا :

هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَامُهُمْ يَوْمَ صُرِّعُوا بِبَيْسانَ مِنْ أَنْيَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا

مع أَنَّ البَيْتَ مع اثْنَيْنِ بعدهُ في مَرَاثِي « حَمَاسَةِ أَبِي تَمَّامٍ » لِأُمِّ الصَّرِيحِ الْكِنْدِيةِ بِهَذَا النَّصِّ :

هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَابِهِمْ يَوْمَ صُرِّعُوا بِجَيْشَانَ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا

ــ ج ١ / ٤٥٩ تحقيق الدكتور عبدالله عُسَيلان ــ وكذا ورد البَيْتُ في كِتَابِ نَصْرٍ ، في (بابِ جَيشان . . .) وقال : إِنَّهُ نقلَهُ عَنْ خَطِّ ابْنِ الكُوفِيِّ ، وأنه أَحْكَمَ ضبطَ الاسم (خُشْبانَ) وبِصَرْفِ النَّظَرِ عن الاختلاف في اسْمِ المَوْضِعِ ، ولكنْ مِمَّا لاشَكَ فيهِ أنَّ كلمتي (ماذامُهُم) و (أنياب) تصحيف (ماذَابِهِمْ) و (أسْبَاب) . وامثالُ هَذَا التَّصْحِيفِ في كُتُبِ اللغةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ .

امَّا عَنْ مواصلةِ قراءةِ ماصدر بعد الأجزاء العشرين من الكتاب ، فآمُلُ أَنْ أتمَكَّنَ مِنْ ذالكَ ، وأَنْ أُلحِقَ بمَا يَعِنُّ ويَبْدُو لي مِنْ ملاحظاتٍ حول ما أقرأ ــ جزءًا آخر ، وقد نشرتُ في « العرب » ص ٣٩٢ ما ظهر لي اثناء مطالعة الجزء الثالث والعشرين .

وللسائل الكريم الشكر الجم على حسن ظنّه ، بما عبر عنه من رقيق الشعور في رسالته .

(تطبيع) وفاة الشاعر محمد بن حمير

وقع تطبيع ص ٣٢٧ في ذكر تاريخ وفاة الشاعر محمد بن حمير حيث وضع (٦٥١م) وصوابها (٦٥١هـ) هجرية .

حول كتاب :

« جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد »

اطلعت على كتابكم « جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد » كما اطلعت على ما تكتبه في مجلة « العرب » من مطالبتك بتزويدك بأية معلومات أو اضافة أو تصحيح .

ولهذا يسرني أن أبعث بهذه الملاحظات راجياً منكم تقبلها ونشرها في طبعات الكتاب القادمة . وهذه المعلومات هي عن أسرتي وعن بعض الأسر في منطقة الخرج لمعرفتي بهذه المنطقة بحكم عملي فيها مدة طويلة :

١ ـ (ص ٣٩٢) ذكرتم أسرة آل سعيد في جُلاجل من المساعرة . . . الخ ، ويحسن أن تضيفوا قبل المساعرة : انهم من آل (أبا الحسن) من المساعرة ، كما أود أن تضيفوا أنَّ قسما من هذه العائلة انتقلوا إلى الكويت ولايزال هناك لهم ابناء عدة في مناصب في الدولة الكويتية ، وهم أبناء ناصر بن عبدالمحسن بن عبدالله ابن ناصر السعيد وأبناء عبدالرحمن بن سليمان بن إبراهيم السعيد .

وقد تفرع من أسرة (السعيد) أسرتا (المكينزي) و(النصار) واستقرتا في الزبير ، ثم رجع كثير منهم إلى وطنهم الأول وسكنوا في المدينة المنورة والرياض والمنطقة الشرقية .

٢ ـ لم يرد ذكر أسرة الفوزان في جلاجل ، وهم من الحقبان من الدواسر ، وهم أبناء فوزان بن غنيم الحقباني ، وهم الآن في الرياض والشرقية .

٣ ـ ولم يرد ذكر لأسرة آل جاسر وهي كبيرة أصلهم من الأفلاج وهم عُمُورٌ ، من الدواسر ، والآن في الرياض والخرج والأفلاج ، ومنهم مدير معهد الدلم العلمي الشيخ عبدالرحمن الجاسر .

٤ ـ لم تذكر عائلة آل عتي في الدلم والخرج وهم من سبيع .

٥ ـ ولا عائلة العيش في الدلم وهم من الصّبيّح من بني خالد .

٦ ـ ولا عائلة العثمان في نعجان بالخرج وهم من عايذ من قحطان .

٧ ـ ولا عائلة الجدوع في الدلم من النمور من المصارير الدواسر .

٨ ـ ولا عائلة السعيد في العِذار بالدلم وهم من بني خالد .

٩ ـ في (ص ٧٠٦) من الكتاب ورد ذكر آل فوزان في نعجان من بني هاجر والصحيح أنهم (آل فواز) إذْ لا يوجد فوزان في نعجان .

١٠ ـ في (ص ٨١٦) من الكتاب ذكرتم أن المساعرة سكان قرية في السُّلَيِّل وهذا غير صحيح على الإطلاق ، فالمساعرة فخذ كبير من الدواسر ، وهم يسكنون الوادي نفسه في النُّويعمة والقُويز ونَزْوَى. أما السُّلَيِّلُ فهي للوداعين ، كما أن المساعرة يتفرعون إلى قسمين :

١ ـ آل أباالحسن ٢ ـ آل أبو سباع .

وهناك أسر متحضرة من المساعرة منهم السعيد في جُلاجل ، والزِّمامات في الخرج ، والمكينزي في جلاجل والدخيل وغيرهم .

١١ ـ (ص ١٢٤) ذكرتم آل جمهور في جلاجل ثم علامة استفهام (؟) ولا داعي لها لأنَّ ما ورد صحيح فهم من أهل جلاجل ، وقد كنت على علاقة بهم ، وخاصة الشيخ صالح بن سليمان الجمهور رحمه الله .

في الختام أرجو تقبل هذه الملاحظات ونشرها شاكراً ما تبذله من جهود في خدمة لغة وتاريخ وجغرافية هذه الأمة فجزاك الله كل خير . .

عبدالعزيز بن سليمان بن إبراهيم السعيد
قاضي محكمة الخرج

كتاب في تاريخ مكة

تقدم (ص ٣٧٦ وما بعدها) وصفٌ لمخطوطة في تاريخ مكة جاء في طرتها : هذا تاريخ مكة للشيخ شهاب الدين القليوبي .

وقد كتب إلى « العرب » ، الأستاذ الصديق الباحث عبدالله بن محمد الحِبْشي من صنعاء يشير إلى أن مؤلف الكتاب شهاب الدين القليوبي مترجم في «الاعلام» للزركلي ، وأنه أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المتوفي سنة ١٠٦٩ وهو مشهور ، ومن كتابه مخطوطتان ، إحداهما في دار الكتب المصرية والأخرى في الخزانة العامة في الرباط فللأستاذ عبدالله الشكر على ما أفضل به من تنبيه .

الخيابر والتخاير والنحاير

وتقدم (ص ٦٨٦) ذِكْرُ حيرة وخيرة والتخاير والنحائر في الكلام على حدود الحرم ، وقد كتبت المجلة إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام استيضاحاً عن تلك الأسماء فأفضل حفظه الله بالإجابة التي نَصُّهَا : بخصوص ما تسألون عنه في رسالتكم الكريمة رقم ٢/١٥٢ في ١٤٠٧/١٠/١٤هـ عن المسميات : (النحائر ـ التخاير ـ بحيرة البهيما ـ بحيرة الأصفر ـ المرير ـ المريرا ـ المريداء) هل بعضها مصحف عن بعض ؟

وجوابي حسب اطلاعي القاصر الصواب : التخاير ـ بالتاء المثناة الفوقية وبعد التاء خاء معجمة ثم ياء مثناة تحتية .

المريرا والمريداء لا أعلم لهما وجوداً في حدود الحرم .

أما المسميات الباقية فمعروفة وموجودة ونسقها وترتيبها أنها بالصفة الآتية للذاهب من مكة إلى جدة على الطريق القديم المار بِحَدَّة ـ بالحاء ـ هكذا : ثنية المُرير ـ ثنية المِرَار ـ التخاير ـ بحيرة البهيما ـ بحيرة الأصفر ـ الأعشاش ـ الحُدَيبية .

وكل المواضع الستة الأُوَلُ عن يمين الذاهب من مكة إلى جدة كما تقدم ،

والموضع السابع وهو الحديبية (الشميسي) يمره الطريق القديم جاعلاً نحو ربعه عن يمين الذاهب إلى جدة ، والثلاثة الأرباع الباقية عن يسار الذاهب إلى جدة .

نقـــد وتصـــحيح

بنو زيد وأسرهم ومنازلهم

[تلقت المجلة من صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله الأصيقع من آل حمد بن سليمان بن زيد هذه الملاحظات القيمة حول مانشر عن فروع قبيلته الكريمة (بني زيد) والمجلة تقدر لجميع الإخوة الذين يتناولون ما تنشره بالنقد ، وبابداء الآراء للوصول إلى الحقيقة إذ لا غاية للمشرفين على المجلة سوى ذالك . والله الموفق] .

لقد اطلعت على ما نُشر في مجلة « العرب » في عددها لشهر محرم وصفر لعام ١٤٠٨هـ عن فروع قبيلة بني زيد ، وهذا أمر طيب ومجلة « العرب » تعتني بهذا الأمر وأمثاله لانه تراث من تراث الجزيرة العربية وهوما أعده الأخَوانِ الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد والشيخ أحمد بن محمد اليحيا ، مع شكري وتقديري لكل من الأخوين الكريمين ولمجلة العرب ورئيس تحريرها أمد الله في حياته وجعل الله عمله خالصاً لوجهه تعالى .

ولكن كل عمل يقوم به الإنسان لا يخلو من بعض الأخطاءِ ، كما أنَّ لي بعض الملاحظات على ما نشر في المجلة الغراء :

١ ــ يجب على الأخوين قبل النشر أن يعرضا هذا الأمر على من له علمٌ بمعرفة كل قبيلة من فروع بني زيد ، لأن هذا الأمر لا يهمُّ قبيلة دون أخرى حتى يمكن تلافي الأخطاءِ قبل النشر .

٢ ــ الملاحظات : (أ) جاء في ص ٤٩٩ الاصيقع في نخيلان من آل حمد ، من آل محمد ، من آل سليمان وهذا ليس بصحيح إنما الأصيقع هم من بني عبدالله ابن عبدالعزيز الملقب ابن مرعية ، وهم من ذرية أحمد بن سعود بن حمد بن محمد ابن سليمان ، ومن سكان رُوَيْضَة العِرْض سابقاً ، أما الآن فليس فيها أحد منهم .

(ب) البريثن في شقراء من آل حرقوص من آل فياض فهذا فيه خطأ وهو نسبة

حرقوص إلى فياض ، لأن حرقوص فرع مستقل من أولاد زيد ، وكذلك فياض فرع مستقل كذلك يلتقيان في زيد ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ وهذا الخطأ عام في جميع ما نشر في هذا العدد من هذه المجلة عن فرع آل صالح وآل حرقوص ونسبة هؤلاء إلى فياض خطأ لأن آل صالح فرع من فروع بني زيد ، وآل حرقوص فرع من فروع بني زيد ، وآل فياض كذلك فرع مستقل من فروع بني زيد ، ويلتقي الجميع في زيد .

(جـ) البَلّاها في القويعية من الضويان من ذرية محمد بن علي الملقب الضعيف ص ٥٠٠ .

(د) البواريد من ذرية حرقوص بن زيد . وليسوا من فياض ، وهذا الخطأ سائد في كل فروع آل حرقوص وآل صالح أي ينسبوا إلى فياض ، فهذا عين الخطإ كما ذكرنا ، سابقا ص ٥٠٢ ، ٥٠٤ .

(هـ) آل حامد من ذرية مسلم بن زيد وليسوا من الضعفان كما قيل ص ٥٠٣/٥٠٤ . آل حمد بالقويعية هم من ذرية حمد بن محمد بن سليمان بن زيد وهم آل أبو ربيعة بالعرض ، وهم من أولاد عبدالله بن محمد بن حمد بن سليمان ابن زيد الملقب ابن عطية .

٣ ـ آل عبدالعزيز الملقب ابن مرعية ، والذين منهم ذرية عبدالله الملقب الأصيقع وذرية عبدالرحمن الملقب بن مرعية وذرية سعود الملقب صعيان ، وذرية عمر ومنهم العيانا ، وآل الشايب ، وآل حمد ، ومنهم محمد أبو عمر ، ويقال لهم جميعاً آل عبدالعزيز .

٤ ـ آل الشيخ ومنهم ذرية الشيخ عبدالرحمن الملقب أبو عوف ابن الشيخ سعود بن محمد ، ومنهم الصبيحي ، وهم من ذرية الشيخ محمد بن سعود .

٥ ـ آل ناصر بن حمد وذرية الأمير ناصر وهم الشنفرة بتخيلان ، وآل عامر وآل عويس ، ومنهم آل سحيم برغبة.

٦ ـ آل حنيف بالعرض وآل أبو ربيعة الذين منهم إبراهيم بن سعد بن

إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ، وآل زيد بالغاط فهم من ذرية عبدالله بن سلمان وليسوا من حمد بن محمد بن سلمان كما ذكر في صفحة ٥٠٧ .

(و) آل سحيم في القويعية فهم من ذرية سحيم في القويعية فهم من ذرية سحيم بن محمد بن سلمان بن زيد الملقب بن عطية وهو الذي قتله جد الرواجح وآل هويمل وآل فنتوخ بالقويعية هو وأخوه ربيعة ، وربيعة هذا انقطع وليس له عقب ، وليس في القويعية سحيمي غيرهم ، لا كما قيل : إنهم من ذرية بلدي بن زيد .

(ز) سليمان بن عطية ليس كذالك ، وانما سليمان من ذرية مسلم بن زيد ، لا كما في ص ٥١٤ .

الشريف في القويعية من ذرية ناصر بن علي بن زيد الملقب ابن عطية وليس من ذرية محمد بن علي الملقب الضعيف ص ٥١٥ .

(حـ) الشقير والشقيران هم من ذرية ناصر بن على بن زيد الملقب ابن عطية هم وآل ماضي ، وآل الشعيلان ، والشريف ، فالجميع من ذرية ناصر بن علي بن زيد لا كما قيل من أولاد محمد بن علي الضعيف في ٥١٥ ثم جاء في ص ٥٢٣ آل عثمان في القويعية من آل ناصر وهو صحيح ، لكن ليس هناك من يحمل هذاالاسم اليوم إنما هم الشعيلان ، وآل عليان ، وآل عركز ، وآل قميش .

(ط) آل حويصان ليس لهم عقب إلا مرأة ص ٥٠٧ .

(ى) آل خزيم هم آل حزيم .

(ك) آل خضير في القويعية والرويضة من مسلم بن زيد وليسوا من الضعفان ص ٥٠٨ . وهم وآل منقاش ، وآل حامد ، وآل مرقب ، وآل عوفان ، وبالدوادمي والناصر بالدرعية وآل أبو خميس بالعطيان ، الكل من مسلم بن زيد لا كما قيل .

(ل) آل أبو ربيعة في القويعية من ذرية عبدالله بن محمد بن حمد بن محمد بن

سلمان بن زيد ، وآل أبو ربيعة في شقراء من سليمان من آل مسلم بن زيد ، وآل ربيعة بالدمام من ذرية سعد بن عبدالله بن سلمان هم وآل حنيف ، وآل زيد بالغاط ، والذين منهم الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد المعد لهذا البحث ، لا كما قيل : إنهم من ذرية حمد بن محمد بن سلمان ، فلابد من التعديل من أجل تلافي الغلط في هذا النسب .

السحالين في القويعية من ذرية عبدالله بن سلمان هم وآل فراج ، منهم الشيخ علي بن فراج الذي كان قاضياً في القويعية في النصف الآخر من القرن الثالث عشر ثم انتقل إلى الرويضة في آخر حياة الإمام فيصل بن تركي رحمه الله ومنهم الزحافا وهم محمد وإبراهيم ومحمد ليس له عقب ، وإبراهيم يقال: إن له عقب .

آل ماضي من ذرية ناصر بن علي بن زيد ، وليس في ولد علي رجل يقال له ماضي إنما ماضي من أحفاد علي من ذرية ناصر وقد أشير إلى ناصر مرة أخرى في ص ٥٣٤ وقيل : إنهم من ذرية محمد بن علي الملقب بالضعيف وهذا ليس بصحيح انما ناصر هذا هو ناصر بن علي بن زيد وهو أخو محمد الضعيف .

جاء في ص ٥٣١ المطوعة في القويعية ومن آل محمد من آل سلمان وليس في القويعية أحد يسمى بهذا الاسم من آل سلمان إلا أنه في القويعية المطاوعة من السليمان من آل فوزان كما ذكر في هذه الصفحة في مُحَيْرِقة .

هذه بعض الملاحظات التي استدركتها ، أما ما ترك فهو كثير وكذالك ما تكرر فهو كثير ، فعلى سبيل المثال الشقير والشقيران وهم واحد وآل حمد .

لهذا أرجو ان تنشر هذه الملاحظات من أجل التصحيح .

محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله الأصيقع

* * *

• أخبار مكة للفاكهي :

ويواصل الأستاذ الكريم الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دُهَيْش نَشْرَ كتاب « أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه » للفاكهي ، محققا مطبوعا طباعة حسنة ، صدر منها أربعة أجزاء . تحدثت « العرب » عن الجزءين الأولين (ص ٧١٨) والجزء الثالث أوله : (ذكر الترغيب في نكاح نساء أهل مكة) . وآخره : (ذكر ما يجوز قتله من الدواب في الحرم) وجاء هذا الجزء في ٤٠٨ صفحات ، فهرس الأبواب في ٦ صفحات منها . ثم الجزء الرابع يَبْتَدِئُ بـ (ذكر المواضع التي تُستحب فيها الصلاة بمكة ، وآثار النبي ﷺ فيها) وينتهي بـ (ذكر مابين المزدلفة إلى عرفة) ثم فهرس موضوعات هذا الجزء كل ذالك في ٣٣٦ صفحة .

ويبقى من أصل الكتاب مالا يزيد عن جزء واحد .

ولاشك أنَّ المحقق الكريم سيضع فهارس شاملة للكتاب بأكمله ، إذْ هذا من تمام التحقيق .

ولا يسع المعني بتاريخ البلد الأمين إلا أن يُقدر لفضيلة الأستاذ الشيخ عبدالملك جهده في إبراز هذا الكتاب بصورة تيسر الاستفادة منه ، تحقيقاً وجودةَ طبْعٍ ، وحُسْنَ إخراج ـ وفقه الله ، وزاده قوة واستمراراً في خدمة هذا الجانب الثقافي .

• ديوان شعر عَدِي بن الرقّاع العاملي :

طالما تطلع المهتمون بدراسة الشعر العربي إلى ديوان هذا الشاعر ، لاسيما وأن أحد المعنيين بالدراسات الأدبية من أدباء العراق تحدث كثيراً عن وجود نسخة مخطوطة منه .

ولكن مرور وقت طويل على معرفة شيء عن هذه النسخة زعزعت الثقة بالاستفادة منها حتى وُفِّقَ أُستاذانِ جليلان هما الدكتور نوري حَمُّودي القيسي ،

والدكتور حاتم الصالح الضامن للعثور على نسخة قديمة من هذا الديوان ، برواية العالم اللُّغَوِيِّ أبي العباس أحمد بن يَحْيى ثَعْلب المتوفى سنة ٢٩١هـ فقاما بتحقيقها وقام المجمع العلمي العراقي بنشرها ضمن مطبوعاته وصدر الديوان في ٣٦٦ صفحة في هذا العام ، بعد أن أفرغ المحققان الكريمان من جهدهما وعلمهما ، وشدة تقصيهما ، ما أبرزه بحلة يرتاح إليها الباحث شرحاً وتحقيق نصوص ، وتوسُّعًا في الفهارس .

ويتضح من بعض الأبيات المفردة التي أُلحِقت بالديوان أن ما جمعه أبو العباس ثعلب منه ليس كُلَّ شعر ابن الرِّقَاع ، وهذا شيء مدرك بالبداهة ، ومن أمثلته ص ٢٦٤ إذ أوردَ المحققان الكريمان عن كتاب « الأنوار ومحاسن الاشعار » من شعره :

وَرُعِيتِ مِنْ دَارٍ وإنْ لَمْ تَنْطِقِي ... بِجَوابِ حَاجَتِنَا وإنْ لَمْ تَعْقِلِي

لاشكَّ أن هذا من قصيدة طويلة ، ومنها أيضاً ما ورد في كتاب « ماخالف به الانسانُ البهيمة » لقطرب ص ٧٨ مخطوطة (فينَّا) : قال ابن الرِّقاع :

وَرَمَاد نَارٍ قَدْ تَهَيَّأَ لِلْبِلَا ... وَسَوادُ هَامَتِهِ كَلَوْنِ الجَوْزَلِ

*** تاريخ مدينة دمشق : [« العرب » س ٢٠ ص ٨٥٩]**

هذه المحققة الفاضلة الدؤوب ، سكينة الشهابي — ما أجدرها بالتقدير ، فقد اتجهتْ لتحقيق هذا الكتاب العظيم الذي لا يختص بمدينة دمشق ، بل يُعْتَبر تاريخا شاملا للإسلام في أزهى عصوره ، إنها استطاعت في خلال مدة قصيرة أن تحقق منه أربعة مجلداتٍ ضخام ، كان آخرها مجلدَيْن صدرا في السنة الماضية (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .

أحدهما : المجلد الثامن والثلاثون المُبْدُوءُ بترجمة (عبدالله بن قيس) والمنتهي بترجمة (عبدالله بن مسعدة) ، وقد وقع في ٥١٦ من الصفحات الكبيرة بفهارسه المفصلة .

والثاني : المجلد الأربعون من ترجمة (عبدالحميد بن حبيب) إلى نهاية ترجمة (عبدالرحمن بن عبدالله أعْشَى هَمْدَان) وصفحاته ٥٢٢ وهو كالاجزاء التي قبله

من حيث تخريج بعض النصوص ، وتسمية مصادرها ، وذكر الاختلاف في النسخ المخطوطة ، ووضع الفهارس الشاملة ، وكل هذا يتطلب جُهْدًا وقُوَّة صبرٍ ، وطولَ ممارسةٍ ونشاطاً في العمل ، فرعا الله تلك المحققة الفاضلة ، وأكثر من أمثالها .

والأجزاء من مطبوعات مجمع اللغة العربية في مطبعة دار الفكر بدمشق .

*** حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر :**

أثَرُ دراسة كما وصفها واضعها الدكتور عثمان الصالح العلي الصوينع أخذتْ منه وقتاً طويلاً ، وسنَواتٍ أكثرَ من العشر ، حتى استوى عود البحث ، ونضج ثمره ، فكان هذا الكتاب الذي جاء في جُزْءَيْنِ ، بلغت صفحاتها ٧٧٦ ومحتوياتها بعد المقدمة والتصدير :

الحياة في الجزيرة العربية .

ثم الباب الأول : التيار المحافظ في الشعر السعودي المعاصر مع ذكر أشهر شعراء هذا التيار .

الباب الثاني : التيار التجديدي الابتداعي في الشعر السعودي ، وفيه أعلام شعراء الوجدان أو (الرومانسية) في الشعر المعاصر .

الباب الثالث : تيارات شعرية جديدة : التيار الواقعي الاجتماعي . والتيار الرمزي ، والملحمة ، والمسرحية ، والقصة ، وتيار الشعر الحر ، كل مبحث من ذالك في فصل مخصص له .

وملحق بكل جزء فهارس مفصلة ، كان يحسن وضعها كلها في آخر الجزء الثاني مادامت صفحات الجزءَيْنَ متسلسلةً الأرقام ، والكتاب من الدراساتْ الشاملة في موضوعه .

والطباعة في مطابع الفرزدق في الرياض حسنة .

فهارس السنة الثانية والعشرين

أولاً : الكتاب والمعلقون

ثانيا : الموضوعات العامة

ثالثاً: الأعـــــلام

رابعاً : الأسر والقبائل والجماعات

خامساً : الكتــــب

سادساً : المواضـــع

سابعاً : الشـــــعر